

تأليف

الإمام الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى
الحنفي الخلوتي البروسوي

المتوفى ١١٢٧ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته

عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

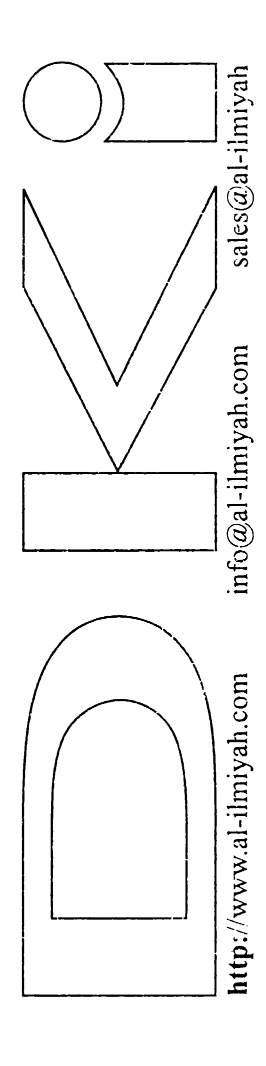
الجزء الخامس

المحتوى:

من أول سورة النحل - إلى آخر سورة الأنبياء



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



الكتاب : روح البيان في تفسير القرآن

Title : RŪḤ AL-BAYĀN FĪ TAFSĪR AL-QUR'ĀN

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of the Qur'an

المؤلف : الشيخ إسماعيل البروسوي (ت ١١٢٧ هـ)

Author : Al-Shaykh ISmail Al-Burusawi (D. 1127 H.)

المحقق : عبداللطيف حسن عبدالرحمن

Editor : Abdullatif Hassan Abdulrahman

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

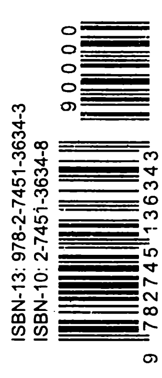
Pages	(10Vols./10Parts) 5344 (١٠أجزاء/١٠ مجلدات)	عدد الصفحات
Size	17x24 cm	قياس الصفحات
Year	2018 A.D. - 1439 H.	سنة الطباعة
Printed in	Lebanon لبنان	بلد الطباعة
Edition	4th (2 Colors) الرابعة (لونان)	الطبعة

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



١٦ ـ سورة النحل

وهي مكية إلا من ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخرها
وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾

﴿أتى أمر الله﴾ روي أن كفار قريش كانوا يستبطئون نزول العذاب الموعود لهم سخرية بالنبي عليه السلام وتكذيباً للوعد ويقولون إن صح ما يقولون من مجيء العذاب فالأصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت. وأمر الله هو العذاب الموعود لأن تحققه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب وإتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع وقد وقع يوم بدر. والمعنى دنا واقترب ما وعدتم به أيها الكفرة **﴿فلا تستعجلوه﴾** أي: أمر الله ووقوعه إذ لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم منه واستعجالهم وإن كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم والاستعجال طلب الشيء قبل حينه **﴿سبحانه﴾** [پاكست خداي] **﴿وتعالى﴾** [وبر ترست] **﴿عما يشركون﴾** أي: تبرأ وتقدس بذاته عن أن يكون له شريك فيدفع ما أراد بهم بوجه من الوجوه ولما كان المنزه للذات الجليلة هو نفس الذات آل التنزيه إلى معنى التبري. وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما أنزل الله تعالى ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر: ١] قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شيء قالوا: ما نرى شيئاً فأنزل ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] الآية فأشفقوا وانتظروا قرب الساعة فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فأنزل الله تعالى **﴿أتى أمر الله﴾** فوثب النبي عليه السلام قائماً مخافة الساعة وحذر الناس من قيامها ورفع الناس رؤوسهم فنزل **﴿فلا تستعجلوه﴾** أي: لا تطلبوا الأمر قبل حينه فاطمأنوا وجلس النبي عليه السلام بعد قيامه وليس في هذه الرواية استعجال المؤمنين بل خوفهم وظنهم ثم إن الاستعجال بها لا يوصف به المؤمنون قال الله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ [الشورى: ١٨] بل الظاهر أنهم لما سمعوا أول الآية اضطربوا لظن أنه وقع ثم لما سمعوا خطاب الكفار بقوله فلا تستعجلوه اطمأنوا كما في «حواشي» سعدي المفتي. ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» يعني: إصبعيه المسبحة والوسطى معناه أن ما بيني وبين الساعة بالنسبة إلى ما مضى من الزمان مقدار فضل الوسطى على المسبحة شبه القرب الزماني بالقرب المساحي لتصوير غاية قرب الساعة وفي حديث آخر: «مثلي ومثل الساعة كفرسي

رهان». قال في «القاموس»: كفرسي رهان يضرب للاثنين يسبقان إلى غاية فيستويان وهذا التشبيه في الابتداء لأن الغاية تجلي عن السابق لا محالة، انتهى.

والإشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿**أتى أمر الله فلا تستعجلوه**﴾ كلام قديم كان الله في الأزل به متكلماً والمخاطبون به بعد في العدم محبوسون وهم طبقات ثلاث منهم الغافلون والعاقلون والعاشقون فكان الخطاب مع الغافلين بالعتاب إذا كانوا مشتاقين إلى الدنيا وزخارفها ولذاتها وشهواتها وهم أصحاب النفوس:

نفس اكرچه زير كست وخرده دان   قبله اش دنياست اورا مرده دان

والخطاب مع العاقلين بوعد الثواب إذ كانوا مشتاقين إلى الطاعات والعبادات والأعمال الصالحات التي تبلغهم إلى الجنة ونعيمها الباقية وهم أرباب العقول:

نصيب ماست بهشت اى خداشناس برو   كه مستحق كرامت كنا هكارانند

والخطاب مع العاشقين بوصلة رب الأرباب إذ كانوا مشتاقين إلى مشاهدة جمال ذي الجلال:

چه سود ازروزن جنت اكر شيرين معاذ الله   زكوى خود درى در روضه فرهاد نكشايد

فاستعجل أرواح كل طبقة منهم للخروج من العدم إلى الوجود لنيل المقصود وطلب المفقود فتكلم الله في الأزل بقوله: ﴿**أتى أمر الله**﴾ أي: سيأتي أمر الله للخروج من العدم لإصابة ما كتب لكل طبقة منكم في القسمة الأزلية ﴿**فلا تستعجلوه**﴾ فإنه لا يفوتكم يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤] أي: في العدم وهو يسمع خفيات أسراركم ويبصر خفيات سرائركم المعدومة. ﴿**سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾ أي: هو منزه في ذاته ومتعال في صفاته أن يكون له شريك يعمل عمله أو شبيه يكون بدله:

قهار بى منازع وغفار بى ملال   ديان بى معادن وسلطان بى سپاه

باغير أو أضافت شاهى بود چنانك   بريك دو چوب پاره زشطرنج تام شاه

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾

﴿**ينزل**﴾ الله تعالى ﴿**الملائكة**﴾ أي: جبريل لأن الواحد يسمى بالجمع إذا كان رئيساً تعظيماً لشأنه ورفعاً لقدره أو هو ومن معه من حفظة الوحي كما قال السهيلي في كتاب «التعريف والإعلام» ﴿**ينزل الملائكة**﴾ يعني ملائكة الوحي وهم جبريل وقال الملائكة بالجمع لأنه قد ينزل بالوحي مع غيره.

- وروي - عن عامر الشعبي بإسناد صحيح قال: وكل إسرافيل بمحمد ﷺ ثلاث سنين وكان يأتيه بالكلمة والكلمتين ثم نزل عليه جبريل بالقرآن والحكمة في توكيل إسرافيل به أنه الموكل بالصور الذي فيه هلاك الخلق وقيام الساعة ونبوته ﷺ مؤذنة بقرب الساعة وانقطاع الوحي. وفي «صحيح مسلم» أنه نزل عليه بسورة الحمد، أي فاتحة الكتاب، ملك لم ينزل بها جبريل كما قال بعضهم وهو بشيع. وذكر ابن أبي حيثمة خالد بن سنان العبسي وذكر نبوته وأنه وكل به من الملائكة مالك خازن النار وكان من أعلام نبوته أن ناراً يقال لها نار الحدثان كانت تخرج على الناس من مغارة فتأكلهم والزرع والضرع ولا يستطيعون ردها فردها خالد بن سنان بعصاه حتى رجعت هاربة منه إلى المغارة التي خرجت منها فلم تخرج بعد. وفي الحديث:

«وكان نبياً ضيعه قومه» يعني خالد بن سنان، أي ضيعوا وصية نبيهم حيث لم يبلغوه مراده من أخبار أحوال القبر، وقوله عليه السلام: «إني أولى الناس بعيسى ابن مريم فإنه ليس بيني وبينه نبي» أي نبي داع للخلق إلى الله وشرع، وسبق تفصيل القصة في سورة المائدة عند قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ [المائدة: ١٥] الآية فلينظر هناك. وذكر أن ملكاً يقال له زياقيل كان ينزل على ذي القرنين وذلك الملك هو الذي يطوي الأرض يوم القيامة ويقبضها فتقع أقدام الخلائق كلهم بالساهرة فيما ذكره بعض أهل العلم، وهذا مشاكل لتوكيله بذي القرنين الذي قطع مشارق الأرض ومغاربها كما أن قصة خالد بن سنان وتسخير النار له مشاكلة لحال الملك الموكل به كذا في كتاب التعريف وأسئلة الحكم.

﴿بالروح﴾ أي بالوحي الذي من جملته القرآن على نهج الاستعارة فإنه يحيي القلوب الميتة بالجهل أو يقوم في الدين مقام الروح في السجد، يعني أن الروح استعارة تحقيقية عن الوحي ووجه التسمية أحد هذين الوجهين والقرينة إبدال أن أنذروا من الروح. وقال بعضهم: البناء بمعنى مع أي ينزل الملائكة مع جبريل.

قال «الكاشفي» [درتبيان ميكويد كه هيچ ملكى فرونيايد الاكه روح بااوست ورقيب بروچنانچه بر آدميان حفظه ميباشند]. ﴿من أمره﴾ بيان للروح الذي أريد به الوحي فإنه أمر بالخير وبعث عليه وأيضاً هو من عالم الأمر المقابل لعالم الخلق وإن كان جبريل من عالم الخلق أو هو متعلق بينزل ومن للسببية كالباء مثلها في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ [نوح: ٢٥] أي ينزلهم بالروح بسبب أمره وأجل إرادته ﴿على ما يشاء من عباده﴾ أن ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك ﴿أن أنذروا﴾ بدل من الروح أي ينزلهم متلبسين بأن أنذروا أي بهذا القول والمخاطبون به الأنبياء الذين نزلت الملائكة عليهم والآمر هو الله والملائكة نقلة للأمر كما يشعر به الباء في المبدل منه وأن مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف، أي ينزلهم ملتبسين بأن الشأن أقول لكم أنذروا والإنذار الإعلام خلا أنه مختص بإعلام المحذور من نذر بالشيء كفرح علمه فحذره وأنذره بالأمر إنذاراً، أعلمه وحذره وخوّفه في إبلاغه كذا في «القاموس» أي أعلموا الناس أيها الأنبياء ﴿أنه﴾ أي الشأن ﴿لا إلٰه إلا أنا﴾ [كس نيست خداى مستحق عبادت مكر من كه آفريننده وروزى دهنده همه ام] وإنباؤه عن المحذور ليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الإشراك وذلك كاف في كون إعلامه إنذاراً كما قال سعدي المفتي في «حواشيه»: التخويف بلا إلٰه إلا أنا من حيث إنهم كانوا يثبتون له تعالى ما لا يليق لذاته الكريمة من الشركاء والأنداد فإذا كان ما أسندوه خلاف الواقع وهو مستبد بالألوهية فالظاهر أنه ينتقم منهم على ذلك ﴿فاتقون﴾ [پس بترسيد از من وجز مرا پرستش مكنيد].

مرا بندكى كن كه دارا منم تو وازبندكانى ومولامنم

وفي الآية دلالة على أن الملائكة وسائط بين الله وبين رسله وأنبيائه في إبلاغ كتبه ورسالاته وأنهم ينزلون بالوحي على بعضهم دفعة في وقت واحد كما نزلوا بالتوراة والإنجيل والزبور على موسى وعيسى وداود والدال عليه قراءة ابن كثير وأبي عمرو وينزل من أنزل وعلى بعضهم منجماً موزعاً على حسب المصالح وكفاء الحوادث كما نزلوا بالقرآن منجماً في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين على ما يدل عليه قراءة الباقين لأن في التنزيل دلالة على التدرج

والتكثر والإنزال بشموله التدريجي والدفعي أعم منه وأنه ليس ذلك النزول بالوحي جملة واحدة أو متفرقاً إلا بأمر الله وعلى ما يراه خيراً وصواباً وأن النبوة موهبة الله ورحمته يختص بها من يشاء من عباده وأن المقصود الأصلي في ذلك إعلامهم الناس بتوحيد الله تعالى وتقواه في جميع ما أمر به ونهى عنه والأول هو منتهى كمال القوة العلمية والثاني هو أقصى كمالات القوة العلمية. قال في «بحر العلوم» واتقاء الله باجتناب الكفر والمعاصي وسائر القبائح يشمل رعاية حقوقها بين الناس.

والإشارة ﴿**ينزل الملائكة بالروح من أمره**﴾ أي: بالوحي وبما يحيي القلوب من المواهب الربانية من أمره أي: من أمر الله وأمره على وجوه منها ما يرد على الجوارح بتكاليف الشريعة ومنها ما يرد على النفوس بتزكيتها بالطريقة ومنها ما يرد على الأرواح بملازمة الحضرة للمكاشفات ومنها ما يرد على الخفيات بتجل الصفات لإفناء الذوات ﴿**على من يشاء من عباده**﴾ من الأنبياء والأولياء ﴿**أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا**﴾ أي: اعلموا أوصاف وجودكم يبذلها في أنانيتي أن لا إله إلا أنا ﴿**فاتقون**﴾ أي: فاتقوا عن أنانيتكم بأنانيتي كذا في «التأويلات النجمية». قال شيخي وسندي روح الله روحه في بعض تحريراته المتقي إما أن يتقي بنفسه عن الحق سبحانه وإما بالحق عن نفسه والأول هو الاتقاء بإسناد النقائص إلى نفسه عن إسنادها إلى الحق سبحانه فيجعل نفسه وقاية لله تعالى والثاني هو الاتقاء بإسناد الكمالات إلى الحق سبحانه عن إسنادها إلى نفسه فيجعل الحق سبحانه وقاية لنفسه والعدم نقصان والوجود كمال فاتقوا الله حق تقاته بأن تضيفوا العدم إلى أنفسكم مطلقاً ولا تضيفوا الوجود إليها أصلاً وتضيفوا الوجود إلى الله مطلقاً ولا تضيفوا العدم إليه أصلاً فإن الله تعالى موجود دائماً أزلاً وأبداً سرمداً لا يجوز في حقه العدم أصلاً ونفوسكم من حيث هي هي معدومة دائماً وأزلاً وأبداً وسرمداً لا يجوز في حقها الوجود أصلاً وطريان الوجود عليها من حيث فيضان الجود الوجودي عليها من الحق تعالى لا يوجب وجودها أصلاً من حيث هي هي عند هذا الطريان على عدمها الأصلي من حيث هي دائماً مطلقاً فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا انتهى كلام الشيخ.

كر تويى جمله در فضاى وجود ... هم خود انصاف ده بكو حق كو
در همه اوست پيش چشم شهود ... چيست پندارى هستىء من وتو
پاك كن جامى ازغبار دويى ... لوح خاطر كه حق يكيست نه دو

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٤﴾ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿**خلق السموات والأرض**﴾ أي: الأجرام العلوية والآثار السفلية. يقال قبل أن يخلق الله الأرض كان موضع الأرض كله ماء فاجتمع الزبد في موضع الكعبة فصارت ربوة حمراء كهيئة التل وكان ذلك يوم الأحد ثم ارتفع بخار الماء كهيئة الدخان حتى انتهى إلى موضع السماء وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام كما بين المشرق والمغرب فجعل الله درة خضراء فخلق منها السماء فلما كان يوم الاثنين خلق الشمس والقمر والنجوم ثم بسط الأرض من تحت الربوة ﴿**بالحق**﴾ أي: بالحكمة والمصلحة لا بالباطل والعبث ونعم ما قيل:

إنـمـا الـكـون خـيـال وهـو حـق فـي الـحـقـيـقـه

ويقال: جعل الله الأرواح العلوية والأشباح السفلية مظاهر أفاعيله فهو الفاعل فيما يظهر على الأرواح والأشباح ﴿تعالى﴾ وتقدس. وبالفارسية [بر ترست خداى تعالى وبزركتر] ﴿عما يشركون﴾ عن شركة ما يشركونه به من الباطل الذي لا يبدىء ولا يعيد فينبغي للسالك أن يوحد الله تعالى ذاتاً وصفة وفعلاً فإن الله تعالى هو الفاعل خلق حجاب الوسائط لا بالوسائط بل بالذات فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً وهو ما أريد به وجه الله ولا يشرك بعبادة ربه أحداً وقيل للمرائي مشرك:

مـرايـى هـركـسـى مـعـبـود سـازد مـرايـى را ازان كـفـتـنـد مـشـرك

﴿خلق الإنسان﴾ أي: بني آدم لا غير لأن أبويهم لم يخلقا من النطفة بل خلق آدم من التراب وحواء من الضلع الأيسر منه ﴿من نطفة﴾ قال في «القاموس»: النطفة ماء الرجل. والمعنى بالفارسية [از آب منى كه جماديست بى حس وحركت وفهم وهيولائى كه وضع وشكل نپذيرد پس اورافهم وعقل داد] ﴿فإذا هو﴾ [پس آنكاه او] أي: الإنسان بعد الخلق وأتى بالفاء إشارة إلى سرعة نسيانهم ابتداء خلقهم ﴿خصيم﴾ بليغ الخصومة شديد الجدل ﴿مبين﴾ أي: مظهر للحجة أو ظاهر لا شبهة في زيادة خصومته وجدله يعني: [مناظره ميكند وميخواهدكه سخن خودرا بحجت ثابت سازد]. قال في «التكملة»: الظاهر أن الآية على العموم وقد حكى المهدوي أن المراد به أبي بن خلف الجمحي فإنه أتى النبي ﷺ بعظم رميم فقال: يا محمد أترى الله تعالى أي: أتظن أن الله يحيي هذا بعد ما قد رمّ فنزلت ومثلها الآية التي في آخر سورة يس وفيه نزلت يعني: [او در اول جمادى بوده وما اورا حس ونطق داديم اكنون باما مجادله ميكند چرا استدلال نمى كند بابداء برا عاده كه هركه برابداء قادر بود هر آيينه برين نيز قدرت دارد].

وفي «التأويلات النجمية» أي: جعل الإنسان من نطفة ميتة لا فعل لها ولا علم بوجودها فإذا أعطيت العلم والقدرة صارت خصماً لخالقها مبيناً وجودها مع وجود الحق وادعت الشركة معه في الوجود والأفاعيل انتهى. والآية وصف الإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة قالوا: خلق الله تعالى جوهر الإنسان من تراب أولاً ثم من نطفة ثانياً وهم ما ازدادوا إلا تكبراً وما لهم والكبر بعد أن خلقوا من نطفة نجسة في قول عامة العلماء:

نـه در ابـتـدا بـودى آب مـنـى اكـر مـردى از سـر بـدركـن مـنـى

وفي «إنسان العيون»: أن فضلاته ﷺ طاهرة انتهى. وهو من خصائصه عليه السلام كما صرحوا به في كتب السير وحكم النطفة أسهل من الفضلات لأنها أخف منها.

ـ يحكى ـ أن بعض أهل الرياضة المحققين من أهل التوحيد الحقاني كان يشم من فضلاتهم رائحة المسك وذلك ليس ببعيد لصفوة باطنهم وسريان آثار حالهم إلى جميع أعضائهم وأجزائهم فهم من النطفة صورة ومن النور معنى وليس غيرهم مثلهم لأن معناهم ظهر في صورة الوجود فغابوا من الغيبة ووصلوا إلى عالم الشهود بخلاف غيرهم من أرباب الغفلة فإن أنت تطمع في الوصول إلى ما وصلوا أو الحصول عند ما حصلوا فعليك بإخلاص العمل وترك المراء والجدل فإن حقيقة التوحيد لا تحصل للخصم العنيد بل هي منه بمكان بعيد.

﴿والأنعام﴾ جمع نعم وقد يسكن عينه وهي الإبل والبقر والغنم والمعز وهي الأجناس

الأربعة المسماة بالأزواج الثمانية اعتباراً للذكر والأنثى لأن ذكر كل واحد من هذه الأنواع زوج بأنثاه وأنثاه زوج بذكره فيكون مجموع الأزواج ثمانية بهذا الاعتبار من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين فالخيل والبغال والحمير خارجة من الأنعام وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى: ﴿خلقها لكم﴾ ولمنافعكم ومصالحكم يا بني آدم وكذا سائر المخلوقات فإنها خلقت لمصالح العباد ومنافعهم لا لها يدل عليه قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] وقوله: ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [لقمان: ٢٠] وأما الإنسان فقد خلق له تعالى كما قال: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١] فالإنسان مرآة صفات الله تعالى ومجلى أسمائه الحسنى ﴿فيها دفء﴾ [در ايشان پوستست كرم كننده يعني جامعها ازپشم وموي كه سرما بازدارد]. والدفء نقيض حدة البرد أي: بمعنى السخونة والحرارة ثم سمي به كل ما يدفأ به أي: يسخن به من لباس معمول من صوف الغنم أو وبر الإبل أو شعر المعز هذا وأما الفرو فلا بأس به بعد الدباغة من أي صنف كان وقد عد الإمام الشافعي رحمه الله لبس جلد السباع مكروهاً وكان لرسول الله ﷺ جبة فنك يلبسها في الأعياد والفنك بالتحريك دابة فروتها أطيب أنواع الفراء وأشرفها وأعدلها صالح لجميع الأمزجة المعتدلة كما في «القاموس» ثم إن أسباب التسخين إنما تلزم للعامة وقد اشتهر أن النبي ﷺ لم يصطل بالنار وكذا بعض الخواص فإن حرارة باطنهم تغني عن الحرارة الظاهرة، قال الصائب:

جمعى كه پشت كرم بعشق ازل نيند ... ناز سمور ومنت سنجاب ميكشند

﴿ومنافع﴾ نسلها ودرها وركوبها والحراثة بها وثمنها وأجرتها ﴿ومنها تأكلون﴾ من للتبعيض أي: تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك بخلاف الغدة والقبل والدبر والذكر والخصيتين والمرارة والمثانة ونخاع الصلب والعظم والدم فإنها حرام. وتقديم الظرف لرعاية الفاصلة أو لأن الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده الناس في معائشهم وأما الأكل من غيرها من الطيور وصيد البر والبحر فعلى وجه التداوي أو التفكه والتلذذ فيكون القصر إضافياً بالنسبة إلى سائر الحيوانات حتى لا ينتقض بمثل الخبز ونحوه من المأكولات المعتادة.

﴿ولكم فيها﴾ مع ما فصل من أنواع المنافع الضرورية ﴿جمال﴾ أي: زينة في أعين الناس ووجاهة عندهم ﴿حين تريحون﴾ تردونها من مراعيها إلى مراحها ومباركها بالعشي أي: في آخر النهار من أراح الإبل إذا ردها إلى المراح بضم الميم وهو موضع إراحة الإبل والبقر والغنم. والإراحة بالفارسية [شبانكاه باز آوردن اشتر وكوسفند] ﴿وحين تسرحون﴾ ترسلونها بالغداة أي: في أول النهار في المرعى وتخرجونها من حظائرها إلى مسارحها من سرح الراعي الإبل إذا رعاها وأرسلها في المرعى. قال في «تهذيب المصادر» والسروح [بچراهشتن] وسرح لازم ومتعد يقال: سرحت الماشية وسرحت الماشية انتهى. وتعيين الوقتين لأن الرعاة إذا أراحوا بالعشي وسرحوها بالغداة تزينت الافنية بها أي: ما اتسع من أمام الدار كما في «القاموس» وتجاوب الثغاء والرغاء الأول صوت الشاة والمعز والثاني ذوات الخف فيجل بكسر الجيم أي: يعظم أهلها في أعين الناظرين ويكسبون الجاه والحرمة عند الناس وأما عند كونها في المراعي فينقطع إضافتها الحسية إلى أربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها راء ولا ينظر إليها ناظر وقدم الإراحة على السرح وإن كانت بعده لأن الجمال فيها أظهر إذ هي حضور بعد

غيبة وإقبال بعد إدبار على أحسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع. قال في «القاموس»: الجمال الحسن في الخلق والخلق وتجمل تزين وجمله زينه وفي الحديث: «جمال الرجل فصاحة لسانه» وفي حديث آخر «الجمال صواب المقال والكمال حسن الفعال».

بهايم خموشند وكويا بشر   پرا كنده كوى ازبهايم بتر

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ⑦ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ⑧﴾

﴿وتحمل أثقالكم﴾ جمع ثقل بفتح الثاء والقاف وهو متاع المسافر وحشمه أي: تحمل أمتعتكم وأحمالكم. ﴿إلى بلد﴾ بعيد أياً ما كان فيدخل فيه إخراج أهل مكة متاجرهم إلى اليمن ومصر والشام ﴿لم تكونوا بالغيه﴾ واصلين إليه بأنفسكم مجردين عن الأثقال لولا الإبل أي: لو لم تخلق الإبل فرضاً. ﴿إلا بشق الأنفس﴾ فضلاً عن استصحابها معكم أي: عن أن تحملوها على ظهوركم إليه. والشق بالكسر والفتح الكلفة والمشقة وهو استثناء مفرغ من أعم الأشياء أي: لم تكونوا بالغيه بشيء من الأشياء إلا بشق الأنفس ﴿إن ربكم لرؤوف رحيم﴾ عظيم الرأفة بكم وعظيم الإنعام عليكم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وأنعمها عليكم لانتفاعكم وتيسير الأمر عليكم. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان في بعض مغازيه فبينما هم يسيرون إذ أخذوا فرخ طائر أي: ولده فأقبل أحد أبويه حتى سقط في أيدي الذين أخذوا الفرخ فقال عليه الصلاة والسلام: «ألا تعجبون لهذا الطير أخذ فرخه فأقبل حتى سقط في أيديكم والله لله أرحم بعباده من هذا الطائر بفرخه».

فرومانده كانرا برحمت قريب   تضرع كنانرا بدعوت مجيب

وفي الآية إشارة إلى أن في خلق الحيوانات انتفاعاً للإنسان فإنهم ينتفعون بها حين اطلاعهم على صفتها الحيوانية الذميمة بالصفات الملكية الحميدة احترازاً عن الاحتباس في حيزها واجتناباً عن شبهها بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وهذه الصفات الحيوانية إنما خلقت فيهم لتحمل أثقال أرواحهم إلى بلد عالم الجبروت ولذا ورد «نفسك مطيتك فارفق بها».

واعلم أن الله تعالى منّ على عباده بخلق الإبل والبقر والغنم والمعز وقد كان لرسول الله ﷺ إبل يركبها وهي الناقة القصوى أي المقطوع طرف إذنها والجدعاء أي: المقطوعة الأنف أو مقطوعة الأذن كلها والعضباء أي: المشقوقة الأذن. قال بعضهم: وهذه ألقاب ولم يكن بتلك شيء من ذلك والعضباء هي التي كانت لا تسبق فسبقت فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله ﷺ: «إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه» وهي التي لم تأكل بعد وفاة رسول الله ولم تشرب حتى ماتت وجاء أن ابنته فاطمة رضي الله عنها تحشر عليها. قال السعدي: [حلم شتر چنانكه معلومست اكر طفلى مهارش كيرد وصد فرسنك ببرد كردن ازمتابعت او نپيچد اما اكردرره هو لناك پيش آيدكه موجب هلاك باشد وطفل بنادانى خواهدكه آن جايكه برود زمام از كفش بكسلاند وديكر مطاوعت نكندكه هنكام درشتى ملاطفت مذموم است وكفته اندكه دشمن بملاطفت دوست نكردد بلكه طمع زياده كند]:

كسى كه لطف كند باتوخاك پايش باش   وكر خلاف كنددردو چشمش آكن خاك

سخن بلطف وكرم بادرشت كوى مكوى　　　كه زنك خورده نكردد بنرم سوهان پاك

قال في «حياة الحيوان»: وإذا أحرق وبر الجمل وذر على الدم السائل قطعه وقراده يربط في كم العاشق فيزول عشقه ولحمه يزيد في الباءة أي: الجماع. والبقر من بقر إذا شق لأنها تشق الأرض بالحراثة. وقيل لمحمد بن الحسين بن علي رضي الله عنهم: الباقر لأنه شق العلم ودخل فيه مدخلاً بليغاً وإذا أردت أن ترى عجباً فادفن جرة في الأرض إلى حلقها وقد طلي باطنها بشحم البقر فإن البراغيث كلها تجتمع إليها وإذا بخر البيت بشحمه مع الزرنيخ أذهب الهوام خصوصاً العقارب ولم ينقل أنه ﷺ ملك شيئاً منها أي: من البقر للقنية فلا ينافي أنه ضحى عن نسائه بالبقر كما في «إنسان العيون». يقال: ثلاث لا يفلحون: بائع البشر، وقاطع الشجر، وذابح البقر والمراد القصاب المعتاد لذلك وفي الحديث: «عليكم بألبان البقر وأسمانها وإياكم ولحومها فإن ألبانها وأسمانها دواء وشفاء ولحومها داء». قال الإمام السخاوي: قد صح أن النبي عليه الصلاة والسلام ضحى عن نسائه بالبقر، قال الحليمي: هذا ليبس الحجاز ويبوسة لحم البقر ورطوبة لبنها وسمنها فكأنه يرى اختصاص ذلك وهذا التأويل مستحسن وإلا فالنبي عليه السلام لا يتقرب إلى الله تعالى بالداء فهو إنما قال ذلك في البقر لتلك اليبوسة وجواب آخر أنه عليه السلام ضحى بالبقر لبيان الجواز أو لعدم تيسر غيره انتهى كلام السخاوي وفي الحديث «صوفها رياش وسمنها معاش» يعني الغنم الرياش اللباس الفاخر يعني أن ما على ظهرها سبب الرياش ومادتها وما في بطنها سبب المعاش وهو الحياة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أمر رسول الله ﷺ الأغنياء باتخاذ الغنم وأمر الفقراء باتخاذ الدجاج وقال: «الدجاج غنم فقراء أمتي والجمعة حج فقرائها» وعند اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله بهلاك القرى وجاء «اتخذوا الغنم فإنها بركة» قال في «حياة الحيوان»: جعل الله البركة في نوع الغنم وهي تلد في العام مرة ويؤكل منها ما شاء الله ويمتلىء منها جوف الأرض بخلاف السباع فإنها تلد ستاً وسبعاً ولا يرى منها إلا واحدة في أطراف الأرض وكان له ﷺ مائة من الغنم وسبعة أعنز كانت ترعاها أم أيمن رضي الله عنها وكان له عليه السلام شاة يختص بشرب لبنها وماتت له عليه الصلاة والسلام شاة فقال: «ما فعلتم بإهابها» قالوا: إنها ميتة قال: «دباغها طهورها» قال الإمام الدميري: كبد الكبش إذا أحرقت طرية ودلك بها الأسنان بيضتها وقرن الكبش إذا دفن تحت شجرة يكثر حملها وإذ انحملت المرأة بصوف النعجة قطعت الحبل وإذا غطى الإناء بصوف الضأن الأبيض وفيه عسل لا يقربه النمل.

﴿والخيل﴾ عطف على الأنعام أي: خلق الله الخيل وهو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالإبل. والخيل نوعان: عتيق وهجين والفرق بينهما أن عظم البرذون أعظم من عظم الفرس وعظم الفرس أصلب وأنقل والبرذون أجمل من الفرس والفرس أسرع منه والعتيق بمنزلة الغزال والبرذون بمنزلة الشاة فالعتيق ما أبواه عربيان سمي بذلك لعتقه من العيوب وسلامته من الطعن فيه بالأمور المنقصة. وسميت الكعبة بالبيت العتيق لسلامتها من عيب الرق لأنه لم يملكها مالك قط. والهجين الذي أبوه عربي وأمه عجمية. وخلق الله الخيل من ريح الجنوب وكان خلقها قبل آدم عليه السلام لأن الدواب خلقت يوم الخميس وآدم خلق يوم الجمعة بعد العصر والذكر من الخيل خلق قبل الأنثى لشرفه كآدم وحواء. وأول من ركب الخيل إسماعيل عليه السلام وكانت وحوشاً ولذلك قيل لها العراب وفي الحديث: «اركبوا الخيل فإنها ميراث

أبيكم إسماعيل» وقد سبق قصة انقيادها لإسماعيل في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧] الآية وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ لم يكن شيء أحب إليه بعد النساء من الخيل وفي الحديث: «لما أراد ذو القرنين أن يسلك في الظلمة إلى عين الحياة سأل أي: الدواب في الليل ابصر فقالوا: الخيل فقال: أي الخيل أبصر فقالوا: الإناث قال: فأي الإناث أبصر فقالوا: البكارة فجمع من عسكره ستة آلاف فرس كذلك» وكان له ﷺ سبعة أفراس. الأول الكسب شبه بكسب الماء وانصبابه لشدة جريه. والثاني: المرتجز سمي به لحسن صهيله مأخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر. والثالث: اللحيف كامير اوزبير كأنه يلحف الأرض بذنبه لطوله أي: يغطيها وقيل: هو بالخاء المعجمة كامير وزبير. والرابع: اللزاز مأخوذ من لازته أي: لاصقته فكأنه يلحق بالمطلوب لسرعته. والخامس: الورد وهو ما بين الكميت والأشقر الكميت كزبير الذي خالط حمرته قنوء وقنأ قنوءاً شدت حمرته والأشقر من الدواب الأحمر في مغرة حمرة يحمر منها العرف والذنب ومن الناس من تعلو بياضه حمرة. والسادس: الطرف بكسر الطاء المهملة وإسكان الراء وبالفاء الكريم الجيد من الخيل. والسابع: السبحة بفتح السين المهملة وإسكان الموحدة وفتح الحاء المهملة أي: سريع الجري وفي الحديث: «ما من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ويقول: رب إنك سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي في يده اللهم فاجعلني أحب إليه من أهله وولده» وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الفرس يقول: إذا التقت الفئتان سبوح قدوس رب الملائكة والروح ولذلك قيل: رب بهيمة خير من راكبها وكان له في الغنيمة سهمان وعن النبي عليه السلام: «لا يعطى إلا لفرس واحد» عربياً كان أو غيره لأن الله تعالى قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] ولم يفرق بين العربي وغيره ويقال: إن الفرس لا طحال له وهو مثل لسرعته وحركته كما يقال للبعير لا مرارة له أي: لا جسارة له والفرس يرى المنامات كبني آدم وزبله إذا دخن به أخرج الولد من البطن. قال الحافظ شرف الدين الدمياطي في كتاب الخيل: إذا ربط الفرس العتيق في بيت لم يدخله الشيطان وأما الفرس الذي فيه شؤم فهو الذي لا يغزى عليه ولا يستعمل في مصلحة حميدة ولا يركبه صالح وفي الحديث «من نقى شعيراً لفرسه ثم جاء به حتى يعلق عليه كتب الله له بكل شعيرة حسنة» قال موسى للخضر أي: الدواب أحب إليك؟ قال: الفرس والحمار والبعير لأن الفرس مركب أولي العزم من الرسل والبعير مركب هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام والحمار مركب عيسى والعزير عليهما السلام فكيف لا أحب شيئاً أحياه الله بعد موته قبل الحشر. ﴿والبغال﴾ جمع بغل وهو مركب من الفرس والحمار ويقال أول من استنتجها قارون وله صبر الحمار وقوة الفرس وهو مركب الملوك في أسفارهم ومعبرة الصعاليك في قضاء أوطارهم. وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن البغال كانت تتناسل وكانت أسرع الدواب في نقل الحطب لنار إبراهيم خليل الرحمٰن فدعا عليها فقطع الله نسلها وهذه الرواية تستدعي أن يكون استنتاجها قبل قارون لأن إبراهيم مقدم على موسى بأزمنة كثيرة وإذا بخر البيت بحافر البغل الذكر هرب منه الفأر وسائر الهوام كما في حياة الحيوان. وكان له ﷺ بغال ست. منها بغلة شهباء يقال لها دلدل أهداها إليه المقوقس والي مصر من قبل هرقل والدلدل في الأصل القنفذ وقيل ذكر القنافذ وقيل عظيمها وكان عليه الصلاة والسلام يركبها في المدينة وفي الأسفار وعاشت حتى ذهبت أسنانها

فكان يدق لها الشعير وعميت وقاتل علي رضي الله عنه عليها مع الخوارج بعد أن ركبها عثمان رضي الله عنه وركبها بعد علي رضي الله عنه ابنه الحسن ثم الحسين ثم محمد ابن الحنفية رضي الله عنهم. يقول الفقير: إنما ركبوها وقد كانت مركبه عليه الصلاة والسلام طلباً للنصرة والظفر فالظاهر أنهم لم يركبوها في غير الوقائع لأن من آداب التابع أن لا يلبس ثياب متبوعه ولا يركب دابته ولا يقعد في مكانه ولا ينكح امرأته. ومنها بغلة يقال لها فضة. ومنها الايلية. وبغلة أهداها إليه كسرى. وأخرى من دومة الجندل. وأخرى من عند النجاشي. ﴿**والحمير**﴾ جمع حمار وكان له ﷺ من الحمر اثنان: يعفور وعفير والعفرة الغبرة. وفي كتاب «التعريف والأعلام» أن اسم حماره عليه الصلاة والسلام عفير ويقال له يعفور.

ـ روي ـ أن يعفوراً وجده ﷺ بخيبر وأنه تكلم فقال: اسمي زياد بن شهاب وكان في آبائي ستون حماراً كلهم ركبهم نبي وأنت نبي الله فلا يركبني أحد بعدك فلما توفي رسول الله ﷺ ألقى الحمار نفسه في بئر جزعاً على رسول الله ﷺ فمات وذكر أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يرسله إذا كانت له حاجة إلى أحد من أصحابه فيأتي الحمار حتى يضرب برأسه باب الصحاب فيخرج إليه فيعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام يريده فينطلق مع الحمار إليه والحمار من أذل خلق الله تعالى كما قال الشاعر:

ولا يقيم على ضيم يراد به　　إلا الاذلان عير الحيّ والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته　　وذا يشبح فلا يرثي له أحد

أي: لا يصبر على ظلم يراد به في حقه إلا الأذلان اللذان هما في غاية الذل ولفظ البيت خبر والمعنى نهى عن الصبر على الظلم وتحذير وتنفير للسامعين عنه وفي الحديث «من لبس الصوف وحلب الشاة وركب الأتن فليس في جوفه شيء من الكبر» والاتن جمع اتان وهي الحمارة ﴿**لتركبوها**﴾ تعليل بمعظم منافعها وإلا فالانتفاع بها بالحمل أيضاً مما لا ريب في تحققه ﴿**وزينة**﴾ انتصابها على المفعول له عطفاً على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلاً لفاعل الفعل المعلل به دون الأول فإن الركوب فعل الراكب وهو المخلوق والزينة فعل الزائن وهو الخالق أو مصدر لفعل محذوف أي: وتتزينوا بها زينة وقد احتج به أبو حنيفة رحمه الله تعالى على حرمة أكل لحم الخيل لأنه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعدما ذكره في الأنعام ومنفعة الأكل أقوى. والآية سيقت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم أن يذكر في موضع المنة أدنى النعمتين ويترك أعلاهما كذا في «المدارك»، وفي الحمر الأهلية خلاف مالك. وفي الخيل خلاف أبي يوسف ومحمد والشافعي كما في «بحر العلوم» والتفصيل في كتاب الذبائح من الكتب الفقهية. ﴿**ويخلق ما لا تعلمون**﴾ من أنواع المخلوقات من الحشرات والهوام والطيور وحيوانات البحر ومخلوقات ما وراء جبل قاف وفي الحديث «أن الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر» ومن أنواع السمك ما لا يدرك الطرف أولها وآخرها وما لا يدركها الطرف لصغرها» وفي الحديث: «إن الله خلق أرضاً بيضاء مثل الدنيا ثلاثين مرة محشوة خلقاً من خلق الله لا يعلمون أن الله تعالى يعصى طرفة عين» قالوا: يا رسول الله أمن ولد آدم هم؟ قال: «لا يعلمون أن الله خلق آدم» قالوا: فأين إبليس منهم قال: «لا يعلمون أن الله خلق إبليس» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿**ويخلق ما لا تعلمون**﴾ كما في «البستان» وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن عن يمين العرش نهراً من نور مثل السموات

السبع والأرضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل كل سحر فيغتسل فيزداد نوراً إلى نور وجمالاً إلى جمال وعظماً إلى عظم ثم ينتفض فيخلق الله من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور وسبعون ألف ملك الكعبة لا يعودون إليه إلى يوم القيامة كما في «الإرشاد» وفي الحديث: «إذا ملئت جهنم تقول الجنة ملأت جهنم بالجبابرة والملوك والفراعنة ولم تملأني إلا من ضعفاء خلقك فينشىء الله خلقاً عند ذلك فيدخلهم الجنة فطوبى لهم من خلق لم يذوقوا موتاً ولم يروا سوءاً بأعينهم» كما في «بحر العلوم».

واعلم أن الله تعالى قال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] وكيف يحصر من كان قليل العلم مخلوقات الله الغير المحصورة التي هي مظاهر كلماته التامة وأسمائه العامة فالأولى السكوت وقد أظهر الأنبياء عليهم السلام العجز مع سعة علومهم وإحاطة قلوبهم فما ظنك في حق أفراد الأمة:

در محفلى كه خورشيد اندر شمار ذره است

خودرا بزرك ديدن شرط أدب نباشد

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ويخلق﴾ فيكم بعد رجوعكم بالجذبة إلى مستقركم ﴿ما لا تعلمون﴾ قبل الرجوع إليه وهو قبول فيض نور الله تعالى بلا واسطة انتهى. قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الاطهر سكت النبي عليه السلام عن الاستخلاف إذ في أمته من يأخذ الأمر عن ربه فيكون بباطنه خليفة الله وبظاهره خليفة رسول الله فهو تابع ومتبوع وسامع ومسموع ومع ذلك فهو يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك والموحى إلى الرسول والمعدن الذي يأخذ منه الرسول وقد نبه سبحانه على ذلك بقوله: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨] بيد أنّ الرسول قابل للزيادة في ظاهر الأحكام والخليفة الولي ليس كذلك ناقص عن رتبة النبوة انتهى فانظر إلى استعداد كامل هذه الأمة كيف أخذوا الفيض من الله بلا واسطة نسأل الله تعالى أن يملأ قلوبنا بمحبتهم واعتقادهم ويوفقنا لأعمالهم ورشادهم ويحشرنا معهم وتحت لوائهم ويدخلنا الجنة ونحن من رفقائهم.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١﴾

﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد أي: مستقيم على نهج إسناد حال سالكه إليه كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه والمراد بالسبيل الطريق بدليل إضافة القصد إليه أي حق عليه سبحانه بموجب رحمته ووعده المحتوم لا واجب إذ لا يجب عليه شيء من بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه إلى الحق الذي هو التوحيد بنصب الأدلة وإرسال الرسل وإنزال الكتب لدعوة الناس إليه ﴿ومنها﴾ في محل الرفع على الابتداء إما باعتبار مضمونه وإما بتقدير الموصوف أي بعض السبيل أو بعض من السبيل فإنها تذكر وتؤنث. قال ابن الكمال: الفرق بين الطريق والصراط والسبيل أنها متساوية في التذكير والتأنيث أما في المعنى فبينها فرق لطيف وهو أن الطريق كل ما يطرقه

طارق معتاداً كان أو غير معتاد والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك والصراط من السبيل ما لا التواء فيه أي: لا اعوجاج بل يكون على سبيل القصد فهو أخص. ﴿**جائر**﴾أي: مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه إليه وهو طريق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر كاليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر ملل الكفر وأهل الأهواء والبدع ومن هذا علم أن قصد السبيل هو دين الإسلام والسنة والجماعة جعلنا الله وإياكم على قصد السبيل وحسن الاعتقاد والعمل وحفظنا وإياكم من الجائر والزيغ والزلل. قال مرجع طريقة الجلوتية بالجيم أعني حضرة الشيخ محمود هدايى الاسكداري قدس سره: رأيت صور أعلام أهل الأديان في مبشرتي ليلة الاثنين والعشرين من جمادى الآخرة لسنة اثنتي عشرة وألف وهي هذه ➤———— هذا علم أهل الإيمان وصورة استمدادهم من الحق تعالى بالتوجه إلى العلو اقتداء بمن قال في حقه المولى الأعلى ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم: ١٧] ٨٨———— هذا علم النصارى وصورة انحرافهم عن الحق ٨٨———— هذا علم اليهود وصورة انحرافهم عن الحق اكتفاء بالقلب انتهى ﴿**ولو شاء لهداكم أجمعين**﴾أي: ولو شاء الله أن يهديكم إلى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة إليه البتة مستلزمة لاهتدائكم أجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأ لأن مشيئته تابعة للحكمة الداعية إليها ولا حكمة في تلك المشيئة لما أن مدار التكليف والثواب والعقاب إنما هو الاختيار الجزئي الذي يترتب عليه الأعمال التي بها نيط الجزاء. وقال أبو الليث في «تفسيره»: لو علم الله أن الخلق كلهم أهل للتوحيد لهداهم انتهى. يقول الفقير: هو معنى لطيف مبني على أن العلم تابع للمعلوم فلا يظهر من الأحوال إلا ما أعطته الأعيان إلى العلم الإلهي كالإيمان والكفر والطاعة والعصيان والنقصان والكمال فمن كان مقتضى ذاته الإيمان والطاعة والكمال وكان أهلاً لها في عالم عينه الثابتة أعطاها للعلم فشاء الله هدايته في هذه النشأة بحكمته ومن كان مقتضى استعداده خلاف لم يشأ الله هدايته حين النزول إلى مرتبة وجوده العنصري وإلا لزم التغير في علم الله تعالى وهو محال وفي الحديث «إنما أنا رسول وليس إليّ شيء من الهداية ولو كانت الهداية إليّ لآمن كل من الأرض وإنما إبليس مزين وليس له من الضلالة شيء ولو كانت الضلالة إليه لأضل كل من في الأرض ولكن الله يضل من يشاء» كذا في «تلقيح الأذهان» قال الحافظ:

مكن بچشم حقارت ملامت من مست   كه نيست معصيت وزهد بى مشيت او

وقال:

درين چمن نكم سرزنش بخود رويى   چنانكه پرورشم مى دهند ومى رويم

وقال:

رضا بداده بده وزجبين كره بكشاي   كه برمن وتو در اختيار نكشادست

فعليك بترك القيل والقال ورفض الاعتزال والجدال فإن الرضى والتسليم سبب القبول وخلافه يؤدي إلى غضب الحبيب المقبول.

- يحكى - عن حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر أنه قال أقمت بمدينة قرطبة بمشهد فأراني الله أعيان رسله عليهم السلام من لدن آدم إلى نبينا عليه الصلاة والسلام فخاطبني منهم هود عليه السلام وأخبرني في سبب جمعيتهم وهو أنهم اجتمعوا شفعاء للحلاج إلى نبينا عليه الصلاة والسلام وذلك أنه كان قد أساء الأدب بأن قال في حياته الدنيوية: إن رسول الله ﷺ

همته دون منصبه قيل له ولم ذلك قال: لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥] وكان من حقه لا يرضى إلا أن يقبل الله تعالى شفاعته في كل كافر ومؤمن لكنه ما قال: ألا إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» فلما صدر منه هذا القول جاءه رسول الله ﷺ في واقعة وقال له: يا منصور أنت الذي أنكرت علي الشفاعة؟ فقال: يا رسول الله قد كان ذلك فقال: ألم تسمع أنني حكيت عن ربي عز وجل «إذا أحببت عبداً كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً» فقال: بلى يا رسول الله فقال: أولم تعلم أني حبيب الله؟ قال: بلى يا رسول الله قال: فإذا كنت حبيب الله كان هو لساني القائل فإذا هو الشافع والمشفوع إليه وأنا عدم في وجوده فأي عتاب عليّ يا منصور؟ فقال: يا رسول الله أنا تائب من قولي هذا فما كفارة ذنبي؟ قال: قرب نفسك لله قرباناً فاقتل نفسك بسيف شريعتي فكان من أمره ما كان ثم قال هود عليه السلام: وهو من حيث فارق الدنيا محجوب عن رسول الله ﷺ والآن هذه الجمعية لأجل الشفاعة له إلى رسول الله ﷺ انتهى. يقول الفقير سامحه الله القدير في هذه القصة أمران أحدهما عظم شأن الحلاج قدس سره بدلالة عظم شأن الشفاعة والثاني أنه قتل في بغداد في آخر سنة ثلاثمائة وتسع ومات حضرة الشيخ الأكبر بالشام سنة ثمان وثلاثين وستمائة فبينهما من المدة ثلاثمائة وتسع وعشرون سنة والظاهر والله أعلم أن روح الحلاج كان محجوباً عن روح رسول الله ﷺ أكثر من ثلاثمائة سنة تقريباً وذلك بسبب كلمة صدرت منه على خلاف الأدب فإن من كان على بساط القرب والحضور ينبغي أن يراعي الأدب في كل أمر من الأمور فما ظنك بمن جاوز حد الشريعة ورخص نظم القرآن ومعانيه اللطيفة وعمل بالخيالات والأوهام فليس أولئك إلا كالأنعام نسأل الله العافية والعفو والإنعام.

﴿**هو الذي أنزل**﴾ بقدرته القاهرة﴿**من السماء**﴾ إلى السحاب ومنه إلى الأرض﴿**ماء**﴾ نوعاً منه وهو المطر. وفي «بحر العلوم» تنكيره للتبعيض أي بعض الماء فإنه لم ينزل من السماء الماء كله﴿**لكم منه**﴾ أي: من ذلك الماء المنزل﴿**شراب**﴾ أي: ما تشربونه والظرف الأول وهو لكم خبر مقدم لشراب والثاني حال منه ومن تبعيضية. ﴿**ومنه شجر**﴾ من ابتدائية أي: ومنه وبسببه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من الأرض سواء كان له ساق أو لا وفي حديث عكرمة «لا تأكلوا ثمن الشجر فإنه سحت» يعني: الكلأ وهو بالقصر ما رعته الدواب من الرطب واليابس وإنما كان ثمنه سحتاً لما في حديث آخر «الناس شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار» أي: في اصطلائها وضوئها لا في الجمر كما أن المراد بالماء ماء الأنهار والآبار لا الماء المحرز في الظروف والحيلة فيه أن يستأجر موضعاً من الأرض ليضرب فيه فسطاطاً أو ليجعله حظيرة لغنمه فتصح الإجارة ويبيح صاحب المرعى الانتفاع له بالرعي فيحصل مقصودهما كذا في «الكافي» ويجوز بيع الأوراق على الشجرة لا بيع الثمرة قبل ظهورها والحيلة في ذلك بيعها مع الأوراق أول ما تخرج من وردها فيجوز البيع في الثمر تبعاً للبيع في الأوراق كما في «أنوار المشارق». ﴿**فيه تسيمون**﴾ الاسامة بالفارسية [بيرون هشتن رمه بچرا] يقال: سامت الماشية رعت وأسامها صاحبها من السومة بالضم وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض أي: ترعون مواشيكم قدم الشجر لحصوله بغير صنع من البشر ثم استأنف أخباراً عن منافع الماء فقال: لمن قال هل له منفعة غير ذلك.

﴿**ينبت**﴾ الله تعالى﴿**لكم**﴾ لمصالحكم ومنافعكم﴿**به**﴾ أي: بما أنزل من السماء

﴿الزرع﴾ الذي هو أصل الأغذية وعمود المعاش. قال الكاشفي [مراد حبوب غاذيه است كه زراعت ميكنند]. قال في «بحر العلوم»: الزرع كل ما استنبت بالبذر مسمى بالمصدر وجمعه زروع. قال كعب الأحبار لما أهبط الله تعالى آدم جاء ميكائيل بشيء من حب الحنطة وقال هذا رزقك ورزق أولادك قم فاضرب الأرض وابذر البذر قال: ولم يزل الحب من عهد آدم إلى زمن إدريس كبيضة النعام فلما كفر الناس نقص إلى بيضة الدجاجة ثم إلى بيضة الحمامة ثم إلى قدر البندقة ثم إلى قدر الحمصة ثم إلى المقدار المحسوس إلا أن يقال إن البوم لا يأكل الحنطة ولا يشرب الماء أما الأول فلأن آدم عصى بالحنطة ربه وأما الثاني فلأن قوم نوح أهلكوا بالماء ﴿والزيتون﴾ الذي هو إدام من وجه وفاكهة من وجه. وقال الكاشفي يعني [درخت زيتون را]. قال في «إنسان العيون»: شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة وكان زاده ﷺ وقت تخليه بغار حراء بالمد والقصر الكعك والزيت وجاء «ائتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة» وهي الزيتون وقيل لها مباركة لأنها لا تكاد تنبت إلا في شريف البقاع التي بورك فيها كأرض بيت المقدس. ﴿والنخيل﴾ [وخرما بنانرا] والنخيل والنخل بمعنى واحد وهو اسم جمع والواحدة نخلة كالثمرة والثمر وفي الحديث: «أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من فضل طينة آدم وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم ابنة عمران فأطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فتمر» كما في «المقاصد الحسنة» ﴿والأعناب﴾ [وتا كهارا] جمع الأعناب للإشارة إلى ما فيها من الاشتمال على الأصناف المختلفة. وفيه إشارة إلى أن تسمية العنب كرماً لم يكن بوضع الواضع ولكنه كان من الجاهلية كأنهم قصدوا به الاشتقاق من الكرم لكون الخمر المتخذة منه تحث على الكرم والسخاء فنهى النبي عليه السلام عن أن يسموه بالاسم الذي وضعه الجاهلية وأمرهم بالتسمية اللغوية بوضع الواضع حيث قال: «لا تقولوا الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة» ثم بين قبح تلك الاستعارة بقوله: «إنما الكرم قلب المؤمن» يعني: أن ما ظنوه من السخاء والكرم فإنما هو من قلب المؤمن لا من الخمر إذ أكثر تصرفات السكران عن غلبة من عقله فلا يعتبر ذلك العطاء كرماً ولا سخاء إذ هو في تلك الحالة كصبي لا يعقل السخاء ويؤثر بماله سرفاً وتبذيراً فكما لا يحمل ذلك على الكرم فكذا إعطاء السكران كذا في «أبكار الأفكار». وخصص هذه الأنواع المعدودة بالذكر للإشعار بفضلها وشرفها ثم عمم فقال: ﴿ومن كل الثمرات﴾ من تبعضية أي: بعض كلها لأنه لم يخرج بالمطر جميع الثمرات وإنما يكون في الجنة أي: لم يقل كل الثمرات لأن كلها لا تكون إلا في الجنة وإنما أنبت في الأرض من كلها للتذكرة ولعل المراد ومن كل الثمرات التي يحتملها هذه النشأة الدنيوية وترى بها وهي الثمرات المتعارفة عند الناس بأنواعها وأصنافها فتكون كلمة من صلة كما في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١] على رأي الكوفية وهو اللائح. ﴿إن في ذلك﴾ أي: في إنزال الماء وإنبات ما فصل ﴿لآية﴾ عظيمة دالة على تفرده تعالى بالألوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة ﴿لقوم يتفكرون﴾ فإن من تفكر في أن الحبة والنواة تقع في الأرض وتصل إليها نداوة تنفذ فيها فينشق أسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في أعماق الأرض وينشق أعلاها إن كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الأوراق والأزهار والحبوب والثمار على أجسام مختلفة الأشكال والألوان والخوص والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الأمثال على النمط المحرر لا إلى نهاية مع اتحاد المواد واستواء

نسبة الطبائع السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة إلى الكل علم أن من هذه أفعاله وآثاره لا يمكن أن يشبهه شيء في شيء من صفات الكمال فضلاً عن أن يشاركه أخس الأشياء في صفاته التي هي الألوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علواً كبيراً:

روضه جانبخش جانها آفريد بغچة كون ومكانها آفريد

كرد ازهر شاخها كل برك وبار جلوه او نقش ديكر آشكار

والتفكر تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب قالوا: الذكر طريق والفكر وسيلة المعرفة التي هي أعظم الطاعات. قال بعضهم: الذكر أفضل للعامة لما في الفكر لهم من خوف الوقوع في الأباطيل وتمكن الشبه عندهم كما يعرض ذلك لكثير من العوام في زماننا والفكر أفضل لأرباب العلم عند التمكن من الفكر المستقيم فإنهم كلما عرضت لهم شبهة تطلبوا دليلاً يزيلها فكان الفكر لهم أفضل من الذكر إذا لم يتمكنوا من حصول الفكر البليغ مع الذكر وإليه أشار عليه السلام بقوله: «تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة».

ـ روي ـ أن عثمان رضي الله عنه ختم القرآن في ركعة الوتر لتمكنه من التدبر والتفكر ولم يبح ذلك لمن لم يتمكن من تدبره ومعرفة فقهه وأجل له مدة يتمكن فيها من ذلك كالثلاثة والسبعة.

والإشارة في الآية ﴿**هو الذي أنزل من السماء ماء**﴾ الفيض ﴿**لكم منه شراب**﴾ المحبة لقلوبكم ﴿**ومنه شجر**﴾ قوى البشرية ودواعيها فيه ترعون مواشي نفوسكم ينبت لغذاء أرواحكم به زرع الطاعات وزيتون الصدق ونخيل الأخلاق الحميدة وأعناب الواردات الربانية ومن كل ثمرات المعقولات والمشاهدات والمكاشفات والمكالمات والأحوال كلها ﴿**إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**﴾ بنظر العقل في هذه الصنائع الحكمية.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿**وسخر لكم**﴾ أي: لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وإنضاجها ﴿**الليل والنهار**﴾ يتعاقبان خلفة كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢] قال بعضهم: الليل ذكر كآدم والنهار أنثى كحواء والليل من الجنة والنهار من النار ومن ثمة كان الأنس بالليل أكثر. ﴿**والشمس والقمر**﴾ تسخرا في سيرهما وإنارتهما أصالة وخلافة وإصلاحهما لما نيط بهما صلاحه كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم، قال السعدي:

ابر وباد ومه وخورشيد وفلك در كارند تاتو نانى بكف آرى وبغفلت نخورى

همه از بهر نو سركشته وفرمان بردار شرط إنصاف نباشد كه توفرمان نبرى

والتسخير بالفارسية [رام كردانيدن] وليس المراد بتسخير هذه لهم تمكنهم من تصريفها كيف شاؤوا كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ [الزخرف: ١٣] ونظائره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم لا أن ذلك تسخير لهم وتصرف من قبلهم حسب إرادتهم ﴿**والنجوم مسخرات بأمره**﴾ مبتدأ وخبر أي: سائر النجوم في حركاتها وأوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات أي: مذللات لله خلقها ودبرها كيف شاء أو لما خلقن له بأمره أي: بإرادته ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع النجوم إليهم في الظهور

بمثابة ما قبلها من الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها إليهم بأداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث إلى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار. وقرىء بنصب النجوم على تقدير وجعل النجوم مسخرات بأمره أو على أنه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع أي: نفعكم بها حال كونها مسخرات لله أو لما خلقن له بإيجاده وتقديره ﴿**إن في ذلك**﴾ أي: فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملاً ومفصلاً ﴿**لآيات**﴾ باهرة متكاثرة ﴿**لقوم يعقلون**﴾ يفتحون عقولهم للنظر والاستدلال ويعتبرون وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية أظهر جميع الآيات علقت بمجرد العقل من غير حاجة إلى التأمل والتفكر. قال أهل العلم العقل جوهر مضيء خلقه الله في الدماغ وجعل نوره في القلب يدرك الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة وهو للقلب بمنزلة الروح للجسد فكل قلب لا عقل له فهو ميت وهو بمنزلة قلب البهائم وسئل النبي ﷺ من أحسن الناس عقلاً قال: «المسارع إلى مرضاة الله تعالى والمجتنب عن محارم الله تعالى» قالوا: أخف حلماً من العصفور قال حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه:

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم　　　جسم البغال وأحلام العصافير

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿**وما ذرأ لكم**﴾ عطف على قوله والنجوم رفعاً ونصباً على أنه مفعول لجعل المقدر أي: وما خلق ﴿**في الأرض**﴾ من حيوان ونبات حال كونه ﴿**مختلفا ألوانه**﴾ أي: أصنافه فإن اختلافها غالباً يكون باختلاف اللون سخر الله تعالى أو لما خلق به من الخواص والأحوال والكيفيات أو جعل ذلك مختلف الأصناف لتتمتعوا من ذلك بأي صنف شئتم. وفي «بحر العلوم»: ﴿**مختلفا ألوانه**﴾ هيآته من خضرة وبياض وحمرة وسواد وغير ذلك. وفي أكثر التفاسير وما ذرأ معطوف على الليل والنهار أي: وسخر لكم ما خلق لأجلكم وتعقب بأن ذكر الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بأن الأول لا يستلزم الثاني لزوماً عقلياً لجواز كون ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال ﴿**إن في ذلك**﴾ الذي ذكر من التسخيرات ونحوها ﴿**لآية**﴾ دالة على أن من هذا شأنه واحد لا شريك له ﴿**لقوم يذكرون**﴾ فإن ذلك غير محتاج إلا إلى تذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية.

والإشارة ﴿**وسخر لكم الليل**﴾ ليل البشرية ﴿**والنهار**﴾ نهار الروحانية ﴿**والشمس**﴾ شمس الروح ﴿**والقمر**﴾ قمر القلب ﴿**والنجوم**﴾ نجوم القوى والحواس الخمس ﴿**مسخرات بأمره**﴾ وهو خطاب وتسخيرها استعمالها على وفق الشريعة وقانون الطريقة بمعالجة طبيب حاذق البصيرة والولاية كامل التصرف في الهداية مخصوص بالعناية ﴿**إن في ذلك لآيات**﴾ لشاهدات ﴿**لقوم يعقلون**﴾ بشواهد الحق من غير التفكر بل بالمعاينات ﴿**وما ذرأ لكم**﴾ وما خلق لمصالحكم ﴿**في الأرض**﴾ في أرض جبلتكم من الاستعدادات ﴿**مختلفا ألوانه**﴾ منها ملكية ومنها شيطانية ومنها حيوانية ﴿**إن في ذلك لآية لقوم يذكرون**﴾ عبور أرواحهم على هذه العوالم المختلفة وتلونها في كل عالم بلون ذلك العالم من عوالم الملكية والشيطانية والحيوانية إلى أن

ردت إلى أسفل سافلين القالب كذا في «التأويلات النجمية»، فعلى العاقل أن يتخلص من قيد الغفلة ويربط نفسه بسلسلة أهل التذكر، قال محمد بن فضل: ذكر اللسان كفارات ودرجات وذكر القلب زلفى وقربات والتذكر من شأن القلب والقلب أمير الجسد وأسير الحق وفي الحديث: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات» وفي هذه إشارة إلى الأسباب التي هي حجاب بين القلب وبين الملكوت وأصحاب القلوب من الانس ثلاثة صنف كالبهائم قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله كذا في «الخالصة»، قال السعدي قدس سره:

ترا ديده درسر نهادند وكوش دهن جاى كفتار ودل جاى هوش

مكر باز دانى نشيب از فراز نكويى كه اين كونهست يادراز

يعني: أن الله تعالى خلق كل عضو من الأعضاء بالحكمة فاستعملوها فيما خلقت له.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿**وهو الذي سخر البحر**﴾ قال في «القاموس»: البحر الماء الكثير أو الملح فقط والجمع أبحر وبحور وبحار انتهى. وفي «الكواشي» سخر البحر العذب والملح أي: جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد. قال بعضهم: هذه البحور على وجه الأرض ماء السماء النازل وقت الطوفان فإن الله تعالى أمر الأرض بعد هلاك القوم فابتلعت ماءها وبقي ماء السماء لم تبتلعه الأرض وأما البحر المحيط فغير ذلك بل هو جزر على الأرض حين خلق الله الأرض من زبده. ويجوز ركوب البحر بشرط علم السباحة وعدم دوران الرأس وإلا فقد ألقى نفسه إلى التهلكة وأقدم على ترك الفرائض وذلك للرجال والنساء كما قاله الجمهور وكره ركوبه للنساء لأن حالهن على الستر وذا متعسر في السفينة غالباً لا سيما في الزورق وهي السفينة الصغيرة ﴿**لتأكلوا منه**﴾ أي: من العذب والملح كما في «الحواشي» ﴿**لحما طريا**﴾ من الطراوة فلا يهمز وهو بالفارسية [تازه] والمراد السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيواناً للتلويح بانحصار الانتفاع به في الأكل كما في «الإرشاد» وللإيذان بعدم احتياجه للذبح كسائر الحيوانات غير الجراد كما هو اللائح وصفه بالطراوة إرشاداً لأن يتناول طرياً فإن أكله قديداً أضر ما يكون كما هو المقرر عند الأطباء وفيه بيان لكمال قدرته حيث خلقه عذباً طرياً في ماء زعاق وهو كغراب الماء المر الغليظ لا يطاق شربه ومن إطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري إلى أن من حلف لا يأكل اللحم حنث بأكله والجواب أن مبنى الإيمان العرف ولا ريب في أنه لا يفهم من اللحم عند الإطلاق ألا ترى أن الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال: ٥٥] ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة. وفي «حياة الحيوان» المذهب المفتى به حل الجميع من الحيوانات التي في البحر إلا السرطان والضفدع والتمساح سواء كان على صورة كلب أو خنزير أم لا وفي الحديث «أكل السمك يذهب بالحسد» كما في «بحر العلوم» والسمك يستنشق الماء كما يستنشق بنو آدم وحيوان البر الهواء إلا أن حيوان البر يستنشق الهواء بالأنوف ويصل بذلك إلى قصبة الرئة

والسمك يستنشق بأصداغه فيقوم له الماء في تولد الروح الحيواني في قلبه مقام الهواء في إقامة الحياة ولم نستغن نحن وما أشبهنا من الحيوان عنه لأن عالم السماء والأرض دون عالم الهواء ونحن من عالم الأرض ونسيم البرّ لو مرّ على السمك ساعة لهلك، وفي «المثنوي»:

ما هيانرا بحر نكذارد برون خا كيانرا بحر نكذارد درون

أصل ما هى آب وحيوان ازكلست حيله وتدبير اينجا باطلست

﴿وتستخرجوا منه﴾ أي: من البحر الملح ﴿حلية﴾ الحلية الزينة من ذهب أو فضة والمراد بها في الآية اللؤلؤ والحجر الأحمر الذي يقال له المرجان ﴿تلبسونها﴾ تتزين بها نساؤكم وإنما أسند إليهم لكونهن منهم ولبسهن لأجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم ﴿وترى الفلك﴾ أي: لو حضرت أيها المخاطب لرأيت السفن ﴿مواخر فيه﴾ جواري في البحر مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة بحيزومها من المخر وهو شق الماء يقال مخرت السفينة كمنع جرت وشقت الماء بجآجئها جمع جؤجؤ بالضم وهو صدر السفينة. وقال الفراء المخر صوت جري الفلك بالرياح ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ عطف على تستخرجوا أي: لتطلبوا من سعة رزقه بركوبها للتجارة فإن تجارته اربح من تجارة البر وإليه أشار حضرة سعدي بقوله:

سود دريانيك بودى كرنبودى بيم موج

صحبت كل خوش بدى كرنيستى تشويس خار

وفي الحديث «من ركب البحر في ارتجاجه ففرق برئت منه الذمة» وارتجاجه هيجانه من الموج وهو الحركة الشديدة ومعناه أن لكل أحد من الله عهداً وذمة بالحفظ فإذا ألقى نفسه إلى التهلكة فقد انقطع عنه عهد الله فلندور السلامة حين الموج الشديد لم يجز ركوبه وعصى فاعله ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أي: تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون بأدائها بالطاعة والتوحيد ولعل مستعار لمعنى الإرادة كما في «بحر العلوم» ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لأنه أقوى في باب الإنعام من حيث إنه جعل المهالك سبباً للانتفاع وتحصيل المعاش. قال صاحب «كشف الأسرار» [آورده اندكه حق سبحانه وتعالى ازروى ظاهر درزفين درياها آفريد چون قلزم وعمان ومحيط وجزائر وبراى عبور بران كشتيها مقرّر فرموده واز روى باطن در نفس آدمي درياها بديد كرده چون درياهاى شغل وغم وحرص وغفلت وتفرقه وبراى عبور ازان كشتيها تعيين نموده. هركه دركشتى توكل نشيند ازدرياى شغل بساحل فراغت رسد. وهركه در كشتى قناعت جاى كند از درياى حرص بساحل زهد آيد وهركه دركشتى ذكر نشيند ازدرياى غفلت بساحل آكاهى رسد. وهركه بشكتى توحيد در آيد از درياى تفرقه بساحل آكاهى رسد. وبحقيقت تفرقه دربقاست وجمعيت درفنا باوجود آن در مملكت تفرقه وبيخودان در مرتبة جمع]:

بحساب خودى قلم دركش درره بيخودى علم بركش

تا بجاروب «لا» نرو بى راه كى رسى در حريم الا الله

والإشارة وهو الذي سخر لكم بحر العلوم لتأكلوا منه الفوائد الغيبية والمواهب السنية وتستخرجوا من بحر العلوم جواهر المعاني ودرر الحقائق حلية لقلوبكم تلبس بها أرواحكم النور والبهاء وترى سفائن الشرائع والمذاهب جاريات في بحر العلوم ولتبتغوا من فضله وهو الأسرار الخفيات عن الملائكة المقربين ولعلكم تشكرون هذه النعم الجسيمة والعطيات العظيمة

التي اختصكم بها عن العالمين كما في «التأويلات النجمية».

﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿**وألقى**﴾ الله تعالى بقدرته القاهرة ﴿**في الأرض**﴾ هي كروية الشكل محلها وسط العالم وسميت بالأرض لأنها تأرض أي: تأكل أجساد بني آدم ﴿**رواسي**﴾ أي: جبالاً ثوابت من غير سبب ولا ظهير كأنها حصيات قبضهن قابض بيده فنبذهن في الأرض فهو تصوير لعظمته وتمثيل لقدرته وأن كل عسير فهو عليه يسير أي: وجعل فيها رواسي بأن قال لها: كوني فكانت فأصبحت الأرض وقد أرسيت بالجبال بعد أن كانت تمور موراً فلم يدر أحد مم خلقت من رسا الشيء إذا نبت جمع راسية والتاء للتأنيث على أنها صفة جبال ﴿**أن تميد بكم**﴾ مفعول له والميد الحركة والميل يقال ماد يميد ميداً تحرك ومنه سميت المائدة. والمعنى كراهة أن تميل بكم وتضطرب. وبالفارسية [تاميلى نكند بشمازمين يعني متحرك ومضطرب نكزدد وشمارا نيكودارد] وقد خلق الله الأرض مضطربة لكونها على الماء ثم أرساها بالجبال وهي ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون جبلاً سوى التلول على جريان عادته في جعل الأشياء منوطة بالأسباب فالأرض بلا جبال كاللحم بلا عظام فكما أن وجود الحيوان وجسده إنما يستمسك بالعظم فكذا الأرض إنما تقوم بالرواسي ألا ترى أن سطيحا الكاهن لم يكن في بدنه عظم سوى القفا لكونه من ماء المرأتين وكان لا يستمسك وإنما يخرج في السنة مرة ملفوفاً في خرقة أو موضوعاً على صحيفة من فضة ﴿**وأنهارا**﴾ جمع نهر ويحرك مجرى الماء أي: وجعل فيها أنهاراً لأن في ألقى معنى الجعل إذ الالقاء جعل مخصوص وذلك مثل الفرات نهر الكوفة ودجلة نهر بغداد وجيحون نهر بلخ وجيحان نهر اذنه في بلاد الأرمن وسيحون نهر الهند وسيحان نهر المصيصة والنيل نهر مصر وغيرها من الأنهار الجارية في أقطار الأرض ﴿**وسبلا**﴾ وطرقاً مختلفة جمع سبيل وهو الطريق وما وضح يعني [بديد كرديم در زمين راهها از هر موضعي بموضعي] ﴿**لعلكم تهتدون**﴾ إرادة أن تهتدوا بها إلى مقاصدكم ومنازلكم. قال بعضهم خذوا الطريق ولو دارت واسكنوا المدن ولو جارت وتزوجوا البكر ولو بارت أي: ولو كانت البكر بورا أي: فاسدة هالكة لا خير فيها:

زن نوكن اي دوست هر نوبهار ... كه تقويم پارين نيايد بكار

﴿**وعلامات**﴾ أي: وجعل فيها معالم يستدل بها السابلة وهي القوم المختلفة على الطريق بالنهار من جبل وسهل ومياه وأشجار وريح كما قال الإمام: رأيت جماعة يشمون التراب وبواسطة ذلك الشم يتعرفون الطرقات ﴿**وبالنجم هم يهتدون**﴾ بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة غيره ولعل الضمير لقريش فإنهم كانوا كثيري التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في أسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم وإقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم خصوصاً هؤلاء يهتدون فالاعتبار بذلك ألزم لهم والشكر عليه أوجب عليهم والمراد بالنجم الجنس أو هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وذلك لأنها تعلم بها الجهات ليلاً لأنها دائرة حول القطب الشمالي فهي لا تغيب والقطب في وسط بنات نعش الصغرى والجدي هو النجم المفرد الذي في طرفها والفرقدان هما النجمان اللذان في الطرف

الآخر وهما من النعش والجدي من البنات ويقرب من بنات نعش الصغرى بنات نعش الكبرى وهي سبعة أيضاً أربعة نعش وثلاث بنات وبإزاء الأوسط من البنات السهى وهو كوكب خفي صغير كانت الصحابة رضي الله عنهم تمتحن فيه أبصارهم كذا في «التكملة» لابن عسكر. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في طرقكم وقبلتكم ثم كفوا وتعلموا من الأنساب ما تصلون به أرحامكم قيل: أول من نظر في النجوم والحساب إدريس النبي عليه السلام. قال بعض السلف: العلوم أربعة: الفقه للأديان والطب للأبدان والنجوم للأزمان والنحو للسان وأما قوله عليه السلام: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر» أي: تعلم قطعة منه فقد قال الحافظ: المنهي عنه من علم النجوم هو ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية من مستقبل الزمان كمجيء المطر ووقوع الثلج وهبوب الريح وتغير الأسعار ونحو ذلك ويزعمون أنهم يدركون هذا بسير الكواكب واقترانها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان دون بعض وهذا علم استأثر الله به لا يعلمه أحد غيره كما حكي أنه لما وقع قران الكواكب السبعة في دقيقة من الدرجة الثالثة من الميزان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة حكم المنجمون بخراب الربع المسكون من الرياح وكان وقت البيدر ولم يتحرك ريح ولم يقدر الدهاقين على رفع الحبوب ولذا استوصى تلميذ من شيخه بعد التكميل عند افتراقه فقال: إن أردت أن لا تحزن أبداً فلا تصحب منجماً وإن أردت أن تبقي لذة فمك فلا تصحب طبيباً. قال الشيخ: [منجمي بخانه خود در آمد مرد بيكانه را ديد بازن او بهم نشسته دشنام دادِ وسقط كفت وفتنه وآشوب بر خاست صاحب دلى برين حال واقف شد وكفت]:

تو بر اوج فلك چه داني چيست   چو نداني كه درسراى تو كيست

فأما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة وكم مضى وكم بقي فإنه غير داخل في النهي انتهى كلام الحافظ مع زيادة. يقول الفقير أصحاب النظر والاستدلال محتاجون إلى معرفة شيء من علم النجوم والحكمة والهيئة والهندسة ونحوها مما يساعده ظاهر الشرع الشريف إذ هو أدخل في التفكر وقد قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] ولا يمكن صرف التفكر إلى المجهول المطلق فلا بد من معلومية الأمر ولو بوجه ما وهذا القدر خارج عن الطعن والجرح كما قال السيد الشريف النظر في النجوم ليستدل بها على توحيد الله تعالى وكمال قدرته من أعظم الطاعات وأما أرباب الشهود والعيان فطريقهم الذكر وبه يصلون إلى مطالعة أنوار الملك والملكوت ومكاشفة أسرار الجبروت واللاهوت فيشاهدون في الأنفس والآفاق ما غاب عن العيون ويعاينون في الظاهر والباطن ما تحير فيه الحكماء والمنجمون ثم إن الاهتداء إما بنجوم عالم الآفاق وهو للسائرين من أرض إلى أرض وإما بنجوم عالم الأنفس وهو للمهاجرين من حال إلى حال وفي الحديث «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وهذا الاقتداء والاهتداء مستمر باق إلى آخر الزمان بحسب التوارث في كل عصر فلا بد من الدليل وهو صاحب البصيرة والولاية كامل التصرف في الهداية المخصوص بالعناية، قال الحافظ:

بكوى عشق منه بى دليل راه قدم   كه من بخويش نمودم صد اهتمام ونشد

وفي «التأويلات النجمية»: وألقى في أرض البشرية جبال الوقار والسكينة لئلا تميل بكم صفات البشرية عن جادة الشريعة والطريقة وأنهاراً من ماء الحكمة وطريق الهداية لعلكم تهتدون

إلى الله تعالى وعلامات من الشواهد والكشوف وبنجم الهداية من الله يهتدون إلى الله وهو جذبة العناية يخرجكم بها من ظلمات وجودكم المجازي إلى نور الوجود الحقيقي انتهى. قال الشيخ أبو القاسم الخزيمي الغزاري في «كتاب الأسئلة المقحمة في الأجوبة المفحمة»: قوله تعالى: ﴿وألقى في الأرض﴾ إلى قوله: ﴿لعلكم تهتدون﴾ فيه دليل أنه تعالى أراد من الكل الاهتداء والشكر وأن كل من لا يهتدي فليس ذلك بإرادته تعالى والجواب المراد به أن يذكرهم النعم التي يستحق عليها الشكر في قوله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض﴾ إلى قوله: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ ثم بين تعالى أن هذه النعم كلها توجب الشكر والهداية ثم يختص بها من يشاء كما قال تعالى: ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾.

﴿أفمن يخلق﴾ هذه المصنوعات العظيمة وهو الله تعالى. وبالفارسية [آيا كسى كه مرا آفريند اين همه مخلوقات راكه مذكور شد] ﴿كمن لا يخلق﴾ كمن لا يقدر على شيء أصلاً وهو الأصنام ومن للعقلاء لأنهم سموها آلهة فأجريت مجرى العقلاء أو لأنه قابله بالخالق وجعله معه كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ [النور: ٤٥] والهمزة للإنكار أي: أبعد ظهور دلائل التوحيد تتصور المشابهة والمشاركة يعني: [خالق رابا مخلوق هيچ مشابهتى نيست پس عاجزرا شريك قادر ساختن غايت عناد ونهايت جهلست] واختير تشبيه الخالق بغير الخالق مع اقتضاء المقام بظاهره عكس ذلك مراعاة لحق سبق الملكة على العدم ﴿أفلا تذكرون﴾ أي: ألا تلاحظون فلا تذكرون ذلك فتعرفون فساد ما أنتم عليه يا أهل مكة فإنه بوضوحه بحيث لا يفتقر إلى شيء سوى التذكر وهو بالفارسية [ياد كردن].

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وإن تعدوا﴾ العد بالفارسية [شمردن]. ﴿نعمة الله﴾ الفائضة عليكم مما لم يذكر ﴿لا تحصوها﴾ لا تطيقوا حصرها وضبط عددها ولو إجمالاً فضلاً عن القيام بشكرها يقال أحصاه أي: عده كما في «القاموس»، وأصله أن الحساب كان إذا بلغ عقداً وضعت له حصاة ثم استؤنف العدد. والمعنى لا توجد له غاية فتوضع له حصاة:

عطايست هرمو ازو برتنم چكونه بهر موى شكرى كنم

﴿إن الله لغفور﴾ ستور يتجاوز عن تقصيركم في شكرها ﴿رحيم﴾ عظيم الرحمة والنعمة لا يقطعها عنكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بسبب ما أنتم عليه من العصيان ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية. قال ابن عطاء: إن لك نفساً وقلباً وروحاً وعقلاً ومحبة وديناً ودنيا وطاعة ومعصية وابتداء وانتهاء وحينا وأصلاً وفصلاً فنعمة النفس الطاعات والإحسان والنفس فيهما تتقلب ونعمة القلب اليقين والإيمان وهو فيهما يتقلب ونعمة الروح الخوف والرجاء وهو فيهما يتقلب ونعمة العقل الحكمة والبيان وهو فيهما يتقلب ونعمة المعرفة الذكر والقرآن وهي فيهما تتقلب ونعمة المحبة الالفة والمواصلة والأمن من الهجران. وهي فيها تتقلب وهذا تفسير قوله: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ انتهى.

واعلم أنه لو صرف جميع عمر الإنسان إلى الأعمال الصالحة وإقامة الشكر لما كافأ نعمة الوجود فضلاً عن سائر النعم:

لو عشت ألف عام ... في سجدة لربي
شكر الفضل يوم ... لم أقض بالتمام
والعام ألف شهر ... والشهر ألف يوم
واليوم ألف حين ... والحين ألف عام

قال الشيخ سعدي قدس سره:

عذر تقصير خدمت آوردم ... كه ندارم بطاعت استظهار
عاصيان ازكناه توبه كنند ... عارفان ازعبادت استغفار

المراد رؤية العمل لا ترك العمل وينبغي للعبد أن يكون تحت طاعة المولى لا تحت طاعة النفس والشيطان فإن المطيع والعاصي لا يستويان.

ـ حكي ـ أن عابداً من بني إسرائيل عبد الله تعالى سبعين سنة فأراد الله أن يظهره على الملائكة فأرسل إليه ملكاً يخبره أنه مع تلك العبادة لا يليق بالجنة فقال العابد: نحن خلقنا للعبادة فينبغي أن نعبد خالقنا امتثالاً لأمره فرجع الملك فقال: إلهي أنت تعلم بما قال: فقال الله تعالى: إذا لم يعرض عن عبادتنا فنحن مع الكرم لا نعرض عنه اشهدوا أني قد غفرت له فللعبد أن يكون قصده مراعاة الأمر وإخراج النفس عن البين وهو حجاب عظيم للوصول إلى الحقيقة وعلى تقدير الزلة فالمسارعة إلى الاستغفار فإنه نعم المطهر من درن الذنوب والأوزار.

﴿**والله يعلم ما تسرون**﴾ ما تضمرون من العقائد والأعمال ﴿**وما تعلنون**﴾ أي: تظهرونه منهما أي يستوي بالنسبة إلى علمه المحيط سركم وعلنكم فحقه أن يتقي ويحذر ولا يجترىء على شيء مما يخالف رضاه.

﴿**والذين يدعون**﴾ أي: والآلهة الذين يعبدهم الكفار والدعاء بمعنى العبادة في القرآن كثير ﴿**من دون الله**﴾ نصب على الحال أي: متجاوزين الله فإن معنى دون أدنى مكان من الشيء ثم استعير للتفاوت في الأحوال والرتب ثم اتسع فيه فاستعمل في كل من تجاوز حداً إلى حد وتخطى حكماً إلى حكم ﴿**لا يخلقون شيئا**﴾ من الأشياء أصلاً أي: ليس من شأنهم ذلك لأنهم عجزة ﴿**وهم يخلقون**﴾ أي: شأنهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لأنها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهيتها ووجوداتها إلى الموجد. قال في «القاموس»: الخالق في صفاته المبدع للشيء المخترع على غير مثال سبق.

﴿**أموات**﴾ جمع ميت خبر ثان للموصول أي: جمادات لا حياة فيها وبالفارسية [وايشان باوجود، مخلوقيت مردكانند] ولم يقل موات لأنهم صوروا على شكل من تحله الروح. قال في «القاموس»: الموات كغراب وكسحاب ما لا روح فيه وأرض لا مالك لها ﴿**غير أحياء**﴾ جمع حي ضد الميت أي: غير قابلين للحياة كالنطفة والبيضة فهي أموات على الإطلاق ﴿**وما يشعرون أيان يبعثون**﴾ الشعور [بدانستن] يقال: شعر به كنصر وكرم شعراً وشعوراً علم به وفطن له وعقله. وأيان مركب من أي: التي للاستفهام وآن بمعنى الزمان فلذلك كان بمعنى متى أي سؤالاً عن الزمان كما كان اين سؤالاً عن المكان فلما ركبا وجعلا اسماً واحداً بنيا على الفتح كبعلبك وبعث الموتى نشرهم أي: إحياؤهم كما في «القاموس» والمعنى ما يعلم أولئك

الآلهة متى يبعث عبدتهم من القبور. وفيه إيذان بأن معرفة وقت البعث مما لا بد منه في الألوهية وتعريض بأنهم كما لا بد لهم من الموت لا بد لهم من البعث وهم منكرون لذلك وهو اللائح.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إلٰهكم إله واحد﴾ [يكتا ويكانه است] لا تشاركه شيء في شيء. ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وأحوالها من البعث والجزاء وغير ذلك والإيمان في اللغة التصديق بالقلب وفي الشريعة هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان، قال السهيلي في كتاب «الأمالي»: الفرق بين التصديق والإيمان أن التصديق لا بد أن يكون في مقابلة خبر والإيمان قد يكون في مقابلة خبر صادق وقد يكون عن فكر ونظر فإذا نظرت في الصنعة وعرفت بها الصانع آمنت ولم تكن مصدقاً بخبرْ إذ لا خبر هناك فإذا جاء الخبر بما آمنت به وأقررت صدقت الخبر وأيضاً أن التصديق قد يكون بالقلب وأنت ساكت تقول: سمعت الحديث فصدقته والإيمان لا بد من اجتماع اللفظ مع العقد فيه لغة وشرعاً انتهى ﴿قلوبهم منكرة﴾ للوحدانية متصفة بالنكارة لا بالمعرفة. ﴿وهم مستكبرون﴾ أي: وهم قوم لا يزال الاستكبار عن اعتراف الوحدانية والتعظيم عن قبول الحق دأبهم كما في الإنكار سجيتهم.

﴿لا جرم﴾ [هر آيينه راست است] ﴿أن الله﴾ [آنكه خداى تعالى] ﴿يعلم ما يسرون﴾ من إنكار قلوبهم ﴿وما يعلنون﴾ من استكبارهم. لا جرم للتحقيق والتأكيد بمنزلة حقاً. قال أبو البقاء: في لا جرم أربعة أقوال: أحدها: أن لا رد لكلام ماض أي: ليس الأمر كما زعموا. وجرم فعل بمعنى كسب وفاعله مضمر فيه وأن ما بعده في موضع النصب على المفعول به. والقول الثاني: أن لا جرم كلمتان ركبتا وصار معناهما حقاً وما بعدها في موضع رفع بأنه فاعل لحق. والثالث أن المعنى لا محالة فيكون ما بعدها في موضع رفع أيضاً وقيل في موضع نصب أو جر. والرابع: أن التقدير لا منع ﴿إنه﴾ أي: الله تعالى ﴿لا يحب المستكبرين﴾ عن التوحيد أي: جنس المستكبرين سواء كانوا مشركين أو مؤمنين. والاستكبار رفع النفس فوق قدرها وجحود الحق والفرق بين المتكبر والمستكبر أن التكبر عام لإظهار الكبر الحق كما في أوصاف الحق تعالى فإنه جاء في أسمائه الحسنى الجبار المتكبر وفي قوله عليه السلام: «التكبر على المتكبر صدقة» ولإظهار الكبر الباطل كما في قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] والاستكبار إظهار الكبر باطلاً كما في قوله تعالى في حق إبليس ﴿ٱسْتَكْبَرَ﴾ [ص: ٧٤] ومنه ما في هذا المقام. وفي «العوارف»: الكبر ظن الإنسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك وفي الحديث: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان». قال الخطابي فيه تأويلان: أحدهما أن المراد كبر الكفر ألا ترى أنه قابله في نقيضه بالإيمان والآخر أنه تعالى إذا أراد أن يدخله الجنة نزع ما في قلبه من الكبر حتى يدخلها بلا كبر. قال في «فتح القريب»: هذان التأويلان فيهما بعد فإن الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف وهو الارتفاع على الناس وإحقارهم ودفع الحق وقيل: لا يدخلها دون مجازاة إن جازاه وقيل: لا يدخلها مع المتقين أول وهلة. وعن أبي هريرة

رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله تعالى: يا بني آدم خلقتكم من التراب ومصيركم إلى التراب فلا تتكبروا على عبادي في حسب ولا مال فتكونوا عليّ أهون من الذر وإنما تجزون يوم القيامة بأعمالكم لا بأحسابكم وإن المتكبرين في الدنيا أجعلهم يوم القيامة مثل الذر يطأهم الناس كما كانت البهائم تطأه في الدنيا».

ـ وحكي ـ أنه افتخر رجلان عند موسى عليه السلام بالنسب والحسب فقال أحدهما: أنا فلان ابن فلان حتى عدّ تسعة فأوحى الله تعالى إليه قل له هم في النار وأنت عاشرهم وأنشد بعضهم:

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً ... فكم تحتها قوم همو منك أرفع

فإن كنت في عز وحرز ورفعة ... فكم مات من قوم همو منك أمنع

فعليك بالتواضع وعدم الفخر على واحد فإن التواضع باب من أبواب الجنة والفخر باب من أبواب النار واللازم فتح أبواب الجنان وسد أبواب النيران وتحصيل الفقر المعنوي الذي ليس الفخر في الحقيقة إلا به فإنه لا يليق المرء بدولة المعنى ورياسة الحال وسلطنة المقام إلا بتحلية ذاته بحلية التواضع وزينة الفناء، قال الحافظ:

تاج شاهى طلبى كوهر ذاتى بنماى ... ورخوداز كوهر جمشيدو فريدون باشى

اللهم اجعلنا من أهل التواضع لا من أرباب التملق واجعلنا من أصحاب التحقق بعد التخلق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وإذا قيل لهم﴾ عن السعدي اجتمعت قريش فقالوا: إن محمداً رجل حلو اللسان إذا كلم رجلاً ذهب بقلبه فانظروا أناساً من أشرافكم فابعثوهم في كل طريق مكة على رأس ليلة أو ليلتين فمن جاء يريده ردوه عنه فخرج ناس منهم من كل طريق فكان إذا جاء وافد من القوم ينظر ما يقول محمد فنزل بهم قالوا له: هو رجل كذاب ما يتبعه إلا السفهاء والعبيد ومن لا خير فيه وأما أشياخ قومه وأخيارهم فهم مفارقوه فيرجعه أحدهم وإذا كان الوافد ممن هداه الله يقول: بئس الوافد أنا لقومي إن كنت جئت حتى إذا بلغت مسيرة يوم رجعت قبل أن ألقى هذا الرجل فانظر ما يقول فيدخل مكة فيلقى المؤمنين فيسألهم ما يقول لهم فيقولون خيراً فذلك قوله تعالى: **﴿وإذا قيل لهم﴾** أي: لهؤلاء المشركين المستكبرين المقتسمين من قبل الوفود أو وفود الحاج في الموسم **﴿ماذا أنزل ربكم﴾** ماذا منصوب بأنزل بمعنى أي شيء أنزل ربكم على محمد **﴿قالوا أساطير الأولين﴾** عدلوا عن الجواب فقالوا: هذا أساطير الأولين على أن يكون خبر مبتدأ محذوف لأنهم أنكروا إنزال القرآن بخلاف قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾ [النحل: ٣٠] كما يجيء ويجوز أن يكون ماذا مرفوعاً بالابتداء أي: ما الذي أنزله ربكم قالوا أساطير الأولين أي: ما تدعون نزوله أحاديث الأمم السالفة وأباطيلهم وليس من الإنزال في شيء يعني: [هيچ نفر ستاده وآنچه آدمى خواند أساطير الأولين است] قال في

«القاموس»: الأساطير الأحاديث لا نظام لها جمع أسطار وأسطير بكسرهما وأسطور وبالهاء في الكل.

﴿ليحملوا أوزارهم﴾ [بار كناهان خودرا] واللام للعاقبة إذ لم يكن داعيهم إلى ذلك القول حمل الأوزار ولكن الاضلال غير أن ذلك لما كان نتيجة قولهم وثمرته شبه بالداعي الذي لأجله يفعل الفاعل الفعل كما في «بحر العلوم». وقال في «الإرشاد» اللام للتعليل في نفس الأمر من غير أن يكون غرض أي: قالوا ما قالوا ليحملوا أوزارهم الخاصة بهم وهي أوزار ضلالهم أي تحتم حمل الأوزار عليهم على تقدير التعليل. والأوزار جمع وزر وهو الثقل والحمل الثقيل **﴿كاملة﴾** لم يكفر منها شيء بنكبة أصابتهم في الدنيا كما يكفر بها أوزار المؤمنين فإن ذنوبهم تكفر عنهم من الصلاة إلى الصلاة ومن رمضان إلى رمضان ومن الحج إلى الحج وتكفر بالشدائد والمصائب أي: المكروهات من الآلام والأسقام والقحط حتى خدش العود وعثرة القدم. **﴿يوم القيامة﴾** ظرف ليحملوا **﴿ومن أوزار الذين يضلونهم﴾** أي: وبعض أوزار من ضل بإضلالهم وهو وزر الإضلال والتسبيب للضلال لأنهما شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر وفي الحديث: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»، وفي «المثنوي»:

هركه بنهد سنت بد اى فتى ... تادر افتد بعداو خلق ازعمى

جمع كردد بروى آن جمله بزه ... كوسرى بوده است وايشان دم غزه

﴿بغير علم﴾ حال من الفاعل أي: يضلونهم غير عالمين بأن ما يدعون إليه طريق الضلال وبما يستحقونه من العذاب الشديد في مقابلة الإضلال أو من المفعول أي: يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وفائدة التقييد بها الإشعار بأن مكرهم لا يروج عند ذوي لب وإنما يتبعهم الأغبياء والجهلة والتنبيه على أن جهلهم ذلك لا يكون عذراً إذ كان يجب عليهم أن يبحثوا ويميزوا بين المحقق الحقيق بالاتباع وبين المبطل.

چشم باز وكوش باز ودام پيش ... سوى دامى مى پرد باپر خويش

﴿ألا ساء ما يزرون﴾ ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب أن يكون مبهماً يفسره ما يزرون والمخصوص بالذم محذوف أي: بئس شيئاً يزرونه أي: يحملونه فعلهم. وبالفارسية [بدانيد كه بدكاريست آن بارى كه ايشان مى كشند].

واعلم أنه لا يحمل أحد وزر أحد إذ كل نفس تحمل ما كسبت هي لا ما كسبت غيرها إذ ليس ذلك من مقتضى الحكمة الإلهية وأما حمل وزر الاضلال فهو حمل وزر نفسه لأنه مضاف إليه لا إلى غيره. فعلى العاقل أن يجتنب من الضلال والإضلال في مرتبة الشريعة والحقيقة فمن حمل القرآن على الأساطير ودعا الناس إلى القول بها فقد ضل وأضل وكذا من حمل إشارات القرآن على الأباطيل لا على الحقائق فإنه ضل بالإنكار وأضل طلاب الحق عن طريق الإقرار فحمل حجاب الضلال وحجاب الإضلال وكلما تكاثف الحجب وتضاعف الأستار بعد المرء عن درك الحق ورؤية الآثار والمراد بالإشارات الصحيحة المشهود لحقيتها بالكتاب والسنة وهي الإشارات الملهمة إلى أهل الوصول لا الإشارات التي تدعيها الملاحدة وجهلة المتصوفة مما يوافق هواهم فإنها ليست من الإشارات في شيء كما قال في «المثنوي»:

بر هوا تأويل قرآن ميكنى ... پست وكژ شد از تو معنى سنى

آن مكس بر برك كاه وبول خر همچو كشتيبان همى افراشت سر
كفت من دريا وكشتى خوانده عام مدتى در فكر آن مى مانده ام
اينك اين دريا واين كشتى ومن مرد كشتيبان واهل ورأى زن
بر سر دريا همى راند او عمد مى نمودش آن قدر بيرون زحد
صاحب تأويل باطل چون مكس وهم او بول خر وتصوير خس
كرمكس تأويل بكذارد براى آن مكس را بخت كرداند هماى

﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ المكر الخديعة يعني قد مكر أهل مكة كما مكر الذين من قبلهم وصار المكر سبباً لهلاكهم لا لهلاك غيرهم لأن من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً. قال في «المدارك»: الجمهور على أن المراد نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل وكان قصراً عظيماً طوله خمسة آلاف ذراع وعرضه فرسخان ليقاتل عليه من في السماء بزعمه ويطلع على إله إبراهيم عليه السلام. ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ البنيان البناء والجمع أبنية والقواعد جمع قاعدة وقواعد البيت أساسه أو أساطينه أي: قصد الله تخريب بنائهم من جهة أصوله وأساسه وأتاه أمره وحكمه وبأسه أو من جهة الأساطين التي بنوا عليها بأن ضعفت. ﴿فخر﴾ أي: سقط ﴿عليهم السقف﴾ أي: سقف بنائهم. ﴿من فوقهم﴾ يعني: [اول بام بر ايشان فرود آمد پس ديوارها] إذ لا يتصور البناء بعد هدم القواعد وجاء بفوقهم وعليهم للإيذان بأنهم كانوا تحته فإن العرب لا تقول سقط علينا البيت وليسوا تحته.

ـ روي ـ أنه هبت عليه ريح هائلة فألقت رأسه في البحر وخر الباقي عليهم ولما سقط الصرح تبلبلت الألسن من الفزع يومئذٍ: يعني: [بهم بر آمد وسخن ايشان مختلف كشت هر قومى بزبانى سخن كفتن آغاز كردند وهيچ يك زبان آن ديكر ندانست] فتكلموا ثلاثة وسبعين لساناً فلذلك سميت ببابل وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية ﴿وأتاهم العذاب﴾ أي: الهلاك بالريح ﴿من حيث لا يشعرون﴾ بإتيانه منه بل يتوقعون إتيان مقابله مما يريدون ويشتهون. والمعنى أن هؤلاء الماكرين القائلين للقرآن العظيم أساطير الأولين سيأتيهم في الدنيا من العذاب مثل ما أتاهم وهم لا يحتسبون [دمياطى آورده كه مراد ازين عذاب بعوضه است كه بر لشكر نمرود مسلط شد. در لباب فرموده كه خداى تعالى نمرودرا مبتلا كردانيد به پشه كه در بينى اورفته بود ودر دماغ وى جاى كرفته وبزرك شد وچهار صد سال درانجا بماند ودرين مدت پيوسته مطرقه برسراو ميزدند تا فى الجمله آرام يافت.] شيخ فريد الدين عطار قدس سره در منطق الطير آورده:

نيم پشه برسر دشمن كماشت درسراو چارصد سالش بداشت
چون دهد حكمش ضعيفى رامدد سبلت خصم قوى را بركند

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ثم يوم القيامة﴾ أي: هذا العذاب جزاؤهم في الدنيا ويوم القيامة ﴿يخزيهم﴾ [رسواى كرداند ايشانرا] أي: يذل أولئك المفترين والماكرين الذين من قبلهم جميعاً بعذاب الخزي على رؤوس الأشهاد وأصل الخزي ذل يستحيى منه وثم لتفاوت ما بين الجزاءين ﴿ويقول﴾ لهم

تفضيحاً وتوبيخاً فهو إلى آخره بيان للإخزاء ﴿أين شركائي﴾ بزعمكم ﴿الذين كنتم تشاقون﴾ أصله تشاققون أي: تخاصمون الأنبياء والمؤمنين ﴿فيهم﴾ أي: في شأنهم بأنهم شركاء أحقاء حين بينوا لكم بطلانها. والمراد بالاستفهام استحضارها للشفاعة أو المدافعة على طريق الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة بل يكفي في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون أنهم متصفون به من عنوان الإلهية فليس هناك شركاء ولا أماكنها ﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ من أهل الموقف وهم الأنبياء والمؤمنون الذين أوتوا علماً بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا إلى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم أي: يقولون توبيخاً لهم وإظهاراً للشماتة بهم. ﴿إن الخزي﴾ أي: الفضيحة والذل والهوان وبالفارسية [خوارى ورسوايى] ﴿اليوم﴾ متعلق بالخزي وإيراده للإشعار بأنهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق ﴿والسوء﴾ أي: العذاب ﴿على الكافرين﴾ بالله تعالى وبآياته ورسله وهو قصر للجنس الادعائي كأن ما يكون من الذل وهو العذاب لعصاة المؤمنين لعدم بقائه ليس من ذلك الجنس.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ في محل الجر على أنه نعت للكافرين وفائدة تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره إلى حين الموت دون من آمن منهم ولو في آخر عمره أي: على الكافرين المستمرين على الكفر إلى أن تتوفاهم الملائكة أي: يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه. ﴿ظالمي أنفسهم﴾ أي: حال كونهم مستمرين على الكفر والاستكبار فإنه ظلم منهم على أنفسهم وأي ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد بوضعها بالاستكبار على الملك الجبار غير موضعها وبدلوا فطرة الله تبديلاً ﴿فألقوا السلم﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿ويقول أين شركائي﴾ والسلم بالتحريك الاستسلام أي: فيلقون الاستسلام والانقياد في الآخرة حين عاينوا العذاب ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من التكبر والعلو وشدة الشكيمة قائلين ﴿ما كنا نعمل﴾ في الدنيا ﴿من سوء﴾ أي: من شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم قصداً لتخليص نفوسهم من العذاب ﴿بلى﴾ رد عليهم من قبل أولي العلم وإثبات لما نفوه أي: بلى كنتم تعملون ما تعملون ﴿إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾ فهو يجازيكم عليه وهذا أوانه فلا يفيد إنكاركم وكذبكم على أنفسكم.

﴿فادخلوا﴾ الفاء للتعقيب ﴿أبواب جهنم﴾ أي: كل صنف بابه المعدّ له ﴿خالدين فيها﴾ إن أريد بالدخول حدوثه فالحال مقدّرة وإن أريد مطلق الكون فيها فمقارنة ﴿فلبئس مثوى المتكبرين﴾ الفاء عطف على فاء التعقيب واللام للتأكيد تجري مجرى القسم والمثوى المنزل والمقام والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم، والمعنى بالفارسية: [پس هر آينه بد مقامى وبد آرامكاهيست متكبرانرا جهنم] وذكرهم بعنوان التكبر للإشعار بعليته لثوائهم فيها أي: إقامتهم والمراد المتكبر عن التوحيد أو كل متكبر من المشركين والمسلمين. قال حضرة الشيخ علي السمرقندي قدس سره في تفسيره المسمى «بحر العلوم» التكبر ينقسم على ثلاثة أقسام.

التكبر على الله وهو أخبث أنواع الكبر وأقبحها وما منشأه إلا الجهل المحض. ثم التكبر على الرسل من تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وهذا كالتكبر على الله تعالى في القيامة واستحقاق العذاب السرمدي. والثالث التكبر على العباد وهو بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره فيأبى عن الانقياد لهم ويدعوه إلى الرفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويستنكف عن مساواتهم وهو أيضاً قبيح وصاحبه جاهل كبير يستأهل سخطاً عظيماً لو لم يتب وإن كان دون الأولين للدخول تحت عموم قوله: ﴿مثوى المتكبرين﴾ وأيضاً من تكبر على أحد من عباد الله فقد نازع الله في ردائه وفي صفة من صفاته. قال أبو صالح حمدان بن أحمد القصار رحمة الله عليه: من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون فقد أظهر الكبر، وفي «المثنوي»:

آنچه در فرعون بودواندر توهست ... ليك ازدرهات محبوس چهست

آتشت را هيزم فرعون نيست ... زانكه چون فرعون اوراعون نيست

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال: إني آمركما باثنين وأنهاكما عن اثنين آمركما بلا اله إلا الله فلو أن السموات السبع والأرضين السبع وضعن في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن ولو أن السموات السبع والأرضين السبع حلقة مبهمة لقصمتهن لا إله إلا الله وآمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل نبي بها يرزق الخلق وأنهاكما عن الكفر والكبر».

﴿وقيل﴾ - روي - أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام موسم الحج من يأتيهم بخبر النبي ﷺ فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون الذين اقتسموا طرق مكة وأمروه بالانصراف وقالوا: إن لم تلقه كان خيراً لك فإنه ساحر كاهن كذاب مجنون فيقول: أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقي أصحاب النبي عليه السلام فيخبرونه بصدقه فذلك قوله وقيل أي: من طرف الوافدين ﴿للذين اتقوا﴾ عن الكفر والشرك وهم المؤمنون المخلصون ﴿ماذا﴾ أي: أي شيء فهو مفعول قوله: ﴿أنزل ربكم﴾ على محمد ﴿قالوا﴾ في جوابه أنزل ﴿خيرا﴾ وفي تطبيق الجواب بالسؤال إشارة إلى أن الإنزال واقع وأنه نبي حق. قال الكاشفي: [مراد ازخير قر آنست كه جامع جميع خيرات ومستجمع مجموع حسنات وبركات اوست ونيكوهاي ديني ودنياوى وخوبيهاي صوري ومعنوي ناشى ازو]. ﴿للذين أحسنوا﴾ أعمالهم وقالوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله فإنه أحسن الحسنات وهو كلام مستأنف جيء به لمدح المتقين. ﴿في هذه﴾ الدار ﴿الدنيا حسنة﴾ أي: مثوبة حسنة مكافأة فيها بإحسانهم وهي عصمة الدماء والأموال واستحقاق المدح والثناء والظفر على الأعداء وفتح أبواب المكاشفات والمشاهدات الذي من أوتيه فقد فاز بالقدح المعلى.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن من أحسن أعماله بالصالحات وأخلاقه بالحميدات وأحواله بالانقلاب عن الخلق إلى الحق فله حسنة من الله وهو أن ينزله منازل الواصلين الكاملين في الدنيا ﴿ولدار الآخرة﴾ أي: ولثوابهم فيها ﴿خير﴾ مما أوتوا في الدنيا من المثوبة أو دار الآخرة خير من الدنيا على الإطلاق فإن الآخرة كالجوهر والدنيا كالخزف وقيمة الجوهر أرفع من قيمة الخزف بل لا مناسبة بينهما أصلاً ﴿ولنعم دار المتقين﴾ [ونيكو سرابيست مرپر هيز كارانرا سراي آخرت]. قال الحسن دار المتقين الدنيا لأنهم منها يتزودون للآخرة. يقول الفقير فيه مدح للدنيا باعتبار أنها متاع بلاغ فإنها باعتبار أنها متاع الغرور مذمومة كما قال في «المثنوي».

چيست دنيا ازخدا غافل شدن نى قماش ونقره وميزان وزن
مال راكز بهر دين باشى حمول نعم مال صالح خواندش رسول
آب در كشتى هلاك كشتى است آب اندر زير كشتى پشتى است
چونكه مال وملك را ازدل براند زان سليمان خويش جز مسكين نخواند
كوزه سربسته اندر آب رفت از دل پرباد فوق آب رفت
باد درويشى چودر باطن بود بر سر آب جهان ساكن بود

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن للأتقياء الواصلين داراً غير دار الدنيا ودار الآخرة فدارهم مقعد الصدق في مقام العندية ونعم الدار.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٣١ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٣٢﴾

﴿**جنات عدن**﴾ عدن علم أي: لهم بساتين عدن حال كونهم ﴿**يدخلونها**﴾ حال كونها ﴿**تجري من تحتها الأنهار**﴾ أي: من تحت منازلها الأنهار الأربعة على أن يكون المنبع فيها بشهادة من ﴿**لهم**﴾ خبر مقدم ﴿**فيها**﴾ أي: في تلك الجنات حال من المبتدأ المؤخر وهو قوله: ﴿**ما يشاؤون**﴾ ويحبون من أنواع المشتهيات. قال البيضاوي في تقديم الظرف تنبيه على أن الإنسان لا يجد جميع ما يريده إلا في الجنة. يقول الفقير إن قلت هل يجوز للمرء أن يشتهي في الجنة اللواطة؟ وقد ذهب إليه من لا وقوف له على جلية الحال فالجواب أن الاشتهاء المذكور مخالف لحكمة الرب الغفور ولو جاز هو لجاز نكاح الأمهات فيها على تقدير الاشتهاء وأنه مما لا يستريب عاقل في بطلانه ألا ترى أن الذكور وكذا الزنى واللواطة والكذب ونحوها كان حراماً مؤبداً في الدنيا في جميع الأديان لكونه مما لا تقتضي الحكمة حله بخلاف الخمر ونحوها ولذا كانت هي أحد الأنهار الجارية فيها فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا يستطيب ما استخبثته الطباع السليمة. قال الكاشفي: [ودر جواب كسى كه كويد شايد بهشتى خواهد كه بدرجات أنبيا ومنازل أوليا ومراتب شهدا برسد وكفته اند دربهشت غيظ وحسدكه موجب تمناها باشد نيست با آنكه هريك ازبهشتيان بآنچه دارند راضى اند].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من الأتقياء من مشيئته الجنة ونعيمها ومن مشيئته العبور على الجنة والخروج إلى مقعد الصدق في مقام العندية فلهم ما يختارون من الجنة ومقعد الصدق ﴿**كذلك**﴾ أي: مثل ذلك الجزاء الأوفى ﴿**يجزي الله المتقين**﴾ أي: كل من يتقي عن الشرك والمعاصي.

﴿**الذين تتوفاهم الملائكة**﴾ نعت للمتقين أي: يقبض ملك الموت وأعوانه أرواحهم حال كونهم ﴿**طيبين**﴾ أي: طاهرين عن دنس الظلم لأنفسهم بتبديل فطرة الله. وفائدته الإيذان بأن ملاك الأمر في التقوى هو الطهارة عما ذكر إلى وقت توفيهم. ففيه حث للمؤمنين على ذلك ولغيرهم على تحصيله. وقيل: طيبين بفيض أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية إلى جناب القدس جعلنا الله وإياكم منهم، وفي «المثنوي»:

همچنين باد أجل باعارفان نرم وخوش همچون نسيم يوسفان

وفي «التأويلات النجمية» أي: طيبي الأعمال عن دنس الشهوات والمخالفات. وطيبي

الأخلاق عن المذمومات الملوثة بالطبعيات دون الشرعيات. وطيبي الأحوال عن وصمة ملاحظات الكونين ﴿يقولون﴾ حال من الملائكة أي: قائلين لهم على وجه التعظيم والتبشير. ﴿سلام عليكم﴾ لا يخيفكم بعد مكروه. قال القرطبي: إذا استدعيت نفس المؤمن جاءه ملك الموت فقال: السلام عليك يا ولي الله الله يقرئك السلام وبشره بالجنة. ﴿ادخلوا الجنة﴾ أي: جنات عدن فإنها معدة لكم فاللام للعهد والمراد دخولهم لها في وقته كما قال الكاشفي: [بعد ازسلام كويند فرداكه مبعوث شويد در آييد دربهشت كه براى شما آماده است] والقبر روضة من رياض الجنة ومقدمة لنعيمها ومن دخله على حسن الحال والأعمال فكأنه دخل جنته ووجد نعيماً لا يزول ولا يزال. ﴿بما كنتم تعملون﴾ بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة والعمل وإن لم يكن موجباً للجنة لأن الدخول فيها محض فضل من الله إلا أن الباء دلت على أن الدرجات إنما تنال بالأعمال وصدق الأحوال فإن المراد من دخول الجنة إنما هو اقتسام المنازل بحسب الأعمال [وكفته اند] زرع يومك حصاد غدك:

بكوش امروز تا تخمى بپاشى كه فردا بر جوى قادر نباشى
كر اينجا كشت كردن را نورزى دران خرمن به از ارزن نيرزى

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن دخول الجنة للأتقياء جزاء لإصلاح أعمالهم والعبور عليها جزاء لإصلاح أخلاقهم والخروج إلى مقعد الصدق جزاء لإصلاح أحوالهم فلكل متق مقام بحسب معاملته مع الله تعالى وفي الحديث: «عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة: النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك». قال في «بحر العلوم» المراد بالصديق كل من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد منهم بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩] ويدل عليه أيضاً الآية التي نحن فيها كما لا يخفى ويعضده قول النبي عليه السلام «الله تعالى بنى جنات عدن بيد قدرته وجعل ملاطها المسك وترابها وحصباءها اللؤلؤ لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرس غرسها بيد قدرته وقال لها: تكلمي قالت: قد أفلح المؤمنون فقال: طوبى لك منزل الملوك» وفي قولها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: ١] تنبيه على أن سكانها أهل الإيمان بالله ورسله انتهى. يقول الفقير: لا شك أن أهل الإيمان كلهم يدخلون الجنة لكن بحسب تفاوت درجاتهم في مراتب الإيمان تتفاوت منازلهم الجنانية فالفردوس وعدن للخواص ومن يلحق بهم وغيرهما للعوام وكمال الإيمان إنما يحصل بمكاشفة أسرار الملكوت ومشاهدة أنوار الجبروت وصاحبه الصديق الأكبر والدليل على ما قلنا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧﴾ [الكهف: ١٠٧] فإنهم قد قالوا في التفسير إن أهلها هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وهو الوصف الزائد على مطلق الإيمان ولذا وعدوا بتلك الجنان إذ من كان أرفع مرتبة في الدنيا بحسب العلوم النافعة والأخلاق الفاضلة كان أعلى درجة في الجنة.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٣٣ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٣٤ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا

حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾

﴿هل ينظرون﴾ [أيا انتظار ميبرند كفار مكه] أي ما ينتظرون ﴿إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ أي: ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم بالعذاب لمواظبتهم على الأسباب الموجبة له المؤدية إليه فكأنهم يقصدون إتيانه ويترصدون لوروده. ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ أي: العذاب الدنيوي وقد أتى يوم بدر ﴿كذلك﴾ مثل فعل هؤلاء من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء ﴿فعل الذين﴾ خلوا ﴿من قبلهم﴾ من الإثم ﴿وما ظلمهم الله﴾ بما سيتلى من عذابهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالكفر والمعاصي المؤدية إليه.

﴿فأصابهم﴾ عطف على قوله فعل الذين من قبلهم. والمعنى بالفارسية [رسيد ايشانرا بحكم عدل] ﴿سيئات ما عملوا﴾ أي: أجزية أعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه إيذاناً بفظاعته لا على حذف المضاف فإنه يوهم أن لهم أعمالاً غير سيآتهم. ﴿وحاق بهم﴾ أي: أحاط بهم ونزل من الحيق الذي هو إحاطة الشر كما في «القاموس» الحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ من العذاب الموعود.

﴿وقال الذين أشركوا﴾ أي: أهل مكة ﴿لو شاء الله﴾ عدم عبادتنا لشيء غيره ﴿ما عبدنا من دونه﴾ [بجز خداي تعالى] ﴿من شيء نحن ولا آباؤنا﴾ الذين نقتدي بهم في ديننا ﴿ولا حرمنا من دونه﴾ [يجز خداي تعالى] ﴿من شيء﴾ يعني: تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام. ومذهب أهل السنة أن الكفر والمعاصي وسائر أفعال العباد بمشيئة الله وخلقه والكفار وإن قالوا الشرك وغيره بمشيئة الله لكنهم يستدلون بذلك على إباحة تحريم الحلال وسائر ما يرتكبون من المعاصي ويزعمون أن الشرك والمعاصي إذا كانت بمشيئة الله تعالى ليست معصية ولا عليها عذاب فهذا كلام حق أريد به الباطل فصار باطلاً. وفي «المدارك» هذا الكلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقاداً لكان صواباً انتهى [حسين بن فضل كفته كه اكر كفار اين سخن از روى تعظيم وإجلال ومعرفت الهى كفتندى حق سبحانه وتعالى ايشانرا بدان عيب نكردى]، قال الحافظ:

درين چمن نكنم سرزنش بخود رويى چنانكه پرورشم ميدهند ميرويم

وقال:

نقش مستورى ورندى نه بدست من وتست آنچه سلطان ازل كفت بكن آن كردم

يقول الفقير: فرق بين الجاهل الغافل المحجوب وبين العارف المتيقظ الواصل إلى المطلوب والأدب إسناد المقابح إلى النفس والمحاسن إلى الله تعالى فإنه توحيد أي توحيد ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك الفعل الشنيع ﴿فعل الذين من قبلهم﴾ من الأمم أي: أشركوا بالله وحرموا حله وعصوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نبهوهم على الخطأ وهدوهم إلى الحق ﴿فهل على الرسل﴾ [پس هست برفر ستاد كان يعني نيست برايشان] ﴿إلا البلاغ المبين﴾ أي: ليست وظيفتهم إلا تبليغ الرسالة تبليغاً واضحاً واطلاع الخلق على بطلان الشرك وقبحه لا الجاءهم إلى قبول الحق وتنفيذ قولهم عليهم شاؤوا أو أبوا.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ

وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾
إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ
جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ
إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

﴿ولقد بعثنا في كل أمة﴾ من الأمم. وبالفارسية [درميان هركر وهى]. ﴿رسولا﴾ خاصاً بهم كما بعثناك ﴿أن اعبدوا الله﴾ أن مفسرة لبعثنا أي: قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله وحده. ﴿واجتنبوا الطاغوت﴾ هو الشيطان وكل ما يدعو إلى الضلال وذلك لإلزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه أن منهم من لا يأتمر بالأوامر ولا يؤمن. والطاغوت فعلوت من الطغيان كالجبروت والملكوت من الجبر والملك وأصله طغيوت فقدم اللام على العين وتاؤه زائدة دون التأنيث. ﴿فمنهم﴾ أي: من تلك الأمم والفاء فصيحة أي: فبلغوا ما بعثوا به من الأمر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم. ﴿من هدى الله﴾ خلق فيه الاهتداء إلى الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي إلى تحصيله. ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ [كمر اهى بسبب خذلان الهى] أي: وجبت وثبتت إلى حين الموت لعناده وإصراره عليها وعدم صرف قدرته فلم يخلق فيه الاهتداء ولم يرد أن يطهر قلبه ﴿فسيروا﴾ سافروا يا معشر قريش إذ الكلام معهم ﴿في الأرض فانظروا﴾ في أكنافها وفي الفاء الموضوعة للتعقيب إشارة إلى وجوب المبادرة إلى النظر والاستدلال المؤديين إلى الإقلاع عن الضلال ﴿كيف كان عاقبة المكذبين﴾ من عاد وثمود ومن سار بسيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون من منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب ﴿إن تحرص﴾ يا محمد ﴿على هداهم﴾ أي: إن تطلب هداية قريش بجهدك. وبالفارسية [اكرسخت كوشى وحرص ورزى] ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾ أي: فاعلم أن الله لا يخلق الهداية جبراً وقهراً فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره. ﴿وما لهم من ناصرين﴾ من ينصرهم برفع العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فإن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الآحاد إلى الآحاد.

واعلم أن سرّ بعثة الأنبياء عليهم السلام إلى الخلق أن يأمروهم بعبادة الله واجتناب طاغوت الهوى وما يعبدون من دون الله ويعلموهم كيفية العبادة الخالصة من الشوائب وكيفية الاجتناب عما سوى الله ليصلوا بهذين القدمين إلى حضرة الجلال كما قال بعضهم خطوتان وقد حصلت. فالخطوة الأولى عبادة الله بالتوحيد وهو التوجه إلى الله تعالى بالكلية طلباً وشوقاً ومحبة. والثانية الخروج عما سوى الله بالكلية صدقاً واجتهاداً بليغاً لينالوا ما نال من قال لربه ـ كلي بكلك مشغول فقال كلي لكلك مبذول ـ كما في «التأويلات النجمية». فعلى العاقل أن يجتهد في طريق العبودية وهي رفض المشيئة لأن العبد لا مشيئة له لأنه لا يملك ضراً ولا نفعاً.

ـ وحكي ـ أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله اشترى عبداً فقال له: أي شيء تأكل؟ قال: ما

تطعمني؟ قال: أي شيء تعمل؟ قال: ما تستعملني قال: أي شيء لك إرادة؟ قال: وأين تبقى إرادة العبد في جنب إرادة سيده ثم راجع إبراهيم نفسه وقال: يا مسكين ما كنت لله في عمرك ساعة مثل ما كان هذا لك في هذه الحالة؟ إن قلت الطاعة راجحة أم ترك المخالفات. قلت: الاحتماء غالب على المعالجة بالأدوية كما يفعله أهل الهند فإنهم يداوون مرضاهم بترك الأكل أياماً. وقد قال أبو القاسم: لا تطلبوا الآخرة بالبذل والإيثار واطلبوا بالترك والكف. وهذا عكس ما عليه أهل الزمان فإن عبادهم يأتون ما أمكن لهم من الطاعات وهم غرقى في بحر المخالفات إذ ليس لهم مبالاة في باب التروك فلو أنهم اقتصروا على الفرائض والواجبات واجتهدوا في باب الكف عن الرذائل والمخالفات لكان خيراً لهم ولذا قال في «المثنوي»:

بهر اين بعض صحابه از رسول ... ملتمس بودند مكر نفس غول

كوچه آميزدز أغراض نهان ... در عبادتها ودر اخلاص جان

فضل طاعت را نجستندى ازو ... عيب ظاهر را نجستندى كه كو

مو بمو و ذره ذره مكر نفس ... مى شناسيدند چون كل از كرفس

نسأل الله تعالى أن يهدينا إلى حق اليقين ويعصمنا من أعمال من قال في حقهم وما لهم من ناصرين.

﴿وأقسموا بالله﴾ الإقسام [سو كند خوردن] والقسم محركة اليمين بالله. والمعنى بالفارسية [سوكند خوردند بخداى تعالى] عن أبي العالية كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به والذي أرجوه بعد الموت أنه لكذا يعني: [دراثناء مكالمه كفت بدان خداى كه بعد ازمرك بلقاء او اميد وارم] فقال المشرك: إنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت [أي كفت تواميد وارى كه بعد ازمرك زنده شوى مسلمان كفت آرى آن كافر بايمان غلاظ وشداكه دركيش او مقرر بود سوكند يا دكردكه هيچكس بعد ازمرك زنده نشود] فانزل الله تعالى هذه الآية ﴿جهد أيمانهم﴾ [سختربن سوكند ايشان يعني جهد كردند در تغليظ سوكند]. يقال جهد الرجل في كذا كمنع جد فيه وبالغ واجتهد. قال في «القاموس» وقوله تعالى: ﴿جهد أيمانهم﴾ أي: بالغوا في اليمين واجتهدوا انتهى. مصدر في موقع الحال أي: جاهدين في أيمانهم أي: حلفوا بالله مبالغين في أيمانهم حتى بلغوا غاية شدتها وكادتها. وفي تفسير أبي الليث كل من حلف بالله فهو جهد اليمين لأنهم كانوا يحلفون بالأصنام وبآبائهم ويسمون اليمين بالله جهد أيمانهم ﴿لا يبعث الله من يموت﴾ مقسم عليه ﴿بلى﴾ إثبات لما بعد النفي أي بلى يبعثهم ﴿وعدا﴾ أي: وعد بذلك وعداً ثابتاً ﴿عليه﴾ إنجازه لامتناع الخلف في وعد الله تعالى ﴿حقا﴾ أي: حق حقاً ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أنهم يبعثون والقول بعدمه لجهلهم بشؤون الله تعالى من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى منه.

﴿ليبين لهم﴾ عبارة عن إظهار ما كان مبهماً قبل ذلك أي: يبعث الله كل من يموت مؤمناً كان أو كافراً ليبين لهم الشأن ﴿الذي يختلفون﴾ مع المؤمنين ﴿فيه﴾ من الحق المنتظم للبعث والجزاء وجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين والمؤمنون وإن كانوا عالمين بذلك عند معاينة حقيقة الحال يتضح الأمر فيصل علمهم إلى مرتبة عين اليقين لأنه يحصل لهم مشاهدة الأحوال كما هي ومعاينتها بصورها الحقيقية. ﴿وليعلم الذين كفروا﴾ بالله تعالى بالإشراك

وإنكار البعث وتكذيب وعده الحق عندما خرجوا من قبورهم ﴿أنهم كانوا كاذبين﴾ في قولهم لا يبعث الله من يموت ونحوه وهو إشارة إلى السبب الداعي إلى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب.

﴿إنما﴾ ما كافة ﴿قولنا﴾ مبتدأ ﴿لشيء﴾ أي: أي شيء كان مما عز وهان متعلق بقولنا على أن اللام للتبليغ كهي في قولنا قلت له قم فقام. فإن قلت فيه دليل على أن المعدوم شيء لأنه سماه قبل كونه. قلت: التعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى لا أنه كان شيئاً قبل ذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية دلالة على أن المعدوم الذي في علم الله إيجاده قبل إيجاده شيء بخلاف المعدوم الذي في علم الله عدمه أبداً ﴿إذا أردناه﴾ ظرف لقولنا أي وقت إرادتنا لوجوده ﴿أن نقول له كن﴾ خبر للمبتدأ أي: أحدث لأنه من كان التامة بمعنى الحدوث التام ﴿فيكون﴾ عطف على مقدر أي فنقول ذلك فيكون أو جواب لشرط محذوف أي فإذا قلنا ذلك فهو يكون ويحدث عقيب ذلك وهذا الكلام مجاز عن سرعة الإيجاد وسهولته على الله وتمثيل الغائب وهو تأثير قدرته في المراد بالشاهد وهو أمر المطاع للمطيع في حصول المأمور به من غير امتناع وتوقف ولا افتقار إلى مزاولة عمل واستعمال آلة وليس هناك قول ولا مقول له ولا آمر ولا مأمور حتى يقال إنه يلزم أحد المحالين إما خطاب المعدوم أو تحصيل الحاصل. والمعنى أن إيجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من بعض المقدورات:

آنكه پيش ازوجود جان بخشد هم تواند كه بعد ازان بخشد
چون در آورد ازعدم بوجود چه عجب بازاكر كند موجود

وذهب فخر الإسلام وغيره إلى أن حقيقة الكلام مرادة بأن أجرى الله سنته في تكوين الأشياء أن يكوّنها بهذه الكلمة إذ لم يمتنع تكوينها بغيرها. والمعنى يقول له أحدث فيحدث عقيب هذا القول لكن المراد هو الكلام النفسي المنزه عن الحروف والأصوات لا الكلام اللفظي المركب منهما لأنه حادث يستحيل قيامه بذاته تعالى. يقول الفقير: أفادني شيخي وسندي روح الله روحه في قوله عليه السلام: «إن الله فرد يحب الفرد» إن مقام الفردية يقتضي التثليث فهو ذات وصفة وفعل وأمر الإيجاد يبنى على ذلك وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ فهو ذات وإرادة وقول والقول مقلوبه بعد الإعلال اللقا فليس عند الحقيقة هناك قول وإنما هو لقاء الموجد اسم فاعل بالموجد اسم مفعول وسريان هويته إليه وظهور صفته وفعله فيه فافهم هذه الدقيقة. قال الروح ينزل بالمطر وله تعين في كل نشأة بما يناسب حاله فعند تمام الخلقة في الرحم ينفخ الله تعالى الروح وهو عبارة عن تعين الروح وظهوره كظهور النار من غير إيقاد ولكن عبر عنه بالنفخ تفخيماً لأن العقل قاصر عن دركه ولذا قال العلماء: لا يبحث عن ذات الباري تعالى وكيفية تعلق القدرة بالمعدومات وكيفية العذاب بعد الموت.

﴿والذين هاجروا في الله﴾ أي: في شأن الله ورضاه وفي حقه والتمكين من طاعته ولوجهه ﴿من بعد ما ظلموا﴾ هم الذين ظلمهم أهل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ وأخرجوهم من ديارهم فهاجروا إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمعوا بين الهجرتين لا المهاجرون مطلقاً فإن السورة مكية.

ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ لما رأى ما نزل بالمسلمين من توالي الأذى عليهم من كفار قريش قال لهم: «تفرقوا في الأرض فإن الله سيجمعكم» قالوا: إلى أين نذهب؟ قال: «اخرجوا إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً عظيماً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه» فهاجر إليها ناس ذو عدد قال بعضهم كانوا فوق ثمانين مخافة الفتنة فراراً إلى الله تعالى بدينهم منهم من هاجر إلى الله بأهله كعثمان بن عفان رضي الله عنه هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبي ﷺ وكان أول خارج ومنهم من هاجر بنفسه وفي الحديث «من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب له الجنة وكان رفيق أبيه خليل الله إبراهيم ونبيه محمد عليهما السلام» ﴿لنبوئنهم﴾ لننزلنهم ﴿في الدنيا حسنة﴾ أي: مباءة حسنة وهي المدينة المنورة حيث آواهم أهلها ونصروهم. يقال بوأه منزلاً أنزله والمباءة المنزل فهي منصوبة على الظرفية أو على أنها مفعول ثان إن كان لنبوئنهم في معنى لنعطينهم ﴿ولأجر الآخرة﴾ المعد لهم في مقابلة الهجرة ﴿أكبر﴾ مما يعجل لهم في الدنيا. في «المدارك» الوقف لازم عليه لأن جواب قوله ﴿لو كانوا يعلمون﴾ محذوف والضمير للكفار أي: لو علموا أن الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين ويجوز أن يعود إلى المؤمنين المهاجرين فإنهم لو علموا علم المشاهدة لازدادوا في المجاهدة والصبر وأحبوا الموت وليس الخبر كالمعاينة.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿الذين﴾ أي: المهاجرون هم الذين ﴿صبروا﴾ على مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم.

ـ روي ـ أن النبي ﷺ لما توجه مهاجراً إلى المدينة وقف ونظر إلى مكة وبكى وقال: «والله إني لأخرج منك وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله تعالى وأكرمها على الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت» قال الهمام:

مشتاب ساربان كه مراپاى دركلست ... در كردنم زحلقه زلفش سلاسلست
تعجيل ميكنى تو وپايم نمى رود ... بيرون شدن زمنزل أصحاب مشكلشت
چون عاقبت زصحبت ياران بريدنيست ... پيوند باكسى نكند هركه عاقلست

وكذا صبروا على مفارقة الأهل والشدائد من أذية الكفار وبذل الأرواح ونحو ذلك.
﴿وعلى ربهم﴾ خاصة ﴿يتوكلون﴾ منقطعين إليه معرضين عما سواه مفوضين إليه الأمر كله والمعنى على المضي والتعبير بصيغة المضارع لاستحضار صورة توكلهم البديعة.

والإشارة ﴿والذين هاجروا في الله﴾ بالأبدان عما نهى الله عنه بالشريعة وهاجروا بالله بالقلوب عن الحظوظ الأخروية برعاية الطريقة وهاجروا إلى الله بالأرواح عن مقامات القربة ورؤية الكرامات بجذبات الحقيقة بل هاجروا عن الوجود المجازي مستهلكاً في بحر الوجود الحقيقي حتى لم يبق لهم في الوجود سوى الله من بعدما ردوا إلى أسفل السافلين لننزلنهم على أقرب القرب في حال حياتهم ولأجر الآخرة أي: بعد الخروج من الدنيا والخلاص من حبس

أوصاف البشرية وتلوثها بها أكبر أي: أعظم وأجل وأصفى وأهنى وأمرى مما كان لهم من حسنات الدنيا لو كانوا يعلمون قدره ويؤدون شكره الذين صبروا على الائتمار بالأوامر وعلى الانتهاء عن النواهي بل صبروا على المجاهدات والمكابدات لنيل المشاهدات والمواصلات ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ صبروا بالله في طلبه وتوكلوا على الله في وجدانه فبالصبر ساروا وبالتوكل طاروا ثم في الله حاروا حيرة لا نهاية لها إلى الأبد كما في «التأويلات النجمية».

اعلم أن من توكل على الله وانقطع إليه كفاه الله كل مؤونه ومن انقطع إلى الدنيا وأهلها لا يتم أمره فإن أهل الدنيا لا تقدر على النفع وإيصال الخير ما لم يرد الله. قال أبو سعيد الخراز قدس سره أقمنا بمكة ثلاثة أيام لم نأكل شيئاً وكان بحذائنا فقير معه ركوة مغطاة بحشيش وربما أراه يأكل خبزاً حواري فقلت له: نحن ضيفك فقال: نعم فلما كان وقت العشاء مسح يده على سارية فناولني درهمين فاشترينا خبزاً فقلت: بم وصلت إلى ذلك فقال: يا أبا سعيد بحرف واحد تخرج قدر الخلق من قلبك تصل إلى حاجتك.

﴿وما أرسلنا﴾ وذلك أن مشركي قريش لما بلغهم النبي ﷺ الرسالة ودعاهم إلى عبادة الله تعالى أنكروا ذلك وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً ولو أراد أن يبعث إلينا رسولاً لبعث من الملائكة الذين عنده فنزل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ أي: الأمم الماضية ﴿إلا رجالا﴾ آدميين لا ملكاً وقوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١] أي: إلى الملائكة أو إلى الأنبياء ولا امرأة إذ مبني حالها على الستر والنبوة تقتضي الظهور ولا صبياً ونبوة عيسى في المهد لا تنافيه إذ الرسالة أخص. قال ابن الجوزي اشتراط الأربعين في حق الأنبياء ليس بشيء. ﴿نوحي إليهم﴾ على ألسنة الملائكة في الأغلب وأكثر الأمر وفيه إشارة إلى أن الرسالة والنبوة والولاية لا تسكن إلا في قلوب الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله:

نه هركس سزاوار باشد بصدر كرامت بفضلست ورتبت بقدر

﴿فسألوا﴾ أي: فإن شككتم في ذلك فاسألوا يا معشر قريش ﴿أهل الذكر﴾ علماء أهل الكتاب ليخبروكم أن الله تعالى لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشراً وكانوا يشاورونهم في بعض الأمور ولذلك أحالهم إلى هؤلاء للإلزام ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ ذلك. وفي الآية إشارة إلى وجوب المراجعة إلى العلماء فيما لا يعلم. وسئل الإمام الغزالي رحمه الله: من أين حصل لك الإحاطة بالعلوم أصولها وفروعها فتلا هذه الآية أي: أفاد أن ذلك العلم الكلي إنما حصل باستعلام المجهول من العلماء وترك العار وقد ورد [الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها] يعني ينبغي للمؤمن أن يطلب الحكمة كما يطلب ضالته.

﴿بالبينات والزبر﴾ بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جواباً عن سؤال من قال بم أرسلوا فقيل: أرسلوا بالبينات والزبر. والبينات جمع بينة وهي الواضحة. والزبر جمع زبور وهو الكتاب بمعنى المزبور أي: المكتوب ﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ أي: القرآن إنما سمي به لأنه تذكير وتنبيه للغافلين. يعني أنه سبب الذكر فأطلق عليه المسبب ﴿لتبين للناس﴾ كافة العرب والعجم ﴿ما نزل إليهم﴾ في ذلك الذكر من الأحكام والشرائع وغير ذلك من أحوال القرون المهلكة بأفانين العذاب حسب أعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بياناً شافياً كما ينبىء عنه صيغة التفعيل في الفعلين ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ التفكر تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب أي وإرادة أن يجيلوا فيه أفكارهم فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما

يؤدي إلى مثل ما أصاب الأولين من العذاب.

وفي «التأويلات النجمية»: ولعلهم أي: وفي إنزال الذكر إليك حكمة أخرى وهي لعل الناس يتفكرون فيما يسمعون من بيان القرآن والأحكام منك على أنك أمي ما قرأت الكتب المنزلة ولا تعلمت العلوم وإنما تبين لهم من نور الذكر فيلازمون الذكر ويواظبون عليه ليصلوا إلى مقام المذكورين في متابعتك ورعاية سنتك. ولما سئل النبي ﷺ عن جلاء القلب قال: «ذكر الله وتلاوة القرآن والصلاة عليّ» ولا شك أن خير الأذكار كلمة التوحيد. قال إبراهيم الخواص رحمه الله: دواء القلب خمسة: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع إلى الله عند السحر، ومجالسة الصالحين. وفي «أبكار الأفكار» أفضل الذكر قراءة القرآن فإنها أفضل من الدعوة الغير المأثورة. وأما المأثورة فقيل: إنها أفضل منها وقيل: القراءة أفضل انتهى. وفي «نفائس المجالس» مما يجب فيه التدبر والتذكر قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء: ١٣٦] فالله تعالى أمر المؤمنين بالإيمان أي: بتكرار عقد القلب وتجديده كما ورد «جددوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله». قال بعض الكبار: قد علم بحديث التجديد أن الإيمان يقبل البلى وذلك بزوال الحب وتجديده بالتوحيد وكلمة التوحيد مركبة من النفي والإثبات فبنفي ما سوى المعبود وإثبات ما هو المقصود يصل الموحد إلى كمال الشهود وحصول ذلك بنور التلقين والكينونة التامة مع الصادقين كما قال تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] والكينونة صورية وهي بملازمة أهل الصدق ومجالستهم ومعنوية وهي باتخاذ الأسرار وتحصيل المناسبة المعنوية فلا بد من الارتباط بواحد من الصادقين:

زمن اي دوست اين يك پندبپذير ... برو فتراك صاحب دولتى كير

كه قطره تاصدف را درنيايد ... نكردد كوهر وروشن نتابد

واعلم أن التبيين حق أهل الدعوة والإرشاد إذ ليس عليهم إلا البلاغ المبين والعمل بموجب الدعوة على العباد إذ ليس عليهم إلا قبول ما جاء من طرف النبي الأمين فإذا قبلوا ذلك ورجعوا في المشكلات إليه أو إلى وارث من ورثته الكمل علموا ما لم يعلموا ووصلوا إلى كمال العلم والعمل وحصلوا عند المقصود من نزول القرآن فطوبى لهم فلهم درجات الجنان ورؤية المنان.

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾

﴿أفأمن الذين مكروا السيآت﴾ هم أهل مكة الذين مكروا برسول الله ﷺ وراموا صدّ أصحابه عن الإيمان واحتالوا في إبطال الإسلام والفاء عطف على مقدر والإنكار موجه إلى المعطوفين معاً. والسيآت نعت لمصدر محذوف، أي: ألم يتفكروا فأمن الذين مكروا المكرات السيآت التي قصت عنهم أو مفعول به لمكروا على تضمينه معنى فعلوا أي: فعلوا السيآت وعملوا الكفر والمعاصي ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ مفعول لأمن أي أن يغوّر بهم الأرض حتى يدخلوا فيها إلى الأرض السفلى كما فعل بقارون وأصحابه. وبالفارسية [ازآنكه فرو برد خداى تعالى ايشانرا درزمين] ذكر الحافظ أن الكركي لا يطأ الأرض بقدميه بل بأحدهما فإذا

وطئها لم يعتمد عليها خوفاً أن تخسف الأرض فإذا لم يأمن الطير من الخسف فما بال الإنسان العاقل يمشي على الأرض وهو غافل ﴿أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ بإتيانه أي: في حال غفلتهم.

ديدى آن قهقه كبك خرامان حافظ — كه زسر پنچه شاهين قضا غافل بود

﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ التقلب [بركشتن] وفي «القاموس» تقلب في الأمور تصرف كيف شاء انتهى. أي: في حالتي تقلبهم في مسايرتهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم. وقال سعدي المفتي: الظاهر أن المراد من قوله أو يأتيهم الخ حال نومهم وسكونهم ولا يلزم أن يكون من جانب السماء ومن الثانية إتيانه حال يقظتهم وتصرفهم كقوله تعالى: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤] ﴿فما هم بمعجزين﴾ بناجين من عذاب الله القهار سابقين قضاءه بالهرب والفرار على ما يوهمه التقلب والسير في الديار وفي الحديث: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» أي: ليمهل ويطول عمره حتى يكثر منه الظلم ثم يأخذه أخذاً شديداً فإذا أخذه لم يتركه ولم يخلصه أحد من الله وفي الحديث تسلية للمظلوم ووعيد للظالم لئلا يغتر بإمهاله، قال الشيخ سعدي قدس سره:

مها زور مندى مكن بر كهان — كه بريك نمط مى نماند جهان

نمى ترسى اى كرك ناقص خرد — كه روزى پلنكيت برهم درد

﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ قال في «القاموس» تخوف الشيء تنقصه ومنه أو يأخذهم على تخوف انتهى. ولقي رجل أعرابياً فقال: يا فلان ما فعل دينك فقال: تخوفته يعني تنقصته كما في تفسير أبي الليث. والمعنى أو يأخذهم على أن ينقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا ولا يهلكهم في حالة واحدة فيكون المراد مما قبلها عذاب الاستئصال ومنها الأخذ شيئاً فشيئاً والمراد بذكر الأحوال الثلاث بيان قدرة الله تعالى على إهلاكهم بأي وجه كان لا الحصر فيها ﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها والمعنى أنه إذا لم يأخذكم مع ما فيه فإنما رأفته تقيكم ورحمته تحميكم.

وفي «التأويلات النجمية» رؤوف بالعباد إذ أعطاهم حسن الاستعداد رحيم عليهم عند إفساد استعدادهم بالمعاصي بأن لا يأخذهم في الحال ويتوب عليهم في المآل ويقبل توبتهم بالفضل والنوال ومن المعاصي التقلب من أعمال الدنيا إلى أعمال الآخرة بالرياء أو من أعمال الآخرة إلى أعمال الدنيا بالهوى وعذابه الرد من حرم القبول والرجع من درجات الوصول. فعلى العاقل التيقظ في الأمور وترك السيآت والشرور فإنه لا يشعر من أين يأتي العذاب من قبل الأعمال الدنيوية أو من قبل الأعمال الأخروية ومن جهل المريد بنفسه وبحق ربه أن يسيء الأدب بإظهار دعوى مثلاً فتؤخر العقوبة عنه إمهالاً له فيظنه إهمالاً فيقول: لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد وأوجب الإبعاد اعتباراً بظاهر الأمر وما ذلك إلا لفقد نور بصيرته أو ضعف نورها وإلا فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر حتى ربما ظن أنه متوفر في عين تقصير ولو لم يكن من قطع المدد إلا منع المزيد لكان قطعاً لأن من لم يكن في زيادة فهو في نقصان. قال بعضهم: الزم الأدب ظاهراً وباطناً فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهراً ولا أساء أحد الأدب في الباطن إلا عوقب باطناً من ضيع الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن القبول. وقال رويم لابن خفيف: اجعل عملك ملحاً وأدبك دقيقاً، وفي «المثنوي»:

ازخـدا جـويـيـم تـوفـيـق وأدب بى أدب محروم كشت از لطف رب
بـى أدب تـنـهـانـه خـودرا داشـت بـد بـلـكـه آتـش درهـمـه آفـاق زد
هـركـه نـامـردى كـنـددر راه دوسـت رهـزن مـردان شـدونـا مـرد اوسـت

اللهم اجعلنا من المتأدبين بآداب حبيبك وأصحابك إلى يوم السؤال وجوابه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾

﴿أولم يروا﴾ الهمزة للإنكار وهي داخلة في الحقيقة على النفي وإنكار النفي نفي له ونفي النفي إثبات. والرؤية هي البصرية المؤدية إلى التفكر والضمير لكفار مكة أي: ألم ينظروا ولم يروا ﴿إلى ما خلق الله﴾ أي: قد رأوا أمثال هذه الصنائع فما لهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه ﴿من شيء﴾ بيان لما الموصولة أي: من كل شيء ﴿يتفيؤوا ظلاله﴾ أي: ترجع شيئاً فشيئاً من جانب إلى جانب وتدور من موضع إلى موضع حسبما تقتضيه إرادة الخالق فإن التفيؤ مطاوع الافاءة. قال في «تهذيب المصادر»: التفيؤ [باز آمدن سايه بعد از انتصاف النهار] ولا يكون التفيؤ إلا بالعشي قال الله تعالى: ﴿يتفيؤوا ظلاله﴾ انتهى. والظلال جمع الظل وهو بالفارسية [سايه] والجملة صفة لشيء. قال في «الإرشاد»: ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والأشجار والأحجار التي لا يظهر لظلالها أثر سوى التفيؤ بارتفاع الشمس وانحدارها وأما الحيوان فظله يتحرك بتحركه. وفي «التبيان» يريد به الشجر والنبات وكل جسم قائم له ظل ﴿عن اليمين والشمائل﴾ متعلق بيتفيأ. والشمائل جمع شمال. بالجر ضد اليمين وبالفتح الريح التي مهبها بين مطلع الشمس وبنات نعش أو من مطلع النعش إلى مسقط النسر الطائر كما في «القاموس» أي: ألم يروا الأشياء التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها أي: عن جانبي كل واحد منها وشقيه. وفي «التبيان» أي في أول النهار عن اليمين وفي آخره عن الشمال يعني من جانب إلى جانب إذا كنت متوجهاً إلى القبلة استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء وتوحيد اليمين وجمع الشمائل لأن مذهب العرب إذا اجتمعت علامتان في شيء واحد أن يلغي واحد ويكتفي بأحدهما كقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] كذا في «الأسئلة المقحمة».

والإشارة أن المخلوقات على نوعين. منها ما خلق من شيء كعالم الخلق وهو عالم الأجسام. ومنها ما خلق من غير شيء كعالم الأمر وهو عالم الأرواح كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩] يعني خلقت روحك من قبل خلق جسدك ومنه قوله عليه السلام «إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي ألف عام» كذا في «التأويلات النجمية» ﴿سجداً لله﴾ أي: حال كون تلك الظلال ساجدين لله دائرين على مراد الله في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له في التفيؤ ﴿وهم داخرون﴾ يقال: دخر كمنع وفرح دخوراً ودخراً صغر وذل وادخره كما في «القاموس» وهو حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى إذ المراد ظلال كل شيء وإيراد صيغة الخاصة بالعقلاء لأن الدخور من

خصائصهم أو لأن من جملة ذلك من يعقل فغلب. والمعنى ترجع الظلال من جانب إلى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها منقادة لما قدر لها من التفيؤ والحال أن أصحابها من الأجرام داخرة أي: صاغرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به وبعدما بين سجود الظلال من الأجرام السفلية الثابتة في أحيازها ودخورها له سبحانه شرع في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالإرادة سواء كانت لها ظلال أم لا فقيل: ﴿**ولله يسجد**﴾ أي: له تعالى وحده ويخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالاً واشتراكاً فالقصر ينتظم القلب والإفراد ﴿**ما في السموات**﴾ من العلويات قاطبة ودخل فيه الشمس والقمر والنجوم ﴿**وما في الأرض**﴾ كائناً ما كان ﴿**من دابة**﴾ بيان لما في الأرض فإن قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥] يدل على اختصاص الدابة بما في الأرض لأن ما في السماء لا يخلق بطريق التولد وليس لهم دبيب بل لهم أجنحة يطيرون بها. يقول الفقير: الظاهر أن الطيران لا ينافي الدبيب وقد نقل أن في السماء خلقاً يدبون ودبيبه لا يستلزم كونه مخلوقاً من الماء المعهود إذ من الماء كل شيء حي فيكون من دابة بياناً لما في السماء والأرض وما عام للعقلاء وغيرهم. وفي «الأسئلة المقحمة» أن ما لا يعقل أكثر عدداً ممن يعقل فغلب جانب ما لا يعقل لأنه أكثر عدداً ﴿**والملائكة**﴾ عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيماً وإجلالاً ﴿**وهم**﴾ أي: والحال أن الملائكة مع علو شأنهم ﴿**لا يستكبرون**﴾ لا يتعظمون عن عبادته والسجود له بل يتذللون فكل شيء بين يدي صانعه ساجد بسجود يلائم حاله كما أن كل شيء يسبح بحمده تسبيحاً يلائم حاله فتسبيح بعضهم بلسان القال وتسبيح بعضهم بلسان الحال والله يعلم لسان حالهم كما يعلم لسان قالهم، وفي «المثنوي»:

چون مسبح كرده هر چيزرا ذات بى تميز وباتميز را
هر يكى تسبيح بر نوع دكر كويد او ازحال آن اين بى خبر
آدمي منكر ز تسبيح جماد وان جماد اندر عبادت او ستاد

واعلم أن الله تعالى أعطى لكل شيء من أصناف المخلوقات من الحيوانات إلى الجمادات سمعاً وبصراً ولساناً وفهماً به يسمع كلام الحق ويبصر شواهد الحق ويكلم الحق ويفهم إشارة الحق كما أخبر الله تعالى عن حال السموات والأرض وهما في العدم أعطاهما سمعاً به سمعتا قوله ائتيا طوعاً أو كرهاً وأعطاهما فهما به فهمتا كلامه وأعطاهما لساناً به قالتا أتينا طائعين فكل شيء يسبح الله بذلك اللسان ويسجد له بذلك الطوع. فمن هذا اللسان الملكوتي معجزة النبي عليه السلام كانت الحصى تسبح في يده. وكذلك الأحجار الثلاثة كلمت داود عليه السلام واوّبت الجبال معه ولما قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤] فلا يبعد أن يسجد لله كل شيء وإن لم نفقه سجوده. قال الكاشفي: [درين آيت سجده بايد كرد واين سجده سوم است از سجدهاى قرآني. وحضرت شيخ قدس سره در فتوحات اين را سجود عالم بالا وادنا خوانده كه در مقام ذلت وخوف حق را سجده مى كنند پس بنده بايدكه درين محل بدين صفت موسوم شود خودرا بزمره ساجدان كنجايش دهد] ﴿**يخافون ربهم**﴾ أي: مالك أمرهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون. ﴿**من فوقهم**﴾ أي: يخافونه تعالى خوف هيبة وإجلال وهو فوقهم بالقهر لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٨] فهو حال من ربهم. قال في «التبيان» عند قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ

﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ يعني الغالب عباده وفوق صلته انتهى. أو يخافون أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم فهو متعلق بيخافون.

قال في «التأويلات النجمية»: معنى ﴿يخافون ربهم﴾ أي: يأتيهم العذاب ﴿من فوقهم﴾ إن عصوه ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ أي: ما يأمرهم الخالق من الطاعات والتدبيرات من غير تثاقل عنه وتوان فيه وفيه أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهي والوعد والوعيد وبين الخوف والرجاء وفي الحديث «إن لله ملائكة في السماء السابعة سجد منذ خلقهم الله إلى يوم القيامة ترعد فرائصهم من مخافة الله فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم وقالوا ما عبدناك حق عبادتك» كذا في «تفسير أبي الليث».

ويقال من لسان الإشارة أن الأمطار والمياه دموع الملائكة والأرض فهم يخافون الله تعالى بقدر ما وسعهم من معرفة جلاله فما بال الإنسان يمشي آمناً ضاحكاً مع سوء حاله والله الهادي.

﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وقال الله﴾ لجميع المكلفين ﴿لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ تأكيد ﴿إنما هو إله واحد﴾ لا شريك له ولا شبيه:

از همه در صفات ذات خدا ليس شيء كمثله أبدا

﴿فإياي﴾ لا غيري ﴿فارهبون﴾.

خافون ﴿وله﴾ وحده خلقاً وملكاً ﴿ما في السماوات﴾ من الملائكة ﴿والأرض﴾ من الجن والإنس ﴿وله الدين﴾ أي: الطاعة والانقياد من كل شيء في السموات والأرض وما بينهما ﴿واصباً﴾ حال من الدين أي: واجباً ثابتاً لا زوال له لأنه الاله وحده الواجب أن يرهب منه يقال وصب يصب وصوباً أي: دام وثبت. ﴿أفغير الله تتقون﴾ الهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر أي: أبعد العلم بما ذكر من التوحيد واختصاص الكل به خلقاً وملكاً غير الله تطيعون فتتقون.

﴿وما بكم﴾ أي: أيُّ شيء يلابسكم ويصاحبكم ﴿من نعمة﴾ أي: نعمة كانت كالغني وصحة الجسم والخصب ونحوها ﴿فمن الله﴾ فهي من قبل الله فما شرطية أو موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الإخبار دون الحصول فإن ملابسة النعمة بهم سبب للإخبار بأنها منه تعالى لا لحصولها منه ﴿ثم إذا مسكم الضر﴾ أي: الفقر والبلاء في جسدكم والقحط ونحوها مساساً يسيراً. ﴿فإليه تجأرون﴾ تتضرعون في كشفه لا إلى غيره. والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا﴾ [ناكاه] ﴿فريق منكم﴾ وهم كفاركم ﴿بربهم يشركون﴾.

﴿ليكفروا﴾ بعبادة غيره ﴿بما آتيناهم﴾ من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة ففي اللام استعارة تبعية وقوله ليكفروا من الكفران وقيل اللام لام العاقبة ﴿فتمتعوا﴾ بقية آجالكم أي: فعيشوا وانتفعوا بمتاع الحياة الدنيا أياماً قليلة وهو أمر تهديد ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة أمركم وما ينزل بكم من العذاب.

وفي الآيات إشارات: منها أن أكثر الخلق اتخذوا مع الله إلهاً آخر وهو الهوى وهو ما يميل إليه الطبع وتهواه النفس بمجرد الاشتهاء من غير سند مقبول ودليل معقول قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] فلهذا قال: ﴿إلهين﴾ وما قال آلهة لأنه ما عبد إلهاً آخر إلا بالهوى ولذلك قال ﷺ: «ما عُبِدَ إله أبغض على الله من الهوى» فقال: ﴿إنما هو إله واحد﴾ أي: الذي خلق الهوى وسائر الآلهة ﴿فإياي فارهبون﴾ فإني أنا الذي يستحق أن يرغب إليه ويرهب منه لا الهوى والآلهة فإنهم لا يقدرون على نفع ولا ضر. وعن بعضهم قال: انكسرت بنا السفينة وبقيت أنا وامرأتي على لوح وقد ولدت في تلك الحالة صبية فصاحت بي وقالت: يقتلني العطش فقلت: هوذا يرى حالنا فرفعت رأسي فإذا رجل في الهواء جالس وفي يده سلسلة من ذهب فيها كوز من ياقوت أحمر فقال: هاك اشربا فأخذت الكوز وشربنا منه فإذا هو أطيب رائحة من المسك وأبرد من الثلج وأحلى من العسل فقلت: من أنت؟ يرحمك الله فقال: عبد لمولاك فقلت: بم وصلت إلى هذا؟ قال: تركت الهوى لمرضاته فأجلسني على الهواء ثم غاب عني فلم أره رضي الله عنه.

ومن الإشارات أن كاشف الضر هو الله تعالى فمن أراد كشفه عن الأسباب لا عن المسبب فقد أشرك ألا ترى أن وكيل السلطان إذا قضى لك حاجة فأنت وإن كنت شاكراً لفعله ولكن إنما تدعو في الحقيقة للسلطان حيث قلد العمل لمثل هذا فحاجتك إنما قضيت في الحقيقة من قبل السلطان من حيث إن فعل هذا خلف حجاب الأسباب لا بالأسباب فافهم. ومنها أن الكفران سبب لزوال النعمة، وفي «المثنوي»:

باشد آن كفران نعمت در مثال ... كه كنى با محسن خود توجدال
كه نمى آيد مرا اين نيكوئى ... من بر نجم زين چه رنجه ميشوى
لطف كن اين نيكوئى رادور كن ... من نخواهم عاقبت رنجور كن

نسأل الله العصمة من الكفار وعذابه.

﴿ويجعلون﴾ أي: كفار مكة ﴿لما لا يعلمون﴾ أي: للأصنام التي لا يعلم الكفار حقيقتها وقدرها الخسيس ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله تعالى ﴿نصيباً﴾ [بهره] ﴿مما رزقناهم﴾ من الزرع والأنعام وغيرهما تقرباً إليها فقالوا: هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وهو مذكور في الأنعام ويحتمل أن يعود ضمير لا يعلمون إلى الأصنام وصيغة جميع العقلاء لكون ما عبارة عن آلهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء أي: الأشياء التي غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيباً وحظاً في أنعامهم وزروعهم أم لا ﴿تالله لتسألن﴾ سؤال توبيخ وتقريع ﴿عما كنتم تفترون﴾ في الدنيا بأنها آلهة حقيقة بأن يتقرب إليها. وفيه إشارة إلى أن أصحاب النفوس والأهواء يجعلون مما رزقهم الله من الطاعات نصيباً بالرياء لمن لا علم لهم بأحوالهم ليحسنوا في حقهم ظناً ويكتسبوا عندهم منزلة وهم غافلون فارغون عن توهمهم وافترائهم في نفوسهم عليهم:

بروى ريا خرقه سهلست دوخت كرش باخدا درتواني فروخت

﴿ويجعلون لله البنات﴾ هم خزاعة وكنانة كانوا يقولون الملائكة بنات الله [وسخن بعضى از كفار اين بود كه حق تعالى باجن مصاهرت كرد وملائكة متولد شد نعوذ بالله] ﴿سبحانه﴾ [پاكست خداى از قول ايشان كه ميكويند خداى تعالى دختران دارد] ﴿ولهم ما يشتهون﴾ من البنين أي: يختارون لأنفسهم الأولاد الذكور ما مرفوعة المحل على أنها مبتدأ والظرف المقدم خبره والجملة حالية ثم وصف كراهتهم البنات لأنفسهم فقال:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ البشارة بمعنى الإخبار على الوضع الأصلي والمضاف مقدر أي: أخبر بولادتها [يعني: چون كسى را از كافران خبر دهندكه ترا دخترى متولد شده]. ﴿ظل وجهه﴾ أي: صار من الظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها أو هو بمعناه يقال ظل يفعل كذا إذا فعله نهاراً أي: دام النهار كله لأن أكثر الوضع يتفق بالليل ويتأخر أخبار المولود إلى النهار وخصوصاً بالأنثى فيظل نهاره ﴿مسودا﴾ [سياه ازاندوه وغم وشرمندكى درميان قوم] واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو بالفارسية [خجل كردن] يقال شوربه فعل به فعلاً يستحيى منه فتشور ﴿وهو كظيم﴾ مملوء غضباً على المرأة لأجل ولادتها الأنثى. ومن هنا أخذ المعبرون من رأى أو رؤي له أن وجهه أسود فإن امرأته تلد أنثى.

﴿يتوارى﴾ يستخفى ﴿من القوم﴾ [از كروه آشنايان وخويشان]. ﴿من سوء ما بشر به﴾ أي: من أجل سوء المبشر به ومن أجل تعييرهم والتعبير عنها بما لإسقاطها عن درجة العقلاء. ﴿أيمسكه﴾ التذكير باعتبار ما أي متردداً في أمره ومحدثاً نفسه في شأنه أيمسك ذلك المولود ويتركه. ﴿على هون﴾ ذل وهوان للعمل والاستقاء والخدمة فهو حال من المفعول أي: يمسكها مهانة ذليلة ويحتمل أن يكون حالاً من الفاعل أي: يمسكها مع رضاه بهوان نفسه. ﴿أم يدسه﴾ يخفيه ﴿في التراب﴾ بالوأد يعني: [زنده در كور كند چنانچه بنو تميم وبنو مضر ميكردند] ولقد بلغ بهم المقت إلى أن يهجر بعضهم البيت الذي فيه المرأة إذا ولدت أنثى ﴿ألا ساء﴾ [بدانيدكه بدست]. ﴿ما يحكمون﴾ [آنچه حكم ميكنند مشركان يعني دخترانرا كه پيش ايشان قدر وحرمت نداند بخداى نسبت ميدهند] ويختارون لأنفسهم البنين فمدار الخطأ جعلهم ذلك لله مع إبائهم إياه.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ ممن ذكرت قبائحهم ﴿مثل السوء﴾ صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح وهي الحاجة إلى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وإيثار الذكور للاستظهار بهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الإملاق مع احتياجهم إليهن طلب النكاح المنادى كل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ المنفور. ﴿ولله المثل الأعلى﴾ أي: الصفة العجيبة الشأن التي هي مثل في العلو مطلقاً وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والوجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين. ﴿وهو العزيز﴾ المتفرد بكمال القدرة لا سيما على مؤاخذتهم ﴿الحكيم﴾ الذي يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة ومن حكمته أن خلق الذكور والإناث. فعلى

العاقل أن يستسلم لأمر الله تعالى وينقاد لحكمه فإن كل ظهور إنما هو منه تعالى وبإرادته والله تعالى إذا أراد شيئاً فليس للعبد أن يريد خلافه فإنه لا يكون أبداً، قال الحافظ:

بدردوصاف ترا نيست حكم دم دركش كه هرچه ساقىء ما كرد عين الطافست

وفي «الشرعة»: ويزداد فرحاً بالبنات مخالفة لأهل الجاهلية وفي الحديث «من بركة المرأة تبكيرها بالبنات» أي: يكون أول ولدها بنتاً ألم تسمع قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩] حيث بدأ بالاناث وفي الحديث «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار» والابتلاء هو الامتحان لكن أكثر استعمال الابتلاء في المحن والبنات قد تعد منها لأن غالب هوى الخلق في الذكور. وفسر بعض شراح المصابيح الإحسان إليهن بالتزويج بالاكفاء لكن الاوجه أن يعمم. قال بعض الفقهاء: لا يزوج بنته معتزلياً فإن اختلاف الاعتقاد بين السني والبدعي كاختلاف الدين وشأن التقوى الاحتراز عن صحبة غير المجانس ومصاهرته:

آن يكى را صحبت اخيار يار لا جرم شد پهلوى فجار جار

وقال ﷺ: «سألت الله أن يرزقني ولداً بلا مؤونة فرزقني البنات» وقال: «لا تكرهوا البنات فإني أبو البنات». ومن لطائف «الروضة» سأل الحجاج بعض جلسائه عن أرق الصوت عندهم فقال أحدهم: ما سمعت صوتاً أرق من صوت قارىء حسن الصوت يقرأ كتاب الله في جوف الليل قال ذلك الحسن وقال آخر ما سمت صوتاً أعجب من أن أترك امرأتي ماخضاً وأتوجه إلى المسجد بكيراً فيأتيني آت فيبشرني بغلام فقال: واحسناه فقال شعبة بن علقمة التميمي لا والله ما سمعت قط أعجب إلي من أن أكون جائعاً فاسمع خفخفة الخوان فقال الحجاج أبيتم يا بني تميم إلا الزاد.

أيها المحبوس في رهن الطعام سوف تنجو إن تحملت الفطام

چون ملك تسبيح حق راكن غذا تارهى همچون ملائك از اذى

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

﴿ولو يؤاخذ الله﴾ فاعل هنا بمعنى فعل **﴿الناس﴾** أي: الكفار **﴿بظلمهم﴾** بكفرهم ومعاصيهم **﴿ما ترك عليها﴾** أي: على الأرض المدلول عليها بالناس وبقوله: **﴿من دابة﴾** لأنها ما يدب على الأرض والعرب تقول: فلان أفضل من عليها وفلان أكرم من تحتها فيردون الكناية إلى الأرض والسماء من غير سبق ذكر لظهور الأمر بين يدي كل متكلم وسامع ومن هذا القبيل قولهم والذي شقهن خمساً من واحدة يعني الأصابع من اليد ولم يقل على ظهرها احترازاً عن الجمع بين الظاءين في كلام واحد وهو لو وجوابه فإنه ثقيل في كلام العرب. والمعنى ما ترك على وجه الأرض من دابة قط بل أهلكها بالكلية بشوم ظلم الظالمين كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] فهلاك الدواب بآجالها وهلاك الناس عقوبة. وعن أبي هريرة أنه سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال:

بلى والله حتى أن الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: لو عذب الله الخلائق بذنوب بني آدم لأصاب العذاب جميع الخلائق حتى الجعلان في جحرها ولأمسكت السماء عن الأمطار ولكن أخرهم بالعفو والفضل. يقول الفقير: إن أثر الظلم ضار صورة ومعنى وذلك أن أحداً إذا أحرق بيته يسري ذلك إلى بيوت المحلة بل البلدة ويحترق بسببه الدواب والهوام.

بى أدب تنهانه خودرا داشت بد بلكه آتش درهمه آفاق زد

﴿ولكن﴾ لا يؤاخذهم بذلك بل ﴿يؤخرهم﴾ يمهلهم بحلمه ﴿إلى أجل مسمى﴾ أي: معين لأعمارهم أو لعذابهم كي يتوالدوا ويتناسلوا أو يكثر عذابهم ﴿فإذا جاء﴾ [پس چون بيايد] ﴿أجلهم﴾ المسمى ﴿لا يستأخرون﴾ عن ذلك الأجل أي: لا يتأخرون. وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له:

كه يك لحظه صورت نبندد امان چو پيمانه پرشد بدور زمان

﴿ساعة﴾ أقصر وقت وهي مثل في قلة المدة ﴿ولا يستقدمون﴾ أي: لا يتقدمون وإنما تعرض لذكره مع أنه لا يتصور الاستقدام عند مجيء الأجل مبالغة في عدم الاستيخار بنظمه في سلك ما يمتنع.

﴿ويجعلون لله﴾ أي: يثبتون له سبحانه وينسبون إليه في زعمهم ﴿ما يكرهون﴾ لأنفسهم من البنات ومن الشرك في الرياسة ﴿و﴾ مع ذلك ﴿تصف﴾ تقول ﴿ألسنتهم الكذب﴾ مفعول تصف وهو ﴿أن لهم الحسنى﴾ بدل الكل من الكذب أي: العاقبة الحسنى عند الله وهي الجنة إن كان البعث حقاً كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] فلا ينافي قولهم لا يبعث الله من يموت فإنه يكفي في صحته الفرض والتقدير. وعن بعضهم أنه قال لرجل من الأغنياء: كيف تكون يوم القيامة إذا قال الله هاتوا ما دفع إلى السلاطين وأعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الأموال الفاخرة وإذا قال ما دفع إليّ فيؤتى بالكسر والخرق وما لا مؤونة له أما تستحي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية ﴿لا جرم﴾ رد لكلامهم ذلك وإثبات لنقيضه وهو مصدر بمعنى حقاً. وبالفارسية [حق چنين است كه فردا قيامت] ﴿أن لهم﴾ مكان ما أملوا من الحسنى ﴿النار﴾ التي ليس وراءها عذاب وهي علم في السوء ﴿وأنهم مفرطون﴾ أي: مقدمون إلى النار معجلون إليها من أفرطته إذا قدمته في طلب الماء أو منسيون متركون في النار من أفرطت فلاناً خلفي إذا خلفته ونسيته خلفك ثم سلى رسوله عما يناله من جهالات الكفرة ليصبر على أذاهم فقال:

﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك﴾ أي: رسلاً إلى من تقدمك من الأمم فدعوهم إلى الحق فلم يجيبوا إلى ذلك. ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ القبيحة من الكفر والتكذيب بالرسل فعكفوا عليها مصرين. ﴿فهو﴾ أي الشيطان ﴿وليهم﴾ أي: قرينهم وبئس القرين ﴿اليوم﴾ أي: يوم زين لهم الشيطان أعمالهم فيه على طريقة حكاية الحال الماضية أو في الدنيا تولى إضلالهم بالغرور فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ويوم القيامة وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصر غيره فهذه حكاية حال آتية أي: في حال كونهم معذبين في النار والولي بمعنى الناصر. يقول الفقير الظاهر أن المراد باليوم يوم النبي ﷺ وعصره وبالضمير في ولاهم أعقابهم وأنسابهم من الكفرة المعاصرين والله أعلم. ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ هو عذاب النار.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وما أنزلنا عليك الكتاب﴾ أي: القرآن لعلة من العلل ﴿إلا لتبين لهم﴾ أي: للناس ﴿الذي اختلفوا فيه﴾ من التوحيد وأحوال المعاد والحلال والحرام والمراد بالمختلفين المؤمنون والكافرون كما في «الكواشي» ﴿وهدى ورحمة﴾ معطوفان على محل لتبين وانتصابهما لأنهما فعلا الذي أنزل الكتاب بخلاف التبيين فإنه فعل المخاطب لا فعل المنزل أي: وللهداية من الضلالة والرحمة من العذاب ﴿لقوم يؤمنون﴾ وتخصيصهم لأنهم المنتفعون بالقرآن. قال سهل بن عبد الله: لا يتصل أحد بالله حتى يتصل بالقرآن ولا يتصل بالقرآن حتى يتصل بالرسول ولا يتصل بالرسول حتى يتصل بالأركان التي قام بها الإسلام.

ـ وحكي ـ عن مالك بن دينار أنه قال: يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض. وعن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون فتنة» قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما كان بعدكم وحكم ما بينكم وهو العلم وهو الفصل ليس بالهزل لا تشبع منه العلماء وهو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه فقد هدي إلى صراط مستقيم». ثم إن تبيين أحكام القرآن للعامة وحقائقه للخاصة، إنما هو لرسول الله ﷺ بالأصالة والاستقلال ولورثته بعده قرناً بعد قرن بالفرعية، والتبعية. فعلماء الظواهر يخلصون الناس من الاختلاف فيما يتعلق بالظواهر بالبيان الصريح. وعلماء البواطن يخلصونهم من الاختلاف فيما يتعلق بالبواطن بالكشف الصحيح ولكل منهم مشرب لا يخيب وارده وهم أساطين الدين وسلاطين المسلمين.

واعلم أن الاتعاظ بالمواعظ القرآنية يدخل العبد في السعادة الباقية ويخلصه من الحظوظ النفسانية.

ـ حكي ـ أن إبراهيم بن أدهم سر ذات يوم بمملكته ونعمته ثم نام فرأى رجلاً أعطاه كتاباً فإذا فيه مكتوب لا تؤثر الفاني على الباقي ولا تغتر بملكك فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم فسارع إلى أمر الله فإنه يقول: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فانتبه فزعاً وقال: هذا تنبيه من الله تعالى وموعظة وهدى ورحمة فتاب إلى الله واشتغل بالطاعة، قال المولى الجامي قدس سره:

هركه دل برعشوة كيتى نهاد بر حذر باش از غرور وجهل او
دامن أو كير كزهمت فشاند آستين بردنبى وبر اهل او

شرفنا الله وإياكم بالعصمة عن الهوى وبالتمسك بأسباب الهدى.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿والله أنزل من السماء﴾ إلى السحاب ومنه إلى الأرض ﴿ماء﴾ نوعاً خاصاً من الماء وهو المطر ﴿فأحيا به الأرض﴾ أي: أنبت بسبب المطر في الأرض أنواع النباتات ﴿بعد موتها﴾ أي: بعد يبسها شبه تهيج القوى النامية في الأرض وإحداث نضارتها بأنواع النباتات بالإحياء

وهو إعطاء الحياة وهي صفة تقتضي الحس والحركة وشبه يبوستها بعد نضارتها بالموت بعد الحياة وما يفيده الفاء من التعقيب العادي لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة ﴿إن في ذلك﴾ أي: في إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض الميتة به ﴿لآية﴾ دالة على وحدته تعالى وعلمه وقدرته وحكمته إذ الأصنام وغيرها لا تقدر على شيء ﴿لقوم يسمعون﴾ هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكأن من ليس كذلك أصم لا يسمع، وفي «المثنوي»:

چون سليمان سوى مرغان سبا يك صفيرى كرد آن جمله را
جزمكر مرغى كه بدبى جان وپر ياچو ماهى كنك بداز اصل كر
نى غلط كفتم كه كركر سرنهد پيش وحى كبريا سمعش دهد

وقال بعضهم:

﴿والله أنزل من السماء ماء﴾ قرآناً هو سبب حياة المؤمنين فأحيى به قلوب الميتة بالجهل ﴿إن في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾ القرآن يسمع بسمع يسمع به كلام الله من الله فإن الله تعالى متكلم بكلام أزلي أبداً ولا يسمع كلامه إلا من أكرمه الله بسمع يسمع كلامه كقوله تعالى: ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم والحق تعالى تارة يتلو عليك الكتاب من الكبير الخارج وتارة يتلو عليك من نفسك فاسمع وتأهب لخطاب مولاك إليك في أي مقام كنت وتحفظ من الوقر والصمم فالصمم آفة تمنعك عن إدراك تلاوته عليك من الكتاب الكبير وهو الكتاب المعبر عنه بالفرقان والوقر آفة تمنعك من إدراك تلاوته عليك من نفسك المختصرة وهو الكتاب المعبر عنه بالقرآن إذ الإنسان محل الجمع لما تفرق في العالم الكبير وعلامة السامعين المتحققين في سماعهم انقيادهم إلى كل عمل مقرب إلى الله تعالى من جهة سماعه أعني من التكليف المتوجه على اوذن من أمر أو نهي كسماعه للعلم والذكر والثناء على الحق تعالى والموعظة الحسنة والقول الحسن. ومن علامته أيضاً التصامم عن سماع الغيبة والبهتان والسوء من القول والخوض في آية الله والرفث والجدال وسماع القينات وكل محرم حجر الشارع عليك سماعه قال الله تعالى: ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] فالكافر الخائض والمنافق الجليس له المستمع لخوضه كذلك من جالس الصديقين والعارفين في مجالسهم المطهرة وأنديتهم المقدسة فإنه شريك لهم في كل خير ينالون من الله تعالى وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام فيهم: «إنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم» فالمرء مع من جالس في الدنيا بالطاعة والأدب الشرعي وفي الآخرة بالمعاينة والقرب المشهدي نسأل الله تعالى أن يجعلنا مع الصلحاء في الدنيا والآخرة إنه الفياض الوهاب.

﴿وإن لكم﴾ أيها الناس ﴿في الأنعام﴾ جمع نعم بالتحريك وهي الأنواع الأربعة التي هي الإبل والبقر والضأن والمعز. والمعنى بالفارسية: [در وجود چهار پايان] ﴿لعبرة﴾ دلالة يعبر بها من الجهل إلى العلم كأنه قيل: كيف العبرة؟ فقيل: ﴿نسقيكم﴾ [مى آشامانيم شمارا] قال الزجاج سقيته وأسقيته بمعنى واحد. وفي «الأسئلة المقحمة» يقال: أسقيته إذا جعلت له سقياً دائماً وسقيته إذا أعطيته شربه ﴿مما في بطونه﴾ من للتبعيض لأن اللبن بعض ما في بطونه والضمير يعود إلى بعض الأنعام وهو الإناث لأن اللبن لا يكون للكل أو إلى المذكور أي: في بطون ما ذكرنا قاله الكسائي. والمعنى بالفارسية [بعضى از آنچه كه در شكمهاى ذوات ألبانست ازجنس نعم] ﴿من بين فرث ودم لبنا﴾ من ابتدائية متعلقة بنسقيكم لأن بين الفرث والدم مبدأ

الإسقاء والفرث فضالة العلف في الكرش وثفله والكرش للحيوان بمنزلة المعدة للإنسان ﴿خالصا﴾ صافياً ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث ﴿سائغا﴾ بالفارسية [كوارنده] ﴿للشاربين﴾ أي: سهل المرور في حلقهم قيل: لم يغص أحد باللبن قط وليس في الطعام والشراب أنفع منه ألا يرى إلى قوله عليه السلام: «إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه وإذا شرب لبناً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فإني لا أعلم شيئاً أنفع في الطعام والشراب منه». قال في «الكواشي»: المعنى خلق الله اللبن في مكان وسط بين الفرث والدم وذلك أن الكرش إذا طبخت العلف صار أسفله فرثاً وأوسطه لبناً خالصاً لا يشوبه شيء وإعلاء دماً وبينه وبينهما حاجز من قدرة الله لا يختلط أحدهما بالآخر بلون ولا طعم ولا رائحة مع شدة الاتصال ثم تسلط الكبد على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش ثم ينحدر، فإن قلت إن اللبن والدم لا يتوالدان في الكرش إذ البهائم إذا ذبحت لم يوجد في كرشها لبن ولا دم. قلت: المراد كان أسفله مادة الفرث وأوسطه مادة اللبن وأعلاه مادة الدم فالمنحدر إلى الضروع مادة اللبن لا مادة الدم وقول بعضهم: إن الدم ينحدر إلى الضروع فيصير لبناً ببرودة الضرع بدليل أن الضرع إذا كانت فيه آفة يخرج منه الدم مكان اللبن مدفوع بأنه يجوز أن يتلون اللبن بلون الدم بسبب الآفة وهو اللائح بالبال ومن بلاغات الزمخشري.

كما يحدث بين الخبيثين ابن لا يؤبن الفرث والدم يخرج منهما اللبن

أي: كما أن اللبن الطيب الطاهر يخرج من بين الخبيثين اللذين هما الفرث والدم بحيث لا يشوبه شيء من أوصافهما مع كمال الاتصال والاكتناف كذلك يخرج الابن الطيب الطاهر الذي لا يعاب بشيء أصلاً من بين الأبوين الخبيثين بحيث لا يوجد فيه شيء من أوصافهما الخبيثة:

مى زغوره شود شكر ازنى عسل ازنحل حاصلست بقى
مكوزنهار اصل عود چوبست به بين دودش چه مستثنى وخوبست

ـ وسئل ـ شقيق عن الإخلاص فقال: تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم [در قوت القلوب فرموده كه تمامى نعمت بخلوص لبن است يعني اكر دروى يكى از وصفين فرث ودم باشد تمام نعمت نبود وطبع اورا قبول نكند همچنين معامله بندكان باحق بايدكه خالص بود اكر بشوب فرث رياودم هوا آميخته كردد از خلوص دور واز نظر قبول مهجور خواهد بود زيرا كه ريا در عمل شرك خفيست وصفاى عمل بسبب شوب هوا منتفى در ريا نظر بردم است ودر هوا برغرض خود وبر هروجه عمل خالى از آلود كى نيست]:

طاعت آلوده نيايد بكار مشك جكر سوده نيايد بكار
هركه ز آلود كى افتاد پاك پيش نظرها نبود تا بناك

وفي الآية إشارة إلى اعتبار العاقل فيما سقاه الله مما في بطون أنعام النفوس فإنها كالأنعام من بين فرث الخواطر الشيطاني ودم الخواطر النفساني لبناً خالصاً من الإلهام الرباني جائزاً لأهل هذا الشرب على الصراط المستقيم من غير تلعثم كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب﴾ [ومى آشامانيم شمارا از كونه ميوهاوى درختان خرما

ودرختان انكورها] ونسقيكم أيها الناس من عصيرها ونطعمكم ثم بين كنه الاسقاء والإطعام وكشفه بقوله: ﴿تتخذون منه﴾ أي: من عصيرها ﴿سكرا﴾ قال في «القاموس»: السكر محركة الخمر ونبيذ يتخذ من التمر. فالآية سابقة على تحريم الخمر دالة على كراهتها حيث قوبل السكر بالرزق الحسن ومقابل الحسن لا يكون حسناً ﴿ورزقاً حسنا﴾ كالتمر والدبس والزبيب والرب والخل وفي الحديث «خير خلكم خل خمركم». قال في «الروضة» خطب المأمون بمرو فسعل الناس فنادى بهم ألا من كان له سعال فليتداوى بشرب خل الخمر ففعلوا فانقطع سعالهم. قال بعضهم: انظر إلى الأخبار عن نعمة اللبن ونعمة السكر والرزق الحسن لما كان اللبن لا يحتاج إلى معالجة من الناس أخبر عن نفسه بقوله: ﴿نسقيكم﴾ ولما كان السكر والرزق الحسن يحتاج إلى معالجة قال: ﴿تتخذون﴾ فأخبر عنهم باتخاذهم منه السكر والرزق الحسن ﴿إن في ذلك﴾ الإسقاء ﴿لآية﴾ باهرة ﴿لقوم يعقلون﴾ يستعملون عقولهم في الآيات بالنظر والتأمل.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن ثمرات نخيل الطاعات وأعناب المجاهدات تتخذون من ثمرات الطاعات والمجاهدات وهي المكاشفات والمشاهدات ووقائع أرباب الطلب وأحوالهم العجيبة سكراً ورزقاً حسناً السكر ما يجعل منها شرب النفس فتسكر النفس فتارة تميل عن الحق والصراط المستقيم ميلان السكران وتارة تظهر رعوناتها بالأفعال والأقوال رياء وسمعة وشهرة والرزق الحسن ما يكون منها شرب القلب والروح فيزداد منه الشوق والمحبة والصدق والطلب كما قال بعضهم:

شربت الحب كأساً بعد كأس فما نفد الشراب وما رويت

وقالوا:

سقاني شربة أحيى فؤادي بكأس الحب من بحر الوداد

إن في ذلك الاعتبار لدلالة لقوم يدركون بالعقل إشارات الحق ويفهمونها انتهى ما في «التأويلات». قال أهل التحقيق: العقل شجرة ثمرها العلم والحلم فشرف الثمر دال على شرف المثمر وصاحب العقل في قومه كالنبي في أمته. قال بعض العلماء: قسم العقل بألفي جزء: ألف للأنبياء والرسل والملائكة وتسعمائة وتسعة وتسعون جزءاً لمحمد ﷺ ومن الواحد أربعة دوانق للعلماء ودانق لعامة الرجال ونصف دانق للنساء ونصف لأهل القرى والرساتيق. والدانق بفتح النون وكسرها سدس الدرهم. قال حكيم العمر في الدنيا قليل والحسرة في الآخرة طويلة والعبد بعمل نفسه في الآخرة إما عزيز وإما ذليل. فعلى كل عاقل واجب أن يجتهد في إصلاح نفسه قبل أن يأتيه اليقين ويأخذ إشارة من كل رطب ويابس وغث وسمين ويصحو من سكر الغفلة والهوى ويشرب من مشرب التيقظ والهدى، وفي «المثنوي»:

عقل جزؤى را وزير خود مكير عقل كل را ساز اي سلطان وزير

كين هواپر حرص وحالى بين بود عقل را انديشه يوم الدين بود

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وأوحى ربك﴾ يا محمد ﴿إلى النحل﴾ هو ذباب العسل وزنبوره أي: ألهمها وقذف في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه إلا هو مثل قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝﴾ [الزلزلة: ٥] والوحي يقع على كل تنبيه خفي والله تعالى ألهم كل حيوان أن يلتمس منافعه ويجتنب مضاره وقد ألهم الله الغراب أن يبحث في الأرض ليرى قابيل كيف يواري سوءة أخيه هابيل، كما في «المثنوي»:

پس بچنكال اززمين انكيخت كرد زود زاغ مرده را در كور كرد
دفن كردش پس بپوشيدش بخاك زاغ از الهام حق يد علمناك

قال الزجاج: سميت نحلاً لأن الله تعالى نحل الناس العسل الذي يخرج منها إذ النحلة العطية وكفاها شرفاً قول الله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ وكل ذباب في النار إلا ذباب العسل. قال في عجائب المخلوقات: يقال ليوم عيد الفطر يوم الرحمة وفيه أوحى ربك إلى النحل صنعة العسل. قال في «حياة الحيوان»: يحرم أكل النحل وإن كان العسل حلالاً كالآدمية لبنها حلال ولحمها حرام ويكره قتلها وأما بيعها في الكوارة فصحيح أن يشاهد جميعها وإلا فهو بيع غائب فإن باعها وهي ظاهرة. ففي «التتمة» يصح. وفي «التهذيب» عكسه. وقال أبو حنيفة: لا يصح بيع النحل كالزنبور وسائر الحشرات ويجوز بيع دود القز من الذي يصنع به ﴿أن اتخذي﴾ لنفسك أي: بأن اتخذي فإن مصدرية وصيغة التأنيث لأن النحل يذكر ويؤنث ﴿من الجبال﴾ [ازشكاف كوهها] ﴿بيوتاً﴾ [خانه هاى مسدس] أي: مساكن تأوي إليها وسمي ما تبنيه لتعسل فيه بيتاً تشبيهاً ببناء الإنسان لما في بيوته المسدسة المتساوية بلا بركار ومسطر من الحذاقة وحسن الصنعة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين إلا بآلات وأنظار دقيقة واختارت المسدس لأنه أوسع من المثلث والمربع والمخمس ولا يبقى بينها فرج خالية كما تبقى بين المدورات وما سواها من المضلعات ومن للتبعيض لأنها لا تبنى في كل جبل وكذا قوله: ﴿ومن الشجر﴾ لأنها لا تبنى في كل شجر. والمعنى بالفارسية [وازميان درختان نيز خانه كيريد يعنى در بعضى شجر جاى كنيد در جانب كوه وفتى كه مالكى وصاحبي نداشته باشد] وكذا في قوله: ﴿ومما يعرشون﴾ لأنها لا تبنى في كل ما يعرشه الناس أي: يرفعه من الأماكن لتعسل فيها وهذا إذا كان لملاك. وقال بعضهم ومما يعرشون من كرم أو سقف أو جدران أو غير ذلك ولما كان أهم شيء للحيوان بعد الراحة من هم المقيل إلا كل ثنى به ولما كان عاماً في كل ثمر ذكره بحرف التراخي إشارة إلى عجيب الصنع في ذلك وتيسره لها فقال:

﴿ثم كلي﴾ وأشار إلى كثرة الرزق بقوله: ﴿من كل الثمرات﴾ فهو للتكثير كقوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] أو من كل الثمرات المشتهاة عندك من حلوها وحامضها ومرها وغير ذلك فهو عام مخصوص بالعادة ﴿فاسلكي﴾ جواب شرط محذوف أي: فإذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فادخلي. ﴿سبل ربك﴾ في الجبال وفي خلال الشجر أي: طرق ربك التي ألهمك وعرفك الرجوع فيها إلى مكانك من الخلية بعد بعدك عنها حال كون السبل ﴿ذللا﴾ جمع ذلول أي: موطأة للسلوك مسهلة وذلك أنها إذا أجدب عليها ما حولها سافرت إلى المواضع البعيدة في طلب النجعة ثم ترجع إلى بيوتها من غير التباس وانحراف وأشار باسم الرب إلى أنه لولا عظيم إحسانه في تربيتها لما اهتدت إلى ذلك وهذا كما يقال في القطا وهو طائر معروف يضرب به المثل في الهداية ويقال: «أهدى من قطاة»

وذلك أنه يترك فراخه ثم يطلب الماء من مسيرة عشرة أيام وأكثر فيرده فيما بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ثم يرجع فلا يخطي لا صادراً ولا وارداً أي: ذهاباً وإياباً كذا في «شرح الشفاء» ثم اتبعه نتيجة ذلك جواباً لمن قال ماذا يكون من هذا كله فقال: ﴿**يخرج من بطونها**﴾ أي: بطون النحل بالقيء ﴿**شراب**﴾ أي: عسل لأنه مشروب وذلك أن النحل تأكل الأجزاء اللطيفة الطلية الحلوة الواقعة على أوراق الأشجار والأزهار وتمص من الثمرات الرطبة والأشياء العطرة ثم تقيء في بيوتها ادخاراً للشتاء فينعقد عسلاً بإذن الله تعالى وإلى هذا أشار ظهير الفاريابي بقوله:

بدان طمع كه دهن خوش كنى زغايت حرص
نشسته مترصد كه قى كند زنبور

وأما قول علي رضي الله عنه في تحقير الدنيا أشرف الناس ابن آدم فيها لعاب دودة وأشرف شرابه رجيع نحلة فوارد على طريق القبيح وإن كان العسل في نفسه مما يستلذ ويستطاب على أن إطلاق الرجيع عليه إنما هو لكونه مما يحويه البطن. وفي «حياة الحيوان» قد جمع الله تعالى في النحلة السم والعسل دليلاً على كمال قدرته وأخرج منها العسل ممزوجاً بالشمع وكذلك عمل المؤمن ممزوج بالخوف والرجاء وهي تأكل من كل الشجر ولا يخرج منها إلا حلو إذ لا يغيرها اختلاف مآكلها والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، وفي «المثنوي»:

اين كه كرمناست وبالاميرود وحيش از زنبور كى كمتر بود
چونكه اوحى الرب إلى النحل آمدست خانة وحيش پراز حلوا شدست
او بنور وحى حق عز وجل كرد عالم را پراز شمع وعسل

وللعسل أسماء كثيرة. منها الحافظ الأمين لأنه يحفظ ما يودع فيه فيحفظ الميت أبداً واللحم ثلاثة أشهر والفاكهة ستة أشهر وكل ما أسرع إليه الفساد إذا وضع في العسل طالت مدة مقامه وكان عليه السلام يحب الحلواء والعسل. قال العلماء: المراد بالحلواء هٰهنا كل حلو وذكر العسل بعدها تنبيهاً على شرفه ومزيته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام وفيه جواز أكل لذيذ الأطعمة والطيبات من الرزق وأن ذلك لا ينافي الزهد والمراقبة لا سيما إذا حصل إنفاق وفي الحديث «أول نعمة ترفع من الأرض العسل». وقال علي رضي الله عنه: إنما الدنيا ستة أشياء: مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم. فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب. وأشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر. وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة. وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال. وأشرف المشمومات المسك وهو دم حيوان. وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال ﴿**مختلف ألوانه**﴾ من أبيض وأخضر وأصفر وأسود بسبب اختلاف سن النحل فالأبيض يلقيه شباب النحل والأصفر كهولها والأحمر شيبها وقد يكون الاختلاف بسبب اختلاف لون النور. قال حكيم يونان لتلامذته كونوا كالنحل في الخلايا وهي بيوتها قالوا: وكيف النحل في خلاياها؟ قال: إنها لا تترك عندها بطالاً إلا نفته وأقصته عن الخلية لأنه يضيق المكان ويفنى العسل وإنما يعمل النشيط لا الكسل. وعن ابن عمر رضي الله عنهما مثل المؤمن كالنحلة تأكل طيباً وتصنع طيباً ووجه المشابهة بينهما حذق النحل وفطنته وقلة أذاه ومنفعته وتنزهه عن الأقذار وطيب أكله وأنه لا يأكل من كسب غيره وطاعته وأن للنحل آفات تقطعه عن عمله منها الظلمة والغيم والريح

والدخان والماء والنار وكذلك المؤمن له آفات تغيره عن عمله ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام وماء السفه ونار الجوى ﴿فيه﴾ أي: في الشراب وهو العسل ﴿شفاء للناس﴾ أي: شفاء الأوجاع التي يعرف شفاؤها منه يعني أنه من جملة الأشفية المشهورة النافعة لأمراض الناس وليس المراد أنه شفاء لكل مرض كما قال في «حياة الحيوان»، قوله: ﴿فيه شفاء للناس﴾ لا يقتضي العموم لكل علة وفي كل إنسان لأنه نكرة في سياق الإثبات بل المراد أنه يشفي كما يشفي غيره من الأدوية في حال دون حال وكان ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم يحملانه على العموم. قال البيضاوي: ﴿فيه شفاء للناس﴾ إما بنفسه كما في الأمراض البلغمية أو مع غيره كما في سائر الأمراض إذ قلما يكون معجون إلا والعسل جزء منه وأما السكر فمختص به بعض البلاد وهو محدث ولم يكن فيما تقدم من الأزمان يجعل في الأشربة والأدوية إلا العسل.

ـ روي ـ أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي قد اشتكى بطنه فقال: «اسقه عسلاً» فسقاه عسلاً فما زاده إلا استطلاقاً فعاد إلى النبي عليه الصلاة والسلام فذكر له ذلك فقال: «اسقه عسلاً» فسقاه ثانياً فما زاده إلا استطلاقاً ثم رجع فقال: يا رسول الله سقيته فما نفع فقال: «اذهب فاسقه عسلاً فقد صدق الله وكذب بطن أخيك» فسقاه فشفاه الله فبرىء كأنما انشط من عقال وفي الحديث «إن الله جعل الشفاء في أربعة الحبة السوداء والحجامة والعسل وماء السماء» وجاء رجل إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وشكا له سوء الحفظ فقال: أترجع إلى أهل قال: نعم فقال: قل لها تعطيك من مهرها درهمين عن طيب نفس فاشتر بهما لبناً وعسلاً واشربهما مع شربة من ماء المطر على الريق ترزق حفظاً. فسئل الحسن بن الفضل عن هذا فقال: أخذه من قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ [ق: ٩] وفي اللبن ﴿خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦] وفي العسل ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ﴾ [النحل: ٦٩] وفي المهر ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤] فإذا اجتمعت البركة والشفاء والهنيء والمريء والخالص السائغ فلا عجب أن ينفع.

ـ وروي ـ عن عوف بن مالك أنه مرض فقال: ائتوني بماء فإن الله تعالى قال: ﴿وأنزلنا من السماء ماء مباركا﴾ ثم قال: ائتوني بعسل وقرأ الآية ثم قال: ائتوني بزيت من شجرة مباركة فخلط الجميع ثم شربه فشفى، وكان بعضهم يكتحل بالعسل ويتداوى به من كل سقم وإذا خلط العسل الذي لم يصبه ماء ولا نار ولا دخان بشيء من المسك واكتحل به نفع من نزول الماء في العين والتلطخ به يقتل القمل. والمطبوخ منه نافع للسموم ولعقه علاج لعضة الكلب. قال إمام الأولياء محمد بن علي الترمذي قدس سره: إنما كان العسل شفاء للناس لأن النحل ذلت لله مطيعة وأكلت من كل الثمرات حلوها ومرها محبوبها ومكروهها تاركة لشهواتها فلما ذلت لأمر الله صار هذا الأكل كله لله فصار ذلك شفاء للأسقام. فكذلك إذا ذل العبد لله مطيعاً وترك هواه صار كلامه شفاء للقلوب السقيمة انتهى. وفي العسل ثلاثة أشياء: الشفاء والحلاوة واللين. وكذلك المؤمن قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٣] ويخرج من الشاب خلاف ما خرج من الكهل والشيخ كذلك حال المقتصد والسابق. وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء من كل داء أي: في الأبدان والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل:

ريح اكر بسيار شد كى غم خورم   چون شفاوى جان بيمارم تويى

﴿إن في ذلك﴾ أي: في أمر نحل العسل ﴿لآية﴾ حجة ظاهرة دالة على القدرة الربانية ﴿لقوم يتفكرون﴾ أي: للذين تفكروا فعلموا أن النحلة على صغر جسمها وضعف خلقتها لا تهتدي لصنعة العسل بنفسها فإن ذلك بصانع صنعها خالف بينها وبين غيرها من الحشرات الطائرة فاستدل بذلك على خالق واحد قادر لا شريك له ولا شبيه. قال الكاشفي: ﴿لقوم يتفكرون﴾ [مركر وهى راكه تفكر كنند در اختصاص بصنايع دقيقه وأمور رقيقه وهر آينه اينها بوجود نكيرد الاز الهام توانايى ودانايى كه چندين حكمت درجانورى ضعيف وديعت نهد انقيادي دارند كه ازراه فرمان منحرف نشوند امانتى كه ميوه تلخ خورند وعسل شيرين بازدهند ورعى كه جز پاك وپاكيزه نخورند طاعتى كه هركز خلاف فرمان نكنند تمكنى كه فرسنكها بروندوباز با وطن خود رجوع نمايند طهارتي كه هركز برقازورات ننشينند وازان نخورند وصناعتى كه اكر همه بنايان عالم جميع شوند همچو خانهاى مسدس ايشان نتوانند ساخت پس همچنانچه ازعسل ايشان شفاى الم ظاهر حاصل شود ازتفكر احوال ايشان شفاء مرض باطن كه جهلست دست دهد]:

فكر دلرانيك وهم نمكين كند   كام جانرا چون عسل شيرين كند
شربت فكر اربكام جان رسد   چاشنىء آن بماند تا ابد

قال القشيري رحمه الله: إن الله تعالى أجرى سنته أن يخفي كل عزيز في شيء حقير جعل الابريسم في الدود وهو أصغر الحيوانات وأضعفها والعسل في النحل وهو أضعف الطيور وجعل الدر في الصدف وهو اوحش حيوان من حيوانات البحر وأودع الذهب والفضة والفيروزج في الحجر وكذلك أودع المعرفة والمحبة في قلوب المؤمنين وفيهم من يخطىء وفيهم من يعصي ومنهم من يعرف ومنهم من يجعل أمره:

كسى راكه نزديك ظنت بداوست   ندانى كه صاحب ولايت هم اوست

قال في «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى أن تصرف كل حيوان في الأشياء مع كثرتها واختلاف أنواعها إنما هو بتعريف الله تعالى إياه وإلهامه على قانون حكمته وإرادته القديمة لا من طبعه وهواه. وإنما خص النحل بالوحي وهو الإلهام والرشد من بين سائر الحيوانات لأنها أشبه شيء بالإنسان لا سيما بأهل السلوك فإن من دأبهم وهجيراهم أن يتخذوا من الجبال بيوتاً اعتزالاً عن الخلق وتبتلاً إلى الله تعالى كما كان حال النبي ﷺ حيث كان يتحنث إلى حراء أسبوعاً وأسبوعين وشهراً وإن من شأنهم النظافة في الموضع والملبوس والمأكول كذلك النحل من نظافتها تضع ما في بطنها على الحجر الصافي أو على خشب نظيف لئلا يخالطه طين أو تراب ولا تقعد على جيفة ولا على نجاسة احترازاً عن التلوث كما يحترز الإنسان عنه وثمرات البدن الأعمال الصالحة وثمرات النفوس الرياضات والمجاهدات ومخالفات الهوى وثمرات القلوب ترك الدنيا وطلب العقبى والتوجه إلى حضرة المولى وثمرات الأسرار شواهد الحق والتطلع على الغيوب والتقرب إلى الله فهذه كلها أغذية الأرواح والله تعالى قال للنحل ﴿كلي من كل الثمرات﴾ وقال مثله للسالكين ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١] ﴿والله﴾ المحيط بكل شيء علماً وقدرة ﴿خلقكم﴾ أوجدكم وأخرجكم من العدم إلى الوجود. وبالفارسية [ازظلمت آبادنا بود بصحراى انوار وجود آورد] ﴿ثم يتوفاكم﴾ أي: يقبض أرواحكم على اختلاف الأسنان صبياناً وشباناً وكهولاً فلا يقدر الصغير على أن يؤخر ولا

الكبير على أن يقدم فمنكم من يموت حال قوته ﴿ومنكم من يرد﴾ قبل توفيه أي: يعاد ﴿إلى أرذل العمر﴾ أخسه وأحقره وهو الهرم والخرف الذي يعود فيه كهيئته الأولى في أوان طفوليته ضعيف البنية ناقص القوة والعقل قليل الفهم وليس له حد معلوم في الحقيقة لأنه رب ابن ستين انتهى إلى أرذل العمر ورب ابن مائة لم يرد إليه. وقال قتادة: إذا بلغ تسعين سنة يتعطل عن العمل والتصرف والاكتساب والحج والغزو ونحوها ولذا دعا محمد بن علي الواسطي لنفسه فقال:

يا رب لا تحيني إلى زمن أكون فيه كلاً على أحد
خذ بيدي قبل أن أقول لمن ألقاه عند القيام خذ بيدي

وسأل الحجاج شيخاً كيف طعمك؟ قال: إذا أكلت ثقلت وإذا تركت ضعفت فقال: كيف نومك؟ قال: أنام في المجمع وأسهر في المهجع فقال: كيف قيامك وقعودك؟ قال: إذا قعدت تباعدت عني الأرض وإذا قمت لزمتني فقال: كيف مشيك؟ قال: تعقلني الشعرة وتعثرني البعرة ﴿لكي لا يعلم بعد علم شيئا﴾ ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في سوء الفهم والنسيان وأن يعلم شيئاً ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه فمؤدى الكلام لينسى ما يعلم وهو يستلزم أن لا يعلم زيادة علم على علمه لأنه إذا كان حاله بحيث ينسى ما علم فكيف يزيد علمه واللام في لكي هي لام كي دخلت على كي للتأكيد وهي متعلقة بيرد. وقال بعضهم: اللام جارة وكي حرف مصدري كأن وشيئاً مفعول لا يعلم. ﴿إن الله عليم﴾ بمقادير أعماركم. قال الكاشفي: [داناست وجهل بردانايى او طارى نشود]. ﴿قدير﴾ [تواناست وعجز برتوانايى اوراه نيايد] أي: قدير على كل شيء يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفاني، قال الشيخ سعدي قدس سره:

اى بسا است تيزروكه بماند كه خرلنك جان بمنزل برد
پس كه درخاك تن درستانرا دفن كردند وزخم خورده نمرد

وفيه تنبيه على أن تفاوت الآجال ليس إلا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدّل أمزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ. قالوا: أسنان الإنسان سبعة أطوار: طور الطفولية إلى سبع سنين. ثم الصبي إلى أربع عشرة سنة. ثم الشباب إلى اثنتين وثلاثين سنة، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة، ثم الهرم إلى منتهى العمر. وفي «الإرشاد»: ضبطوا مراتب العمر في أربع: الأولى سن النشو والنماء، والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب، والثالثة سن الانحطاط القليل وهي سن الكهولة، والرابعة سن الانحطاط الكثير وهي سن الشيخوخة ولا عمر أسوأ حالاً من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة وعند إخلاله لا يوجد له شفاء ولا يمنعه دواء وكان رسول الله ﷺ يدعو «أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات». قال بعضهم: حكم الهرم إنما يظهر في حق الكافر لأن المسلم يزداد عقله لصلاحه في طول عمره كرامة له وفي الحديث «من قرأ القرآن لم يردّ إلى أرذل العمر» وكذا من يتدبره ويعمل به كما في «تفسير العيون». يقول الفقير: لا شك أن الجنون والعته ونحوهما من صفات النقصان فالله تعالى لا يبتلي كامل الإنسان أنبياء وأولياء فالمراد بقولهم: إن العلماء لا يعرض لهم العته وإن بلغوا إلى أرذل العمر علماء الآخرة والعلماء بالله لا مطلق العلماء كما لا يخفى إذ قد شاهدنا من علماء

زماننا من صار حاله إلى حال الطفولية ثم إن أرذل العمر وإن كان أشد الأزمان وأصعبها لكنه أوان المغفرة ورفعة الدرجة وفي الحديث: «إذا بلغ المرء ثمانين سنة أثبتت حسناته ومحيت سيآته وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله ذنبه ما تقدم منه وما تأخر وكان أسير الله في الأرض وشفيعاً لأهل بيته يوم القيامة».

ـ روي ـ أن رجلاً قال للنبي عليه الصلاة والسلام: أصابني فقر فقال: «لعلك مشيت أمام شيخ» وأول من شاب من ولد آدم إبراهيم عليه السلام فقال: يا رب ما هذا؟ قال: هذا نوري فقال: رب زدني من نورك ووقارك وكان الرجل في القرون الأولى لا يحتلم حتى يأتي عليه ثمانون سنة. وعن وهب أن أصغر من مات من ولد آدم ابن مائتي سنة. قال بعض المشايخ: هذه الأمة وإن كانت أعمارهم قصاراً قليلة لكن أمدادهم كثيرة وهم ينالون في زمن قصير ما ناله الأقدمون في مدة طويلة من المرتبة وهذا فضل من الله تعالى. قال حكيم: إن خير نصفي عمر الرجل آخره يذهب جهله ويثوب حلمه ويجتمع رأيه وشرّ نصفي عمر المرأة آخره يسوء خلقها ويحد لسانها ويعقم رحمها وفي الحديث «خير شبابكم من تشبه بكهولكم وشر كهولكم من تشبه بشبابكم». يقول الفقير: هذا يشمل التشبه بأنواعه في الأقوال والأحوال والأفعال والقيام والقعود واللباس ونحوها فالصوفي شيخ في المعنى لأن مراده الفناء عن الأوصاف كلها فينبغي له أن يلبس لباس الكهول وإن كان شاباً وفي الحديث: «من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار». قال يحيى بن معاذ رحمه الله: مقدار عمرك في جنب عيش الآخرة كنفس واحد فإذا ضيعت نفسك فخسرت الأبد إنك لمن الخاسرين. وفي الآية إشارة إلى الفناء والبقاء فالمتوفى هو الفاني عن إثبات وجوده والمردود هو الباقي بوجود موجد وجوده وقوله: **﴿لكي لا يعلم بعد علم شيئا﴾** أي: ليكون عاقبة أمره أن لا يعلم بعد فناء علمه شيئاً بعلمه بل يعلم بربه الأشياء كما هي كما في «التأويلات النجمية».

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿والله﴾ تعالى وحده **﴿فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾** أي: جعلكم متفاوتين فيه فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم مالك ومنكم مملوك. والرزق ما يسوقه الله تعالى إلى الحيوان من المطعومات والمشروبات. وفيه تنبيه على أن غنى المكثر ليس من كياسته ووفور عقله وكثرة سعيه ولا فقر المقل من بلادته ونقصان عقله وقلة سعيه بل من الله تعالى ليس إلا:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

قال الحافظ:

سكندر را نمى بخشند آبى بزور وزر ميسر نيست اين كار

قال ابن الشيخ: وهذا التفاوت غير مختص بالمال بل هو واقع في الذكاء والبلادة والرشد والدناءة والحسن والقباحة والصحة والسقامة وغير ذلك:

كنج زر كرنبود كنج قناعت باقيست آنكه آن داد بشاهان بكدايان اين داد

وفي «التأويلات النجمية»: فضل الله الأرواح على القلوب في رزق المكاشفات والمشاهدات بعد الفناء والرد إلى البقاء. وفضل القلوب على النفوس في رزق الزهد والورع

والتقوى والصدق واليقين والإيمان والتوكل والتسليم والرضى. وفضل النفوس على الأبدان في رزق التزكية ومقاساة شدائد المجاهدات والصبر على المصائب والبلايا وحمل أعباء الشريعة بإشارات الطريقة وتبديل الأخلاق الذميمة بالحميدة وفضل أبدان المؤمنين على أبدان الكافرين في رزق الأعمال التي هي أركان الشريعة وقراءة القرآن والذكر باللسان مشرفة بإخلاص بالجنان ﴿فما الذين فضلوا﴾ أي: فليس الموالي الذين فضلوا في الرزق على المماليك ﴿برادي رزقهم﴾ أي: بمعطي رزقهم الذي رزقهم إياه أصله رادين سقط النون للإضافة ﴿على ما ملكت أيمانهم﴾ على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية ﴿فهم﴾ أي الملاك والمماليك ﴿فيه﴾ في الرزق ﴿سواء﴾ في الفاء دلالة على ترتب التساوي على الرد أي: لا يردون عليهم رداً مستتبعاً للتساوي في التصرف والتشارك في التدبير وإنما يردون عليهم منه شيئاً يسيراً والحاصل أنهم لا يجعلون ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكهم بحيث لا يرضون بمساواة مماليكهم لأنفسهم وهم أمثالهم في البشرية والمخلوقية فما بالهم كيف جعلوا مماليكه تعالى ومخلوقه شركاء له مع كمال علوه فأين التراب ورب الأرباب. وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون تقريعاً عليهم وكانوا يقولون في التلبية لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك. ﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ الفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على الفعل والجحود الإنكار والباء لتضمينه معنى الكفر والمعنى أبعد علمهم بأن الرزاق هو الله تعالى يشركون به فيجحدون نعمته فإن الإشراك يقتضي أن يضيفوا نعم الله الفائضة عليهم إلى شركائهم وينكروا كونها من عند الله تعالى فالله تعالى يدعو عباده بهذه الآية إلى التوحيد ونفى الشرك حتى يتخلصوا من الشرك والظلمات ويتشرفوا بالتوحيد الخالص والأنوار العاليات. فعلى العبد الطاعة والسعي إلى تحصيل الرضوان والعرفان وإنما الرزق على المولى الكريم المنان. ومن الكلمات التي نقلها كعب الأحبار عن التوراة «يا ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتعب وفي أكثر منه لا تطمع ومن أقل منه لا تجزع فإن أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندي محموداً وإن كنت لم ترض به وعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البر ولا ينالك منها إلا ما قسمته لك وكنت عندي مذموماً. يا ابن آدم خلقت لك السموات والأرضين. ولم أعي بخلقهن أيعييني رغيف أسوقه إليك من غير تعب. يا ابن آدم أنا لك محب فبحبي عليك كن لي محباً. يا ابن آم لا تطالبني برزق غد كما لا أطالبك بعمل غد فإني لم أنس من عصاني فكيف من أطاعني».

واعلم أن عباد الله في باب الرزق على وجوه: منهم من جعل رزقه في الطلب فمن جعل رزقه في الطلب فعليه بكسب الحلال الطيب كعمل اليد مثلاً، ومنهم من جعل رزقه في القناعة وهي في اللغة الرضى بالقسمة وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي السكون عند عدم المألوفات، ومنهم من جعل رزقه في التوكل وهو الثقة بما عند الله واليأس مما في أيدي الناس، ومنهم من جعل رزقه في المشاهدة والمجاهدة كما قال ﷺ: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» وهو إشارة إلى المشاهدة وقال: «جعل رزقي تحت ظل رمحي» وهو إشارة إلى المجاهدة فعلى العاقل المجاهدة والعبادة لله تعالى خالصاً لا لأجل تنعم النفس في الجنة والخلاص من النار فإنها معلولة والمعبود في الحقيقة هو الثواب والعقاب ولذا قال في «المثنوي»:

هشت جنت هفت دوزخ پيش من   هست پيدا همچوبت پيش وثن

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿والله﴾ تعالى وحده ﴿جعل لكم من أنفسكم﴾ من جنسكم ﴿أزواجاً﴾ نساء لتأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون أولادكم أمثالكم. ومن هنا أخذ بعض العلماء أنه يمتنع أن يتزوج المرء امرأة من الجن إذ لا مجانسة بينهما فلا مناكحة وأكثرهم على إمكانه ويدل عليه أن أحد أبوي بلقيس كان جنياً. قال ابن الكلبي كان أبوها من عظماء الملوك فتزوج امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس وفيه حكايات أخر في «آكام المرجان». فإن قيل: غلبة عنصر النار في الجن تمنع من أن تتكون النطفة الإنسانية في رحم الجنية لما فيها من الرطوبات فتضمحل ثمة لشدة الحرارة النيرانية وقس عليه نكاح الجنى الإنسية. قلت: إنهم وإن خلقوا من نار فليسوا بباقين على عنصرهم الناري بل قد استحالوا عنه بالأكل والشرب والتوالد والتناسل كما استحال بنو آدم عن عنصرهم الترابي بذلك على أن الذي خلق من نار هو أبو الجن كما خلق آدم أبو الإنس من تراب وأما كل واحد من الجن غير أبيهم فليس مخلوقاً من النار كما أن كل واحد من بني آدم ليس مخلوقاً من تراب. وذكروا أيضاً جواز المناكحة بين الإنسان وإنسان الماء كما قال في «حياة الحيوان» أن في بحر الشام في بعض الأوقات من شكله شكل إنسان وله لحية بيضاء يسمونه شيخ البحر فإذا رآه الناس استبشروا بالخصب.

ـ وحكي ـ أن بعض الملوك حمل إليه إنسان ماء فأراد الملك أن يعرف حاله فزوجه امرأة فأتاه منها ولد يفهم كلام أبويه فقيل للولد ما يقول أبوك: قال: يقول أذناب الحيوان كلها في أسفلها فما بال هؤلاء أذنابهم في وجوههم. وذكروا أيضاً بنات الماء ومناكحة الإنسان إياهن وتولد الأولاد منهن ﴿وجعل لكم من أزواجكم﴾ أي: جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره ﴿بنين﴾ [فرزندان] ﴿وحفدة﴾ جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت: وإليك نسعى ونحفد أي: جعل لكم خدماً يسرعون في خدمتكم وطاعتكم ويعينونكم كأولاد الأولاد ونحوهم. يقول الفقير: حمل الحفدة على البنات كما فعله البعض بناء على أنهن يخدمنه في البيوت أتم خدمة ضعيف لأن الخطاب لكون السورة مكية مع المشركين وهم كانوا تسودّ وجوههم حين الاخبار بالبنات فلا يناسب مقام الامتنان حملها عليهن ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ من اللذائذ كالعسل ونحوه ومن للتبعيض لأن كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها. يقول الفقير المقصود الطيبات المنفهمة بحسب العرف وهي طيبات البلدة والناحية والإقليم لا الطيبات المشتملة عليها الدنيا والجنة فكل الطيبات مرزوق بها العباد ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ الفاء في المعنى داخلة على الفعل وهي للعطف على مقدر أي: أيكفرون بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون بالباطل وهو أن الأصنام تنفعهم وأن البحائر ونحوها حرام ﴿وبنعمة الله هم يكفرون﴾ حيث يضيفونها إلى الأصنام أو المراد بالباطل الأصنام وما يفضي إلى الشرك وبنعمة الله الإسلام والقرآن وما فيه من التوحيد والأحكام. والباطل عند أهل الحقيقة قسمان: باطل حقيقي وهو ما لا تحقق ولا وجود ولا ثبوت له بأن لم يقع التجلي الإلهي في عالمه أصلاً وقسم باطل مجازي وهو التعينات الموجودة كلها أما بطلانه فلكونه عدماً في نفسه «ألا

كل شيء ما خلا الله باطل» وأما مجازيته فلكونه مجلى ومرآة للوجود الإضافي والحق المجازي والمؤمن بالباطل مطلقاً كافر بالله تعالى.

سالك پاك رو نخوانندش آنكه از ما سوى منزه نيست

﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا﴾ الرزق مصدر وشيئاً نصب على المفعولية منه والمراد من الموصول الآلهة أي: ما لا يقدر على أن يرزق منهم شيئاً لا من السموات مطراً ولا من الأرض نباتاً ﴿ولا يستطيعون﴾ أن يملكوه إذ لا استطاعة لهم أصلاً لأنهم جماد.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ أي: فلا تشبهوا الله بشيء من خلقه وتشركوا به فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال وقصة بقصة والله تعالى واحد حقيقي لا شبه له أزلاً وأبداً.

در تصور ذات اورا كنج كو تادر آيد در تصور مثل او

قال في «الإرشاد» أي: لا تشبهوا بشأنه تعالى شأناً من الشؤون واللام مثلها في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ﴾ [التحريم: ١٠] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: ١١] لا مثلها في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ [يس: ١٣] ونظائره ﴿إن الله يعلم﴾ كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فالله تعالى هو العالم بالخطأ والصواب ومن خطأ الإنسان عبادته الدنيا والهوى وطلب المقاصد من المخلوقين وجعلهم أمثال الله وليس في الوجود مؤثر إلا الله تعالى فهو المقصود ومنه الوصول إليه. وعن النبي ﷺ: «إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار وأن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم» وذلك لأن الله تعالى ليس له زمان ولا مكان وإن كان الزمان والمكان مملوءين من نوره فأهل السماء والأرض في طلبه سواء. وقال موسى عليه السلام: أين أجدك يا رب؟ قال: يا موسى إذا قصدت إليّ فقد وصلت إليّ أشار تعالى إلى أن القاصد واصل بغير زمان ومكان وإنما الكلام في القصد الوجداني الجمعي والميل الكلي لأن من طلب وجدّ وجد ومن قرع الباب ولجّ ولج والباب هو باب القلب فإن منه يدخل المرء بيت المعرفة الإلهية ثم يصل إلى صدر المشاهدة الربانية فيحصل الأنس والحضور والذوق والصفاء ويرتفع الهيبة والحيرة والوحشة والغفلة والكدر والجفاء اللهم اجعلنا من الواصلين آمين.

﴿ضرب الله مثلا﴾ ضرب المثل تشبيه حال بحال وقصة بقصة أي: ذكر وأورد شيئاً يستدل به على تباين الحال بين جنابه وبين ما أشركوا به وليس المراد حكاية ضرب الماضي بل المراد إنشاؤه بما ذكر عقيبه ﴿عبداً مملوكاً﴾ بدل من مثلاً وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلاً ووصفه بالمملوكية ليخرج عنه الحر لاشتراكهما في كونهما عبداً لله تعالى ﴿لا يقدر على شيء﴾ وصفه بعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والمأذون اللذين لهما تصرف في الجملة ﴿ومن رزقناه﴾ من موصوفة معطوفة على

عبداً كأنه قيل وحراً رزقناه بطريق الملك ليطابق عبداً ﴿منا﴾ من جانبنا الكبير المتعال ﴿رزقاً حسناً﴾ حلالاً طيباً أو مستحسناً عند الله مرضياً. قال الكاشفي: [روزى نيكو يعني بسيار وبى مزاحم كه درو تصرف تواند كرد] ﴿فهو﴾ [پس اين مرزوق] ﴿ينفق منه﴾ أي: من ذلك الرزق الحسن ﴿سرا وجهرا﴾ أي: حال السر والجهر وقدم السر على الجهر للإيذان بفضله عليه. قال الكاشفي: [پنهان وآشكارا يعني هر نوع كه ميخواهد خرج ميكند وازكس نميترسد] ﴿هل يستوون﴾ جمع الضمير للإيذان بأن المراد مما ذكر من اتصف بالأوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لا فردان متعينان منهما. والمعنى بالفارسية: [آيا برابرند يعني مساوى نباشند بندكان بى اختيار باخواجكان صاحب اقتدار پس چون مملوك عاجز بامالك قادر متصرف برابر نيست پس بنان كه اعجز مخلوقاتند شريك قادر على الاطلاق چكونه توانند بود]:

راه تو بنور لا يزالى از شرك وشريك هردو خالى
آن بنده كه عاجزست ومحتاج كى راه برد بصاحب تاج

ما للتراب ورب الأرباب [صاحب كشف المحجوب آورده كه روزى بخلوت شيخ أبو العباس شيباني در آمدم ويرا ديدم كه اين آيت ميخواندو ميكريست ونعره مى زدپنداشتم كه ازدنيا بخواهد رفت كفتم أي شيخ اين چه حالتست فرمودكه يازده سال ميكذرد تاورد من اينجار سيده است وازينجادر نميتوانم كذشت آرى حدوث درقدم نميتواندر سيدو ممكن ازكنه واجب خبر نتوانددداد]:

نيست باهست چون زند پهلو قطره بابحر چون كند دعوى

﴿الحمد لله﴾ اعتراض أي: كل الحمد لله تعالى لأنه معطي جميع النعم وإن ظهرت على أيدي بعض الوسائط وليس شيء من الحمد للأصنام لعدم استحقاقها إياه فضلاً عن العباد ﴿بل أكثرهم﴾ [بلكه اكثر مشركان. يعني همه ايشان] ﴿لا يعلمون﴾ ذلك فيضيفون نعمه تعالى إلى غيره ويعبدونه لأجلها. وفي «الإرشاد» نفي العلم عن أكثرهم للإشعار بأن بعضهم يعلمون ذلك وإنما لا يعلمون بموجبه عناداً كقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل: ٨٣].

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وضرب الله مثلا﴾ آخر يدل على ما يدل عليه المثل السابق على أوضح وجه وأظهره ﴿رجلين﴾. قال في «الكواشي»: تقديره مثلاً مثل رجلين فمثلاً الأول مفعول والثاني بدل منه أو بيان فحذف الثاني وأقيم مقامه رجلين. ﴿أحدهما أبكم﴾ وهو من ولد أخرس ولا بد أن يكون أصم كما قال الكاشفي: [وبى شبهه كنك مادر زاد نشود] ﴿لا يقدر على شيء﴾ من الأشياء المتعلقة بنفسه أو بغيره بحدس أو فراسة لقلة فهمه وسوء إدراكه ﴿وهو كل على مولاه﴾ ثقل وعيال على من يعوله ويلي أمره وهذا بيان لعدم قدرته على إقامة مصالح نفسه بعد ذكر

عدم قدرته على شيء مطلقاً ﴿أينما يوجهه﴾ أي حيث يرسله مولاه في أمره وكفاية مهم وهو بيان لعدم قدرته على إقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة ﴿لا يأت بخير﴾ [باز نيامد به نيكويى يعني كارى نسازد وكفايتى نكند لا يفهم ولا يفهم] ﴿هل يستوي هو﴾ [آيا برابر باشد اين ابكم] مع ما فيه من الأوصاف المذكورة ﴿ومن يأمر بالعدل﴾ أي: من هو منطيق فهم ذو رأي وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لجميع الفضائل والمكارم وهذا كسحبان وباقل فإن سحبان كان رجلاً فصيحاً بليغاً متكلماً بحيث لا يقطع الكلام ولو سرده يوماً وليلة ولا يكرر ولو اقتضى الحال فبعبارة أخرى ولا يتنحنح وان باقلاً كان رجلاً اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً فسئل عن شرائه ففتح كفيه وأخرج لسانه يشير إلى ثمنه فانفلت الظبي فضرب به المثل في العي ﴿وهو﴾ في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص والعام ﴿على صراط مستقيم﴾ [برراهى راستست وسيرتى درست وطريقه پسنديده كه بهر مطلب كه توجه نمايد زود بمقصد ومقصود رسد پس چنانكه بجاهل مساوى اين كامل فاضل نيست پس بتان بي اعتبار را مساوات باحضرت پروردكار جل شانه نباشد]. وقال الإمام السهيلي في كتاب «التعريف والإعلام فيما أبهم من القرآن»: أن الأبكم هو أبو جهل واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. والذي يأمره بالعدل عمار بن ياسر العنسي وعنس بالنون حي من مدلج وكان حليفاً لبني مخزوم رهط أبي جهل وكان أبو جهل يعذبه على الإسلام ويعذب أمه سمية وكانت مولاة لأبي جهل وقال لها ذات يوم: إنما آمنت بمحمد لأنك تحبينه لجماله ثم طعنها بالرمح في فيها فماتت فكانت أول شهيدة في الإسلام. وفي الآية إشارة إلى أن النفس الأمارة لا تقدر على شيء من الخير لأن من شأنها متابعة هواها ومخالفة مولاها وأن الروح من شأنه أن يأمر النفس بطاعة الله وحسن عبوديته كما أن النفس تأمر الروح بمعاصي الله وعبودية هواها فالتوفيق في جانب الروح وأعداء المؤمن ثلاثة: النفس، والشيطان، والدنيا، فحارب النفس بالمخالفة وحارب الشيطان بالذكر وحارب الدنيا بالقناعة. وعن حكيم نفسك لصك فاحفظها وهي عدوك فجاهدها كذا في «الخالصة».

﴿ولله﴾ تعالى خاصة لا لأحد غيره استقلالاً ولا إشراكاً وكان كفار قريش يستعجلون وقوع القيامة استهزاء فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿غيب السموات والأرض﴾ أي: علم ما غاب فيهما عن العباد. قال في «الإرشاد»: فيه إشعار بأن علمه سبحانه حضوري فإن تحقق الغيوب في أنفسها علم بالنسبة إليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والأرض ﴿وما أمر الساعة﴾ الساعة اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمي بها لأنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم أي: وما شأن قيام القيامة التي هي من الغيوب في سرعة المجيء ﴿إلا كلمح البصر﴾ اللمح النظر بسرعة أي: كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها. يعني: [آوردن خداي تعالى مر قيامت را آسانترست ازآنكه شما ديده برهم زنيد] ﴿أو هو﴾ أي: بل أمرها فيما ذكر من السرعة والسهولة ﴿أقرب﴾ من لمح البصر وأسرع زماناً. قال الكاشفي: [أقرب نزديكتراست چه لمح بصر دو فعل است وضع جفن ورفع آن وإيقاع قيامت باحياء موتى يك فعل پس ممكن است ووقوع آن در نصف زمان اين حركت] وأو ليست للشك بل للتخيير أي: تخيير المخاطبين بين أن يشبهوا أمر قيامها بلمح البصر وأن يقولوا هو أقرب وإنما ضرب به المثل لأنه لا يعرف زمان أقل منه ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لأن بعض

المقدورات. يعني: [تواند احياء خلائق دفعة چنانچه قادراست بر احياء ايشان بر سبيل تدريج پس از ابتداء ظهور ايشان خبر داد تااز مبدأ وبر معاد استدلال كنند].

واعلم أنهم قالوا: [كرچه قيامت دير آمد ولى مى آمد] يعني هو دانٍ عند الله تعالى وإن كان بعيداً عندنا فلا بد من التهييء له. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: متى الساعة؟ قال عليه السلام: «ما أعددت لها؟» قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله فقال: «أنت مع من أحببت» وشرط كون المرء مع من أحب أن يشترك معه في الدين ويتحد ومن مقتضاه إتيان المأمورات وترك المحظورات فإن المحبة الكاملة لا تحصل إلا به فمن خالف أمر الله تعالى وأمر نبيه فقد فارقهما فكيف يحبهما مع البينونة؟ قال الشيخ سعدي قدس سره:

نظر دوست نادر كند سوى تو چودر روى دشمن بودروى تو

ندانى كه كمتر نهد دوست پاي چوبيندكه دشمن بود درسراى

ثم اعلم أن رجوع النفس إلى ربها يكون بإماتتها عن أوصافها وإحيائها بصفات الله والإماتة تكون بتجلي صفة الجلال والإحياء بتجلي صفة الجمال فإذا تجلى الله لعبد لا يبقى له زمان ولا مكان إذ هو فان عن وجوده باق ببقاء الحق إن الله على كل شيء من المواهب التي يعزبها أولياءه قدير وإن لم يفهم الأغبياء بعقولهم كيفية تلك المعارف والكمالات بل العقلاء بعقولهم السليمة بمعزل من إدراك تلك الحقائق وذلك لأنها خارجة عن طور العقل.

سيل ضعيف واصل دريا نميشود

والتجليات ثلاثة: الأول: التجلي العلمي وأهله من أصحاب البرازخ لا يصح أن يكون مرشداً إلا تقليداً. والثاني: التجلي العيني. والثالث: التجلي الحقي وأهلهما من أرباب اليقين والوصول من شأنهم إرشاد الناس في جميع المراتب أي: في مرتبة الطبيعة والنفس والقلب والروح والطريقة والمعرفة والحقيقة وهم أهل البصيرة الذين أشير إليهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨] فعليك بالاقتداء بهم دون غيرهم. فإن قلت ما الفرق بين أهل التجلي الثاني والثالث؟ قلت إنهما بعد اشتراكهما في أن كلاً منهما قطب إرشاد يتميز الثالث بالقطبية الكبرى التي هي أعلى المناصب.

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿**والله**﴾ تعالى وحده ﴿**أخرجكم من بطون أمهاتكم**﴾ جمع الأم زيدت الهاء فيها كما زيدت في الإهراق من أراق ﴿**لا تعلمون شيئاً**﴾ أي: حال كونكم غير عالمين شيئاً أصلاً من أمور الدنيا والآخرة ولا مما كانت أرواحكم تعلم في عالم الأرواح ولا مما كانت ذراتكم تعلم من فهم خطاب ربكم إذ قال: ألست بربكم ولا مما علمت إذ قالت بالجواب بلى ولا مما تعلم الحيوانات حين ولادتها من طلب غذائها ومعرفة أمها والرجوع إليها والاهتداء إلى ضروعها وطريق تحصيل اللبن منها ومشيها خلفها وغير ذلك مما تعلم الحيوانات وتهتدي إليه ولا يعلم الطفل منه شيئاً ولا يهتدي إليه قال الشيخ سعدي قدس سره:

مر غك از بيضه برون آيدوروزى طلبد آدمى بچه ندارد خبر وعقل وتميز

﴿وجعل لكم السمع﴾ قدمه على البصر لما أنه طريق تلقى الوحي ولذا ابتلي بعض الأنبياء بالعمى دون الصمم أو لأن إدراكه أقدم من إدراك البصر ألا ترى أن الوليد يتأخر انفتاح عينيه عن السمع وإفراده باعتبار كونه مصدراً في الأصل ﴿والأبصار﴾ جمع بصر وهي محركة حس العين ﴿والأفئدة﴾ جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة. قال في «بحر العلوم»: استعملت في هذه الآية وفي سائر آيات وردت فيها في الكثرة لأن الخطاب في جعل لكم وأنشأ لكم عام. والمعنى جعل لكم هذه الأشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بأن تحسوا بمشاعركم جزئيات الأشياء وتدركوها بأفئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الإحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية.

واعلم أن قوله: ﴿وجعل﴾ عطف على أخرجكم وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عند الإخراج لما أن مدلول الواو هو الجمع مطلقاً لا الترتيب على أن أثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الإخراج كما في «الإرشاد». والتحقيق أن الله تعالى صفات سبعاً مرتبة وهي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وإذا قلب الكلام يصير كمالاً فآخر الكمال الكلام كما أن أول الكمال الكلام لأن أول التعينات الإلهية هي الهوية الذاتية وآخرها الكلام مطلقاً وعلى هذا يدور الأمر في المظهر الإنساني ألا ترى أن أول ما يبدو في الجنين حس السمع ثم البصر ثم الكلام ولذا حرم تزوج الحبلى من النكاح اتفاقاً ومن الزنى اختلافاً لما قال عليه السلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر لا يسقين ماءه زرع غيره». فإن قيل فم الرحم منسد بالحبل فكيف يوجد سقي الزرع. قلنا قد جاء في الخبر «إن سمع الحمل وبصره يزداد حدة بالوطء» فظهر أن آخر ما يظهر بعد الولادة هو الكلام ومقتضى مقام الامتنان أن هذه القوى إنما تظهر آثارها بعد الإخراج من بطون الأمهات وهذا لا ينافي حصولها قبله بالقوة القريبة من الفعل ﴿لعلكم تشكرون﴾ إرادة أن تشكروا هذه الآلات وشكرها استعمالها فيما خلقت لأجله من استماع كلام الله وأحاديث رسول الله وحكم أوليائه وما ليس فيه ارتكاب منهي ومن النظر إلى آيات الله والاستدلال بها على وجوده ووحدته وعلمه وقدرته فمن استعملها في غير ما خلقت له فقد كفر جلائل نعم الله تعالى وخان في أماناته، قال الشيخ السعدي قدس سره:

كذر كاه قرآن وپندست كوش ... به بهتان وباطل شنيدن مكوش
دوچشم ازپى صنع بارى نكوست ... زعيب برادر فرو كيرو دوست

وقال الصائب:

ترابكو هردل كرده اند امانتدار ... زدزد امانت حق را نكاهدار مخسب

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ لأجسادكم كما جعل للحيوانات لتسمعوا بها وتبصروا وتفهموا ما يسمع الحيوان ويبصر ويفهم وجعل لأرواحكم سمعاً تسمعون به ما تسمع الملائكة وبصراً تبصرون به ما تبصر الملائكة وفؤاداً تفهمون به ما تفهم الملائكة وجعل لأسراركم سمعاً تسمعون بالله وبصراً تبصرون بالله وفؤاداً تعرفون بالله وهذه الحواس مستفادة من قوله تعالى: «كنت له سمعاً وبصراً ولساناً فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق» ﴿لعلكم تشكرون﴾ بهذه الآلات نعم الله وأداء شكر نعم الله باستعمالها وصرفها في طلب الله وترك الالتفات إلى النعم بل للمنعم. وفي الآية إشارة أخرى والله أخرجكم من بطون

أمهاتكم أي: من العدم وهو الأم الحقيقي لا تعلمون شيئاً قبل أن يعلمكم الله أسماء كل شيء وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة حين خاطبكم بقوله: ألست بربكم فتجلى لكم بربوبيته فبنور سمعه أعطاكم لساناً تجيبونه بقولكم بلى لعلكم تشكرون فلا تسمعون بهذا السمع إلا كلامه ولا تبصرون بهذا البصر إلا جماله ولا تحبون بهذا الفؤاد إلا ذاته ولا تكلمون بهذا اللسان إلا معه.

﴿ألم يروا إلى الطير﴾ تقرير لمن ينظر إليهن وتعجيب من شأنهن. والطير جمع طائر أي: ألم ينظروا إليها ليستدلوا بها على قدرة الله تعالى ﴿مسخرات﴾ مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المساعدة له. وفيه مبالغة من حيث إن التسخير جعل الشيء منقاداً للآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب للإنسان والواقع هنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله للطيران. وفيه تنبيه على أن الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى وكذا إحراق النار وإهلاك البرد ليسا بذاتهما بل بتأثير الله تعالى وعلى هذا ﴿في جو السماء﴾ في الهواء غير متباعد من الأرض وإضافته إلى السماء لما أنه في جانبها من الناظر. قال في «القاموس» الجو الهواء ﴿ما يمسكهن﴾ في الجو عن السقوط حين قبض أجنحتهن وبسطها ووقوفهن ﴿إلا الله﴾ بقدرته الواسعة وتدبيره لهن من الريوش الكبار والصغار فإن ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها تمسكها والهواء للطائر كالماء للسابح فهو يقبض يديه ويبسطها ولا يغرق مع ثقل جسده ورقة الماء وأعجب من ذلك وأدل فيه على القدرة الباهرة تعشيش بعض الطير في الهواء. ومن أخبار الرشيد أنه خرج يوماً للصيد فأرسل بازاً أشهب فلم يزل يعلو حتى غاب في الهواء ثم رجع بعد اليأس منه ومعه سمكة فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل: يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضي الله عنهما أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق فيه دواب بيض تفرخ فيه شيئاً على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذات ريش فأجاز مقاتلاً على ذلك وأكرمه. ومن ذلك الطير الأبابيل التي رمت أصحاب الفيل بحجارة من سجيل وهي الطير السود على هيئة الخطاطيف. ومن ذلك ما يقال له بالفارسية [هما] فإنه من سكان الهواء يبيض ويفرخ فيه وليس له رجل وهو في جثة العقعق إلا أنه سكري اللون ويوجد جسده بعد وفاته في صحارى الهند. ومن عجائب الطيور الرخ بالضم وهو طير في جزائر الصين يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع. قال في «القاموس»: هو طائر كبير يحمل الكركدان انتهى. وكان وصل إلى المغرب رجل من التجار ممن سافر في بحر الصين وألقتهم الريح إلى جزيرة عظيمة فخرج إليها أهل السفينة ليأخذوا الماء والحطب فرأوا قبة عظيمة أعلى من مائة ذراع لها لمعان وبريق فعجبوا منها فلما دنوا منها إذا هي بيضة الرخ فجعلوا يضربونها بالخشب والفؤوس والحجارة حتى انشقت عن فرخ كأنه جبل فتعلقوا بريش جناحه فجروه فنفض جناحه فبقيت هذه الريشة معهم خرج أصلها من جناحه ولم يكمل بعد خلقه فقتلوه وحملوا ما قدروا عليه من لحمه فلما طلعت الشمس إذ الرخ قد أقبل في الهواء كالسحابة العظيمة في رجله قطعة حجر كالبيت العظيم أكبر من السفينة فلما حاذى السفينة ألقى ذلك الحجر بسرعة فوقع الحجر في البحر وسبقت السفينة ونجاهم الله تعالى بفضله ورحمته كذا في «حياة الحيوان». ﴿إن في ذلك﴾ الذي ذكر من تسخير الطير للطيران بأن

خلقها خلقة يمكن معها الطيران بأن جعل لها أجنحة خفيفة وأذناباً كذلك وخلق الجوّ بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها في الهواء على خلاف طباعها ﴿لآيات﴾ [نشانها ظاهرست] ﴿لقوم يؤمنون﴾ أي: من شأنهم أن يؤمنوا وإنما خص ذلك بهم لأنهم المنتفعون به حيث يطيرون في هواء المعرفة بجناح التفكر فيما ذكر ويصلون إلى وكر الكرامة.

فكر ازين خانه فرازت كشد سوى سرا پرده رازت كشد

وفي «المثنوي»:

كر بينى ميل خود سوى سبا پر دولت بركشا همچون هما

وربيني ميل خود سوى زمين نوحه ميكن هيچ منشين ازحنين

وفي الحديث: «كونوا في الدنيا أضيافاً واتخذوا المساجد بيوتاً وعودوا قلوبكم الرقة وأكثروا من التفكر والبكاء ولا يختلفن بكم الأهواء». وعن محمد بن عبد الله أنه قال: الفكرة على خمسة أوجه: فكرة في آيات الله يتولد منها المعرفة. وفكرة في آلاء الله ونعمائه يتولد منها المحبة. وفكرة في وعد الله وثوابه يتولد منها الرغبة. وفكرة في وعد الله وعقابه يتولد منها الرهبة. وفكرة في جفاء النفوس بجنب إحسان الله إليها يتولد منها الحياء والندم.

وفي الآية إشارة إلى أن طير الأرواح مسخرة في جو سماء القلوب لا يمسكهن إلا الله لأن الأرواح علويات وإنما سكونها في سفل الأجساد بتسخير الله إياها كقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] وقوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [التين: ٥] وهذا كسلطان نزل في خراب بحسب الاقتضاء وإلا فشأنه أعلى من ذلك وجاهه أرفع منه كما لا يخفى.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝٨٠﴾

﴿والله جعل لكم من بيوتكم﴾ المعهودة التي تبنونها من الحجر والمدر وهو تبيين لذلك المجعول المبهم في الجملة ﴿سكناً﴾ فعل بمعنى مفعول أي: موضعاً تسكنون فيه وقت إقامتكم. وبالفارسية [آرامكاهى]. قال في «الكواشي»: كل ما يسكن إليه أو فيه سكن بمعنى مسكن. وفي «الواقعات المحمودية» للسلوك شروط ثلاثة: الزمان، والمكان، والأخوان. أما الأولان فلأنه لا بد من خلو الزمان عن الفترة وكذا المكان. وأما الإخوان فلتدارك حوائج السالك لئلا يتقيد بها فلا بد من الشرائط المذكورة لدوام السلوك واستمراره من غير انقطاع انتهى. والظاهر أن المكان أقدم للسلوك ثم الزمان ثم الإخوان ثم صفاء الخاطر. وفي «الأسرار المحمدية»: الغرض في المسكن دفع المطر والبرد وأقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول والاقتصار على الأقل والأدنى يمكن في الديار الحارة أما في البلاد الباردة في غلبة البرد ونفوذه من الجدران الضعيفة حتى كاد يهلك أو يمرض فالبناء بالطين وأحكامه لا يخرجه عن حد الزاهدين وكذا في أيام الصيف عند اشتداد الحر واستضرار أولاده بالبيت الشتوي السفلي لعدم نفوذ الهواء البارد فيه ومن البراغيث في الليل المزعجات عن النوم وأنواع الحشرات فيه فلا يجوز حملهم على الزهد بأن يتركهم على هذه الحال بل عليه أن يبني لهم صيفياً علوياً لما روينا عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من بنى بنياناً في غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غراساً في غير ظلم ولا اعتداء كان له أجراً جارياً ما انتفع به أحد من خلق الرحمٰن»

انتهى. وكتب بهلول على حائط من حيطان قصر عظيم بناه أخوه الخليفة هارون الرشيد يا هارون رفعت الطين ووضعت الدين رفعت الجص ووضعت النص إن كان من مالك فقد أسرفت إن الله لا يحب المسرفين وإن كان من مال غيرك ظلمت إن الله لا يحب الظالمين ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام﴾ [از پوست چهار پايان] جمع نعم بالفتح وهو مخصوص بالأنواع الأربعة التي هي الإبل والبقر والغنم والمعز ﴿بيوتا﴾ أخر مغايرة لبيوتكم المعهودة وهي الخيام والقباب والأخبية والفساطيط من الأنطاع والأدم. ﴿تستخفونها﴾ تجدونها خفيفة يخف عليكم نقضها وحملها ونقلها ﴿يوم ظعنكم﴾ أي: وقت ترحلكم وسفركم ﴿ويوم إقامتكم﴾ وقت نزولكم في الضرب والبناء. ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها﴾ جمع صوف ووبر وشعر والكنايات راجعة إلى الأنعام أي: وجعل لكم من أصواف الضأن وأوبار الإبل وأشعار المعز ﴿أثاثا﴾ أي: متاع البيت مما يلبس ويفرش ﴿ومتاعا﴾ أي: شيئاً يمتع به بفنون التمتع ﴿إلى حين﴾ إلى مدة من الزمان فإنها لصلابتها تبقى مدة مديدة. قال الجاحظ: اتفقوا على أن الضأن أفضل من المعز بدليل الأضحية ويفضل المعز على الضأن لغزارة اللبن وثخانة الجلد وما نقص من ألية المعز يزيد في شحمه ولذلك قالوا زيادة المعز في بطنه ولما خلق الله جلد الضأن رقيقاً غزر صوفه ولما خلق الله جلد المعز ثخيناً قل شعره كذا في «حياة الحيوان» فالله تعالى خلق هذه الأنعام للانتفاع بجلودها ولحومها وأصوافها وأوبارها وأشعارها ولا يجوز الانتفاع بشحوم الميتة. وعن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام» فقيل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال: «لا هو حرام» والاستصباح [چراغ فراكرفتن] وكما أن هذه الحيوانات وما يتبعها ينتفع بها الإنسان في سفره وحضره فكذا القوى الحيوانية والحواس الخمس ينتفع بها السالك في السير إلى الله فإنها مطية وفي وقت الوقفة للاستراحة والتربية فإنها مما لا بد منه لكونها من الأسباب المعينة، قال الكمال الخجندي:

باكرم روى واقف اين راه چنين كفت   آهسته كه اين ره بدويدن نتوان يافت

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿والله جعل لكم مما خلق﴾ من غير صنع من قبلكم ﴿ظلالا﴾ جمع ظل وهو ما يستظل به أي: أشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتنّ سبحانه بذلك لما أن تلك الديار غالبة الحرارة ﴿وجعل لكم من الجبال أكنانا﴾ [پوششها] جمع كن وهو ما يستكن فيه أي: مواضع تستكنون فيها من الكهوف والغيران والسروب. قال عطاء: إنما أنزل القرآن على قدر معرفتهم ألا ترى أنه تعالى قال: ﴿وجعل لكم من الجبال أكنانا﴾ وما جعل من السهولة أعظم منه ولكنهم كانوا أصحاب جبال ﴿وجعل لكم سرابيل﴾ جمع سربال وهو كل ما يلبس أي: جعل لكم ثياباً من القطن والكتان والصوف وغيرها ﴿تقيكم الحر﴾ [نكاه ميدارد

شمارا ازضرر كرما] ولم يذكر البرد لدلالته عليه لأنه نقيضه أو لأن وقايته هي الأهم عندهم لكون البرد يسيراً محتملاً بخلاف الديار الرومية فإنها غالبة البرودة ولذا قيل: الحر يؤذي الرجل والبرد يقتله. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره برد الربيع غير مضر لكن هذا في ديار العرب فإن في برد تلك الديار اعتدالاً بخلاف ديارنا وفي الحديث «اغتنموا برد الربيع فإنه يعمل بأبدانكم كما يعمل بأشجاركم واجتنبوا برد الخريف فإنه يعمل بأبدانكم كما يعمل بأشجاركم»، وفي «المثنوي»:

آن خزان نزد خدا نفس وهواست — عقل وجان عين بهارست وبقاست
مر ترا عقلست جزؤى درنهان — كامل العقلى بجو اندر جهان
جزؤ تو از كل اوكلى شود — عقل كل بر نفس چون غلى شود
پس بتأويل اين بود كانفاس پاك — چون بهارست وحيات برك تاك
از حديث اوليا ترم ودرشت — تن مپوشان زانكه دينت راست پشت
كرم كويد سرد كويد خوش بكير — تاز كرم وسرد بجهى وازسعير
كرم وسردش نوبهار زند كيست — ماية صدق ويقين بند كيست
زانكه زان بستان جانها زنده است — زين جواهر بحردل آكنده است

﴿وسرابيل﴾ ودروعاً من الحديد ﴿تقيكم بأسكم﴾ أي: البأس والألم الذي يصل إلى بعضكم من بعض في الحرب من الضرب والطعن. والبأس الشدة في الحرب والقتل والجراحة كما في «التبيان» وأول من عمل الدرع داود عليه السلام فإن الله تعالى ألان له الحديد كالشمع كما قال: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبا: ١٠] وصحب لقمان داود شهوراً وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها وقال: نعم لبس الحرب أنت.

چو لقمان ديد كاندر دست داود — همى آهن بمعجز موم كردد
نه پرسيدش چه ميسازى كه دانست — كه بى پر سيدنش معلوم كردد

﴿كذلك﴾ كإتمام هذه النعم التي تقدمت ﴿يتم نعمته عليكم﴾ يا معشر قريش ﴿لعلكم تسلمون﴾ الإسلام هٰهنا بمعنى الاستسلام والانقياد وضع موضع سببه وهو تنظرون وتتفكرون أي إرادة أن تنظروا فيما أسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والأنفسية والآفاقية فتعرفوا حق منعهما فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا لأمره.

﴿فإن تولوا﴾ فعل ماض أي: فإن أعرضوا عن الإسلام ولم يقبلوا منك ما ألقى إليهم من البينات والعبر والعظات وفي صيغة التفعل إشارة إلى أن الفطرة الأولى داعية إلى الإقبال على الله والإعراض لا يكون إلا بنوع تكلف ومعالجة ﴿فإنما عليك البلاغ المبين﴾ أي: فلا قصور من جهتك لأن وظيفتك هي البلاغ الموضح أو الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب عكس لعلكم تسلمون، قال الشيخ سعدي قدس سره:

ما نصيحت بجاى خود كرديم — روزكارى درين بسر برديم
كر نيايد بكوش رغبت كس — بر رسولان پيام باشد وبس

وقال:

بكوى آنچه دانى سخن سودمند — وكر هيچ كس را نيايد پسند
كه فردا پشيمان بر آرد خروش — كه اوخ چراحق نكردم بكوش

﴿يعرفون﴾ أي: بعض المشركين ﴿نعمة الله﴾ المعدودة في هذه السورة ويعترفون أنها من الله ﴿ثم ينكرونها﴾ بأفعالهم حيث يعبدون غير منعمها أو بقولهم إنها بشفاعة آلهتنا أو بسبب كذا ومعنى ثم استبعاد الإنكار بعد حصول المعرفة ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ أي: المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿يعرفون نعمة الله﴾ بتعريفك ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ بك وبنعمة الله إظهاراً للقهر فمن وصل إليه النعمة من يد أحد فلا بد من الشكر فإنه الواسطة وإلا فقد تعرض لحرمان كثير من النعم الإلهية.

چو بيابى تو نعمتي درچند خرد باشد چو نقطه موهوم
شكر آن يافته فرو مكذار كه زنا يافته شوى محروم

قال السري السقطي قدس سره: الشكر على ثلاثة أوجه: شكر القلب، وشكر البدن، وشكر اللسان. فشكر القلب أن يعرف العبد أن النعم كلها من الله تعالى. وشكر البدن أن لا يستعمل جارحة من جوارحه إلا في طاعة الله. وشكر اللسان دوام حمد الله.

ـ وروي ـ أن عيسى عليه السلام مرّ بغني فأخذ بيده فذهب به إلى فقير فقال: هذا أخوك في الإسلام وقد فضلك الله عليه بالسعة فاشكر لله على ذلك ثم أخذ بيد الفقير فذهب به إلى مريض فقال: إن كنت فقيراً فلست بمريض ما كنت تصنع لو كنت فقيراً مريضاً فاشكر لله ثم ذهب بالمريض إلى كافر فقال: ما كنت تصنع لو كنت فقيراً مريضاً كافراً فاشكر لله فهداهم إلى الشكر بطريق المشاهدة ومقابلة حالهم بحال من سواهم ونبههم من الغفلة ليقبلوا على الشكر ويحترزوا عن الكفران.

واعلم أن الكفر بالله أشد من الكفر بنعمة الله لأن الأول لا يفارق الثاني بخلاف العكس لأن بعض الكفرة قد يكفر بنعمة الله ولا يكفر بالله فيجمع بين الإيمان بالله والكفر بنعمته ولذا قال الله تعالى عبارة ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦] وكنى إشارة عن أنه ما يؤمن أقلهم بالله إلا وهم موحدون وهم المؤمنون حقاً وصدقاً فأولئك هم المخلصون المفلحون.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿ويوم نبعث﴾ أي: اذكر يا أفضل الرسل يوم نحشر وهو يوم القيامة ﴿من كل أمة﴾ [ازميان هر كروهى] ﴿شهيدا﴾ نبياً يشهد لهم بالإيمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ في الاعتذار إذ لا عذر لهم. والعذر في الأصل تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه بأن يقول لم أفعل أو فعلت لأجل كذا أو فعلت ولا أعود، وثم للدلالة على أن ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبيء عن الإقناط الكلي وهو عندما يقال لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون أشد من ابتلائهم بشهادة الأنبياء عليهم السلام فهي للتراخي الرتبي ﴿ولا هم يستعتبون﴾ يسترضون أي: لا يقال لهم ارضوا ربكم ولا يطلب منهم ما يوجب العتبى وهي الرضى وذلك لأن الرضى إنما يكون بالإيمان والعمل الصالح والآخرة دار الجزاء لا دار العمل والتكليف

والدنيا مزرعة الآخرة فكل بذر فسد في الأرض وبطل استعداده لقبول التربية ولم يتم أمر نباته إذا حصد وحصل في البيدر لا يفيده أسباب التربية لتغيير أحواله فالأرواح بذور في أرض الأشباح ومربيها ومنبتها وثمرها أعمال الشريعة بشرط الإيمان ومفسدها ومبطلها ومغيرها عن أحوالها الكفر وأعمال الطبيعة والموت حصادها والقيامة بيدرها، قال الحافظ:

كارى كنيم ورنه خجالت بر آورد روزيكه رخت جان بجهان دكر كشيم

﴿وإذا رأى الذين ظلموا﴾ كفروا ﴿العذاب﴾ الذي يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم صاحوا وطلبوا من مالك تخفيف العذاب ﴿فلا يخفف عنهم﴾ ذلك العذاب بعد الدخول ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي: لا يمهلون قبله ليستريحوا [أي زمانى ايشانرا مهلت ندهند وبى عذاب نكذارند] فكل من وضع الكفر وأعمال الطبيعة موضع الإيمان وأعمال الشريعة فلا يخفف عنه أثقال الأخلاق الذميمة ولا يؤخر لتبديل مذمومها بمحمودها.

﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم﴾ أوثانهم التي عبدوها ﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا﴾ أي: آلهتنا التي جعلناها شركاء ﴿الذين كنا ندعو من دونك﴾ أي: نعبدهم متجاوزين عبادتك وهو اعتراف بأنهم كانوا مخطئين في ذلك والتماس بتوزيع العذاب بينهم ﴿فألقوا﴾ أي: شركاؤهم ﴿إليهم القول﴾ يقال: ألقيت إلى فلان كذا أي: قلت أي أنطقهم الله تعالى فأجابوهم بالتكذيب وقالوا لهم: ﴿إنكم﴾ أيها المشركون ﴿لكاذبون﴾ في ادعائكم أننا شركاء لله إذ ما أمرناكم بعبادتنا وكنا مشغولين بتسبيح الله وطاعته فارغين عنكم وعن أحوالكم كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وألقوا﴾ أي: المشركون ﴿إلى الله يومئذٍ السلم﴾ الاستسلام والانقياد لحكمه بعد الاستكبار عنه في الدنيا:

چون كار ز دست رفت فرياد چه سود

﴿وضل عنهم﴾ أي: ضاع وبطل ﴿ما كانوا يفترون﴾ من أن لله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرأوا منهم.

﴿الذين كفروا﴾ في أنفسهم ﴿وصدوا﴾ غيرهم ﴿عن سبيل الله﴾ بالمنع عن الإسلام والحمل على الكفر ﴿زدناهم عذابا﴾ لصدهم ﴿فوق العذاب﴾ أي: كانوا يستحقونه بكفرهم. والمعنى بالفارسية [بيفزاييم ايشانرا عذابى بر عذابى] ﴿بما كانوا يفسدون﴾ أي: زدنا عذابهم بسبب استمرارهم على الإفساد وهو الصد المذكور. قال ابن جبير في زيادة عذابهم هي عقارب أمثال البغال وحيات أمثال البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد صاحبها حميتها أربعين خريفاً ويقال: يسألون الله تعالى ألف سنة المطر ليسكن ما بهم من شدة الحر فيظهر لهم سحابة فيظنون أنها تمطر فجعلت السحابة تمطر عليهم بالحيات والعقارب فيشتد ألمهم لأنه إذا جاء الشر من حيث يؤمل الخير كان أغم. وقال ابن عباس ومقاتل خمسة أنهار من صفر مذاب

كالنار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار، يعني: [پنج جوى ازروى كداخته بطرف ايشان روان كردد وبسرجوى ازان معذب شوند در مقدار ساعات شبى ازشبهاى دنيا وبدو جوى ديكر درمدت اندازهٔ روزى ازروزهاى اين جهان]. يقول الفقير لعل سر هذا العدد أن أركان الإسلام خمسة لا سيما أن الصلوات الخمس في تطهير الباطن كالأنهار الخمسة الجارية لتطهر الظاهر فلما أضاعوا هذه الأركان وما أقاموها بدل الله بها خمسة أنهار من الصفر المذاب ليعذبوا بها ولكل عمل جزاء وفاق.

﴿**ويوم نبعث**﴾ تكرير لما سبق تثنية للتهديد. ﴿**في كل أمة**﴾ [ويادكن اي محمد روزيرا كه برانكيزانيم درميان هركروهى] ﴿**شهيدا عليهم**﴾ أي: نبياً ﴿**من أنفسهم**﴾ من جنسهم قطعاً لمعذرتهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم ولوط عليه السلام لما تأهل فيهم وسكن فيما بينهم كان منهم وفي قوله عليهم إشعار بأن شهادة أنبيائهم على الأمم تكون بمحضر منهم ﴿**وجئنا بك**﴾ [وبياريم ترا يا محمد] ﴿**شهيدا على هؤلاء**﴾ الأمم وشهدائهم كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] ﴿**ونزلنا عليك الكتاب**﴾ الكامل في الكتابية الحقيق بأن يخص به اسم الجنس وهو القرآن العظيم ﴿**تبيانا**﴾ بياناً بليغاً ﴿**لكل شيء**﴾ يتعلق بأمور الدين ومن ذلك أحوال الأمم مع أنبيائهم. فإن قلت كيف هذا ومعلوم أن أكثر الأحكام غير مبنية في القرآن ولذلك اختلف العلماء فيها إلى قيام الساعة؟ قلت كونه تبياناً لكل شيء من أمور الدين باعتبار أن فيه نصاً على بعضها وإحالة لبعضها على السنة حيث أمر باتباع النبي ﷺ وطاعته وقيل فيه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾﴾ [النجم: ٣] وحثاً على الإجماع وقد رضي رسول الله لأمته باتباع أصحابه حيث قال: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وقد اجتهدوا وقاسوا ووطأوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والإجماع والقياس مستندة إلى تبيان الكتاب ولم يضر ما في البعض من الخفاء في كونه تبياناً فإن المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية ﴿**وهدى**﴾ وكاملاً في الهداية من الضلالة ﴿**ورحمة**﴾ للعالمين فإن حرمان الكفرة من مغانم آثاره من تفريطهم لا من جهة الكتاب ﴿**وبشرى**﴾ وبشارة بالجنة ﴿**للمسلمين**﴾ خاصة. وفيه إشارة إلى أن في الكتاب بيان كل شيء يحتاج إليه السالك في أثناء السلوك والسير إلى الله إلى أن يصل إلى أقصى مقام الكمال المقدر للإنسان وهذا الكتاب هاد يهدي إلى الله عباده برحمته وبشارة لمن أسلم وجهه لله وتابع النبي ﷺ بالوصول إلى مقام الكمال وحضرة الجلال وكما أن المنزل عليه هو الرسول والبيان من لسانه يؤخذ لا من لسان غيره فكذا الملهم عليه هو وارث الرسول والإرشاد من تربية غيره فمن أسلم أي: استسلم وانقاد لتربية الوسائط ولم يتحرك بشيء من عند نفسه كالميت على يد الغسال فقد هدى إلى طريق التطهر عن الادناس النفسانية ووصل إلى درجات العارفين، قال الحافظ:

من بسر منزل عنقاً نه بخود بردم راه قطع اين مرحله بامرغ سليمان كردم

واعلم أن القرآن كاف لأهل الشريعة والحقيقة فمن مشى على ما صرح به وأشار فقد أمن من العثار ومن خرج عن العمل به واتبع نفسه وهواه فقد بعد عن الله وأسخط مولاه قال سهل بن عبد الله: أصول الدين على ركنين التمسك بكتاب الله والاقتداء بسنة رسول الله. وعن أبي يزيد قدس سره ستة أشياء حصن الأعضاء السبعة: استعمال العلم، وحسن الأدب، ومحاسبة النفس، وحفظ اللسان، وكثرة العبادة، ومتابعة السنة. وقال جنيد البغدادي قدس

سره: مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة. وقال علي رضي الله عنه: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر رسول الله ﷺ.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿إن الله يأمر﴾ في القرآن ﴿بالعدل﴾ بأن لا تظلموا أنفسكم وغيركم ولا تجوروا أي: بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وإيصال كل حق إلى ذي حقه أو يأمر بمراعاة التوسط بين الأمور اعتقاداً كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر وكذا القول بأن الله لا يؤاخذ عبده المؤمن بشيء من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بأنه يخلده في النار بالمعاصي تشديد عظيم والعدل مذهب أهل السنة وعملاً كالتعبد بأداء الفرائض والواجبات المتوسطة بين البطالة والترهب وخلقاً كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن والواجب معرفة الوسط في كل شيء فإن القصد ممدوح والإفراط والتفريط مذمومان وقال ﷺ لمن سأله مستشيراً في الترهب وصيام الدهر وقيام الليل كله بعد زجره إياه «إن لنفسك عليك حقاً ولزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً فصم وافطر وقم ونم» ولما رأى ﷺ عمر رضي الله عنه يقرأ رافعاً صوته فسأله فقال: أوقظ الوسنان واطرد الشيطان قال عليه السلام: «اخفض من صوتك قليلاً» وأتى أبا بكر رضي الله عنه فوجده يقرأ خافضاً صوته فسأله فقال: قد أسمعت من ناجيت فقال عليه السلام له: «ارفع من صوتك قليلاً» ومثله الإمام فإنه لا يجهر فوق حاجة الناس ولا يخافت خافضاً صوته بحيث يشتبه عليهم تلاوته فيراعى بين ذلك حداً وسطاً وإلا فهو مسيء.

وفي «التأويلات النجمية»: العدل صرف ما أعطاك الله من الآلات الجسمانية والروحانية ومن الأموال الدنيوية ومن شرائع الدين وأعماله في طلب الله والسير منك به إليه لأن صرفه في طلب غيره ظلم، قال الحافظ:

فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ   كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد

﴿والإحسان﴾ وأن تحسنوا الأعمال مطلقاً لقوله عليه السلام: «إن الله كتب الإحسان في كل شيء». وعن فضيل أنه قال: لو أحسن الرجل الإحسان كله وكان له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين.

ـ وروي ـ أن امرأة عذبت في هرة حبستها ولم تطعمها إلى أن ماتت. وامرأة رحمها الله وغفر لها بسبب أن سقت كلباً عطشان بخفها.

ـ وحكي ـ أن حضرة الشيخ الشبلي رحمه الله مر في بعض طرق بغداد بهرّة ترعد من برد الهواء فأخذها وجعلها في كمه رحمة لها فكان ذلك سبب قبوله عند الله ووصوله إلى درجة الولاية ويدخل فيه العفو عن الجرائم والإحسان إلى من أساء:

هركه سنكت دهد ثمر بخشش

والصبر على الأوامر والنواهي وأداء النوافل فإن الفرض لا بد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب وفي الحديث: «حسنوا نوافلكم فبها تكمل فرائضكم» وفي المرفوع «النافلة هدية المؤمن إلى ربه فليحسن أحدكم هديته وليطيبها» كما في «المقاصد الحسنة». وأيضاً الإحسان

هو المشاهدة كما قال عليه السلام: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وإن لم تكن تراه فإنه يراك» وليست المشاهدة رؤية الصانع بالبصر وهو ظاهر بل المراد بها حالة تحصل عند الرسوخ في كمال الإعراض عما سوى الله وتمام توجهه إلى حضرته بحيث لا يكون في لسانه وقلبه وهمه غير الله وسميت هذه الحالة المشاهدة لمشاهدة البصيرة إياه تعالى كما أشار إليها بعض العارفين بقوله:

خيالك في عيني وذكرك في فمي   وحبك في قلبي فأين تغيب

كذا في «الرسالة الرومية».

وفي «التأويلات النجمية»: الإحسان أن تحسن إلى الخلق بما أعطاك الله وأراك سبل الرشاد فترشدهم وتسلك بهم طريق الحق للوصول أو الوصال يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧] انتهى. وأيضاً العدل الإعراض عما سوى الله والإحسان الإقبال على الله ﴿وإيتاء ذي القربى﴾ القربى بمعنى القرابة أي: أعطاه الأقارب ما يحتاجون إليه من المال والدعاء بالخير وهو داخل في الإحسان وإنما أفرد بالذكر إظهاراً لجلالة صلة الرحم وتنبيهاً على فضيلتها كقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر: ٤] والرحم عام في كل رحم محرماً كان أو غير محرم وارثاً كان أو غير وارث من أولاد الأعمام والعمات والأخوال والخالات وغير ذلك وقطع الرحم حرام موجب لسخط الله وانقطاع ملائكة الرحمة عن بيت القاطع والصلة واجبة باعثة على كثرة الرزق وزيادة العمر سريعة التأثير ومعناها التفقد بالزيارة والإهداء والإعانة بالقول والفعل وعدم النسيان وأقله التسليم وإرسال السلام أو المكتوب ولا توقيت فيها في الشرع بل العبرة بالعرف والعادة كما في «شرح الطريقة». قال الكاشفي: [در فصول عبد الوهاب فرموده كه عدل توحيد است ومحبت خداى وإحسان دوستى حضرت بيغمبر وفرستادن صلوات برو وايتاء ذي القربى محبت أهل بيت است] ودعاء أصحابه رضي الله عنهم.

وفي «التأويلات النجمية»: أقرب القربى إليك نفسك فصلة رحمها أن تنجيها من المهالك وترجع بها إلى مالك الممالك ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ عن الذنوب المفرطة في القبح قولاً وفعلاً كالكذب والبهتان والاستهانة بالشريعة والزنى واللواطة ونحوها.

وفي «التأويلات»: هي ما يحجبك عن الله ويقطعك عنه أياماً كان من مال أو ولد أو نحوهما فإنه لا أقبح من الانقطاع عن الله ومثله أسبابه فإن ما يجر إلى الأقبح أقبح والعياذ بالله تعالى ﴿والمنكر﴾ وعما تنكره النفوس الزاكية السليمة ولا ترتضيه كما في «بحر العلوم» أو هو الشرك أو مما لا يعرف في شريعة ولا سنة أو الإصرار على الذنب أو ما أسخط الله تعالى.

وفي «التأويلات»: ما ينكر به عليك من إضلال أهل الحق وإغوائهم وإحداث البدع وإثارة الفتن كما في أهالي هذا الزمان خصوصاً متصوفهم ﴿والبغي﴾ والظلم والاستيلاء على الناس والتطاول عليهم بلا سبب وتجسس عيوبهم وغيبتهم والطعن عليهم والتجاوز من الحق إلى الباطل ونحو ذلك.

وفي «التأويلات»: هو ما ثار من سورة صفات نفسك فيصيب الخلق منك ما يضرهم ويؤذيهم [وآنرا بقوت رياضت ببايد شكست تا قواعد سلوك درستى يابد زيرا بحكم اعدى عدوك بدترين دشمن نفس است]:

اين سك نفس شوم وبد كاره   كه دراغوش تست همواره

بدترين قاصديست جان ترا مى خورد مغز استخوان ترا
بيشتر كرترا ببندد جست محكمش بندكن كه دشمن تست

[در لطائف التقرير در تفسير اين آيت آورده كه استقامت مالك بسه چيزبود واضطراب اين بسه چيز منهى عنه وهريك ازينها ثمرة پس ثمرة عدل نصر تست ونتيجة إحسان ثنا ومدحست وفائدة صلة رحم انس والفت اما نتيجة فحشاء فساددين وثمرة منكر برانكيختن اعدا وحاصل بغى محروم ماندن ازمتمنى] ﴿**يعظكم**﴾ [پند ميدهد خداى تعالى شمارا] يعني بأمر هذه المستحسنات ونهي هذه المستقبحات ﴿**لعلكم تذكرون**﴾ طلباً لأن تتعظوا فتأتمروا بالأمر وتنتهوا بالنهي. وقد أمر الله تعالى في هذه الآية بثلاثة أشياء ونهى عن ثلاثة أشياء وجمع في هذه الأشياء الستة علم الأولين والآخرين وجميع الخصال المحمودة والمذمومة ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي أجمع آية في القرآن للخير والشر ولذا يقرأها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل مأمور ومنهي كما في «المدارك» وحين أسقطت من الخطب لعنة اللاعنين لعلي أمير المؤمنين رضي الله عنه أقيمت هذه الآية مقامها كما في «بحر العلوم». وقال الإمام السيوطي في «كتاب الوسائل إلى معرفة الأوائل»: أول من قرأ في آخر الخطبة ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾ الخ عمر بن عبد العزيز ولزمها الخطباء إلى عصرنا هذا تولى عمر الخلافة سنة تسع وتسعين ومدة خلافته سنتان وخمسة أشهر وكان صاحب المائة الأولى بالإجماع. وكان ﷺ يقرأ «ق» أي: في آخر الخطبة. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ إذا الشمس كورت إلى قوله ما أحضرت. وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقرأ آخر سورة النساء يستفتونك الآية. وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقرأ الكافرون والإخلاص ذكر ذلك ابن الصلاح. يقول الفقير انظر إن كلاً منهم اختار ما يناسب الحال والمقام بحسب اختلاف الزمان وإلا لكفى لهم الاقتداء بالنبي عليه السلام في تلاوة سورة «ق» ومنه يعرف استحباب الترضية والتصلية فإنها كانت بحسب المصلحة المقتضية لها وهي رد الروافض ومن يتبعهم في البغض ولا شك أن مثل ذلك من مهمات الدين فليس هذا بمنكر وإنما المنكر ترجيعات المؤذنين ولحون الأئمة والخطباء بحيث يحرفون الكلم عن مواضعه رعاية للنغمات والمقامات الموسيقية نعم قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره إذا كان الذكر بنغمة لذيذة فله في النفس أثر كما للصورة الحسنة في النظر. وأول من قرأ في الخطبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] الآية، المهدي العباسي وعليه العمل في هذا الزمان أي: في الخطب المطولة وأما في الخطب المختصرة لبعض العارفين فليس ذلك فيه لكن المؤذن يقرأه عند خروج الخطيب. والأحوط في هذا الزمان أن يقرأ عنده ما اختاره حضرة الشيخ وفا قدس سره وهو عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إذا قلت لصاحبك انصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت» فاستمعوا وأنصتوا رحمكم الله وذلك لأن أكثر المؤذنين اعتادوا في الآية المذكورة ما يخرجها عن القرآنية من اللحن الفاحش ولنبك على غربة الدين ووحشة أهل اليقين وظهور البدع بين المسلمين.

﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾

﴿**وأوفوا**﴾ أي: استمروا على الإيفاء وهو بالفارسية [وفا كردن] قال الكاشفي: [نزول آيت درشان جمعيست كه باحضرت رسالت ﷺ درمكه عهد بستند وغلبه قريش وضعف مسلمانان مشاهده كرده جزع واضطراب درايشان بديد آمد شيطان خواست كه ايشانرا بفريبد تانقض عهد پيغمبر كنند حق سبحانه وتعالى بدين آيت ايشانرا ثابت قدم كردانيد وفرموده كه وفاكنيد] ﴿**بعهد الله**﴾ وهو البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام فإنها مبايعة الله تعالى لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] لأن الرسول فان في الله باق بالله وفي الحديث «الحجر الأسود يمين الله في أرضه فمن لم يدرك بيعة رسول الله فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله» والمبايعة من جهة الرسول هو الوعد بالثواب ومن جهة الآخر التزام طاعته وسميت المعاهدة مبايعة تشبيهاً بالمعاوضة المالية ثم هو عام لكل عهد يلتزمه الإنسان باختياره لأن خصوص السبب لا ينافي عموم الحكم ﴿**إذا عاهدتم**﴾ إذا عاقدتم وواثقتم والعهد العقد والميثاق ﴿**ولا تنقضوا الأيمان**﴾ التي تحلفون بها عند المعاهدة أي: لا تحنثوا في الحلف ﴿**بعد توكيدها**﴾ حسبما هو المعهود في أثناء العهود أي: توثيقها بذكر الله وتشديدها باسمه كما في «بحر العلوم». وقال سعدي المفتي: الظاهر أن المراد بالأيمان الأشياء المحلوف عليها كما في قوله عليه السلام: «من حلف على يمين» الخ لأنه لو كان المراد باليمين ذكر اسم الله فهو غير التأكيد لا المؤكد فتأمل ﴿**وقد جعلتم الله عليكم كفيلا**﴾ شاهداً رقيباً فإن الكفيل من يراعي لحال المكفول به محافظة عليه ﴿**إن الله يعلم ما تفعلون**﴾ من نقض الأيمان والعهود فيجازيكم على ذلك.

واعلم أن الوفاء تأدية ما أوجبت على نفسك إما بالقبول أو بالنذر. وعن بعض المتكلمين إذا رأيتم الرجل أعطي من الكرامات حتى يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في حفظ الحدود والوفاء بالعهود ومتابعة الشريعة. قيل لحكيم: أي شيء أعمل حتى أموت مسلماً؟ قال: لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة ولا مع الدين إلا بالوفاء.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**وأوفوا بعهد الله**﴾ بائتمار أوامر الله وانتهاء نواهيه ﴿**إذا عاهدتم**﴾ مع الله يوم الميثاق ﴿**ولا تنقضوا الأيمان**﴾ مع الله ﴿**بعد توكيدها**﴾ وهو إشهادكم على أنفسكم وقولكم بلى شهدنا ﴿**وقد جعلتم الله عليكم كفيلا**﴾ بجزاء وفائكم وهو تكفل منكم بالوفاء بما عهد معكم على الجزاء كما قال ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠] وتفصيل الوفاء من الله والعبد ما شرح النبي ﷺ في حديث معاذ رضي الله عنه فقال: «هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس» قال: قلت: الله أعلم ورسوله قال: «حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» أي: يطلبوه بالعبادة ولا يطلبوا معه غيره ثم قال: «أتدري يا معاذ ما حق الناس على الله إذا فعلوا ذلك» قال: قلت: الله ورسوله اعلم قال: «فإن حق الناس على الله أن لا يعذبهم» يعني بعذاب الفراق والقطيعة بل يشرفهم بالوجدان والوصال كما قال: «ألا من طلبني وجدني» وفي «المثنوي»:

ما درين دهليز قاضيّ قضا	بهر دعوى ألستيم وبلى
چون بلى كفتيم آنرا ز امتحان	فعل وقول ما شهوداست وبيان
ازچه دردهليز قاضي تن زديم	نى كه ما بهر كواهى آمديم

تاكه ندهى آن كواهى اى شهيد توازين دهليزكى خواهى رهيد
فعل وقول آمد كواهان ضمير هردو پيدايى كند سر ستير
جرعه برخاك وفا آنكس كه ريخت كى تواند صيد دولت زوكريخت
پس پيمبر كفت بهر اين طريق باوفاتر ازعمل نبود رفيق
كربود نيكى ابد يارت شود وربود بد در لحد مارت شود

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿**ولا تكونوا**﴾ أيها المؤمنون في نقض العهد ﴿**كالتي**﴾ كالمرأة التي ﴿**نقضت**﴾ النقض في البناء والحبل وغيره ضد الإبرام كما في «القاموس». وبالفارسية [شكستن پيمان وپشم بازكردن يارپسمان] ﴿**غزلها**﴾ الغزل [ريسمان رستن] وهو ههنا مصدر بمعنى المغزول أي: ما غزلته من صوف وغيره ﴿**من بعد قوة**﴾ متعلق بنقضت أي: من بعد إبرام ذلك الغزل وأحكامه فجعلته ﴿**أنكاثا**﴾ حال من غزلها جمع نكث بمعنى المنكوث وهو كل ما ينكث فتله أي: يحل غزلاً كان أو حبلاً. والمعنى طاقات نكثت فتلها والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه حال الناقض بمثل هذه المرأة المعتوهة من غير تعيين إذ لا يلزم في التشبيه أن يكون للمشبه به وجود في الخارج. وقال الكلبي ومقاتل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية المكية وكانت خرقاء موسوسة اتخذت مغزلاً قدر ذراع وسنارة مثل أصبع وهي بالكسر الحديدة في رأس المغزل وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى نصف النهار تأمرهن بنقض جميع ما غزلن. قال الكاشفي: [حق سبحانه وتعالى تشبيه ميفرمايد شكستن عهد را به پاره كردن رسن وميفر ما يدكه چنانچه آن زن حمقا رسن تاب داده خودرا ضايع ميكند مردم عاقل بايدكه هر رشته خودبسر انكشت نقض پاره نكند تابحكم ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] جزاء وفابيابد]:

كرت هوااست كه دلدار نكسلد پيمان نكاه دار سر رشته تا نكهدارد

﴿**تتخذون أيمانكم دخلا بينكم**﴾ حال من الضمير في لا تكونوا أي: مشابهين بامرأة شأنها هذا حال كونكم متخذين أيمانكم مفسدة ودخلاً بينكم وأصل الدخل ما يدخل في الشيء ولم يكن منه ﴿**أن تكون أمة**﴾ أي: بسبب أن تكون جماعة قريش ﴿**هي أربى من أمة**﴾ أزيد عدد وأوفر مالاً من جماعة المؤمنين وهذا نهي لمن يحالف قوماً فإن وجد أيسر منهم وأكثر ترك من حالف وذهب إليه. ومحل هي أربى من أمة نصب خبر كان. وفي «المدارك» هي أربى مبتدأ وخبر في موضع الرفع صفة لأمة وأمة فاعل يكون وهي تامة ﴿**إنما يبلوكم الله به**﴾ أي: بأن تكون أمة هي أربى من أمة أي: يعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال والظبي وإن كان واحداً فهو خير من قطيع الخنزير والسواد الأعظم هو الواحد على الحق ويقال: سمي الدجال دجالاً لأنه يغطي الأرض بكثرة جموعه ولا يلزم منه كونه على الحق وأفضل من في الأرض يومئذٍ لأن الله تعالى لا ينظر إلى الصور والأموال بل إلى القلوب

والأعمال فإذا كانت للناس قلوب وأعمال صالحة يكونون مقبولين مطلقاً سواء كانت لهم صور حسنة وأموال فاخرة أم لا وإلا فلا، قال الشيخ سعدي قدس سره:

ره راست بايد نه بالاى راست كه كافرهم ازروى صورت جوماست

﴿وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ في الدنيا إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب وهو إنذار وتخويف من مخالفة ملة الإسلام ودين الحق فإنها مؤدية إلى العذاب الأبدي.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿**ولو شاء الله**﴾ مشيئة قسر وإلجاء. ﴿**لجعلكم أمة واحدة**﴾ متفقة على الإسلام ﴿**ولكن**﴾ لا يشاء ذلك لكونه مزاحماً لقضية الحكمة بل ﴿**يضل من يشاء**﴾ إضلاله أي: يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره الجزئي إليه ﴿**ويهدي من يشاء**﴾ هدايته حسبما يصرف اختياره إلى تحصيلها فالإضلال والهداية مبنيان على الاختيار. وفيه سر عظيم لا يعرفه إلا الأخيار ﴿**و**﴾ بالله ﴿**لتسألن**﴾ جميعاً يوم القيامة سؤال تبكيت ومجازاة لا سؤال تفهم ﴿**عما كنتم تعملون**﴾ في الدنيا من الوفاء والنقض ونحوهما فتجزون به.

واعلم أن العهود مواطنها لكثيرة ومن العهود الحقة ما يجري بين المريدين الصادقين والشيوخ الكاملين من البيعة وهي لازمة حتى يلقوا الله تعالى.

وفي الآية إشارة إلى المريد الذي تعلق بذيل إرادة صاحب ولاية من المشايخ وعاهده على صدق الطلب والثبات عليه عند مقاساة شدائد المجاهدات والتصبر على مخالفات النفس والهوى وملازمات الصحبة والانقياد للخدمة والتحمل على الإخوان وحفظ الأدب معهم ففي أثناء تحمل هذه المشاق تسأم نفسه وتضعف عن حمل هذه الأثقال فينقض عهده ويفسخ عزمه ويرجع قهقرى ثم يتخذ ما كان أسباب طلب الله من الإرادة والمجاهدة ولبس الخرقة وملازمة الصحبة والخدمة والفتوحات التي فتح الله له في أثناء الطلب والسير آلات طلب الدنيا وأدوات تحصيل شهوات نفسه بالتصنع والمرآة والسمعة ابتلاء من الله إظهاراً للعزة إذا عظمت النفس وشهواتها في نظر النفس وأعرضت عن الله في طلبها فمثل هذا حسبه جهنم البعد والقطيعة. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره هنا رجل ابن ابن المولى جلال يقال له ديوانه چلبي يأكل ويشرب ويشتغل بالشهوات ويزعم أن له نظراً إلى الحقيقة من المظاهر حفظنا الله تعالى من الإلحاد ففي حالة الاحتضار استغفر وقال: يا حسرتا لم أعرف الطريق ويرجى أن يعفى لسبق ندامته وكان له كشوف سفلية وقطع بخطوة واحدة سبعين خطوة وأكثر ولكن الكشوف السفلية مثلها مما كان في مرتبة الطبيعة غير مقبولة بل هي من الشيطان وعوام الناس يعدون أصحاب أمثال هذه الكشوف الشيطانية الأقطاب بل الغوث الأعظم لكونهم على الجهل الجمادي لا يميزون بين الخير والشر ولصعوبة هذا الأمر قال المولى الجامي قدس سره في بعض رباعياته:

در مسجد وخانقه بسى كرديدم بس شيخ ومريدرا كه پابوسيدم

نه يكساعت از هستى خود رستم نه آنكه زخويش رسته باشد ديدم

اللهم اعصمنا من الدعوى واجعلنا من أهل التقوى.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿**ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم**﴾ مكراً وغدراً ﴿**فتزل**﴾ [بلغزد] نصب في جواب النهي ﴿**قدم**﴾ أي: أقدامكم أيها المؤمنون عن محجة الحق ﴿**بعد ثبوتها**﴾ عليها ورسوخها فيها بالإيمان وإفراد القدم وتنكيرها للإيذان بأن زلل قدم واحدة أيّ قدم كانت عزت أو هانت محذور عظيم فكيف بأقدام كثيرة ﴿**وتذوقوا السوء**﴾ أي: العذاب الدنيوي ﴿**بما صددتم**﴾ بصدودكم وخروجكم أو بصدكم ومنعكم غيركم ﴿**عن سبيل الله**﴾ الذي ينتظم الوفاء بالعهود والإيمان فإن من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ﴿**ولكم**﴾ في الآخرة ﴿**عذاب عظيم**﴾ شديد.

﴿**ولا تشتروا بعهد الله**﴾ أي: لا تأخذوا بمقابلة عهده تعالى وبيعة رسوله ﴿**ثمناً قليلاً**﴾ أي: لا تستبدلوا بها عوضاً يسيراً وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا ﴿**إن ما عند الله**﴾ من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة ﴿**هو خير لكم**﴾ مما يعدونكم ﴿**إن كنتم تعلمون**﴾ أي: إن كنتم من أهل العلم والتمييز.

﴿**ما عندكم**﴾ من أعراض الدنيا وإن كثرت ﴿**ينفد**﴾ يفنى وينقضي ﴿**وما عند الله**﴾ من أنواع رحمة المخزونة ﴿**باق**﴾ لا نفاد له وهو حجة على الجهمية لأنهم يقولون بأن نعيم الجنة يتناهى وينقطع ﴿**ولنجزين**﴾ أي: والله لنعطين ﴿**الذين صبروا**﴾ على أذية المشركين ومشاق الإسلام التي من جملتها الوفاء بالعهود والفقر ﴿**أجرهم**﴾ الخاص بهم بمقابلة صبرهم على الأمور المذكورة وهو مفعول ثان لنجزين ﴿**بأحسن ما كانوا يعملون**﴾ أي: لنجزينهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وإنما أضيف إليه الأحسن للاشعار بكمال حسنه كما في قوله تعالى: ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨] فقد علم من الآيات أن للوفاء بالعهد والثبات على الإيمان والصبر على المشاق ثمرات دنيوية وأخروية. فعلى العاقل أن لا ينقض المعاهدة التي بينه وبين الله وكذا بين العلماء العاملين والصلحاء الكاملين. وعن بعض أهل العلم كنت بالمصيصة فإذا برجلين يتكلمان في الخلوة مع الله تعالى فلما أرادا أن ينصرفا قال أحدهما للآخر: تعال نجعل لهذا العلم ثمرة ولا يكون حجة علينا فقال له اعزم على ما شئت فقال: أن لا آكل ما لمخلوق فيه صنع قال: فتبعتهما وقلت: أنا معكما فقالا: على الشرط قلت: على أي شرط شرطتما فصعدا جبل لكام ودلاني على كهف وقالا: تعبد فيه فدخلت فيه وجعل كل واحد يأتيني بما قسم الله تعالى وبقيت مدة ثم قلت: إلى متى أقيم هٰهنا أنا أسير إلى طرطوس وآكل من الحلال وأعلم الناس العلم واقرىء القرآن فخرجت ودخلت طرطوس وأقمت بها سنة فإذا أنا برجل منهما قد وقف عليّ وقال: يا فلان خنت في عهدك ونقضت الميثاق ألا إنك لو صبرت كما صبرنا لوهب لك ما وهب لنا قلت: ما الذي وهب لكما؟ قال: ثلاثة أشياء: طي الأرض من المشرق إلى المغرب بقدم واحد والمشي على الماء والحجبة إذا شئنا ثم احتجب عني ففي هذه الحكاية ما يغني العاقل عن التصريح فانظر إلى ذلك العالم كيف اختار ما عند

الناس فحرم مما عند الله من الكرامات والكفالات وذلك أن نقض العهد بسبب عرض دنيوي في صورة أمر ديني فإن التعليم وإقراء الناس وإن كان من الأمور الأخروية ألا أنه لا بد لطالب الحق حين تخليه وانقطاعه من التجرد عن كل اسم ورسم وصورة، فإن قيل:

منصب تعليم نوع شهوتيست

وما يعقل هذا المقام إلا العالمون وفي «المثنوي»:

كرنبودى امتحان هربدى هر مخنث دروغا رستم بدى

خود مخنث را زره بوشيده كير چون به بيند زحم كردد چون اسير

ونعم ما قيل وعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان فمن زل عند الامتحان فقد افتضح وذاق وجع القطيعة والفراق وما له من خلاق ومن ثبت وصبر وافتكر العاقبة ظفر بالمراد وجوزي جزاء لا يعلمه إلا رب العباد فإنه أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿**من**﴾ [هركه] ﴿**عمل**﴾ [بكند] ﴿**صالحا**﴾ أي: عملاً صالحاً أي: عمل كان وهو ما كان لوجه الله تعالى ورضاه ليس فيه هوى ولا رياء والفرق بينهما أن الهوى بالنسبة إلى النفس والرياء بالنسبة إلى الخلق ﴿**من ذكر أو أنثى**﴾ أي: حال كون ذلك العامل من رجل أو امرأة بينه بالنوعين ليعمهما الوعد الآتي ولا يتوهم التخصيص بالذكور بناء على كثرة استعمال لفظ من فيهم وأن الإناث لا يدخلن في أكثر الأحكام والمحاورات إلا بطريق التغليب أو التبعية ﴿**وهو**﴾ أي: والحال أن ذلك العامل. ﴿**مؤمن**﴾ قيده به إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب وإنما المتوقع عليها تخفيف العذاب كما قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى يأمر بالكافر السخي إلى جهنم فيقول لمالك خازن جهنم عذبه وخفف عنه العذاب على قدر سخائه الذي كان في دار الدنيا» كما في «تفسير السمرقندي» ويؤيده ما قيل إنه لما عرج النبي ﷺ اطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال جبرائيل عليه السلام: هذا حاتم طي صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده كما في «أنيس الوحدة». ﴿**فلنحيينه حياة طيبة**﴾ في الدنيا يعيش عيشاً طيباً لأنه إن كان موسراً فظاهر وإن كان معسراً فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الأجر العظيم في الآخرة كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فإنه إن كان معسراً فظاهر وإن كان موسراً فلا يدعه الحرص وخوف الفوت أن يتهنأ بعيشه ﴿**ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾ أي: ولنعطينهم في الآخرة أجرهم الخاص بهم بما كانوا يعملون من الصالحات وإنما أضيف إليه الأحسن للإشعار بكمال حسنه كما سبق في حق الصابرين.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالذكر إلى القلب وبالأنثى إلى النفس فالعمل الصالح من النفس استعمال الشريعة بتقوى الله وصدقه على وفق الطريقة تزكية عن صفاتها الذميمة وأفعالها الطبيعية والعمل الصالح من القلب حسن توجهه إلى الله بالكلية لطلب الله والإعراض عما سواه تصفية للتحلية بصفات الله والتخلق بأخلاقه وبقوله: ﴿**فلنحيينه حياة طيبة**﴾ يشير إلى

إحياء كل واحد منهما بالحياة الطيبة على قدر صلاحية عمله وحسن استعداد في قبولها فإحياء النفس بالحياة الطيبة أن تصير مزكاة عن صفاتها متحلية بأخلاق القلب الروحاني مطمئنة بذكر الله راجعة إلى ربها راضية مرضية وإحياء القلب بالحياة الطيبة أن يصير متخلقاً بأخلاق الله ويكون فانياً عن أنانيته بهويته حياً بحياته طيباً عن دنس الإثنينية ولوث الحدوث فإن الله طيب عن هذه الأوصاف فلا يقبل إلا طيباً. ثم اعلم أن صلاحية أعمال العباد إنما تكون على قدر صدقهم في المعاملات وحسن استعدادهم في قبول الفيض الإلهي فيكون طيب حياتهم باحياء الله إياهم بحسب ذلك ولنجزينهم في الآخرة أجر كل طائفة منهم بأوفر ما كانوا يظنون أن يجازيهم الله على أعمالهم بيانه قوله: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] وعن بعض أصحاب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال لما مات أحمد: رأيته في المنام وهو يمشي ويتبختر في مشيه فقلت له: يا أخي أي: مشية هذه؟ قال: مشية الخدام في دار السلام فقلت له: ما فعل الله بك قال: غفر لي وألبسني نعلين من ذهب وقال: هذا جزاء قولك القرآن كلام الله المنزل غير مخلوق وقال: يا أحمد قم حيث شئت فدخلت الجنة فإذا سفيان الثوري رحمه الله له جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلى نخلة وهو يقرأ هذه الآية ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤] فقلت له: أي شيء خبر عبد الواحد الوراق رحمه الله قال: تركته في بحر من النور يراد به الملك الغفور فقلت: ما فعل بشر بن الحارث رحمه الله فقال: بخ بخ ومن مثل بشر تركته بين يدي الجليل والجليل سبحانه مقبل عليه وهو يقول كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب وتنعم يا من لم يتنعم. وقال بعض الأخيار: رأيت الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي رحمه الله في المنام بعد وفاته وعليه ثياب بيض وعلى رأسه تاج فقلت له: ما هذا البياض؟ فقال: شرف الطاعة قلت: والتاج قال عز العلم فعلم من هذا المذكور أن من عمل صالحاً لا بد أن يصل إليه جزاء عمله وأن الجزاء من جنس العمل وأنه يختلف بحسب اختلاف حال العامل. فعلى العاقل المبادرة إلى الأعمال الصالحة والصبر على مشاق الطاعات إلى أن يجيء وعد الله تعالى قال الحافظ:

صبركن حافظ بسختى روزوشب عاقبت روزى بيابى كام را

﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾

﴿**فإذا قرأت القرآن**﴾ أي: أردت قراءته عبر عن الإرادة بالقراءة على طريقة إطلاق اسم المسبب على السبب إيذاناً بأن المراد هي الإرادة المتصلة بالقراءة ﴿**فاستعذ بالله**﴾ أي: فاسأله تعالى أن يعيذك ويحفظك ﴿**من الشيطان**﴾ البعيد عن الخير ﴿**الرجيم**﴾ المرجوم بالطرد واللعن أي: من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القرآن فإن ناصية كل مخلوق بيده أو قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو المختار من الروايات الأربع عشرة الواردة في ألفاظ الاستعاذة كما في تفسير خواجه پارسا قدس سره.

﴿**إنه**﴾ أي: الشيطان أو الشان ﴿**ليس له سلطان**﴾ تسلط وولاية ﴿**على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون**﴾ على أولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فإن وسوسته لا تؤثر فيهم لما أمر

القارىء بأن يسأل الله تعالى أن يعيذه من وساوسه وتوهم منه أن له تسلطاً وولاية على إغواء بني آدم كلهم بين الله تعالى أن لا تسلط له على المؤمنين المتوكلين فقوله إنه الخ في معرض التعليل للأمر بالاستعاذة وإشارة إلى أن مجرد القول لا ينفع بل لا بد لمن أراد أن لا يكون للشيطان سبيل عليه أن يجمع بين الإيمان والتوكل.

﴿إنما سلطانه﴾ أي: تسلطه وغلبته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والإلجاء فإنه منتف عن الفريقين لقوله تعالى حكاية عنه ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢] وقد أفصح عنه قوله تعالى: ﴿على الذين يتولونه﴾أي: يتخذونه ولياً ويستجيبون دعوته ويطيعونه فإن المقسور بمعزل عن ذلك كذا في «الإرشاد» وهو جواب عما قال السمرقندي في تفسيره من أن في بناء الكلام على الحصر والاختصاص رداً للشيطان في قوله للكفرة في جهنم ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وتكذيباً له انتهى ﴿والذين هم به﴾ سبحانه وتعالى ﴿مشركون﴾ مثبتون الشريك في الألوهية أو بسبب الشيطان إذ هو الذي حملهم على الإشراك بالله.

قال في «التأويلات النجمية»: الخطاب في هذه الآية مع الأمة وإن خص النبي ﷺ لأن الشيطان كان يفر من ظل عمر رضي الله عنه وهو أحد تابعيه فكيف يقدر على أن يدور إليه سيما أسلم شيطانه على يده ﷺ يدل عليه قوله: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ يعني سلطان نور الإيمان والتوكل غالب على سلطان وسوسة الشيطان فإذا كان هذا حال الأمة مع الشيطان فكيف يكون حال النبوة معه فثبت أن المراد بالخطاب الأمة وإنما خص النبي ﷺ به لتعتبر الأمة وتتنبه أن مثل النبي ﷺ مهما يكن مأموراً بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم فتكون الأمة بها أولى وأحق. قال بعضهم: المراد كل شيطان أو القرين فقط الظاهر أنه في حقنا القرين قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦] وفي حق رسول الله ﷺ إبليس أما نحن فلأن الإنسان لا يؤذيه من الشياطين إلا ما قرن به وما بعد فلا يضره شيئاً والعاقل لا يستعيذ ممن لا يؤذيه وأما الرسول ﷺ فإن قرينه لما أسلم تعين أن يكون الاستعاذة من إبليس أو أكابر جنوده وتخصيص الاستعاذة بالله عند قراءة القرآن من الشيطان الرجيم لمعان وفوائد أولها كي يتذكر القارىء واقعة الشيطان ويتفكر في أمره أنه إنما صار شيطاناً رجيماً بعد أن كان ملكاً كريماً لأنه فسق عن أمر ربه وخالفه وأبى أن يسجد لآدم واستكبر وكان من الكافرين أي: فصار من الكافرين فيتنبه بذلك عند قراءة القرآن ويصفي نيته قبل القراءة على أن يأتمر بما أمره الله في القرآن وينتهي عما نهاه عنه احترازاً عن المخالفة فإن فيها الطرد واللعن والرجم والفسق والكفر وأنها مظنة للخلود في النار وثانيها لأن العبد لا يخلو من حديث النفس وهواجسها ومن إلقاء الشيطان ووساوسه وقلبه لا بد يتشوش بذلك فلا يجد حلاوة كلام الله فأمر بالاستعاذة وتزكيته للنفس عن هواجسها وتصفيته للقلب عن وساوس الشيطان ليتجلى بنور القرآن فإن التجلية تكون بعد التزكية والتصفية وثالثها لأن في كل كلمة من كلمات القرآن لله تعالى إشارات ومعاني وحقائق لا يفهمها إلا قلب مطهر عن تلوثات الهواجس والوساوس معطر بطيب أنفاس الحق وذلك مودع في الاستعاذة بالله فأمر بها لحصول الفهم.

ـ وروى ـ جبير بن مطعم قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي فقال: «الله أكبر كبيراً والحمد

لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه» قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة يعني الجنون. وفي قوله: ﴿إنه ليس له سلطان﴾ الآية إشارة إلى أن تصرف الشيطان وقدرته بالإغواء والاضلال على الإنسان إنما ينقطع بقدر نور الإيمان وقوة التوكل فمهما يكمل الإيمان والتوكل يكون المؤمن زاهداً عن الدنيا راغباً في الآخرة متبتلاً إلى الله تعالى فلا يبقى للشيطان عليه سلطان في إضلاله وإغوائه ولكن يؤول أمره إلى الوسوسة وفيها صلاح المؤمن فإن إبريز إخلاص قلبه عن غش صفات نفسه لا يتخلص إلا بنار وسوسة الشيطان لأنه يطلع على بقايا صفات نفسه بما تكون الوسوسة من جنسه فيزيد في الرياضة ومجاهدة النفس وملازمة الذكر فبها تنقص وتنمحي بقية صفات النفس ويزداد نور الإيمان وقوة التوكل وقربة الحق وقبوله. وفي بعض الأخبار أن النبي ﷺ قال: «إن إبليس قال: يا رب قلت في كتابك إن عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن هم؟ فقال تعالى: من كان نور وجهه من عرشي وطينه من طين إبراهيم ومحمد عليهما السلام وقلبه خزينتي قال إبليس فمن هم؟ فقال تعالى: من كان نادماً على ذنبه وخائفاً من خاتمته فنور وجهه من نور عرشي ومن كان يطعم الطعام ويرحم العباد فطينه من طينهما ومن كان راضياً بحكمي مسارعاً إلى ابتغاء مرضاتي فقلبه خزينتي». وفي الخبر: «إذا لعن المؤمن شيطاناً يقول: لعنت لعيناً وإذا قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يقول قصم ظهري لأنه يحيل إلى القادر». وفي الخبر «من استعاذ بالله في اليوم عشر مرات من الشيطان وكل الله به ملكاً يرد عنه الشياطين»، قال الحافظ:

درراه عشق وسوسه اهرمن بسيست   هش دار وكوش دل بپيام سروش كن

واعلم أن الاستعاذة واجبة على كل من شرع في قراءة القرآن سواء بدأ من أوائل السور أو من أجزائها مطلقاً وإن أراد به افتتاح الكتب أو الدرس كما يقرأ التلميذ على الأستاذ لا يتعوذ كذا في «أنوار المشارق» والوجوب مذهب الجمهور كما في «الإرشاد»، وقال الفناري في تفسير الفاتحة والاستعاذة غير واجبة عند الجمهور والأمر في فاستعذ للندب انتهى. وقال الكاشفي في تفسيره: [وأمر باستعاذة قبل از قراءت بقول جمهور أمر استحبابست وباختيار جمعي از كبرا برسبيل ايجاب. در تفسير قرطبي قولي هست كه استعاذه برحضرت رسول الله ﷺ تنها فرض بوده بوقت قراءت واقتداء امت برو برسبيل سنت است] انتهى. والتعوذ في الصلاة ينبغي أن يكون واجباً لظاهر الأمر إلا أن السلف أجمعوا على سنته كما في «الكافي». قال القرطبي: أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله يتعوذان في الركعة الأولى في الصلاة ويريان قراءة الصلاة كلها قراءة واحدة كما في «حواشي» سعدي المفتي. والغرض نفي الوسوسة في التلاوة فشرع لافتتاح القراءة. قال جعفر الصادق رضي الله عنه: إن التعوذ تطهير الفم عن الكذب والغيبة والبهتان تعظيماً لقراءة القرآن:

زبان آمد ازبهر شكر وسپاس   بغيبت نكردانَدش حق شناس

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿**وإذا بدلنا آية مكان آية**﴾ قال سلطان المفسرين ترجمان القرآن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية فيها شدة أخذ الناس بها وعملوا ما شاء الله أن يعملوا فيشق ذلك عليهم فينسخ الله هذه الشدة ويأتيهم بما هو ألين منهما وأهون عليهم رحمة من الله تعالى فيقول لهم كفار قريش: إن محمداً يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غداً ويأتيهم بما هو أهون عليهم وما هو إلا مفتر يقوله من تلقاء نفسه. والمعنى: إذا أنزلنا آية من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلاً منها بأن نسخناها ﴿**والله أعلم بما ينزل**﴾ جملة معترضة بين الشرط وجوابه وهو قالوا لتوبيخ الكفرة على قولهم والتنبيه على فساد سندهم أي: اعلم بما ينزل أولاً وآخراً من الأحكام والشرائع التي هي مصالح ورب شيء يكون مصلحة في وقت يكون مفسدة في وقت آخر فينسخه ويثبت مكانه ما يكون مصلحة لخلقه ﴿**قالوا**﴾ أي: الكفرة ﴿**إنما أنت مفتر**﴾ على الله متقول من عند نفسك ﴿**بل أكثرهم لا يعلمون**﴾ أن الله أمر بأشياء نظراً لصلاح عباده وأقلهم يعلم الحكمة في النسخ ولكن ينكر عناداً.

﴿**قل**﴾ رداً عليهم ﴿**نزله**﴾ أي: القرآن المدلول عليه بالآية ﴿**روح القدس**﴾ أي: الروح المقدس المطهر من الأدناس البشرية وهو جبريل عليه السلام وإضافة الروح إلى القدس وهو الطهر كإضافة حاتم إلى الجود حيث قيل حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كأنه طبع منه فالمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وفي صيغة التفعيل في الموضعين إشعار بأن التدريج في الإنزال مما يقتضيه الحكمة البالغة ﴿**من ربك**﴾ من سيدك ومتولي أمرك ﴿**بالحق**﴾ في موقع الحال أي: نزله ملتبساً بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها إنشاء ونسخاً وفيه دلالة على أن النسخ حق ﴿**ليثبت**﴾ الله تعالى أو جبريل مجازاً ﴿**الذين آمنوا**﴾ على الإيمان بأنه كلامه فإنهم إذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح اللائقة بالحال رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم على أن الله حكيم فلا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب ﴿**وهدى**﴾ من الضلالة ﴿**وبشرى**﴾ بالجنة ﴿**للمسلمين**﴾ المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتاً لهم وهداية وبشارة. وفيه تعريض بحصول أضداد الأمور المذكورة لمن سواهم من الكفار.

قال في «التأويلات النجمية»: إن الله تعالى هو الطبيب والقرآن هو الدواء يعالج به من مرض القلوب كقوله تعالى: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] كما أن الطبيب يداوي المريض كل وقت بنوع من الأدوية على حسب المزاج والعلة لإزالتها ويبدل الأشربة والمعاجين بنوع آخر وهو أعلم بالمعالجة من غيره وكذلك الله عز وجل يعالج قلوب العباد بتبديل آية وإنزال آية مكانها والله أعلم بما ينزل ويعالج به العبد فالذين لا يعلمون قوانين الأمراض والمعالجات يحملون ذلك على الافتراء وفي التنزيل والتبديل تثبيت الإيمان في قلوب المؤمنين بإزالة أمراض الشكوك عن قلوبهم فإن القرآن شفاء وهدى لصحة الدين وسلامة القلوب وبشارة للمسلمين الذين استسلموا للطبيب والمعالجة لصحة دينهم وكان الصحابة رضي الله عنهم يكتفون ببعض السور القرآنية ويشتغلون في العمل بها فإن المقصود من القرآن العمل به.

ـ روي ـ أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وقال: علمني مما علمك الله فدفعه إلى رجل يعلمه القرآن فعلمه ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ ۝١﴾ حتى بلغ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ١-٨] فقال الرجل: حسبي فأخبر النبي ﷺ بذلك

فقال: «دعوه فقد فقه الرجل»، قال الشيخ سعدي قدس سره:

علم چندانكه بيشتر خوانى چون عمل درتونيست نادانى
نه محقق بود نه دانشمند چار پايى بروكتابى چند
آن تهى مغزراچه علم وخبر كه بروهيرم است ويا دفتر

وقال: [عالم نا پرهيز كار كوريست شعله دار. بى فائده هركه عمر درياخت چيزى نخريدوزر بينداخت] أي: أضاع المال ولم يكن على شيء نسأل الله التوفيق للتقوى والعمل بالقرآن في كل مكان وزمان.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿**ولقد نعلم**﴾ ادخل قد توكيداً لعلمه بما يقولون ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعد والوعيد لهم. ذكر ابن الحاجب أنهم نقلوا قد إذا دخلت على المضارع من التقليل إلى التحقيق كما أن ربما في المضارع نقلت من التقليل إلى التحقيق. ﴿**أنهم**﴾ أي: كفار مكة ﴿**يقولون إنما يعلمه**﴾ أي: القرآن ﴿**بشر**﴾. قال الإمام الواحدي في «أسباب النزول» عن عبيد بن مسلمة قال: كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر اسم أحدهما يسار والآخر جبر وكانا صيقلين [يعني شمشير هارا صيقل زدندى] فكانا يقرآن كتاباً لهم بلسانهم وكان رسول الله ﷺ يمر بهما ويسمع قراءتهما فكان المشركون يقولون يتعلم منهما فأنزل الله تعالى هذه الآية وأكذبهم فالمراد بالبشر ذانك الغلامان ﴿**لسان الذي يلحدون إليه أعجمي**﴾ مبتدأ وخبر وكذا ما بعده لإبطال طعنهم. والإلحاد الإمالة من ألحد القبر إذا مال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل إمالة عن الاستقامة فقالوا: ألحد فلان في قوله وألحد في دينه ومنه الملحد لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها ولم يمله عن دين إلى دين والأعجمي هو الذي لا يفصح وإن كان عربياً والعجمي المنسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً. والمعنى لغة الرجل الذي يميلون إليه القول عن الاستقامة ويشيرون إليه أنه يعلم محمداً أعجمية غير بينة ﴿**وهذا**﴾ القرآن الكريم ﴿**لسان عربي مبين**﴾ ذو بيان وفصاحة فكيف يصدر عن أعجم. يعني أن القرآن معجز بنظمه كما أنه معجز بمعناه لاشتماله على الأخبار عن الغيب فإن زعمتم أن بشراً يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذي أعجز جميع أهل الدنيا.

وفي «التأويلات النجمية»: الأعجمي هو الذي لا يفهم من كلام الله تعالى ما أودع الله فيه من الأسرار والإشارات والمعاني والحقائق فإنه لا يحصل ذلك إلا لمن رزقه الله فهما يفهم به واللسان العربي هو الذي يسره الله تعالى على لسان نبيه ﷺ وبين له معانيه وحقائقه كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧] وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٨-١٩] فالعربي المبين هو الذي أعطاه الله قلباً فهيماً ولساناً مبيناً فافهم جداً.

﴿**إن الذين لا يؤمنون بآيات الله**﴾ أي: لا يصدقون أنها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افتراء وأخرى أساطير معلمة من البشر ﴿**لا يهديهم الله**﴾ إلى سبيل النجاة هداية موصلة إلى المطلوب لما علم أنهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ﴿**ولهم**﴾ في الآخرة

﴿عذاب أليم﴾ [عذابي دردناك بجهت كفر ايشان بقرآن ونسبت افتراء بحضرت پيغمبر ﷺ وحال آنكه مفترى ايشانند].

﴿إنما يفتري الكذب﴾ التصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه والفرق بين الافتراء والكذب أن الافتراء هو افتعال الكذب من قول نفسه والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه وفاعل يفتري هو قوله: ﴿الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ رد لقولهم إنما أنت مفتر يعني إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يترقب عقاباً عليه ليرتدع عنه وأما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن أن يصدر عنه افتراء البتة. قال في «التأويلات النجمية»: وجه الاستدلال أن الافتراء من صفات النفس الأمارة بالسوء وهي نفس الكافر الذي لا يؤمن بآيات الله فإن نفس المؤمن مأمورة لوامة ملهمة من عند الله مطمئنة بذكر الله ناظرة بنور الله مؤمنة بآيات الله لأن الآيات لا ترى إلا بنور الله كما قال ﷺ: «المؤمن ينظر بنور الله» فإذا كان من شأن المؤمن أن لا يفتري الكذب إذ هو ينظر بنور الله فكيف يكون من شأن رسول الله ﷺ أن يفتري الكذب وهو نور من الله ينظر بالله ﴿وأولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من عدم الإيمان بآيات الله ﴿هم الكاذبون﴾ على الحقيقة لا على الزعم بخلاف رسول الله ﷺ فإن حاله على العكس أو الكاملون في الكذب إذ لا كذب أعظم من تكذيب آياته والطعن فيها بأمثال هاتيك الأباطيل. فاللام للجنس والحقيقة ويدعى قصر الجنس في المشار إليهم مبالغة في كمالهم في الكذب وعدم الاعتداد بكذب غيرهم. قال في «الإرشاد»: السر في ذلك أن الكذب الساذج الذي هو عبارة عن الإخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الأمر بخلق الله تعالى أو بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة لله تعالى في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المنبىء عنه معاً انتهى. قيل للنبي ﷺ: المؤمن يزني؟ قال: «قد يكون ذلك» قيل: المؤمن يسرق؟ قال: «قد يكون ذلك» قيل: المؤمن يكذب؟ قال: «لا» ويكفي في قبح الكذب أن الشيطان استثنى العباد المخلصين من أهل الإغواء ولم يكذب فإنه يعلم أن وسوسته لا تؤثر فيهم. قال أرسطاليس: فضل الناطق على الأخرس بالنطق وزين النطق الصدق والأخرس والصامت خير من الكاذب.

بهائم خموشند وكويا بشر   پرا كنده كوى از بهائم بتر

وقد قالوا: النجاة في الصدق كما أن الهلاك في الكذب ـ خطب الحجاج ـ يوماً فأطال فقام رجل وقال: الصلاة الصلاة الوقت يمضي ولا ينتظرك يا أمير الحبشة فقال قومه: إنه مجنون قال إن أقر بجنته فقيل له فقال: معاذ الله أن أقول ابتلاني وقد عافاني فبلغه فعفا عنه لصدقه فصار الصدق سبباً للنجاة اللهم اجعلنا من الصادقين.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿من كفر بالله﴾ أي: تلفظ بكلمة الكفر ﴿من بعد إيمانه﴾ به تعالى كابن حنظل وطعمة ومقيس وأمثالهم ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه وهو قوله: ﴿فعليهم غضب﴾ وقدره الكاشفي بقوله: [در معرض غضب رباني باشد] لكنه

جعل من شرطية كما يدل عليه تعبيره بقوله: [هركه كافر شود بخداي تعالى ازپس ايمان خويش ومرتد كردد] ويجوز أن يكون الخبر الآتي خبراً لهما معاً ﴿إلا من﴾ [مكر كسى كه] ﴿أكره﴾ اجبر على ذلك التلفظ بأمر يخاف على نفسه أو على عضو من أعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب لأن الكفر لغة يعم القول والعقد كالإيمان أي: لا من كفر بإكراه وقيل منقطع لأن الكفر اعتقاد والإكراه على القول دون الاعتقاد. والمعنى لكن المكره على الكفر باللسان ﴿وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ [ارميده باشد] بالإيمان حال من المستثنى أي: والحال أن قلبه مطمئن بالإيمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على أن الإيمان المنجي المعتبر عند الله هو التصديق بالقلب ﴿ولكن من﴾ لم يكن كذلك بل ﴿شرح بالكفر صدرا﴾ أي: اعتقده وطاب به نفساً. وبالفارسية [وليكن هركس كه بكشايد بكفر سينه را] ﴿فعليهم غضب﴾ عظيم ﴿من الله﴾ في الحديث «إن غضب الله هو النار» ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ العذاب والعقاب الإيجاع الشديد وتقديم الظرف فيهما للاختصاص والدلالة على أنهم أحقاء بغضب الله وعذابه العظيم لاختصاصهم بعظم الجرم وهو الارتداد. قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الآية في عمار رضي الله عنه وذلك أن كفار قريش أخذوه وأبويه ياسر وسمية وصهيباً وبلالاً وخباباً وسالماً فعذبوهم ليرتدوا فأبى أبواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجىء أي: ضرب بحربة في قلبها وقالوا إنما أسلمت من أجل الرجال والتعشق بهم فقتلوها وقتلوا ياسراً وهما أول قتيلين في الإسلام وأما عمار فكان ضعيف البدن فلم يطق لعذابهم فأعطاهم بلسانه ما أكرهوه عليه وهو سب النبي ﷺ وذكر الأصنام بخير فقالوا: يا رسول الله إن عماراً كفر فقال عليه الصلاة والسلام: «كلا إن عماراً ملىء إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه» فأتى عمار رسول الله وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال: «ما لك إن عادوا لك فعدلهم بما قلت» وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الإكراه الملجىء وإن كان الأفضل أن يجتنب عنه ويصبر على الأذى والقتل كما فعله أبواه كما روي أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ قال رسول الله قال: فما تقول فيّ؟ قال: فأنت أيضاً فخلاه وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله قال: فما تقول فيّ؟ قال: أنا أصم فأعاد ثلاثاً فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله ﷺ فقال: أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاً له، وفي الحديث: «أفضل الجهاد كلمة العدل عند سلطان جائر» وإنما كان أفضل الجهاد لأن من جاهد العدو كان متردداً بين خوف ورجاء ولا يدري هل يغلب أو يغلب وصاحب السلطان مقهور في يده فهو إذا قال الحق وأمره بالمعروف فقد تعرض للتلف فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف كذا في «أبكار الأفكار في مشكل الأخبار».

﴿ذلك﴾ الكفر بعد الإيمان ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿استحبوا﴾ [دوست داشتند وبركزيدند] فتعدية الاستحباب بعلى لتضمنه معنى الإيثار ﴿الحياة الدنيا﴾ [زندكانى دنيارا] ﴿على الآخرة﴾ [بر نعيم آخرت] ﴿وأن الله﴾ [وديكر بجهت آنست كه خداى تعالى] ﴿لا يهدي﴾ إلى الإيمان وإلى ما يوجب الثبات عليه هداية قسر والجاء ﴿القوم الكافرين﴾ في علمه المحيط فلا يعصمهم من الزيغ وما يؤدي إليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا أحد الأمرين إما إيثار الحياة الدنيا على الآخرة وإما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بأن آثروا الآخرة على الحياة الدنيا أو بأن هداهم الله تعالى هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف

للحكمة والأول مما لا يدخل تحت الوقوع وإليه أشير بقوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿**أولئك**﴾ الموصوفون بما ذكر من القبائح ﴿**الذين طبع الله**﴾ [مهر نهاد خداي تعالى] ﴿**على قلوبهم**﴾ [بر دلهاى ايشان تا قول حق درنيا فتند] ﴿**وسمعهم**﴾ [وبركوشهاى ايشان تاسخن حق نشنوند] ﴿**وأبصارهم**﴾ [وبر ديدهاى ايشان تا آثار قدرت حق نديدند] ﴿**وأولئك هم الغافلون**﴾ أي: الكاملون في الغفلة أعظم من الغفلة عن تدبر العواقب.

﴿**لا جرم أنهم**﴾ [حقاً كه دران هيچ شك نيست كه ايشان] ﴿**في الآخرة هم الخاسرون**﴾ إذا ضيعوا أعمارهم وصرفوها إلى العذاب المخلد. وبالفارسية [دران سراى ديكر ايشانند زيان زدكان چه سرمايه عمر ضايع كرده دربازار دنيى سودى بدست نياوردند ومفلس وار در شهر قيامت جزدست تهى ودل پرحسرت وندامت نخواهد بود]، قال الشيخ سعدي:

قيامت كه بازار مينو نهند   منازل بأعمال نيكو دهند
بضاعت بچندان آنكه آرى برى   اكر مفلسى شرمسارى برى
كه بازار چندانكه آكنده تر   تهى دست رادل پرا كنده تر
كسى راكه حسن عمل بيشتر   بدركاه حق منزلت پيشتر

قال في «التأويلات النجمية»: يعني أهل الغفلة في الدنيا هم أهل الخسارة في الآخرة. وفيه إشارة أخرى وهي أن التغافل بالأعضاء عن العبودية تورث خسران القلوب عن مواهب الربوبية انتهى. قال بعض الأكابر ولا حجاب إلا جهالة النفس بنفسها وغفلتها عنها فلو ارتفعت جهالتها وغفلتها لشاهدت الأمر وعاينته كما تشاهد الشمس في وسط السماء وتعاينها. قال وهب بن منبه خلق ابن آدم ذا غفلة ولولا ذلك ما هنىء عيشه، وفي «المثنوي»:

استن اين عالم اى جان غفلتست   هو شيارى اين جهانرا آفتست
هو شيارى زان جهانست وچو آن   غالب آمد پست كردد اين جهان
هو شيارى آفتاب وحرص يخ   هو شيارى آب واين عالم وسخ

اللهم اجعلنا من أهل اليقظة والانتباه ولا تجعلنا ممن اتخذ الهه هواه وشرفنا بمقامات المكاشفين العارفين وأوصلنا إلى حقيقة اليقين والتحقيق والتمكين إنك أنت النصير والمعين.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿**ثم إن ربك**﴾. قال قتادة: ذكر لنا أنه لما أنزل الله تعالى أن أهل مكة لا يقبل منهم الإسلام حتى يهاجروا كتب بها أهل المدينة إلى أصحابهم من أهل مكة فلما جاءهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزل: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٢] فكتبوا بها إليهم فتبايعوا بينهم على أن يخرجوا فإن لحقهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله فأدركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله تعالى هذه الآية كذا في «أسباب النزول» للواحدي. وثم

للدلالة على تباعد رتبة حالهم عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الإشارة لا عن رتبة حال الكفرة كذا في «الإرشاد» ﴿للذين هاجروا﴾ إلى دار الإسلام وهم عمار وصهيب وخباب وسالم وبلال ونحوهم. واللام متعلقة بالخبر وهو الغفور على نية التأخير وإن الثانية تأكيد للأولى لطول الكلام ﴿من بعد ما فتنوا﴾ أي: عذبوا على الارتداد وأكرهوا على تلفظ كلمة الكفر فتلفظوا بما يرضيهم أي: الكفرة مع اطمئنان قلوبهم ﴿ثم جاهدوا﴾ في سبيل الله ﴿وصبروا﴾ على مشاق الجهاد ﴿إن ربك من بعدها﴾ من بعد المهاجرة والجهاد والصبر ﴿لغفور﴾ بما فعلوا من قبل أي: لستور عليهم محاء لما صدر منهم ﴿رحيم﴾ منعم عليهم من بعد بالجنة جزاء على تلك الأفعال الحميدة والخصال المرضية.

واعلم أن المهاجرة مفاعلة من الهجرة وهي الانتقال من أرض إلى أرض والمجاهدة مفاعلة من الجهد وهو استفراغ الوسع وبذل المجهود. قال في «التعريفات»: المجاهدة في اللغة المحاربة وفي الشرع محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها مما هو مطلوب في الشرع انتهى. وكل من المهاجرة الصورية والمعنوية وكذا المجاهدة مقبولة مرضية اذ من كان في أرض لا يقيم فيها شعائر دينه وأهلها ظالمون فهاجر منها لدينه ولو شبراً وجبت له الجنة ومن فارق موطن النفس والمألوفات وحارب الأعداء الباطنة وجبت له القربة ومرتبة الصديقين فوق مرتبة الشهداء. وعن عمر بن الفارض قدس سره أنه حضر جنازة رجل من أولياء الله تعالى قال: فلما صلينا عليه امتلأ الجو بطيور خضر فجاء طير كبير فابتلعه ثم طار فتعجبت فقال لي رجل كان قد نزل من السماء وحضر الصلاة لا تتعجب فإن أرواح الشهداء في حواصل الطيور خضر ترعى في الجنة أولئك شهداء السيوف وأما شهداء المحبة فأجسادهم أرواح إذ آثار الأرواح اللطيفة تسري إلى الأجساد فتحصل اللطافة لها أيضاً ولذا لا تبلى أجساد الكمل ولا بد لمن أراد أن يصل إلى هذه الرتبة ويحيى حياة أبدية من أن يميت نفسه الأمارة ويزكيها عن سفساف الأخلاق ورذائل الأوصاف كالكبر والعجب والرياء والغضب والحسد وحب المال وحب الجاه يقال إن الدركات السبع للنار بمقابلة هذه الصفات السبع للنفس فالخلاص من هذه الصفات سبب الخلاص من تلك الدركات، قال الشيخ سعدي قدس سره:

ترا شهوت وكبر وحرص وحسد   چو خون درركندو چوجان درجسد
كر اين دشمنان تقويت يافتند   سراز حكم ورأى توبر تافتند
تو بر كره توسنى در كمر   نكر تانپيچد ز حكم توسر
اكر پالهنك از كفت در كسيخت   تن خويشتن كشت وخون توريخت

ثم إن الله تعالى غفور من حيث الأفعال يتجلى لأهل التزكية من مرتبة توحيد الأفعال وغفور من حيث الصفات يتجلى لهم من مرتبة توحيد الصفات وغفور من حيث الذات يتجلى لهم من مرتبة توحيد الذات فيستر أفعالهم وصفاتهم وذواتهم وينعم عليهم بآثار أفعاله وأنوار صفاته وأسرار ذاته فيتخلصون من الفاني ويصلون إلى الباقي ويجدون ثمرات المجاهدات وهي المشاهدات ونتائج المفارقات وهي المواصلات وعواقب المعاقبات وهي التنعم في الجنات العاليات والاستراحة الدائمة في مقامات القربات اللهم اعنا على سلوك سبيل الهجرة والصبر والجهاد واحفظنا من فتنة أهل البغي والفساد إنك أنت الأهل للإعانة والإمداد.

﴿يوم تأتي كل نفس﴾ منصوب باذكر والمراد يوم القيامة ﴿تجادل عن نفسها﴾ أضاف النفس إلى النفس لأنه يقال لعين الشيء نفسه ولنقيضه غيره والنفس جملة الشيء أيضاً فالنفس الأولى بمعنى الجملة والثانية بمعنى العين والذات. والمعنى اذكر يا محمد ويا كل من يصلح للخطاب يوم يأتي كل إنسان يجادل ويخاصم عن ذاته يسعى في خلاصه بالاعتذار كقولهم هؤلاء أضلونا وما كنا مشركين لا يهمه شأن غيره فيقول نفسي نفسي وذلك حين زفرت جهنم زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه حتى خليل الرحمٰن عليه السلام وقال رب نفسي أي: أريد نجاة نفسي. قال أحمد الدورقي مات رجل من جيراننا شاب فرأيته في الليل وقد شاب فقلت: ما قصتك قال دفن بشر المريسي في مقبرتنا فزفرت جهنم زفرة شاب منها كل من في المقبرة وبشر أخذ الفقه عن أبي يوسف القاضي إلا أنه اشتغل بالكلام وقال بخلق القرآن وأضل خلقاً كثيراً ببغداد في زمن المأمون وقطعه عبد العزيز الكتاني وبالجملة كان بشر من جملة شياطين الانس حتى نصبه الشيطان خليفة لمن في بغداد إذ فعل بالخلق ما فعله الشيطان من الإضلال، قال الحافظ:

دام سختست مكر لطف خدايا شود ورنه آدم نبرد صرفه زشيطان رجيم

وقال:

سزدم چوابر بهمن كه درين چمن بكريم طرب آشيان بلبل بنكر كه زاغ دارد

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿كل نفس﴾ على قدر بقاء وجودها ﴿تجادل عن نفسها﴾ إما دفعاً لمضارها أو جذباً لمنافعها حتى الأنبياء عليهم السلام يقولون نفسي نفسي إلا محمداً ﷺ فإنه فان عن نفسه باق بربه فإنه يقول أمتي أمتي لأنه المغفور من ذنب وجوده المتقدم في الدنيا والمتأخر في الآخرة بما فتح له ليلة المعراج إذ واجهه بخطاب السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ففني عن وجوده بالسلام وبقي بوجوده بالرحمة وكان رحمة مهداة أرسل ببركاته إلى الناس كافة ولكنه رفع المنزلة من تلك الضيافة خاصة لخواص متابعيه كما قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين يعني الذين صلحوا لبذل الوجود في طلب المقصود ونيل الجود فما بقي لهم مجادلة عن نفوسهم مع الخلق والخالق كما قال بعضهم كل الناس يقولون غداً نفسي نفسي وأنا أقول ربي ربي ﴿وتوفى كل نفس﴾ برة أو فاجرة أي: تعطى وافياً كاملاً وبالفارسية [تمام داده شود هر نفس را] ﴿ما عملت﴾ أي: جزاء ما عملت بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب إشعاراً بكمال الاتصال بين الأجزية والأعمال وإيثار الإظهار على الإضمار للإيذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وإن كانتا في يوم واحد ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا ينقصون أجورهم ولا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عقابهم على ذنوبهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد يقول الروح يا رب لم يكن لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها ويقول الجسد: خلقتني كالخشب ليست لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا كشعاع النور فيه نطق لساني وأبصرت عيني ومشت رجلي قال: فيضرب لهما مثلاً مثل أعمى ومقعد دخلا حائطاً وفيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمار والمقعد لا ينالها فحمل الأعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب كذا في «تفسير السمرقندي» وفيه إشارة إلى أن كل نفس عملت سوءاً توفي العذاب بنار الجحيم ونار القطيعة وكل نفس عملت خيراً توفي الثواب من نعيم الجنان

ولقاء الرحمٰن فلا يعذب أهل النعيم ولا يثاب أهل الجحيم كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿**وضرب الله مثلا قرية**﴾ أي: قصة أهل قرية كانت في قرى الأولين وهي أيلة كما في الكواشي وهي بلد بين ينبع ومصر وضرب المثل صنعه واعتماله ولذا قال الكاشفي في تفسيره [وپيدا كرد خدا مثلي] ولا يتعدى إلا إلى مفعول واحد وإنما عدي إلى اثنين لتضمينه معنى الجعل وتأخير قرية مع كونها مفعولاً أولا لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها إذ التأخير عن الكل مخل بتجاذب أطراف النظم وتجاوبها. والمعنى جعل أهلها مثلاً لأهل مكة خاصة أو لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله بنعمتهم نقمة ودخل فيهم أهل مكة دخولاً أولياً ﴿**كانت آمنة**﴾ ذات أمن من كل مخوف. قال الكاشفي: [أيمن از نزول قياصره وقصه جبابره] ﴿**مطمئنة**﴾ [ارميده واهل آن آسوده]. قال في الكواشي لا ينتقلون عنها إلى غيرها لحسنها ﴿**يأتيها رزقها**﴾ أقوات أهلها صفة ثانية لقرية وتغير سبكها عن الصفة الأولى لما أن إتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستمر ﴿**رغدا**﴾ واسعاً ﴿**من كل مكان**﴾ من نواحيها من البر والبحر ﴿**فكفرت**﴾ أي: كفر أهلها ﴿**بأنعم الله**﴾ أي: بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع والمراد بها نعمة الرزق والأمن المستمر وإيثار جمع القلة للإيذان بأن كفران نعمة قليلة حيث أوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة.

ـ روي ـ أن أهل أيلة كانوا يستنجون بالخبز كما في الكواشي. يقول الفقير: الخبز هو الأصل بين النعم الإلٰهية ولذا أمر آدم عليه السلام الذي هو أصل البشر بالحراثة فمن كفر به فقد كفر بجميع النعم وتعرض لزوالها وكذا الاعتقاد الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة هو الأساس المبني عليه قبول الأعمال الصالحة فمن أفسد اعتقاده فقد أفسد دينه وتعرض لسخط الله تعالى:

بآب زمزم اكرشست خرقه زاهد شهر چه سود ازان چوندارد طهارت ازلي

والمقصود طهارة الوجود والقلب عن لوث الأنية والتعلق بغير الله تعالى ﴿**فأذاقها الله**﴾ أي: أذاق أهلها. وبالفارسية [پس بچشانيد خداى تعالى اهل آنرا] واصل الذوق بالفم ثم يستعار فيوضع موضع الابتلاء والاختبار كما في «تفسير أبي الليث» ﴿**لباس الجوع**﴾ حتى أكلوا ما تغوطوه لأن الجزاء من جنس العمل. قال في «الأسئلة المقحمة في الأجوبة المفحمة» كيف سمي الجوع لباساً قيل لأنه يظهر من الهزال وشحوب اللون وضيق الحال ما هو كاللباس ﴿**والخوف**﴾. قال في «الإرشاد» شبه أثر الجوع والخوف وضرهما المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير له اسمه وأوقع عليه الإذاقة المستعارة لمطلق الإيصال المنبئة عن شدة الإصابة بما فيها من اجتماع إدراك الملامسة والذائقة على نهج التجريد فإنها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الألسنة جرت مجرى الحقيقة ﴿**بما كانوا يصنعون**﴾ فيما قبل من الكفران ثم بين أن ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق أيضاً فقال:

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿ولقد جاءهم﴾ أي: أهل تلك القرية ﴿رسول منهم﴾ أي: من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه فأخبرهم بوجوب الشكر على النعمة وأنذرهم سوء عاقبة الكفران ﴿فكذبوه﴾ في رسالته ﴿فأخذهم العذاب﴾ المستأصل غب ما ذاقوا نبذة من ذلك ﴿وهم ظالمون﴾ حال كونهم ظالمين بالكفران والتكذيب حيث جعلوا الأول موضع الشكر والثاني موضع التصديق وترتيب العذاب على التكذيب جرى على سنة الله تعالى كما قال.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥]. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - هذا المثل لأهل مكة فإنهم كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت تجبى إليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم فكفروا بأنعم الله وكذبوا رسول الله ﷺ فأصابهم بدعائه ﷺ بقوله: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» ما أصابهم من القحط والجدب حتى أكلوا الجيف والكلاب الميتة والجلود والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر والدم أي: يخلط الدم بأوبار الإبل ويشوي على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت من سرايا رسول الله ﷺ بعد الهجرة حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم فوقعوا في خوف عظيم من أهل الإسلام حتى تركوا سفر الشام والتردد إليه ثم أخذهم يوم بدر ما أخذهم من العذاب.

وفي الآية إشارة إلى أن النفس الأمارة بالسوء إذا كفرت في قرية شخص الإنسان بنعم الطاعات والتوفيق واتبعت هواها وتمتعت بشهواتها ابتليت بانقطاع ميرة الحق وأكل جيفة الدنيا وميتة المستلذات وخوف العذاب بسوء صنيعها فلا بد للسالك أن يقتفي أثر رسول الخاطر الروحاني المؤيد بالإلهام الرباني ويترك الاقتداء بالنفس والشيطان فإنهما يجران إلى الأخلاق الذميمة المستتبعة للآثار القبيحة وقد بعث النبي ﷺ لإتمام الأخلاق الحميدة على وفق الشريعة كما قال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» والمكارم: جمع مكرمة كالمصالح جمع مصلحة وإضافته إلى الأخلاق من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف أي: بعثت لأتمم الأخلاق الكريمة والشيم الحسنة وذلك أن الأنبياء عليهم السلام كل واحد منهم مبعوث بسر وحكمة إلهية راجعة إلى تكميل البشر وتحسين أخلاقهم ونبينا عليه السلام مبعوث لتتميم تلك الأخلاق الكريمة وتكميلها على وجه التفصيل ولهذا جاء بشرع جامع لجميع جهات الحسن وهذا سر قوله: «لا نبي بعدي» فمن ادعى نبياً بعده جهل بقدره وقدر علماء أمته كما لا يخفى.

﴿فكلوا مما رزقكم الله﴾ أي: وإذ قد استبان لكم يا أهل مكة حال من كفر بأنعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي أولاً وآخراً فانتهوا عما أنتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول كيلا يحل بكم مثل ما أحل بهم واعرفوا حق نعم الله وأطيعوا رسوله في أمره ونهيه وكلوا من رزق الله من الحرث والأنعام وغيرهما حال كونه ﴿حلالا طيبا﴾ أي: لذيذاً تستطيبه النفوس وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها فحلالاً حال من ما رزقكم الله ويجوز أن يكون مفعول كلوا. وفيه إشارة إلى أن أنوار الشريعة وأسرار الحقيقة رزق

معنوي للعاشق الصادق وما قبلته الشريعة والحقيقة فهو حلال طيب وما ردته فهو حرام خبيث ولذا قيل:

علم دين فقهست وتفسير وحديث هركه خواند غيرازين كردد خبيث

أي: العلم المقبول النافع هذه العلوم وما شهدت هي له بالقبول من الظواهر والبواطن ﴿واشكروا نعمة الله﴾ واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخلة على الأمر بالشكر وإنما دخلت على الأمر بالأكل لكون الأكل ذريعة إلى الشكر فكأنه قيل فاشكروا نعمة الله غب أكلها حلالاً طيباً ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ أي: تطيعون وتريدون رضاه أن تستحلوا ما أحل الله وتحرموا ما حرم الله.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ أي: أكلها وهي ما لم تلحقه الذكاة. وبالفارسية [مردار] فاللحم القديد المجلوب إلى الروم من أفلاق حرام لأنهم إنما يضربون رأس البقر بالمقمعة ولا يذكون ﴿والدم﴾ المسفوح أي: المصبوب من العروق وأما المختلط باللحم فمعفو والأولى غسله ﴿ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ أي: رفع الصوت للصنم به وذلك قول أهل الجاهلية باللات والعزى أي: إنما حرم هذه الأشياء دون ما تزعمون حرمته من البحائر والسوائب ونحوهما وتنحصر المحرمات فيها إلا ما ضمه إليها دليل كالسباع والحمر الأهلية.

ـ روي ـ أنه عليه السلام «نهى عن أكل ذي مخلب من الطيور وكل ذي ناب من السباع».

ـ وروى ـ خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه عليه السلام «نهى عن لحوم الخيل والبغال والحمير». وفيه حجة لأبي حنيفة على صاحبيه في تحليلهما أكل لحوم الخيل وما روياه عن جابر رضي الله عنه أنه قال: «نهى النبي عليه السلام عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في لحم الخيل» معارض لحديث خالد والترجيح للمحرم كذا في «حواشي» الفاضل سنان چلبي. والإشارة إلى الميتة جيفة الدنيا والحيوان هي الدار الآخرة ولو لم يكن للآخرة حياة لكانت جيفة [جيفة را براي مرد كيش جيفة كويند نى براي بوي زشت وصورت قبيحة] فاعرف، وفي «المثنوي»:

آن جهان چون ذره ذره زنده اند نكته دانند وسخن كوينده اند
در جهان مرده شان آرام نيست كين علف جز لائق أنعام نيست
هركرا كلشن بود بزم وطن كى خورد او باده اندر كولخن
جاى روح پاك عليين بود كرم باشد كش وطن سركين بود

وإن الدم شهوات الدنيا. ولحم الخنزير الغيبة والحسد والظلم. وما أهل لغير الله به مباشرة كل عمل مباح لا لله وللتقرب إليه بل لهوى النفس وطلب حظوظها كما في «التأويلات النجمية» ﴿فمن اضطر﴾ الاضطرار الاحتياج إلى الشيء واضطره إليه أحوجه وألجأه فاضطر بضم الطاء والضرورة الحاجة. قال الكاشفي [بس هركه بيچاره شود ومحتاج كردد بخوردن

يكى از محرمات] فتناول شيئاً من ذلك حال كونه ﴿غير باغ﴾ أي: على مضطر آخر بالاستئثار عليه فإن هلاك الآخر ليس بأولى من هلاكه فهو حال من فعل مقدر كما أشير إليه. والباغي من البغي يقال بغى عليه بغياً علا وظلم ﴿ولا عاد﴾ أي: متجاوز قدر الضرورة وسد الجوع يقال عدا الأمر وعنه جاوزه ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ أي: لا يؤاخذه بذلك فأقيم سببه مقامه.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿فمن اضطر﴾ إلى نوع منها مثل طلب القوت بالكسب الحلال أو التأهل للتوالد والتناسل أو الاختلاط مع الخلق للمناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من أبواب البر غير معرض عن طلب الحق ولا مجاوز عن حد الطريقة ﴿فإن الله غفور﴾ لما اضطروا إليه ﴿رحيم﴾ على الطالبين بأن يبلغهم مقاصدهم.

واعلم أن مواضع الضرورة مستثناة ولذا قال في «التهذيب» يجوز للعليل شرب البول والدم للتداوي إذا أخبره طبيب مسلم أن شفاءه فيه ولم يجد من المباح ما يقوم مقامه. وأجاز بعضهم استشارة أهل الكفر في الطب إذا كانوا من أهله كما في «إنسان العيون» والأولى التجنب عنه لأن المؤمن ولي الله والكافر عدو الله ولا خير لولي من عدو الله فلا بد للمريض من المراجعة إلى المجانس وأهل الوقوف والتجربة، قال الصائب:

زبى دردان علاج دردخود جستن بآن ماند   كه خار از پابرون آردكسى بانيش عقربها

وفي «الأشباه»: يرخص للمريض التداوي بالنجاسات وبالخمر على أحد القولين واختار قاضيخان عدمه وإساغة اللقمة بها إذا غص اتفاقاً وإباحة النظر للطبيب حتى للعورة والسوءتين انتهى. قال الفقيه أبو الليث رحمه الله يستحب للرجل أن يعرف من الطب مقدار ما يمتنع به عما يضر ببدنه انتهى.

- وروي - عن علي كرم الله وجهه أنه قال لحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء وقد صح عن النبي عليه السلام أنه ضحى عن نسائه بالبقر. قال الحليمي هذا ليبس الحجاز ويبوسة لحم البقر ورطوبة لبنها وسمنها فكأنه يرى اختصاص ذلك به وهذا التأويل مستحسن وإلا فالنبي عليه السلام لا يتقرب إلى الله تعالى بالداء فهو إنما قال ذلك في البقر كما قال: «عليكم بألبان البقر وسمنانها وإياكم ولحومها فإن ألبانها وسمنانها دواء وشفاء ولحومها داء» لتلك اليبوسة. وجواب آخر أنه ضحى بالبقر لبيان الجواز أو لعدم تيسر غيره كذا في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي.

﴿ولا تقولوا﴾ يا أهل مكة ﴿لما تصف ألسنتهم﴾ ما موصولة واللام صلة لا تقولوا مثل ما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ [البقرة: ١٥٤] أي: لا تقولوا في شأن ما تصف ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير ترتيب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلاً عن استناده إلى وحي أو قياس مبني عليه ﴿الكذب﴾ ينتصب بلا تقولوا ﴿هذا حلال وهذا حرام﴾ بدل منه، فالمعنى لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لما تصفه ألسنتكم بالحل والحرمة فقدم عليه كونه كذباً وأبدل منه هذا حلال وهذا حرام مبالغة واللام صلة مثل ما يقال لا تقل للنبيذ إنه حرام أي: في شأنه وذلك لاختصاص القول بأنه في شأنه. وفيه إيماء إلى أن ذلك مجرد وصف باللسان لا حكم عليه عقد كذا في «حواشي» سعدي المفتي. ويقال في الآية تنبيه للقضاة والمفتين كيلا يقولوا قولاً بغير حجة وبيان كما في «تفسير أبي الليث». ﴿لتفتروا على الله الكذب﴾ فإن مدار

الحل والحرمة ليس إلا أمر الله فالحكم بالحل والحرمة إسناد للتحليل والتحريم إلى الله من غير أن يكون ذلك منه. واللام لام العاقبة لا الغرض لأن الافتراء لم يكن غرضاً لهم.

وفي الآية إشارة إلى ما تقولت النفوس بالحسبان والغرور أنا قد بلغنا إلى مقام يكون علينا بعض المحرمات الشرعية حلالاً وبعض المحللات حراماً فيفترون على الله الكذب أنه أعطانا هذا المقام كما هو من عادة أهل الإباحة كذا في «التأويلات النجمية» ﴿**إن الذين يفترون على الله الكذب**﴾ في أمر من الأمور ﴿**لا يفلحون**﴾ لا يفوزون بمطالبهم التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها.

﴿**متاع قليل**﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة تنقطع عن قريب ﴿**ولهم**﴾ في الآخرة ﴿**عذاب أليم**﴾ لا يكتنه كنههم.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿**وعلى الذين هادوا**﴾ يعني: على اليهود خاصة دون غيرهم من الأولين والآخرين ﴿**حرمنا ما قصصنا عليك**﴾ أي: بقوله: ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ [الأنعام: ١٤٦] الآية ﴿**من قبل**﴾ أي: من قبل نزول الآية فهو متعلق بقصصنا أو من قبل التحريم على هذه الأمة فهو متعلق بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بإبطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فإنهم كانوا يقولون لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا ﴿**وما ظلمناهم**﴾ بذلك التحريم ﴿**ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعى عليهم في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] الآية ولقد ألقمهم الحجر قوله تعالى: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُۗ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران: ٩٣].

ـ روي ـ أنه ﷺ لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجرأوا أن يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها أن تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديداً أوضح بيان. وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم ﴿**ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة**﴾ [بسبب غفلت وناداني وعدم تفكر در عواقب أمور]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل من يعمل سوءاً فهو جاهل وإن كان يعلم أن ركوبه سيئة. والسوء يحتمل الافتراء على الله وغيره. واللام متعلقة بالخبر وهو لغفور وإن الثانية تكرير على سبيل التأكيد لطول الكلام ووقوع الفصل كما مر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ [النحل: ١١٠] الآية ﴿**ثم تابوا من بعد ذلك**﴾ أي: من بعدما عملوا السوء والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة ﴿**وأصلحوا**﴾ أعمالهم أو دخلوا في الصلاح ﴿**إن ربك من بعدها**﴾ من بعد التوبة كقوله:

﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٨] في أن الضمير عائد إلى مصدر الفعل. قال سعدي المفتي لم يذكر الإصلاح لأنه تكميل التوبة فإنها الندم على المعصية من حيث إنها معصية مع عزم أن لا يعود فعدم العود والإصلاح تحقيق لذلك العزم ﴿لغفور﴾ لذلك السوء أي: ستور له محاء ﴿رحيم﴾ يثبت على طاعته تركاً وفعلاً وتكرير قوله تعالى ﴿إن ربك﴾ لتأكيد الوعد وإظهار كمال العناية بإنجازه. فعلى العاقل أن يرجع عن الإعراض عن الله ويقبل عليه بصدق الطلب وإخلاص العمل والتوبة بمنزلة الصابون فكما أن الصابون يزيل الأوساخ الظاهرة فكذلك التوبة تزيل الأوساخ الباطنة يعني الذنوب وفي «المثنوي»:

كرسيه كردى تونامه عمر خويش ... توبه كن زانها كه كردستى توپيش
عمر اكر بكذشت بيخش اين دم است ... آب توبه اش ده اكر اوبى نم است
بيخ عمرت را بده آب حيات ... تا درخت عمر كردد باثبات
جمله ماضيها ازين نيكو شوند ... زهر پارينه ازاين كردد چوقند

واعلم أن توبة العوام من السيآت وتوبة الخواص من الزلات والغفلات وتوبة الأكابر من رؤية الحسنات والالتفات إلى الطاعات لا تركها والعبد إذا رجع عن السيئة وأصلح عمله أصلح الله شأنه وأفضل الأعمال خلاف هوى النفس والذكر بلا إله إلا الله وفي الحديث «إن لله عموداً من ياقوت أحمر رأسه تحت العرش وأسفله على ظهر الحوت في الأرض السفلى فإذا قال العبد لا إله إلا الله محمد رسول الله عن نية صادقة اهتز العرش فتحرك الحوت والعمود فيقول الله تعالى: اسكن يا عرشي فيقول العرش: كيف أسكن وأنت لا تغفر لقائلها فيقول الله تعالى: اشهدوا يا سكان سمواتي أني قد غفرت لقائلها الذنوب صغيرها وكبيرها سرها وعلانيتها، فبذكر الله تعالى يتخلص العبد من الذنوب وبه تحصل تزكية النفس وتصفية القلوب».

﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ على حدة لحيازته من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد إلا متفرقاً في أمة جمة كما قيل:

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد
جانا تويكانه ولى ذات توهست ... مجموعه آثار كمالات همه

وفي الحديث «حسين سبط من الأسباط» كما في «المصابيح» بمعنى أنه من الأمم يقوم وحده مقامها أو بمعنى أنه يتشعب منه الفروع الكثيرة إذ السادات من نسل زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما. فلا دلالة في الحديث على نبوة الحسين كما ادعاه بعض المفترين في زماننا هذا نعوذ بالله ومن قال بعد نبينا نبي يكفر كما في «بحر الكلام». ويقال أمه بمعنى مأموم أي: يؤمه الناس ويقصدونه ليأخذوا منه الخير ومعلم الخير إمام في الدين وهو عليه السلام رئيس أهل التوحيد وقدوة أصحاب التحقيق جادل أهل الشرك وألقمهم الحجر ببينات باهرة وأبطل مذاهبهم بالبراهين القاطعة ﴿قانتا لله﴾ مطيعاً له قائماً بأمره ﴿حنيفا﴾ مائلاً عن كل دين باطل إلى الدين الحق ﴿ولم يك من المشركين﴾ في أمر من أمور دينهم أصلاً وفرعاً. وفيه رد على كفار قريش في قولهم نحن على ملة أبينا إبراهيم.

﴿شاكراً لأنعمه﴾ جمع نعمة صفة ثالثة لأمة.

- روي - أنه كان لا يأكل إلا مع ضيف ولم يجد ذات يوم ضيفاً فأخر غداءه فجاءه فوج من الملائكة في زي البشر فقدم لهم الطعام فخيلوا إليه أن بهم جذاماً فقال: الآن وجبت

مؤاكلتكم شكراً لله على أن عافاني وابتلاكم ويقال إنه أراد الضيافة لأمة محمد ثم دعا الله لأجلها وقال: إني عاجز وأنت قادر على كل شيء فجاء جبريل فأتى بكف من كافور الجنة فأخذ إبراهيم فصعد إلى جبل أبي قبيس ونثره فأوصله الله إلى جميع أقطار الدنيا فحيثما سقطت ذرة من ذراته كان معدن الملح فصار الملح ضيافة إبراهيم عليه السلام، قال الشيخ سعدي قدس سره:

خور وپوش بخشاي وراحت رسان نكه مي چه داري زبهر كسان
غم شادماني نماند وليك جزاي عمل ماند ونام نيك

﴿واجتباه﴾ اختاره للنبوة ﴿وهداه إلى صراط مستقيم﴾ موصل إليه وهو ملة الإسلام المشتمل على التسليم وقد أوتي تسليماً أي: تسليم وآتيناه في الدنيا حسنة حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة والأولاد الأبرار والعمر الطويل في السعة والطاعة وأن حضرة الرسالة ﷺ من نسله وأن الصلاة عليه مقرونة بصلاة النبي عليه كما يقول المصلي من هذه الأمة كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ أصحاب الدرجات العالية في الجنة وهم الأنبياء عليهم السلام فالمراد الكاملون في الصلاح والواصلون إلى غاية الكمال ﴿ثم أوحينا إليك﴾ مع علو طبقتك وسمو رتبتك وما في ثم من التراخي في الرتبة للتنبيه على أن أجل ما أوتي إبراهيم اتباع الرسول ملته ﴿أن اتبع ملة إبراهيم﴾ الملة اسم لما شرعه الله لعباده على لسان الأنبياء من أمللت الكتاب إذا مليته وهي الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له والمراد بملته الإسلام المعبر عنه بالصراط المستقيم ﴿حنيفاً﴾ حال من المضاف إليه لما أن المضاف لشدة اتصاله به جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رأيت وجه هند قائمة ﴿وما كان من المشركين﴾ بل كان قدوة الموحدين وهو تكرير لما سبق لزيادة تأكيد وتقرير لنزاهته عما هم عليه من عقد وعمل. قال العلماء المأمور به الاتباع في الأصول دون الفروع المتبدلة بتبدل الأعصار واتباعه له بسبب كونه مبعوثاً بعده وإلا فهو أكرم الأولين والآخرين على الله.

تواصل وباقى طفيل تواند تو شاهى ومجموع خيل تواند

وكان ﷺ على دين قومه قبل النبوة أي: على ما بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في حجهم ومناسكهم وبيوعهم وأساليبهم وأما التوحيد فإنهم كانوا قد بدلوه والنبي عليه السلام لم يكن إلا عليه.

قال في «التأويلات النجمية»: لما سلك النبي ﷺ طريق متابعته واسلم وجهه لله ليذهب إلى الله كما ذهب إبراهيم وقال: إني ذاهب إلى ربي نودي في سره إن إبراهيم كان خليلنا وأنت حبيبنا فالفرق بينكما أن الخليل لو كان ذاهباً يمشي بنفسه فالحبيب يكون راكباً أسري به فلما بلغ سدرة المنتهى وجد مقام الخليل عندها فقيل له إن السدرة مقام الخليل لو رضيت بها لنزينها لك إذ يغشى السدرة ما يغشى ولعلو همته الحبيبية ما زاغ البصر بالنظر إليها وما طغى باتخاذ المنزل عندها ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى وهو مقام الحبيب فبقي مع بلا هو في خلوة لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب وهو جبريل ولا نبي مرسل وهو هويته عليه السلام لما جاوز حد المتابعة صار متبوعاً فإن كان ﷺ في الدنيا محتاجاً إلى متابعة الخليل فالخليل يكون في الآخرة محتاجاً إلى شفاعته كما قال: «الناس محتاجون إلى شفاعتي يوم

القيامة حتى إبراهيم» انتهى ما في «التأويلات». ثم الآية تدل على شرف المتابعة فإن الحبيب مع شرفه العظيم إذا كان مأموراً بالمتابعة فما ظنك بغيره من أفراد الأمة ففي المتابعة وصحبة الأخيار والصلحاء شرف وسعادة عظمى ألا يرى أن عشرة من الحيوانات من أهل الجنة بشرف القرين كناقة صالح وكبش إسماعيل ونملة سليمان وكلب أصحاب الكهف ولله در من قال:

سك أصحاب كهف روزى چند پى مردم كرفت ومردم شد

وعن النبي عليه السلام «أن رجلاً يبقى متحيراً من الإفلاس فيقول الله: يا عبدي أتعرف العبد الفلاني أو العارف الفلاني فيقول: نعم فيقول الله: فاذهب فإني قد وهبتك له». وعن الشيخ بهاء الدين أن خادم الشيخ أبي يزيد البسطامي قدس سره كان رجلاً مغربياً فجرى الحديث عنده في سؤال منكر ونكير فقال المغربي: والله إن يسألاني لأقولن لهما فقالوا له: ومن يعلم ذلك؟ فقال: اقعدوا على قبري حتى تسمعوني فلما انتقل المغربي جلسوا على قبره فسمعوا المسألة وسمعوه يقول: أتسألونني وقد حملت فروة أبي يزيد على عنقي فمضوا وتركوه.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿**إنما جعل السبت**﴾ أي: فرض تعظيم يوم السبت والتخلي فيه للعبادة وترك الصد فيه فتعدية جعل بعلى لتضمينه معنى فرض والسبت يوم من أيام الأسبوع بمعنى القطع والراحة فسمي به لانقطاع الأيام عنده إذ هو آخر أيام الأسبوع وفيه فرغ الله من خلق السموات والأرض أو لأن اليهود يستريحون فيه من الأشغال الدنيوية ويقال اسبتت اليهود إذا عظمت سبتها وكان اليهود يدعون أن السبت من شعائر الإسلام وأن إبراهيم كان محافظاً عليه أي: ليس السبت من شعائر إبراهيم وشعائر ملته التي أمرت يا محمد باتباعها حتى يكون بينه ﷺ وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وإنما شرع ذلك لبني إسرائيل بعد مدة طويلة. قال الكاشفي: [در زاد المسير آورده كه آن روز حضرت موسى عليه السلام يكى را ديدكه متاعى را برداشته بجايى ميبرد بفرمود تا كردنش بزدند وتنش را در محلى بيفكند ندكه مرغان مردار خوار چهل روز اجزا واحشاى اومى خوردند] وذلك لهتك حِرمة شريعته بمثل ذلك العمل:

كرا شرع فتوى دهد برهلاك الا تاندارى ز كشتنش باك

﴿**على الذين اختلفوا فيه**﴾ منشأ الاختلاف هو الطرف المخالف للحق وذلك أن موسى عليه السلام أمر اليهود أن يجعلوا في الأسبوع يوماً واحداً للعبادة وأن يكون ذلك يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا: نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والأرض وهو السبت إلا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع أمر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأما غيرهم فلم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله قردة دون أولئك المطيعين. يقول الفقير: أما الفرقة الموافقة فنجوا لانقيادهم لأمر الله تعالى وفناء باطنهم عن الإرادة التي لم تنبعث من الله تعالى وأما الفرقة المخالفة فهلكوا لمخالفتهم لأمر الله تعالى وبقائهم بنفوسهم الأمارة ولا شك أن من أجبر وفق ومن تحرك بإرادته وكل إلى

نفسه ﴿وإن ربك ليحكم بينهم﴾ أي: بين الفريقين المختلفين فيه ﴿يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ أي: يفصل ما بينهما من الاختلاف فيجازي الموافق بالثواب والمخالف بالعقاب وفيه إيماء إلى أن ما وقع في الدنيا من مسخ أحد الفريقين وإنجاء الآخر بالنسبة إلى ما سيقع في الآخرة شيء لا يعتد به وفي الحديث: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أوتينا من بعدهم» يعني: يوم الجمعة فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فلنا اليوم ولليهود غداً وللنصارى بعد غد. وفي الآية إشارة إلى أن الاختلاف فيما أرشد الله به الناس إلى الصراط المستقيم من الأوامر والنواهي لاستحلال بعضها وتحريم بعضها ابتداعاً منهم على وفق الطبع والهوى وإن كان التشديد فيه على أنفسهم يكون وبالاً عليهم وضلالاً عن الصراط المستقيم. فالواجب على العباد في العبادات والطاعات والمجاهدات وطلب الحق الاتباع وترك الابتداع كما قال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وعضوا عليها بالنواجد وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة». وجاء رجل للشيخ أبي محمد عبد السلام بن بشيش قدس سره فقال: يا سيدي وظف عليّ وظائف وأوراداً فغضب الشيخ وقال أرسول أنا فأوجب الواجبات الفرائض معلومة والمعاصي مشهورة فكن للفرائض حافظاً وللمعاصي رافضاً واحفظ قلبك من إرادة الدنيا واقنع من ذلك كله بما قسم لك فإذا خرج لك مخرج الرضى فكن لله فيه شاكراً وإذا خرج لك مخرج السخط فكن عليه صابراً وفي قوله تعالى: ﴿إن ربك ليحكم﴾ الآية إشارة إلى أن الله تعالى يحكم بعدله بين أهل السنة وأهل البدع فيقول هؤلاء في الجنة بفضلي ولا أبالي وهؤلاء في النار بعدلي ولا أبالي وأهل البدعة ثنتان وسبعون فرقة من أهل الظواهر وإحدى عشرة فرقة من أهل البواطن كلهم على خلاف الحق من حيث الاعتقاد وكلهم في النار والفرقة الناجية من المتصوفة وغيرهم هم الموافقون للكتاب والسنة عقداً وعملاً نسأل الله تعالى أن يحفظنا من الزيغ والضلال ولا بد من أخ ناصح في الدين كامل في طريق اليقين مرشد إلى الحق المتين قال الحافظ قدس سره:

قطع اين مرحله بى همر هى خضر مكن ظلماً تست بترس از خطر كمراهى

﴿ادع﴾ الناس يا أفضل الرسل من سبيل الشيطان ﴿إلى سبيل ربك﴾ وهو الإسلام الموصل إلى الجنة والزلفى. قال حضرة الشيخ العطار قدس سره:

نور او چون اصل موجودات بود ذات أو چون معطىء هر ذات بود

واجب آمد دعوت هر دوجهانش دعوت ذرات پيدا ونهانش

واعلم أن كل عين من الأعيان الموجودة مستند إلى اسم من الأسماء الإلٰهية واصل من طريق ذلك الاسم إلى الله الذي له أحدية جميع الأسماء. لا يقال فما فائدة الدعوة حينئذٍ؟ لأنا نقول الدعوة من المضل إلى الهادي ومن الجائر إلى العدل ﴿بالحكمة﴾ بالحجة القطعية المفيدة للعقائد الحقة المزيحة لشبهة من دعى إليها فهي لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق ﴿والموعظة الحسنة﴾ أي: الدلائل الإقناعية والحكايات النافعة فهي لدعوة عوامهم. يقال وعظه يعظه وعظاً وعظة وموعظة ذكره ما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ كما في «القاموس» ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ أي: ناظر معانديهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الأيسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكيناً لشغبهم وإطفاء للهبهم كما فعله الخليل عليه السلام. والآية دليل على أن المناظرة والمجادلة في العلم

جائزة إذا قصد بها إظهار الحق. قال الشيخ السمرقندي في تفسيره في هذه الآية تنبيه على المدعو إلى الحق فرق ثلاث. فإن المدعو إلى الله بالحكمة قوم وهم الخواص. وبالموعظة قوم وهم العوام. وبالمجادلة قوم وهم أهل الجدال وهم طائفة ذوو كياسة تميزوا بها عن العوام ولكنها ناقصة مدنسة بصفات رديئة من خبث وعناد وتعصب ولجاج وتقليد ضال تمنعهم عن إدراك الحق وتهلكهم فإن الكياسة الناقصة شر من البلاهة بكثير ألم تسمع أن أكثر أهل الجنة البله فليستعمل كل منها مع ما يناسبها فإنه لو استعمل الحكمة للعوام لم يفد شيئاً حيث لم يفهموها لسوء بلادتهم وعدم فطنتهم.

نكته كفتن پيش كژفهمان زحكمت بى كمان
جوهرى چنداز جواهر ريختن پيش خراست

وفي المثنوي:

كى توان باشيعه كفتن از عمر كى توان بربط زدن درپيش كر

وإن استعمل الجدال مع أهل الحكمة تنفروا منه تنفر الرجل من الإرضاع بلبن الطفل.

وفي «التأويلات النجمية» قوله: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾ إشارة إلى أن دعاء العوام إلى سبيل ربك وهو الجنة بالحكمة وهو الخوف والرجاء لأنهم يدعون ربهم خوفاً من النار وطمعاً في الجنة والموعظة الحسنة هي الرفق والمداراة ولين الكلام والتعريض دون التصريح وفي الخلا دون الملا فإن النصح على الملا تقريع:

كر نصيحت كنى بخلوت كن كه جز اين شيوه نصيحت نيست
هر نصيحت كه بر ملا باشد آن نصيحت بجز فضيحت نيست

ودعاء الخواص إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وهي أن تحبب الله إليهم وتوفر دواعيهم في الطلب وترشدهم وتهديهم إلى صراط الله وتسلكهم فيه وتكون لهم دليلاً وسراجاً منيراً إلى أن يصلوا في متابعتك وتزكيتك إياهم إلى مراتب المقربين ﴿**وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ لكل طائفة منها فجادل أهل النفاق واغلظ عليهم وجادل أهل الوفاق باللطف والرحمة واخفض جناحك للمؤمنين واعف عنهم واستغفر لهم. وقال حضرة شيخي وسندي روح الله روحه في كتابه المسمى «باللائحات البرقيات» بالحكمة أي: بالبصيرة على رعاية المناسبة في مقتضيات الأحوال والمقامات بالتليين والتخفيف والتعريض في مقاماتها والتغليظ والتشديد والتصريح في مقاماتها ونحو ذلك من المناسبات الحكمية الجالبة للمصالح والسالبة للمفاسد والموعظة الحسنة أي: المتضمنة للحسنات والمشتملة على الترغيبات والمتناولة للترهيبات والجالبة للقلوب إلى المحبوبات والسالبة للنفوس عن المقبوحات وغير ذلك مما يختص ويليق بالموعظة الحسنة التي هي الموعظة بالحق والعلم الكامل والعقل والتام لا الموعظة بالنفس والجهل والحمق فإن تلك الموعظة إنما هي بالبصيرة الشاملة الصحيحة وهذه الموعظة إنما هي بالغفلة العامة الفاسدة وفي الحقيقة الموعظة الحسنة هي الموعظة الجامعة لجوامع الكلم وجادلهم بالتي أي: بالمجادلة التي هي أحسن وهي المجادلة الحقانية التي تكون بالرفق واللين والصفح والعفو والسمع والكلام بقدر العقول والنظر إلى عواقب الأمور والصبر والتأني والتحمل والحلم وغير ذلك من خواص المجادلة التي هي أحسن مثل كون المراد منها إظهار الحق وبيان الصدق لمن خالف الحق والصدق بكمال الإعراض عن جميع الأغراض والإعراض

وتمام الترحم للمخالفين المعاندين الضالين عن سبيل الحق والصدق والجاهلين الغافلين السائرين إلى سبيل الباطل والكذب وما سوى ذلك من الخواص واللوازم ﴿**إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله**﴾ [بآنكس كه كمراه شد ازراه حق كه اسلامست] وأعرض عن قبول الحق بعدما عاين من الحكم والمواعظ والعبر ﴿**وهو أعلم بالمهتدين**﴾ بذلك أي: ما عليك إلا ما ذكر من الدعوة والتبليغ والمجادلة بالأحسن وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا عليك بل الله أعلم بالضالين والمهتدين فيجازي كلاً منهم بما يستحقه فكأنه قيل: إن ربك أعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكأنك تضرب منه في حديد بارد، قال الشيخ سعدي قدس سره:

توان پاك كردن زژنك آينه ولیكن نیاید زسنك آينه

وقال الحافظ:

كوهر پاك ببايدكه شود قابل فيض ورنه هرسنك وكلي لؤلؤ ومرجان نشود

واعلم أن الناس ثلاثة أصناف: صنف مقطوع بحسن خاتمتهم مطلقاً كالأنبياء عليهم السلام والعشرة المبشرة، وصنف مقطوع بسوء عاقبتهم كأبي جهل وقارون وهامان وفرعون وغيرهم ممن قطع بسوء خاتمتهم مطلقاً. وصنف مشكوك في حسن خاتمتهم وسوء خاتمتهم مطلقاً كعامة المؤمنين الأبرار وكافة الكافرين الفجار فإن الأبرار كانوا ممدوحين في ظاهر الشريعة من جهة العقائد والأعمال في الحال والفجار كانوا مذمومين في ظاهر الشريعة من تلك الجهة في الحال لكن أمرهم في المآل مفوض إلى الله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح ويميز بينهما في الآخرة والعاقبة فكم من ولي في الظاهر يعود عدواً لله ووليًّا للشيطان نعوذ بالله لكون ضلاله ذاتياً قد تداخله الاهتداء العارضي فاستترت ظلمته بصورة نور الاهتداء كاستتار ظلمة الليل بنور النهار عند إيلاج الليل في النهار وكم من عدو في الظاهر يعود وليًّا لله وعدواً للشيطان لكون اهتدائه أصلياً قد تداخله الضلال العارضي فاستتر نوره بظلمة الضلال العارضي كاستتار نور النهار بظلمة الليل عند إيلاج النهار في الليل فكما لا ينفع الأول الاهتداء العارضي ويكون غايته إلى الهلاك كذلك لا يضر هذا الثاني الضلال العارضي ويكون خاتمته إلى النجاة. وعن أبي إسحاق ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كان رجل يكثر الجلوس إلينا ونصف وجهه مغطى فقلت له: إنك تكثر الجلوس إلينا ونصف وجهك مغطى اطلعني على هذا قال وتعطيني الأمان قلت: نعم قال: كنت نباشا فدفنت امرأة فأتيت قبرها فنبشت حتى وصلت إلى اللبن فرفعت اللبن ثم ضربت بيدي إلى الرداء ثم ضربت بيدي إلى اللفافة فمددتها فجعلت تمدها هي فقلت: أتراها تغلبني فجثيت على ركبتي فجردت اللفافة فرفعت يدها فلطمتني وكشف وجهه فإذا أثر خمس أصابع في وجهه فقلت له ثم مه قال ثم رددت عليها لفافتها وإزارها ثم ردت التراب وجعلت على نفسي أن لا أنبش ما عشت قال: فكتبت بذلك إلى الأوزاعي فكنب إليّ الأوزاعي ويحك اسأله عمن مات من أهل التوحيد ووجهه إلى القبلة فسألته عن ذلك فقال أكثرهم حول وجهه عن القبلة فكتبت بذلك إلى الأوزاعي فكتب إلي إنا لله وإنا إليه راجعون ثلاث مرات أما من حول وجهه عن القبلة فإنه مات على غير السنة أي: على غير ملة الإسلام وذلك لأن ترك العمل بالكتاب والسنة والإصرار على المعاصي يجر كثير من العصاة إلى الموت على الكفر والعياذ بالله، قال الشيخ سعدي قدس سره:

عروسي بود نوبت ما تمت كرت نيك روزى بودى خاتمت

نسأل الله سبحانه أن يحفظ نور إيماننا وشمع اعتقادنا من صرصر الزوال ويثبت أقدامنا بالقول الثابت في جميع الأوقات وعلى كل حال.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿وإن عاقبتم﴾ أي: أردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحمي إن أكلت فكل قليلاً **﴿فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾** أي: بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة إطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما تدين تدان أي: كما تفعل تجازى سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء على الطريقة المذكورة أو على نهج المشاكلة والمزاوجة يعني تسمية الأذى الابتدائي معاقبة من باب المشاكلة وإلا فإنها في وضعها الأصل تستدعي أن تكون عقيب فعل نعم العرف جار على إطلاقها على ما يعذب به أحد وإن لم يكن جزاء فعل كما في «حواشي» سعدي المفتي. قال القرطبي أطبق جمهور أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وذلك أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وجدعوا أنوفهم وآذانهم وقطعوا مذاكيرهم ما بقي أحد غير ممثول به إلا حنظلة بن الراهب لأن أباه عامر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوه لذلك ولما انصرف المشركون عن قتلى أحد انصرف رسول الله عليه الصلاة والسلام فرأى منظراً ساءه رأى حمزة قد شق بطنه واصطلم أنفه وجدعت أذناه ولم ير شيئاً كان أوجع لقلبه منه فقال: «رحمة الله عليك كنت وصولاً للرحم فعالاً للخير لولا أن تحزن النساء أو يكون سنة بعدي لتركتك حتى يبعثك الله من بطون السباع والطير أما والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلنّ بسبعين مكانك» وقال المؤمنون: إن أظهرنا الله عليهم لنزيدن على صنعهم ولنمثلن مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط ولنفعلن ثم دعا عليه السلام ببردته فغطى بها وجه حمزة فخرجت رجلاه فجعل على رجليه شيئاً من الإذخر ثم قدمه فكبر عليه عشراً ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع وحمزة مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة وكان القتلى سبعين. وفي «التبيان» صلى النبي عليه السلام على عمه حمزة سبعين تكبيرة أو صلاة انتهى.

ـ روي ـ أن أبا بكر رضي الله عنه صلى على فاطمة رضي الله عنها وكبر أربعاً، وهذا أحد ما استدل به فقهاء الحنفية على تكبيرات الجنازة أربع كما في «أنوار المشارق». قال في «أسباب النزول» ما حاصله: أن حمزة رضي الله عنه قتله وحشي الحبشي وكان غلاماً لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر فلما سارت قريش إلى أحد قال له جبير إن قتلت حمزة عم محمد لعمي طعيمة فأنت عتيق فأخذ الوحشي حربته فقذفه بها وكانت لا تخطىء حربة الحبشة حين قذفوا فكان ما كان ثم أسلم الوحشي وقال له ﷺ: «هل تستطيع أن تغيب عني وجهك» وذلك أنه عليه السلام كرهه لقتله حمزة فخرج فلما قبض رسول الله ﷺ وخرج الناس إلى مسيلمة الكذاب قال الوحشي لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافىء به حمزة فخرج مع الناس فوفقه الله لقتله. ثم إن القتلى لما دفنوا وفرغ منهم نزلت هذه الآية فكفر

عليه السلام عن يمينه وكفه عما أراده والأمر وإن دل على إباحة المماثلة في المثلة من غير تجاوز لكن في تقييده بقوله: ﴿وإن عاقبتم﴾ حث على العفو تعريضاً. قال في «بحر العلوم» لا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الأخبار بالنهي عنها حتى الكلب العقور ﴿ولئن صبرتم﴾ أي: عن المعاقبة بالمثل وعفوتم وهو تصريح بما علم تعريضاً ﴿لهو﴾ أي: لصبركم هذا ﴿خير﴾ لكم من الانتصار بالمعاقبة أي: العفو خير للعافين من الانتقام وإنما قيل: ﴿للصابرين﴾ مدحاً لهم وثناء عليهم بالصبر وعند ذلك قال ﷺ: «بل نصبر يا رب». قال في «الخلاصة»: رجل قال لآخر يا خبيث هل يقول له بلى أنت الأحسن أن يكف عنه ولا يجيب ولو رفع الأمر إلى القاضي ليؤدبه يجوز ومع هذا لو أجاب لا بأس به. وفي «مجمع الفتاوى» لو قال لغيره يا خبيث فجازاه بمثله جاز لأنه انتصار بعد الظلم وذلك مأذون فيه قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الشورى: ٤١] والعفو أفضل قال الله تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ٤٠] وإن كانت تلك الكلمة موجبة للحد لا ينبغي أن يجيبه بمثله تحرزاً عن إيجاب الحد على نفسه. وفي تنوير الأبصار للإمام التمرتاشي ضرب غيره بغير حق وضرب المضروب يعزران ويبدأ بإقامة التعزير بالبادي انتهى. ثم أمر به ﷺ صريحاً لأنه أولى الناس بعزائم الأمور لزيادة علمه بشؤونه تعالى ووفور وثوقه به فقيل:

﴿واصبر﴾ على ما أصابك من جهتهم من فنون الآلام والأذية وعاينت من إعراضهم عن الحق بالكلية وصبره عليه السلام مستتبع لاقتداء الأمة كقول من قال لابن عباس رضي الله عنهما عند التعزية اصبر نكن بك صابرين فإنما صبر الرعية عند صبر الرأس ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ بتوفيق الله وإعانته لك على الصبر لأن الصبر من صفات الله ولا يقدر أحد أن يتصف بصفاته أي: إلا به بأن يتحلى بتلك الصفة. قال جعفر الصادق رضي الله عنه أمر الله أنبياءه بالصبر وجعل الحظ الأعلى منه للنبي ﷺ حيث جعل صبره بالله لا بنفسه وقال: ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي: على الكافرين بوقوع اليأس من إيمانهم بك ومتابعتهم لك نحو ﴿ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المائدة: ٦٨] ﴿ولا تك﴾ أصله لا تكن حذفت النون تخفيفاً لكثرة استعماله بخلاف لم يصن ولم يخن ونحوهما ومعنى كثرة الاستعمال أنهم يعبرون بكان ويكون عن كل الأفعال فيقولون كان زيد يقول وكان زيد يجلس فإن وصلت بساكن ردت النون وتحركت نحو ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [النساء: ٣٨] و﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ﴾ [البينة: ١] الآية ﴿في ضيق﴾ أي: لا تكن في ضيق صدر من مكرهم فهو من الكلام المقلوب الذي يسجع عليه عند أمن الالتباس لأن الضيق وصف فهو يكون في الإنسان ولا يكون الإنسان فيه. وفيه لطيفة أخرى وهي أن الضيق إذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط به من جميع الجوانب ﴿مما يمكرون﴾ أي: من مكرهم بك فيما يستقبل فأول نهي عن التأثم بمطلوب من قبلهم فات والثاني عن التأثم بمحذور من جهتهم آتٍ.

﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ اجتنبوا المعاصي ومعنى المعية الولاية والفضل ﴿والذين هم محسنون﴾ في أعمالهم ويقال مع الذين اتقوا مكافاة المسيء والذين هم محسنون إلى من يعادي إليهم فالإحسان على الوجه الأول بمعنى جعل الشيء جميلاً حسناً وعلى الثاني ضد الإساءة وفي الحديث: «إن للمحسن ثلاث علامات يبادر في طاعة الله ويجتنب محارم الله ويحسن إلى من أساء إليه».

ز احسان خاطر مردم شود شاد　　بتقوى خانه دين كردد آباد
بسوى اين صفتها كر شتابى　　رضاي خلق وخالق هر دويابى

قال ممشاد الدينوري: رأيت ملكاً من الملائكة يقول لي: كل من كان مع الله فهو هالك إلا رجل واحد قلت: من هو؟ قال: من كان الله معه وهو قوله: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ وذلك لأن المقصود كينونة المحبوب مع المحب إذ هو يشعر بالرضى والإقبال وأما كينونة المحب مع المحبوب فقد تحصل مع سخط المحبوب وإدباره. وعن هرم بن حيان أنه قيل له حين احتضر أوص فقال: إنما الوصية من المال ولا مال لي أوصيكم بخواتيم سورة: النحل أي من ﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ إلى آخرها. يقول الفقير سامحه الله القدير جمع شيخي وسندي روح الله روحه أصحابه قبل وفاته بيوم فقال: اعلموا أيها الأصحاب أنه لا مال لي حتى أوصي به ولكني على مذهب أهل السنة والجماعة شريعة وطريقة ومعرفة وحقيقة فاعرفوني هكذا واشهدوا لي بهذا في الدنيا والآخرة فهذا وصيتي وأشار حضرة الشيخ بهذا إلى أنه لا زيغ ولا إلحاد في اعتقاده وفي طريقه أصلاً فإنهم قالوا: إن أهل التصوف تفرقت على اثنتي عشرة فرقة فواحدة منهم سنيون وهم الذين أثنى عليهم العلماء والبواقي بدعيون. ويعلم السني بشاهدين. أحدهما ظاهر والآخر باطن فالظاهر استحكام الشريعة والباطن السلوك على البصيرة واليقظة والعلم لا على العمى والغفلة والجهل فمن عمل بخواتيم هذه السورة واتصف بحقيقة العفو والصبر والحلم والانشراح في المنشط والمكره وترك الحزن والغم على الفائت والآتي. وبالتقوى على مراتبها وبالإحسان بأنواعه فقد جعل لنفسه علامة الولاية والمعية والإيمان الكامل وحسن الخاتمة وخير العاقبة اللهم احفظنا من الميل إلى السوى والغير واختم عواقبنا بالخير يا رب.

تمت سورة النحل بما تحتويه من شواهد العقل والنقل في يوم السبت التاسع عشر من شعبان المبارك المنتظم في سلك شهور سنة أربع ومائة وألف.

١٧ - سورة الإسراء

وهي مائة وإحدى عشرة آية مكية.

قال في «الكواشي»: إلا من ﴿وإن يكادوا ليستفزونك﴾ إلى ﴿نصيرا﴾ أو فيها من المدني من ﴿قل رب أدخلني مدخل صدق﴾ ﴿وإن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ ﴿وإن ربك أحاط بالناس﴾ ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ والتي تليها انتهى.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾

﴿سبحان﴾ اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه ومتضمن معنى التعجب وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره تقديره اسبح الله عن صفات المخلوقين سبحاناً بمعنى تسبيحاً ثم نزل منزلة الفعل فناب منابه كقولهم معاذ الله وغفرانك غير ذلك. وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكره بعده وهو لا ينافي التعجب.

قال في «التأويلات النجمية»: كلمة سبحان للتعجب بها يشير إلى أعجب أمر من أموره تعالى جرى بينه وبين حبيبه. وفي «الأسئلة الحكم» أما اقتران الإسراء بالتسبيح ليتقي بذلك ذو العقل وصاحب الوهم ومن يحكم عليه خياله من أهل التشبيه والتجسيم مما يخيله في حق الخالق من الجهة والجسد والحد والمكان. وإنما تعجب بعروجه دون نزوله عليه السلام لأنه لما عرج كان مقصده الحق تعالى ولما نزل كان مقصد الخلق والمقصود من التعجب التعجب بعروجه. وأيضاً أن عروجه أعجب من نزوله لأن عروج الكثيف إلى العلو من العجائب ﴿الذي أسرى بعبده﴾ . قال الكاشفي: [پاكى وبى عيبي آنرا كه بجهت كرامت ببرد بنده خودرا كه محمد است ﷺ] الإسراء السير بالليل خاصة كالسرى يقال اسرى وسري أي: سار ليلاً ومنه السرية واحدة السرايا لأنها تسري في خفية وأسرى به أي: سيره ليلاً. قال النضر: سقط السؤال والاعتراضات على المعراج بقوله: أسرى دون سار ونظيره قوله عليه السلام: «حبب إلي من دنياكم ثلاث» حيث لم يقل أحببت. وإنما قال بعبده دون بنبيه لئلا يتوهم فيه نبوة وألوهة كما توهموا في عيسى ابن مريم عليهما السلام بانسلاخه عن الأكوان وعروجه بجسم إلى الملأ الأعلى مناقضاً للعادات البشرية وأطوارها. وأدخل الباء للمناسبة بين العبودية التي هي الذلة والتواضع وبين الباء التي هي حرف الخفض والكسر فإن كل ذليل منكسر. وفيه إشارة إلى شرف مقام العبودية حتى قال الإمام في تفسيره: إن العبودية أفضل من الرسالة لأن بالعبودية ينصرف من الخلق إلى الحق فهي مقام الجمع وبالرسالة ينصرف من الحق إلى الخلق فهي مقام

الفرق والعبودية أن يكل أموره إلى سيده فيكون هو المتكفل بإصلاح مهامه والرسالة التكفل بمهام الأمة وشتان ما بينهما. قال الشيخ الأكبر قدس سره: إن معراجه عليه السلام أربع وثلاثون مرة واحدة بجسده والباقي بروحه رؤيا رآها أي: قبل النبوة وبعدها وكان الإسراء الذي حصل له قبل أن يوحى إليه توطئة له وتيسيراً عليه كما كان بدأ نبوته الرؤيا الصادقة والذي يدل على أنه عليه السلام عرج مرة بروحه وجسده معاً قوله أسرى بعبده فإن العبد اسم للروح والجسد جميعاً وأيضاً أن البراق الذي هو من جنس الدواب إنما يحمل الأجساد وأيضاً لو كان بالروح حال النوم أو حال الفناء أو الانسلاخ لما استبعده المنكرون إذ المتهيئون من جميع الملل يحصل لهم مثل ذلك ويتعارفونه بينهم. قال الكاشفي: [آنانكه درين قصه ثقل جسدرا مانع دانند ازصعود ارباب بدعت اند ومنكر قدرت].

آنكه سرشت تنش ازجان بود سير وعروجش بتن آسان بود

وقد ذكروا أن جبريل عليه السلام أخذ طينة النبي ﷺ فعجنها بمياه الجنة وغسلها من كل كثافة وكدورة فكأن جسده الطاهر كان من العالم العلوي كروحه الشريف. فإن قلت ففيمَ أسري به؟ قلت: قال ﷺ: «أسري بي في قفص من لؤلؤ فراشه من ذهب» كما في «بحر العلوم».

﴿ليلا﴾ نصب على الظرف وهو تأكيد إذ الإسراء في لسان العرب لا يكون إلا ليلاً حتى لا يتخيل أنه كان نهاراً ولا يظن أنه حصل بروحه أو لإفادة تقليل مدة الإسراء في جزء من الليل لما في التنكير من الدلالة على البعضية من حيث الإفراد فإن قولك سرت ليلاً كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما إذا قلت: سرت الليل فإنه يفيد استيعاب السير له جميعاً فيكون معياراً للسير لا ظرفاً له وهي ليلة سبع وعشرين من رجب ليلة الاثنين وعليه عمل الناس قالوا: إنه عليه السلام ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وأسري به ليلة الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين ولعل سره أن يوم الاثنين إشارة إلى التعين الثاني الذي هو مبدأ الفياضية ونظيره الباء كما أن الباء من الحروف الهجائية له التعين الثاني فكذا يوم الاثنين فكان الألف ويوم الأحد بمنزلة تعين الذات والباء ويوم الاثنين أي: تعينهما بمنزلة تعين الصفات فافهم وفي وصف هذه الليلة، قال المولى الجامي قدس سره:

ز قدر او مثالى ليلة القدر ز نور او براتى ليلة البدر
سواد طره اش خجلت ده حور بياض غره اش نور على نور
نسيمش جعد سنبل شانه كرده هوايش اشك شبنم دانه كرده
بمسمار ثوابت چرخ سيار به بسته در جهان درهاى ادبار
طرب راچون سخن خندان ازولب كر يزان روز محنت زو شباشب

فإن قلت فلِمَ جُعِل المعراج ليلاً ولم يجعل نهاراً؟ حتى لا يكون إشكال وطعن. قلت: ليظهر تصديق من صدق وتكذيب من كذب. وأيضاً أن الليل محل الخلوة بالحبيب فالليل حظ الفراش والوصال والنهار حظ اللباس والفراق والليل مظهر البطون والنهار مظهر الظهور والليل راحة والراحة من الجنة والنهار تعب والتعب من النار وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة، يعني: [درسال دوازدهم از مبعث بوده] ﴿من المسجد الحرام﴾ أصح الروايات على أن الإسراء كان من بيت أم هانىء بنت أبي طالب وكان بيتها من الحرم والحرم كله مسجد. قالوا حدود الحرم

من جهة المدينة على ثلاثة أميال ومن طريق العراق على سبعة أميال ومن طريق الجعرانة على تسعة أميال ومن طريق الطائف على سبعة أميال ومن طريق جدة على عشرة أميال والمواقيت الخمسة التي وقتها النبي ﷺ وعينها للإحرام فناء للحرم وهو فناء للمسجد الحرام وهو فناء للبيت شرفه الله تعالى فالبيت إشارة إلى الذات الإلهية والمسجد الحرام إلى الصفات والحرم إلى الأفعال وخارج المواقيت إلى الآثار ومن قصد مكة سواء كان للزيارة أو غيرها لا يحل له التجاوز من هذه الأفنية غير محرم تعظيماً لها وقس عليه دخول المساجد وحضور المشايخ أصحاب القلوب للصلاة والزيارة فإنه لا بد من أدب الظاهر والباطن في كل منهما.

ـ ذكروا ـ أن الحجر الأسود أخرج من الجنة وله ضوء فكل موضع بلغ ضوءه كان حرماً.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لما أهبط آدم إلى الأرض خر ساجداً معتذراً فأرسل الله تعالى جبريل بعد أربعين سنة يعلمه بقبول توبته فشكا إلى الله تعالى ما فاته من الطواف بالعرش فأهبط الله له البيت المعمور وكان ياقوتة حمراء فأضاء ما بين المشرق والمغرب فنفرت من ذلك النور الجن والشياطين وفزعوا وتفرقوا في الجو ينظرونه فلما رأوه أي: النور من جانب مكة أقبلوا يريدون الاقتراب إليه فأرسل الله تعالى ملائكته فقاموا حوالي الحرم في مكان الاعلام اليوم ومنعوهم فمن ثمة تسمى الحرم بالحرم. ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ أي: بيت المقدس وسمي بالأقصى أي: الأبعد لأنه لم يكن حينئذٍ وراءه مسجد فهو أبعد المساجد من مكة وكان بينهما أكثر من مسيرة شهر. قال بعض العارفين: أشار بالمسجد الحرام إلى مقام القلب المحرم أن يطوف به مشركو القوى البدنية الحيوانية وترتكب فيه فواحشها وخطاياها وتحجه غير القوى الحيوانية من الصفات البهيمية والسبعية. وأشار بالمسجد الأقصى إلى مقام الروح الأبعد من العالم الجسماني لشهود تجليات الذات. قال في «هدية المهديين»: معراج النبي عليه السلام إلى المسجد الأقصى ثابت بالكتاب وهو في اليقظة وبالجسد بإجماع القرن الثاني ثم إلى السماء بالخبر المشهور ثم إلى الجنة أو العرش أو إلى طواف العالم بخبر الواحد انتهى. قال الكاشفي: [رفتن آن حضرت ازمكه ببيت المقدس بنص قرآن ثابتست ومنكر آن كافر وعروج برآسمانها ووصول بمرتبه قربت بأحاديث صححه مشهوره كه قريبست بحد تواتر ثابت كشت وهركه إنكار آن كند ضال ومبتدع باشد].

شاهد معراج نبي وافرست وآنكه مقرنيست بدين كافرست
دستكه سلطنت اين وصال نيست به پامزدى خيل خيال
عقل چه داند چه مقامست اين عشق شناست كه چه دامست اين

﴿الذي باركنا حوله﴾ [آن مسجدى كه بركت كرديم بركرد او] ببركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي والملائكة ومتعبد الأنبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالأنهار والأشجار المثمرة فدمشق والأردن فلسطين من المدائن التي حوله ﴿لنريه من آياتنا﴾ غاية للإسراء وإشارة إلى أن الحكمة في الإسراء به إراءة آيات مخصوصة بذاته تعالى التي ما شرف بإراءتها أحداً من الأولين والآخرين إلا سيد المرسلين وخاتم النبيين فإنه تبارك وتعالى أرى خليله عليه السلام وهو أعز الخلق عليه بعد حبيبه الملكوت كما قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٧٥] وأرى حبيبه آيات ربوبيته الكبرى كما قال: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ⑱﴾ [النجم: ١٨] ليكون من المحبين المحبوبين فمن تبعضية لأن ما أراه الله تعالى في

تلك الليلة إنما هو بعض آياته العظمى وإضافة الآيات إلى نفسه على سبيل التعظيم لها لأن المضاف إلى العظيم عظيم.

وسقط الاعتراض بأن الله تعالى أرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وأرى نبينا عليه السلام بعض آياته فيلزم أن يكون معراج إبراهيم أفضل. وحاصل الجواب أنه يجوز أن يكون بعض الآيات المضافة إلى الله تعالى أعظم وأشرف من ملكوت السموات والأرض كلها كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم: ١٨]، قالوا في التفاسير هي ذهابه في بعض الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الأنبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية ونحوها. قال في: «أسئلة الحكم» أما الآيات الكبرى: فمنها في الآفاق ما ذكره عليه السلام من النجوم والسموات والمعارج العلى والرفرف الأدنى وصرير الأقلام وشهود الألواح وما غشي الله سدرة المنتهى من الأنوار وانتهاء الأرواح والعلوم والأعمال إليها ومقام قاب قوسين من آيات الآفاق. ومنها آيات الأنفس كما قال سبحانه ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] وقوله: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩] من آيات الأنفس وهو مقام المحبة والاختصاص بالهو ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: ١٠] مقام المسامرة وهو الهوّ غيب الغيب وأيده ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم: ١١] والفؤاد قلب القلب وللقلب رؤية وللفؤاد رؤية فرؤية القلب يدركها العمى كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] والفؤاد لا يعمى لأنه لا يعرف الكون وما له تعلق إلا بسيده فإن العبد هنا عبد من جميع الوجوه منزه مطلق التنزيه في عبوديته فما نقل عبده من مكان إلى مكان إلا ليريه من آياته التي غابت عنه كأنه تعالى قال: ما أسريت به إلا لرؤية الآيات لا إليّ فإني لا يحدني مكان ولا يقيدني زمان ونسبة الأمكنة والأزمنة إلى نسبة واحدة وأنا الذي وسعني قلب عبدي فكيف أسري به إليّ وأنا عنده ومعه أينما كان نزولاً وعروجاً واستواء ﴿إنه هو السميع﴾ لأقواله ﷺ بلا أذن كما يتكلم من غير آلة الكلام وهو اللسان ويعلم من غير أداة العلم وهو القلب ﴿البصير﴾ بأفعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك. وفيه إيماء إلى أن الإسراء المذكور ليس إلا لتكرمته ورفع منزلته وإلا فالإحاطة بأقواله وأفعاله حاصلة من غير حاجة إلى التقريب.

وفي «التأويلات» وفي قوله: ﴿إنه هو السميع البصير﴾ إشارة إلى أن النبي ﷺ هو السميع الذي قال الله: «كنت له سمعاً فبي يسمع وبي يبصر» فتحقيقه لنريه من آياتنا المخصوصة بجمالنا وجلالنا إنه هو السميع بسمعنا البصير ببصرنا فإنه لا يسمع كلامنا إلا بسمعنا ولا يبصر جمالنا إلا ببصرنا.

چودر مكتب بي نشاني رسيد چكويم كه آنجا چه ديد وشنيد
ورق در نوشتند وكم شد سبق شنيدن بحق بود وديدن بحق

ـ وتفصيل القصة ـ أنه عليه السلام بات ليلة الاثنين ليلة السابع والعشرين من رجب كما سبق في بيت أم هاني بنت أبي طالب واسمها على الأشهر فاختة أسلمت يوم الفتح وهرب زوجها جبيرة إلى نجران ومات بها على كفره واضطجع عليه السلام هناك بعد أن صلى الركعتين اللتين كان يصليهما وقت العشاء ونام ففرج عن سقف بيتها ونزل جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام ومع كل واحد منهم سبعون ألف ملك وأيقظه جبريل بجناحه كما قال المولى الجامي:

درين شب آن چراغ چشم بينش	سزاى آفرين از آفرينش
چو دولت شد زبد خواهان نهانى	سوى دولت سراى امهانى
به پهلوتكيه بر مهد زمين كرد	زمين را مهد جان نازنين كرد
دلش بيدار چشمش درشكر خواب	نديده چشم بخت اين خواب در خواب
در آمد ناكهان ناموس اكبر	سبك رو ترازين طاوس اخضر
برو ماليد پركاى خواجه بر خيز	كه امشب خوابت آمد دولت انكيز
برون بر يكزمان زين خوابكه رخت	توبخت عالمي بيخواب به بخت

قال عليه السلام: «فقمت إلى جبريل فقلت: أخي جبريل ما لك؟ فقال: يا محمد إن ربي تعالى بعثني إليك أمرني أن آتيه بك في هذه الليلة بكرامة لم يكرم بها أحد قبلك ولا يكرم بها أحد بعدك فإنك تريد أن تكلم ربك وتنظر إليه وترى في هذه الليلة من عجائب ربك وعظمته وقدرته» قال عليه السلام: «فتوضأت وصليت ركعتين» وشق جبريل صدره الشريف من الموضع المنخفض بين الترقوتين إلى أسفل بطنه أي: أشار إلى ذلك فانشق فلم يكن الشق بآلة ولم يسل دم ولم يجد له عليه السلام ألماً لأنه من خرق العادة وظهور المعجزات فجاء بطست من ماء زمزم واستخرج قلبه عليه السلام فغسل ثلاث مرات ونزع ما كان فيه من أذى. وفيه إشارة إلى فضل زمزم على المياه كلها جنانية أو غيرها ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء إيماناً وحكمة فأفرغ فيه لأن المعاني تمثل بالأجسام كالعلم بصورة اللبن ووضعت فيه السكنة ثم أعاد القلب إلى مكانه والتأم صدره الشريف فكانوا يرون أثراً كأثر المخيط في صدره وهو أثر مرور يد جبريل. ووقع له عليه السلام شق الصدر ثلاث مرات:

ـ والمرة الأولى: ـ حين كان في بني سعد وهو ابن خمس سنين على ما قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وأخرج في هذه المرة العلقة السوداء من القلب التي هي حظ الشيطان ومحل غمزه أي: محل ما يلقيه من الأمور التي لا تنبغي فلم يكن للشيطان في قلب النبي عليه السلام حظ وكذا لم يكن لقلبه الطاهر ميل إلى لعب الصبيان ونحوه وهو مما اختص به دون الأنبياء عليهم السلام إذ لم يكن لهم شرح الصدر على هذا الأسلوب وللورثة الكمل حظ من هذا المعنى فإنه يخرج من بعضهم الدم الأسود بالقيء في حال اليقظة ومن بعضهم حال الفناء والانسلاخ والأول أتم لأنه يزول القلب بالكلية فينشط للعبادات كالعادات وجاء جبريل في هذه المرة بخاتم من نور يحار الناظرون دونه فختم به قلبه عليه السلام لحفظ ما فيه وختم أيضاً بين كتفيه بخاتم النبوة أي الذي هو علامة على النبوة وكان حوله خيلان فيها شعرات سود مائلة إلى الحضرة وكان كالتفاحة أو كبيض الحمامة أو كزر الحجلة وهو طائر على قدر الحمامة كالقطاة أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البر وزرها بيضتها. قال الترمذي والصواب حجلة السرير واحدة الحجال وزرها الذي يدخل في عروتها كما في «حياة الحيوان» مكتوب عليه «لا إله إلا الله محمد رسول الله» أو «محمد نبي أمين» أو غير ذلك. والتوفيق بين الروايات بتنوع الحظوظ بحسب الحالات والتجليات أو بالنسبة إلى أنظار الناظرين. قال الإمام الدميري: إن بعض الأولياء سأل الله تعالى أن يريه كيف يأتي الشيطان ويوسوس فأراه الحق هيكل الإنسان في صورة بلور وبين كتفيه شامة سوداء كالعش والوكر فجاء الخناس يتحسس من جميع جوانبه وهو في صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء من بين الكتفين فأدخل خرطومه قبل قلبه

فوسوس إليه فذكر الله تعالى فخنس وراءه ولذلك سمي بالخناس لأنه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر في القلب ولهذا السر الإلهي كان عليه السلام يحتجم بين كتفيه ويأمر بذلك ووصاه جبريل بذلك لتضعيف مادة الشيطان وتضييق مرصده لأنه يجري وسوسته مجرى الدم ولذلك كان خاتم النبوة بين كتفيه إشارة إلى عصمته من وسوسته لقوله: «أعانني الله عليه فأسلم» أي: بالختم الإلهي أيده به وخصه وشرفه وفضله بالعصمة الكلية فأسلم قرينه وما أسلم قرين آدم فوسوس إليه لذلك.

ـ والمرة الثانية: ـ عند مجيء الوحي في بلوغه سن أربعين ليحصل له التحمل لأعباء الرسالة.

ـ والمرة الثالثة: ـ ليلة الإسراء وهو ابن ثنتين وخمسين ليتسع قلبه لحفظ الأسرار الإلهية والكلمات الربانية وجاء جبريل هذه الليلة بدابة بيضاء ومن ثمة قيل لها البراق بضم الموحدة لشدة بريقها أو لسرعتها فهي كالبرق الذي يلمع في الغيم كما قال المولى الجامي قدس سره:

پسيج راه عرشت كردم اينك ... براقى برق سير آوردم اينك
جهنده برزمين خوش بادپايى ... پرنده درهوا فرخ همايى
چو عقل كل سوى أفلاك كردى ... چو فكر هندسه كيتى نوردى
نه دست كس عنان أو بسوده ... نه از پايى ركابش كشته سوده

وهي دابة فوق الحمار دون البغل. قال صاحب «المنتقى»: الحكمة في كونه على هيئة بغل ولم يكن على هيئة فرس التنبيه على أن الركوب في سلم وأمن لا في خوف وحرب أو لإظهار الآية في الإسراع العجيب في دابة لا يوصف شكلها بالإسراع فإنه كان يضع خطوه عند أقصى طرفه ويؤخذ من هذا أنه أخذ من الأرض إلى السماء في خطوة لأن بصر من في الأرض يقع على السماء وإلى السموات السبع في سبع خطوات لأن بصر من يكون في السماء يقع على السماء التي فوقها وبه يرد على من استبعد من المتكلمين إحضار عرش بلقيس في لحظة واحدة. وقال في «ربيع الأبرار»: خد البراق كخد الإنسان وقوائمها كقوائم البعير وعرفها كعرف الفرس وعليها سرج من لؤلؤة بيضاء وركابان من زبرجد أخضر وعليه لجام من ياقوت أحمر يتلألأ نوراً. قال في «إنسان العيون»: لا ذكر ولا أنثى ومن لا يوصف بوصف المذكر والمؤنث فهو حقيقة ثالثة ويكون خارجاً من قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] كما خرجت الملائكة من ذلك فإنهم ليسوا ذكوراً ولا إناثاً. قال عليه السلام: «فما رأيت دابة أحسن منها وإني لمشتاق إليها من حسنها فقلت: يا جبريل ما هذه الدابة؟ فقال: هذا البراق فاركب عليه حتى تمضي إلى دعوة ربك فأخذ جبريل بلجامها وميكائيل بركابها وإسرافيل من خلفها فقصدت إلى أن أركبها فجمحت الدابة وأبت فوضع جبريل يده على وركها وقال لها: أما تستحيين مما فعلت فوالله ما ركبك أحد أكرم على الله من محمد فرشحت عرقاً من الحياء». قال ابن دحية: لم يركب البراق أحد قبله عليه السلام ووافقه الإمام النووي فقول جبريل ما ركبك لا ينافيه لأن السالبة تصدق بنفي الموضوع. فقالت: يا جبريل لم استصعب منه إلا ليضمن أن يشفع لي يوم القيامة لأنه أكرم الخلائق على الله فضمن لها ذلك. قالوا: الورد الأبيض خلق من عرق جبريل والأصفر من عرق البراق. وعن أنس رضي الله عنه رفعه «لما عرج بي إلى السماء بكت الأرض من بعدي فنبت الأصفر من نباتها فلما رجعت قطر عرقي على الأرض فنبت ورد أحمر ألا

من أراد أن يشم رائحتي فليشم الورد الأحمر». قال أبو الفرج النهرواني: هذا الخبر يسير من كثير مما أكرم الله تعالى به نبيه عليه السلام ودل على فضله ورفيع منزلته كما في «المقاصد الحسنة». يقول الفقير: هذا لا يستلزم أن لا يكون قبل هذا ورد أحمر وأبيض وأصفر إذ ذلك من باب الكرامة ونظير ذلك أن حواء عليها السلام حين أهبطت إلى الأرض بكت فما وقع من قطرات دموعها في البحر صار لؤلؤاً وهذا لا يستلزم أن لا يكون قبل هذا در في البحر وقس عليه الملح فإن إبراهيم عليه السلام أتى بكف من كافور الجنة فذراه فحيثما وقع ذرة منه في أطراف العالم انقلب مملحة وكان قبل هذا ملح لكن لا بهذه المثابة. قال عليه السلام: «فركبتها»:

ازان دولت سرا چون خواجه دين خرامان شد بعزم خانه زين
شد از سبوحيان كردون صداده كه سبحان الذي أسرى بعبده

واختلفوا هل ركبها جبريل معه. قال صاحب المنتقى: الظاهر عندي أنه لم يركب لأنه عليه السلام مخصوص بشرف الإسراء فانطلق البراق يهوي به يضع حافره حيث أدرك طرفه حتى بلغ أرضاً فقال له جبريل: انزل فصل هٰهنا ففعل ثم ركب فقال له جبريل: أتدري أين صليت؟ قال: «لا» قال: صليت بمدين وهي قرية تلقاء غزة عند شجرة موسى سميت باسم مدين بن موسى لما نزلها فانطلق البراق يهوي به فقال له جبريل: انزل فصل ففعل ثم ركب فقال له: أتدري أين صليت؟ قال: «لا» قال: صليت ببيت لحم وهي قرية تلقاء بيت المقدس حيث ولد عيسى عليه السلام وبينا هو ﷺ على البراق إذ رأى عفريتاً من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رآه فقال له جبريل: ألا أعلمك كلمات تقولهن إذا أنت قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه؟ فقال عليه السلام: «بلى» فقال جبريل: قل أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات اللاتي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمٰن فقال عليه السلام: «ذلك» فانكب لفيه وطفئت شعلته. ورآى ﷺ حال المجاهدين في سبيل الله أي: كشف له عن حالهم في دار الجزاء بضرب مثال. فرأى قوماً يزرعون ويحصدون من ساعته وكلما حصدوا عاد كما كان فقال: «يا جبرائيل ما هذا؟» قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من خير فهو يخلفه والمراد تكرير الجزاء لهم. ونادى مناد عن يمينه يا محمد انظرني أسألك فلم يجبه فقال: «ما هذا يا جبريل؟» فقال: هذا داعي اليهود أما إنك لو أجبته لتهودت أمتك أي: لتمسكوا بالتوراة والمراد غالب الأمة. ونادى مناد عن يساره كذلك فلم يجبه فقال: «ما هذا يا جبريل؟» فقال: هذا داعي النصارى أما إنك لو أجبته لتنصرت أمتك أي: لتمسكوا بالإنجيل. وكشف له عليه السلام عن حال الدنيا بضرب مثال فرأى امرأة حاسرة عن ذراعيها لأن ذلك شأن المقتنص لغيره وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى ومعلوم أن النوع الواحد من الزينة يجلب القلوب إليه فكيف بوجود سائر أنواع الزينة، قال الحافظ:

خوش عروسيست جهان ازسر صورت ليكن
هركه پيوست بدو عمر خودش كابين داد

وقال:

از ره مرو بعشوه ديني كه اين عجوز مكاره مى نشيند ومحتاله مى رود

فقالت: يا محمد انظرني أسألك فلم يلتفت إليها فقال: «من هذا يا جبريل» فقال: تلك الدنيا أما إنك لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة. ورأى ﷺ على جانب الطريق عجوزاً فقالت: يا محمد انظرني فلم يلتفت إليها فقال: «من هذه يا جبريل؟» فقال: إنه لم يبق شيء من عمر الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك العجوز. وفي كلام بعضهم قد يقال لها شابة وعجوز بمعنى يتعلق بذاتها وبمعنى يتعلق بغيرها. الأول وهو أنها من أول وجود هذا النوع الإنساني إلى أيام إبراهيم عليه السلام تسمى الدنيا شابة وفيما بعد ذلك إلى بعثة نبينا عليه السلام كهلة ومن بعد ذلك إلى يوم القيامة تسمى عجوزاً وهذا بالنسبة إلى القرن الإنساني وإلا فقد خلق آدم عليه السلام والدنيا عجوز ذهب شبابها ونضارتها كما ورد في بعض الأخبار. فإن قلت: الشباب ومقابله إنما يكون في الحيوان. قلت: الغرض من ذلك التمثيل. وكشف له عليه السلام عن حال من يقبل الأمانة مع عجزه عن حفظها بضرب مثال فأتى على رجل جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال: «ما هذا يا جبريل؟» قال: هذا الرجل من أمتك يكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها ويريد أن يتحمل عليها. قيل: «اتقوا الواوات» أي: اتقوا مدلولات الكلمات التي أولها واو كالولاية والوزارة والوصاية والوكالة والوديعة. وكشف له عن حال من ترك الصلاة المفروضة في دار الجزاء فأتى على قوم ترضخ رؤوسهم كلما رضخت عادت كما كانت فقال: «يا جبريل من هؤلاء؟» قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة أي: المفروضة عليهم. وكشف له عن حال من يترك الزكاة الواجبة عليه فأتى على قوم على إقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والغنم ويأكلون الضريع وهو اليابس من الشوك والزقوم ثمر شجر مر له زفرة قيل: إنه لا يعرف شجره في الدنيا وإنما هو شجر في النار وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ [الصافات: ٦٤] ويأكلون رضف جهنم أي: حجارتها المحماة التي تكون بها فقال: «من هؤلاء يا جبريل» قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم المفروضة عليهم. وكشف له عن حال الزناة بضرب مثل فأتى على قوم من بين أيديهم لحم نضيج في قدور ولحم نيىء أيضاً في قدور خبيث فجعلوا يأكلون من ذلك النيىء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال: «ما هذا يا جبريل» قال: هذا الرجل من أمتك يكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت عنده حتى تصبح. وكشف له عن حال من يقطع الطريق بضرب مثال فأتى عليه السلام على خشبة لا يمر بها ثوب ولا شيء إلا خرقته فقال: «من هذه يا جبريل» قال: هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه وتلا ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف: ٨٦]. وفيه إشارة إلى الزناة المعنوية وقطاع الطريق عن أهل الطلب وهم الدجاجلة والأئمة المضلة في صورة السادة القادة الأجلة فإنهم يفسدون أرحام الاستعدادات والاعتقادات بما يلقون فيها من نطف خلاف الحق ويصرفون المقلدين عن طريق التحقيق ويقطعون عليهم خير الطريق فأولئك يحشرون مع الزناة والقطاع. وكشف له عن حال من يأكل الربا أي: حالته التي يكون عليها في دار الجزاء فرأى رجلاً يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة فقال: «من هذا» فقال: آكل الربا. وكشف له عن حال من يعظ ولا يتعظ فأتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت فقال: «من هؤلاء يا

جبريل» فقال: هؤلاء خطباء الفتنة خطباء أمتك يقولون ما لا يفعلون:

ازمن بكوى عالم تفسير كوى را كردر عمل نكوشى توناداں مفسرى
بار درخت علم ندانم بجز عمل باعلم اكر عمل نكنى شاخ بى برى

وكشف له عن حال المغتابين للناس فمر على قوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال: «من هؤلاء يا جبريل» فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم. وكشف له عن حال من يتكلم بالفحش بضرب مثال فأتى على حجر يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث يخرج فلا يستطيع فقال: «من هذا يا جبريل» فقال: هذا الرجل من أمتك يتكلم الكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها. وكشف له عن حال من أحوال الجنة فأتى على واد فوجده طيباً بارداً ريحه ريح المسك وسمع صوتاً فقال: «يا جبريل ما هذا» قال: هذا صوت الجنة تقول يا رب ائتني ما وعدتني. وكشف له عن حال من أحوال النار فأتى على واد فسمع صوتاً منكراً ووجد ريحاً خبيثة فقال: «ما هذا يا جبريل» قال: صوت جهنم تقول يا رب ائتني ما وعدتني، وفي المثنوى:

ذره ذره كاندرين ارض وسماست جنس خود راهريكى چون كهرباست
معده نانرا مى كشد تا مستقر مى كشد مر آب را تف جكر
چشم جذاب بتان زاين كويهاست مغز جويان ازكلستان بويهاست

ومر عليه السلام على شخص متنحياً عن الطريق يقول: هلم يا محمد قال جبريل: سر يا محمد قال عليه السلام: «من هذا» قال: عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه:

آدمى را دشمن پنهان بسيست آدمى با حذر عاقل كسيست

ومر عليه السلام على موسى وهو يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر وهو يقول برفع صوته أكرمته وفضلته فقال: «من هذا يا جبريل» قال: هذا موسى بن عمران عليه السلام قال: «ومن يعاتب» قال له: يعاتب ربه فيك. والعتاب مخاطبة فيها إدلال والظاهر أنه عليه السلام نزل عند قبره فصلى ركعتين. ومر عليه السلام على شجرة تحتها شيخ وعياله فقال: «من هذا يا جبريل» قال: هذا أبوك إبراهيم عليه السلام فسلم عليه فرد عليه السلام فقال: من هذا الذي معك يا جبريل؟ قال: هذا ابنك محمد ﷺ قال: مرحباً بالنبي العربي الأمي ودعا له بالبركة وكان قبر إبراهيم تحت تلك الشجرة فنزل عليه السلام وصلى هناك ركعتين ثم ركب وسار حتى أتى الوادي الذي في بيت المقدس فإذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابي وهي النمارق أي: الوسائد فقيل: يا رسول الله كيف وجدتها؟ قال: «مثل الحممة» أي: الفحمة ومضى عليه السلام حتى انتهى إلى إيليا من أرض الشام وهو بالكسر مدينة القدس واستقبله من الملائكة جم غفير لا يحصى عددهم فدخلها من الباب اليماني الذي فيه مثال الشمس والقمر ثم انتهى إلى بيت المقدس وكان بباب المسجد حجر فأدخل جبريل يده فيه فخرقه فكان كهيئة الحلقة وربط به البراق. وفي حديث أبي سفيان رضي الله عنه قبل إسلامه أنه قال لقيصر يحط من قدره ﷺ: ألا أخبرك أيها الملك عنه خبراً تعلم منه أنه يكذب؟ فقال: وما هو؟ قال: إنه يزعم أنه خرج من أرضنا أرض الحرم فجاء مسجدكم هذا ورجع إلينا في ليلة واحدة فقال بطريق: أنا أعرف تلك الليلة فقال له قيصر: ما أعلمك بها قال: إني كنت لا أبيت ليلة حتى أغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير واحد وهو الباب الفلاني غلبني فاستعنت عليه

بعمالي ومن يحضرني فلم يفد فقالوا إن البناء نزل عليه فاتركوه إلى غد حتى يأتي بعض النجارين فيصلحه فتركه مفتوحاً فلما أصبحت غدوت فإذا الحجر الذي من زاوية الباب مثقوب وإذا فيه أثر مربط الدابة ولم أجد بالباب ما يمنعه من الإغلاق فعلمت أنه إنما امتنع لأجل ما كنت أجده في العلم القديم أن نبياً يصعد من بيت المقدس إلى السماء وعند ذلك قلت لأصحابي: ما حبس هذا الباب الليلة إلا لهذا الأمر. ولا يخفى أن عدم انغلاق الباب إنما كان ليكون آية وإلا فجبريل لا يمنعه باب مغلق ولا غيره وكذا خرق المربط وربط البراق وإلا فالبراق لا يحتاج إلى الربط كسائر الدواب الدنيوية فإن الله تعالى قد سخره لحبيبه عليه السلام.

ولما استوى عليه السلام على الحجر المذكور قال جبريل: يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين قال: «نعم» قال جبريل: فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن فسلم عليه السلام عليهن فرددن عليه السلام فقال: من أنتن قلن خيرات حسان نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا وأقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا ثم دخل عليه السلام المسجد ونزلت الملائكة وأحيى الله له آدم ومن دونه من الأنبياء من سمى الله ومن لم يسم حتى لم يشذ منهم أحد فرآهم في صورة مثالية كهيئتهم الجسدانية إلا عيسى وإدريس والخضر والياس فإنه رآهم بأجسادهم الدنيوية لكونهم من زمرة الاحياء كما هو الظاهر فسلموا عليه وهنأوه بما أعطاه الله تعالى من الكرامة وقالوا: الحمد لله الذي جعلك خاتم الأنبياء فنعم النبي أنت ونعم الأخ أنت وأمتك خير الأمم ثم قال جبريل: تقدم يا محمد وصل بإخوانك من الأنبياء ركعتين فصلى بهم ركعتين وكان خلف ظهره إبراهيم وعن يمينه إسماعيل وعن يساره إسحاق عليهم السلام وكانوا سبعة صفوف ثلاثة صفوف من الأنبياء المرسلين وأربعة من سائر الأنبياء. قال في «إنسان العيون»: والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن هذه الصلاة كانت من النفل المطلق ولا يضر وقوع الجماعة فيها انتهى. وفي «منية المفتي» أيضاً إمامة النبي عليه السلام ليلة المعراج لأرواح الأنبياء وكانت في النافلة انتهى. قال عليه السلام: «لما وصلت إلى بيت المقدس وصليت فيه ركعتين» أي: إماماً بالأنبياء والملائكة «أخذني العطش أشد ما أخذني فأتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر فأخذت الذي فيه اللبن وكان ذلك بتوفيق ربي فشربته إلا قليلاً منه وتركت الخمر فقال جبريل: أصبت الفطرة يا محمد» لأن فطرته هي الملائمة للعلم والحلم والحكمة «أما إنك لو شربت الخمر لغوت أمتك كلها ولو شربت اللبن كله لما ضل أحد من أمتك بعدك فقلت: يا جبريل اردد عليّ اللبن حتى أشربه كله فقال جبريل: قضي الأمر ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم». قال بعضهم: إنه لم يختلف أحد أنه عرج به ﷺ من عند القبة التي يقال لها قبة المعراج عن يمين الصخرة وقد جاء «صخرة بيت المقدس من صخور الجنة» وفيها أثر قدم النبي عليه السلام. قال أبي بن كعب: ما من ماء عذب إلا وينبع من تحت صخرة بيت المقدس ثم يتفرق في الأرض وهذه الصخرة من عجائب الله فإنها صخرة شعثاء في وسط المسجد الأقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ومن تحتها المغارة التي انفصلت من كل جهة فهي معلقة بين السماء والأرض. قال الإمام أبو بكر بن العربي في شرح الموطأ امتنعت لهيبتها أن أدخل من تحتها لأني كنت أخاف أن تسقط عليّ بالذنوب ثم بعد مدة دخلتها فرأيت العجب العجاب تمشي في جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الأرض لا يتصل بها

من الأرض شيء ولا بعض شيء وبعض الجهات أشد انفصالاً من بعض. قال بعضهم: بيت المقدس أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً وباب السماء الذي يقال له: مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس أي: ولهذا أسري به عليه السلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليحصل العروج مستوياً من غير تعويج. يقول الفقير رقاه الله القدير إلى معرفة سر المعراج المنير: لعل وجه الإسراء إلى بيت المقدس هو التبرك بقدمه الشريفة لكون مدينة القدس ومسجدها متعبد كثير من الأنبياء ومدفنهم لا لأنه يحصل العروج مستوياً فإن ذلك من باب قياس الغائب على الشاهد وتقدير الملكوت بالملك إذ الأرواح الطيبة وألطفها النبي عليه السلام بجسمه وروحه لا حائل لهم واعتبار الاستواء والتعويج من باب التكلف الذي لا يناسب حال المعراج. وقد ثبت أن عيسى عليه السلام سينزل إلى المنارة البيضاء الدمشقية ولم يعهد أنها حيال باب السماء فالجواب العقلي لا يتمشى هٰهنا. قال في «ربيع الأبرار» «ثم قال لي جبريل: قم يا محمد فقمت فإذا بسلم من ذهب قوائمه من فضة مركب من اللؤلؤ والياقوت يتلألأ نوره وإذا أسفله على صخرة بيت المقدس ورأسه في السماء فقيل لي: يا محمد اصعد فصعدت». وفي «إنسان العيون»: عرج إلى السماء من الصخرة على المعراج لا على البراق. والمعراج بكسر الميم وفتحها الذي تعرج أرواح بني آدم فيه وهو سلم له مرقاة من ذهب وهذا المعراج لم تر الخلائق أحسن منه أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحاً إلى السماء أي: بعد خروج روحه فإن ذلك عجبه بالمعراج الذي نصب لروحه لتعرج عليه وذلك شامل للمؤمن والكافر إلا أن المؤمن يفتح لروحه باب السماء دون الكافر فترد بعد عروجها تحسراً وندامة وتبكيتاً له وذلك المعراج أتى به من جنة الفردوس وأنه منضد باللؤلؤ أي: جعل فيه اللؤلؤ بعضه على بعض عن يمينه ملائكة ويساره ملائكة فصعد ﷺ ومعه جبريل. وفي كلام بعض المشايخ أن المراد بالمعراج صورة الجذب والانجذاب وتمثيل الصعود وإلا فالآلة لا تتمشى هناك إذ لا يقاس السير الملكوتي على السير الملكي والظاهر أن عالم الملكوت مشتمل على ما هو صورة ومعنى والصورة هناك تابعة للمعنى كحال صاحب السير والإسراء فإنه لو لم يكن جسده تابعاً لروحه لتعذر العروج فلصورته صورة ولمعناه معنى وكل منهما خلاف ما تتصوره الأوهام وهو اللائح بالبال والحمد لله الملك المتعال.

واعلم أن المعدن والنبات والحيوان مركبات تسمى بالمواليد الثلاثة آباؤها الأثيريات أي: الأجرام الأثيرية التي هي الأفلاك بما فيها من الأجرام النيرة وأمهاتها العنصريات والعناصر أربعة الأرض والماء والهواء والنار فالأرض ثقيل على الإطلاق والماء ثقيل بالإضافة إلى الهواء والنار وهو محيط بأكثر الأرض والهواء خفيف مضاف إلى الثقلين يطلب العلو وهو محيط بكرة الأرض والماء والنار خفيف على إطلاق يحيط بكرة الهواء والنبي ﷺ جاوز هذه العناصر ليلة المعراج بالحركة القسرية والحركة القسرية غير منكورة عندنا وعند المحيلين لهذا الإسراء الجسماني فإنا نأخذ الحجر وطبعه النزول فنرمي به في الهواء فصعوده في الهواء بخلاف طبعه وبطبعه أما قولنا بخلاف طبعه فإن طبعه يقتضي الحركة نحو المركز فصعوده في الهواء عرضي بالحركة القسرية وهي الرمي به علواً وأما قولنا وبطبعه فإنه على طبيعة يقبل بها الحركة القسرية ولو لم يكن ذلك في طبعه لما انفعل لها ولا قبلها وكذلك اختراقه عليه السلام الفلك الأثيري وهو نار والجسم الإنساني مهيأ مستعد لقبول الاحتراق ثم إن المانع من الاحتراق أمور يسلمها

الخصم فتلك الأمور كانت الحجب التي خلقها الله سبحانه في جسم المسرى به فلم يكن عنده استعداد الانفعال للحرق كبعض الأجسام المطلية بما يمنعها من الاحتراق بالنار أو أمر آخر وهو أن الطريق الذي اخترقه ليس النار فيه إلا محمولة في جسم لطيف ذلك الجسم هو المحرق بالنار فسلب عنه النار وحل به ضدها كنار إبراهيم عليه السلام قال عليه السلام: «انتهيت إلى بحر أخضر عظيم أعظم ما يكون من البحار فقلت: يا جبرائيل ما هذا البحر؟ فقال: يا محمد هذا بحر في الهواء لا شيء من فوقه يتعلق به ولا شيء من تحته يقر فيه ولا يدري قعره وعظمته إلا الله تعالى ولولا أن هذا البحر كان حائلاً لاحترق ما في الدنيا من حر الشمس» ثم قال: «ثم انتهيت إلى السماء الدنيا واسمها رقيع فأخذ جبريل بعضدي وضرب بابه به وقال: افتح الباب» وإنما استفتح لكون إنسان معه ولو انفرد لما طلب الفتح ولكون مجيئه على خلاف ما كانوا يعرفونه قبل: «قال الحارس: من أنت؟ قال: جبريل قال: ومن معك فإنه رأى شخصاً معه لم يعرفه قال: محمد قال: أوقد بعث محمد قال: نعم» وذلك لجواز أن يعرف ولادته عليه السلام ويخفى عليه بعثته قال: «الحمد لله ففتح لنا الباب ودخلنا فلما نظر إلي قال: مرحباً بك يا محمد ولنعم المجيء مجيئك فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: إسماعيل خازن السماء الدنيا وهو ينتظر قدومك فادن وسلم عليه فدنوت وسلمت فرد عليّ السلام وهنأني فلما صرت إليه قال: أبشر يا محمد فإن الخير كله فيك وفي أمتك فحمد الله على ذلك» وهذا الملك لم يهبط إلى الأرض قط إلا مع ملك الموت لما نزل لقبض روحه الشريفة «تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف ملك قال: وإذا جنوده قائمون صفوفاً ولهم زجل بالتسبيح يقولون سبوحاً سبوحاً لرب الملائكة والروح قدوساً قدوساً لرب الأرباب سبحان العظيم الأعظم وكان قراءتهم سورة الملك فرأيت فيها كهيئة عثمان بن عفان فقلت: بم بلغت إلى هنا قال: بصلاة الليل»:

هركج سعادت كه خدا داد بحافظ ازيمن دعاى شب وورد سحرى بود

قال: «ثم انتهيت إلى آدم فإذا هو كهيئة يوم خلقه الله تعالى» أي: على غاية من الحسن والجمال «وكان تسبيحه سبحان الجليل الأجل سبحان الواسع الغني سبحان الله العظيم وبحمده فإذا هو تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة خرجت من جسد طيب اجعلوها في عليين وتعرض عليه أرواح ذريته الكفار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة خرجت من جسد خبيث اجعلوها في سجين». فإن قلت أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء فكيف تعرض عليه وهو في السماء. قلت: المراد بعض أرواح ذريته الكفار يقع نظره عليها وهي دون السماء لأنها شفافة. فإن قلت: ما ذكر يقتضي أن يكون أرواح المؤمنين كلهم في عليين في السماء الرابعة وقد ثبت أن أرواح العصاة محبوسة بين السماء والأرض. قلت: التحقيق أن مبدأ مراتب السعداء من السماء الدنيا على درجات متفاوتة إلى عليين ومبدأ مراتب الأشقياء من مقعر سماء الدنيا إلى منازل مختلفة إلى سجين تحت السابعة وهو مسكن إبليس وذريته فمراتب أرواح الكفار أنزل من مراتب أرواح عصاة المؤمنين تلتحق بعد التهذيب إلى مقارها العلوية قال عليه السلام: «فتقدمت إليه وسلمت عليه فقال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح» أي: لقيت رحباً وسعة وكان مقره فلك القمر لمناسبته في السرعة فإن القمر يسير في الشهر ما يسير الشمس في السنة من المنازل فناسب في سرعة حركاته حركاته الذهنية وانتقالاته الباطنية

وموجب هذه الرؤية الخاصة أي: رؤيته عليه السلام لآدم في السماء الدنيا دون غيره من الأنبياء عليهم السلام مناسبة صفاتية أو فعلية أو حالية فلا تنافي أن يشارك آدم في هذه السماء غيره من بعض الأنبياء وقس عليها الرؤية فيما فوقها من السموات كما سيجيء. قال في تفسير «المناسبات» في سورة النجم فأول ما رأى ﷺ من الأنبياء عليهم السلام آدم عليه السلام الذي كان في أمن الله وجواره فأخرجه إبليس عدوه منهما وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبي عليه السلام حين أخرجه أعداؤه من حرم الله وجوار بيته فأشبهت قصته في هذا قصة آدم مع أن آدم يعرض عليه ذريته البر والفاجر منهم فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لأن أرواح أهل الشقاء لا تلج في السماء ولا تفتح لهم أبوابها انتهى قال عليه السلام: «ورأيت رجالاً لهم مشافر كمشافر الإبل» أي: كشفاه الإبل «وفي أيديهم قطع من نار كالأفهار» أي الحجارة «التي كل واحد منها ملء الكف يقذفونها في أفواههم تخرج من أدبارهم قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: أكلة أموال اليتامى ظلماً» وهؤلاء لم يتقدم رؤيته لهم في الأرض ولعل المراد بالرجال الأشخاص أو خصوا بذلك لأنهم أولياء للأيتام غالباً «ثم رأيت رجالاً لهم بطون أمثال البيوت فيها حيات ترى من خارج البطون بطريق آل فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة حين يعرضون على النار لا يقدرون أن يتحولوا من مكانهم ذلك» أي: فتأطهم آل فرعون الموصوفون بما ذكر المقتضي لشدة وطئهم لهم والمهيومة التي أصابها الهيام وهو داء يأخذ الإبل فتهيم في الأرض ولا ترعى أو العطاش والهيام شدة العطش. وفي رواية «كلما نهض أحدهم خر» أي: سقط «قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا» وتقدمت رؤيته عليه السلام لهم في الأرض لا بهذا الوصف بل أن الواحد منهم يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة ولا مانع من اجتماع الوصفين لهم أي: فيخرجون من ذلك النهر ويلقون في طريق من ذكر وهكذا عذابهم دائماً «ثم رأيت أخونة عليها لحم طيب ليس عليها أحد وأخرى عليها لحم منتن عليها ناس يأكلون قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يتركون الحلال ويأكلون الحرام» أي: من الأموال أعم مما قبله وهؤلاء لم يتقدم رؤيته لهم في الأرض «ثم رأيت نساء متعلقات بثديهن فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال ما ليس من أولادهن أي: بسبب زناهن» وفي رواية «أنه عليه السلام رأى في هذه السماء النيل والفرات» وذلك لأن منبعهما من تحت سدرة المنتهى ويمران في الجنة ويجاوزانها إلى السماء الدنيا فينصبان إلى الأرض من طرف العالم فيجريان. وفي زيادة «الجامع الصغير» «إن النيل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يسيح لوجدتم فيه من ورقها» قال ﷺ: «ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهم السلام» أي: شبيه أحدهما بصاحبه ثيابهما وشعرهما «ومعهما نفر من قومهما فرحبا بي ودعوا لي بخير» وكونهما ابن الخالة أي: أن أم كل خالة الآخر هو المشهور والتفصيل في آل عمران. قال في «تفسير المناسبات» ثم رأى في الثانية عيسى ويحيى وهما الممتحنان باليهود أما عيسى فكذبته اليهود وآذته وهموا بقتله فرفعه الله وأما يحيى فقتلوه، قال في «المثنوي»:

چون سفيها نراست اين كاروكيا   لازم آمد يقتلون الأنبياء

ورسول الله ﷺ بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته

فيها باليهود وآذوه وظاهروا عليه وهموا بإلقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجى عيسى منهم ثم سموه في الشاة فلم تزل تلك الأكلة تعاده حتى قطعت أبهره كما قال عند الموت وهكذا فعلوا بابني الخالة عيسى ويحيى. قوله تعاده يقال عادته اللسعة إذا أتته لعداد بالكسر أي: لوقت وفي الحديث: «ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أبهري» وهو عرق في الظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه وذلك أن يهودية أتت رسول الله بشاة مسمومة فأكل منها وأكل القوم فقال عليه السلام: «ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة» فمات بشر بن البراء منه فجيء بها إلى رسول الله فسألها عن ذلك فقالت: أردت أن أقتلك فقال عليه السلام: «ما كان الله ليسلط علي ذلك» أي: على قتلي. قال الشيخ افتاده قدس سره: وإنما لم يؤثر السم فيه عليه السلام إلى الاحتضار لأن إرشاده عليه السلام وإن كان في عالم التنزل غير أن تنزله كان من مرتبة الروح وهي أعدل المراتب فلم يؤثر فيه إلى الاحتضار فلما احتضر تنزل إلى أدنى المراتب لأن الموت إنما يجري على البشرية فلما تنزل إلى تلك المرتبة أثر فيه «ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال جبريل قيل: ومن معك قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام ومعه نفر من قومه وإذا هو أعطى شطر الحسن» أي: نصف الحسن الذي أعطيه الناس غير نبينا عليه السلام وفي كلام بعضهم أعطي شطر الحسن الذي أوتيه نبينا عليه السلام وكان نبينا عليه السلام أملح وإن كان يوسف أبيض، قال المولى الجامي:

دبير صنع نوشت است كرد عارض تو بمشك ناب كه الحسن والملاحة لك

وذلك أن الحسن والملاحة من عالم الصفات ولم يحصل لغيره عليه السلام ما حصل له من تجليات الصفات على الكمال صورة ومعنى إذ هو أفضل من الكل فالتجلي له أكمل وهو اللائح بالبال قال عليه السلام: «فرحب بي ودعا لي بخير قال في «تفسير المناسبات» أما لقاؤه ليوسف عليه السلام في السماء فإنه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حالة يوسف عليه السلام وذلك أن يوسف ظفر بإخوته بعدما أخرجوه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢] الآية وكذلك نبينا عليه السلام أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من أطلقه ومنهم من فداه ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم: «أقول ما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم» «ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير» قال الله تعالى في حقه: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧] أي: السماء الرابعة حال حياته على أحد الوجوه وكونه في الجنة كما في بعض الروايات لا ينافي وجوده في السماء المذكورة تلك الليلة. قيل: رفع إلى السماء من مصر بعد أن خرج منها ودار الأرض كلها وعاد إليها ودعا الخلائق إلى الله تعالى باثنتين وسبعين لغة خاطب كل قوم بلغتهم وعلمهم العلوم وهو أول من استخرج علم النجوم أي: علم الحوادث التي تكون في الأرض باقتران الكواكب وهو علم صحيح لا يخطىء في نفسه وإنما الناظر في ذلك هو الذي يخطىء لعدم استيفائه النظر. قال في «المناسبات» ثم لقاؤه لإدريس عليه السلام في السماء الرابعة وهو المكان الذي سماه الله مكاناً علياً وإدريس أول من آتاه الله الخط بالقلم فكان ذلك موذناً بحالة رابعة وهو شأنه ﷺ حتى

أخاف الملوك وكتب إليهم يدعوهم إلى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاء كتاب النبي عليه السلام ورأى ما رأى من خوف هرقل لقد أمر أمر ابن أبي كبشة حين أصبح يخافه ملك ابن أبي الأصفر وكتب بالقلم إلى جميع ملوك الأرض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي وملك عمان ومنهم من هادن وأهدى إليه وأتحفه المقوقس ومنهم من تعصى عليه فأظفره الله به وهذا مقام عليّ وخط بالقلم على نحو ما أوتي إدريس عليه السلام: «ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم ففتح لنا فإذا أنا بهارون عليه السلام ونصف لحيته بيضاء ونصف لحيته سوداء تكاد تضرب إلى سرته من طولها وحوله قوم من بني إسرائيل وهو يقص عليهم فرحب بي ودعا لي بخير» وكان هارون محبباً في قومه لأنه كان ألين إليهم من موسى لأن موسى كان فيه بعض الشدة عليهم ومن ثمة كان له منهم بعض الأذى. قال في «المناسبات»: لقاؤه عليه السلام في السماء الخامسة لهارون المحبب في قومه يوذن بحب قريش وجميع العرب له بعد بغضهم فيه. قال وهب بن منبه: وجدت في أحد وسبعين كتاباً أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحبة بين رمال الدنيا. ومما يتفرع على العقل إقناء الفضائل واجتناب الرذائل وإصابة الرأي وجودة الفطنة وحسن السياسة والتدبير وقد بلغ من ذلك ﷺ الغاية التي لم يبلغها بشر سواه ومما لا يكاد يقضي منه العجب حسن تدبيره ﷺ للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة كيف ساسهم واحتمل جفاءهم وصبر على أذاهم إلى أن انقادوا إليه واجتمعوا عليه واختاروه على أنفسهم وقاتلوا دون أهلهم وآباءهم وأبناءهم وهجروا في رضاه أوطانهم «ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير» وكان موسى رجلاً آدم طوالاً كثير الشعر مع صلابته لو كان عليه قميصان لنفذ الشعر منهما وكان إذا غضب يخرج شعر رأسه من قلنسوته وربما اشتعلت قلنسوته لشدة غضبه ولشدة غضبه لما فر الحجر بثوبه صار يضربه حتى ضربه ست ضربات أو سبعاً مع أنه لا إدراك له ووجه بأنه لما فر صار كالدابة والدابة إذا جمحت فصاحبها يؤديها بالضرب. يقول الفقير: إنما فر الحجر لأن للجمادات حياة حقانية عند أهل الله تعالى وربما يظهر أثرها في الظاهر فتصير في حكم الاحياء من ذوي الروح وإليه الإشارة بهذه الأبيات «المثنوية»:

بادرا بى چشم اكر بينش نداد — فرق چون مى كرد اندر قوم عاد
كرنبودى نيل را آن نور ديد — ازچه قبطي را زسبطى مى كزيد
كرنه كوه وسنك باديدار شد — پس جرا داودرا اويار شد
اين زمين را كرنبودى چشم وجان — ازچه قارون را فراخوردى چنان

قال عليه السلام: «فلما جاوزت أي عن موسى بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتي» أي بل ومن سائر الأمم لأن أهل الجنة من الأمم مائة وعشرون صفاً هذه الأمة منها ثمانون صفاً وسائر الأمم أربعون. قال أبن الملك: إنما بكى موسى إشفاقاً على أمته حيث قصر عددها عن عدد أمة محمد لا حسداً عليه لأنه لا يليق به وأما قوله إن غلاماً بعث بعدي فلم يكن على سبيل التحقير بل على

معنى تعظيم المنة لله تعالى لأن محمداً مع كونه غير طويل العمر في عبادة ربه خصه بهذه الفضيلة. يقول الفقير: بكاء موسى عليه السلام هو المناسب لمقامه لأنه كان له غيرة غالبة ولذا لما مر عليه السلام عليه وهو يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر سمع منه وهو يقول برفع صوته أكرمته فضلته يخاطب ربه وعاتبه ادلالاً وهو لا يستلزم الحسد والتحقير لأن كمل أفراد الأمة مطهرون عن مثل هذا فكيف الأنبياء خصوصاً أولو العزم منهم ومن البين أن أهل الجنة يرضون بما أوتوا من الدرجات على حسب استعداداتهم فلا يتمنى بعضهم مقام بعض لكونه خارجاً عن الحكمة فكذا الأنبياء والأولياء في مقاماتهم المعنوية وإلا لما استراحوا وهو مخل برتبتهم. قال في «المناسبات»: ولقاؤه في السماء السادسة لموسى عليه السلام يؤذن بحالة تشبه حالة موسى عليه السلام حين أمر بغزوة الشام وظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها وأدخل بني إسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم وكذلك غزا رسول الله ﷺ تبوك من أرض الشام وظهر على صاحب دومة الجندل حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيراً وافتتح مكة ودخل أصحابه البلد الذي خرجوا منه «ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه قال: نعم ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام قال: هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح». قال الإمام التوربشتي: أمر النبي عليه السلام بالتسليم على الأنبياء وإن كان أفضل لأنه كان عابراً عليهم وكان في حكم القائم وهم في حكم القعود والقائم يسلم على القاعد والمرئي كان أرواح الأنبياء مشكلة بصورهم التي كانوا عليها إلا عيسى فإنه مرئي بشخصه قال عليه السلام: «وإذا إبراهيم رجل أشمط جالس عند باب الجنة» أي في جهتها وإلا فالجنة فوق السماء السابعة «على كرسي مسنداً ظهره إلى البيت المعمور» وهو من عقيق محاذ للكعبة بحيث لو سقط سقط عليها «يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون كالأنفاس الإنسانية يدخلون من الباب الواحد ويخرجون من الباب الآخر» فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغاربها قال عليه السلام: «وإذا أنا بأمتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس وشطر عليهم ثياب رمدة فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمدة فصليت أنا ومن معي في البيت المعمور» أي ركعتين والظاهر أنه ليس المراد بالشطر النصف حتى يكون العصاة من أمته بقدر الطائعين منهم. يقول الفقير المراد بالشطرين الفرقتان والفرقة التي عليهم ثياب بيض طائفة بالنسبة إلى الذين عليهم ثياب رمدة لأن الحكمة الإلهية اقتضت كون أهل العصيان والنفس أكثر من أهل الطاعة والتزكية إذ المقصود ظهور الإنسان الكامل وهو حاصل مع أن الواحد على الحق هو السواد الأعظم فيكون أهل الطاعة كالشطر بالنسبة إلى أهل العصيان نسأل الله تعالى أن يدخلنا بيت القلب مع الداخلين ويزيل أوساخ وجوداتنا بحرمة النبي الأمين. قال السهيلي قد ثبت في الصحيح أن أطفال المؤمنين والكافرين في كفالة سيدنا إبراهيم عليه السلام وأن رسول الله قال لجبريل حين رآهم مع إبراهيم «من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أولاد المؤمنين الذين يموتون صغاراً» قال له: «وأولاد الكافرين» قال: وأولاد الكافرين. وقد روي في أطفال الكافرين أيضاً «أنهم خدم لأهل الجنة». وجاء أن إبراهيم عليه السلام قال لرسول الله: «أقرىء أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأن غراسها

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» كما قال المولى الجامي:

يادكن آنكه درشب اسرا — يا حبيب خدا خليل خدا
كفت كووى ازمن اى رسول كرام — امت خويش را زبعد سلام
كه بود پاك وخوش زمين بهشت — ليك آنجا كسى درخت نكشت
خاك او پاك وطيب افتاده — ليك هست از درختها ساده
غرس أشجار ان بسعى جميل — بسمله حمد له است پس تهليل
هست تكبير نيز ازان اشجار — خوش كسى كش جزين نيايد كار
باغ جنات تحتها الأنهار — سبز وخرم شود ازان اشجار

قال عليه السلام: «واستقبلتني جارية لعساء وقد أعجبتني فقلت لها: يا جارية أنت لمن؟ قالت: لزيد بن حارثة» واللعس لون الشفة إذا كان تضرب إلى السواد قليلاً وذلك مستملح. يقول الفقير زيد: هذا هو الذي تبناه رسول الله ﷺ وكانت زينب تحت نكاحه فطلقها ليتزوجها رسول الله فلما آثر النبي عليه السلام بها أبدل الله مكانها زوجاً له من الحور مليحة جداً وجازاه بها فإن لكل فناء وترك مشروع أثراً معنوياً فما انتقص شيء في الظاهر إلا وقد انتقل في الباطن والآخرة باطن بالنسبة إلى الدنيا فمن ترك حظه فيها وجده في الآخرة أعلى منه وأوفر. ورأى عليه السلام في السماء السابعة فوجاً من الملائكة نصف أبدانهم من النار ونصفها من الثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفىء النار وهم يقولون: اللهم كما ألفت بين النار والثلج فألف بين قلوب عبادك المؤمنين حمله بعض الأكابر على معنى أن نصف أجزائه ثلج ونصف أجزائه نار فامتزجا وحصل بينهما مزاج واحد والظاهر أن الأول أدل على القدرة فإن اجتماع الأضداد بالمعنى الذي ذكره موجود في أكثر المركبات. قال في «المناسبات»: ثم لقاؤه في السماء السابعة إبراهيم عليه السلام لحكمتين إحداهما أنه رآه عند البيت المعمور مسنداً ظهره إليه والبيت المعمور حيال الكعبة أي بازائها ومقابلتها وإليه تحج الملائكة كما أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة وأذن في الناس بالحج والحكمة الثانية أن آخر أحوال النبي عليه السلام حجه إلى البيت الحرام وحج معه ذلك العام نحو من سبعين ألفاً من المسلمين ورؤية إبراهيم عند أهل التأويل تؤذن بالحج لأنه الداعي إليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة قال ﷺ: «ثم ذهب بي» أي جبريل «إلى سدرة المنتهى» وهي شجرة فوق السماء السابعة في أقصى الجنة إليها ينتهي الملائكة بأعمال أهل الأرض من السعداء وإليها تنزل الأحكام العرشية والأنوار الرحمانية «وإذا أوراقها كآذان الفيلة» جمع الفيل أي في الشكل وهو الاستدارة لا في السعة إذ الواحدة منها تظل الخلق كما في بعض الروايات «وثمرها كالقلال» جمع قلة وهي الجرة العظيمة وهذه الشجرة هي الحد البرزخي بين الدارين فأغصانها نعيم لأهل الجنة وأصولها زقوم لأهل النار ولأفنانها حنين بأنواع التسبيحات والتحميدات والترجيعات عجيبة الألحان تطرب لها الأرواح وتظهر عليها الأحوال وأم فيها رسول الله ملائكة السموات في الوتر فكان إمام الأنبياء في بيت المقدس وإمام الملائكة عند سدرة المنتهى فظهر بذلك فضله على أهل الأرض والسماء ويخرج من أصل تلك الشجرة أربعة أنهار نهران باطنان أي يبطنان ويغيبان في الجنة بعد خروجهما من أصل تلك الشجرة وهما الكوثر ونهر الرحمة ونهران ظاهران أي يستمران ظاهرين بعد خروجهما من أصل تلك الشجرة فيجاوزان الجنة وهما النيل نهر مصر والفرات نهر الكوفة.

قال بعضهم لولا دخول بحر النيل في الملح الذي يقال له البحر الأخضر قبل أن يصل إلى بحيرة الزنج لما قدر أحد على شربه لشدة حلاوته ومر الفرات في بعض السنين فوجد فيه رمان مثل البعير فيقال إنه رمان الجنة. يقول الفقير لعله من البساتين التي يقال لها جنان الأرض إذ سقوط الثمار من أماكنها من الفساد غالباً وليس لثمار الجنة ذلك اللهم إلا أن يقال وجود ذلك الرمان في الفرات على تقدير أن يكون من رمان الجنة إنما هو ليكون آية لذوي الاستبصار ودخل عليه السلام الجنة فإذا فيها جنابذ أي قباب الدرّ وإذا ترابها المسك ورمانها كالدلاء وطيرها كالبخت وانتهى إلى الكوثر فإذا فيه آنية الذهب والفضة فشرب منه فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك وفي الحديث «ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل والذي نفس محمد بيده لا يقطف رجل ثمرة من الجنة فتصل إلى فيه حتى يبدل الله مكانها خيراً منها» وهذا القسم يرشد إلى أن ثمرة الجنة كلها حلوة تؤكل وأنها تكون على صورة ثمرة الدنيا المرة وغشي السدرة ما غشي من نور الحضرة الإلهية فصار لها من الحسن غير تلك الحالة التي كانت عليها فما أحد من خلق يستطيع أن ينعتها من حسنها لأن رؤية الحسن تدهش الرائي ورأى عليه السلام جبرائيل عند تلك السدرة على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق أي ما بين المشرق والمغرب يتناثر من أجنحته الدر والياقوت.

ـ ويروى ـ أن جبريل لما وصل إلى السدرة التي هي مقامه تأخر فلم يتجاوز فقال عليه السلام: «أفي مثل هذا المقام يترك الخليل خليله» فقال: لو تجاوزت لأحرقت بالنور. وفي رواية لو دنوت أنملة لأحرقت، قال الشيخ سعدي قدس سره:

چنان كرم درنيه قربت براند ... كه درسدره جبريل ازوباز ماند
بدو كفت سالار بيت الحرام ... كه اى حامل وحى برتر خرام
چو در دوستى مخلصم يا فتى ... عنانم ز صحبت چرا تافتى
بكفتا فرا تر مجالم نماند ... بماندم كه نيروى بالم نماند
اكريك سرموى بر تر پرم ... فروغ تجلى بوزد پرم

فقال عليه السلام: «يا جبريل هل لك من حاجة إلى ربك قال: يا محمد سل الله لي أن أبسط جناحي على الصراط لأمتك حتى يجوزوا عليه» قال عليه السلام: «ثم زج بي في النور فخرق بي سبعون ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجاباً غلظ كل حجاب خمسمائة عام وانقطع عني حس كل ملك فلحقني عند ذلك استيحاش فعند ذلك نادى مناد بلغة أبي بكر قف فإن ربك يصلي» أي يقول سبحاني سبحاني سبقت رحمتي على غضبي وجاء نداء من العلى الأعلى «ادن يا خير البرية ادن يا أحمد ادن يا محمد فأدناني ربي حتى كنت كما قال ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى».

ـ وروي ـ أنه عليه السلام عرج من السماء السابعة إلى السدرة على جناح جبريل ثم منها على الرفرف وهو بساط عظيم. قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني هو نظير المحفة عندنا ونادى جبريل من خلفه يا محمد إن الله يثني عليك فاسمع وأطع ولا يهولنك كلامه فبدأ عليه السلام بالثناء وهو قوله: «التحيات لله والصلوات والطيبات» أي العبادات القولية والبدنية والمالية فقال تعالى: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» فعمم عليه السلام سلام الحق فقال:

«السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» فقال جبريل: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» وتابعه جميع الملائكة. قال بعض الكبار اخترق الأفلاك من غير أن تسكن عن تحريكها كاختراق الماء والهواء إلى أن وصل سدرة المنتهى فقعد على الرفرف فاخترق عوالم الأنوار إلى أن جاز موضع القدمين إلى العرش أي المستوى المفهوم من قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كل ذلك بجسمه فعاين محل الاستواء فلما فارق عالم التركيب والتدبير لم يبق له أنيس من جنسه فاستوحش من حيث مركبه فنودي بصوت أبي بكر: «قف يا محمد إن ربك يصلي» فسكن وتلا عليه عند ذلك ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣] هذا لسان الأحباب وخطاب الأخلاء والأصحاب وهذا أول الأبواب المعنوية من هنا تقع في بحر الإشارات والمعاني وهو الإسراء البسيط فتقع المشاهدة بالبصر لا بالجارحة لأعيان الأرواح المهيمة التي لا مدخل لها في عالم الأجسام فترك الرفرف ومشاهدة الجسم وانسلخ من الرسم والاسم وسافر برفرف همته فحطت العين بساحل بحر العمى حيث لا حيث ولا أين فأدركت ما أدركت من خلف حجاب العزة الأحمى الذي لا يرتفع أبداً ثم عادت بلا مسافة إلى شهود عينها ثم إلى تركيب كونها المتروك بالمستوى مع الرفرف فقوله: «ثم دنا» إشارة إلى العروج والوصول وقوله: «فتدلى» إلى النزول والرجوع وقوله ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النجم: ٩] بمنزلة النتيجة إشارة إلى الوصول إلى مرتبة الذات الواحدية أي عالم الصفات المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ٢] وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩] إشارة إلى مرتبة الذات الأحدية أي عالم الذات المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وكان المعراج في صورة الصعود والهبوط لأنه وقع بالجسم والروح معاً وإلا فالملك والملكوت مندرج في الوجود الإنساني وكل تجل يحصل له إنما هو من الداخل لا من الخارج قال ﷺ: «سألني ربي فلم أستطع أن أجيبه فوضع يده بين كتفيّ بلا تكييف ولا تحديد» أي يد قدرته سبحانه منزه عن الجارحة «فوجدت بردها فأورثني علم الأولين والآخرين وعلمني علوماً شتى فعلم أخذ علي كتمانه إذ علم أنه لا يقدر على حمله غيري وعلم خيرني فيه وعلم أمرني بتبليغه إلى العام والخاص من أمتي» وهي الإنس والجن وهذا التفصيل يدل على أن العلوم الشتى هذه العلوم الثلاثة كما يدل عليه الفاء وهي زائدة على علوم الأولين والآخرين فالعلم الأول من باب الحقيقة الصرفة والثاني من باب المعرفة والثالث من باب الشريعة. ومن جملة ما أوحي في هذا الموطن من القرآن خواتيم سورة البقرة وبعض سورة والضحى وبعض الم نشرح لك وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣] والوحي بلا واسطة يقتضي الخطاب فسمع عليه السلام كلام الحق من غير كيفية كما سمعه موسى عليه السلام من كل جانب ورآه:

كلام سرمدى بى نقل بشنيد   خداوند جهانرا بى جهت ديد
بديد آنچه زحد ديدن برون بود   مپرس اما ز كيفيت كه چون بود

قال الإمام النووي الراجح عند أكثر العلماء أنه رأى ربه بعيني رأسه، يقول الفقير: يعني بسره وروحه في صورة الجسم بأن كان كل جزء منه سمعاً واتحد البصر بالبصيرة فهي رؤية بهما معاً من غير تكييف فافهم فإنه جملة ما يتفصل. فإن قلت: ما الفرق بين الأنبياء وبين نبينا عليه السلام في باب الرؤية فإنهم يرونه ويشاهدونه حال الانسلاخ الكلي. قلت ما حصل لنبينا

عليه السلام فوق الانسلاخ إذ الرؤية في صورة الانسلاخ إنما هي بالبصيرة فقط وأما رؤيته تعالى في الجنة فقيل لا يراه الملائكة وقيل يراه منهم جبريل خاصة مرة واحدة. قال بعضهم وقياس عدم رؤية الملائكة عدم رؤية الجن له تعالى ورد ذلك. يقول الفقير: لعل وجه الاختلاف عند الحقيقة أن الملائكة والجن على جناح واحد وهو الجمال والإنس على جناحين وهما الجمال والجلال المقول لهما الكمال فلا يرونه تعالى من مرتبة مؤمني الإنس وإنما يشاهدونه تعالى من مرتبة أنفسهم فافهم وأما أنه ليس لهم مشاهدة أصلاً فلا مساعدة له بوجه من الوجوه واتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحتها أي وقوعها لأن ذلك المرئي إنما هو صفة من صفات الله تعالى.

ـ روي ـ عن أبي يزيد البسطامي قدس سره أنه قال: رأيت ربي في المنام فقلت له: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك ثم تعال.

ـ وروي ـ أن حمزة القارىء قرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره في المنام حتى إذا بلغ إلى قوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] قال الله تعالى: قل يا حمزة وأنت القاهر، يقول الفقير: سمعت من شيخي وسندي قدس سره أن شيخه عبد الله الشهير بذاكر زاده روح الله روحه أراد أن يستخلفه فامتنع عليه فرأى في تلك الليلة في المنام أن الله تعالى أعطاه المصحف وقال له خذ هذا وادع عبادي إليّ وكان من آثار هذا المنام أن الله تعالى وفقه لإحياء العلم والدعوة إلى الله في المراتب الأربع وزاد خلفاؤه على المائة والخمسين كلهم من أهل التفسير ولم يتيسر هذا المقام لغيره من مشايخ العصر قال عليه السلام: «فرض الله عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة» قيل: كانت كل صلاة منها ركعتين ألا يرى أنه من قال لله عليّ صلاة يلزمه ركعتان ويخالفه ما قالوا: إنه عليه السلام كان يصلي كل يوم وليلة ما يبلغ إلى خمسين صلاة وفق ما فرض ليلة المعراج فالظاهر أن هذه الخمسين باعتبار الركعات لأنه هو المضبوط عنه عليه السلام يعني كان يصلي في اليوم والليلة من الفرائض والنوافل خمسين ركعة وصرح بعضهم بأن المراد الخمسون وقتاً فالظاهر أن كل وقت كان مشتملاً على ركعتين لأن الصلاة في الأصل كانت ركعتين ركعتين ثم زيدت في الحضر وأقرت في السفر قال عليه السلام: «فنزلت إلى إبراهيم فلم يقل شيئاً ثم أتيت موسى» أي في الفلك السادس «فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة» يعني مارستهم ولقيت الشدة فيما أردت فيهم من الطاعة قال عليه السلام: «فرجعت إلى ربي» يعني رجعت إلى الموضع الذي ناجيت ربي فيه وهو سدرة المنتهى «فخررت ساجداً فقلت: أي ربي خفف عن أمتي فحط عني خمساً فرجعت إلى موسى وأخبرته قال: إن أمتك لا تطيق ذلك قال: فلم أزل أرجع بين ربي وموسى ويحط خمساً خمساً حتى قال موسى: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم قال: ارجع فاسأله التخفيف فقلت: قد راجعت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم» يعني: فلا أرجع فإن رجعت كنت غير راض ولا مسلم ولكن أرضى بما قضى الله وأسلم أمري وأمرهم إلى الله «فلما جاوزت نادى منادٍ أمضيت فريضتي» يعني قال الله تعالى: يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة كما قال: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] والصلاة إنما تحصل بتوجه القلب والعمل

الواحد في مرتبة القلب يقابل العشرة وقال: «من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم يكتب شيء فإن عملها كتبت سيئة واحدة». وعن ابن عمر رضي الله عنهما كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات وغسل البول من الثوب سبع مرات ولم يزل ﷺ يسأل ربه حتى جعلت الصلاة خمساً وغسل الجنابة مرة واحدة وغسل البول من الثوب مرة وفي الحديث «أكثروا من الصلاة على موسى فما رأيت أحداً من الأنبياء أحوط على أمتي منه» وجاء «كان موسى أشدهم عليّ حين مررت به وخيرهم عليّ حين رجعت فنعم الشفيع كان لكم موسى» وذلك فإنه كما تقدم لما جاوزه النبي عند الصعود بكى فنودي ما يبكيك؟ فقال: رب هذا غلام أي لأنه ﷺ كان حديث السن بالنسبة إلى موسى بعثته بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتي، فإن قلت هذا وقوع النسخ قبل البلاغ وقد اتفق أهل السنة والمعتزلة على منعه، قلت: وقع بعد البلاغ بالنسبة إلى النبي عليه السلام لأنه كلف بذلك ثم نسخ فإذا نسخ في حقه نسخ في حق أمته لأن الأصل أن ما ثبت في حق كل نبي ثبت في حق أمته إلا أن يقوم الدليل على الخصوصية. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي إلى السماء تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل مدائنكم هذه سبعين مرة مملوءة من الملائكة يسبحون الله ويقدسونه ويقولون في تسبيحهم اللهم اغفر لمن شهد الجمعة» أي صلاتها «اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة» أي لصلاتها «ورأيت ليلة أسري بي مكتوباً على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة قال: لأن السائل يسأل وعنده شيء والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة» وبيان كون درهم القرض بثمانية عشر درهماً أن درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما جاء في بعض الروايات ودرهم الصدقة بعشرة تصير الجملة عشرين ودرهم القرض يرجع للمقرض بدله بدرهمين من عشرين يتخلف ثمانية عشر «ورأيت رضوان خازن الجنة فلما رآني فرح بي ورحب بي وأدخلني الجنة وأراني فيها من العجائب ما وعد الله فيها لأوليائه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ورأيت فيها درجات أصحابي ورأيت فيها الأنهار والعيون وسمعت فيها صوتاً وهو يقول: آمنا برب العالمين فقلت: ما هذا الصوت يا رضوان؟ قال: هم سحرة فرعون وأزواجهم وسمعت آخر وهو يقول: لبيك اللهم فقلت: من هو قال: أرواح الحجاج وسمعت التكبير فقال هؤلاء الغزاة وسمعت التسبيح فقال هؤلاء الأنبياء ورأيت قصور الصالحين وعرضت عليّ النار وإن كانت في الأرض السابعة فإذا على بابها مكتوب وإن جهنم لموعدهم أجمعين» قال عليه السلام: «وأبصرت ملكاً لم يضحك في وجهي فقلت: يا أخي جبريل من هذا؟ قال: مالك خازن النار لم يضحك منذ خلقه الله ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك فقال له جبريل: يا مالك هذا محمد فسلم عليه فسلم عليّ وهنأني بما صرت إليه من الكرامة والشرف» وإنما بدأ خازن النار بالسلام عليه ﷺ ليزيل ما استشعر من الخوف منه ويشير إلى أنه ومن اتبعه من الصالحين سالمون من النار ناجون قال عليه السلام: «فسألته أن يعرض عليّ النار بدركاتها فعرضها عليّ بما فيها وإذا فيها غضب الله» أي نقمته «لو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها وإذا قوم يأكلون الجيف فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ورأيت قوماً تنزع ألسنتهم من أقفيتهم فقلت: من هم؟ فقال: هم الذين يحلفون بالله كاذبين ورأيت جماعة من النساء علقن

بشعورهن فقلت: من هن؟ قال: هن اللاتي لا يستترن من غير محارمهن ورأيت جماعة منهن لباسهن من القطران فقلت: من هن؟ قال: نائحات» جمع نائحة وهي الباكية على الميت مع عد أخلاقه ومحاسنه. ودل حديث المعراج على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن لأن الإنسان إذا علم ثواباً مخلوقاً اجتهد في العبادة ليحصل ذلك الثواب وإذا علم عقاباً مخلوقاً اجتهد في اجتناب المعاصي لئلا يصيبه ذلك العقاب وقد صح أن الجنان قيعان وعمارتها بالأعمال كما دل عليه حديث الغراس فيما سبق.

واعلم أنه عليه السلام أسري به من مكة إلى بيت المقدس على البراق ومن بيت المقدس إلى السماء الدنيا على المعراج ومنها إلى السماء السابعة على جناح الملائكة ومنها إلى السدرة على جناح جبريل ومنها إلى العرش على الرفرف والظاهر أن النزول كان على هذا الترتيب. وقال بعض الأكابر من أهل الله: إنه أسري به إلى السدرة على البراق وأيا ما كان فلما نزل إلى السماء الدنيا نظر إلى أسفل منه فإذا هو بهرج ودخان وأصوات فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم حتى لا ينظروا إلى العلامات ولا يتفكروا في ملكوت السموات ولولا ذلك لرأوا العجائب أي أدركوها ونزل عليه السلام إلى بيت المقدس وتوجه إلى مكة وهو على البراق حتى وصل إلى بيته الأشرف بالحرم المكي الأحمى بحجر الكعبة العظيمة أو إلى بيت أم هاني كما يدل عليه ما يجيء من تقرير القصة وكان زمان ذهابه ومجيئه ثلاث ساعات أو أربع ساعات. وفي كلام السبكي أن ذلك كان قدر لحظة ولا بدع لأن الله تعالى قد يطيل الزمن القصير كما يطوي الطويل لمن يشاء.

ـ روي ـ في مناقب الشيخ موسى السدراني من أكابر أصحاب الشيخ أبي مدين قدس الله سرهما أن له ورداً في اليوم والليلة سبعين ألف ختمة. يقول الفقير: قال شيخي وسندي قدس سره في الكلام عليه: إن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة فيكون في كل اثنتي عشرة ساعة خمس وثلاثون ألف ختمة لأنه إما أن ينبسط إلى ثلاث وأربعين سنة وتسعة أشهر وإما إلى أكثر وعلى التقدير الأول يكون اليوم والليلة منبسطاً إلى سبع وثمانين سنة وستة أشهر فيكون في كل يوم وليلة من أيام السنين المنبسطة إليها ولياليها ختمتان ختمة في اليوم وختمة في الليلة كما هو العادة ويحتمل التوجيه بأقل من ذلك باعتبار سرعة القاري هذا فإنه صدق وقد كوشف لي هكذا وقد صدقته وقبلته وهذا سر عظيم انتهى كلام الشيخ، وقد ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس أي عظمه وسعته ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيفاً وستين مرة ثم إن طرفها الأسفل يصل موضع طرفها الأعلى في أقل من ثانية وهي جزءاً من ستين جزءاً من الدقيقة والدقيقة جزء من ستين جزءاً من الدرجة وهي جزء من خمسة عشر جزءاً من الساعة فإذا كانت هذه السرعة ممكنة للجماد فكيف لا يمكن لأفضل العباد إذا أراد رب البلاد والله تعالى قادر على جميع الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة في جسد النبي عليه السلام أو فيما يحمله. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره قد ذهب عليه السلام وجاء ولم يتم ماء إبريقه انصباباً ومن كان مؤمناً لا ينكر المعراج ولكن وقوع السير المذكور في مقدار ذلك الزمن اليسير يشكل عند العقل بحسب الظاهر وأما عند التحقيق فلا إشكال ألا يرى أن في الوجود الإنساني شيئاً لطيفاً أعني القلب يسير من المشرق إلى المغرب بل جميع العوالم في آن واحد وهو بديهي لا ينكره من له أدنى تمييز حتى البله والصبيان أفلا يجوز أن تحصل تلك

اللطافة لوجود النبي ﷺ بقدرة الله تعالى فوقع ما وقع منه في الزمن اليسير:

راه زانـــدازه بـــرون رفـــتـــه پـى نـتـوان بـردكـه چـون رفـتـه
عـقـل دريـن واقـعـه حـاشـا كـنـد عـقـل نـه حـاشـا كـه تـمـنـا كـنـد

ـ روي ـ أن رسول الله ﷺ لما رجع من ليلته قص القصة على أم هانىء وقال: «إني أريد أن أخرج إلى قريش فأخبرهم بذلك» فقالت: أنشدك الله أي بفتح الهمزة أي أسألك بالله ابن عم أي يا ابن عمي أن لا تحدث أي لا تحدث بهذا قريشاً فيكذبك من صدقك فلما كان الغداة تعلقت بردائه فضرب بيده على ردائه فانتزعه من يدها وانتهى إلى نفر من قريش في الحطيم هو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود وأولئك النفر مطعم بن عدي وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة فقال: «إني صليت العشاء» أي أوقعت صلاة في ذلك الوقت «في هذا المسجد وصليت به الغداة» أي أوقعت صلاة في ذلك الوقت وإلا فصلاة العشاء لم تكن فرضت وكذا صلاة الغداة التي هي الصبح لم تكن فرضت كما تقدم «وأتيت فيما بين ذلك بيت المقدس» وأخبرهم عما رأى في السماء من العجائب وأنه لقي الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وجاء أنه لما دخل المسجد الحرام وعرف أن الناس يكذبونه وما أحب أن يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى وما هو دليل على علو مقامه الباعث على اتباعه قعد حزيناً فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس إليه عليه السلام فقال كالمستهزىء: هل كان من شيء؟ قال: «نعم أسري بي الليلة» قال: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس» قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: «نعم» قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟ قال: «نعم» قال: يا معشر كعب بن لؤي فانفضت إليه المجالس وجاؤوا حتى جلسوا إليهما فقال: حدث قومك بما حدثتني به فقال: «إني أسري بي» قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس فنشر لي الأنبياء وصليت بهم وكلمتهم» فقال أبو جهل كالمستهزىء: صفهم لنا فقال عليه السلام: «أما عيسى ففوق الربعة دون الطويل» أي لا طويل ولا قصير «عريض الصدر جاعد الشعر» أي في شعره «تثنى وتكسر تعلوه صهبة» أي يعلو شعره شقرة «ظاهر الدم» أي يعلوه حمرة «كأنما خرج من ديماس» أي حمام وأصله الكنّ الذي يخرج منه الإنسان وهو عريان وأصله الظلمة يقال ليل دامس والحمام لفظ عربي. وأول واضع له الجن وضعته لسليمان عليه السلام وقيل: الواضع بقراط الحكيم وقيل: شخص سابق على بقراط استفاده من رجل كان به تعقيد العصب فوقع في ماء حار في جب فسكن فصار يستعمله حتى برىء وفي الحديث «اتقوا بيتاً يقال له الحمام فمن دخله فليستتر» ولم يدخل عليه السلام الحمام ولم يكن ذلك في بلاد الحجاز وإنما كان في أرض العجم والشام «وأما موسى فضحم آدم» أي أسمر ومن ثمة كان خروج يده بيضاء مخالفاً لونها لسائر لون جسده آية «طويل كأنه من رجال شنوءة» وهي طائفة من اليمن أي ينسبون إلى سنوءة وهو عبد المطلب بن كعب من أولاد الأزد معروفون بالطول «كثير الشعر غائر العينين متراكم الأسنان متقلص الشفتين خارج اللثة» وهو اللحم الذي خارج الأسنان عابس «وأما إبراهيم فوالله إنه لأشبه الناس بي خلقاً وخلقاً فضجوا» أي صاح قريش وعظموا ذلك وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه متعجباً ومنكراً قالوا: نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعداً شهراً ومنحدراً شهراً أتزعم أنك أتيته في ليلة واحدة واللات والعزى لا نصدقك وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله عنه أي أسرع أو مشى فقال: إن كان

قد قال ذلك فلقد صدق قالوا: أتصدقه على ذلك؟ قال: إني أصدقه على أبعد من ذلك أي إن ذهب إلى بيت المقدس في ليلة واحدة أصدقه فإني أصدقه في خبر السماء في غدوة وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس وروحة وهي اسم للوقت من الزوال إلى الليل والمراد هنا أنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أي مجيء الخبر له من السماء بواسطة الملك أبعد مما تتعجبون منه فسمي الصديق وهو الكثير الصدق فهو للمبالغة وتسمية أبي بكر بسبب هذا الجواب الصدق بهذا الاسم للمبالغة في كيفية الصدق فإنه صدق كامل في مثل هذا المقام الذي كذب فيه أكثر الناس وكان علي رضي الله عنه يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق أي فهي تسمية الله بالذات لا تسمية الخلق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد أي قالوا: يا محمد صف لنا بيت المقدس كم له من باب أرادوا بذلك إظهار كذبه عليه السلام لأنهم عرفوا أنه عليه السلام لم يره قال: «فكربت كرباً شديداً لم أكرب مثله قط لأنهم سألوني عن أشياء لم أثبتها وكنت دخلته ليلاً وخرجت منه ليلاً فقمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس» أي كشفه لي أي بوجود صورته ومثاله في جناح جبريل أو برفع الحجاب بينه وبين بيت المقدس حتى رآه عليه السلام وهو في مكانه إذ كان يصل بصره إلى حيث يصل إليه قلبه أو بإعدامه هناك وإيجاده في مكة طرفة عين بحيث يتصل بعدمه وجوده على ما هو شأن الخلق الجديد ومنه زيارة الكعبة لبعض الأولياء كما قال في «المثنوي»:

هرنفس نو ميشود دنيا وما ... بى خبر ازنوشدن اندر بقا
عمر همچون جوى نونو مى رسد ... مستمرى مى نمايد درجسد
آن زتيزى مستمر شكل آمده است ... چون شرركش تيز جنبانى بدست
شاخ آتش را بجنبانى بساز ... در نظر آتش نمايد بس دراز
اين درازى مدت ازتيزى صنع ... مى نمايد سرعت انكيزى صنع

قال: «فطفقت» أي: جعلت أخبرهم عن آياته أي: علاماته وأنا أنظر إليه. قال في «المواهب» ولم يسألوه عما رأى في السماء لأنه لا عهد لهم بذلك فقالوا: إما لنعت فقد أصاب فقالوا: ما آية ذلك يا محمد؟ أي ما العلامة الدالة على هذا الذي أخبرت به فإنا لم نسمع بمثل هذا قط أي: هل رأيت في مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك أي لأن وصفك لبيت المقدس يحتمل أن تكون حفظته عمن ذهب إليه فقال عليه السلام: «آية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا» أي في الروحاء وهو محل قريب من المدينة أي بينه وبين المدينة ليلتان «قد أضلوا ناقة لهم» أي وأنا متوجه وذاهب «وانتهيت إلى رحالهم وإذا قدح ماء فشربت منه» فاسألوهم عن ذلك وشرب الماء للغير جائز لأنه كان عند العرب كاللبن مما يباح لكل مجتاز من أبناء السبيل قالوا: فأخبرنا عن عيرنا قال: «مررت بها في التنعيم» وهو محل قريب من مكة أي وأنا راجع إلى مكة فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها «وأنها تقدم مع طلوع الشمس يتقدمها جمل أورق» وهو ما بياضه إلى سواد «عليه غرارتان إحداهما سوداء والأخرى برقاء» أي فيها بياض وسواد أي حوالق مخطط ببياض فابتدر القوم الثنية أي الجبل فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد أشرقت فقال آخر هذه والله العير قد أقبلت يتقدمها جمل أورق كما قال محمد عليه الغرارتان فتاب المرتدون وأصر المشركون وقالوا إنه ساحر. وجاء في بعض الروايات أن

الشمس حبست له عليه السلام عن الطلوع حتى قدمت تلك العير وحبس الشمس وقوفها عن السير أي عن الحركة بالكلية وقيل بطؤ حركتها وقيل ردها إلى ورائها. فإن قيل حبسها ورجوعها مشكل لأنها لو تخلفت أو ردت لاختلت الأفلاك وفسد النظام. قلنا: حبسها وردها من باب المعجزات ولا مجال للقياس في خرق العادات. وقد وقع حبس الشمس لبعض الأنبياء كداود وسليمان ويوشع وموسى عليهم السلام. وأما عود الشمس بعد غروبها فقد وقع له ﷺ في خيبر فعن أسماء بنت عميس رضي الله تعالى عنها قالت: كان عليه السلام يوحى إليه ورأسه الشريفة في حجر علي رضي الله عنه ولم يسر عنه حتى غربت الشمس وعلي لم يصل العصر فقال له رسول الله: «أصليت العصر» قال: لا فقال عليه السلام: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس» قالت أسماء فرأيتها طلعت بعدما غربت وهو من أجل إعلام النبوة فليحفظ. وذكر أنه وقع لبعض الوعاظ ببغداد كان يعظ بعد العصر ثم أخذ في ذكر فضائل آل البيت فجاءت سحابة غطت الشمس فظن وظن الناس الحاضرون عنده أن الشمس غابت فأرادوا الانصراف فأشار إليهم أن لا يتحركوا ثم أدار وجهه إلى ناحية المغرب وقال:

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي مدحي لآل المصطفى ولنجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن هذا الوقوف لولده ولنسله

فطلعت الشمس فلا يحصى ما رمي عليه من الحلي والثياب وهو من الاتفاقات الغريبة كما حكي أن بعض الناس كان يهوى شاباً يلقب ببدر الدين فاتفق أنه توفي ليلة البدر فلما أقبل الليل وتكمل البدر لم يتمالك محبة رؤيته من شدة الحزن وأنشد يخاطب البدر:

شقيقك غيب في لحده وتطلع يا بدر من بعده
فهلا خسفت وكان الخسوف لباس الحداد على فقده

فخسف القمر من ساعته فانظر إلى صدق المحبة وتأثيرها في القمر وصدق من قال إن المحبة مغناطيس القلوب، قال الكمال الخجندي:

بچشم اهل نظركم بود زپروانه دلى كه سوخته آتش محبت نيست

اللهم اجعلنا من أهل المحبة والوداد آمين وحين زالت الشمس من اليوم الذي يلي ليلة المعراج نزل جبريل وأم بالنبي عليه السلام ليعلمه أوقات الصلوات وهيئتها وأعداد ركعاتها ثم صيح بأصحابه «الصلاة جامعة» لأن الإقامة المعروفة للصلاة لم تشرع إلا بالمدينة فاجتمعوا فصلى النبي عليه السلام بالناس فسميت تلك الصلاة صلاة الظهر لأنها فعلت عند قيام الظهيرة أي شدة الحر أو عند نهاية ارتفاع الشمس فصلاته عليه السلام بالناس كانت بعد صلاته مع جبريل وأمه جبريل يومين يوماً في أول الوقت ويوماً في آخره وكان ذلك عند باب الكعبة مستقبلاً لصخرة الله ثم التفت جبريل وقال: يا محمد هذا وقتك ووقت الأنبياء من قبلك والوقت ما بين هذين الوقتين وإنما لم تقع البداءة بالصبح مع أنها أول صلاة بعد ليلة الإسراء لأن الإتيان بها يتوقف على بيان الإتيان بالكيفية أي على بيان علم كيفيتها المعلق عليه الوجوب كأنه قيل: أوجبت حيث ما تبين كيفيته في وقته والصبح لم تبين كيفيتها في وقتها فلم تجب. فإن قيل قول جبريل هذا وقتك ووقت الأنبياء من قبلك يقتضي أن هذه الصلوات كانت مشروعة لكل واحد من الأنبياء قبله وليس كذلك لأنها من خصائص هذه الأمة. قلنا معناه أن وقتك هذا

المحدود الطرفين مثل وقت الأنبياء قبلك فإنه كان محدود الطرفين أو أن بعضهم صلى الفجر وبعضهم ما يليها وهو لا ينافي كون المجموع على هذه الكيفية من خصائص هذه الأمة.

- روي - أن أول من صلى الفجر آدم عليه السلام حين أهبط إلى الأرض من الجنة وأظلمت عليه الدنيا وجنّ الليل ولم يكن يرى قبل ذلك فخاف خوفاً شديداً فلما انشق الفجر صلى ركعتين شكراً لله تعالى لحصول النجاة من ظلمة الليل ولرجوع النهار أو لما تيب عليه كان ذلك عند الفجر فصلى ركعتين شكراً لحصول التوبة وزوال المخالفة وطلوع النور التوفيق وغروب ظلمة المخالفة. وأول من صلى بعد الزوال إبراهيم عليه السلام حين فدى ابنه عند الظهر صلى أربعاً شكراً لذهاب غم الولد ولنزول الفداء ولرضى الله حين نودي قد صدقت الرؤيا ولصبر ولده على أذى الذبح ومشقته. وأول من صلى العصر يونس عليه السلام حين أنجاه من ظلمات أربع: الزلزلة، والليل، والماء، وبطن الحوت. وأول من صلى المغرب عيسى عليه السلام فالركعة الأولى لنفي الألوهية عن نفسه والثانية لنفيها عن والدته والثالثة لإثباتها لله تعالى وقيل: غفر لداود عليه السلام عند الغروب فقام يصلي أربع ركعات فجهد أي تعب فجلس في الثالثة أي سلم فيها فصارت المغرب ثلاثاً. وأول من صلى العشاء موسى عليه السلام حين خرج من مدين وضل الطريق وكان في غم المرأة وغم أخيه هارون وغم فرعون عدوه وغم أولاده فلما أنجاه الله من ذلك كله صلى أربعاً. وأول من صلى الوتر نبينا عليه الصلاة والسلام. قال في «تفسير التيسير» أم رسول الله ملائكة السموات في الوتر فكان إمام الأنبياء في بيت المقدس وإمام الملائكة عند سدرة المنتهى فظهر ذلك فضله على أهل الأرض والسماء انتهى. قال في «التقدمة شرح المقدمة» قيل لما قام إلى الثالثة رأى والديه في النار ففزع وانحل يداه ثم كبر وقنت واستغاث بالله من النار وأهلها وأتمها على ثلاث ركعات فصارت وتراً. قيل: فرضت الصلوات الخمس في المعراج ركعتين ركعتين حتى المغرب ثم زيد في صلاة الحضر فأكملها أربعاً في الظهر أي في غير يوم الجمعة وأربعاً في العصر وثلاثاً في المغرب وأربعاً في العشاء وأقرت صلاة الصبح على ركعتين فعن عائشة رضي الله عنها فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتان أي في الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء فلما أقام رسول الله أي بعد شهر وقيل: وعشرة أيام من الهجرة زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر أي لم يزد عليها شيء لطول القراءة فيها وتركت صلاة المغرب فلم يزد عليها إلا ركعة فصارت ثلاثاً وقيل: فرضت الخمس في المعراج أربعاً إلا المغرب ففرضت ثلاثاً وإلا الصبح ففرضت ركعتين وإلا صلاة الجمعة ففرضت ركعتين ثم قصرت الأربع في السفر أي في السنة الرابعة من الهجرة وهو المناسب لقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ﴾ [النساء: ١٠١]. قال بعضهم: والحكمة في جعل الصلاة في اليوم والليلة خمساً أن الحواس لما كانت خمساً والمعاصي تقع بوساطتها كانت كذلك لتكون ماحية لما يقع في اليوم والليلة من المعاصي أي بسبب تلك الحواس وقد أشار إلى ذلك النبي عليه السلام بقوله: «أرأيتم لو كان بباب أحدكم نهر يغتسل منه في اليوم والليلة خمس مرات أكان ذلك يبقى من درنه شيئاً» قالوا لا يا رسول الله قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا». وقال بعضهم: جعلها خمس صلوات إظهاراً لسر التضعيف قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] فالخمس عشر مرات خمسون وهي العدد الذي فرض ليلة المعراج قبل التخفيف.

وقيل لأن الكعبة بنيت من خمسة جبال طور سينا وطور زيتا والجودي وحرا وأبو قبيس ولهذا السر جعل الطواف حول البيت الحرام بمنزلة الصلاة ولكن الصلاة أفضل من الطواف إلا في حق الحاج فإنه مختص بالمحل الشريف والصلاة بخلافه. وقيل: جعلها خمساً شكراً للعناصر الأربعة وجمعيتها في نشأة الإنسان وقد جعل الله الصلاة على أربعة أركان القيام والركوع والقعود والسجود لتكون شكراً لهذه العناصر الأربعة، أو لأن الخلق أربعة أصناف قائم مثل الأشجار وراكع مثل الأنعام وقاعد مثل الأحجار وساجد مثل الهوام فأراد أن يوافق الجميع في أحوالهم فيشاكل كل واحد من الخلق وجعل الله في أوضاع الصلاة جمعية العالم كلها وجعلت الصلاة مثنى وثلاث ورباع لتوافق أجنحة الملائكة فإنها جعلت أجنحة للشخص بها يطير إلى الله تعالى. قال حضرة الشيخ الشهير بافتادة قدس سره: صلاة الصبح في مقابلة الجسم والروح والأربع في المراتب الأربع أي الطبيعة والنفس والقلب والروح وصلاة المغرب كانت لعيسى ولذلك صارت ثلاثاً لأنه ليس له حظ الطبيعة. وقال حضرة شيخي وسندي قدس الله سره في كتاب «اللائحات البرقيات» عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] إن الليل إشارة إلى مرتبة اللاتعين وهي مرتبة الجلال الاطلاقي الذاتي الحقيقي الوجودي لكمال الإطلاق الذاتي الحقيقي الوجودي والنهار إشارة إلى مرتبة التعين وهي مرتبة الجمال الإطلاقي الذاتي الحقيقي الوجودي لذلك الكمال المذكور نعته ثم صلاة الفجر من الصلوات الخمس المشتمل عليها الليل والنهار بركعتيها إشارة إلى الاثنينية والتمايز بين المرتبتين المذكورتين والركعة الأولى إشارة إلى مرتبة الجلال والركعة الثانية إشارة إلى مرتبة الجمال وأحدية مجموع الركعتين واجتماع الركعتين والتقاؤهما في ذلك المجموع إشارة إلى كمال واجتماع الجلال والجمال والتقائهما في ذلك الكمال ثم صلاة المغرب منها عكس صلاة الفجر ليظهر فيها ما بطن فيها من الأحدية الجامعة والركعة الأولى إشارة إلى الجلال والثانية إلى الجمال والثالثة إلى الكمال الجامع ومرتبة اللاتعين مرتبة القوة ومرتبة التعين مرتبة الفعل ولولا القوة لما تحقق الفعل والقوة إجمال والفعل تفصيل فلولا خزينة القوة لما ظهر كرم الفعل وجود الفضل ثم صلاة العشاء منها بركعاتها الأربع إشارة إلى التعينات الأربعة الذاتية والأسمائية والصفاتية والأفعالية في مرتبة اللاتعين والجلال بالقوة وصلاة الظهر منها بركعاتها الأربع إشارة إلى تلك التعينات الأربعة في مرتبة الجمال الإلهي بالفعل وصلاة العصر منها بركعاتها الأربع إشارة إليها في مرتبة الجمال الكوني بالفعل ثم الفرائض إشارة إلى الوجود الحقاني الإلهي المنبسط على الأكوان مطلقاً والواجبات إشارة إلى الوجودات الخلقية الكونية الأخصية والسنن إشارة إلى الوجودات الخلقية الكونية الخاصية والمستحبات إشارة إلى الوجودات الخلقية العامية ثم ساق حضرة الشيخ روح الله روحه في ذلك الكتاب كلاماً طويلاً من طلبه وجده، وسئل ابن عباس رضي الله عنهما هل تجد الصلوات الخمس في كتاب الله تعالى فقال: نعم وتلا قوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم: ١٧-١٨] وأراد بحين تمسون المغرب والعشاء وبحين تصبحون الفجر وبعشيا العصر وبحين تظهرون الظهر وإطلاق التسبيح بمعنى الصلاة جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الصافات: ١٤٣]، قال القرطبي أي من المصلين، وفي الكشاف عن ابن عباس رضي الله عنهما كل تسبيح في القرآن فهو صلاة والعمدة في الصلاة

الطهارة الباطنة وحضور القلب، وفي «المثنوي»:

روى ناشسته نبيند روى خور لا صلاة كفت إلا بالطهور

وهو بالفتح مصدر بمعنى التطهير ومنه «مفتاح الصلاة الطهور» واسم لما يتطهر به كما في «المغرب» قال الحافظ:

طهارت ارنه بخون جكر كند عاشق بقول مفتى عشقش درست نيست نماز

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾

﴿**وآتينا موسى الكتاب**﴾ أي التوراة جملة واحدة بعدما أسريناه إلى الطور ﴿**وجعلناه**﴾ أي ذلك الكتاب ﴿**هدى لبني إسرائيل**﴾ هادياً لأولاد يعقوب يهتدون إلى الحق والصواب بما فيه من الأحكام والخطاب ﴿**أن لا تتخذوا**﴾ أن مفسرة لما يتضمنه الكتاب من الأمر والنهي بمعنى أي كما في قوله كتبت إليه أن افعل كذا. قال الكاشفي: [وكفيتم مرايشانرا كه آيافرا ميكيريد] ﴿**من دوني**﴾ [بجز ازمن] ﴿**وكيلا**﴾ [پرور دكاريكه مهم خود بدو كذاريد]، قوله من دوني بمعنى غيري أحد مفعولي لا تتخذوا ومن مزيدة.

﴿**ذرية**﴾ أي: يا ذرية ﴿**من حملنا مع نوح**﴾ في السفينة أو نصب على الاختصاص بتقدير أعني يقال ذرأ خلق والشيء كثر ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين كما في «القاموس». والمراد تأكيد الحمل على التوحيد بتذكير إنعامه عليهم في ضمن إنجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح. قال في «الكواشي»: هذا منة على جميع الناس لأنهم كلهم من ذرية من أنجى في السفينة من الغرق. والمعنى كانوا مؤمنين فكونوا مثلهم واقتفوا بآثار آبائكم. قال الكاشفي: [مرادسامست كه ابراهيم عليه السلام جد بني إسرائيل است ازنسل اوبود يعني نعمت نجات از طوفان كه به بدرشما ارزانى داشتيم ياد كنيد وشكر كوييد] ﴿**إنه**﴾ أي نوحاً عليه السلام ﴿**كان عبدا شكورا**﴾ كثير الشكر في مجامع حالاته وكان إذا أكل قال: الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء أجاعني وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني ولو شاء أظمأني وإذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء جردني وإذا تغوط قال الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية ولو شاء حبسه.

ـ وروي ـ أنه كان إذا أراد الإفطار عرض طعامه على من آمن به فإن وجده محتاجاً آثره به وفيه إيذان بأن إنجاء من معه كان ببركة شكره عليه السلام وحث الذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذي هو أعظم مراتب الكفران.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**إنه كان عبدا شكورا**﴾ أي كان نوح عبداً شكوراً يرى الضراء نعمة منا كما يرى السراء نعمة منا فيشكرنا في الحالتين جميعاً فلما بالغ في الشكر سمي شكوراً فالله تعالى بالغ في ازدياد النعمة جزاء لمبالغته في الشكر حتى أنعم على ذرية من حملهم مع نوح وهم بنو إسرائيل بإيتاء التوراة الهادية إلى التوحيد المنجية من الشرك.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾

﴿**وقضينا إلى بني إسرائيل**﴾ يقال: قضى إليه أنهاه وأبلغه أي أعلمناهم وأوحينا إليهم وحياً جزماً وبيناً. ﴿**في الكتاب**﴾ في التوراة فإن الإنزال والوحي إلى موسى إنزال ووحي إليهم. ﴿**لتفسدن في الأرض**﴾ والله لتفسدن في أرض الشام وبيت المقدس ﴿**مرتين**﴾ مصدر

والعامل فيه من غير لفظه أي إفساداً بعد إفساد إفسادتين: أولهما مخالفة حكم التوراة وقتل شعيا وحبس أرميا حين أنذرهم سخط الله وارميا بتشديد الياء مع ضم الهمزة على رواية الزمخشري وبضم الهمزة وكسرها مخففاً على رواية غيره. وفي «القاموس» إرميا بالكسر نبي، والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى ﴿**ولتعلن علوا كبيرا**﴾ ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى [يعني سركش خواهيد شد ازطاعت من] والعلو العتو على الله والجراءة. قال الكاشفي: [درين قصه اختلاف بسيارست وهر مفسري نقلى كه بدور سيده ايراد نموده وقول أصح وأشهر در مختار القصص وسير وغير آن از كتبى كه در اخبار انبيا عليهم السلام نوشته اند چنانست كه چون سلطنت بني إسرائيل درولايت شام بصديقه رسيده از اولاد سلما واو مردى ضعيف حال واعرج بود ملوك اطراف طمع درولايت ايليه بسته متوجه آن صوب شدند اول سنجاريب ملك موصل بيامد ومتعاقب او سلما پاشاه آذربايجان رسيد وهردوتلاش شهر بيت المقدس نموده بايكديكر محاربه آغازكردند آتش قتال ميان ايشان اشتعال پذيرفت ودرياى مبارزت ازصرصر مخاصمت بموج در آمد]:

سپهداران سپه درهم فكندند صلاى مرك در عالم فكندند
زپيكان عالمى را ژاله بكرفت زخون روى زمين را لاله بكرفت

عاقبت سطوت هيبت الهى ظهور نموده هردولشكر ازيكديكر منهزم كشتند وغنايم ايشان بدست بني إسرائيل افتاد ديكر باره پادشاه روم وملك صقاليه وسلطان اندلس هريك بالشكر جرار كرار همه تيغ زن ونيزه كذار بردر بيت المقدس جمع شدند وچون رتبه سلطنت شركت برنتابد ايشان نيز آغاز نزاع كرده بلشكر آرايى ونبرد آزمايى قيام واهتمام نمودند:

در افتادند همچون شير غران بكرز ونيزه وشمشير بران

بني إسرائيل دعاي «اللهم اشتغل الظالمين بالظالمين وأخرجنا من بينهم سالمين غانمين» آغاز كردند ونكباي نكبت غبار ادبار برديده آن خا كساران پاشيد هزيمت را غنيمت دانسته دلها برفرار قرار داده از يكديكر كريزان شدند:

نه جاى قرار ونه جاى ستيز نهادند ناكام رو دركريز

أموال ايشان نيز به دست بني إسرائيليان افتاد وچون غنيمت پنج لشكر عظيم درحوزه تصرف در آوردند بحكم ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦-٧] سرتجبر از كريبان عصيان بر آورده ودست تغلب ازآستين طغيان بيرون كرده حكم توراترا برطرف نهادندهر چند ارميا پيغمبر ايشانرا پند داد وكفت از آنچه درتورات مقر رشده واين فساد أول است مكنيدوخودرا در معرض سخط الهي ميارید نشنيدند حق سبحانه وتعالى بخت نصر مجوسي راكه كاتب سنجاريب بود وبعداز فوت او بحكم وصيت ملك بوى رسيدبرايشان كماشت تابيا مدوبا ايشان حرب كرده غالب شدو مسجدرا خراب كرد تورات را بسوخت وهفتاد هزار كسى را بني إسرائيل بنده كرفت واين عقوبت اول بود بعد ازان كورش همدانى كه زنى از بني إسرائيل حواسته بودازين حال خبر يافت مال بسياربر كرفت وسى هزار بنا وسائر عمله باخود آورد وسى سال بعمارت ولايت ايليه اشتغال نمود تابحال اول بازآمد وديكر باره بني إسرائيل خوش وقت شدند وأموال وأولاد ايشان روى بازويادنها دند باز سوداى اين مخالفت ازنهادايشان سربرزد ويحيى معصوم را بقتل رسانيدند وقصد هلاك عيسى عليهما السلام [كردند

عقوبت دوم دررسيد وطرطوس رومى برايشان غلبه كرد ديكر باره مسجد خراب كردواندو ختهاي ايشانرا بغارت بردند] كما قال تعالى:

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾

﴿فإذا جاء﴾ [پس چون بيايد] **﴿وعد أولاهما﴾** أي: أولى كرتي إفساد أي حان وقت حلول العقاب الموعود **﴿بعثنا عليكم﴾** لمؤاخذتكم بجناياتكم **﴿عبادا لنا﴾** أكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس. قال الكاشفي: [اضافت خلق است نه اضافت مدح چه مراد بخت نصر است بقول اصح]، يقول الفقير المراد من الإضافة بيان كونهم مظاهر الاسم المذل المنتقم القهار كما يفيده مقام العظمة لا التشريف فإن الكافر ليس من أهله. **﴿أولي بأس شديد﴾** كقولهم ظل ظليل لأن البأس يتضمن الشدة أي ذوي قوة وبطش في الحروب [دمياطى كفت كه مهيب باشد آوازهاى ايشان چون رعد] وهم بخت نصر من مجوس بابل وهو بضم الباء أصله بوخت بمعنى ابن ونصر بفتح النون والصاد المشددة والراء المهملة اسم صنم وجد عنده بخت نصر ولم يعرف له اب ينسب إليه، وقال بعضهم كان بخت نصر عاملاً على العراق لملك الأقاليم في ذلك الحين لهراست بن كى اجواد كان لهراست مشتغلاً بقتال الترك فوجه بخت نصر إلى بني إسرائيل في المرة الأولى **﴿فجاسوا﴾** من الجوس وهو التردد خلال الدور والبيوت في الغارة أي ترددوا لطلبكم بالفساد **﴿خلال الديار﴾** قال في «القاموس»: الخلل منفرج ما بين الشيئين ومن السحاب مخارج الماء كخلاله وخلال الدار أيضاً ما حوالي جدرها وما بين بيوتها انتهى. قالوا: يجوز أن يكون مفرداً بمعنى الوسط أو جمع خلل بمعنى الأوساط مثل جبل وجبال. والديار جمع دار وهو المحل يجمع البناء والعرصة. والمعنى مشوا في وسط المنازل أو في أوساطها للقتل والأسر والغارة فقتلوا علماءهم وكبارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفاً وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضاً مما جرت به السنة الإلهية **﴿وكان﴾** وعد عقابهم **﴿وعدا مفعولا﴾** وعداً لا بد أن يفعل.

﴿ثم رددنا﴾ أعدنا **﴿لكم الكرة عليهم﴾** أي: الدولة والغلبة على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم من الإفساد والعلو تلخيصه بعد ظفرهم بكم أظفرناكم بهم. والكرة في الأصل المرة وعليهم متعلق بها لأنه يقال كر عليه أي عطف.

ـ حكي ـ أن كورش الهمذاني غزا أهل بابل فظهر عليهم وسكن الدار فتزوج امرأة من بني إسرائيل فطلبت من زوجها أن يرد قومها إلى أرضهم فردهم إلى أرضهم بيت المقدس فالكرة هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني إسرائيل أساراهم ورجوع الملك إليهم فمكثوا فيها فرجعوا إلى أحسن ما كانوا عليه ثم عادوا فعصوا الثانية **﴿وأمددناكم بأموال﴾** يقال أمد الجيش إذا قواه وكثره عدداً أي قويناكم بأموال كثيرة بعدما نهبت أموالكم **﴿وبنين﴾** بعدما سبيت أولادكم **﴿وجعلناكم أكثر نفيرا﴾** عدداً مما كنتم أو من عدوكم وهو من ينفر مع الرجل من قومه.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾

﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ أي إحسان الأعمال وإساءتها كلاهما مختص بكم لا يتعدى ثوابها ووبالها إلى غيركم فاللام على أصلها وهو الاختصاص. قال سعدي المفتي الأولى أن تكون للاستحقاق كما في قوله ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الرعد: ٣٤]. قال في «تفسير النيسابوري»: قال أهل الإشارة إنه أعاد الإحسان ولم يذكر الإساءة إلا مرة ففيه دليل على أن جانب الرحمة أغلب ويجوز أن يترك تكريره استهجاناً ﴿فإذا جاء﴾ [پس چون بيايد] ﴿وعد الآخرة﴾ أي حان وقت ما وعد من عقوبة المرة الآخرة من الإفسادين [دويست ودوسال] ﴿ليسوءوا وجوهكم﴾ يقال: ساءه مساءة فعل به ما يكره وهو متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه أي بعثناهم ليجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية في وجوهكم فأريد بالوجوه الحقيقية وآثار الأعراض النفسانية في القلب تظهر في الوجه. وفي الكواشي وخصت الوجوه بالمساءة والمراد أهلها لأن أول ما يظهر من الحزن عليها ﴿وليدخلوا المسجد﴾ الأقصى ويخربوه ﴿كما دخلوه أول مرة﴾ وخربوه ﴿وليتبروا﴾ أي ليهلكوا ﴿ما علوا﴾ كل شيء علوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم ﴿تتبيرا﴾ إهلاكاً فظيعاً لا يوصف والمراد بهم طرطوس الرومي وجنوده كما سبق. وقال بعضهم: سلط الله عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه هردوس قال لواحد من عظماء جنوده: كنت حلفت بإلٰهي إذا ظفرت بأهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى يسيل دماؤهم وسط عسكري فأمره أن يقتلهم فدخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دماً يغلي فسألهم عنه فقالوا: دم قربان لم يقبل منا فقال: ما صدقتموني فقتل على ذلك الدم سبعين ألفاً من رؤسائهم وغلمانهم وأزواجهم فلم يهدأ الدم ثم قال: إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحداً فقالوا: إنه دم نبي كان ينهانا ويخبرنا بأمركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال: ما كان اسمه قالوا: يحيى بن زكريا قال: الآن صدقتموني لمثل هذا ينتقم ربكم منكم، وكان قتل يحيى ملك من بني إسرائيل يقال له لاخت حمله على قتله امرأة اسمها اربيل وكانت قتلت سبعة من الأنبياء وقتل يحيى كان بعد رفع عيسى فلما رأى أنهم صدقوا خر ساجداً ثم قال: يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدأ بإذن الله قبل أن لا أبقي أحداً منهم فهدأ فرفع عنهم القتل وقال: آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل وأيقنت أنه لا رب غيره وقال لبني إسرائيل إن هردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره ولست أستطيع أن أعصيه قالوا: افعل ما أمرت فأمرهم أن يحفروا خندقاً ويذبحوا دوابهم حتى سال الدم في العسكر فلما رأى هردوس ذلك أرسل إليه أن أرفع عنهم القتل فسلب عنهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة والمسكنة ثم انصرف إلى بابل وهي الوقعة الأخيرة النازلة على بني إسرائيل وبقي بيت المقدس خراباً إلى عهد خلافة عمر رضي الله عنه فعمره المسلمون بأمره. قال الكاشفي: [حق سبحانه وتعالى درتورات بعداز وعده اين دو عقوبت با ايشان كفته بود].

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

﴿عسى ربكم﴾ [شايد كه پرورد كار شما يا بني إسرائيل] ﴿أن يرحمكم﴾ [آنكه رحمت

كند برشما وباز شمارا منعم] أي بعد المرة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي فتابوا فرحمهم ﴿وإن عدتم﴾ مرة ثالثة إلى المعاصي. قال سعدي المفتي الأولى كما في الكشاف مرة ثانية إذ العود مرتان والأول بدء لا عود إلا أن يقال أول المرات كونهم تحت أيدي القبط ﴿عدنا﴾ إلى عقوبتكم ولقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بأن سلط عليهم الأكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الأتاوة ونحو ذلك أو عادوا بتكذيب محمد ﷺ وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة وأجلى بني النضير وقدر الجزية على الباقين فهم يعطونها عن يد وهم صاغرون وهم في عذاب من المؤمنين إلى يوم القيامة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وإن عدتم﴾ إلى الجهل ﴿عدنا﴾ إلى العدل بل إلى الفضل، وفي «المثنوي»:

چونكه بدكردى بترس ايمن مباش زانكه تخمست وبرويانذ خداش
چند كاهى او بپوشاند كه تا آيد آخر زان پشيمان تورا
بارها پو شد پى اظهار فضل باز كيرد از پى اظهار عدل
تاكه اين هردوصفت ظاهر شود آن مبشر كردد اين منذر شود

﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾ أي محبساً ومقراً يحصرون فيه لا يستطيعون الخروج منها أبد الآباد فهو فعيل بمعنى فاعل أي حاصرة لهم ومحيطة بهم وتذكيره إما لكونه بمعنى النسبة كلابن وتامر أو لحمله على فعيل بمعنى مفعول أو بالنظر إلى لفظ جهنم إذ ليس فيه علامة التأنيث. وعن الحسن حصيراً اي بساطا كما يبسط الحصير المرمول والحصير المنسوج وإنما سمي الحصير لأنه حصرت طاقاته بعضها فوق بعض.

واعلم أن جهنم عصمني الله وإياك منها من أعظم المخلوقات وهي سجن الله في الآخرة يسجن فيه المعطلة أي نفاة الصانع والمشركون والكافرون والمنافقون وأهل الكبائر من المؤمنين ثم يخرج بالشفاعة وبالامتنان الإلهي من جاء النص الإلهي فيه وأوجدها الله تعالى بطالع الثور ولذلك خلقها الله تعالى في صورة الجاموس وجميع ما يخلق فيها من الآلام التي يجدها الداخلون فيها فمن صفة الغضب الإلهي ولا يكون ذلك عند دخول الخلق فيها من الجن والإنس متى دخلوها وأما إذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم فيها في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل هي ومن فيها من زبانيتها في رحمة الله لمنغمسون ملتذون يسبحون الله لا يفترون. فعلى العاقل أن يتباعد عن الأسباب المقربة إلى النار ويستعيذ بالله من حرها وبردها آناء الليل وأطراف النهار ويرجو رحمة الله تعالى وهي في التسليم والتلقي من النبوة والوقوف عند الكتاب والسنة عصمنا الله وإياكم من المخالفة والعصيان وشرفنا بالموافقة والطاعة كل حين وآن وجعلنا من المخلصين في بابه المقبلين على جنابه المحترزين عن عذابه وعقابه.

﴿إن هذا القرآن﴾ الذي آتيناك يا محمد ﴿يهدي﴾ الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم كدأب الكتاب الذي آتيناه موسى ﴿للتي﴾ للطريقة التي ﴿هي أقوم﴾ أي أقوم الطرائق وأسدها وأصوبها أعني ملة الإسلام والتوحيد والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهتدي إليها من يتمسك به لا تحصيل الاهتداء بالفعل فإنه مخصوص بالمؤمنين ﴿ويبشر﴾ [مژده ميدهيد] ﴿المؤمنين﴾ بما في تضاعيفه من الأحكام والشرائع ﴿الذين يعملون الصالحات﴾ التي شرحت فيه ﴿أن لهم﴾ أي بأن لهم بمقابلة تلك الأعمال ﴿أجرا كبيرا﴾ بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مرات

فصاعداً. قال الكاشفي: [مزدى بزرك يعني بهشت] وذلك لأنه يستصغر عند الجنة ونعيمها الدنيا وما فيها.

﴿وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وأحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء ﴿أعتدنا لهم﴾ [آماده كرديم براى ايشان] أي فيما كفروا به وأنكروا وجوده من الآخرة ﴿عذابا أليما﴾ وهو عذاب جهنم والجملة معطوفة على جملة يبشر بإضمار يخبر ويجوز أن يكون معطوفاً على أن لهم أجراً كبيراً فالمعنى أنه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب أعدائهم فإن المرء يستبشر ببلية عدوه.

يا وصال يار يا مرك عدو بازىء چرخ زين دو يك كارى كند

واعلم أن القرآن مظهر الاسم الهادي وهو كتاب الله الصامت والنبي عليه السلام كتاب الله الناطق وكذا ورثته الكمل بعده وأن الدلالة والإرشاد إنما تنفع المؤمنين العاملين بما فيه وهو لم يترك شيئاً من أمور الدين والدنيا الا وتكفل ببيانه إما إجمالاً أو تفصيلاً. قال ابن مسعود رضي الله عنه إذا أردتم العلم فآثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين.

ـ روي ـ أنه تفكر بعض العارفين في أنه هل في القرآن شيء يقوي قوله عليه السلام: «يخرج روح المؤمن من جسده كما يخرج الشعر من العجين» فختم القرآن بالتدبر فما وجده فرأى النبي ﷺ في منامه وقال: يا رسول الله قال الله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] فما وجدت معنى هذا الحديث في كتاب الله تعالى فقال عليه السلام: «اطلبه في سورة يوسف» فلما انتبه من نومه قرأها فوجده وهو قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١] أي: لما رأين جمال يوسف عليه السلام اشتغلن به وما وجدن ألم القطع وكذلك المؤمن إذا رأى ملائكة الرحمة ورأى إنعامه في الجنة وما فيها من النعيم والحور والقصور اشتغل قلبه بها ولا يجد ألم الموت وانفهم من الحكاية أن القارىء ينبغي أن يقرأ القرآن بتدبر تام حتى يصل إلى كل مرام وقد نهى النبي عليه السلام أن يختم القرآن في أقل من ثلاث وقال: «لم يفقه» أي لم يكن فقيهاً في الدين «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث» يعني: لا يقدر الرجل أن يتفكر ويتدبر في معنى القرآن في ليلة أو ليلتين لأنه يقرأ على العجلة حينئذٍ بل ينبغي أن يقرأ القرآن في ثلاث ليال أو أكثر حتى يقرأ عن طيب نفس ونشاطها ويتفرغ لتدبر معناه ولذا اختار بعضهم الختم في كل جمعة وبعضهم في كل شهر وبعضهم في كل سنة بحسب درجات التدبر والتفتيش ويغتنم الحضور للدعاء عند ختم القرآن فإنه يستجاب وفي الحديث: «من شهد خاتمة القرآن كان كمن شهد المغانم حين تقسم ومن شهد فاتحة القرآن كان كمن شهد فتحاً في سبيل الله» ففي الافتتاح عند الاختتام إحراز لهاتين الفضيلتين وإذلال للشيطان. قال في «شرح الجزري» ينبغي أن يلح في الدعاء وأن يدعو بالأمور المهمة والكلمات الجامعة وأن يكون معظم ذلك أو كله في أمور الآخرة وأمور المسلمين وصلاح سلاطينهم وسائر ولاة أمورهم في توفيقهم للطاعات وعصمتهم من المخالفات وتعاونهم على البر والتقوى وقيامهم بالحق عليه وظهورهم على أعداء الدين وسائر المخالفين ومما يقول النبي عليه السلام عند ختم القرآن «اللهم ارحمني بالقرآن العظيم واجعله لي إماماً ونوراً وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله حجة لي يا رب

العالمين» وكان أبو القاسم الشاطبي رحمه الله يدعو بهذا الدعاء عند ختم القرآن «اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك وأبناء إمائك ماض فينا حكمك عدل فينا قضاؤك نسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في شيء من كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا وجلاء أحزاننا وهمومنا وسائقنا وقائدنا إليك وإلى جناتك جنات النعيم ودارك دار السلام مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين برحمتك يا أرحم الراحمين». قال في «القنية»: لا بأس باجتماعهم على قراءة الإخلاص جهراً عند ختم القرآن ولو قرأ واحد واستمع الباقون فهو أولى انتهى. وجه الأولوية أن الغرض الأهم من القراءة إنما هو تصحيح مبانيها لظهور معانيها ليعمل بما فيها وفي القراءة بصوت واحد يتشوش الخواطر مع أن بعض القارئين بالجمعية يأتي ببعض الكلمة والآخر ببعضها ويقع حذف الحرف والزيادة وتحريك الساكن وتسكين المحرك ومد القصر وقصر المد مراعاة للأصوات فيأثمون.

عشقت رسد بفرياد كرخود بسان حافظ   قرآن زبر بخوانى در چار ده روايت

نسأل الله تعالى أن يوصلنا إلى حقائق القرآن وأسراره ويطلعنا على الحكم والمصالح في قصصه وأخباره ويجعلنا من أهل التحقيق إنه ولي التوفيق.

﴿ويدع الإنسان بالشر﴾ ويدعو الله عند غضبه بالشر واللعن والهلاك على نفسه وأهله وخدمه وماله. والمراد بالإنسان الجنس أسند إليه حال بعض أفراده أو حكى عنه حاله في بعض أحيانه وحذفت واو يدع ويمح وسندع لفظاً كياء سوف يؤت الله وينادِ المناد وما تغن النذر وصلاً لاجتماع الساكنين ووقفا وهي مرادة معنى حملاً للوقف على الوصل ولو وقف عليها اضطراراً لوقف بلا واو في ثلاثتها اتباعاً للإمام كما في الكواشي ﴿دعاءه بالخير﴾ مثل دعائه لهم بالخير والرزق والعافية والرحمة ويستجاب له فلو استجيب له إذا دعا باللعن كما يجاب له بالخير لهلك أو يدعوه بما يحسبه خيراً وهو شر في نفسه فينبغي أن يدعو بما هو خير عند الله تعالى لا بما يشتهيه ﴿وكان الإنسان﴾ بحسب جبلته ﴿عجولا﴾ يسارع إلى طلب ما يخطر بباله ولا ينظر عاقبته ولا يتأنى إلى أن يزول عنه ما يعتريه. قال الكاشفي: [تعجيل دارد در انقلاب ازحالي بحالي نه درسرا تحمل دار دونه درضرا نه در كرما شكيباست ونه درسرما].

واعلم أن الدعاء إما بلسان الحقيقة وإما باعتبار السيئة المفضية إلى الشر الموجبة له فالإنسان عجول قولاً وفعلاً يتمادى في الأعمال الموجبة للشر والعذاب وفي الحديث: «المؤمن وقاف والمنافق وثاب» قال آدم عليه السلام لأولاده: كل عمل تريدون أن تعملوا فقفوا له ساعة فإني لو وقفت ساعة لم يكن أصابني ما أصابني قال أعرابي: إياكم والعجلة فإن العرب تكنيها أم الندامات، وفي «المثنوي»:

بيش سك چون لقمه نان افكنى   بوكندو انكه خورد اى مقتنى
اوببينى بوكند ما باخرد   هم ببو يئمش بعقل منتقد

قيل: العجلة من الشيطان إلا في ستة مواضع: أداء الصلاة إذا دخل الوقت، ودفن الميت إذا حضر وتزويج البكر إذا أدركت وقضاء الدين إذا وجب وإطعام الضيف إذا نزل وتعجيل التوبة إذا أذنب. ثم شرع في بيان بعض الهداية التكوينية التي أخبر بها القرآن الهادي فقال:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

﴿**وجعلنا الليل والنهار**﴾ قدم الليل لأن فيه تظهر غرر الشهور أي: جعلناهما بسبب تعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر ﴿**آيتين**﴾ دالتين على وجود الصانع القدير ووحدته إذ لا بد لكل متغير من مغير وإنما قال ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء: ١٢] وقال في موضع آخر: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] لأن الليل والنهار ضدان بخلاف عيسى ومريم وقيل لأن عيسى ومريم كانا في وقت واحد والشمس والقمر آيتان لأنهما في وقتين ولا سبيل إلى رؤيتهما معاً ﴿**فمحونا آية الليل**﴾ الفاء تفسيرية والإضافة بيانية كما في إضافة العدد إلى المعدود أي: فمحونا الآية التي هي الليل. والمحو في الأصل إزالة الشيء الثابت والمراد هنا إبداعها ممحوة الضوء مطموسة كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل أي: أنشأهما كذلك بقرينة أن محو الليل في مقابلة جعل النهار مضيئاً ﴿**وجعلنا آية النهار**﴾ أي: الآية التي هي النهار ﴿**مبصرة**﴾ مضيئة تبصر فيها الأشياء وصفها بحال أهلها ويجوز أن تكون الإضافة في المحلين حقيقية فالمراد بآية الليل والنهار والقمر والشمس.

ـ روي ـ أن الله تعالى خلق كلاً من نور القمر والشمس سبعين جزءاً ثم أمر جبريل فمسح بجناحه ثلاث مرات فمحا من القمر تسعة وستين جزءاً فحولها إلى الشمس ليتميز الليل من النهار إذ كان في الزمن الأول لا يعرف الليل والنهار فالسواد الذي في القمر أثر المحو وهذا السواد في القمر بمنزلة الخال على الوجه الجميل ولما كان زمان الدولة العربية الأحمدية قمرياً ظهر عليه أثر السيادة على النجوم وهو السواد لأنه سيد الألوان كما ظهر على الحجر المكرم الذي خرج أبيض من الجنة أثر السيادة بمبايعة الأنبياء والأولياء عليهم السلام وجعل الله شهورنا قمرية لا شمسية تنبيهاً من الله للعارفين أن آياتهم ممحوّة من ظواهرهم مصروفة إلى بواطنهم فاختصوا من بين جميع الأمم الماضية بالتجليات الخاصة. وقيل فيهم كتب في قلوبهم الإيمان مقابلة قوله فانسلخ منها قال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ [يس: ٤٠] أي: في علو المرتبة والشرف. قال: حضرت شيخي وسندي قدس سره في «كتاب البرقيات» بعد تفصيل بديع ثم لآية الليل مرتبة الفرعية والتبعية ولآية النهار مرتبة الأصلية والاستقلالية لأن نور القمر مستفاد من نور الشمس ثم سر محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة هو نفي الاستواء وإثبات الامتياز حتى يتعين حد المستفيد وطوره بأن يكون أنزل بحسب الضعف والنقصان وحد المفيد وطوره بأن يكون ارفع بحسب القوة والكمال ويرتبط كل منهما بالآخر من غير تعد وتجاوز عن حده وطوره بل عرف كل قدره ولزوم مقامه حتى يطرد النظام والانتظام ويستمر القيام والدوام من غير خلل واختلال ثم هذا السر إشارة إلى سر أن لمظاهر الجلال مرتبة التبعية والفرعية ولمظاهر الجمال مرتبة الاستقلالية والأصلية لأن الإمداد الواصل إلى مظاهر الجلال لقيامهم ودوامهم وبقائهم مستفاد من مظاهر الجمال ولذا قيل: لولا الصلحاء لهلك الطلحاء وحكمة محو أفكار مظاهر الجلال عن الإصابة إلى الأخطاء وجعل أفكار مظاهر الجمال مبصرة مصيبة هو نفي المساواة وإثبات المباينة بينهما حتى يتحقق رتبة الأصل بالقوة والغلبة ورتبة الفرع بالضعف والعجز والذلة ويقوم النظام ويدوم الانتظام من غير أن يظهر التجاوز والتعدي

من طرف مرتبة التبعية إلى رتبة الاستقلالية عند المقابلة والمقاومة بل يطرد الارتفاع والاعتلاء والاستيلاء على الوجه الأوفق والحد الأحق في طرف الأصالة ويستمر الأمر في نفسه إلى ما شاء الله خالق البرية ثم مرتبة القمر إشارة إلى المراتب الإلهية إلى مرتبة الربوبية ومرتبة الشمس إلى مرتبة الألوهية وفي المراتب الكونية الآفاقية مرتبة القمر إشارة إلى مرتبة الكرسي واللوح ومرتبة الشمس إشارة إلى مرتبة العرش والقلم وفي مراتب الكونية الأنفسية مرتبة القمر إشارة إلى مرتبة الروح ومرتبة الشمس إشارة إلى مرتبة السر وغير ذلك من الإشارات القرآنية **﴿لتبتغوا﴾** متعلق بقوله: **﴿وجعلنا آية النهار﴾** أي: لتطلبوا لأنفسكم في بياض النهار **﴿فضلا من ربكم﴾** أي: رزقاً وسماه فضلاً لأن إعطاء الرزق لا يجب على الله وإنما يفيضه بحكم الربوبية وفي التعبير عن الكسب بالابتغاء دلالة على أن ليس للعبد في تحصيل الرزق تأثير سوى الطلب **﴿ولتعلموا﴾** متعلق بكلا الفعلين أي: لتعلموا باختلاف الجديدين أو ميزهما ذاتاً من حيث الإظلام والإضاءة مع تعاقبهما وسائر أحوالهما **﴿عدد السنين﴾** التي يتعلق بها غرض علمي لإقامة مصالحكم الدينية والدنيوية **﴿والحساب﴾** أي: الحساب المتعلق بما في ضمنها من الأوقات أي: الأشهر والليالي والأيام وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة ولولا ذلك لما علم أحد حسبان الأوقات ولتعطلت أمور كثيرة. والحساب إحصاء ما له كمية منفصلة بتكرير أمثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة فيها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل والعد: إحصاؤه بمجرد تكرير أمثاله من غير أن يتحصل منه شيء كذلك فالسنة تتحصل بعدة شهور والشهر بعدة أيام واليوم بعدة ساعات. والسنين جمع سنة وهي شمسية وقمرية فالسنة الشمسية مدة وصول الشمس إلى النقطة التي فارقتها من ذلك البرج وذلك ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم والسنة القمرية اثنا عشر شهراً قمرياً ومدتها ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وثلث يوم قالوا: إن أقر العنين أنه لم يصل أجله الحاكم سنة قمرية في الصحيح وبحسب فدية الصلاة بالسنة الشمسية أخذاً بالاحتياط من غير اعتبار ربع اليوم ففدية كل فرض من الحنطة خمسمائة درهم وعشرون درهماً وللوتر كذلك فيكون فدية كل صلاة يوم وليلة من الحنطة ثلاثة آلاف درهم ومائة وعشرين درهماً وفدية كل سنة شمسية مائة واثنان وأربعون كيلاً بكيل القسطنطينية وسبع أوقية ويكون قيمة هذا المقدار من الحنطة محسوبة بالحساب الجاري بين الناس في كل عهد وزمان **﴿وكل شيء﴾** تفتقرون إليه في المعاش والمعاد وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى: **﴿فصلناه تفصيلا﴾** أي: بيناه في القرآن بياناً بليغاً لا التباس معه فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا فليتبع العاقل ما أدركه أي: لحقه علمه وليفوض ما جهله منه إلى العلم. وفيه إشارة إلى أن العالم إذا تدبر في القرآن وقف على جميع المهمات وكان الصحابة رضي الله عنهم يكرهون أن يمضي يوم ولم ينظروا في مصحف لأن النظر إليه عبادة. وفيه أيضاً وقوف على المرام فإن التدبر يؤدي إلى ظهور خفايا الكلام.

ـ حكي ـ أن الإمام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة دخل على أبي حنيفة لتعلم الفقه قال: استظهرت القرآن يا بني قال: لا قال: استظهر أوّلاً فغاب سبعة أيام ثم رجع إلى أبي حنيفة فقال: ألم أقل لك استظهر قال: استظهرت. قال الشافعي رضي الله عنه: بت عنده ليلة فصليت إلى الصبح واضطجع هو إلى الصبح فاستنكرت ذلك منه فقام وصلى ركعتي الفجر من غير توضؤ فقلت له في ذلك فقال: أظننت أني نمت كلا استخرجت من كتاب الله نيفاً وألف

مسألة فأنت عملت لنفسك وأنا عملت للأمة أو إنما اضطجعت لأن صفاء خاطري في تلك الحالة. وهذه الصورة سرّ ما قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر سبب اضطجاع الأنبياء على ظهورهم عند نزول الوحي إليهم أن الوارد الإلهي الذي هو صفة القيومية إذا جاءهم اشتغل روح الإنسان عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع إلى أصله وهو لصوقه بالأرض. ثم إن في القرآن تفصيلاً لأهل العبارة وأهل الإشارة، وفي «المثنوي»:

تو زقر آن اي پسر ظاهر مبين ديو آدم را نبيند غير طين

ظاهر قرآن چو شخص آدميست كه نقوشش ظاهر وجانش خفيست

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

﴿**وكل إنسان**﴾ مكلف مؤمناً كان أو كافراً ذكراً أو أنثى عالماً أو أمياً سلطاناً أو رعية حراً أو عبداً ﴿**ألزمناه**﴾ الإلزام [لازم كردن] ﴿**طائره**﴾ أي: عمره الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كأنه طار إليه من عش الغيب ووكر القدر ﴿**في عنقه**﴾ تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط أي: ألزمناه عمله بحيث لا يفارقه أبداً بل يلزمه لزوم القلادة والغل للعنق لا ينفك عنه بحال.

كه هرنيك وبدى كان ازمن آيد مرا نا كام غل در كردن آيد

قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف خص العنق بإلزامه الطائر؟ الجواب لأن العنق موضع السمات والقلائد مما يزين أو يشين فينسبون الأشياء اللازمة إلى الأعناق يقال هذا في عنقي وفي عنقك انتهى. وفي «حياة الحيوان»: أنهم قالوا تقلدها طوق الحمامة الهاء كناية عن الخصلة القبيحة أي: تقلد طوق الحمامة لأنها لا يزايلها ولا يفارقها كما لا يفارق الطوق الحمامة ومثل قوله تعالى: ﴿**وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه**﴾ أن عمله لازم له لزوم القلادة والغل لا ينفك عنه انتهى.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى ما طار لكل إنسان في الأزل وقدر بالحكمة الأزلية والإرادة القديمة من السعادة والشقاوة وما يجري عليه من الأحكام المقدرة والأحوال التي جرى بها القلم من الخلق والخلق والرزق والأجل ومن صغائر الأعمال وكبائرها المكتوبة له وهو بعد في العدم وطائره ينتظر وجوده فلما أخرج كل إنسان رأسه من العدم إلى الوجود وقع طائره في عنقه ملازماً له في حياته ومماته حتى يخرج من قبره يوم القيامة وهو في عنقه وهو قوله: ﴿**ونخرج له**﴾ أي لكل إنسان ﴿**يوم القيامة**﴾ والبعث للحساب ﴿**كتابا**﴾ مسطوراً فيه عمله نقيراً وقطميراً وهو مفعول نخرج ﴿**يلقاه**﴾ الإنسان أي: يجده ويراه ﴿**منشورا**﴾ مفتوحاً بعدما كان مطوياً صفتان لكتابان أو الأول صفة والثاني حال. قال الحسن: بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك. فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك. وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيآتك حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة. يعني: [چون آدمي درسكرات افتد نامه عمل او در پيچند وچون مبعوث كردند باز كشاده بدست وى ودهند].

﴿**اقرأ كتابك**﴾ على إرادة القول أي: يقال اقرأ كتابك، عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم

يكن في الدنيا قارئاً ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ أي: كفى نفسك والباء زائدة واليوم ظرف لكفى وحسيبا تمييز وعلى صلته لأنه بمعنى الحاسب وتذكيره مبني على تأويل النفس بالشخص. يعني: [خود به بين كه چه كرده ومستحق چه نوع پاداشتى] وفوض تعالى حساب العبد إليه لئلا ينسب إلى الظلم ولتجب الحجة عليه باعترافه. قال الحسن: انصف من انصفك أنصف من جعلك حسيب نفسك [عمر رضي الله عنه كفته كه حاسبوا قبل أن تحاسبوا امروز دفتر اعمال خود در پيش نه ودرنكركه ازنيك وبد چه كرده وچون فرصت دارى درتدارك أحوال خود كوش كه فردا مجال تلافى نخواهد بود. دركشف الاسرار آورده كه پدرى پسر خويش را كفت امروز هرچه بامردم كويى وهرچه از ايشان شنوى وهر عملى كه كنى بامن بكوى وحركات وسكنات خويش بر من عرض كن آن پسر تا نماز شام تمام كردار يكروزه را باز كفت پدر روزى ديكر از پسر همين حال درخواست پسر كفت اي پدر زينهار هرچه خواهى از رنج وكلفت بكشم اين صورت بكذار كه طاقت ندارم پدر كفت من ترا درين كارمى بندم تابيدار وهشيار باشى وازموقف حساب غافل نشوى كه ترا طاقت يكروزه حساب دادن باپدر نيست حساب همه عمر باحق تعالى چون خواهى داد]:

تو نمى دانى حساب روز وشام ... پس حساب عمر چون كويى تمام
زين عملهاى نه بر نهج صواب ... نيست جز شرمندكى وقت حساب

﴿من اهتدى﴾ [هركه راه يابد وبراه راست رود] أي: بهداية القرآن وعمل بما في تضاعيفه من الأحكام وانتهى عما نهاه ﴿فإنما يهتدي لنفسه﴾ فإنما تعود منفعة اهتدائه إلى نفسه لا تتخطاه إلى غيره ممن لم يهتد ﴿ومن ضل﴾ عن الطريقة التي يهديه إليها ﴿فإنما يضل عليها﴾ فإنما وبال إضلاله عليها لا على من عداه ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل من صاحبه. وقال البيضاوي لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه أي: في الآخرة وإلا ففي حكم الدنيا يتعدى نفع الاهتداء وضرر الضلال إلى الغير كما في «حواشي» سعدي المفتي ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾. قال في «القاموس» الوزر بالكسر الإثم والثقل والحمل الثقيل انتهى أي: لا تحمل نفس حاملة للوزر أي: الاثم وزر نفس أخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية من وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل إنما تحمل كل منهما وزرها فلا يؤاخذ أحد بذنب غيره وهذا تحقيق لمعنى قوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ وأما ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] وقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥] من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو في الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسيئته فإن جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملهما العامل لازم له وإنما الذي يصل إلى من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء أصل الحسنة والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون إنما هو جزاء الإضلال لا جزاء الضلال وقوله: ﴿ولا تزر﴾ الخ تأكيد للجملة الثانية وإنما خص بها قطعاً للأطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون أنهم لم يكونوا على الحق فالتبعة على أسلافهم الذين قلدوهم والتبعة ما يترتب على الشيء من المضرة ويتفرع عليه من العقوبة. وقال الكاشفي: [وليد بن مغيرة كافرانرا ميكفت متابعت من كنيد ومن كناهان شمارا بردارم حق سبحانه وتعالى ميفر ما يدكه هر نفسى

بارخود خواهد برداشت نه بار ديكرى] هذا. وقد قال بعضهم: المراد بالكتاب نفسه المنتقشة بآثار أعماله فإن كل عمل يصدر من الإنسان خيراً أو شراً يحدث منه في جوهر روحه أثر مخصوص إلا أن ذلك الأثر يخفي ما دام الروح متعلقاً بالبدن مشتغلاً بواردات الحواس والقوى فإذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لأن النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود إلى العالم العلوي فيزول الغطاء وينكشف الأحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة بحسب العقل وأنه لا ينافي ما ورد في النقل بل يؤيد هذا المعنى ما روي عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئاً ثم المراد بالقيامة على هذا التفصيل هي القيامة الصغرى لكن هذا الكلام أشبه بقواعد الفلسفة كما في «حواشي» سعدي المفتي. يقول الفقير: لا يخفى أن الآخرة جامعة للصورة والمعنى فللإنسان صحيفتان صحيفة عمله التي هي الكتاب وصحيفة نفسه فكل منهما ناطق عن عمله وحاله كما قال في «التأويلات النجمية»: يجوز أن يكون هذا الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها نسخة نسخها الكرام الكاتبون بقلم أعماله في صحيفة أنفاسه من الكتاب الطائر الذي في عنقه ولهذا يقال له: ﴿**اقرأ كتابك**﴾ أي: كتابتك التي كتبتها ﴿**كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**﴾ فإن نفسك مرقومة بقلم أعمالك إما برقوم السعادة أو برقوم الشقاوة من اهتدى إلى الأعمال الصالحة فإنما يهتدي لنفسه فيرقمها برقوم السعادة ومن ضل عنها بالأعمال الفاسدة فإنما يضل عليها فيرقمها برقوم الشقاوة ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ أي: لا يرقم راقم بقلم أوزاره نفس غيره ﴿**وما كنا معذبين**﴾ أي: وما صح وما استقام منا بل استحال في عادتنا المبنية على الحكم البالغة أن نعذب أحداً من أهل الضلال والأوزار اكتفاء بقضية العقل ﴿**حتى نبعث**﴾ إليهم ﴿**رسولا**﴾ يهديهم إلى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرائع قطعاً للمعذرة وإلزاماً للحجة. وفيه دلالة على أن البعثة واجبة لا بمعنى الوجوب على الله بل بمعنى أن قضية الحكمة تقتضي ذلك لما فيه من المصالح والحكم والمراد بالعذاب المنفي هو العذاب الدنيوي وهو من مقدمات العذاب الأخروي فجوزوا على الكفر والمعاندة بالعذاب في الدارين وما بينهما أيضاً وهو البرزخ والبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقاً كيف لا والأخروي لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوي أيضاً لا يحصل إلا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان.

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾

﴿**وإذا أردنا أن نهلك قرية**﴾ أي: وإذا دنا وقت تعلق إرادتنا بإهلاك قرية بأن نعذب أهلها ﴿**أمرنا**﴾ بالطاعة على لسان الرسول المبعوث إلى أهلها ﴿**مترفيها**﴾ متنعميها وكبارها وملوكها. والمترف كمكرم من أبطرته النعمة وسعة العيش والترفة بالضم النعمة والطعام الطيب وخصهم بالذكر مع توجه الأمر إلى الكل لأنهم الأصول في الخطاب والباقي اتباع لهم ﴿**ففسقوا فيها**﴾ أي: خرجوا عن الطاعة وتمردوا في تلك القرية ﴿**فحق عليها القول**﴾ أي: ثبت وتحقق موجبه بحلول العذاب إثر ما ظهر فسقهم وطغيانهم. قال الكاشفي: [پس واجب شود براهل آن ده كلمه عذاب كه سبقت كرفته در حكم ازلى مستوجب عقوبت شدند] ﴿**فدمرناها**﴾ بتدمير أهلها وتخريب ديارها. والتدمير الإهلاك مع طمس الأثر وهدم البناء ﴿**تدميرا**﴾ وقيل: الأمر مجاز

من الحمل على الفسق والتسبب له بأن صب عليهم ما أبطرهم وأفضى بهم إلى الفسوق.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾

﴿وكم أهلكنا من القرون﴾ كم مفعول أهلكنا ومن القرون تبيين لإبهام كم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس أي: وكثيراً من القرون أهلكنا والقرن مدة من الزمان يخترم فيها المرء والأصح أنه مائة سنة لقوله عليه السلام لغلام: «عش قرناً» فعاش مائة والقرن كل أمة هلكت فلم يبق منها أحد وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم **﴿من بعد نوح﴾** من بعد زمنه كعاد وثمود ومن بعدهم ولم يقل من بعد آدم لأن نوحاً أول نبي بالغ قومه في تكذيبه وقومه أول من حلت بهم العقوبة العظمى وهو الاستئصال بالطوفان **﴿وكفى بربك﴾** أي: كفى ربك **﴿بذنوب عباده خبيرا بصيرا﴾** يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير مع أنه مضاف إلى الغيب والأمور الباطنة والبصير مضاف إلى الأمور الظاهرة كالشهيد لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي الأعمال الظاهرة. وفيه إشارة إلى أن البعث والأمر وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فإن ذلك حاصل قبل ذلك وإنما هو لقطع الأعذار وإلزام الحجة من كل وجه. وفي الآية تهديد لهذه الأمة لا سيما مشركي مكة لكي يطيعوا الله ورسوله ولا يعصوه فيصيبهم مثل ما أصابهم.

ـ روي ـ عن الشعبي أنه قال: خرج أسد وذئب وثعلب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وغزالاً وأرنباً فقال الأسد للذئب: اقسم فقال حمار الوحش للملك والغزال لي والأرنب للثعلب قال: فرفع الأسد يده وضرب رأس الذئب ضربة فإذا هو منجدل بين يدي الأسد ثم قال للثعلب: اقسم هذه بيننا فقال الحمار يتغدى به الملك والغزال يتعشى به والأرنب بين ذلك فقال الأسد: ويحك ما أقضاك من علمك هذا القضاء فقال القضاء الذي نزل برأس الذئب ولذلك قيل العاقل من وعظ بغيره:

مرد دركارها چوكرد نظر بهزه اعتبار ازان برداشت
هرچه آن سود مند بود كرفت هرچه ناسود مندبود كذاشت

وفي «التأويلات النجمية» **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾** يشير إلى أن الأعمال الصالحة والفاسدة التي ترقم النفوس برقوم السعادة والشقاوة لا يكون لها أثر إلا بقبول دعوة الأنبياء أو بردها فإن السعادة والشقاوة مودعة في أوامر الشريعة ونواهيها **﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾** أي: من قرى النفوس **﴿أمرنا مترفيها﴾** وهي النفوس الأمارة بالسوء **﴿ففسقوا فيها﴾** أي: فخرجوا عن قيد الشريعة ومتابعة الأنبياء بمتابعة الهوى واستيفاء شهوات النفس **﴿فحق عليها القول﴾** أي: فوجبت لها الشقاوة بمخالفة الشريعة **﴿فدمرناها تدميرا﴾** بإبطال استعداد قبول السعادة إذ صارت النفس مرقومة برقوم الشقاوة الأبدية **﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾** أي: أبطلنا حسن استعدادهم لقبول السعادة برد دعوة الأنبياء عليهم السلام **﴿وكفى بربك بذنوب عباده﴾** إذ لم يقبلوا دعوة الأنبياء **﴿خبيرا بصيرا﴾** فإنه المقدر في الأزل المدبر إلى الأبد أسباب سعادة عباده وأسباب شقاوتهم انتهى.

﴿من كان﴾ [هركه باشد از روى خساست همت] **﴿يريد﴾** بأعماله **﴿العاجلة﴾** الدار

الدنيا فقط أي: ما فيها من فنون مطالبها وهم الكفرة والفسقة وأهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة والذكر ﴿عجلنا له فيها﴾ أي: في تلك العاجلة ﴿ما نشاء﴾ تعجيله له من نعيمها لا كل ما يريد فإن الحكمة لا تقتضي وصول كل واحد إلى جميع ما يهواه ﴿لمن نريد﴾ تعجيل ما نشاء له فإنها لا تقتضي وصول كل طالب إلى مرامه فإن الله تعالى يبتلي بعض العباد بالطلب من غير حصول المطلوب وبعضهم يبتلى به بحصول المطلوب المشروط به إما مقارناً لطلبه وإما بعده لأن وقت الطلب قد يفارق وقت حصول المطلوب فيحصل الطلب في وقت والمطلوب في وقت وبعضهم لا يبتلى بالطلب بل يصل إليه الفيض بلا طلب فالأول طلب ولا شيء. والثاني طلب وشيء. والثالث شيء ولا طلب قوله: ﴿لمن نريد﴾ بدل من الضمير في له بإعادة الجار بدل البعض فإنه راجع إلى الموصول المنبىء عن الكثرة ﴿ثم جعلنا له﴾ مكان ما عجلنا له ﴿جهنم﴾ وما فيها من أصناف العذاب ﴿يصلاها﴾ يدخلها وهو حال من الضمير المجرور ﴿مذموما﴾ ملوماً لأن الذم اللوم وهو خلاف المدح والحمد يقال ذممته وهو ذميم غير حميد كما في «بحر العلوم» ﴿مدحورا﴾ مطروداً من رحمة الله تعالى فإن الدحر الطرد والإبعاد.

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾

﴿ومن﴾ [هركه ازروى علو همت] ﴿أراد﴾ بالأعمال ﴿الآخرة﴾ الدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم ﴿و سعى لها سعيها﴾ أي: السعي اللائق بها وهو الإتيان بما أمر والانتهاء عما نهى لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والإخلاص فإنها للاختصاص ﴿وهو مؤمن﴾ أي: والحال أنه مؤمن إيماناً صحيحاً لا شرك معه ولا تكذيب فإنه العمدة ﴿فأولئك﴾ الجامعون الشرائط الثلاثة من إرادة الآخرة والسعي الجميل لها والإيمان ﴿كان سعيهم مشكوراً﴾ مقبولاً عند الله تعالى بحسن القبول مثاباً عليه فإن شكر الله الثواب على الطاعة وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينيه إشعار بأنه العمدة فيها.

اعلم أن الله تعالى خلق الإنسان مركباً من الدنيا والآخرة ولكل جزء منهما ميل وإرادة إلى كله ليتغذى منه ويتقوى ويتكمل به ففي جزئه الدنيوي وهو النفس طريق إلى دركات النيران وفي جزئه الأخروي وهو الروح طريق إلى درجات الجنان وخلق القلب من هذين الجزءين وله طريق إلى ما بين اصبعي الرحمٰن اصبع اللطف وأصبع القهر فمن يرد الله به أن يكون مظهر قهره أزاغ قلبه وحول وجهه إلى الدنيا فيريد العاجلة ويربي بها نفسه إلى أن تبلغه إلى دركات جهنم البعد ويصلى نار القطيعة ومن يرد الله به أن يكون مظهر لطفه أقام قلبه وحول وجهه إلى عالم العلو فيريد الآخرة ويسعى لها سعيها وهو الطلب بالصدق وهو مؤمن بأن من طلبه وجده فأولئك كان سعيهم في الوجود مشكوراً من الموجد في الأزل.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿كلا﴾ منصوب بنمد أي: كل واحد من مريدي الدنيا ومريدي الآخرة ﴿نمد﴾ أي: نزيد مرة أخرى بحيث يكون الآنف مدداً للسالف لا نقطعه وما به الإمداد هو ما عجل لأحدهما من

العطايا العاجلة وما أعد للآخر من العطايا الآجلة المشار إليها بمشكورية السعي ﴿هؤلاء﴾ بدل من كُلاً ﴿وهؤلاء﴾ عطف عليه أي: نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم ﴿من عطاء ربك﴾ أي: من معطاه الواسع الذي لا يتناهى له لأن العطاء اسم ما يعطي وهو متعلق بنمد ومغن عن ذكر ما به الإمداد ومنه على أن الإمداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعي والعمل بل بمحض التفضل ﴿وما كان عطاء ربك﴾ أي: دنيوياً وأخروياً ﴿محظورا﴾ ممنوعاً عمن يريده من البر والفاجر بل هو فائض على البر في الدنيا والآخرة وعلى الفاجر في الدنيا فقط وإن وجد منه ما يقتضي الحظر وهو الفجور والكفر، قال الشيخ سعدي:

اديـم زمـيـن سـفـره عـام اوسـت برين خوان يغماچه دشمن چه دوست

پـس پـرده بـيـنـد عـمـلـهـاى بـد هـم اوپـرده پـوشـد بـآلاى خـود

وكـر بـرجـفـا پـيـشـه بـشـتـافـتـى كـى از دست قـهـرش امان يـافـتـى

﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية لا بانظر لأن الاستفهام يحجب أن يتقدم عليه عامله لاقتضائه صدر الكلام أي: انظر يا محمد بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعض الآدميين على بعض فيما أمددناهم من العطايا الدنيوية فمن وضيع ورفيع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك تعرف بذلك مراتب العطايا الأخروية ودرجات تفاضل أهلها على طريقة الاستشهاد بحال الأدنى على حال الأعلى كما فصح عنه قوله تعالى: ﴿وللآخرة﴾ أي: هي وما فيها ﴿أكبر﴾ من الدنيا ﴿درجات﴾ نصب على التمييز وهي جمع درجة بمعنى المرتبة والطبقة ﴿وأكبر تفضيلاً﴾ وذلك لأن التفاوت في الآخرة بالجنة ودرجاتها العالية لأن ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ من أهل الدنيا في النعمة والدولة وموافاة المرادات ليتحقق لك أنها من إمدادنا إياهم ﴿وللآخرة﴾ أي: أهل الآخرة ﴿أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾ من أهل الدنيا لأن مراتب الدرجات الأخروية وفضائل أهلها باقية غير متناهية ونعمة الدنيا وفضائل أهلها فانية متناهية، قال الحافظ:

في الجملة اعتماد مكن برثبات دهر كين كار خانه ايست كه تغيير ميكنند

فعلى العاقل تحصيل الدرجات الأخروية الباقية. وفي الحديث «أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الألباب» أراد بذوي الألباب العلماء ألا يرى إلى قوله عليه السلام: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» وفي رواية «كفضل القمر على سائر الكواكب» وقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [المجادلة: ١١] يرفع العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فبهذه الشواهد يتضح أن تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت معارفهم الإلهية وعلومهم الحقيقة كما قال عليه السلام: «إن في الجنة مدينة من نور لم ينظر إليها ملك مقرب ولا نبي مرسل جميع ما فيها من القصور والغرف والأزواج والخدم من النور أعدها الله للعاقلين فإذا ميز الله أهل النار ميز أهل العقل فجعلهم في تلك المدينة فيجزى كل قوم على قدر عقولهم فيتفاوتون في الدرجات كما بين المشارق والمغارب بألف ضعف» وعنه عليه السلام: «إن في الجنة درجة لا ينالها إلا أصحاب الهموم» يعني: في طلب الخير والمعيشة وقال عليه السلام: «إن في الجنة درجة لا ينالها إلا ثلاثة أقسام: عادل وذو رحم واصل وذو عيال صبور» فقال علي رضي الله

عنه: ما صبر ذي العيال قال: «لا يمن على أهله ما ينفق عليهم».

ـ روي ـ أن عدة من الناس اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الإذن لبلال وصهيب فشق على أبي سفيان فقال لسهيل بن عمرو: إنما أبينا من قبلنا فإنهم دعوا ودعينا يعني إلى الإسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر فما أعد الله لهم في الجنة أكثر. وقرىء وأكثر تفضيلاً. وفي قول بعضهم أيها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا أما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي أكبر وأفضل وعنه عليه السلام: «بين المجاهد والقاعد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة» أي: عدوه وعنه عليه السلام: «تعلموا العلم فالله تعالى يبعث يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر الخلق على درجاتهم» كما في «بحر العلوم» وفي «المثنوي»:

علم را دوپر كما نرا يك پراست ... ناقص آمد ظن به برواز ابتراست
مرغ يك پر زود افتد سرنكون ... بازبر پرد دوكامى يافزون
افت وخيزان ميپرد مرغ كمان ... بايكى پر بر اميد آشيان
چون زظن وارست وعلمش رونمود ... شد دوپبر آن مرغ يك پربر كشود
بعد ازان يمشي سويا مستقيم ... نى على وجه مكبا او سقيم

اللهم اجعلنا من أهل اليقين والتمكين.

﴿**لا تجعل مع الله إلهاً آخر**﴾ الخطاب للرسول ﷺ والمراد أمته فإن بعضهم قالوا: الأصل في الأوامر هو وفي النواهي امته. ﴿**فتقعد**﴾ بالنصب جواباً للنهي والقعود بمعنى الصيرورة وعبارة عن المكث أي: فتمكث في الناس كما تقول لمن سأل عن حال شخص قاعد في أسوأ حال ومعناه ماكث سواء كان قائماً أو جالساً وقد يراد القعود حقيقة لأن من شأن المذموم المخذول أن يقعد حائراً يتفكر أو عبر بغالب حاله وهو القعود ﴿**مذموما مخذولا**﴾ خبران أو حالان أي: جامعاً على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى فإن الشريك عاجز عن النصرة. وفيه إشعار بأن الموحد جامع بين المدح والنصرة وإشارة إلى أن طالب الحق لا يطلب مع الله غيره من الدارين ونعمهما.

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿**وقضى ربك**﴾ أي: أمر كل مكلف أمراً مقطوعاً به فضمن قضى معنى أمر وجعل المضمن أصلاً والمضمن فيه قيداً له لأن المقضي يجب وقوعه ولم يقع من بعض المخاطبين التوحيد.

وفي «التأويلات النجمية»: وإنما قال ربك أراد به النبي لأنه مخصوص بالتربية أصالة والأمة تبع له في هذا الشأن وقوله: ﴿**وقضى ربك**﴾ أي: حكم وقدر في الأزل ﴿**أن لا تعبدوا**﴾ أي: بأن لا تعبدوا على أن أن مصدرية ولا نافية ﴿**إلا إياه**﴾ لأن العبادة غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام ﴿**وبالوالدين إحساناً**﴾ أي: بأن تحسنوا بهما إحساناً لأنهما السبب الظاهري للوجود والتعيش والله تعالى هو السبب الحقيقي فأخبر تعظيم

السبب الحقيقي ثم اتبعه بتعظيم السبب الظاهري يعني الله تعالى قرن إحسان الوالدين بتوحيده لمناسبتهما لحضرة الألوهية والربوبية في سببيتهما لوجودك وتربيتهما إياك عاجزاً صغيراً وهما أول مظهر ظهر فيهما آثار صفات الله تعالى من الإيجاد والربوبية والرحمة والرأفة بالنسبة إليك ومع ذلك فهما محتاجان إلى قضاء حقوقهما والله غني عن ذلك. فأهم الواجبات بعد التوحيد إحسانهما وفي الحديث: «بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله» ذكره الإمام ﴿**إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما**﴾ [اكر برسد نزديك تو بزرك سالى وكبر سن يكى ازايشان ياهردو ايشان يعني بزنيد تاپير شوند ومحتاج خدمت تو كردند]، قوله: إما مركبة من أن الشرطية وما المزيدة لتأكيدها ولذلك حل الفعل نون التأكيد ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وأحدهما فاعل للفعل وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده مع أن ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد فإن المقصود نهي كل أحد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع أو بالتثنية لم يحصل هذا المراد، قال في «الأسئلة المقحمة»: إن قلت كيف خص الله حال الكبر بالإحسان إلى الوالدين وهو واجب في حقهما على العموم والجواب أن هذا وقت الحاجة في الغالب وعند عدم الحاجة إجابتهما ندب وفي حالة الحاجة فرض انتهى ﴿**فلا تقل لهما**﴾ أي: لواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع ﴿**أف**﴾ هو صوت يدل على تضجر واسم للفعل الذي هو الضجر وقرىء بحركات الفاء فالتنوين على قصد التنكير كصه ومه وايه وغاق وتركه على قصد التعريف والكسر على أصل البناء إن بني على الكسر لالتقاء الساكنين وهما الفاآن والفتح على التخفيف والضم للاتباع كمنذ وهو بالشاذ. والمعنى لا تتضجر بما تستقذر منهما وتستثقل من مؤونتهما وهو عام لكل أذى لكن خص بعضه بالذكر اعتناء بشأنه فقيل: ﴿**ولا تنهرهما**﴾ أي: لا تزجرهما بإغلاظ إذا كرهت منهما شيئاً ﴿**وقل لهما**﴾ بدل التأفيف ﴿**قولا كريما**﴾ ذا كرم وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الأدب ويستدعيه النزول على المروءة مثل أن تقول: يا أبتاه ويا أماه كدأب إبراهيم عليه السلام إذ قال لأبيه: يا أبت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب وديدن الدعاء إلا أن يكون في غير وجههما كما قالوا ولا يرفع صوته فوق صوتهما ولا يجهر لهما بالكلام بل يكلمهما بالهمس والخضوع إلا لضرورة الصمم والإفهام ولا يسب والدي رجل فيسب ذلك الرجل والديه ولا ينظر إليهما بالغضب.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿**واخفض لهما جناح الذل**﴾ جناح الذل استعارة بالكناية جعل الذل والتواضع بمنزلة طائر فأثبت له الجناح تخييلاً أي: تواضع لهما ولين جانبك وذلك أن الطائر إذا قصد أن ينحط خفض جناحه وكسره وإذا قصد أن يطير رفعه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلاً في التواضع ولين الجانب. قال القاضي وأمره بخفضه مبالغة في إيجاب الذل وترشيحاً للاستعارة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كن مع الوالدين كالعبد المذنب الذليل الضعيف للسيد الفظ الغليظ أي: في التواضع والتملق ﴿**من الرحمة**﴾ من ابتدائية أو تعليلية أي: من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما قالوا: ينظر إليهما بنظر المحبة والشفقة والترحم وفي الحديث «ما من ولد ينظر إلى الوالد وإلى والدته نظر مرحمة إلا كان له بها حجة

وعمرة» قيل: وإن نظر في اليوم ألف مرة قال: «وإن نظر في اليوم مائة ألف» كما في «خالصة الحقائق» ويقبل رجل أمه تواضعاً.

ـ حكي ـ أن رجلاً جاء إلى الأستاذ أبي إسحٰق فقال: رأيت البارحة في المنام أن لحيتك مرصعة بالجواهر واليواقيت فقال: صدقت فإني البارحة مسحت لحيتي تحت قدم والدتي قبل أن نمت فهذا من ذاك ويباشر خدمتهما بيده ولا يفوضها إلى غيره لأنه ليس بعار للرجل أن يخدم معلمه وأبويه وسلطانه وضيفه ولا يؤمه للصلاة وإن كان أفقه منه أي: أعلم بالفقه من الأب ولا يمشي أمامهما إلا أن يكون لإماطة الأذى عن الطريق ولا يتصدر عليهما في المجلس ولا يسبق عليهما في شيء أي: في الأكل والشرب والجلوس والكلام وغير ذلك. قال الفقهاء: لا يذهب بأبيه إلى البيعة وإذا بعث إليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الإناء منه إذا شربها. وعن أبي يوسف إذا أمره أن يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير أوقد كما في «بحر العلوم» ولا ينسب إلى غير والديه استنكافاً منهما فإنه يستوجب اللعنة قال عليه السلام: «فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» أي: نافلة وفريضة كما في «الأسرار المحمدية». قال في «القاموس»: الصرف في الحديث التوبة والعدل الفدية أو هو النافلة والعدل الفريضة أو بالعكس أو هو الوزن والعدل الكيل أو هو الاكتساب والعدل الفدية ﴿**وقل رب ارحمهما**﴾ وادع الله أن يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وإن كانا كافرين لأن من الرحمة أن يهديهما إلى الإسلام. قال الكاشفي: [حقيقت دعا رحمت ازولد درحق والدين آنست كه اكر مؤمن اند ايشانرا ببهشت رسان واكر كافراند راه نماى باسلام وايمان]. قال ابن عباس: ما زال إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه حتى مات فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه يعني ترك الدعاء ولم يستغفر له بعدما مات على الكفر كذا في «تفسير أبي الليث» وفي الحديث: «إذا ترك العبد الدعاء للوالدين ينقطع عنه الرزق في الدنيا» سئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال: كل ذلك واصل إليه ولا شيء أنفع له من الاستغفار ولو كان شيء أفضل منه لأمرت به في الأبوين ويعضده قوله عليه السلام: «إن الله ليرفع درجة العبد في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذا؟ فيقول: باستغفار ولدك» وفي الحديث: «من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة كان باراً» قال الشيخ سعدي قدس سره:

سالها بر تو بكذردكه كذر نكنى سوى تربت پدرت
تو بجاى پدرچه كردى خير تاهمان چشم دارى ازپسرت

﴿**كما ربياني صغيرا**﴾ الكاف في محل النصب على أنه نعت مصدر محذوف أي: رحمة مثل رحمتهما عليّ وتربيتهما وإرشادهما لي في حال صغري وفاء بوعدك للراحمين.

ـ روي ـ أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ إن أبوي بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما؟ قال: «لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما».

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿**ربكم أعلم بما في نفوسكم**﴾ بما في ضمائركم من قصد البر والتقوى وكأنه تهديد على أن يضمر لهما كراهة واستثقالاً ﴿**إن تكونوا صالحين**﴾ قاصدين الصلاح والبر دون العقوق

والفساد ﴿فإنه﴾ تعالى ﴿كان للأوابين﴾ أي: الرجاعين إليه تعالى مهما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر ﴿غفورا﴾ لما وقع منهم من نوع تقصير أو أذية فعلية أو قولية. قال الإمام الغزالي رحمه الله: أكثر العلماء على أن طاعة الوالدين واجبة في الشبهات ولم تجب في الحرام المحض لأن ترك الشبهة ورع ورضى الوالدين حتم أي: واجب. قيل: إذا تعذر مراعاة حق الوالدين جميعاً بأن يتأذى أحدهما بمراعاة الآخر يرجح حق الأب فيما يرجع إلى التعظيم والاحترام لأن النسب منه ويرجح حق الأم فيما يرجع إلى الخدمة والإنعام حتى لو دخلا عليه يقوم للأب ولو سألا منه شيئاً يبدأ في الإعطاء بالأم كما في «منبع الآداب». قال الفقهاء تقدم الأم على الأب في النفقة إذا لم يكن عند الولد إلا كفاية أحدهما لكثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ومعاناة المشاق في حمله ثم وضعه ثم إرضاعه ثم تربيته وخدمته ومعالجة أوساخه وتمريضه وغير ذلك كما في «فتح القريب»:

جنت سراى ما درانست ... زير قد مات ما درانست
روزى بكن اي خداى مارا ... چيزى كه رضاي ما درانست

ـ وشكا ـ رجل إلى رسول الله ﷺ أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فإذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال: إنه كان ضعيفاً وأنا قوي وفقيراً وأنا غني فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي واليوم أنا ضعيف وهو قوي وأنا فقير وهو غني ويبخل عليّ بماله فبكى عليه السلام فقال: «ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى» ثم قال للولد «أنت ومالك لأبيك» وفي الحديث: «رغم أنفه» فقيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك والداه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة» يعني بسبب برهما وإحسانهما: وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لولا أني أخاف تغير الأحوال عليكم بعدي لأمرتكم أن تشهدوا لأربعة أصناف بالجنة: أولهما امرأة وهبت صداقها من زوجها لأجل الله تعالى وزوجها راضٍ، والثاني: ذو عيال كثير يجهد في المعيشة لأجلهم حتى يطعمهم الحلال، والثالث التائب على أن لا يعود إليه أبداً كاللبن لا يعود إلى الثدي، والرابع البار بوالديه» ويجب على الأبوين أن لا يحملا الولد على العقوق بسوء المعاملة والجفاء ويعيناه على البر.

ـ وحكي ـ عن بعض العرفاء أنه قال: إن لي ابناً منذ ثلاثين سنة ما أمرته بأمر مخافة أن يعصيني فيحق عليه العذاب. يقول الفقير: فسد الزمان وتغير الإخوان ولنبكِ على أنفسنا من سوء الأخلاق وقد كانت الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وهم هم يبكون دماً من أخلاق النفس فما لنا لا نبكي ونحن منغمسون في بحر الخطايا والذنوب متورطون في بئر القبائح والعيوب لا إنصاف لنا في حق أنفسنا ولا في حق الغير ونعم ما قال الحافظ حكاية لهذا التغير الناشىء من النفس الأمارة بالسوء:

هيچ رحمى نه برادر به برادر دارد ... هيچ شوقى نه پدررا به پسر مى بينم
دخترانرا همه جنكست وجدل بامادر ... پسرانرا همه بدخواه پدر مى بينم
جاهلان راهمه شربت زكلابست وعسل ... قوت داناهمه از قوت جكر مى بينم
اسب تازى شده مجروح بزير پالان ... طوق زرين همه بركردن خر مى بينم

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ

ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾﴾

﴿وآت﴾ يا أفضل المخلوق ويدخل فيه كل واحد من أمته ﴿ذا القربى﴾ أي: القرابة وهم المحارم مطلقاً عند أبي حنيفة رحمه الله سواء كانت قرابتهم ولادية كالولد والوالدين أو غير ولادية كالاخوة والأخوات ﴿حقه﴾ وهي النفقة أي: إذا كانوا فقراء.

اعلم أنه لا يجب على الفقير إلا نفقة أولاده الصغار الفقراء ونفقة زوجته غنية أو فقيرة مسلمة أو كافرة وأما الغني وهو صاحب النصاب الفاضل عن الحوائج الأصلية ذكراً كان أو أنثى فيجب عليه نفقة الأبوين ومن في حكمهما من الأجداد والجدات إذا كانوا فقراء سواء كانوا مسلمين أو كافرين وهذا إذا كانوا ذمة فإن كانوا حرباً لا يجب وإن كانوا مستأمنين. ويجب نفقة كل ذي رحم محرم مما سوى الوالدين إن كان فقيراً صغيراً أو أنثى أو زمناً أو أعمى ولا يحسن الكسب لخرقه فإن كان قادراً عليه لا يجب اتفاقاً أو لكونه من الشرفاء والعظماء. وتجب نفقة الأبوين مع القدرة على الكسب ترجيحاً لهما على سائر المحارم وطالب العلم إذا لم يقدر على الكسب لا تسقط نفقته على الأب كالزمن فإن نفقة البنت بالغة والابن زمناً بالغاً على الأب وإذا كان للفقير أب غني وابن غني فالنفقة على الأبوين ولا نفقة مع اختلاف الدين إلا بالزوجية كما سبق والولاد فنفقة الأصول الفقراء مسلمين أو لا على الفروع الأغنياء ونفقة الفروع الفقراء مسلمين أو لا على الأصول الأغنياء فلا تجب على النصراني نفقة أخيه المسلم ولا على المسلم نفقة أخيه النصراني لعدم الولاء بينهما ويعتبر في نفقة قرابة الولاد أصولاً وفروعاً الأقرب فالأقرب وفي نفقة ذي الرحم يعتبر كونه أهلاً للإرث ولا يجب النفقة لرحم ليس بمحرم اتفاقاً كأبناء العم بل حقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والموافقة والتفصيل في باب النفقة في الفروع فارجع إليه وفي الحديث: «البر والصلة يطيلان الأعمار ويعمران الديار ويكثران الأموال» وإن كان القوم فجاراً وإن البر والصلة ليخففان الحساب يوم القيامة.

وفي الآية إشارة إلى النفس فإنها من ذوي قربى القلب ولها حق كما قال عليه الصلاة والسلام: «إن لنفسك عليك حقاً» المعنى لا تبالغ في رياضة النفس وجهادها لئلا تسأم وتمل وتضعف عن حمل أعباء الشريعة وحقها رعايتها عن السرف في المأكول والملبوس والاثاث والمسكن وحفظها عن طرفي الإفراط والتفريط كما في «التأويلات النجمية» ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ أي: وآتهما حقهما مما كان مفترضاً بمكة بمنزلة الزكاة. المسكين من لا شيء له والفقير من له شيء دون نصاب وقيل بالعكس. وابن السبيل أي: الملازم لها هو من له مال لا معه وهو المسافر المنقطع عن ماله ﴿ولا تبذر تبذيرا﴾ بصرف المال إلى من سواهم ممن لا يستحقه فإن التبذير تفريق في غير موضعه وأما الإسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه فقد نهى عنه بقوله: ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ سعدي:

نه هركس سزاوار باشد بمال يكى مال خواهد يكى كو شمال

﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ أي: أعوانهم في إهلاك أنفسهم ونظراءهم في كفران النعمة والعصيان كما قال ﴿وكان الشيطان لربه كفورا﴾ مبالغاً في الكفر به لا يشكر نعمه بامتثال أوامره ونواهيه وكان قريش ينحرون الإبل ويبذرون أموالهم في السمعة وسائر ما لا خير

فيه من المناهي والملاهي [مجاهد فرموده كه اكر برابركوه زردر وجوه خير صرف كنند اسراف نباشدا اكر جوى ياحبه در باطل خرج نمايند اسراف باشد] وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير، سعدي:

كنون بركف دست نه هرچه هست ... كه فردا بدندان كزى پشت دست

﴿وإما﴾ [واكر] ﴿تعرضن﴾ [اعراض كنى] ﴿عنهم﴾ أي: إن اعتراك أمر اضطرك إلى أن تعرض عن أولئك المستحقين من ذوي القربى وغيرهم ﴿ابتغاء رحمة من ربك﴾ أي: لفقد رزق من ربك إقامة للمسبب مقام السبب فإن الفقد سبب للابتغاء ﴿ترجوها﴾ من الله تعالى لتعطيهم والجملة صفة رحمة وكان عليه السلام إذا سئل شيئاً وليس عنده سكت حياء وأمر بالقول الجميل لئلا يعتريهم الوحشة بسكوته فقيل: ﴿فقل لهم قولا ميسورا﴾ سهلاً ليناً وعدهم بوعد فيه يسر وراحة لهم وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور أي: اليسر فهو مصدر على مفعول أي: قل لهم أغناكم الله من فضله رزقنا الله وإياكم.

ـ روي ـ أن عيسى عليه السلام قال: من ردَّ سائلاً خائباً عن بابه لم تعبر الملائكة بيته سبعة أيام ومن مات فقيراً راضياً من الله بفقره لا يدخل الجنة أحد أغنى منه كذا في «الخالصة».

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ [يدبسته بركردن خود واين كنايتست ازامساك] ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ [ومكشاى دست خودرا همه كشادن يعني اسراف مكن]. قال أهل التفسير: هما تمثيلان لمنع الشحيح وإعطاء المسرف زجراً لهما عنهما وحملا على ما بينهما من الاقتصاد الذي هو بين التقتير والإسراف وهو الكرم والجود، والمعنى ولا تمسك يدك عن النفقة في الحق كل الإمساك بحيث لا تقدر على مدها كمن يده مغلولة إلى عنقه فلا يقدر على إعطاء شيء ولا تجد كل الجود فتعطي جميع ما عندك ولا يبقى شيء منه كمن يبسط كفه كل البسط فلا يبقى شيء فيها ﴿فتقعد﴾ جواب للنهيين أي: فتصير ﴿ملوما﴾ عند الله وعند الناس في الدارين وهو راجع لقوله: ﴿ولا تجعل يدك﴾ ﴿محسورا﴾ نادماً أو منقطعاً بك لا شيء عندك وهو راجع إلى قوله: ﴿ولا تبسطها﴾:

مبند ازسر امساك دست در كردن ... كه خصلتيست نكوهيده پيش اهل بها
مكن بجانب إسراف نيز چندان ميل ... كه هرچه هست بيكدم كنى زدست رها
چودر ميانه اين هر دوراه چندانى ... بتفاوتست كه از آفتاب تابسها
پس اختيار وسط راست در جميع امور ... بدان دليل كه خير الأمور أوسطها

وفي «الكواشي»: الصحيح أن هذا خطاب للنبي والمراد غيره لأنه أفسح الناس صدراً وكان لا يدخر شيئاً لغد انتهى وسيأتي تحقيق المقام. قال الكاشفي: [در اسباب نزول آمده كه مسلمه بايهوديه كرو بستند ومضمون رهن آنكه حضرت رسالت پناه عليه السلام از موسى كليم عليه السلام سخى ترست وسخاوت موسى آن بودكه سائل را رد نميكرد بچيزيكه ازوفاضل بوده يابسخن خوش اورا خوشنود ميساخت القصه ازجهت ازمايش شخصى دختر خودرا بجانب نبوتآب فرستاد دخترك آمد وكفت كه يا رسول الله ما در من از شماپيراهن ميطلبد حضرت فرمود زمان تازمان برسد توساعتى ديكر بازا ئى دخترك بعد از زمانى باز آمدكه مادر

من آن پيراهنى ميطلبدكه دربر شماست حضرت بحجره درآمد وپيراهن بيرون كرده بوى داد وخود برهنه بنشست بلال قامت صلاة كشيد وياران منتظر خروج آن حضرت بودند وآن حضرت بسبب برهنكى بيرون نمى آمد آيت آمدكه ولا تجعل الخ]. قال في «برهان القرآن»: فدخل وقت الصلاة ولم يخرج للصلاة حياء فدخل عليه أصحابه فرأوه على تلك الصفة فلاموه على ذلك فأنزل الله ﴿فتقعد ملوما محسورا﴾ مكشوفاً هذا هو الأظهر من تفسيره انتهى. يقول الفقير: وذلك لأن أصحابه لاموه فصار ملوماً وبقي عرياناً فصار محسوراً أي: مكشوفاً لأن الحسر الكشف فعلى هذا كان الأنسب أن يراد القعود حقيقة ولم يرض في الإرشاد بهذه الرواية بناء على أن السورة مكية والقصة مدنية والعلم عند الله تعالى.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يوسعه على بعض ويضيقه على بعض آخرين بمشيئته التابعة للحكمة وبالفارسية [بدرستى كه پروردكار توكشاده مى كرداند روزى را براى هركه خواهد وتنك مى سازد براى هركه ارادت او اقتضاكند واين بسط وقبض ازمحض حكمت است وكس زهره اعتراض ندارد].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير به إلى الخروج عن أوطان البشرية والطبيعية الإنسانية إلى فضاء العبودية بقدمي التوكل على الله وتفويض الأمور إليه فإن كان يبسط للنفس في بعض الأوقات ببعض المرادات ليفرش لها بساط البسط ويقدر عليها في بعض الأوقات متمناها ليضبط أحوالها بمجامع القبض فالأمور موكولة إلى حكمه البالغة وأحكامه الأزلية ﴿إنه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ أي: يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم قال الله تعالى: «وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الغنى لو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الفقر لو أغنيته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الصحة لو أسقمته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا السقم لو أصححته لأفسده ذلك إني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير» رواه أنس رضي الله عنه كما في «بحر العلوم» فيغني الله ويفقر ويبسط ويقبض ولو أغناهم جميعاً لطغوا ولو أفقرهم لنسوا فهلكوا وفي الحديث: «بادروا بالأعمال خمساً: غنى مطغياً وفقراً منسياً وهرماً مفنداً ومرضاً مفسداً وموتاً مجهزاً» فإذا كان الغنى لبعض مطغياً صرفه الله تعالى عمن علم ذلك منه وأفقره لأن الفقر علم منه أنه لا ينسيه بل يشغل لسانه بذكره وحمده وقلبه بالتوكل عليه والالتجاء إليه وإذا كان الفقر لبعضهم منسياً صرفه عمن علم ذلك منه، وفي «المثنوي»:

فقر ازين رو فخر آمد جاودان ... كه بتقوى ماند دست نارسان
زان غنا وزان غنى مردود شد ... كه ز قدرت صبرها پدرود شد
آدمى را عجز وفقر آمد امان ... از بلاى نفس پر حرص وغمان

فعلى العاقل التسليم لأمر الله تعالى والرضى بقضائه والصبر في موارد القبض والشكر في

مواقع البسط والإنفاق مهما أمكن. قال في «الأسرار المحمدية»: كان أويس القرني رحمه الله إذا أصبح أو أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب ثم يقول: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به. وكان الحلاج رحمه الله يقول مخبراً عن حاله: إذا قعد الرجل عشرين يوماً جائعاً ثم فتح له طعام فعرف أن في البلد من هو أحوج إلى ذلك منه فأكله ولم يؤثر به ذلك المحتاج فقد سقط عن رتبته وهذا مقام عال بالنسبة إلى حال أويس ظاهراً ولكن قال الشيخ الكامل محمد بن علي العربي قدس سره: اعلم أن قول أويس ينبه على مقامه الأعلى وقطبيته المثلى لأن ذلك القول معرب عن حال إمام الوقت فيعطي ما ملك ويتضرع هذا التضرع لمن استخلفه على عبيده بالرحمة لهم والشفقة عليهم والمكمل من سبقت رحمته غضبه كما أخبر الله سبحانه عن أكمل الخلفاء وسيد الأقطاب بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ولكن العارف إذا كان صاحب حال مثل الحلاج فرق بين نفسه ونفس غيره فعامل نفسه بالشدة والقهر والعذاب ونفس غيره بالإيثار والرحمة والشفقة. وأما إذا كان صاحب مقام وتمكين وقوة بأن عرف الفرق بين الحال والمقام صارت نفسه عنه أجنبية وارتفع هو علوياً وبقيت مع أبناء جنسها سفلية فلزمه العطف عليها كما لزمه العطف على غيرها لأن أدب العارف من ذي الولاية أنه إذا خرج بصدقة ولقي أول مسكين يليق لدفع الصدقة إليه يدفعها إليه البتة فإذا تركه إلى مسكين آخر ولم يدفع للأول فقد انتقل من ربه إلى هوى نفسه فإنها مثل الرسالة لا يخص بالدعوة شخصاً دون شخص فأول من يلقاه بقوله قل لا إله إلا الله فالولي الكامل خليفة الرسول فإذا وهب الباري للولي رزقاً يعلم أنه مرسل به إلى عالم النفوس الحيوانية فينزل من سماء عقله إلى أرض النفوس ليؤدي إليهم ذلك القدر الذي وجه به فأول نفس تستقبله نفسه لا نفس غيره لأن نفوس الغير ليست متعلقة به فلا تعرفه. وأما نفسه فمتعلقة به ملازمة بابه فلا يفتحه إلا عليها فتطلب أمانتها فيقدمها على غيرها بالإعطاء لأنها أول سائل وإلى هذا السر أشار الشارع ﷺ بقوله: «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول» والأقربون أولى بالمعروف لتعلقهم بك ولزومهم بابك ولا تعلق للغير بك ولا له ملازمة نفسك وأهلك فلما تأخروا أخروا كسائر أسرار الله تعالى متى خرج من عند الحق على باب الرحمة فأي قلب وجد سائلاً متعرضاً دفع إليه حظه من الأسرار والحكم على قدر ما يراقبه من التعطش والجوع والذلة والافتقار وهم خاصة الله وعلى هذا المقام حرض الشارع بقوله: «تعرضوا لنفحات الله سبحانه» وهذا سر الحديث ومراد الشرع فمن تأخر أخر ومن نسي نسي فانظر الآن كم بين المنزلتين والمقامين ثم انظر أيضاً إلى هذا المقام على علوه وسموه كيف اشترك في الظاهر مع أحوال العامة فإنهم أول ما يجودون فعلى نفوسهم ثم إلى غيرها وإنما تصرفهم تحت حكم هذه الحقيقة وهم لا يشعرون وبعماهم عن هذه الأسرار ونزولهم إلى حضيض البهائم بحيث لا يعرفون مواقع أسرار العالم مع الله حرصوا على الإيثار ومدحوا به وهو مقام الحلاج الذي ذكر عنه وظننت أنه غاية في الترقي والعلو وهكذا فلتعزل الحقائق وتحاك حلل الدقائق أهـ. كلام الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر والمسك الأذفر قدس سره الأطهر.

﴿ولا تقتلوا﴾ يا معشر العرب ﴿أولادكم﴾ [فرزندان شما] ﴿خشية إملاق﴾ مخافة الفقر ولا لغير مخافته إلا أن الحال اقتضت ذلك يقال أملق: افتقر وقتلهم أولادهم وأدهم بناتهم مخافة الفقر أي: دفنها حية فنهاهم الله تعالى عنه وضمن لهم أرزاقهم فقال: ﴿نحن نرزقهم

وإياكم﴾ لا غيرنا [پس غم روزى ايشان مخوريدكه هركرا اوجان دهد نان دهد]، سعدي:

خداوند كارى كه عبدى خريد بدارد فكيف آنكه عبد آفريد

ترانيست اين تكيه بر كردكار كه مملوك را بر خداوند كار

قال هرم لأويس القرني رحمه الله: أين تأمرني أن أكون فأومأ إلى الشام فقال الهرم: كيف المعيشة بها قال أويس: أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها العظة **﴿إن قتلهم كان خطأ كبيرا﴾** ذنباً عظيماً لما فيه من هدم بنيان الله وقطع النسل. والخطىء كالإثم وزناً ومعنى من خطىء وقرىء خطا بفتحتين بالقصر والمد.

اعلم أن من أول هذه الآية إلى قوله تعالى: **﴿ملوما مدحورا﴾** عشر آيات وهو إشارة إلى تبديل عشر خصال مذمومة بعشر خصال محمودة. أما المذمومات فأولها البخل، وثانيها الأمل وهما في قوله تعالى: **﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾** فإن البخل وطول الأمل حملهم على قتل أولادهم فدلهم على تبديلهما بالسخاء والتوكل بقوله: **﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾**.

ـ يحكى ـ أن يحيى بن زكريا عليهما السلام لقي إبليس في صورته فقال له: يا إبليس أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك فقال: أحب الناس إلي المؤمن البخيل وأبغضهم إلي الفاسق السخي قال يحيى: وكيف ذلك؟ قال: لأن البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخاه فيقبله ثم ولى وهو يقول: لولا أنك يحيى لم أخبرك. قالوا: ولا ينبغي أن يلجىء أهل بيته على الزهد بل يدعوهم إليه فإن أجابوا وإلا تركهم ووسع عليهم في دنياهم من غير خروج عن حد الاعتدال وفعل بنفسه ما شاء.

﴿ولا تقربوا الزنى﴾ بالقصر وإتيان المقدمات من القبلة والغمزة والنظر بالشهوة فضلاً عن أن تباشروه. وقرىء بالمد لغتان أو مصدر زانى زناء كقاتل قتالاً كما في «الكواشي» **﴿إنه﴾** أي: الزنى **﴿كان فاحشة﴾** فعلة ظاهرة القبح متجاوزة الحد وهو كالقتل فإن فيه تضييع الأنساب فإن من لم يثبت نسبه ميت حكماً **﴿وساء سبيلا﴾** أي: بئس طريق الزنى لأنه يجر صاحبه إلى النار وهو طريق أيضاً إلى قطع الأنساب وتهيج الفتن وفي الحديث: «إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظلة فإذا انقطع رجع إلى الإيمان».

ـ وروي ـ عن بعض الصحابة رضي الله عنه أنه قال: «إياكم والزنى فإن فيه ست خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة. فأما التي في الدنيا فنقصان الرزق يعني: تذهب البركة من الرزق ويصير محروماً من الخير ونقصان العمر والبغض في قلوب الناس فإنه يذهب بالبهاء. وأما الثلاث التي في الآخرة فغضب الرب وشدة الحساب والدخول في النار» وفي الخبر: «العينان تزنيان واليدان تزنيان»، وفي «المثنوي»:

مرغ زان دانه نظر خوش ميكند دانه هم از دور راهش مى زند

اين نظر ازدور چون تيرست وسم عشقت افزون مى شود صبرتوكم

واعلم أن غلبة الشهوة. تورث الزنى فالشهوة هي الثالثة من العشر المذمومة فتبدلها الله تعالى بالعفة حين نهاهم عن الزنية.

ـ حكي ـ أنه كان بالبصرة رجل معروف بالمسكي لأنه كان يفوح منه رائحة المسك فسئل عنه فقال: كنت من أحسن الناس وجهاً وكان لي حياء فقيل لأبي: لو أجلسته في السوق لانبسط مع الناس فأجلسني في حانوت بزاز فجاءت عجوز فطلبت متاعاً فأخرجت لها ما طلبت

فقالت: لو توجهت معي لثمنه فمضيت معها حتى أدخلتني في قصر عظيم فيه قبة عظيمة عليها سرير فإذا فيه جارية على فرش مذهبة فجذبتني إلى صدرها فقلت: الله فقالت: لا بأس فقلت: إني حاقب ودخلت الخلاء وتغوطت ومسحت به وجهي وبدني فقيل: إنه مجنون فخلصت ورأيت الليلة رجلاً قال لي: أين أنت من يوسف بن يعقوب ثم قال: أتعرفني قلت: لا قال: أنا جبريل ثم مسح يده على وجهي وبدني فمن ذلك الوقت يفوح المسك علي من رائحة جبريل عليه السلام وذلك ببركة العفة والتقوى. ولقي إبليس موسى عليه السلام فقال: يا موسى اذكرني حين تغضب فإن وجهي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقي الزحف فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولي وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها كما في «آكام المرجان».

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله﴾ قتلها بأن عصمها بالإسلام أو بالعهد فدخل فيه الذمي والمعاهد. ﴿إلا بالحق﴾ استثناء مفرغ أي: لا تقتلوها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق أي: بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان وزنى بعد إحصان وقتل نفس معصومة عمداً ﴿ومن﴾ [هركه] ﴿قتل مظلوما﴾ غير مرتكب واحدة من هذه الثلاث ﴿فقد جعلنا لوليه﴾ لمن يلي أمره بعد وفاته من الوارث أو السلطان عند عدمه إذ هو ولي من لا ولي له ﴿سلطانا﴾ تسلطاً واستيلاء على القاتل إن شاء قتل وإن شاء أخذ الدية ﴿فلا يسرف﴾ أي: الولي ﴿في القتل﴾ أي: في أمر القتل بأن يجاوز الحد المشروع بأن يزيد عليه المثلة أو بأن يقتل غير القاتل من أقاربه وكانوا يقتلون غير القاتل إذا لم يكن القتل بواء أي سواء يقال فلان بواء لدم فلان أي سواء. قال الكاشفي: [درجاهليت چون كسى كشته شدى وارث قاتل اورا نكشتى بلكه قصد مهتر قبيله قاتل كردى] أو بأن يقتل الاثنين مكان الواحد كعادة الجاهلية كان إذا قتل منهم شريف لا يرضون بالقاتل بل بأن يقتلوا معه جماعة من أقاربه أو بأن يقتل القاتل في مادة الدية ﴿إنه﴾ أي: الولي ﴿كان منصورا﴾ ينصره الشرع والسلطان يعني أن الله ينصره بأن أوجب له القصاص والدية وأمر الحكام بإعانته في الاستيفاء أو الهاء للمقتول ونصره قتل قاتله وحصول الأجر له. فإن قلت: ما توبة القاتل عمداً؟ قلت: قال رسول الله ﷺ: «توبة القاتل عمداً في ثلاث إما أن يقتل وإما أن يعفى عنه وإما أن يؤخذ منه الدية أي: هذه الخصال فعل به فهي توبته» رواه أنس رضي الله عنه.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾ فضلاً عن أن تتصرفوا فيه ﴿إلا بالتي هي أحسن﴾ إلا بالخصلة والطريقة التي هي أحسن الخصال والطرائق وهي حفظه واستثماره. يعني: [معامله كنيدكه اصل مايه براى وى بما ندو ربح او بوصله معاش او نشيند] ﴿حتى﴾ غاية لجواز التصرف على الوجه

الأحسن المدلول عليه بالاستثناء. ﴿يبلغ أشده﴾ قوته وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين واحد جاء على بناء الجمع كآنك ولا نظير لهما كما في «القاموس». وقال في «بحر العلوم»: بلوغ الأشد بالإدراك وقيل إن يؤنس منه الرشد مع أن يكون بالغاً وآخره ثلاث وثلاثون سنة انتهى.

﴿وأوفوا بالعهد﴾ سواء جرى بينكم وبين ربكم أو بينكم وبين غيركم من الناس والإيفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه بالمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل إلا بالباء فرقاً بينه وبين الإيفاء الحسي كإيفاء الكيل والوزن ﴿إن العهد كان مسؤولا﴾ مطلوباً يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به فمسؤولا من سألته الشيء أو كان مسؤولاً عنه على أن يكون من سألته عن الشيء فيكون من باب الحذف والإيصال فإن جعل الضمير بعد انقلابه مرفوعاً مستكناً في اسم المفعول كقوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣] أي: مشهود فيه. وفي «الكواشي» أو يسأل حقيقة توبيخاً لناكثيه كسؤال الموؤودة لم قتلت توبيخاً لقاتلها فيكون تمثيلاً أي: جعل العهد متمثلاً على هيئة من يتوجه السؤال إليه كما تجعل الحسنات أجساماً نورانية والسيآت أجساماً ظلمانية فتوزن كما في «حواشي» سعدي المفتي ﴿وأوفوا الكيل﴾ أي: أتموه ولا تخسروه ﴿إذا كلتم﴾ وقت كيلكم للمشترين وتقييد الأمر بذلك لأن التطفيف هناك وأما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة إلى الأمر بالتعديل قال تعالى: ﴿إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] ﴿وزنوا بالقسطاس﴾ وهو القرسطون أي: القبان وهو معرب كبان بمعنى الميزان العظيم أو هو كل ما يوزن به من موازين العدل صغيراً كان أو كبيراً. قال بعضهم: هو معرب رومي ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لانتظام المعربات في سلك الكلم العربية. وقال في «بحر العلوم»: والجمهور على أنه عربي مأخوذ من القسط وهو العدل وهو الأصح فإن كان من القسط وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس وإلا فهو رباعي على وزن فعلال ﴿المستقيم﴾ أي: العدل السوي ولعل الاكتفاء باستقامته عن الأمر بإيفاء الوزن لما أنه عند استقامته لا يتصور الجور غالباً بخلاف الكيل فإن كثيراً ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما أن الاكتفاء بإيفاء الكيل عن الأمر بتعديله لما أن إيفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد أمر بتقويمه أيضاً في قوله تعالى: ﴿أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [هود: ٨٥] ﴿ذلك﴾ أي: إيفاء الكيل والوزن السوي ﴿خير﴾ لكم في الدنيا إذ هو أمانة توجب الرغبة في معاملته والذكر الجميل ﴿وأحسن تأويلا﴾ عاقبة تفعيل من آل إذا رجع والمراد ما يؤول إليه.

اعلم أن رابع الخصال العشر المذمومة الغضب وهي في قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ فإن استيلاء الغضب يورث القتل بغير الحق فبدله بالحلم في قوله: ﴿ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا﴾ وفي الحديث: «قرب الخلائق من عرش الرحمٰن يوم القيامة المؤمن الذي قتل مظلوماً رأسه عن يمينه وقاتله عن شماله وأوداجه تشخب دماً فيقول: رب سل هذا لِمَ قتلني فبم حال بيني وبين صلاتي فيقول الله تعست ويذهب به إلى النار». قال أنوشروان: أربع قبائح وهي في أربعة أقبح البخل في الملوك والكذب في القضاة والحدة في العلماء أي: شدة الغضب والوقاحة في النساء وهي قلة الحياء قيل الحلم حجاب الآفات. وخامسها: الإسراف فإن الإفراط في كل شيء يورث الإسراف فبدله بالقوام في قوله: ﴿فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا﴾ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: مر رسول الله

بسعد وهو يتوضأ فقال: «ما هذا السرف يا سعد» قال: أفي الوضوء سرف؟ قال: «نعم وإن كنت على نهر جار». وسادسها: الحرص وهو في قوله: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾ فإن التصرف في مال اليتيم من الحرص فبدله بالقناعة في قوله: ﴿إلا بالتي هي أحسن﴾ قيل لحكيم: ما بال الشيخ أحرص على الدنيا من الشاب؟ قال: لأنه ذاق من طعم الدنيا ما لم يذقه الشاب، قال الصائب:

ريشه نخل كهن سال ازجوان افزونترست   بيشتر دلبستكى باشد بدنيا پير را

وعن الثوري رحمه الله: من باع الحرص بالقناعة فقد ظفر بالغنى. وسابعها: نقض العهد فبدله بالوفاء به بقوله: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا﴾ [سلمى آورده كه خدا يرا عهد هست بر جوارح آدمي بملازمت آداب وبرنفس او باداء فرائض وبردل او بخوف وخشيت وبرجان او بآنكه از مقام قرب دور نشود وبر سر او بآنكه مشاهده ما سوى نكند وازهر عهدي خواهند پرسيد]:

تاكسى از عهده آن عهد چون آيد برون

ولا شك أن إخوان الزمان ليس وفاء لا بحقوق الله تعالى ولا بحقوق الناس، حافظ:

وفا مجوى زكس ورسخن نمى شنوى   بهره ز طالب سيمرغ وكيميا ميباش

وثامنها: الخيانة فبدلها بالأمانة بقوله: ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم﴾ الآية. واحتضر رجل فإذا هو يقول: جبلين من نار جبلين من نار فسئل أهله عن عمله فقالوا: كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أتى رسول الله التجار فقال: «يا معشر التجار إن الله باعثكم يوم القيامة فجاراً إلا من صدق ووصل وأدى الأمانة» وفي «نوابغ الكلم» الأمين آمن والخائن حائن وهو من الحين بمعنى الهلاك ولله در القائل:

امين مجوى ومكو باكسى امانت عشق   درين زمانه مكر جبرائيل امين باشد

﴿ولا تقف﴾ أي: لا تتبع من قفا أثره يقفو تبعه ومنه سميت القافية قافية ﴿ما ليس لك به علم﴾ أي: لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكاً لا يدري أنه يوصله إلى مقصده. قال الزمخشري وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لأن ذلك نوع من العلم فقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به انتهى. يعني أن الاعتقاد الراجح في حكم الاعتقاد الجازم للإجماع على وجوب العمل بالشهادة والاجتهاد في القبلة ونحو ذلك فلا دليل في الآية على من منع اتباع الظن والعمل بالقياس كالظاهرية ﴿إن السمع﴾ [بدرستى كه كوش] ﴿والبصر﴾ [وچشم] ﴿والفؤاد﴾ [ودل] ﴿كل أولئك﴾ أي: كل واحد من هذه الجوارح فأجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن أحوالها شاهدة على أصحابها ﴿كان عنه﴾ عن نفسه وعما فعل به صاحبه ﴿مسؤولا﴾ [پرسيده شده يعني از ايشان خواهند پرسيدكه صاحب شما باشما چه معامله كرده از سمع سؤال كنند چه شنيدى واز چشم پرسندكه چه ديدى وچرا ديدى واز دل پرسندكه چه دانستى وچرا دانستى]. قال في «بحر العلوم»: اعلم أن المراد بالنهي عن اتباع كل ما فيه جهل مما يتعلق بالسمع والبصر والقلب كأنه تعالى قال: لا تسمع كل ما لا يجوز سماعه ولا تبصر كل ما لا يجوز إبصاره ولا تعزم على كل ما لا يجوز لك العزم عليه لأن كل واحد منها يسأله الله تعالى ويجازيه ولم يذكر اللسان مع أنه من أعظمها لأن السمع يدل عليه لأن ما يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم وتلك

الحصائد من قبل المسموعات اللازمة للسمع. وفي الآية دلالة على أن العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية كما قال تعالى: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] أي: بما كسبت مما يدخل تحت الاختيار من خبائث أعمال القلب من حب الدنيا ومن الرياء والعجب والحسد والكبر والنفاق مثلاً وأما ما لا يدخل تحت الاختيار فلا يؤاخذ به ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «عفى عن أمتي ما حدثت بها نفوسها». قال في «الأشباه والنظائر» حديث النفس لا يؤاخذ به ما لم يتكلم أو يعمل به كما في حديث مسلم وحاصل ما قالوه: إن الذي يقع في النفس من قصد المعصية على خمس مراتب: الهاجس وهو ما يلقى فيها ثم جريانه فيها وهو الخاطر ثم حديث النفس وهو ما يقع فيها من التردد هل يفعل أو لا ثم الهم وهو ترجيح قصد العمل ثم العزم وهو قوة ذلك القصد والجزم به فالهاجس لا يؤاخذ به إجماعاً لأنه ليس من فعله وإنما هو شيء أورد عليه لا قدرة له على رده ولا صنع والخاطر الذي بعده كان قادراً على دفعه بصرف الهاجس أول وروده ولكن هو وما بعده من حديث النفس مرفوعان بالحديث الصحيح وإذا ارتفع حديث النفس ارتفع ما قبله بالأولى. وقال بعض الكبار: جميع الخواطر معفوة إلا بمكة المكرمة ولهذا اختار عبد الله بن عباس رضي الله عنهما السكنى بالطائف احتياطاً لنفسه ثم هذه الثلاث لو كانت في الحسنات لم يكتب له بها أجر لعدم القصد وأما الهم فقد بين في الحديث الصحيح: «إن الهم بالحسنة يكتب حسنة والهم بالسيئة لا يكتب عليه سيئة وينتظر فإن تركها لله تعالى كتب حسنة وإن فعلها كتب سيئة واحدة» والأصح في معناه أنه يكتب عليه الفعل وحده وهو معنى قوله واحدة وأن الهم مرفوع وأما العزم فالمحققون على أنه يؤاخذ به ومنهم من جعله من الهم المرفوع. وفي «البزازية»: من كتاب الكراهية هم بمعصية لا يأثم إن لم يصمم عزمه عليه وإن عزم يأثم إثم العزم لا إثم العمل بالجوارح إلا أن يكون أمراً يتم بمجرد العزم كالكفر.

واعلم أن قوله تعالى: ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم**﴾ إشارة إلى تاسع الخصال العشر وهو الظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه باستعمال الجوارح والأعضاء على خلاف ما أمر به فبدله بالعدل بقوله: ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً**﴾ فظلم السمع استعماله في استماع الغيبة واللغو والرفث والبهتان والقذف والملاهي والفواحش وعدله استعماله في استماع القرآن والأخبار والعلوم والحكم والمواعظ والنصيحة والمعروف وقول الحق:

كذركاه قرآن وپندست كوش   به بهتان وباطل شنيدن مكوش

وظلم البصر النظر إلى المحرمات والشهوات وإلى من فوقه في دنياه وإلى من دونه في دينه وإلى متاع الدنيا وزينتها وزخارفها وعدله النظر في القرآن والعلوم وإلى وجه العلماء والصلحاء وإلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها وإلى الأشياء بنظر الاعتبار وإلى من دونه في دنياه وإلى من فوقه في دينه:

دوچشم از پى صنع بارى نكوست   نه عيب برا در فرو كيرو دوست

وقد ثبت عن علي رضي الله عنه أنه ما نظر إلى عورته وسوأته منذ ما تعلق نظره إلى رسول الله ﷺ بناء على أن الابصار الناظرة لوجهه عليه السلام لا يليق لها أن تنظر إلى السوأة فاعتبر وتأدب. ونظيره ما قال عثمان رضي الله عنه ما كذبت منذ أسلمت وما مسست فرجي

باليمين منذ بايعت النبي عليه السلام ولا أكلت الكراث ونحوه منذ قرأت القرآن وظلم الفؤاد قبول الحقد والحسد والعداوة وحب الدنيا والتعلق بما سوى الله تعالى وعدله تصفيته عن هذه الأوصاف الذميمة وتحليته بتبديل هذه الصفات والتخلق بأخلاق الله تعالى:

پيـاپـى بيـفـشـان از آيـنـه كـرد كـه صيـقـل نـكيـرد چـو زنـكـار خـورد

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿ولا تمش في الأرض﴾ التقييد لزيادة التقرير **﴿مرحا﴾** ذا مرح فهو مصدر وقع موقع الحال بمعنى التكبر والتبختر. قال الكاشفي: [مرحا رفتن خداوند تكبر يعني مخرام چنانكه متكبران خرامند] والمراد النهي عن المشي بالتكبر والتعظم **﴿إنك لن تخرق الأرض﴾** لن تجعل فيها خرقاً ونقباً بشدة وطأتك. **﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾** بتطاولك فالمراد به هو الطول المتكلف الذي يتكلفه المختال وهو تهكم بالمتكبر وتعليل للنهي بأن التكبر حماقة مجردة ولن ينال الإنسان بكبره وتعظمه شيئاً من الفائدة وهو أي: الكبر عاشر الخصال العشر فإن المشية بالخيلاء من الكبر فبدله بالتواضع بقوله: **﴿إنك لن تخرق﴾** الآية:

زخـاك آفـريـدت خـداونـد پـاك پـس اي بـنـده افـتـادكـى كـن چـوخـاك

وفي الحديث «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان».

وجـود تـو شـهـريـست پـرنـيـك وبـد تـو سـلـطـان ودسـتـور دانـا خـرد

هـمـا نـاكـه دونـان كـردن فـراز دريـن شـهـر كـبـرسـت وسـودا وآز

چـو سلـطـان عـنـايـت كـنـد بـابـدان كـجـا مـانـد آسـايـش بـخـردان

وعن أبي هريرة أنه قال: «ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأنما الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله كأنما الأرض تطوى له إنا نجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث».

﴿كل ذلك﴾ إشارة إلى ما ذكر من الخصال الخمس والعشرين من قوله تعالى: **﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾** فهو نهي عن اعتقاد أن مع الله الهاً آخر وهو أولاها والثانية والثالثة قوله: **﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه﴾** فهو أمر بعبادة الله ونهي عن عبادة غيره والبواقي ظاهرة بعد الأوامر والنواهي **﴿كان سيئه﴾** يعني المنهي عنه وهو أربع عشرة خصلة فإن المأمور به حسن وهو إحدى عشرة ثلاث مستترة وثمان ظاهرة كما في «بحر العلوم» **﴿عند ربك مكروها﴾** المراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على أن الحوادث كلها واقعة بإرادته تعالى. فاندفع تمسك المعتزلة بالآية على مذهبهم في أن القبائح لا تتعلق بها الإرادة وإلا لاجتمع الضدان الإرادة والكراهة ووصف ذلك بمتعلق الكراهة مع أن البعض من الكبائر للإيذان بأن مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك ولذا كان المكروه عند أهل التقوى كالحرام في لزوم الاحتراز ومن لم يعرفه تعدى إلى دائرة الإباحية فتدبر وتحفظ وتأدب.

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا

ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿ذلك﴾ أي: الذي تقدم من التكاليف المفصلة ﴿مما أوحى إليك ربك﴾ أي: بعض منه أو من جنسه حال كونه ﴿من الحكمة﴾ التي هي علم الشرائع ومعرفة الحق لذاته وهو مقصود الحكمة النظرية وعمدتها والخير للعمل به وهي الحكمة العلمية أو من الأحكام المحكمة التي لا يتطرق إليها النسخ والفساد ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ الخطاب للرسول والمراد غيرة ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وتكريره للتنبيه بأن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه فإن من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله أو تركه غيره ضاع سعيه وأنه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه علومه وحكمه وإن بدّ فيها أساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضلّ من النعم وقد رتب عليه ما هو عائدة الإشراك في الدنيا حيث قيل: ﴿فتقعد مذموماً مخذولاً﴾ ورتب عليه ها هنا نتيجته في العقبى فقيل: ﴿فتلقى في جهنم ملوماً﴾ تلوم نفسك وتذمك وتلومك الناس والملائكة ﴿مدحوراً﴾ مطروداً مبعداً من رحمة الله ومن كل خير وهو تمثيل فإنه تعالى شبه من أشرك بالله استحقاراً له بخشبة يأخذها آخذ في كفه فيطرحها في التنور فالتوحيد أصل الحسنات والشرك أصل السيئات.

قال أهل التحقيق: إن كلمة لا إلٰه إلا الله إذا قالها الكافر تنفي ظلمة الكفر وتثبت في قلبه نور التوحيد وإذا قالها المؤمن تنفي عنه ظلمة النفس وتثبت في قلبه نور الوحدانية وإن من قالها في كل يوم ألف مرة فبكل مرة تنفي عنه شيئاً لم تنفه المرة الأولى ومقام العلم بالله لا ينتهي إلى الأبد، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

اى برادر بى نهايت دركهيست هركجا كه ميرسى بالله مأيست

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: ما طابت الدنيا إلا بذكرك ولا الآخرة إلا بعفوك ولا الجنة إلا بلقائك، وفي الحديث: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم». والتوحيد إثبات الوحدة فأهله على الكمال من يفر من الكثرة إلى الوحدة. قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله: سمعت وصف وليّ في جبل فبت عند باب صومعته ليلة فسمعته يقول: إلٰهي إن بعض عبادك طلب منك تسخير الخلق فأعطيته مراده وأنا أريد منك أن لا يحسنوا معاملتهم معي حتى لا ألتجيء إلا إلى حضرتك حققنا الله وإياكم بحقائق هذا المقام وشرفنا بالفرار كل لحظة إلى جنابه العلام ومعنى الفرار إيثاره تعالى على ما سواه لأن علوّ الهمة إنما يظهر فيه.

- حكي - أن سلطاناً كان يحب واحداً من وزرائه أكثر من غيره فحسدوه وطعنوا فيه فأراد السلطان أن يظهر حاله في الحب فأضافهم في دار مزينة بأنواع الزينة ثم قال: ليأخذ كل منكم ما أعجبه في الدار، فأخذ كل منهم ما أعجبه من الجواهر والمتاع وأخذ الوزير المحسود السلطان، وقال: ما أعجبني إلا أنت. قال الحافظ:

كداى كوى تو ازهشت خلد مستغنيست اسير عشق تو ازهر دوكون ازادست

يعني أن العاشق الصادق لا يختار إلا المعشوق ويصير حراً عن هوى غيره على كل حال

﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً﴾ خطاب للقائلين بأن الملائكة بنات الله وكان المشركون يستنكفون من البنات فيختارون لأنفسهم الذكور ومع ذلك ينسبون إليه تعالى الأناث فأنكر الله ذلك منهم. والإصفاء بالشيء جعله خالصاً والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يفسره المذكور وعبر عن البنات بالأناث إظهاراً لجهة خساستهن لأن الأنوثة أخس أوصاف الحيوان. والمعنى أفضلكم على جنابه فخصكم بأفضل الأولاد على وجه الخلوص وآثر لذاته أخسها وأدناها كما في قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النجم: ٢١] أي هذا خلاف الحكمة وما عليه عقولكم وعادتكم فإن العبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب ويكون أرداها وأدونها للسادات. قال الكاشفي: [ايا بركزيد شمارا پرورد كار شما به پسران وفرا كرفت براى خودرا ازملائكه دختران اين خلاف آنست كه عادت شما بران جارى شده كه ازدختران ننك ميداريد وبه پسران مى نازيد] ﴿إنكم لتقولون﴾ بإضافة الولد إليه تعالى ﴿قولا عظيماً﴾ لا يجترىء عليه أحد حيث تجعلونه من قبيل الأجسام المتجانسة السريعة الزوال ثم تضيفون إليه ما تكرهون من أخس الأولاد وتفضلون عليه أنفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم من أشرف الخلق بالأنوثة التي هي أخس أوصاف الحيوان.

قال في «التأويلات النجمية»: قوله تعالى: ﴿أفأصفاكم﴾ الآية يشير إلى كمال ظلومية الإنسان وكمال جهوليته أما كمال ظلوميته فإنهم ظنوا بالله سبحانه أنه من جنس الحيوانات التي من خاصيتها التوالد وأما كمال جهوليته فإنهم لم يعلموا أن الحاجة إلى التوالد لبقاء الجنس فإن الله تعالى باق أبدي لا يحتاج إلى التوالد لبقاء الجنس ولم يعلموا أن الله منزه عن الجنس وليست الملائكة من جنسه فإنه خالق أزلي أبدي وأما الملائكة فهم المخلوقون ومن كمال الظلومية والجهولية أنهم حسبوا أن الله تعالى إنما أصفاهم بالبنين واختار لنفسه البنات لجهله بشرف البنين على البنات فلهذا قال تعالى: ﴿إنكم لتقولون قولا عظيما﴾ أي: قولاً ينبىء عن عظيم أمر ظلوميتكم وجهوليتكم ﴿ولقد صرفنا﴾ هذا المعنى وكررناه وبيناه. قال الكاشفي [وبدرستى كردانيديم ومكرر ساختيم برآيت خودرا ازولد] ﴿في هذا القرآن﴾ على وجوه من التصريف في مواضع منه ﴿ليذكروا﴾ أي: ليذكروا ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه ﴿وما يزيدهم﴾ أي: والحال أنه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ ﴿إلا نفورا﴾ عن الحق وإعراضاً عنه. قال الكاشفي: [مكر رميدن ازحق ودورشدن].

﴿قل﴾ في إظهار بطلان ذلك من جهة أخرى ﴿لو كان معه﴾ تعالى ﴿آلهة كما يقولون﴾ أي: المشركون قاطبة والكاف في محل النصب على أنها وقعت صفة لمصدر محذوف أي: كوناً مشابهاً لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة ﴿إذاً﴾ [آنكاه] ﴿لابتغوا﴾ أي: طلبت تلك الآلهة ﴿إلى ذي العرش﴾ [بسوى خداوند عرش] أي: إلى من له الملك والربوبية على الإطلاق ﴿سبيلا﴾ بالمغالبة والممانعة أي: ليغالبوه ويقهروه ويدفعوا عن أنفسهم العيب والعجز كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض يشير إلى أن الآلهة لا يخلو أمرهم من أنهم كانوا أكبر منه أو كانوا أمثاله أو كانوا أدون منه فإن كانوا أكبر منه طلبوا طريقاً إلى إزعاج صاحب العرش ونزع الملك قهراً وغلبة ليكون لهم الملك لا له كما هو المعتاد من الملوك.

فالآية إشارة إلى برهان التمانع على تصويرها قياساً استثنائياً استثنى فيه نقيض التالي وإن كانوا أمثاله لم يرضوا بأن يكون الملك واحداً مثلهم وهم جماعة معزولون عن الملك فأيضاً

نازعوه في الملك وإن كانوا أدون منه فالناقص لا يصلح للإلهية إذاً لابتغوا إلى ذي العرش الكامل في الإلهية سبيلاً للخدمة والعبودية والقربة فالآية إشارة إلى قياس اقتراني تصويره لو فرض معه آلهة لتقربوا إليه بالطاعة وكل من تقربوا إليه بها لا يكونون آلهة فما فرض آلهة لا يكون آلهة فلو مستعمل لمجرد الشرط لا للامتناع والمراد بالآلهة ما هو من أولي العلم كعيسى وعزير والملائكة كذا في «التأويلات النجمية» مع مزج من «حواشي» سعدي المفتي.

﴿سبحانه﴾ أي: تنزه بذاته تنزهاً حقيقياً به ﴿وتعالى﴾ متباعداً ﴿عما يقولون﴾ من أن معه آلهة وأن له بنات. قال في «بحر العلوم»: هو تنزيه وتعجيب من قولهم أي ما أبعد من له الملك والربوبية وما أعلاه عما يقولون ﴿علوا﴾ واقع موقع تعالياً كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾﴾ [نوح: ١٧] أي: إنباتاً ﴿كبيرا﴾ لا غاية وراءه كيف لا وأنه سبحانه في أقصى غايات الوجود وهو الوجود الذاتي وما يقولون من أن له تعالى شركاء وأولاداً في أبعد مراتب العدم أعني الامتناع.

واعلم أن الله أحد في ذاته وواحد في صفاته والشرك إنما يجيء من التوهم فكما أن للمشركين آلهة بحسب توهمهم فكذا لضعفاء المؤمنين بحسب جهلهم وغفلتهم كما قال الدينوري في قوله تعالى: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] منهم من صنمه نفسه قال تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣] ومنهم من صنمه زوجته في المحبة والإطاعة ومنهم من صنمه تجارته بأن اتكل عليها حتى ترك طاعة الله لأجلها.

ـ حكي ـ أن مالك بن دينار رحمه الله كان إذا قرأ في الصلاة ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥] غشي عليه فسئل فقال: نقول إياك نعبد ونعبد أنفسنا أي: بإطاعة الهوى ونقول: إياك نستعين ونرجع إلى أبواب غيره:

اي تو بنده اين جهان محبوس جان ... چند كويى خويش راخواجه جهان

خدمت ديكر كنى هر صبح وشام ... وانكهى كويى كه من حق را غلام

بنده حق در درش باشد مقيم ... با خلوص واعتقاد مستقيم

فعلى العاقل أن يكرر ذكر التوحيد ويجدد العهد الذي بينه وبين ذي العرش المجيد فإنه سبب المغفرة والترقي إلى درجات الأبرار والمقربين كما لا يخفى على أرباب اليقين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله العرش وهو أعظم مخلوق اضطرب أربعة وعشرين ألف عام فأظهر الله أربعة وعشرين حرفاً وهو قول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فسكن أربعة وعشرين ألف عام حتى خلق الله أول خلق وأمره بالتوحيد فقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله فاضطرب العرش فقال الله اسكن فقال: كيف اسكن وأنت لا تغفر لقائلها فقال تعالى: أسكن فإني آليت على نفسي قبل أن خلقتك بألفي عام أن لا أجريها على لسان عبد إلا غفرت له» نسأل الله العفو والغفران.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾﴾

﴿تسبح له السموات والأرض ومن فيهن﴾ التسبيح تنزيه الحق وتبعيده عن نقائص

الإمكان والحدوث وتسبيح السموات والأرض بلسان الحال الدال علي وجود الخالق وقدرته وحكمته وتسبيح من فيهن من الملائكة والجن والإنس بلسان القال الناطق بما يسمع منهم على أن المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز وهو الاشتمال على ما يدل على التنزيه فإنه مشترك بين اللفظ الدال عليه وبين مثل الحدوث والإمكان الدال على تنزيه الله تعالى عن لوازم الإمكان وتوابع الحدوث ﴿وإن﴾ نافية أي: ما ﴿من شيء﴾ من الأشياء حيواناً كان أو نباتاً يدل على الصانع وقدرته وحكمته فإنها تنطق بذلك. قال الكاشفي: [تنزيه ميكند اورا ازسمات نقصان وستايش مينمايد بصفات كمال] ﴿إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ الفقه عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه أي: لا تفهمون أيها المشركون لإخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم التسبيح وهم وإن كانوا إذا سئلوا عن خالق السموات والأرض قالوا الله إلا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع إقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فإذن لم يفهموا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق ﴿إنه كان حليما﴾ ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما أنتم عليه من الإعراض عن التدبر في الدلائل والانهماك في الإشراك. والحلم تأخير مكافأة الظالم بالنسبة إلى الخالق والطمأنينة عند صورة الغضب بالنسبة إلى المخلوق ﴿غفورا﴾ لمن تاب منكم ورجع إلى التوحيد هذا ما عليه الزمخشري والبيضاوي وأبو السعود ومن يليهم من أهل الظاهر وهم الذين لهم عين واحدة وسمع واحد. وقال الشيخ علي السمرقندي قدس سره في «بحر العلوم»: ذهب السلف الصالح إلى أن التسبيح في الآية في المحلين محمول على حقيقته وهو الأصح فإنه إن كان كلام الجماد مسلماً فينبغي أن يكون تسبيحه أيضاً مسلماً. قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن». وعن ابن مسعود رضي الله عنه ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل على أن شهادة الجوارح والجلود مما نطق به القرآن الكريم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص: ١٨] كان داود إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح. وقال مجاهد: كل الأشياء تسبح الله حياً كان أو جماداً وتسبيحاً «سبحان الله وبحمده». وعن المقداد بن معدي كرب أن التراب يسبح ما لم يبتل والخربزة تسبح ما لم ترفع من موضعها والورق ما دام على الشجر والماء ما دام جارياً والثوب ما دام جديداً فإذا اتسخ ترك التسبيح والوحش والطير إذا صاحت فإذا سكتت تركت التسبيح وفي الحديث: «ما اصطيد حوت في البحر ولا طائر يطير إلا بما يضيع من تسبيح الله» كما في «تفسير المدارك». وقال النخعي: كل شيء من جماد وحيّ يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف. وقال عكرمة: الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح والشجر أو النبات إذا قطع يسبح ما دام رطباً. قال في «الكواشي»: وهذا ممكن عقلاً وقدرة. وذكر في جنائز «الخلاصة» يكره قطع الحطب والحشيش الرطب من القبر من غير حاجة أي: لأنه يسبح. وفي «الملتقط»: مقبرة قديمة لم يبق من آثارها شيء ليس للناس أن ينتفعوا بها ولا بالبناء فيها ولا بإرسال الدابة في حشيشها. قال في «فتح القريب» المجيب إذا حصلت البركة بتسبيح الجماد فالقرآن الذي هو أشرف الأذكار أولى بحصول البركة ولا سيما إذا كان من رجل صالح ولهذا استحب العلماء قراءة القرآن عند القبر. وهل يغرس الريحان أو الجريد على باب منزل القبر أو على قافية اللحد؟

الجواب: أنه ورد في الحديث مطلقاً فيحصل المقصود بأي موضع غرس في القبر. وكان عليه السلام يخطب مستنداً إلى جذع فصنع رجل منبراً ثلاث درجات وأراد النبي عليه السلام أن يقوم على المنبر فحنّ الجذع فرجع النبي عليه السلام إليه ووضع يده عليه وقال: «اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت وتكون كما كنت وإن شئت أغرسك في الجنة فتشرب من أنهارها وعيونها فيحسن نبتك وتثمر فيأكل أولياء الله من ثمرك» فاختار الجنة والدار الآخرة على الدنيا فلما قبض النبي عليه السلام رفع إلى مكان ففني وأكلته الأرضة وقيل: دفن كما قال في «المثنوي»:

استن حنانه از هجر رسول ناله مى زد همچوارباب عقول
كفت پيغمبر چه خواهى اي ستون كفت جانم ازفراقت كشت خون
مسندت من بودم از من تاختى بر سر منبر تو مسند ساختى
كفت خواهيكه ترا نخلى كنند شرقي وغربي زتو ميوه چنند
يا در آن عالم ترا سروى كند تا ترو تازه بمانى بى كزند
كفت آن خواهم كه دائم شد بقاش بشنو اي غافل كم ازچوبى مباش
آن ستون را دفن كردانـدر زمين تاچو مردم حشر كردد يوم دين
آنكه اورا نبود از اسرار داد كى كند تصديق او ناله جماد

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جلس في مكان معه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فتناول النبي عليه السلام سبع حصيات فوضعن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد أبي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ثم وضعهن في يد عمر ثم في يد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل. وذكر عبد الله القرطبي أن داود عليه السلام قال: لأسبحن الله تعالى هذه الليلة تسبيحاً ما سبحه به أحد من خلقه فنادته ضفدع من ساقية في داره أتفخر على الله بتسبيحك وإن لي سبعين سنة ما جف لساني من ذكر الله وإن لي عشر ليال ما طعمت ولا شربت اشتغالاً بكلمتين فقال: وما هما؟ قالت: «يا مسبحاً بكل لسان ويا مذكوراً بكل مكان» فقال داود لنفسه وما عسى أن أقول أبلغ من هذا. وذكر الشيخ أبو عمرو في سبب توبته أني كنت ليلة على ظهري متوجهاً إلى السماء فرأيت خمس حمامات: إحداهن تقول: سبحان من عنده خزائن كل شيء وما ينزله إلا بقدر معلوم. والثاني تقول: سبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. والثالثة تقول: سبحان من بعث الأنبياء حجة على خلقه وفضل عليهم محمداً ﷺ. والرابعة تقول: كل ما في الدنيا باطل إلا ما كان لله ولرسوله. والخامسة تقول: يا أهل الغفلة قوموا إلى ربكم رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم فلما سمعت ذلك ذهبت عني فلما جئت إليّ وجدت قلبي خالياً عن حب الدنيا فلما أصبحت سلكت طريقاً بنية أن أسلم نفسي إلى مرشد فلقيت شيخاً ذا هيبة ووقار فبعد التسليم أقسمت بالله أن يخبرني من هو؟ فقال: أنا الخضر وقد كنت عند الشيخ عبد القادر وهو سيد العارفين في الوقت فقال لي: يا أبا العباس إن رجلاً أصابه جذبة إلهية ونودي من فوق السماء مرحباً بك عبدي وعاهد الله على أن يسلم نفسه إلى شيخ فائتني به ثم قال لي الخضر: فعليك بملازمته ثم وجدت نفسي ببغداد فلقيت الشيخ عبد القادر فقال لي مرحباً بمن جذبه مولاه بألسنة الطير وجمع له كثيراً من الخير وبالجملة فالتسبيح غير ممتنع من الجمادات بل هو كائن من الكائنات لا ينكره إلا منكر خوارق

العادات [درفتوحات مذكوراست كه اكر مراد ازين تسبيح آنست كه ايشان بلسان الحال كويند پس درايراد ولكن لا تفقهون تسبيحهم فائده نباشد] يعني أن قوله ولكن الخ يحقق أن المراد هو حقيقة التسبيح لا الدلالة على وحدانيته فالخطاب عند أهل الحقيقة في قوله: لا تفقهون عام للمسلمين والمشركين أي: لا تسمعون فلا تفقهون تسبيحهم لأنه ليس المقصود سماع اللفظ مجرداً بل التدبر فيه ليدرك ما أدى اللافظ فيسبح كما سبحه. قال في «الكواشي»: ﴿**ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾ لأنه ليس بلغتكم ويجوز أن يفهم تعالى بعض عباده تسبيح بعض الجمادات والعجماوات كداود وسليمان عليهما السلام. يقول الفقير: هذا التعليل غير مناسب لعموم الآية لأن لغات ما له أصوات مختلفة لا تفقه وإن كانت مسموعة ومن الأشياء ما ليس له صوت مسموع وقد أثبت له أيضاً تسبيح فافقه [سلمى از ابو عثمان مغربي قدس سرهما نقل ميكندكه تمام مكونات باختلاف لغات تسبيح الهي ميكويند اما آنرانشنود وفهم نكند مكر عالم رباني كه كوش دل او كشاده بود] ونعم ما قال:

بذكرش هرچه بيني درخروشت   دلى داند درين معنى كه كوشست
نه بلبل بركلش تسبيح خوانست   كه هر خارى بتسبيحش زبانست

وفي «الخصائص الصغرى» وخص عليه السلام بتسليم الحجر وبكلام الشجر وبشهادتها له ﷺ بالنبوة وإجابتها دعوته. قال السهيلي: يحتمل أن يكون نطق الحجر كلاماً مقروناً بحياة وعلم ويحتمل أن يكون صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة. وقال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر أكثر العقلاء بل كلهم يقولون إن الجمادات لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والأمر عندنا ليس كذلك فإذا جاءهم عن نبي أو ولي أن حجراً كلمه مثلاً يقولون خلق الله فيه العلم والحياة في ذلك الوقت والأمر عندنا كذلك بل سر الحياة سار في جميع العالم وقد ورد أن كل شيء سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد إلا من علم وقد أخذ الله بأبصار الإنس والجن عن إدراك حياة الجماد إلا من شاء الله كنحن وأضرابنا فإنا لا نحتاج إلى دليل في ذلك لكون الحق سبحانه قد كشف لنا عن حياتها عيناً وأسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي إنما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله تعالى ولولا ما عنده من العظمة لما تدكدك [ودرباب ثانى عشر از سفر ثاني فتوحات فرموده كه ما بكوش خود شنيديم كه سنكى بزبان قال: ذكر ملك متعال كفت وباما خطاب كرد چون مخاطبه عارفان وسخنان آرا نموده كه هر آدمى آنرا درنيابد]. وقال في كتاب «الطريقة» له: إذا رأيت هؤلاء العوالم مشتغلين بالذكر الذي أنت عليه فكشفك خيالي غير صحيح وإنما ذلك خيالك أقيم لك في الموجودات وإذا شهدت في هؤلاء تنوعات الأذكار فهو الكشف الصحيح. قال بعض الكبار: كل معلوم حي لأنه يعطي العلم للعالم فكما أن نور الشمس ينور كل من يراه فكذلك الحي لذاته يحيى به كل من يراه فكل شيء به حي فالأشجار والجمادات لهن حياة عند أرباب الكشف وكلام يسمعه من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. قال حضرة الشيخ افتاده قدس سره: إن السالك يسمع حركات الأفلاك في أثناء سلوكه وذلك بقوة رياضية وقال خليفته حضرة الهدائي قدس سره: خرجت للوضوء وقت التهجد فسمعت الماء الجاري يقول بهذا الوزن يا دائم يا دائم يا دائم يا دائم ونظائره كثيرة لا تحصى. يقول الفقير: دعا حضرة شيخي وسندي روح الله روحه بعض الصوفية للإفطار وكان وقتئذٍ لا يفطر إلا على الماء والخبز. ثم لا يأكل إلا عشية الغد فقال:

هذا الخبز له روح حقاني فظاهره يرجع إلى الجسد وروحه يرجع إلى الروح فيتقوى به الجسم والروح جميعاً ولكل موجود روح إما حيواني أو حقاني فجسد الميت له روح حقاني أي: غير روحه الذي فارقه ألا ترى أن الله تعالى لو أنطقه لنطق فنطقه بإنطاق الله تعالى إنما هو لأن له روحاً حقانياً وقد جاء أن كل شيء يسبح بحمده وما هو إلا بكون المسبح ذا روح ولو كان حجراً أو شجراً أو غير ذلك، وفي «المثنوي»:

چون شما سوى جمادى مى رويد — محرم جان جمادان چون شويد
از جمادى عالم جانها يويد — غلغل اجزاى عالم بشنويد
فاش تسبيح جمادات آيدت — وسوسه تأويلها نر بايدت
چون ندارد جان تو قنديلها — بهر بينش كرده تأويلها
كه غرض تأويل ظاهر كى بود — دعوى ديدن حيال وغى بود
بلكه هر بيننده را ديدار آن — وقت عبرت ميكند تسبيح خوان
پس چواز تسبيح يادت مى دهد — آن دلالت همچو كفتن مى بود
اين بود تأويل أهل اعتزال — واى آنكس كوندارد نور حال
چون زحس بيرون نيامد آدمى — باشد از تصوير غيبي أعجمي

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿يسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾ أي: ينزهه عما يقولون من كل نقيصة ذرات المكونات وأجزاء المخلوقات فمن له روح فبلسانه ولغته وهذا مما يفقه العقلاء وأما الجمادات فبلسان الملكوتي كما قال: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ أي: يحمده على نعمة الإيجاد والتربية ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ لأنه ليس من جنس تسبيحكم.

واعلم أن الله أثبت لكل ذرة من ذرات الموجودات ملكوتاً بقوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس: ٨٣] والملكوت باطن الكون وهو الآخرة والآخرة حيوان لا جماد لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] فثبت بهذا الدليل على أن لكل ذرة من ذرات الموجودات لساناً ملكوتياً ناطقاً بالتسبيح والحمد تنزيهاً لصانعه وبارئه وحمداً له على ما أولاه من نعمه وبهذا اللسان نطق الحصى في يد النبي ﷺ وبهذا تنطق الأرض يوم القيامة كما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ [الزلزلة: ٤] وبهذا اللسان تشهد أجزاء الإنسان وأبعاضه يوم القيامة ويقولون: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وبهذا اللسان نطق السموات والأرض حين ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] فافهم جداً واغتنم ﴿إنه كان حليما﴾ في الأزل إذ أخرج من العدم من يتولد منه أن يتخذ مع الله آلهة أخرى ﴿غفورا﴾ لمن تاب عن مثل هذه المقالات انتهى. وقال القاشاني: اعلم أن لكل شيء خاصية لا يشاركه فيها غيره وكما لا يخصه دون ما عداه يشتاقه ويطلبه إذا لم يكن حاصلاً ويحفظه ويحبه إذا حصل فهو بإظهار خاصيته وتوحده في تلك الخاصية ينزهه تعالى عن الشريك فكأنه يقول بلسان الحال أوحده على ما وحدني وإلا لم يكن متفرداً بها متوحداً فيها وبطلبه كماله ينزهه عن صفات النقص كأنه يقول يا كامل كملني وبإظهار كماله بحمده ويقول أحمده على ما كملني حتى أن الحيوان في طلب الرزق يقول: يا رزاق ارزقني وبوجود الرزق يقول: أحمده على ما رزقني وبإشفاقه على ولده يقول: أرأفني الرؤوف وأرحمني الرحيم فالسموات السبع تسبحه وتنزهه عن العجز والفناء وتحمده بالديمومية

والعلو والتأثير والقدرة والبقاء والملك والربوبية وبأن كل يوم هو في شأن والأرض بالدوام والثبات والخلاقية والرزاقية وقبول الطاعة وأمثال ذلك والملائكة بالحياة والعلم والقدرة والمجردات منهم بالتنزه عن التعلق بالمادة والوجوب مع جميع ما ذكر منهم مع كونهم مسبحين إياه مقدسين له حامدين فإن كل ما يحمده بصفة كمالية ينزهه ويسبحه بمقابلها وكل مسبح عن نقصان يحمده بكمال يقابله فهم يسبحونه في عين التحميد ويحمدونه في عين التسبيح ولكون لا تفقهون تسبيحهم لقلة النظر والفكر في ملكوت الأشياء وعدم الإصغاء إليهم للغفلة وإنما يفقه من كان له قلب منور بنور التوحيد أو ألقى السمع وهو شهيد فإن القلب من عالم الملكوت فإذا تنور بنور التوحيد يفقه تسبيح الأشياء لأنه في عالمه أنه كان حليماً لا يعاجلكم بعقوبة ترك التسبيح في طلب كمالاتكم وإظهار خواصكم التي منها فهم تسبيح الأشياء وتوحيده كما وحدوه وغفوراً يغفر غفلاتكم وإهمالكم انتهى كلامه مع بعض تغييرات وزيادة والله الهادي إلى طريق حقيقة التسبيح والتوحيد لكل سالك مريد.

﴿**وإذا قرأت القرآن**﴾ [وچون مى خوانى قرآنرا] ﴿**جعلنا بينك**﴾ [مى سازيم ومى آريم ميان تو] ﴿**وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة**﴾ وهم كفار قريش وكانوا منكري البعث ﴿**حجابا**﴾ يحجبهم من أن يدركوك على ما أنت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترأوا على أن يقولوا إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ﴿**مستورا**﴾ عن الحس بمعنى غير حسي مشاهد فمستور على موضوعه أو ذا ستر فصيغة مفعول للنسبة كقولهم سيل مفعم أي: ذو إفعام من أفعمت الإناء أي: ملأته هذا ما ذهب إليه المولى أبو السعود رحمه الله في هذه الآية. وقال في «الكواشي»: كان المشركون يؤذون النبي ﷺ مصلياً وجاءت أم لهب بحجر لترضخه فزل انتهى فيكون معنى قوله: ﴿وإذا قرأت القرآن﴾ وإذا صليت عبر عن الصلاة بالقرآن لاشتمالها عليه كما عبر عن الخطبة به على بعض الأقوال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤] الآية فيلزم أن تحمل الآية على خصوص المادة فهم إذاً لم يروا الحجاب فلا يرون المحتجب به فيسلم من أذاهم ولم يكن كذلك دائماً كما يدل عليه القواطع. وقال سعدي المفتي: لعل الأولى أن يحمل على ما روي أنها أنزلت في أبي سفيان والنضير وأبي جهل وأم جميل امرأة أبي لهب كانوا يؤذون رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن فحجب الله أبصارهم إذا قرأ وكانوا يمرون به ولا يرونه انتهى. وهو ذهول عما بعد الآية في قوله تعالى: ﴿**نحن أعلم بما يستمعون به**﴾ كما يأتي مع ما فيه من الرواية وهو اللائح بالضمير في هذا المقام الخطير.

وفي الآية إشارة إلى أن من قرأ القرآن حق قراءته ارتقى إلى أعلى مراتب القرب كما جاء في الأثر: «إن عدد آي القرآن على عدد درج الجنة فمن استوفى جميع آي القرآن استولى على أقصى درج الجنة» واستيفاء جميع آي القرآن في الحقيقة هو التخلق بأخلاق القرآن فالقرآن من أخلاق الله وصفاته والمتخلق بأخلاقه يكون متخلقاً بأخلاق الله وهذا يكون بعد العبور عن الحجب الظلمانية والنورانية تمكنا في مقعد صدق عند مليك مقتدر فهو الذي جعل بينه وبين الذي لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ولم يقل ساتراً لأن الحجاب يستر الواصل عن المنقطع ولا يستر المنقطع عن الواصل فيكون الواصل بالحجاب مستوراً عن المنقطع كما في «التأويلات النجمية».

وفيه إشارة إلى أن من تحصن بكتابه فهو في حصن حصين والمضيع لوقته من تحصن بعلمه أو بنفسه فيكون هلاكه في موضع أمنه:

هركه او بيرون شد از حصن خدا جان او آخر شد از جسمش جدا

مرد حق بين كى كندتكيه بغير هر قضا چون از خدا آيد بسير

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أغطية كثيرة جمع كنان وهو الغطاء **﴿أن يفقهوه﴾** مفعول له أي: كراهة أن يفهموا القرآن على كنهه ويعرفوا أنه من عند الله تعالى وهو على رأي الكوفيين ولا يرضاه البصريون لقلة حذف لا بالنسبة إلى حذف المضاف وهذا تمثيل لتجافي قلوبهم عن الحق ونبوها عن قبوله واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تحول بينها وبينه وتمنع من نفوذه فيها كما في «بحر العلوم» يقول الفقير: ذلك التجافي والنبو إنما هو من تراكم الحجب المعنوية على القلب والفطرة الأصلية وإن كانت مقتضية للفقه والإدراك والخروج إلى نور العلم لكن ظلمة تلك الحجب مانعة عن ذلك فالكلام وإن كان وارداً في صورة التمثيل لكنه على حقيقته في نفس الأمر **﴿وفي آذانهم وقرا﴾** صمماً ونقلاً مانعاً عن سماعه اللائق به وهو تمثيل لمج أسماعهم للحق ونبوها عن الإصغاء إليه كأن بها صمماً يمنع عن سماعه ولما كان القرآن معجزاً من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى حق فهمه وإدراك اللفظ حق إدراكه **﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾** أي: واحداً غير مشفوع به آلهتهم أي: إذا قلت لا إله إلا الله وهو مصدر وقع موقع الحال أصله تحده وحده بمعنى واحداً وحده أي: منفرداً فحذف الفعل الذي هو الحال وأقيم المصدر مقامه **﴿ولوا على أدبارهم﴾** [باز كردند كافران بربشتهاى خود] اي هربوا ونفروا **﴿نفورا﴾** هو مصدر كالقعود أو جمع نافر أي: أعرضوا ورجعوا حال كونهم نافرين والنفور [برميدن] كما في «التهذيب».

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿نحن أعلم بما يستمعون﴾ ملتبسين **﴿به﴾** من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن فمحل به حال كما تقول يستمعون بالهزء أي: هازئين فالباء للملابسة ويجوز أن تكون للسببية أي: بسببه ولأجله.

ـ ويروى ـ أنه كان يقوم عن يمينه ﷺ إذا قرأ رجلان من عبد الدار وعن يساره رجلان

فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار. ﴿إذ يستمعون إليك﴾ ظرف لأعلم وفائدته تأكيد الوعيد بالاخبار بأنه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم لأن العلم يستفاد هناك من أحد وكذا قوله تعالى: ﴿وإذ هم نجوى﴾ لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجي المدلول عليه بسياق النظم. والمعنى نحن أعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الأمور المذكورة وبالذي يتناجون به فيما بينهم ونجوى مرفوع على الخبر بتقدير المضاف أي: ذوو نجوى ﴿إذ يقول الظالمون﴾ بدل من إذ هم ووضع الظالمون موضع المضمر للدلالة على أن هذا القول منهم ظلم وتجاوز عن الحد. وفيه دليل على أن ما يتناجون به غير ما يستمعون به أي: يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم ﴿إن تتبعون﴾ أي: ما تتبعون إن وجد منكم الاتباع فرضاً ﴿إلا رجلا مسحورا﴾ أي: سحر فجنّ فمن ظلمهم وضعوا اسم المسحور موضع المبعوث.

﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أي: مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون. قال الكاشفي: [بزدند براى تو مثلها وترا توصيف كردند بمجنون وساحر وكاهن وشاعر] ﴿فضلوا﴾ في جميع ذلك عن منهاج المحاجة ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ إلى طعن يمكن أن يقبله أحد فيتهافتون ويخطون كالمتحير في أمر لا يدري ما يصنع ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه أحد أو فضلوا عن الحق والرشاد فلا يستطيعون سبيلاً إليه لأنهم بالغوا في الضلالة والإنكار وكانوا مستمعين بالهوى فيستمعون الأساطير والسحر والشعر ولو استمعوا بالله لاستمعوا كلام الله وصفاته ولانحراف مزاجهم وحصول المرض في قلوبهم كانوا يتنفرون عند استماع ذكر الواحد الأحد بالوحدانية والوحدة ولا يجدون حلاوة التوحد بل يجدون منه المرارة لسوء المزاج. ومن هذا القبيل إكباب أهل الهوى في كل عصر على استماع القصص والأساطير معرضين عن كلام الله الملك العلي الكبير بل وأكثرهم لا يريد إلا المحادثة الدنيوية والمذاكرة العرفية والتعدي إلى أعراض الناس والاتباع إلى ما يوسوس به الوسواس الخناس والقدح في شأن أهل الحق الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. وقد ورد في التوراة أنه تعالى قال: يا عبدي أما تستحيي مني إذا يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرأه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك منه شيء وهذا كتابي أنزلته إليك انظره كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت فيه عليك لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أو كنت أهون عليك من بعض إخوانك. يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغى إلى حديثه بكل قلبك فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل في حديثه أومأت إليه إن كف وها أنا إذن مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك كذا في «الإحياء».

هركه تعظيم حق كند دائم شود از دل بامراو قائم

﴿وقالوا﴾ أي: الكفرة المنكرون للبعث من أهل مكة نسوا بداية خلقهم أنهم خلقوا من تراب بل أنهم خلقوا من لا شيء كقوله تعالى: ﴿خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩] فقالوا على سبيل الإنكار والاستبعاد ﴿أئذا كنا﴾ [آيا آنهنكام كه سويم ما بعد ازمرك بمرور زمان] ﴿عظاما﴾ استخوانها] ﴿ورفاتا﴾ هو ما بولغ في دقه وتفتيته ﴿أئنا لمبعوثون﴾ [آيابر انكيخته شد كان شويم] ﴿خلقا جديدا﴾ نصب على المصدر من غير لفظه أو على الحالية على

أن الخلق بمعنى المخلوق. قوله إذا متمحضة للظرفية وهو الأظهر والعامل فيها ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لأن ما بعد أن والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث أو نعاد وهو المرجع للإنكار أي: حياتنا بعد الموت محال منكر لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به فإنهم منكرون للاحياء بعد الموت وإن كان البدن على حاله بل لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له.

﴿**قل**﴾ جواباً لهم ﴿**كونوا حجارة**﴾ [سنك] ﴿**أو حديدا**﴾ [يا آهن]. ﴿**أو خلقا مما يكبر في صدوركم**﴾ يعظم عندكم من قبول الحياة لكونه أبعد شيء منها فإنكم مبعوثون ومعادون لا محالة أي: فإن قدرته تعالى لا تقصر عن إحيائكم لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض فكيف إذا كنتم عظاماً مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشيء أقبل لما عهد فيه مما لم يعهد والأمر وارد على التمثيل يعني في المثل [كرديد بتن خود سنك يا آهن] كما في تفسير الكاشفي. وقال في «الكواشي» هو أمر تعجيز وتوبيخ لا أمر الزام. وقال في «بحر العلوم» ليس الأمر هٰهنا على حقيقته بل على المجاز لأن المقصود إهانتهم وقلة المبالاة بهم لا طلب كونهم حجارة أو حديداً لعدم قدرتهم على ذلك وما يكبر في صدورهم السموات والجبال. والجمهور على أنه الموت إذ ليس في النفس شيء أكبر من الموت أي: لو كنتم الموت بعينه لأميتكم ولأبعثكم ﴿**فسيقولون**﴾ [پس زود باشدكه كويند] ﴿**من**﴾ [كيست كه] ﴿**يعيدنا**﴾ يبعثنا بعد الموت. يعني [زنده سازد مارا پس ازمرك] وقد نسوا مبدأهم فلزمهم نسيان معادهم ﴿**قل الذي فطركم**﴾ أي: يعيدكم القادر العظيم الذي اخترعكم وأنشأكم ﴿**أول مرة**﴾ من غير مثال وكنتم تراباً ما شم رائحة الحياة فهو المبدىء والمعيد. يعني: [پس آنكه خاك را تواندجان داد در بدايت هم خاك را زنده تواند ساخت در نهايت] ﴿**فسينغضون إليك رؤوسهم**﴾ انغض حرك أي: سيحرّكونها نحوك تعجباً وإنكاراً ﴿**ويقولون**﴾ استهزاء ﴿**متى هو**﴾ أي: ما ذكرت من الإعادة فهو سؤال عن وقت البعث بعد تعيين الباعث ﴿**قل**﴾ لهم ﴿**عسى أن يكون**﴾ ذلك ﴿**قريبا**﴾ فإن كل آت قريب أو لأنه مضى أكثر الزمان وبقي أقله. قال في «بحر العلوم» أي: هو قريب لأن عسى في الأصل للطمع والإشفاق من الله تعالى واجب يعني أنه قرب وقته فقد قرب ما يكون فيه من الحساب والعقاب.

﴿**يوم يدعوكم**﴾ من الأجداث كما دعاكم من العدم ﴿**فتستجيبون**﴾ منها استجابة الأحياء أي: اذكروا يوم يبعثكم فتنبعثون وقد استعير لهما الدعاء والإجابة إيذاناً بكمال سهولة التأتي. وقال أبو حيان: والظاهر أن الدعاء حقيقة أي: يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الأخيرة كما قال: ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١] ومعنى فتستجيبون توافقون الداعي فيما دعاكم إليه كما قال الكاشفي: [بخواند شمارا اسرافيل در نفخه اخيره بجهت قيام ازقبور پس شما اجابت كنيد اسرافيل را]. وقال بعضهم: المقصود منها الإحضار للمحاسبة والجزاء. يقول الفقير: لا يخفى أن الدعوى متعددة فدعاء البعث والنشر ودعاء الحشر كما قال تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٨] أي: مسرعين ودعاء الكتاب كما قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ﴾ [الجاثية: ٢٨] والمراد في هذا المقام هو الدعوة الأولى لأن الكلام في البعث ﴿**بحمده**﴾ حال من فاعل تستجيبون أي: حامدين لله تعالى على قدرته على البعث كما قال سعيد بن جبير: إنهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: سبحانك اللهم وبحمدك

فيقدسونه ويحمدونه حين لا ينفعهم ذلك.

وفي «الكواشي» «بحمده» أي: بإرادته وأمره كما قال الكاشفي: [در تفسير بصائر حمدرا بمعنى أمر داشت چنانچه درآيت فسبح بحمد ربك أي: صل بأمره پس معنى آيت چنين بودكه خداى شمارا بخواند بامر او واجابت كنيد اورا] ﴿وتظنون﴾ عندما ترون من الأمور الهائلة ﴿إن لبثتم﴾ أي: ما لبثتم في القبور أو في الدنيا ﴿إلا قليلا﴾ بالنسبة إلى لبثكم بعد الإحياء إلى الأبد. فإن قيل: كل أحد يستقصر مدة حياته في الدنيا ولو عمر أطول الأعمار. قلنا ذلك الاستقصار مع العلم بمدة العمر لطويل أمله وفي القيامة يذهل عن تلك المدة لشدة الهول. قال الكاشفي: [يعني زندكى خودرا دردنيا اندك شمريد نسبت بآن پس بايدكه خردمند آكاه نيز حيات دنيارا درجنب زندكى عقبى اندك شمرد واين اندك فانى را دركار آن بسيار باقى صرف كند تادران يوز بعذاب حسرت وندامت درنمانند]. قال الشيخ سعدي قدس سره:

بدينى توانى كه عقبى خرى ... بخرجان من ورنه حسرت خورى
كسى كوى دولت زدنيا ببرد ... كه باخود نصيبي بعقبى ببرد

فلا بد من الاستعداد ليوم القيامة بالأعمال الصالحة والاجتناب عن المعاصي فإنه عما قريب يصير العلم عيناً.

واعلم أنك إذا مت فقد قامت قيامتك لأن الإنسان إذا مات فقد عاين أمر القيامة لأنه يرى الجنة والنار والملائكة ولا يقدر على عمل من الأعمال فصار بمنزلة من حضر يوم القيامة فختم على عمله بالموت فيقوم يوم القيامة على ما مات عليه فطوبى لمن كان خاتمته بخير. قال أبو بكر الواسطي ـ رحمه الله ـ: الدولة ثلاث دولة في الحياة وهي أن يعيش في طاعة الله تعالى، ودولة عند الموت وهي أن تخرج روحه بشهادة أن لا إله إلا الله، ودولة يوم القيامة وهو أن يأتيه البشير بالجنة حين يخرج من قبره ولا ريب في أن العاصي ومنكر البعث يأتيه النذير بالنار فلا بد من الطاعة والإقرار فإن الله تعالى يحيي الأرض بعد موتها وهو دليل على النشور، وفي «المثنوي»:

خاك را ونطفه را ومضغه را ... پيش چشم ما همى دارد خدا
كز كجا آوردمت اي بدنيت ... كه ازان آيد همني خفريقيت
توبدان عاشق بدى در دور آن ... منكر اين فضل بودى آن زمان
اين كرم چون دفع آن انكارتست ... كه ميان خاك مى كردى نخست
حجت انكار شد انشار تو ... از دوابدتر ترشد اين بيمارتو
خاك را تصوير اين كار از كجا ... نطفه را خصمى وانكار از كجا
چون دران دم بى دل وبى سربدى ... فكرت وانكار را منكر بدى
از جمادى چونكه انكارت برست ... هم ازين انكار حشرت شد درست
پس مثال توچوآن حلقه زنيست ... كزدرونش خواجه كوبد خواجه نيست
حلقه زن زين نيست دريابدكه هست ... پس ز خلقه بر ندارد هيچ دست
پس هم انكارت مبين ميكند ... كز جماد او حشر صدفن ميكند

﴿وقل﴾ يا محمد ﴿لعبادي﴾ أي: المؤمنين ﴿يقولوا﴾ أي: للمشركين عند محاورتهم معهم بني على حذف النون لما كان بمعنى الأمر كما بني الاسم المتمكن في النداء في قولك يا

زيد على الضمة لما أشبه قبل وبعد ﴿التي﴾ أي: الكلمة التي ﴿هي أحسن﴾ ولا يخاشنوهم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن اختصاص بعض العباد بتشريف الإضافة إلى نفسه يؤدي إلى تأثير نظر العناية فيهم فيخرج منهم القول الأحسن والفعل الأحسن والخلق الأحسن. أما القول الأحسن فهو الدعاء إلى الله بلا إله إلا الله مخلصاً. وأما الفعل الأحسن فهو ما كان على قانون الشريعة وآداب الطريقة متوجهاً إلى عالم الحقيقة. وأما الخلق الأحسن فهو مع الله بأن يسلم وجهه لله محسناً في طلبه ومع الخلق بأن يحسن إليهم بلا طمع في الإحسان والشكر منهم ويتجاوز عن إساءتهم إليه ويعيش فيهم بالنصيحة يأمرهم بالمعروف بلا عنف وينهاهم عن المنكر بلا فضيحة ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ يقال: نزغ بينهم أفسد وأغرى ووسوس أي: يفسد ويهيج الشر والمراء بينهم فلعل المخاشنة بهم تفضي إلى العناد وازدياد الفساد.

وفي «التأويلات ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ إذا لم يعيشوا بالنصيحة فينبغي لعقلاء كل زمان أن يكونوا في باب النصيحة مثل الأصحاب رضي الله عنهم بحيث إن حالهم ومعاملتهم مع أهالي زمانهم لا يتفاوت على حالهم لو كانوا في زمن الرسول ﷺ ﴿إن الشيطان كان﴾ قدماً ﴿للإنسان عدوا مبينا﴾ ظاهر العداوة لا يزيد صلاحهم أصلاً بل يريد هلاكهم وقد أبان عداوته لهم إذا خرج أباهم من الجنة ونزع عنه لباس النور.

﴿ربكم﴾ أيها المشركون ﴿أعلم بكم﴾ منا ﴿إن يشأ يرحمكم﴾ بالتوفيق للإيمان ﴿أو إن يشأ يعذبكم﴾ بالإماتة على الكفر فهو تفسير للتي هي أحسن وما بينهما اعتراض أي: قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها ولا تصرحوا بأنهم من أهل النار فإنه مما يهيجهم على الشر مع أن العاقبة مما لا يعلمه إلا الله فعسى يهديهم إلى الإيمان هذا ما ذهب إليه صاحب الكشاف وتبعه البيضاوي وأبو السعود رحمهما الله. وقال الجمهور: المراد بالتي هي أحسن هي المحاورة الحسنة بحسب المعنى والرحمة الإنجاء من كفار مكة وأذاهم والتعذيب تسليطهم عليهم فيكون الخطاب في ربكم للمؤمنين.

وفي «التأويلات»: هو أعلم بمن جعله منكم مظهر صفة لطفه ورحمته فيرحمه ويخلصه من إضلال الشيطان وإغوائه وبمن جعله منكم مظهر صفة قهره وعذابه فيعذبه بإضلاله وإغوائه ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلا﴾ موكولاً إليك يا محمد أمورهم ومفوضاً تجبرهم على الإيمان كما قال: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] وإنما أرسلناك بشيراً ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المخاصمة وعنه عليه السلام: «إن الله أمرني بمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض»، حافظ:

اسايشى دوكيتى تفسير اين دوحرفست بادوستان تلطف بادشمنان مدارا

كما قال بعضهم في عيش الإنسان الكامل: [باخدا بصدق. وباخلق بانصاف. وبانفس بقهر. وبازير دستان بشفقت. وبابزركان بحرمت. وبادوستان بنصيحت. وبادشمنان بمدارا. وباعلما بتواضع. وبادرويشان بسخا. وباجاهلان بخاموشى].

﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض﴾ وتفاصيل أحوالهم الظاهرة والباطنة التي بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من يستحقه وهو رد لاستبعاد قريش

أن يكون يتيم أبي طالب نبياً وأن يكون العراة الجوع أصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون أن يكون ذلك في بعض الأكابر والصناديد وذكر من في السموات لإبطال قولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الفرقان: ٢١] وذكر من في الأرض لرد قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] أي: من إحدى القريتين مكة والطائف كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل غيرهما.

وفي «التأويلات»: هو أعلم بمن جعل منهم مظهر صفة لطفه ومن جعل منهم مظهر صفة قهره في السموات كالملائكة وإبليس والأرض كالمؤمنين والكافرين ﴿**ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض**﴾ قال البيضاوي وتبعه أبو السعود أي: بالفضائل النفسانية والتبري من العلائق الجسمانية لا بكثرة الأموال والاتباع حتى داود فإنه شرفه بما أوحي إليه من الكتاب لا بما أوتي من الملك انتهى. يقول الفقير: هذا صريح في أنهم متفاضلون في معنى التبري من العلائق الجسمانية وهو خطأ فإن تفاضلهم في ذلك إنما هو على من عداهم من أفراد الأمة لا على إخوانهم الأنبياء وتحقيقه أنه ليس فيهم العلائق الروحانية لمنافاتها الوصول إلى الله تعالى والأخذ من عالم القدس ولذا قالوا: باب العلم بالله لا ينفتح وفي القلب لمحة للعالم بأسره الملك والملكوت وأما العلائق الجسمانية كالملك وكثرة الأزواج والأولاد ونحو ذلك فهي وعدمها سواء بالنسبة إليهم فعيسى ويحيى عليهما السلام مع ما هما عليه من الزهد والتجرد لا فضيلة لهما في ذلك على داود وسليمان عليهما السلام مع ما هما عليه من الملك وكثرة الأزواج وإسناد العلاقة إليهم ولو صورة ليس من الأدب فالوجه أن التفضيل إنما هو بالكتاب والرسالة والخلة والتكليم والمعراج والرؤية والشفاعة ونحو ذلك كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] الآية والقرآن يفسر بعضه بعضاً. قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر فضل سليمان عليه السلام بالظهور بمجموع الملك وعيسى بالكلام في المهد والتأييد بروح القدس وإحياء الموتى وخلق الطين طيراً بالإذن ونحو ذلك وموسى بالتكليم واليد والعصا وفرق البحر وانفجار الحجر ونحوها وفضل صالح بخروج ناقة من الحجر ونحوها وهود بالريح العقيم وإبراهيم بالنجاة من النار ونحو ذلك ويوسف بالجمال وتأويل الرؤيا ولما تفاضل استعدادهم لتمام التجلي من حيث النبوة تفاضلوا أيضاً فإنه ليس في الوجود إلا متغذ مرزوق وقد فضل الله بعض المرزوقين على بعض والرزق حسي للجسوم وعقلي للأرواح كالعلوم فأما من حيث ولايتهم الذاتية واستنادهم إلى الله تعالى فهم نفس واحدة فلا فاضل ولا مفضول ولذا قال عليه السلام: «لا تفضلوني بين الأنبياء» ﴿**وآتينا داود زبورا**﴾ تفضيلاً له كان زبور داود مائة وخمسين سورة ليس فيها حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود بل تمجيد وتحميد ودعاء نكر زبورا هنا وعرفه في الأنبياء حيث قال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] لأنهما واحد كعباس والعباس.

وفي «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿**ولقد فضلنا**﴾ الآية يشير إلى أن الحكمة الأزلية اقتضت ارتفاع درجات المقبولين واتضاع دركات المردودين فإنهما مظاهر صفة اللطف والقهر ولكل واحد من اللطف والقهر نصيب منه حكمة بالغة في إظهار كمالات اللطف والقهر من الأزل إلى الأبد وفضلنا الأنبياء بعضهم على بعض بارتفاع المكان في القربة وقبول أثر نظر العناية على حسب سرايته في الأمة وخيريتها ألا ترى أنه عليه السلام لما كان أفضل الأنبياء

كانت أمته خير الأمم وكتابه أفضل الكتب ففي قوله: ﴿وآتينا داود زبورا﴾ إشارة إلى أن فضل النبي ﷺ على داود بقدر فضل القرآن على الزبور انتهى. وقد نعت الله نبينا عليه السلام وأمته المرحومة في جميع الكتب المتقدمة.

أي وصف تو در كتاب موسى وى نعت تو در زبور داود
مقصود تويى ز آفرينش باقي بطفيل تست موجود

وفضله الله بكثرة الاتباع أيضاً كما قال عليه السلام: «أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها أمتي». وفي «جامع الأصول»: عن الزهري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يتذاكرون وهم ينتظرون خروجه فخرج حتى دنا منهم فسمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجباً إن الله تعالى اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليلاً وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليماً وقال آخر ماذا بأعجب من جعل عيسى كلمة الله وروحه فقال آخر: ماذا بأعجب من آدم اصطفاه الله عليهم فسلم رسول الله ﷺ على أصحابه وقال: «قد سمعت كلامكم وأعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وأن موسى نجي الله وهو كذلك وأن عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وأن آدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح الله فأدخلها ومعي فقراء المهاجرين ولا فخر» وفي الحديث «إن الله اختارني على الأنبياء واختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار من أصحابي أربعاً: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً» ـ رضي الله عنهم ـ كما في «بحر العلوم»، قال المولى الجامي قدس سره:

خدا بر سروران سرداريش داد ز خيل انبيا سا لا ريش داد
پى ديوار ايمان بود كارش شد اورا چار ركن از چار يارش

فكما أن البيت يقوم بالأركان الأربعة فكذا الدين يقوم بالخلفاء الأربعة ولذلك قال عليه السلام: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» لأنهم أصول بالنسبة إلى من عداهم من المؤمنين.

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾﴾

﴿قل ادعوا﴾ [بخوانيد اي مشركان مكه] ﴿الذين زعمتم﴾ أنهم آلهة ﴿من دونه﴾ أي: متجاوزين الله تعالى كالملائكة والمسيح وأمه وعزير ﴿فلا يملكون﴾ فلا يستطيعون ﴿كشف الضر عنكم﴾ إزالة نحو المرض والفقر والقحط ﴿ولا تحويلا﴾ ولا تحويله ونقله منكم إلى غيركم من القبائل.

﴿أولئك الذين يدعون﴾ أولئك مبتدأ صفته الذين وخبره يبتغون أي: أولئك الآلهة الذين يدعونهم المشركون من المذكورين ﴿يبتغون﴾ يطلبون لأنفسهم ﴿إلى ربهم﴾ ومالك أمورهم ﴿الوسيلة﴾ أي: القربة بالطاعة والعبادة. قال الكاشفي: [وسيلتى ودست آويزى يعني تقرب ميكنند بطاعت وعبادت او بحضرت او جل جلاله] ﴿أيهم أقرب﴾ بدل من واو يبتغون وأي

موصولة أي: يبتغي من هو أقرب إلى الله منهم الوسيلة فكيف بمن دونه من غير الأقرب [يعني آنهاكه مقربان در كاهند از ملائكة وغير ايشان توسل ميكنند بحق سبحانه پس غير مقرب خود بطريق اولى كه وجه توجه بدان حضرت آورد]. قال في «الكواشي»: أو أيهم استفهام مبتدأ خبره أقرب والجملة نصب بيدعون. والمعنى يطلبون القرب إليه تعالى لينظروا أي: معبوديهم أقرب إليه فيتوسلوا به تلخيصه آلهتهم أيضاً يطلبون القرب إليه تعالى ﴿ويرجون رحمته﴾ بالوسيلة ﴿ويخافون عذابه﴾ بتركها كدأب سائر العباد فأين هم من كشف الضر فضلاً عن الإلهية ﴿إن عذاب ربك كان محذورا﴾ حقيقياً بأن يحذره كل أحد حتى الرسل والملائكة وإن لم يحذره العصاة لكمال غفلتهم بل يتعرضون له وتخصيصه بالتعليل لما أن المقام مقام التحذير من العذاب. فعلى العاقل أن يترك الاعتذار ويحذر من بطش القهار. عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال لعمر رضي الله عنه حين طعن يعني: [نيزه زده] يا أمير المؤمنين أسلمت حين كفر الناس وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس وتوفي رسول الله وهو عنك راض ولم يختلف عليك اثنان وقتلت شهيداً قال عمر رضي الله عنه: المغرور من غررتموه والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع أي: القيامة وما بعد الموت لأن المرء يطلع فيه على عمله ويلقى أموراً هائلة. قال بعض الحكماء: الحزن يمنع الطعام والخوف يمنع الذنوب والرجاء يقوي على الطاعات وذكر الموت يزهد عن الفضول والخوف والرجاء إنما يكونان من الله تعالى لأن المعبود مفيض الخير والجود. وأما الأنبياء وورثتهم الكمل فوسائط بين الله تعالى وبين الخلق ولا بد من طاعتهم من حيث نبوتهم ووراثتهم ومن التقرب إليهم لتحصيل الزلفى، وفي «المثنوي»:

از انس فرزند مالك آمده است | كه بمهمانى او شخصى شده است
او حكايت كرد كز بعد طعام | ديد انس دستار خوانرا زرد فام
چركن وآلوده كفت اي خادمه | اندر افكن در تنورش يكدمه
در تنور پرز آتش در فكند | آن زمان دستار خوانرا هو شمند
جمله مهمانان دران حيران شدند | انتظار دور كندورى بدند
بعد يكساعت در آورد از تنور | پاك واسپيد وازان اوساخ دور
قوم كفتند اي صحابي عزيز | چون نه سوزيد ومنقى كشت نيز
كفت زانكه مصطفى دست ودهان | پس بماليد اندرين دستار خوان
اي دل ترسنده از نار وعذاب | يا چنان دست ولبى كن اقتراب
چون جمادى را چنين تشريف داد | جان عاشق را چها خواهد كشاد
مر كلوخ كعبه را چون قبله كرد | خاك مردان باش اي جان درنبرد

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿وإن﴾ نافية ﴿من﴾ استغراقية ﴿قرية﴾ [ديهى وشهرى]. قال المولى أبو السعود رحمه الله: المراد بها القرية الكافرة أي: ما من قرية الكفار ﴿إلا نحن مهلكوها﴾ أي: مخربوها البتة

بالخسف بها أو باهلاك أهلها بالكلية لما ارتكبوا من عظائم المعاصي الموجبة لذلك ﴿قبل يوم القيامة﴾ لأن الهلاك يومئذٍ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وإنما هو لانقضاء عمر الدنيا ﴿أو معذبوها﴾ أي: معذبو أهلها على الإسناد المجازي ﴿عذابا شديدا﴾ بالقتل والقحط والزلازل ونحوها من البلايا الدنيوية والعقوبات الأخروية لأن التعذيب مطلق عما قيد به الإهلاك من قبلية يوم القيامة وكثير من القرى العاصية قد أخرت عقوباتها إلى يوم القيامة هذا ما ذهب إليه المولى أبو السعود رحمه الله. يقول الفقير: لا يخفى أن هذا التعميم لا يناسب سوق الآية وقيد القبلية معتبر في الشق الثاني أيضاً وهو لا ينافي العذاب الشديد الواقع بعد يوم القيامة حسبما أفصح عنه القاطع فالوجه حمل الإهلاك على الاستئصال والتعذيب على أنواع البلية التي هي أشد من الموت وعمم في «بحر العلوم» القرية يدل عليه إيراده قوله عليه السلام: «إن أمتي أمة مرحومة إنما جعل عذابها في القتل والزلازل والفتن» وقوله عليه السلام: «إن حظ أمتي من النار بلاها تحت الأرض» وقد قيل: الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة قالوا: خراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من الجوع وخراب البصرة من الغرق وخراب أيلة من العراق وخراب الجزيرة من الجبل وخراب الشام من الروم وخراب مصر من انقطاع النيل وخراب الاسكندرية من البربر وخراب الأندلس من الروم وخراب فارس من الزلازل وخراب أصفهان من الدجال وخراب نهاوند من الجبل وخراب خراسان من حوافر الخيل وخراب الري من الديلم وخراب الديلم من الأرمن وخراب الأرمن من الخزر وخراب الخزر من الترك وخراب الترك من الصواعق وخراب السند من الهند وخراب الهند من أهل السد يأجوج ومأجوج.

ـ وروي ـ عن وهب بن منبه أن الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية وأرمينية آمنة حتى تخرب مصر ومصر آمنة حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة وإذا كانت الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية على يدي رجل من بني هاشم ﴿كان ذلك﴾ الذي ذكر من الإهلاك والتعذيب ﴿في الكتاب﴾ أي: اللوح المحفوظ ﴿مسطورا﴾ مكتوباً لم يغادر منه شيء إلا بين فيه كيفياته وأسبابه الموجبة له ووقته المضروب له وفي الحديث «أول شيء خلق الله القلم من نور فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين والقلم مسيرة خمسمائة عام واللوح مثله فقال للقلم أجر فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة برها وفاجرها رطبها ويابسها فصدقوا بما بلغكم عن الله من قدرته» وفي الحديث «أول ما خلق الله القلم بيده ثم خلق النون وهو الدواة ثم قال: اكتب فقال: وما أكتب؟ قال: ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ثم ختم على فم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة» رواه ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وإن من قرية﴾ أي: قرية قالب الإنسان ﴿إلا نحن مهلكوها﴾ بموت قلبه وروحه ﴿قبل يوم القيامة﴾ أي: قبل موت القالب فإن من مات فقد قامت قيامته ﴿أو معذبوها﴾ بصب البلاء والمحن والأمراض والعلل والمصائب والنقص في الأموال والأنفس وأنواع الرياضات والمجاهدات ومخالفات الهوى بالاختيار والاضطرار ﴿عذابا شديدا﴾ فإن الفطام من المألوفات شديد ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ من الأزل عزة وعظمة وكبرياء وجبروتاً فلا يصل السائر الصادق المحب إلى سرادقات جلاله شوقاً إلى جماله إلا بعد العبور على العقبة الكؤود ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢﴾ [البلد: ١١-١٢] فلما كان حال البلوغ إلى بيته قوله: ﴿لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ﴾ [النحل: ٧] فكيف يكون

حال أهل الوصول إليه ولهذا قال ﷺ: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت» فلما لم يصل أحد إلى مقامه الذي وصل ما أوذي أحد في السير إلى الله والسير في الله والسير بالله مثل ما أوذي ﷺ وإيذاء السائرين بإذاية وجودهم في السير ففي السير إلى الله ذوبان الأفعال وفي السير في الله ذوبان الصفات وفي السير بالله ذوبان الذات فافهم جداً، سعدي:

جـفـا نـبـرده چـه دانـى تـوقـدر يـار تحصيل كام دل بتكاپوى خوش ترست

حافظ:

مكن زغصه شكايت كه در طريق طلب برا حتى نرسيد آنكه زحمتي نكشيت

وقال:

خام را طاقت پروانه پرسوخته نيست ناز كانـرا نـرسد شيوه جان افشانى

اللهم اجعلنا من أهل الصبر على البلاء وارزقنا من غنائم أهل الولاء.

﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ الباء مزيدة أي: وما صرفنا عن إرسال الآيات التي اقترحها قريش من إحياء الموتى وقلب الصفا ذهباً ورفع جبال مكة لتنبسط الأرض وتصلح للزراعة وإجراء الأنهار لتحصل الحدائق ونحو ذلك. ﴿إلا أن كذب بها الأولون﴾ استثناء مفرغ من أعم الأشياء أي: وما منعنا عن إرسالها شيء من الأشياء إلا تكذيب الأولين الذين هم أمثالهم في الطبع كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا تكذيب أولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا أن لا نستأصلهم لأن فيهم من يؤمن أو يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الأمم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال: ﴿وآتينا ثمود الناقة﴾ وهو عطف على ما يفصح عنه النظم الكريم كأنه قيل: وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة فكذبوها وآتينا ثمود الناقة بسؤالهم ﴿مبصرة﴾ بينة ذات أبصار على أن يكون للنسبة فالتاء للمبالغة وأسند إليها حال من يشاهدها مجازاً ﴿فظلموا بها﴾ فكفروا بها ظالمين أي: لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر وظلموا أنفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما أن ثمود عرب مثلهم وأن لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم وروداً وصدوراً ﴿وما نرسل بالآيات﴾ المقترحة ﴿إلا تخويفا﴾ من نزول العذاب المستأصل كالطليعة له فإن لم يخافوا نزل أو بغير المقترحة كالمعجزات وآثار القرآن إلا تخويفاً بعذاب الآخرة فإن أمر من بعثت إليهم مؤخر إلى يوم القيامة كرامة لك. قيل: إن الرسول عليه السلام هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فإذا أماتوها أماتهم الله وأهلكهم إذ لهذه الأمة نصيب من عذاب الدنيا بقدر حالهم وذلك في أواخر الزمان كما سبق في المجلس السابق. ومنه الزلازل والمخاوف والطاعون فإنه زجر لأهل الفسق وتسلط الظلمة فإنه عذاب أي عذاب. فينبغي للمؤمن أن يسارع إلى طريق التقوى وإحياء سنة خير الورى وفي الحديث «من أحيا سنتي فقد أحياني ومن أحياني فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة» وفي الحديث: «من حفظ سنتي أكرمه الله بأربع خصال: المحبة في قلوب البررة، والهيبة في قلوب الفجرة، والسعة في الرزق، والثقة بالدين» كما أن الرسول عليه السلام أمان ما عاش فكذا وارثه الأكمل فإن اعتقاده واتباع طريقته كالإيمان بالرسول واتباع شريعته إذ هو نائب عنه وخليفة له فالاقتران بأهل الصلاح والتقوى مما يرفع الله به العذاب وقد ورد في الحديث «إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور» ذكره

الكاشفي في «الرسالة العلية» وابن الكمال في الأربعين حديثاً والمراد بأهل القبور من مات بالاختيار قبل الموت بالاضطرار، قال الحافظ:

مدد از خاطر رندان طلب اي دل ورنى كار صعبست مباداكه خطايى بكنيم

واعلم أن المؤمن الصادق في إيمانه لا يعذبه الله في الآخرة لأن نبيه يكون فيهم يوم القيامة وما دام هو بين الأمة لا يعذبهم الله وتقول لهم جهنم جز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ ناري فإن دخل المجرمون النار فذلك بجهة الخلوص لا الخلود.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿وإذ قلنا لك﴾ واذكر إذ أوحينا إليك ﴿إن ربك أحاط بالناس﴾ أي: علماً وقدرة فهم في قبضته فامض لأمرك ولا تخف أحداً. قال بعض الكبار: إحاطة الله سبحانه عند العارفين بالموجودات كلها عبارة عن تجليه بصور الموجودات فهو سبحانه بأحدية جميع أسمائه سار في الموجودات كلها ذاتاً وحياة وعلماً وقدرة إلى غير ذلك من الصفات والمراد بإحاطته تعالى هذه السراية ولا يعزب عنه ذرة في السموات والأرض وكل ما يعزب عنه يلتحق بالعدم وقالوا: هذه الإحاطة ليست كإحاطة الظرف بالمظروف ولا كإحاطة الكل بأجزائه ولا كإحاطة الكلي بجزئياته بل كإحاطة الملزوم بلازمه فإن التعينات اللاحقة لذاته المطلقة إنما هي لوازم له بواسطة أو بغير واسطة وبشرط أو بغير شرط ولا تقدح كثرة اللوازم في وحدة الملزوم ولا تنافيها ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ المراد بالرؤيا ما عاينه عليه السلام ليلة المعراج من عجائب الأرض والسماء والتعبير عن ذلك بالرؤيا إما لأنه لا فرق بينه وبين الرؤية كما في «الكواشي» الرؤيا تكون نوماً ويقظة كالرؤية أو لأنها وقعت بالليل وتقضت بالسرعة كأنها منام أو لأن الكفرة قالوا: لعلها رؤيا فتسميتها رؤيا على قول المكذبين. قال في «الحواشي السعدية» قد يقال تسميتها رؤيا على وجه التشبيه والاستعارة لما فيها من الخوارق التي هي بالمنام أليق في مجاري العادات انتهى. أي: وما جعلنا الرؤية التي أريناكها ليلة الإسراء عياناً مع كونها آية عظيمة حقيقة بأن لا يتلعثم في تصديقها أحد ممن له أدنى بصيرة إلا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ عطف على الرؤيا والمراد بلعنها فيه لعن طاعمها على الإسناد المجازي أو إبعادها عن الرحمة فإن تلك الشجرة التي هي الزقوم تنبت في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة أي: وما جعلناها إلا فتنة لهم حيث أنكروا ذلك وقالوا: إن محمداً يزعم الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول: ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالاً بعيداً حيث كابروا قضية عقولهم فإنهم يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحماة فلا يضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندل تلقى في النار ولا تؤثر فيها. قال الكاشفي: [وعجب ازايشان بودكه ازدرخت سبز آتش ميكر فتند كما قال تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠] وهيچ فكر نمى كردندكه آتش در درخت وديعت نهد چه عجب كه درخت در آتش برويانذ] وهو المرخ والعفار يوجدان في أغلب بوادي العرب يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما أخضران يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو أنثى فتنقدح النار بإذن الله تعالى ﴿ونخوفهم﴾ بذلك وبنظائره من الآيات فإن

الكل للتخويف ﴿فما يزيدهم﴾ التخويف ﴿إلا طغيانا كبيرا﴾ عتوا متجاوزاً عن الحد فلو أنا أرسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما فعل بأشياعهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة لهذه الأمة إلى الطامة الكبرى. وأوحى الله إلى عيسى عليه السلام كم من وجه مليح صبيح ولسان فصيح وبدن صحيح غدا بين طباق النيران يصيح فلا بدّ من الخوف فإن العارفين يخافون فما ظنك بغيرهم. قال المزني: دخلت على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي مات فيه فقلت له: كيف أصبحت يا أستاذي؟ قال: أصبحت عن الدنيا راحلاً ولإخواني مفارقاً ولعملي ملاقياً ولكأس المنية شارباً وعلى الله وارداً فما أدري أروحي إلى جنة أم إلى نار ثم أنا أقول:

ولم أدر أي الحالتين تنوبني   وأنك لا تدري متى أنت ميت

وفي «المثنوي»:

لا تخافوا هست نزل خائفان   هست درخور از براى خائفان

هركه ترسد مرورا ايمن كنند   مردل ترسنده را ساكن كنند

آنكه خوفش نيست چون كويى مترس   درس چه دهى نيست او محتاج درس

واعلم أن رؤية الآيات واستماعها تزيد المؤمنين إيماناً وتقويهم في باب اليقين لأن التربة الطيبة لا تغير الماء الزلال ولا تخرجه عن طبعه والخبيثة لا يحصل لها به نماء إذ لا يستعد ولا يستحق إلا العقم نسأل الله تعالى أن يفيض علينا سجال العلوم ويزيدنا في الفهوم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾﴾

﴿وإذ قلنا للملائكة﴾ أي: واذكر وقت قولنا للملائكة ما عدا الأرواح العالية وهم الملائكة المهيمة الذين لا شعور لهم بخلق آدم عليه السلام ولا بغيره لاستغراقهم في شهود الحق تعالى ﴿اسجدوا لآدم﴾ تحية وتكريماً لما له من الفضائل المستوجبة لذلك.

قال في «التأويلات النجمية»: أن الله خلق آدم فتجلى فيه فكانت السجدة في الحقيقة للحق تعالى وكان آدم بمثابة الكعبة قبلة للسجود ﴿فسجدوا﴾ له من غير تلعثم أداء لحقه عليه السلام وامتثالاً للأمر فدل ائتمارهم بأوامر الحق والانتهاء عن نواهيه على السعادة الأزلية ﴿إلا إبليس﴾ فإنه أبى واستكبر فدل المخالفة والاستكبار والإباء على الشقاوة الأزلية إذ الأبد مرآة الأزل يظهر فيها صورة الحال سعادة وشقاوة. قال في «بحر العلوم»: استثنى إبليس من الملائكة وهو جني لأنه قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه تغليب الرجال على المرأة في قولك: خرجوا إلا فلانة ثم استثنى الواحد منهم استثناء متصلاً ﴿قال﴾ اعتراضاً وعجباً وتكبراً وإنكاراً عندما وبخه تعالى بقوله: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢] ﴿ءأسجد﴾ وأنا مخلوق من العنصر العالي وهو النار؟ قال الكاشفي: [أيا سجده كنم يعني نكنم] ولم يصح مني واستحال أن أسجد لأن الاستفهام المعني به الإنكار يكون بمعنى النفي ﴿لمن خلقت طينا﴾ نصب على نزع الخافض أي: من طين مثل واختار موسى قومه أي: من قومه فاستحق اللعن والطرد والبعد.

﴿قال﴾ إبليس بعدما لعن وطرد وأبعد إظهاراً للعداوة وإقداماً على الحسد كما قال في «الإرشاد» وقال إبليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الانظار المترتب على الاستنظار المتفرع على الأمر بخروجه من بين الملأ الأعلى باللعن المؤبد وإنما لم يصرح اكتفاء بما ذكر في موضع آخر فإن توسيط قال بين كلامي اللعين للإيذان بعدم اتصال الثاني بالأول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ﴿أرأيتك هذا الذي كرمت علي﴾ الكاف حرف خطاب أي: ليس باسم حتى يكون في محل النصب على أنه مفعول رأيت بل هو حرف أكد به ضمير الفاعل المخاطب لتأكيد الإسناد فلا محل له من الإعراب وهذا مفعول أول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصفة عليه وأرأيت هٰهنا بمعنى أخبرني بأن يجعل العلم الذي هو سبب الاخبار مجازاً عن الاخبار وبأن يجعل الاستفهام مجازاً عن الأمر بجامع الطلب. والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ بأن أمرتني بالسجود له لم كرمته عليّ وفضلته بالخلافة والسجود وأنا خير منه لأنه خلق من طين وخلقت من نار، وفي «المثنوي»:

آنكه آدم را بدن ديد اورميد وآنكه نور مؤتمن ديد او خميد
تو زقر آن اى پسر ظاهر مبين ديو آدم را نه بيند جز كه طين

﴿لئن أخرتن﴾ حياً، يعني: [مرك مرا تأخير كنى چنانكه موعودست] ﴿إلى يوم القيامة﴾ يعني على صفة الإغواء والإضلال وهو كلام مبتدأ واللام موطئة وجوابه قوله: ﴿لأحتنكن ذريته﴾ أي: لأستولين على أولاده ونسله استيلاء قوياً بالاغواء كما قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] يقال: احتنكه استولى عليه كما في «القاموس». قال في «الإرشاد» من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها إذا جعلت في حنكها الأسفل حبلاً تقودها به أو لأستأصلنهم بالإغواء. يعني: [هر آينه ازبيخ بركنم فرزندان اورا باغوا وچنان كنم كه بعذاب تو مستأصل شوند] من قولهم احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلاً. قال في «الأسئلة المقحمة»: علم إبليس أن فيهم شهوات مركبة فهي سبب ميلهم عن الحق إلى الباطل قياساً على أبيهم حين مال إلى أكل الشجرة بشهوته انتهى وقيل غير ذلك ﴿إلا قليلا﴾ منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى.

﴿قال﴾ الله تعالى: ﴿اذهب﴾ على طريقتك السوء بالإغواء والإضلال. وفي «بحر العلوم» ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء بل معناه امض لما قصدته أو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه أو هو على وجه الإهانة والتهديد تقول لمن لا يقبل منك اذهب وكن على ما اخترت لنفسك. قال الكاشفي: [امراهانت است وابعاد يعني اورا براند ازدركاه قرب وكفت درپى مهم خودبرو] ﴿فمن تبعك منهم﴾ على الضلالة. قال الكاشفي: [هركه متابعت كندترا وفرمان توبرد] ﴿فإن جهنم جزاؤكم﴾ أي: جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب رعاية لحق المتبوعية ﴿جزاء موفورا﴾ من وفر الشيء كمل أي: تجزون جزاء مكملاً فنصبه على المصدر بإضمار فعله. قال الكاشفي: [جزايى تمام يعني عذابي بردوام].

﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾

﴿واستفزز﴾ أي: استخف وحرك ومنه استفزه الغضب استخفه والاستفزاز [سبك

كردن]. وفي «بحر العلوم»: واستزل وحرك. يعني: [ازجاى بجنبان وبلغزان] ﴿من استطعت منهم﴾ من قدرت أن تستفزه من ذريته. وقال الكاشفي [هركه را توانى لغزانيد ازايشان] ﴿بصوتك﴾ بوسوستك ودعائك إلى الشر والمعصية وكل داع إلى معصية الله فهو من حزب إبليس وجنده. [وامام زاهدي ازابن عباس نقل ميكندكه هر آوازى كه نه در رضاى خداى تعالى ازدهان بيرون آيد آواز شيطانست]. وقال مجاهد بالغناء والمزامير فالمغنون والزامرون من جند إبليس وقد ورد في الخبر الوعيد على الزامر وفي الحديث «بعثت لكسر المزامير وقتل الخنازير» المزامير جمع مزمار وهو آلة معروفة يضرب بها ولعل المراد آلات الغناء كلها تغليباً والكسر ليس على حقيقته بل مبالغة عن النهي لقرينة. فإن قلت الحديث المذكور صريح في قبح المزمار والظاهر من قوله عليه السلام حين سمع صوت الأشعري وهو يقرأ «لقد أوتي هذا من مزامير آل داود» خلافه. قلت: ضرب المزامير مثلاً لحسن صوت داود عليه السلام وحلاوة نغمته كأن في حلقه مزامير بها والآل مقحم ومعناه الشخص كذا في «شرح الأربعين» حديثاً لابن كمال.

وفي «التأويلات النجمية»: واستزل بتمويهات الفلاسفة وتشبيهات أهل الأهواء والبدع وخرافات الدهرية وطامات الإباحية وما يناسبها من مقالات أهل الطبيعة مخالفاً للشريعة ﴿واجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ [وبرانكيزان برايشان بسواران وپيادكان يعني ديواني كه معاون تواند دروسوسه واغوا همه را جمع كن در تسلط برايشان]. وفي «الكواشي» جلب وأجلب واحد بمعنى الحث والصياح أي: صح عليهم بأعوانك وأنصارك من راكب وراجل من أهل الفساد والخيل الخيالة بتشديد الياء وهي أصحاب الخيول ومنه قوله عليه السلام: «يا خيل الله اركبي». والرجل بالسكون بمعنى الراجل وهو من لم يكن له ظهر يركبه. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة أن خيلاً ورجلاً من الجن والإنس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله فهو من رجل إبليس ويجوز أن يكون استفزازه بصوته وإجلابه بخيله ورجله تمثيلاً لتسلطه على من يغويه فكأنه مغواراً وقع على قوم فصوت بهم صوتاً يزعجهم من أماكنهم ويقلعهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم. ﴿وشاركهم﴾ [شركت ده بايشان] ﴿في الأموال﴾ بحملهم على كسبها أو جمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي من الربا والإسراف ومنع الزكاة وغير ذلك ﴿والأولاد﴾ بالحث على التوصل إليهم بالأسباب المحرمة والوأد والإشراك كتسميتهم بعبد العزى وعبد الحارث وعبد الشمس وعبد الدار وغير ذلك. والتضليل بالحمل على الأديان الزائغة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة.

وقال في «التأويلات النجمية»: بتضييع زمانهم وإفساد استعدادهم في طلب الدنيا ورياستها متغافلين عن تهذيب نفوسهم وتزكيتها وتأديبها وتوقيها عن الصفات المذمومة وتحليتها بالصفات المحمودة وتعليمهم الفرائض والسنن والعلوم الدينية وتحريضهم على طلب الآخرة والدرجات العلى والنجاة من النار والدركات السفلى انتهى. وعن جعفر بن محمد أن الشيطان يقعد على ذكر الرجل فإذا لم يقل باسم الله أصاب معه امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل وقد جعل الله له في كثير من الأشياء نصيباً وفي الحديث: «إن إبليس لما أنزل إلى الأرض قال: يا رب أنزلتني الأرض وجعلتني رجيماً فاجعل لي بيتاً قال: الحمام قال: فاجعل لي

مجلساً قال: الأسواق ومجامع الطرق قال: فاجعل لي طعاماً قال: ما لم يذكر اسم الله عليه قال: اجعل لي شراباً قال: كل مسكر قال: اجعل لي مؤذناً قال: المزامير قال: اجعل لي قرآناً قال: الشعر قال: اجعل لي كتاباً قال: الوشم قال: اجعل لي حديثاً قال: الكذب قال: اجعل لي رسلاً قال: الكهنة قال: اجعل لي مصائد قال: النساء» كما في «بحر العلوم» للسمرقندي ﴿وعدهم﴾ المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بتطويل الأمل وإخبارهم أن لا جنة ولا نار ونحو ذلك ﴿وما يعدهم الشيطان﴾ اللازم يحتمل العهد والجنس قال عليه السلام: «ما منكم من أحد إلا وله شيطان» ﴿إلا غرورا﴾ يعني: [خطارا در صورت ثواب مى آرايد] وهو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب. قال في «بحر العلوم»: هذه الأوامر واردة على طريق التهديد كقوله للعصاة اعملوا ما شئتم وقيل على سبيل الخذلان والتخلية.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾

﴿إن عبادي﴾ الإضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه أن من تبعه ليس منهم [امام قشيري فرموده كه بنده حق آنست كه دربند غير نباشد. وشيخ عطار فرمايد]:

چوتودر بند صد چيزى خدارا بنده چون باشى

كه تودر بند هر چيزى كه باشى بنده آنى

﴿ليس لك عليهم سلطان﴾ أي: تسلط وقدرة على إغوائهم كما قال: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل: ٩٩] ﴿وكفى بربك وكيلا﴾ لهم يتوكلون عليه ويستمدونه يا إبليس الخلاص من إغوائك.

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن عباد الله هم الأحرار عن رق الكونين وتعلقات الكونين فلا يستعبدهم الشيطان ولا يقدر على أن تعلق بهم فيضلهم عن طريق الحق ويغويهم بما سواه عنه ﴿وكفى بربك وكيلا﴾ لهم في ترتيب أسباب سعادتهم وتفويت أسباب شقاوتهم والحراسة من الشيطان والهداية إلى الرحمن. يقول الفقير: لا يلزم من نفي التسلط أن لا يقصدهم الشيطان أصلاً فإن ذلك يرده قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١] فإن كلمة إذا تدل على التحقيق والوقوع ولكنهم محفوظون من الاتباع لكونهم مؤيدين من عند الله تعالى.

ـ حكي ـ أنه جاء يهودي إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد نحن نعبد بحضور القلب بلا وسواس الشيطان ونسمع من أصحابك أنهم يصلون بالوساوس فقال عليه السلام لأبي بكر رضي الله عنه: «أجبه» فقال: يا يهودي بيتان بيت مملوء بالذهب والفضة والدر والياقوت والأقمشة النفيسة وبيت خراب خال ليس فيه شيء من المذكورات أيقصد اللص إلى البيت المعمور المملوء من الأقمشة النفيسة أم يقصد إلى البيت الخراب فقال اليهودي يقصد إلى البيت المعمور المملوء بذلك فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: قلوبنا مملوءة بالتوحيد والمعرفة والإيمان واليقين والتقوى والإحسان وغيرها من الفضائل وقلوبكم خالية عن هذه فلا

يقصد الخناس إليها فأسلم اليهودي فظهر أن الشيطان قاصد ولكنه غير واصل إلى مراده فإن الله يحفظ أولياءه.

﴿ربكم﴾ [پرور دكار شما] وهو مبتدأ خبره قوله ﴿الذي﴾ القادر الحكيم الذي ﴿يزجي﴾ الإزجاء [راندن] يقال: زجاه وأزجاه ساقه أي: يسوق ويجري بقدرته الكاملة ﴿لكم﴾ لمنافعكم ﴿الفلك﴾ أي: السفن ﴿في البحر﴾ [در دريا]. قال في «القاموس» البحر الماء الكثير ﴿لتبتغوا﴾ لتطلبوا ﴿من فضله﴾ من رزق هو فضل من قبله ﴿إنه كان بكم﴾ أزلاً وأبداً ﴿رحيما﴾ حيث هيأ لكم ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما يعسر من أسبابه فالمراد الرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة المنقسمة إلى الجليلة والحقيرة.

﴿وإذا مسكم﴾ [وچون برسد شمارا] ﴿الضر في البحر﴾ خوف الغرق فيه ﴿ضل من تدعون﴾ أي: ذهب عن خواطركم كل من تدعون في حوادثكم وتستغيثون ﴿إلا إياه﴾ تعالى وحده من غير أن يخطر ببالكم أحد منهم وتدعوه لكشفه استقلالاً أو اشتراكاً ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً أي: ضل كل من تدعونه وتعبدونه من الآلهة كالمسيح والملائكة وغيرهم من عونكم وغوثكم ولكن الله هو الذي ترجونه لصرف النوازل عنكم ﴿فلما﴾ [پس آن هنكام كه] ﴿نجاكم﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿إلى البر﴾ [بسوى بيابان] ﴿أعرضتم﴾ عن التوحيد وعدتم إلى عبادة الأوثان ونسيتم النعمة وكفرتم بها ﴿وكان الإنسان كفورا﴾ بليغ الكفران ولم يقل وكنتم كفوراً ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعمة.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿أفأمنتم﴾ الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم من ﴿أن يخسف بكم جانب البر﴾ الذي هو مأمنكم كقارون وبكم في موضع الحال وجانب البر مفعول به أي: يقلبه الله وأنتم عليه ويجوز أن تكون الباء للسببية أي: يلقبه بسبب كونكم فيه. قال سعدي المفتي أي: يقلب جانب البر الذي أنتم فيه فيحصل بخسفه إهلاككم وإلا فلا يلزم من خسف جانب البر بسببهم إهلاكهم. وقال الكاشفي: [آيا ايمن شديدكه ازدريا بصحرا آمديد يعني ايمن مباشيد از آنكه فرو بردشمارا بكرانه از زمين يعني آنكه قادراست كه شمارا درآب فروبرد توانست برآنكه در خاك نهان كند]. قال في «القاموس»: خسف المكان يخسف خسوفاً ذهب في الأرض وخسف الله بفلان الأرض غيبه فيها لازم ومتعد. وفي «التهذيب» الخسف [بزمين فروبردن] قال الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١] ﴿أو يرسل عليكم﴾ من فوقكم ﴿حاصبا﴾ ريحاً ترمي الحصباء وهي الحصى الصغار يرجمكم بها فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر وقيل: أي يمطر عليكم حصباء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلا﴾ يحفظكم من ذلك ويصرفه عنكم فإنه لا رادّ لأمره الغالب.

﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه﴾ في البحر بعد خروجكم إلى البر وسلامتكم ﴿تارة﴾ مرة ﴿أخرى﴾ بخلق دواعي تلجئكم إلى أن ترجعوا فتركبوه فإسناد الإعادة إليه تعالى مع أن العود إليه باختيارهم باعتبار خلق تلك الدواعي الملجئة. وفيه إيماء إلى كمال شدة هول ما لاقوه في

التارة الأولى بحيث لولا الإعادة لما عادوا وأوثرت كلمة في على كلمة إلى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه ﴿فيرسل عليكم﴾ وأنتم في البحر ﴿قاصفا من الريح﴾ وهي التي لا تمر بشيء إلا قصفته أي: كسرته وجعلته كالرميم وذكّر قاصفاً لأنه ليس بإزائه ذكر فجرى مجرى حائض كما في «الكواشي». ﴿فيغرقكم﴾ بعد كسر فلككم كما ينبىء عنه عنوان القصف ﴿بما كفرتم﴾ بسبب إشراككم وكفرانكم لنعمة الإنجاء ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به﴾ [بآن غرق كردن] ﴿تبيعا﴾ مطالباً يتبعنا بانتصار أو صرف. قال في «القاموس»: التبيع كأمير التابع ومنه قوله تعالى: ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ أي: ثائراً ولا طالباً انتهى.

وفي الآيات إشارات:

منها: أن الشريعة كالفلك في بحر الحقيقة إذ لو لم يكن هذا الفلك ما تيسر لأحد العبور على بحر الحقيقة والمقصود منه جذبة العناية إذ هي ليست بمكتسبة للخلق بل من قبيل الفضل فعلى من يريد النيل إلى هذه الجذبة أن يسير بقدمي العلم والعمل، قال في «المثنوي»:

رهروراه طريقت اين بود كاو بأحكام شريعت مى رود

ومنها: أن الإعراض عن الحق بالكفران يؤدي إلى الخسران. قال الجنيد: لو أقبل صديق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فإن ما فاته أكثر مما ناله. قال أوحد المشايخ في وقته أبو عبد الله الشيرازي: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول: من عرف طريقاً إلى الله فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله تعالى بعذاب لم يعذبه به أحداً من العالمين.

درين ره دائماً ثابت قدم باش بروازرهزن غم بي الم باش
زبازار توجه رو مكردان همه سودى كه خواهى اندرين دان

ومنها: أن جميع الجوانب والجهات متساوية بالنسبة إلى قدرته تعالى وقهره سلطانه لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه فعلى العبد أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب حيث كان فإن الله كان متحلياً بجماله وجلاله في جميع الأينيات ولذا كان أهل اليقظة والحضور لا يفرقون بين أين وأين وبين حال وحال لمشاهدتهم إحاطة الله تعالى فإن الله تعالى لو شاء لأهلك من حيث لا يخطر بالبال ألا ترى أنه أهلك النمرود بالبعوض فكان البعوض بالنسبة إلى قدرته كالأسد ونحوه في الإهلاك وربما رأيت من غص بلقمة فمات فانظر في أن تلك اللقمة مع أنها من أسباب الحياة كانت من مبادى الممات فأماته الله من حيث يدري حياته فيه ولو أمعنت النظر لوجدت شؤون الله تعالى في هذا العالم عجيبة:

هركرا خواهد خدا آرد بچنك نيست كس را قوت بازوى جنك

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾

قال الله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ التكريم والإكرام بمعنى والاسم منه الكرامة والمعنى: [بالفارسية وهر آيينه كرامى كرديم فرزندان آدم را]. قال المولى أبو السعود: بني آدم قاطبة تكريماً شاملاً لبرهم وفاجرهم.

وفي «التأويلات النجمية»: خصصناهم بكرامة تخرجهم من حيز الاشتراك وهي على ضربين جسدانية وروحانية فالكرامة الجسدانية عامة يستوي فيها المؤمن والكافر وهي تخمير

طينته بيده أربعين صباحاً وتصويره في الرحم بنفسه وأنه تعالى صوره فأحسن صورته وسواه فعدله في أي صورة ما شاء ركبه ومشاه سوياً على صراط مستقيم مستقيم القامة أخذاً بيديه آكلاً بأصابعه مزيناً باللحى والذوائب صانعاً بأنواع الحرف والكرامة الروحانية على ضربين خاصة وعامة فالعامة أيضاً يستوي فيها المؤمن والكافر وهي أن كرمه بنفخه فيه من روحه وعلمه الأسماء كلها وكلمه قبل أن خلقه بقوله: ألست بربكم فأسمعه خطابه وأنطقه بجوابه بقوله: قالوا: بلى وعاهده على العبودية وأولده على الفطرة وأرسل إليه الرسل وأنزل عليه الكتب ودعاه إلى الحضرة ووعده الجنة وخوفه النار وأظهر له الآيات والدلالات والمعجزات والكرامة الروحانية الخاصة ما كرم به أنبياءه ورسله وأولياءه وعباده المؤمنين من النبوة والرسالة والولاية والإيمان والإسلام والهداية إلى الصراط المستقيم وهو صراط الله والسير إلى الله وفي الله وبالله عند العبور على المقامات والترقي عن الناسوتية بجذبات اللاهوتية والتخلق بأخلاق الإلَهية عند فناء الأنانية وبقاء الهوية [امام قشيري قدس سره فرموده كه مراد از بني آدم مؤمناً نند چه كافرانرا بنص ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨] از تكريم هيچ نصيبي نيست وتكريم مؤمنان بدانست كه ظاهر ايشانرا بتوفيق مجاهدات بياراست وباطن ايشانرا بتحقيق مشاهدات منورساخت] كما قال في «بحر العلوم» الظاهر عندنا تكريمهم بالإيمان والعمل الصالح بدليل قوله عليه السلام: «إن المؤمن يعرف في السماء كما يعرف الرجل أهله وولده وإنه أكرم على الله من ملك مقرب» انتهى [محمد بن كعب رضي الله عنه كفت كه كرامت آدميان بدانست كه حضرت محمد ﷺ ازايشانست].

اي شـــرف دوده آدم بـــتـــو   روشـــنـــى ديـــده عـــالـــم بـــتـــو
كيست درين خانه كه خيل تونيست   كيست برين خوان كه طفيل تونيست
ازتـــو صـــلايـــى بـــالـــســـت آمـــده   نـــيـــســـت بـمـهـمـانـىء هـمـمـت آمـده

﴿وحملناهم﴾[وبرداشتيم ايشانرا وسوار كرديم] ﴿في البر﴾[دربيابان بر جهار پايان] ﴿والبحر﴾[ودردريا بكشتيها] من حملته إذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: عبرناهم عن بر الجسمانية وبحر الروحانية إلى ساحل الربانية [ودر حقائق سلمى آمده كه كرامى ساختيم آدميانرا بمعرفت وتوحيد وبرداشتيم ايشانرا دربر نفس وبحر قلب وكفته اند بر آنست كه ظهور دارد از صفات وبحر آنچه مستوراست از حقائق ذات] ﴿ورزقناهم﴾[وروزى داديم ايشانرا] ﴿من الطيبات﴾من فنون النعم المستلذة مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم كالسمن والزبد والتمر والعسل وسائر الحلاوى.

وفي «التأويلات النجمية»: وهي المواهب التي طيبها من الحدوث فيطعم بها من يبيت عنده ويسقيه بها وهي طعام المشاهدات وشراب المكاشفات التي لم يذق منها الملائكة المقربون اطعم بها أخص عباده في أواني المعرفة وسقاهم بها في كأسات المحبة أفردهم بها عن العالمين ولهذا اسجد لهم الملائكة المقربين، قال المولى الجامي قدس سره:

مـلائـك راچـه سـوداز حـسـن طـاعـت   چـو فـيـض عـشـق بـر آدم فـروريـخـت

وقال الحافظ:

فرشته عشق نداندكه چيست قصه مخوان   بـخـواه جـام وكـلابـى بـخـاك آدم ريـز

﴿وفضلناهم﴾ [وافزونى داديم ايشانرا] أي: في العلوم والإدراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي يتميز بها الحق من الباطل والحسن من القبيح ﴿على كثير ممن خلقنا﴾ وهم ما عدا الملائكة عليهم السلام ﴿تفضيلا﴾ عظيماً فحق عليهم أن يشكروا نعم الله ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله أحد ممن له أدنى تمييز فضلاً عمن فضل على من عدا الملأ الأعلى الذين هم العقول المحضة وإنما استثنى جنس الملائكة من هذا التفضيل لأن علومهم دائمة عارية عن الخطأ والخلل وليس فيه دلالة على الأفضلية بالمعنى المتنازع فيه فإن المراد ههنا بيان التفضيل في أمر مشترك بين جميع أفراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن أن يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله تعالى كما في «الإرشاد». وقال في «بحر العلوم»: فيه دلالة على أن بني آدم فضلوا على كثير وفضل عليهم قليل وهو أبوهم آدم وأمهم حواء عليهما السلام لما فيهما من فضل الأصالة على من تفرع منهما من سائر الناس لا الملائكة المقربون كما زعم الكلبي وأبو بكر الباقلاني وحثالة المعتزلة وألا يلزم التعارض بين الآيات وذلك أن الله أمر الملائكة كلهم بالسجود لآدم على وجه التعظيم والتكريم ومقتضى الحكمة الأمر للأدنى بالسجود للأعلى دون العكس وأيضاً قال: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] فيفهم منه كل أحد من أهل اللسان قصده تعالى إلى تفضيل آدم على الملائكة وبيان زيادة علمه واستحقاقه التعظيم والتكريم وقال: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣] والملائكة من جملة العالم فمحال أن تدل الآية التي نحن بصددها على ما زعموا من تفضيل الملك على البشر كلهم وأيضاً مما يدل على بطلان ما زعموا قول النبي ﷺ: «إن الله فضل المرسلين على الملائكة المقربين لما بلغت السماء السابعة لقيني ملك من نور على سرير فسلمت عليه فرد علي السلام فأوحى الله إليه سلم عليك صفيي ونبيي فلم تقم إليه وعزتي وجلالي لتقومن فلا تقعدن إلى يوم القيامة» انتهى. وفي «الأسئلة المقحمة»: المشهور من مذهب أهل الحق أن الأنبياء أفضل من الملائكة انتهى. قال الكاشفي: [علمارا در تفضيل بشر مباحث دور ودرازاست آنكه جمهور أهل سنت برآنند كه بني آدم فاضل ترند از رسل ملائكة ورسل ملائكة افضلند از اولياى بني آدم وأولياي بني آدم شريفترند از اولياي ملائكة وصلحاي أهل ايمانرا أفضل است برعوام ملائكة وعوام ملائكة بهترند از فساق مؤمنان].

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ يعني على الملائكة لأنهم الخلق الكثير ممن خلق الله تعالى وفضل الإنسان الكامل على الملك بأنه خلق في أحسن تقويم وهو حسن استعداده في قبول فيض نور الله بلا واسطة وقد تفرد به الإنسان عن سائر المخلوقات كما قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ إلى قوله: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: ٧٢] والأمانة هي نور الله كما صرح به في قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] إلى أن قال: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥] فافهم جداً واغتنم فإن هذا البيان أعز من الكبريت الأحمر وأغرب من عنقاء مغرب انتهى. قال الكاشفي: [وعلى الجملة اين آيت دليل فضيلت وجامعيت انسانست كه از همه مخلوقات مرآت صافي چهت انعكاسي صفات إلّهي همه اوست وبس چنانچه از مضمون اين ابيات حقائق سمات فهم توان فرمود]:

آمد آيينه جمله كون ولي همچو آيينه نكرده جلى

به نمودند درو بوجه كمال صورت ذو الجلال والإفضال
زانكه بودا ين تفرق عددى مانع از سر جامع واحدى
كشت آدم جلاى اين مرآت شد عيان ذات او بجمله صفات
مظهري كشت كلي وجامع سر ذات از صفات از لامع
شد تفاصيل كون را مجمل بر مثال تعين اول
بوى اين دائره مكمل شد آخر اين نقطه عين اول شد

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾

﴿يوم ندعو﴾ نصب بإضمار اذكر على أنه مفعول به ﴿كل أناس﴾ [هر كروهى را از بني آدم] والاناس جمع الناس كما في «القاموس» ﴿بإمامهم﴾ أي: بمن ائتموا به من نبي فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ونحو ذلك أو مقدم في الدين فيقال: يا حنفي ويا شافعي ونحوهما أو كتاب فيقال: يا أهل القرآن ويا أهل الإنجيل وغيرهما أو دين فيقال يا مسلم ويا يهودي ويا نصراني ويا مجوسي وغير ذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى ما يتبعه كل قوم وهو إمامهم. فقوم يتبعون الدنيا وزينتها وشهواتها فيدعون يا أهل الدنيا. وقوم يتبعون الآخرة نعيمها ودرجاتها فيدعون يا أهل الآخرة. وقوم يتبعون الرسول ﷺ محبة لله وطلباً لقربته ومعرفته فيدعون يا أهل الله. وقيل: الإمام جمع أم كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم وأمهاتهم إجلال عيسى عليه السلام وتشريف الحسنين رضي الله عنهما إذ في نسبتهما إلى أمهما إظهار انتسابهما إلى رسول الله ﷺ نسباً بخلاف نسبتهما إلى أبيهما والستر على أولاد الزنى وينصره ما روي عن عائشة رضي الله عنها وابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأمهاتهم ستراً منه على عباده» كما في «بحر العلوم» ويؤيده أيضاً حديث التلقين حيث قال رسول الله ﷺ: «إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يسمعه ولا يجيب ثم يقول يا فلان ابن فلانة فإنه يستوي قاعداً ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يقول أرشدك الله رحمك الله ولكن لا تشعرون فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلة فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه يقول: انطلق لا نقعد عند من لقن حجته فيكون حجيجه دونهما» فقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه قال: «فلينسبه إلى حواء» ذكره الإمام السخاوي في «المقاصد الحسنة» وصححه بأسانيده وكذا الإمام القرطبي في «تذكرته» وفهم منه شيآن الأول استحباب القيام وقت التلقين والثاني أن المرء يدعى باسمه واسم أمه لا باسم أبيه ولكن جاء في أحاديث «المقاصد» «والمصابيح» أنه عليه السلام قال: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم» ولعله لا يخالف ما سبق فإنه ورد ترغيباً في تحسين الأسماء وتغيير القبيح منها إذ كانوا يسمون بالأسماء القبيحة على عادة الجاهلية مثل المضطجع وأصرم وعاصية ونحوها وكان عليه السلام يغير القبيح إلى الحسن فغير أصرم وهو من الصرم بمعنى القطع إلى زرعة

وهو بالضم والسكون قطعة من الزرع كأنه قال: لست مقطوعاً بل أنت منبت متصل بالأصل وغير المضطجع إلى المنبعث وعاصية إلى جميلة ﴿فمن﴾ [هر كه را] ﴿أوتي﴾ [داده شود] يومئذٍ من أولئك المدعوين ﴿كتابه﴾ صحيفة أعماله ﴿بيمينه﴾ وهم السعداء وفي إيتاء الكتاب من جانب اليمين تشريف لصاحبه وتبشير ﴿فأولئك﴾ الجمع باعتبار معنى من ﴿يقرؤون كتابهم﴾ قراءة ظاهرة مسرورين ينتفعون بما فيه من الحسنات ولم يذكر الأشقياء وإن كانوا يقرأون كتبهم أيضاً لأنهم إذا قرأوا ما فيها لم يفصحوا به خوفاً وحياء وليس لهم شيء من الحسنات ينتفعون به ﴿ولا يظلمون﴾ أي: لا ينقصون من أجور أعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة ﴿فتيلا﴾ أي: قدر فتيل وهو ما يفتل بين إصبعين من الوسخ أو القشرة التي في شق النواة أو أدنى شيء فإن الفتيل مثل في القلة والحقارة.

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ﴿٧٥﴾﴾

﴿ومن﴾ [وهركه] أي: من المدعوين المذكورين ﴿كان في هذه﴾ الدنيا ﴿أعمى﴾ أعمى القلب لا يهتدي إلى رشده. يعني: [دلش راه صواب نه بيند] ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ لا يرى طريق النجاة لأن العمى الأول موجب للثاني فالكافر لا يهتدي إلى طريق الجنة والعاصي إلى ثواب المطيع والقاصر إلى مقامات الكاملين ﴿وأضل سبيلا﴾ من الأعمى في الدنيا لزوال الاستعداد وتعطل الأسباب والآلات وفقدان المهلة.

قال في «التأويلات النجمية»: : ﴿فمن أوتي كتابه بيمينه﴾ فهو أهل السعادة من أصحاب اليمين وفيه إشارة إلى أن السابقين الذين هم أهل الله تعالى لا يؤتون كتابهم كما لا يحاسبون حسابهم ﴿فأولئك يقرؤون كتابهم﴾ لأنهم أصحاب البصيرة والقراءة والدراية ﴿ولا يظلمون فتيلا﴾ في جزاء أعمالهم الصالحة وفيه إشارة إلى أن أهل الشقاوة الذين هم أصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم لأنهم أصحاب العمى والجهالة ﴿ومن كان في هذه أعمى﴾ أي: في هذه القراءة والدراية بالبصيرة أعمى في الدنيا لقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الحج: ٤٦] الآية ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ لأنه يوم تبلى السرائر تجعل الوجوه من السرائر فمن كان في سريرته أعمى هٰهنا يكون ثمة في صورته أعمى للمبالغة لأن عمى السريرة هٰهنا كان قابلاً للتدارك وقد خرج ثمة الأمر من التدارك فيكون أعمى عن رؤية الحق. ﴿وأضل سبيلا﴾ في الوصول إليه لفساد الاستعداد وإعواز التدارك انتهى. يقول الفقير: إن قلت هل يحصل الترقي والتيقظ لبعض الأفراد بعد الموت الصوري؟ قلت: إن السالك الصادق في طلبه إذا سافر من مقام طبيعته ونفسه فمات في الطريق أي: بالموت الاضطراري قبل أن يصل إلى مراده بالموت الاختياري فله نصيب من أجر الواصلين وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾ [النساء: ١٠٠] كما قال بعض الكبار: من مات قبل الكمال فمراده يجيء إليه كما أن من مات في طريق الكعبة يكتب له أجر حجين انتهى. أشار إلى أن الله تعالى قادر على أن يكمله في عالم البرزخ بواسطة روح من الأرواح أو بالذات

فيصير أمره بعد النقصان الموهوم إلى الكمال المعلوم وقد ثبت في الشرع أن الله تعالى يوكل ملكاً لبعض عباده في القبر فيقرئه القرآن ويعلمه أي: إن كان قد مات أثناء التعلم. وأما غير السالك فلا يجد الترقي بعد الموت أي: بالنسبة إلى معرفة الحق إذ من المتفق شرعاً وعقلاً وكشفاً أن كل كمال لم يحصل للإنسان في هذه النشأة وهذه الدار فإنه لا يحصل له بعد الموت في الدار الآخرة كما في «الفكوك» فما يدل على عدم الترقي بعد الموت من قوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى﴾ إنما هو بالنسبة إلى معرفة الحق لا لمن لا معرفة له أصلاً فإنه إذا انكشف الغطاء ارتفع العمى بالنسبة إلى دار الآخرة ونعيمها وجحيمها والأحوال التي فيها وأما قوله عليه السلام: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله» فهو يدل على أن الأشياء التي يتوقف حصولها على الأعمال لا تحصل وما لا يتوقف عليها بل يحصل بفضل الله ورحمته فقد يحصل وذلك من مراتب الترقي كما في شرح «الفصوص» للمولى الجامي قدس سره فقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] ليس معناه أن ما يحصل للإنسان مقصور على سعيه بل معناه ليس للإنسان إلا ما يمكن أن يكون بسعيه فما يمكن أن يكون بسعيه فهو بسعيه والباقي فضل من الله تعالى كالسعي في مرتبة الملك. وأما الملكوت فلا يمكن إلا بمحض فضل الله فلا مدخل فيه للسعي كما في «الواقعات المحمودية». فعلى العاقل أن يسعى في تحصيل البصيرة قبل أن يخرج من الدنيا ويكون من الذين يشاهدون الله تعالى في كل مرآة من المرايا، وفي «المثنوي»:

اين جهان پر آفتاب ونور ماه ... او بهشته سرفرو برده بچاه
كه اكر حقست كو آن روشنى ... سربر آر ازچاه بنكر اي دنى
جمله عالم شرق وغرب آن نور يافت ... تاتودر چاهى نخواهد برتوتافت
چه رها كن رو بايوان وكروم ... كم ستيز اينجا بدان كاللج شوم
اي بسابيدار چشم وخفته دل ... خودچه بيند چشم اهل آب وكل
وانكه دل بيدار ودارد چشم سر ... كربخسبد بر كشايد صد بصر
كرتو اهل دل نه بيدار باش ... طالب دل باش ودرپيكار باش
وردلت بيدارشدمى خسب خوش ... نيست غائب ناظرت ازهفت وشش
كفت پيغمبركه خسبد چشم من ... ليك كى خسبد دلم اندر وسن
شاه بيدارست حارس خفته كير ... جان فداى خفتكان دل بصير

﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ ذكروا في سبب نزول هذه الآية وجوهاً والأسلم ما في «تفسير الكواشي» من أن المشركين طلبوا من النبي عليه السلام أن يجعل آية رحمة مكان آية عذاب وبالعكس ويمس آلهتهم عند استلام الحجر ويطرد الضعفاء والمساكين عنه ونحو ذلك وأطمعوه في إسلامهم قالوا: فمال إلى بعض ذلك فنزل وإن هي المخففة من المشددة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية أي: أن الشأن قاربوا أن يوقعوك في الفتنة بالاستزلال ويخدعوك. قال الكاشفي: [بكردانند ترا] ﴿عن الذي أوحينا إليك﴾ من الأمر والنهي والوعد والوعيد ﴿لتفتري علينا﴾ أي: لتختلق علينا ﴿غيره﴾ أي: غير الذي أوحينا إليك كما تقدم ﴿وإذاً﴾ أي: ولو اتبعت أهواءهم وفعلت ما طلبوا منك ﴿لاتخذوك خليلا﴾ أي: صديقاً ولياً وكنت لهم ولياً وخرجت من ولايتي.

﴿ولولا أن ثبتناك﴾ أي: ولولا تثبيتنا إياك على الحق وعصمتنا ﴿لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ من الركون الذي هو أدنى ميل فنصبه على المصدرية أي: لقاربت أن تميل إلى اتباع مرادهم شيئاً يسيراً من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن أدركتك العصمة فمنعتك من أن تقرب من أدنى مراتب الركون إليهم فضلاً عن نفس الركون وهو صريح في أنه عليه السلام ما هم بإجابتهم مع قوة الداعي إليها ودليل على أن العصمة بتوفيق الله وعنايته. قال بعض الكبار: إنما سماه قليلاً لأن روحانية النبي عليه السلام كانت في أصل الخلقة غالبة على بشريته إذ لم يكن حينئذٍ لروحه شيء يحجب عن الله فالمعنى لولا التثبيت وقوة النبوة ونور الهداية وأثر نظر العناية لقد كدت تركن إلى أهل الأهواء هوى النفسانية لمنافع الإنسانية قدراً يسيراً لغلبة نور الروحانية وخمود نور البشرية.

﴿إذاً﴾ لو قاربت أن تركن إليهم أدنى ركنة ﴿لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ أي: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لأن خطأ الخطير أخطر وكان أصل الكلام عذاباً ضعفاً في الحياة وعذاباً ضعفاً في الممات بمعنى مضاعفاً ثم حذف الموصوف وأقيمت مقامه الصفة وهو الضعف ثم أضيفت إضافة موصوفها فقيل: ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لأذقناك أليم الحياة وأليم الممات. ﴿ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ يدفع عنك العذاب. [امام ثعلبي آورده كه بعد از نزول اين آيت بحضرت فرمود، اللهم لا تكلني إلى نفسي ولو طرفة عين].

الـــهـــي بـــره خـــوددار مـــارا   دمـی بـانـفـس مـا مـكـذار مـارا

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿وإن كادوا﴾ أي: وإن الشأن قارب أهل مكة ﴿ليستفزونك﴾ يقال: استفزه أزعجه أي: ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم وينزعونك بسرعة وفسر بعضهم الاستفزاز بالاستزلال بالفارسية [بلغزانيد] ﴿من الأرض﴾ أي: الأرض التي أنت فيها وهي أرض مكة ﴿ليخرجوك منها﴾. إن قلت أليس أخرجوه بشهادة قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: ١٣] وقوله عليه السلام حين خرج من مكة متوجهاً إلى المدينة: والله إني لأخرج منك وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله وأكرمها على الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت. قلت: لم يتحقق الإخراج بعد نزول هذه الآية ثم وقع بعده حيث هاجر عليه السلام بإذن الله تعالى وكانوا قد ضيقوه قبل الهجرة ليخرج كما قال الكاشفي: [أهل مكة در اخراج آنحضرت عليه الصلاة والسلام مشاورت كردند ورأى ايشان بران قرار كرفت كه دردشمنى بحد افراط نمايندكه آنحضرت بضرورت بيرون بايد رفت اين آيت نازل شد] ﴿وإذاً﴾ أي: ولئن أخرجت ﴿لا يلبثون خلافك﴾ أي: بعد إخراجك ﴿إلا قليلا﴾ أي: إلا زماناً قليلاً وقد كان كذلك فإنهم أهلكوا ببدر بعد هجرته عليه السلام.

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾

﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ السنة العادة ونصبها على المصدرية أي: سن الله سنة وهي أن يهلك كل أمة أخرجت رسولهم من بين أظهرهم فالسنة لله تعالى وإضافتها إلى

الرسل لأنها سنت لأجلهم على ما ينطق به قوله تعالى: ﴿ولا تجد لسنتنا﴾ أي: لعادتنا بإهلاك مخرجي الرسل من بينهم ﴿تحويلا﴾ أي: تغييراً وفيه إشارة إلى أن من سنة الله تعالى على قانون الحكمة القديمة البالغة في تربية الأنبياء والمرسلين أن يجعل لهم أعداء يبتليهم بهم في إخلاص إبريز جواهرهم الروحانية الربانية عن غش أوصافهم النفسانية الحيوانية وهذا الابتلاء لا يتبدل لأنه مبني على الحكمة والمصلحة والإرادة القديمة وما هو مبني عليها لا يتغير. قال بعض الكبار: أهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم فإن خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك ولأن تصاب في بدنك خير من أن تصاب في قلبك ولعدو ترجع به إلى مولاك خير من حبيب يشغلك عن مولاك وكل بلاء سوط من سياط الله تعالى يسوق إلى حقيقة التوحيد ويقطع أسباب العلاقات فهو لذة في صورة الم، قال الحافظ:

بدرد وصاف تراحكم نيست دم دركش كه هرچه ساقىء ما كرد عين الطافست

واعلم أن النبي عليه السلام لم يتحرك لا في ظاهره ولا في باطنه إلا بتحريك الله تعالى فإلقاء أهل الفتنة لا يؤثر في باطنه المنور بفكر ما وميل لكن الله تعالى أشار إلى لزوم التحفظ والاحتياط في جميع الأمور فإن للإنسان أعداء ظاهرة وباطنة والصابر لا يرى إلا خيراً وهو زوال الابتلاء وهلاك الأعداء كما قال تعالى: ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦] وفي الحديث القدسي: «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة» أي: من أغضب وآذى واحداً من أوليائي وهم المتقون حقيقة التقوى فقد بارزني بالمحاربة لأن الولي ينصر الله فيكون الله ناصره فمن عادى من كان الله ناصره فقد برز لمحاربة الله وظهر.

﴿أقم الصلاة﴾ أدمها ﴿لدلوك الشمس﴾ أي: وقت زوالها أو غروبها يقال: دلكت الشمس دلوكاً غربت أو اصفرت ومالت أو زالت عن كبد السماء كما في «القاموس». ﴿إلى غسق الليل﴾ إلى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الأخيرة والغاسق الليل إذا غاب الشفق والمراد إقامة كل صلاة في وقتها المعين لا إقامتها فيما بين الوقتين على الاستمرار ﴿وقرآن الفجر﴾ أي: صلاة الفجر بالنصب عطفاً على مفعول أقم أو على الإغراء أي: الزم وسميت قرآناً لأنه ركنها كما تسمى ركوعاً وسجوداً فالآية تدل على تفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس ﴿إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ يشهده ويحضره ملائكة الليل وملائكة النهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار. يعني: [فرشتكان شب اورا مشاهده ميكنند ودر آخر ديوان اعمال شب ثبت مى نمايند وملائكة روز اورا مى بينند وافتتاح أعمال روز ثبت ميكنند] وفي وقت الصباح أيضاً شواهد القدرة على تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو أخو الموت بالانتباه.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾

﴿ومن الليل﴾ نصب على الظرفية أي: قم بعض الليل ﴿فتهجد به﴾ أي: أزل والق الهجود وهو النوم فإن صيغة التفعل تجيء للإزالة نحو تأثم أي: جانب الإثم وأزاله ويكون التهجد نوماً من الاضداد والضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد إضافته إلى الفجر أو للبعض المفهوم من قوله ﴿ومن الليل﴾ أي: تهجد في ذلك البعض على أن الباء بمعنى في ﴿نافلة لك﴾ النفل في الأصل بمعنى الزيادة أي: فريضة زائدة على الصلوات الخمس

المفروضة خاصة بك دون الأمة كما روت عائشة رضي الله عنها «ثلاث علي فريضة وهي سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل» أو تطوعاً لزيادة الدرجات بخلاف تطوع الأمة فإنه لتكفير الذنوب وتدارك الخلل الواقع في فرائضهم كما قال قتادة ومجاهد أن الوجوب قد نسخ في حقه عليه السلام كما نسخ في حق الأمة فصارت الأمور المذكورة نافلة لأن الله تعالى قال: ﴿نافلة لك﴾ ولم يقل عليك وانتصاب نافلة على المصدرية بتقدير تنفل ﴿عسى﴾ في اللغة للطمع والطمع والاشفاق من الله كالواجب. قال الكاشفي: [شايد والبته چنين بود] ﴿أن يبعثك ربك﴾ من القبر فيقيمك ﴿مقاما محمودا﴾ عندك وعند جميع الناس وهو مقام الشفاعة العامة لأهل المحشر يغبطه به الأولون والآخرون لأن كل من قصد من الأنبياء للشفاعة يحيد عنها ويحيل على غيره حتى يأتوا محمداً للشفاعة فيقول: أنا لها ثم يشفع فيشفع فيمن كان من أهلها [صاحب فتوحات آورده كه مقام محمود مقاميست مرجع جميع مقامات ومنظر تمام أسماء الهية وآن خاصه حضرت محمد است وباب شفاعت درين مقام كشاده ميشود].

اي ذات تودردو كون مقصود وجود نام تو محمد ومقامت محمود

والآية رد على المعتزلة المنكرين للشفاعة زعماً أنها تبليغ غير المستحق للثواب إلى درجة المستحقين للثواب وذلك ظلم ولم يعلموا أن المستحق للثواب والعقاب من جعله الله لذلك مستحقاً بفضله وعدله ولا واجب لأحد على الله بل هو يتصرف في عباده على حكم مراده فإن قالت المعتزلة: رويتم عن النبي عليه السلام: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» فعلى هذا المستحق للشفاعة إنما هو من قتل النفس وزنى وشرب الخمر فإن أصحاب الكبائر هؤلاء وهذا إغراء ظاهر لخلق الله على مخالفة أوامره. فالجواب أنه ليس فيه إغراء وإنما فيه أن صاحب الكبائر مع قربه من عذاب الله واستحقاقه عقوبته تستدركه شفاعتي وتنجيه عنايتي وينقذه أرحم الراحمين بحرمتي ومكانتي ففيه مدح الرسول ﷺ نفسه بما له عند الله تعالى من الدرجة الرفيعة والوسيلة فإذا كان حكم صاحب الكبائر هذا فكيف ظنك بصاحب الصغيرة ودعواهم بأن يكون ظلماً قلت: أليس خلقه الله وخلق له القدرة على ارتكاب الكبائر ومكنه منها ولم يكن ذلك إغراء منه على ارتكاب الكبائر كذلك في حق الرسول ﷺ كذا في «الأسئلة المقحمة». وفي «المثنوي»:

كفت پيغمبركه روز رستخيز كى كذارم مجرمانرا اشك ريز
من شفيع عاصيان باشم بجان تارهانم شان زاشكنجه كران
عاصيان وأهل كبائر رابجهد وارهانم ازعتاب ونقض عهد
صالحان امتم خود فارغند از شفاعتهاي من روز كزند
بلكه ايشانرا شفاعتها بود كفت شان چون حكم نافذمى رود

ثم الآية ترغيب لصلاة التهجد وهي ثمان ركعات قالت عائشة رضي الله عنها: ما كان يزيد رسول الله ﷺ في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً» وقال الشيخ عبد الرحمٰن البسطامي قدس سره في «ترويح القلوب»: إذا دخل الثلث الأخير من الليل يقوم ويتوضأ ويصلي التهجد ثنتي عشرة ركعة يقرأ فيها بما شاء وأراد من حزبه وكان عليه الصلاة والسلام يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة يوتر بخمس لا يجلس إلا في آخرهن انتهى وفي

الحديث: «أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل».

دلابر خيز وطاعت كن كه طاعت به زهركارست
سعادت آنكسى داردكه وقت صبح بيدارست
خروسان در سحر كوينده قم يا أيها الغافل
تو ازمستى نمى دانى كسى داندكه هشيارست

وعن ابن عباس رضي الله عنهما:

إذا كثر الطعام فحذروني فإن القلب يفسده الطعام
إذا كثر المنام فنبهوني فإن العمر ينقصه المنام
إذا كثر الكلام فسكتوني فإن الدين يهدمه الكلام
إذا كثر المشيب فحرّكوني فإن الشيب يتبعه الحمام

وفي الخبر: «إذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فإن قعد وذكر الله انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة أخرى وإن صلى ركعتين انحلت العقد كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح كسلان خبيث النفس» وليل القائم يتنور بنور عبادته كوجهه.

ـ يحكى ـ عن شاب عابد أنه قال: نمت عن وردي ليلة فرأيت كأنّ محرابي قد انشق وكأني بجوار قد خرجن من المحراب لم أر أحسن أوجهاً منهن وإذا واحدة فيهن شوهاء أي: قبيحة لم أر أقبح منها منظراً فقلت: لمن أنتن ولمن هذه؟ فقلن: نحن لياليك التي مضين وهذه ليلة نومك فلو مت في ليلتك هذه لكانت هذه حظك. وكان بعض الصالحين يقوم الليل كله ويصلي صلاة الصبح بوضوء العشاء كأبي حنيفة رحمه الله ونحوه. قال بعضهم: لأن أرى في بيتي شيطاناً أحب إلي من أن أرى وسادة فإنها تدعو إلى النوم. وقال بعض العارفين إن الله يطلع على قلوب المستيقظين بالأسحار فيملأها نوراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم إلى قلوب الغافلين.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾

﴿وقل رب أدخلني﴾ القبر ﴿مدخل صدق﴾ أي: إدخالاً مرضياً على طهارة وطيب من السيآت ﴿وأخرجني﴾ منه عند البعث ﴿مخرج صدق﴾ أي: إخراجاً مرضياً ملقى بالكرامة آمناً من السخط يدل على هذا المعنى ذكره أثر البعث. فالمدخل والمخرج مصدران بمعنى الإدخال والإخراج والإضافة إلى الصدق لأجل المبالغة نحو حاتم الجود أي: إدخالاً يستأهل أن يسمي ادخالاً ولا يرى فيه ما يكره لأنه في مقابلة مدخل سوء ومخرج سوء وقيل المراد إدخال المدينة والإخراج من مكة فيكون نزولها حين أمر بالهجرة ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليستفزونك﴾ وقيل: إدخاله في كل ما يلابسه من مكان أوامر وإخراجه منه ورجح الأكثرون هذا الوجه فالمعنى حيثما أدخلتني وأخرجتني فليكن بالصدق مني ولا تجعلني ذا وجهين فإن ذا الوجهين لا يجوز أن يكون أميناً ﴿واجعل لي من لدنك﴾ من خزائن نصرك ورحمتك ﴿سلطانا﴾ برهاناً وقهراً ﴿نصيرا﴾ ينصرني من أعداء الدين أو ملكاً وعزا ناصراً للإسلام مظهراً له على الكفر فأجيبت دعوته بقوله: والله يعصمك من الناس فإن حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الأرض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعل له وعنه عليه

السلام أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال: «انطلق فقد استعملتك على أهل الله» وكان شديداً على المريب ليناً على المؤمن وقال: لا والله لا أعلم متخلفاً يتخلف من الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عن الصلاة إلا منافق فقال أهل مكة: يا رسول الله لقد استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد أعرابياً جافياً فقال عليه السلام: «إني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقها قلقاً شديداً حتى فتح له فدخلها» فأعز الله الإسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير.

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾

﴿وقل جاء الحق﴾ الإسلام والقرآن ﴿وزهق الباطل﴾ من زهق روحه إذا خرج أي: ذهب وهلك الشرك والشيطان:

ديو بكريزد ازان قوم كه قرآن خوانند

إمام قشيري قدس سره [فرموده حق آنست كه براى خداى بود وباطل آنكه بغير او باشد صاحب تأويلات بر آنست كه حق وجود ثابت واجبست عز شانه كه ازلي وابديست وباطل وجود بشرىء امكانى كه قابل زوال وفناست وچون اشعه لمعات وجود حقاني ظاهر كردد وجود موهوم ممكن درجنب آن متلاشى ومضمحل شود].

همه هرچه هستند ازان كمترند كه باهستيش نام هستى برند
چو سلطان عزت علم بركشد جهان سربجيب عدم دركشد

﴿إن الباطل﴾ كائناً ما كان ﴿كان زهوقا﴾ أي: شأنه أن يكون مضمحلاً غير ثابت. عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل ينكت بمخصرة كانت بيده في عين واحد واحد ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل» فينكب لوجهه حتى ألقي جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال: «يا علي ارم به» فصعد فرمي به فكسره.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾

﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء﴾ لما في الصدور من أدواء الريب وإسقام الأوهام ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ به فإنهم ينتفعون به ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء فإن كل القرآن في تقويم دين المؤمنين واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ أي: لا يزيد القرآن الكافرين المكذبين به الواضعين للأشياء في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفاء من الأسقام إلا هلاكاً بكفرهم وتكذيبهم. وفيه إيماء إلى أن ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم في أثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الأمراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك. وفيه تعجيب من أمره حيث يكون مداراً للشفاء والهلاك كبعض المطر يكون درا وسما باستعداد المحل وعدم استعداده، قال الحافظ:

كوهر پاك ببايدكه شود قابل فيض ورنه هرسنك وكلى لؤلؤ ومرجان نشود

واعلم أن القرآن شفاء للمرض الجسماني أيضاً روي أنه مرض للأستاذ أبي القاسم القشيري قدس سره ولد مرضاً شديداً بحيث أيس منا فشق ذلك على الأستاذ فرأى الحق

سبحانه في المنام فشكا إليه فقال الحق تعالى: اجمع آيات الشفاء واقرأها عليها واكتبها في إناء واجعل فيه مشروباً واسقه إياه ففعل ذلك فعوفي الولد وآيات الشفاء في القرآن ست ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]، ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]. قال تاج الدين السبكي رحمه الله في طبقاته: ورأيت كثيراً من المشايخ يكتبون هذه الآيات للمريض ويسقاها في الإناء طلباً للعافية وقوله عليه السلام: «من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله» يشمل الاستشفاء به للمرض الجسماني والروحاني. قال الشيخ التميمي رحمه الله في «خواص القرآن»: إذا كتبت الفاتحة في إناء طاهر ومحيت بماء طاهر وغسل المريض وجهه عوفي بإذن الله فإذا شرب من هذا الماء من يجد في قلبه تقلباً أو شكاً أو رجيفاً أو خفقاناً يسكن بإذن الله وزال عنه ألمه وإذا كتبت بمسك في إناء زجاج ومحيت بماء ورد وشرب ذلك الماء البليد الذي لا يحفظ يشربه سبعة أيام زالت بلادته وحفظ ما يسمع. فعلى العاقل أن يتمسك بالقرآن ويداوي به مرضه وقد ورد: «القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما داؤكم فذنوبكم وأما دواؤكم فالاستغفار» فلا بد من معرفة المرض أولاً فإنه ما دام لم يعرف نوعه لا تتيسر المعالجة وأهل القرآن هم الذين يعرفون ذلك فالسلوك بالوسيلة أولى.

﴿**وإذا أنعمنا**﴾ [وچون أنعام كنيم ما] ﴿**على الإنسان**﴾ بالصحة والسعة ﴿**أعرض**﴾ [روي بكرداند ازشكرما] ﴿**ونأى بجانبه**﴾ [وبنفس خود دور شود وكرانه كيرد يعني تكبر وتعظم نمايد واز طريق حق برطرف كردد] فهو كناية عن الاستكبار والتعظم لأن نأي الجانب وتحويل الوجه من ديدن المستكبرين يقال: نأيته وعنه بعدت وكذا ناءٍ ﴿**وإذا مسه الشر**﴾ من فقر أو مرض أو نازلة من النوازل وفي إسناد المساس إلى الشر بعد إسناد الإنعام إلى ضمير الجلالة إيذان بأن الخبر مراد بالذات والشر ليس كذلك ﴿**كان يؤوساً**﴾ شديد اليأس من روح الله وفضله وهذا وصف للجنس باعتبار بعض أفراده ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١] ونظائره فإن ذلك شأن بعض منهم.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

﴿**قل كل**﴾ من المؤمنين والكافرين ﴿**يعمل**﴾ عمله ﴿**على شاكلته**﴾ طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة، يعني: [هركس آن كندكه ازوسزد]:

هركسى آن كند كزوسايد

من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تشعب منه. قال في «القاموس»: الشاكلة الشكل والناحية والنية والطريقة والمذهب ﴿**فربكم**﴾ الذي برأكم على هذه الطبائع المختلفة ﴿**اعلم بمن هو أهدى سبيلا**﴾ أسدّ طريقاً وأبين منهاجاً أي: يعلم المهتدي والضال فيجازي كلاً بعمله. وفي الآية إشارة إلى أن الأعمال دلائل الأحوال، وفي «المثنوي»:

درزمين كرنيشكر ورخودنيست ترجمان هرزمين نبت ويست

فمن وجد نفسه في خير وطاعة وشكر فليحمد الله تعالى كثيراً ومن وجدها في شر وفسق وكفران ويأس فليرجع قبل أن يخرج الأمر من يده.

ـ روي ـ أن ملكاً صاحب زينة واسع المملكة كثير الخزينة اتخذ ضيافة وجمع أمراءه وأحضر ألوان الأطعمة والأشربة فلما أرادوا التناول إذا طرق رجل حلقة الباب بحيث تزلزل السرير فقال له الغلمان: ما هذا الحرص وسوء الأدب أيها الفقير اصبر حتى نأكل ونطعمك فقال: ما لي حاجة إلى طعامكم وإنما أريد الملك فقالوا: ما لك وللملك فطرق ثانياً أشد من الأول فقصدوا إليه بالسلاح فصاح صيحة وقال: مكانكم أنا ملك الموت جئت أقبض روح ملك دار الفناء فبطلت حواسهم وقواهم عن الحركة فاستمهل الملك فأبى فتأسف وقال: لعن الله المال فإنه غرني فاليوم خرجت صفر اليد وبقي نفعه للأعداء وحسابه وعذابه عليّ فأنطق الله المال فقال: لا تلعنني بل العن نفسك فإني كنت مسخراً لك وكنت مختاراً فالآن لم تترك الظلم لاعتيادك حتى تسب البريء والمذنب أنت ففي هذه الحكاية أمور:

الأول: أن الله تعالى أنعم على هذا الملك بالملك والمال والجاه والجلال فأعرض عن شكرها ولم يقيدها به، سعدي:

خردمند طبعان منت شناس بدوزند نعمت بميخ سپاس

والثاني: أنه مسه الموت فكان يؤوساً من فضل الله حيث اشتغل باللعن والسب بدل التوبة والتوجه إلى الله تعالى والله تعالى يقبل توبة عبده ما لم يغرغر، سعدي:

طريقي بدست آر وصلحى بجوى شفيعي برا نكيز وعذري بكوى
كه يكلحظه صورت نبندد امان چون پيمانه پرشد بدور زمان

والثالث: أنه عمل على شاكلته فجوزي الشر إذ لم يكن له استعداد لغيره.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

﴿ويسألونك﴾ [آورده اندكه كفار عرب نضر بن حارث وأبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط را بمدينه فرستادند تا ازيهود يثرب استفسار حال حضرت پيغمبر عليه السلام نمايند چون باايشان ملاقات كرده احوال باز كفتند يهود متعجب شد كفتند اي صناديد عرب ما دانسته ايم كه زمان ظهور پيغمبرى نزديكست وازسخنان شما رائحه أحوال آن نبي استشمام ميتوان كرد شما بجهت آزمايش ازوپرسيدكه طواف مشرق ومغرب كه كرده وأحوال جوانان كه درزمان پيشين كم شدند چكونه است وروح چيست اكرهرسه سؤال راجواب دهد يا هيچ كدام را جواب ندهد بدانيدكه او پيغمبر نيست واكر دوراجواب دهد وازروح هيچ نكويد پيغمبراست ايشان بمكه آمده مجلس ساختند وازان حضرت سؤال كردند آن دو سؤال را جواب داد ودر قصه روح اين آيت نازل شد]﴿ويسألونك﴾ أي: اليهود﴿عن الروح﴾ الذي هو روح البدن الإنساني ومبدأ حياته سألوه عن حقيقته فأجيبوا بقوله:﴿قل الروح من أمر ربي﴾ أي: من جنس ما استأثر الله بعلمه من الأسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر فالأمر واحد الأمور بمعنى الشأن والإضافة للاختصاص العلمي لا الإيجادي لاشتراك الكل فيه كذا في «الإرشاد». وقال البيضاوي من الإبداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من أصل كأعضاء

جسده انتهى.

اعلم أن ما تعلق به الإيجاد ودخل تحت الوجود فإما أن يكون حصوله ووجوده لا من مادة ولا في مدة فهو المبدعات كالمجردات فهي موجودة من كل وجه بالفعل وليس لها حالة منتظرة الوجود وهي مظاهر للأسماء التي بحركة بعضها يتقدر الزمان وإما من مادة وفي مدة فهي المسميات بالمحدثات وهي العناصر والمركبات منها وإما في مدة لا من مادة فقيل لا وجود لهذا القسم لأن كل ما يتحصل في مدة لا بد وأن يكون من مادة إلا على قول من ذهب بحدوث النفس الناطقة عند حدوث البدن وهذه الأقسام الباقية مظاهر الأسماء المتغيرة الأحكام على الوجه الذي اطلع عليه أهل الله ذكره داود القيصري قدس سره. قال: حضرت شيخي وسندي روح الله روحه الطاهر في شرح تفسير الفاتحة للشيخ صدر الدين القنوي قدس سره الخلق عالم العين والكون والحدوث روحاً وجسماً والأمر عالم العلم والاله والوجوب وعالم الخلق تابع لعالم الأمر إذ هو أصله ومبدأه قل الروح من أمر ربي انتهى وسيجيء غير هذا ﴿**وما أوتيتم**﴾ أيها المؤمنون والكافرون كما في «تفسير الكواشي» ﴿**من العلم إلا قليلا**﴾ لا يمكن تعلقه بأمثال ذلك أي: إلا علماً قليلاً تستفيدونه من طرق الحواس فإن اكتساب العقل للمعارف النظرية إنما هو من الضروريات المستفادة من إحساس الجزئيات ولذلك قيل: من فقد حساً فقد علماً ولعل أكثر الأشياء لا يدركه الحس ولا شيئاً من أحوال المعرفة لذاته وهو إشارة إلى أن الروح مما لم يمكن معرفة ذاته إلا بعوارض تميزه عما يلتبس به. قال في «بحر العلوم» الخطاب في ﴿**وما أوتيتم**﴾ عام ويؤيده ما روي أن رسول الله ﷺ لما قال لهم ذلك قالوا: أنحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال: «بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلاً» فقالوا: ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وساعة تقول هذا فنزلت ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧] وما قالوه باطل مردود فإن علم الحادث في جنب علم القديم قليل إذ علم العباد متناه وعلم الله لا نهاية له والمتناهي بالنسبة إلى غير المتناهي كقطرة بالإضافة إلى بحر عظيم لا غاية له. قال بعض الكبار: علم الأولياء من علم الأنبياء بمنزلة قطرة من سبعة أبحر وعلم الأنبياء من علم نبينا محمد عليه السلام بهذه المثابة وعلم نبينا من علم الحق سبحانه بهذه المنزلة فالعلم الذي أوتيه العباد وإن كان كثيراً في نفسه لكنه قليل بالنسبة إلى علم الحق تعالى: [شيخ أبو مدين مغربي قدس سره فرمودكه اين اندكى كه خداى تعالى داده است از علم نه ازان ماست بلكه عاريتست نزديك ما وبسياري آن برسيده ايم پس على الدوام جاهلاً نيم وجاهل را دعوى دانش نرسد] قال المولى الجامي:

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمت وألهمت لنا الهاما

قال في «الكواشي»: اختلفوا في الروح وماهيته ولم يأت أحد منهم على دعواه بدليل قطعي غير أنه شيء بمفارقته يموت الإنسان وبملازمته له يبقى انتهى. يقول الفقير: الروح سلطاني وحيواني والأول من عالم الأمر ويقال له المفارق أيضاً لمفارقته عن البدن وتعلقه به تعلق التدبير والتصرف وهو لا يفنى بخراب هذا البدن وإنما يفنى تصرفه في أعضاء البدن ومحل تعينه هو القلب الصنوبري والقلب من عالم الملكوت والثاني من عالم الخلق ويقال له: القلب والعقل والنفس أيضاً وهو سار في جميع أعضاء البدن إلا أن سلطانه قوي في الدم فهو

أقوى مظاهره ومحل تعينه هو الدماغ وهو إنما حدث بعد تعلق الروح السلطاني بهذا الهيكل المحسوس فهو من انعكاس أنوار الروح السلطاني وهو مبدأ الأفعال والحركات فإن الحياة أمر مغيب مستور في الحي لا يعلم إلا بآثاره كالحس والحركة والعلم والإرادة وغيرها ولولا هذا الروح ما صدر من الإنسان ما صدر من الآثار المختلفة لأنه بمنزلة الصفة من الذات فكما أن الأفعال الإلهية تبتني على اجتماع الذات بالصفة كذلك الأفعال الإنسانية تتفرع من اجتماع الروح السلطاني بالروح الحيواني وكما أن الصفات الإلهية الكمالية كانت في باطن غيب الذات الأحدية قبل وجود هذه الأفعال والآثار كذلك هذا الروح الحيواني كان بالقوة في باطن الروح السلطاني قبل تعلقه بهذا البدن فإذا عرفت هذا وقفت على معنى قوله عليه السلام: «أولياء الله لا يموتون بل ينقلون من دار إلى دار» لأن الانتقال كالانسلاخ حال الفناء التام. وللروح خمسة أحوال:

حالة العدم: قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١] الآية.

وحالة الوجود في عالم الأرواح قال الله تعالى: «خلقت الأرواح قبل الأجساد بألفي سنة».

وحالة التعلق: قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩].

وحالة المفارقة: قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وحالة الإعادة: قال: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٢١].

أما فائدة حالة العدم فلحصول المعرفة بحدوث نفسه وقدم صانعه.

وأما فائدة حالة الوجود في عالم الأرواح فلمعرفة الله بالصفات الذاتية من القادرية والحياتية والعالمية والموجودية والسميعية والبصيرية والمتكلمية والمريدية.

وأما فائدة تعلقه بالجسد فلاكتساب كمال المعرفة في عالم الغيب والشهادة من الجزئيات والكليات.

وأما فائدة نفخ الروح في البدن فلحصول المعرفة بالصفات الفعلية من الرزاقية والتوابية والغفارية والرحمانية والرحيمية والمنعمية والمحسنية والوهابية.

وأما فائدة حالة المفارقة فلدفع الخبائث التي حصلت للروح بصحبة الأجسام ولشرب الذوق في مقام العندية.

وأما فائدة حالة الإعادة فلحصول التنعمات الأخروية.

وفي «التأويلات النجمية»: إن الله تعالى خلق العوالم الكثيرة ففي بعض الروايات خلق ثلاثمائة وستين ألف عالم ولكنه جعلها محصورة في عالمين اثنين وهما الخلق والأمر كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فعبر عن عالم الدنيا وما يدرك بالحواس الخمس الظاهرة وهي: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس بالخلق وعبّر عن عالم الآخرة وهو ما يدرك بالحواس الخمس الباطنة وهي العقل والقلب والسر والروح والخفي بالأمر فعالم الأمر هو الأوليات العظائم التي خلقها الله تعالى للبقاء من الروح والعقل والقلم واللوح والعرش والكرسي والجنة والنار ويسمى عالم الأمر أمراً لأنه أوجده بأمر كن من لا شيء بلا واسطة شيء كقوله: ﴿خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ١] ولما كان أمره قديماً فما كوّن بالأمر القديم وإن كان حادثاً كان باقياً وسمي عالم الخلق خلقاً لأنه أوجده بالوسائط من شيء كقوله:

﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فلما أن الوسائط كانت مخلوقة من شيء مخلوق سماه خلقاً خلقه الله للفناء فتبين أن قوله: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ إنما هو لتعريف الروح معناه أنه من عالم الأمر والبقاء لا من عالم الخلق والفناء وأنه ليس للاستبهام كما ظن جماعة أن الله تعالى أبهم علم الروح على الخلق واستأثره لنفسه حتى قالوا: إن النبي عليه السلام لم يكن عالماً به جل منصب حبيب الله عن أن يكون جاهلاً بالروح مع أنه عالم بالله وقد منّ الله عليه بقوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] احسبوا أن علم الروح مما لم يكن يعلمه ألم يخبر أن الله علمه ما لم يكن يعلم فأما سكوته عن جواب سؤال الروح وتوقفه انتظاراً للوحي حين سألته اليهود فقد كان لغموض يرى في معنى الجواب ودقة لا تفهمها اليهود لبلادة طباعهم وقساوة قلوبهم وفساد عقائدهم فإنه وما يعقلها إلا العالمون وهم أرباب السلوك والسائرون إلى الله فإنهم لما عبروا عن النفس وصفاتها ووصلوا إلى حريم القلب عرفوا النفس بنور القلب ولما عبروا بالسر عن القلب وصفاته ووصلوا إلى مقام السر عرفوا بعلم السر القلب وإذا عبروا عن السر ووصلوا إلى عالم الروح عرفوا بنور الروح السر وإذا عبروا عن عالم الروح ووصلوا إلى منزل الخفي عرفوا بشواهد الحق الروح وإذا عبروا عن منزل الخفي ووصلوا إلى ساحل بحر الحقيقة عرفوا بأنوار صفات مشاهدات الجميل الخفي وإذا فنوا بسطوات تجلي صفات الجلال عن أنانية الوجود ووصلوا إلى لجة بحر الحقيقة كوشفوا بهوية الحق تعالى وإذا استغرقوا في بحر الهوية وأبقوا ببقاء الألوهية عرفوا الله بالله فإذا كان هذا حال الولي فكيف حال من يقول: علمت ما كان وما سيكون.

واعلم أن الروح الإنساني وهو أول شيء تعلقت به القدرة جوهرة نورانية ولطيفة ربانية من عالم الأمر وعالم الأمر هو الملكوت الذي خلق من لا شيء وعالم الخلق هو الملك الذي خلق من شيء كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وما خلق الله من شيء والعالم عالمان يعبر عنهما بالدنيا والآخرة والملك والملكوت والشهادة والغيب والصورة والمعنى والخلق والأمر والظاهر والباطن والأجسام والأرواح ويراد بهما ظاهر الكون وباطنه فثبت بالآية أن الملكوت الذي هو باطن الكون خلق من لا شيء إذ ما عداه من الملك خلق من شيء وأما قوله ﷺ: «أول ما خلق الله جوهرة» «وأول ما خلق الله روحي» «وأول ما خلق الله العقل. وأول ما خلق الله القلم». وقول بعض الكبراء من الأئمة: إن أول المخلوقات على الإطلاق ملك كروبي يسمى العقل وهو صاحب القلب وتسميته قلماً كتسمية صاحب السيف سيفاً كما قيل لخالد بن وليد رضي الله عنه سيف الله وهو أول لقب في الإسلام وقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨] وقد جاء في الخبر «إن الروح ملك يقوم صفاً» فلا يبعد أن يكون هذا الملك العظيم الذي هو أول المخلوقات هو الروح النبوي فإن المخلوق الأول مسمى واحد وله أسماء مختلفة فبحسب كل صفة فيه سمي باسم آخر ولا ريب أن أصل الكون كان النبي عليه السلام لقوله: «لولاك لما خلقت الكون» فهو أولى أن يكون أصلاً وما سواه أولى أن يكون تبعاً له لأنه كان بالروح بذر شجرة الموجودات فلما بلغ أشده وبلغ أربعين سنة كان بالجسم والروح ثمرة شجرة الموجودات وهي سدرة المنتهى فكما أن الثمرة تخرج من فرع الشجرة كان خروجه إلى قاب قوسين أو أدنى ولهذا قال: «نحن الآخرون السابقون» يعني: الآخرون بالخروج كالثمرة والسابقون بالخلق كالبذر فيلزم من ذلك أن يكون

روحه ﷺ أول شيء تعلقت به القدرة وأن يكون هو المسمى بالأسماء المختلفة فباعتبار أنه كان درة صدف الموجودات سمي درة وجوهرة كما جاء في الخبر «أول ما خلق الله جوهرة» وفي رواية «درة فنظر إليها فذابت فخلق منها كذا وكذا» وباعتبار نورانيته سمي نوراً وباعتبار وفور عقله سمي عقلاً وباعتبار غلبات الصفات الملكية عليه سمي ملكاً وباعتبار أنه صاحب القلم سمي قلماً وكيف يظن به عليه السلام أنه لم يكن عارفاً بالروح والروح هو نفسه وقد قال: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» والأرواح كلها خلقت من روح النبي ﷺ وأن روحها أصل الأرواح ولهذا سمي أمياً أي: أنه أم الأرواح فكما كان آدم عليه السلام أبا البشر كان النبي عليه السلام أبا الأرواح وأمها كما كان آدم أباً وحوا أمها وذلك أن الله تعالى لما خلق روح النبي عليه السلام كان الله ولم يكن معه شيء إلا روحه وما كان شيء آخر حتى ينسب روحه إليه أو يضاف إليه غير الله فلما كان روحه أول باكورة أثمرها الله تعالى بإيجاده من شجرة الوجود وأول شيء تعلقت به القدرة شرفه بتشريف إضافته إلى نفسه تعالى فسماه روحي كما سمي أول بيت من بيوت الله وضع للناس وشرفه بالإضافة إلى نفسه فقال له بيتي ثم حين أراد أن يخلق آدم سواه ونفخ فيه من روحه أي: من الروح المضاف إلى نفسه وهو روح النبي ﷺ كما قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩] فكان روح آدم من روح النبي عليه السلام بهذا الدليل وكذلك أرواح أولاده لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة: ٩٨] وقال في عيسى ابن مريم عليه السلام: «ونفخنا فيه من روحنا» فكانت النفخة لجبريل وروحها من روح النبي عليه السلام المضاف إلى الحضرة وهذا أحد أسرار قوله: «آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة» ثم قوله تعالى: ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾ راجع إلى اليهود الذين سألوا النبي عليه السلام عن الروح يعني أنكم سألتموني وقد أجبتكم أنه من أمر ربي ولكنكم ما تفقهون كلامي لأني أخبركم عن عالم الآخرة وعن الغيب وأنتم أهل الدنيا والحس وعلمها قليل بالنسبة إلى الآخرة وعلمها فإنكم عن علمها غافلون كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٧] انتهى ما في «التأويلات» باختصار.

﴿**ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك**﴾ اللام الأولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد جوابي القسم والشرط والمعنى والله إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور فلم نترك منه أثراً وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب وهذا الكلام وارد على سبيل الفرض والمحال يصح فرضه لغرض فكيف ما ليس بمحال ﴿**ثم لا تجد لك به**﴾ بالقرآن أي: بعد ذهابه كما قال الكاشفي: [پس نيابي تو براي خود بآن يعني نيابي بعد ازبردن آن] ﴿**علينا وكيلا**﴾ [وكيلي كه آنرا استرداد برما كند وبسينها ومصحفها باز آرد] وعلينا متعلق بوكيلاً.

﴿**إلا رحمة من ربك**﴾ إلا أن يرحمك ربك فيرد عليك كأن رحمته تتوكل عليك بالرد فالاستثناء متصل. وقال الكاشفي: [ليكن رحمتست از پروردكار توكه آنرا باقي ميكذارد ومحو نمى كند] فالاستثناء منقطع. وفي «الكواشي» إلا رحمة مفعول له أي: حفظناه عليك للرحمة ثم قال: وهذا خطاب له عليه السلام والمراد غيره ﴿**إن فضله كان عليك كبيرا**﴾ بإرسالك وإنزال الكتاب عليك وإبقائه في حفظك. قال الكاشفي: [بدرستى كه فضل اوست برتو بزرك

كه تراسيد ولد آدم ساخته وختم پيغمبران كردانيد ولواء حمد ومقام محمود بتوداد وقرآن بتو فرستاده درميان امت نوباقى ميكذارد ومحو نمى سازد].

﴿قل﴾ للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل بل يزعمون أنه من كلام البشر ﴿لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ أي: اتفقوا ﴿على أن يأتوا﴾ [بيارند] ﴿بمثل هذا القرآن﴾ في البلاغة وكمال المعنى وحسن النظم والاخبار عن الغيب وفهم العرب العرباء وأرباب البيان وأهل التحقيق وتخصيص الثقلين بالذكر لأن التحدي معهما لا مع الملائكة إذ المنكر لكونه من عند الله منهما لا من غيرهما وإلا فلا يقدر على إتيان مثله إلا الله تعالى وحده. وفي «عين الحياة» لفظ الجن يتناول الملائكة وكل من لم يدركه حس البصر لأنهم مستورون عن البصر يقال جن بترسه إذا ستر به ولذا قيل للترس المجن. وفي «بحر العلوم» ذكر الإنس والجن دون الملائكة إشارة إلى أن من شأن الثقلين أن يجتمعوا على المحال بخلاف الملائكة إذ ليس من شأنهم ذلك ﴿لا يأتون بمثله﴾ بكلام مماثل له في صفاته البديعة وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولاها لكان جواباً له بغير جزم لكون الشرط ماضياً.

قال في «التأويلات النجمية»: وإنما قال: لا يأتون بمثله لأنه ليس لكلام الله تعالى مثل إذ كلامه صفته وكما أنه ليس لذاته مثل فكذلك ليس لصفاته مثل لأنها قديمة قائمة بذاته تبارك وتعالى وصفات المخلوقات مخلوقة قابلة للتغيير والفناء ﴿ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ مظاهراً ومعاوناً في الإتيان بمثله أي: لم يكن بعضهم ظهيراً لبعض ولو كان إلخ.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾﴾

﴿ولقد صرفنا﴾ أي: بالله قد رددناه وكررناه بوجوه مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان ووكادة رسوخ واطمئنان ﴿للناس في هذا القرآن﴾ المنعوت بالنعوت الفاضلة ﴿من كل مثل﴾ من كل معنى بديع هو كالمثل في الغرابة والحسن واستجلاب النفس ليتلقوه بالقبول ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾ جحوداً وإنكاراً للحق وإنما جاز الاستثناء من الموجب مع أنه لا يصح ضربت إلا زيداً لأنه متأول بالنفي مثل لم يرد ولم يرض وما قبل وما اختار.

وفي الآية فوائد:

منها: أن القرآن العظيم أجل النعم وأعظمها فوجب على كل عالم وحافظ أن يقوم بشكره ويحافظ على أداء حقوقه قبل أن يخرج الأمر من يده. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وإن هذا القرآن تصبحون يوماً وما فيكم منه شيء فقال رجل: كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نعلم أبناءنا ويعلم أبناؤنا أبناءهم فقال يسري عليه ليلاً فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب تعالى: ما لك؟ فيقول: يا رب أتلى ولا يعمل بي أتلى ولا يعمل بي وفي الحديث: «ثلاثة هم الغرباء في الدنيا القرآن في جوف الظالم والرجل الصالح في قوم سوء والمصحف في بيت لا يقرأ منه»، قال الشيخ سعدي:

علم چندانكه بيشتر خوانى چون عمل نيست نادانى
نه محقق بود نه دانشمند چار پايى برو كتاب چند
آن تهى مغزراچه علم وخبر كه برو هيزمست ويا دفتر

وقال:

عالم اندرميان جاهل را مثلى كفته اند صديقان
شاهدي درميان كورانست مصحفي درسيان زنديقان

ومنها: أنه ليس في استعداد الإنسان ولا في مخلوق غيره أن يأتي بكلام جامع مثل كلام الله تعالى له عبارة في غاية الجزالة والفصاحة وإشارة في غاية الدقة والحذاقة ولطائف في غاية اللطف والنظافة وحقائق في غاية الحقية والنزاهة. قال جعفر بن محمد الصادق ـ رضي الله عنهما ـ عبارة القرآن للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء، وفي «المثنوي»:

خوش بيان كرد آن حكيم غزنوى بهر محجوبان مثال معنوى
كه زقر آن كرنه بيند غير قال اين عجب نبود ز اصحاب ضلال
كز شعاع آفتاب پر زنور غير كرمى مى نيابد چشم كور
تو زقرآن اي پسر ظاهر مبين ديو آدم را نبيند جزكه طين
ظاهر قرآن چو شخص آدميست كه نقوشش ظاهر وجانش خفيست

اعلم أن القرآن غير مخلوق لأنه صفة الله تعالى وصفاته بأسرها أزلية غير مخلوقة. قال أبو حنيفة رحمه الله: فمن قال إنها مخلوقة أو وقف فيها أو شك فيها فهو كافر بالله وما ذكر من الوجوه الدالة على حدوث اللفظ فهو غير المتنازع فيه عند الأشعرية والمنصورية أيضاً كمن قال بأن كلامه تعالى حرف وصوت يقومان بذاته ومع ذلك قديم وأعجب من هذا قولهم الجلد والعلاقة قديمان أيضاً. وفي «الفتوحات المكية»: قدس الله سر مصدرها أن المفهوم من كون القرآن حروفاً أمران الأمر الواحد يسمى قولاً وكلاماً ولفظاً والأمر الآخر يسمى كتابة ورقماً وخطا والقرآن يخط فله حروف الرقم وينطق به فله حروف اللفظ فهل يرجع كونه حروفاً منطوقاً بها لكلام الله الذي هو صفته أو للمترجم عنه؟.

فاعلم أنه قد أخبرنا نبيه ﷺ أنه سبحانه يتجلى في يوم القيامة بصور مختلفة فيعرف وينكر فمن كان حقيقته تقبل التجلي لا يبعد أن يكون الكلام بالحروف المتلفظ بها المسماة كلاماً لبعض تلك الصور كما يليق بجلاله وكما تقول تجلى في صورة كما يليق بجلاله كذلك تقول تكلم بحرف وصوت كما يليق بجلاله وقال رضي الله عنه بعد كلام طويل فإذا تحققت ما قررناه يثبت أن كلام الله هو هذا المتلو المسموع المتلفظ به المسمى قرآناً توراة وزبوراً وإنجيلاً انتهى. قال بعضهم: كلام الله عين المتكلم في رتبة ومعنى قائم به في أخرى كالكلام النفسي وأنه مركب من الحروف ومتعين بها في عالمي المثال والحس يحس بهما.

ومنها: أن أكثر الناس لا يعرفون قدر النعم الإلهية ولا يتنبهون للتنبيهات الربانية فواحد من الألف للجنة وبعث الباقي إلى النار وهم الجهلاء الذين أعرضوا عن الحق وتعلمه، وفي «المثنوي»:

پند كفتن باجهول خوابناك تخم افكندن بودذر شوره خاك
چاك حمق وجهل نپذيرد رفو تخم حكمت كم دهش اي پندكو

﴿وقالوا﴾ قال الإمام الواحدي في «أسباب النزول»: روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ عتبة وشيبة وأبا سفيان والنضر بن الحارث وأبا البختري والوليد بن المغيرة وأبا جهل وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف ورؤساء قريش اجتمعوا عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشراف قومك اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم سريعاً وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بداء وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عتبهم حتى جلس إليهم فقالوا: يا محمد إنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة وما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك فإن كنت إنما جئت بهذا تطلب به مالاً جعلنا لك من أموالنا ما تكون به أكثرنا مالاً وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وإن كان هذا الرئيّ الذي يأتيك قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئيّ بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك فقال رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم ولا للشرف فيكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» قالوا: يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا فقد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلاداً ولا أقل مالاً ولا أشد عيشاً منا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك فليسر عنّا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا أو يبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا ما مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فإن صنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولاً كما تقول فقال رسول الله ﷺ: «ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند الله بما بعثني به فقد بلغتكم ما أرسلت به فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه أصبر لأمر الله» قالوا: فإن لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث ملكاً يصدقك وسله أن يجعل لك جنات وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ويغنيك بها عما سواك فإنك تقوم في الأسواق وتلتمس المعاش فقال عليه السلام: «ما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت إليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً» قالوا: سله أن يسقط علينا السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل فقال عليه السلام: «ذلك إلى الله تعالى إن شاء فعل» وقال قائل منهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً وقام عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي وهو ابن عاتكة بنت عبد المطلب ابن عمة النبي عليه السلام ثم أسلم بعد وحسن إسلامه فقال: لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً وترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتينا وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول فانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً لما فاته من متابعة قومه لما رأى من مباعدتهم عنه فأنزل الله تعالى.

﴿وقالوا﴾ أي: مشركو مكة ورؤساؤهم ﴿لن نؤمن لك﴾ لن نعترف لك يا محمد بنبوتك ورسالتك ﴿حتى تفجر لنا﴾ [تا وقتى كه روان سازى براى ماء] ﴿من الأرض﴾ أرض مكة ﴿ينبوعا﴾ [چشمه پر آب هركز كم نكردد] فالينبوع العين الكثيرة الماء ينبع ماؤها ولا يغور ولا ينقطع.

﴿أو تكون لك جنة﴾ بستان يستر أشجاره ما تحتها من العرصة ﴿من نخيل وعنب﴾ [از درختان خرما وانكور يعني مشتمل بران درختان] وهما اسم جمع لنخلة وعنبة ﴿فتفجر الأنهار﴾ أي: تجريها بقوة ﴿خلالها﴾ [درميان آن بستانها] قال في «القاموس» خلال الدار ما حوالي جدورها وما بين بيوتها وخلال السحاب مخارج الماء ﴿تفجيرا﴾ كثيراً والمراد إما إجراء الأنهار خلالها عند سقيها أو إدامة إجرائها كما ينبىء عنه الفاء لا ابتداؤه.

﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا﴾ جمع كسفة كقطع وقطعة لفظاً ومعنى حال من السماء والكاف في كما في محل النصب على أنه صفة مصدر محذوف أي: إسقاطاً مماثلاً لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ: ٩] ﴿أو تأتي﴾ [يابيارى] ﴿بالله والملائكة قبيلا﴾ مقابلاً كالعشير والمعاشر كما قال الكاشفي: [در مقابله يعني عيان نمايى انتهى] أو كفيلاً يشهد بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها أي: والملائكة قبيلاً.

﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ من ذهب وأصله الزينة. قال الكاشفي [خانه از زركه در انجا بنشيني واز درويشى يا زرهى] ﴿أو ترقى﴾ تصعد ﴿في السماء﴾ في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة كرضي رقياً أي: صعد وعلا صعوداً وعلواً ﴿ولن نؤمن لرقيك﴾ أي: لأجل رقيك فيها وحده أي: صعودك فاللام للتعليل أو لن نصدق رقيك فيها فاللام صلة ﴿حتى تنزل﴾ منها ﴿علينا كتابا﴾ فيه تصديقك ﴿نقرؤه﴾ نحن من غير أن يتلقى من قبلك وكانوا يقصدون بمثل هذه الاقتراحات اللج والعناد ولو كان مرادهم الاسترشاد لكفاهم ما شاهدوا من المعجزات ﴿قل﴾ تعجباً من شدة شكيمتهم واقتراحهم وتنزيهاً لساحة السبحان ﴿سبحان ربي﴾ [پاكست پروردكار من از آنكه بروى تحكم كند كسى يا شريك أو شود در قدرت] ﴿هل كنت﴾ [آيا هستم من] ﴿إلا بشرا﴾ لا ملكاً حتى يتصور مني الترقي في السماء ونحوه ﴿رسولا﴾ مأموراً من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير أن يكون لي خيرة في الأمر كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله على أيديهم حسبما يلائم حال قومهم ولم تكن الآيات إليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله بشيء منها وقوله بشراً خبر كنت ورسولاً صفته وفيه إشارة إلى أنهم أرباب الحس الحيواني يطلبون الإعجاز من ظاهر المحسوسات ما لهم بصيرة يبصرون بها شواهد الحق ودلائل النبوة وإعجاز عالم المعاني بالولاية الروحانية والقوة الربانية فيطلبون فيه تزكية النفوس وتصفية القلوب وتحلية الأرواح وتفجير ينابيع الحكمة من أرض القلوب لينبت منها تخيل المشاهدات وأعناب المكاشفات في جنات المواصلات.
فعلى السالك الصادق أن يطلب الوصول إلى عالم المعنى فإنه هو المطلب الأعلى ولن يصل إليه إلا بقدمي العلم والعمل والرجوع إلى حالة التراب بالتواضع قال عيسى عليه السلام: أين تنبت الحبة؟ قالوا: في الأرض فقال عيسى: كذلك الحكمة لا تنبت إلا في قلب مثل الأرض يشير إلى التواضع ورفع الكبر وإلى هذا الإشارة بقول سيد البشر ﷺ: «ظهرت ينابيع الحكمة

من قلبه على لسانه» والينابيع لا تكون إلا في الأرض وهو موضع نبع الماء وهذا المقام إنما يحصل بترك الرياسة وهو بمعرفة النفس وعبوديتها فلا يجتمع العبودية والرياسة أبداً فإن واحداً لا يصير سلطاناً ورعية معاً وإلى هذا يشير المولى الجامي بقوله:

بالباس فقر بايد خلعت شاهى درست زشت باشد جامه نيمى اطلس ونيمى پلاس

فانظر في هذه الآيات إلى سوء أدب المشركين بالاقتراحات المنقولة عنهم وإلى كمال الأدب المحمدي والفناء الأحمدي وترك الاعتراض.

ـ حكي ـ أن ليلى لما كسرت إناء قيس المجنون رقص ثلاثة أيام من الشوق فقيل: أيها المجنون كنت تظن أن ليلى تحبك فقد كسرت إناءك فضلاً عن المحبة فقال: إنما المجنون من لم يتفطن لهذا السر يعني: أن كسر الوعاء عبارة عن الإفناء فالطالب لا يصل إلى مقصوده إلا بعد إفناء وجوده.

خمير مايه هرنيك وبدتويى جامى خلاص ازهمه مى بابدت زخود بكريز

فالعاقل يسعى في إفناء الوجود واستجلاب الشهود ويجهد في تطهير القلب عن الإدناس ولا يأنس بشيء سوى ذكر رب الناس. وقال الإمام الغزالي رحمه الله: لا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث: صفات صفاء القلب أعني طهارته عن أدناس الدنيا وأنسه بذكر الله تعالى وحبه لله وصفاء القلب وطهارته لا يكون إلا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الذكر والفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

﴿**وما منع الناس**﴾ أي: قريشاً من ﴿**أن يؤمنوا**﴾ بالقرآن وبالنبوة ﴿**إذ جاءهم الهدى**﴾ وقت مجيء الوحي ظرف لمنع أو يؤمنوا ﴿**إلا أن قالوا**﴾ إلا قولهم ﴿**أبعث الله بشرا**﴾ حال من ﴿**رسولا**﴾ منكرين أن يكون رسول الله من جنس البشر فالمانع هو الاعتقاد المستلزم لهذا القول.

﴿**قل**﴾ جواباً لشبهتهم ﴿**لو كان**﴾ لو وجد واستقر ﴿**في الأرض**﴾ بدل البشر ﴿**ملائكة يمشون**﴾ على أقدامهم كما يمشي الناس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه ﴿**مطمئنين**﴾ ساكنين فيها قارين ﴿**لنزلنا عليهم من السماء ملكا**﴾ حال من ﴿**رسولا**﴾ ليبين لهم ما يحتاجون إليه من أمور الدنيا والدين لأن الجنس إلى الجنس يميل ولما كان سكان الأرض بشراً وجب أن يكون رسولهم بشراً ليمكن الإفادة والاستفادة وهم جهلوا أن التجانس يورث التوانس والتخالف يوجب التنافر.

أو بشر فرمود وخودرا مثلكم تا بجنس آيندوكم كر دندوكم
زانكه جنسيت عجائب جاذبيست جاذب جنست هر جاطا لبيست

﴿**قل كفى بالله**﴾ وحده ﴿**شهيدا**﴾ على أني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتم

وعاندتم ﴿**بيني وبينكم**﴾ لم يقل بيننا تحقيقاً للمفارقة ﴿**إنه كان بعباده**﴾ من الرسل والمرسل إليهم ﴿**خبيرا بصيرا**﴾ محيطاً بظواهر أحوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك. وفيه تسلية له عليه السلام وتهديد للكافرين. وفي الآية إشارة إلى أن الجهلاء يستبعدون إرسال الإنسان الكامل من أبناء جنسهم ويحسبون أن الملائكة أعلى درجة منه مع ما جعله الله مسجوداً للملائكة وأودع فيه من سر الخلافة ولو كان الملك مستأهلاً للخلافة في الأرض لكان الله نزل رسولاً من الملائكة وهو شاهد بأنه مستعد للرسالة والخلافة والملك.

﴿**ومن يهد الله**﴾ ابتداء كلام ليس بداخل تحت الأمر أي: يخلق فيه الاهتداء إلى الحق. قال الكاشفي: [وهر كراراه نمايد خداى تعالى يعني حكم كندبهدايت او وتوفيق] ﴿**فهو المهتد**﴾ لا غير ﴿**ومن يضلل**﴾ أي: يخلق فيه الضلال بسوء اختياره. قال الكاشفي [وهركرا كمراه سازد يعني حكم فرمايد بضلالت او وفرو كذا رد اورا] ﴿**فلن تجد لهم**﴾ أشار بالتوحيد في جانب الهداية إلى وحدة طريق الحق وقلة سالكيه وبالجمع في جانب الضلال إلى تعدد سبل الباطل وكثرة أهله ﴿**أولياء**﴾ كائنين ﴿**من دونه**﴾ تعالى فهو في موقع الصفة ويجوز أن يكون حالاً كما في «بحر العلوم» أي: أنصاراً يهدونهم إلى طريق الحق ويدفعون عنهم الضلالة وفي الحديث: «إنما أنا رسول وليس إلي من الهداية شيء ولو كانت الهداية إليّ لآمن كل من في الأرض وإنما إبليس مزين وليس له من الضلالة شيء ولو كانت الضلالة إليه لأضل كل من في الأرض ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء»، قال الحافظ:

مكن بچشم حقارت نكاه برمن مست   كه نيست معصيت وزهد بى مشيت او

﴿**ونحشرهم يوم القيامة**﴾ كائنين ﴿**على وجوههم**﴾ سحباً أو مشياً فإن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ﴿**عميا**﴾ حال من ضمير وجوههم وهو جمع أعمى ﴿**وبكما**﴾ جمع أبكم وهو الأخرس ﴿**وصما**﴾ جمع أصم من الصمم محركة وهو انسداد الأذن وثقل السمع. إن قيل ما وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] وقوله: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣] وقوله: ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]، قلت: قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: معنى الآية لا يرون ما يسرّهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ولا يستمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعون. وقال مقاتل: هذا إذا قيل لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون فيصيرون بأجمعهم صماً بكماً عمياً نعوذ بالله من سخطه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**ونحشرهم**﴾ إلخ لأنهم كانوا يعيشون في الدنيا مكبين ﴿**على وجوههم**﴾ في طلب السفليات في الدنيا وزخارفها وشهواتها ﴿**عميا**﴾ عن رؤية الحق ﴿**وبكما**﴾ من قول الحق ﴿**وصما**﴾ عن استماع الحق وذلك لعدم إصابة النور المرشوش على الأرواح ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢] الآية وقال ﷺ: «يموت الإنسان على ما عاش ويحشر على ما مات عليه» ﴿**مأواهم**﴾ منزلهم ومسكنهم والمأوى كل مكان يأوي إليه شيء ليلاً كان أو نهاراً ﴿**جهنم**﴾ خبر مأواهم والجملة استئناف ﴿**كلما خبت**﴾ يقال: خبت النار والحرب والحدة خبواً وخبوّاً سكنت وطفئت كما في «القاموس» ﴿**زدناهم سعيرا**﴾ [بيفزاييم براى ايشان آتش سوزان يابر افروزيم آتش را] أي: كلما سكن لهبها بأن أكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما تتعلق به النار زدناهم توقداً بأن بدلناهم جلوداً غيرها فعادت ملتهبة ومسعرة. فإن قلت قوله

تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] يدل على أن النار لا تتجاوز في تعذيبهم عن حد الإنضاج إلى حد الإحراق والإفناء. قلت: النضج مجاز عن مطلب تأثير النار ثم ما ذكر من التجديد بعد الإفناء عقوبة لهم على إنكارهم الإعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد أخرى ليروها بعد أخرى فيروها عياناً حيث لم يعلموها برهاناً كما يفصح عنه قوله:

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿**ذلك**﴾ مبتدأ خبر قوله: ﴿**جزاؤهم بأنهم**﴾ بسبب أنهم ﴿**كفروا بآياتنا**﴾ العقلية والنقلية الدالة على صحة الإعادة دلالة واضحة. وفي «التأويلات»: كانوا في جهنم الحرص والشهوات كلما سكنت نار شهوة باستيفاء حظها زادوا سعيرها باشتغال طلب شهوة أخرى ولو كانوا مؤمنين بالحشر والنشر ما أكبوا على جهنم الحرص على الدنيا وشهواتها وما أعرضوا عن الآيات البينات التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام، وفي «المثنوي»:

كوزه چشم حريصان برنشد تا صدف قانع نشد پردر نشد

﴿**وقالوا**﴾ منكرين أشد الإنكار ﴿**أئذا كنا عظاما**﴾ [آيا آن وقت كه كرديم استخوان] ﴿**ورفاتا**﴾ الرفات الحطام وهو الفتات المكسر. وقال مجاهد رفاتاً أي: تراباً ﴿**أئنا لمبعوثون خلقا جديدا**﴾ إما مصدر مؤكد من غير لفظه أي: لمبعوثون بعثاً جديداً وإما حال أي: مخلوقين مستأنفين وقد سبق تفسير هذه الآية في هذه السورة.

﴿**أولم يروا**﴾ أي: ألم يتفكروا ولم يعلموا ﴿**أن الله الذي خلق السموات والأرض**﴾ من غير مادة مع عظمهم ﴿**قادر على أن يخلق مثلهم**﴾ في الصغر على أن المثل مقحم والمراد بالخلق الإعادة. قال الكاشفي: [مثل تعبير از نفس شيء كنند چنانكه مثلك لا يفعل كذا اي أنت] ﴿**وجعل لهم أجلا لا ريب فيه**﴾ عطف على أو لم يروا فإنه في قوة قد رأوا والمعنى قد علموا أن من قدر على خلق السموات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس وجعل لهم ولبعثهم أجلاً محققاً لا ريب فيه هو يوم القيامة. قال الكاشفي: [بدرستى كه خداى تعالى مقرر كرده است براى فناى ايشان مدتى كه هيچ شك نيست دران وآن زمان مركست يا بجهت اعاده ايشان أجلي نهاده كه قيامتست] ﴿**فأبى الظالمون**﴾ فامتنعوا من الانقياد للحق ولم يرضوا ﴿**إلا كفورا**﴾ جحوداً به.

﴿**قل**﴾ [بكوكافرانرا] ﴿**لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي**﴾ خزائن رزقه التي أفاضها على كافة الموجودات وأنتم مرتفع بفعل يفسره المذكور لا مبتدأ لأنها لا تدخل إلا على الفعل والأصل لو تملكون أنتم تملكون ﴿**إذاً لأمسكتم**﴾ لبخلتم من قولك للبخيل ممسك فلا يقدر له مفعول ﴿**خشية الإنفاق**﴾ مخافة عاقبته وهو النفاد ﴿**وكان الإنسان قتورا**﴾ يقال قتر ضيق. والمعنى كان ضيقاً مبالغاً في البخل لأن مبني أمره على الحاجة والضنة بما يحتاج إليه وملاحظة العوض فيما يبذل، قال رسول الله ﷺ لحي من الأنصار: «من سيدكم يا بني سلمة» قالوا الجد بن قيس على بخل فيه فقال عليه السلام: «وأي داء أدوى من البخل بل سيدكم عمر بن

الجموح» فالبخل والحرص من الصفات المذمومة فلا بد من تطهير النفس عنهما وتحليتها بالسخاء والقناعة وترك طول الأمل فإن الشيطان يستعبد البخيل ولو كان مطيعاً وينأى عن السخي ولو كان فاسقاً وجنس الإنسان وإن كان قتوراً مخلوقاً على القبض واليبوسة كالتراب إلا أن من أفراده خواص متخلقين بصفات الله تعالى ومتحققين بأسرار ذاته. قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدح النبي ﷺ:

له راحة لو أن معشار جودها ... على البركان البر أندى من البحر

الراحة الكف والمعشار بمعنى العشر.

ـ روي ـ أن زين العابدين رضي الله عنه لقيه رجل فسبه فثارت إليه العبيد والموالي فقال لهم زين العابدين: مهلاً على الرجل ثم أقبل عليه وقال ما ستر من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحيى الرجل فألقى عليه خميصة كانت عليه وهي كساء أسود معلم وأمر بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسل ولا يتوهم مغرور أنهم كانوا أهل دنيا ينفقون منها الأموال إنما كانوا أهل سخاء ومروءة كانت تأتيهم الدنيا فيخرجونها في العاجل وفيهم يصدق قول القائل:

وهم ينفقون المال في أول الغنى ... ويستأنفون الصبر في آخر الفقر
إذا نزل الحي الغريب تقارعوا ... عليه فلم تدر المقل من المثرى

قال الشيخ سعدي قدس سره:

اكر كنج قارون بچنك آورى ... نماند مكر آنكه بخشى برى
بخيل توانكر بدينار وسيم ... طلسمست بالاى كنجى مقيم
ازان سالها مى بماند زرش ... كه لرزد طلسمى چنين بر سرش
بسنك أجل ناكهان بشكنند ... بآسود كى كنج قسمت كنند

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات﴾ معجزات ﴿بينات﴾ واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهي العصا واليد البيضاء والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات ﴿فاسأل بني إسرائيل﴾ أي: فقلنا له ﴿إذ جاءهم﴾ سلهم يا موسى من فرعون وقل له ارسل معي بني إسرائيل أي: أولاد يعقوب. وقال الكاشفي: [پس بپرس اي محمد ز بني إسرائيل يعني ازعلماى ايشان همين آيات را تا صدق قول توبر مشركان ظاهر كردد] أي: ليظهر صدقك حين اختبروك عندهم على وفق ما أخبرتهم إذ جاءهم [چون آمد موسى برايشان كه چه كذشت ميان وى وفرعون].

وفي «التأويلات النجمية»: إذ جاءهم موسى بهذه الآيات هل رأوها واستدلوا بها وآمنوا كأهل الحق ممن جعلهم الله أئمة يهدون بأمره وكانوا بآياته يوقنون ﴿فقال له فرعون﴾ قال في «الإرشاد» الفاء فصيحة أي: فأظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات البينات وبلغه ما أرسل به فقال له فرعون: ﴿إني لأظنك يا موسى مسحورا﴾ سحرت فتخبط عقلك ولذا تتكلم بمثل هذه الكلمات الغير المعقولة وهذا يشبه قوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]

ويجوز أن يكون المسحور للنسبة بمعنى ذي السحر كما قال في «التأويلات النجمية»: لما كان فرعون من أهل الظن لا من أهل اليقين رآه بنظر الظن الكاذب ساحراً ورأى الآيات سحراً.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾

﴿قال﴾ موسى ﴿لقد علمت﴾ [بدرستى كه تو دانسته اي فرعون بدل خود اكرچه بزبان تلفظ نكنى].

وفي «التأويلات النجمية»: لو نظرت بنظر العقل لعلمت أنه ﴿ما أنزل هؤلاء﴾ يعني: الآيات التي أظهرها ﴿إلا رب السموات والأرض﴾ خالقهما ومدبرهما ﴿بصائر﴾ حال من الآيات أي: بينات مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وتكابر. وبالفارسية [آيتهاي روشن كه هريك دليلست برنبوت من].

وفي «التأويلات النجمية»: أي ترى بنور البصيرة والعقل انتهى. قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: العلم ليس جالباً للسعادة إلا من حيث طرده الجهل فلا تحجب بعلمك فإن فرعون علم نبوة موسى وإبليس علم حال آدم واليهود علموا نبوة محمد ﷺ وعلى إخوانه وحرموا التوفيق للإيمان فأشقاهم زماناً ذلك الاستيقان قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] قال الكمال الخجندي:

در علم محققان جدل نيست از علم مراد جز عمل نيست

وقال الحافظ:

نه من زبى عملى درجهان ملولم وبس ملالت علما هم ز علم بي عملست

﴿وإني لأظنك يا فرعون مثبورا﴾ مصروفاً عن الخير مطبوعاً على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا أي: ما صرفك أو هالكاً فإن الثبور الهلاك.

وفي «التأويلات النجمية» أي: بلا بصيرة وعقل والظن ظنان: ظن كاذب، وظن صادق، وكان ظن فرعون كاذباً وظن موسى صادقاً.

﴿فأراد﴾ أي: فرعون من نتائج ظنه الكاذب ﴿أن يستفزهم﴾ الاستفزاز الإزعاج. والمعنى بالفارسية [برانكيزد ودور كند موسى وقوم او] ﴿من الأرض﴾ أي: أرض مصر أو من وجه الأرض بالقتل والاستئصال ﴿فأغرقناه﴾ أي: فرعون ﴿ومن معه﴾ من القبط ﴿جميعا﴾ ونجينا موسى وقومه من نتائج ظنه الصادق. قال في «الإرشاد»: فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالإغراق.

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وقلنا من بعده﴾ أي: من بعد إغراق فرعون ﴿لبني إسرائيل﴾ أولاد يعقوب ﴿اسكنوا الأرض﴾ التي أراد أن يستفزكم منها وهي أرض مصر إن صح أنهم دخلوها بعده أو الأرض مطلقاً ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يعني قيامة الساعة ﴿جئنا بكم﴾ [بياريم شما وايشانرا بحشر كاه] ﴿لفيفا﴾ [جماعتي آميخته باهم پس حكم كنيم ميان شما] تمييز سعداء وأشقياء. واللفيف الجماعات من قبائل شتى قد لف بعضها ببعض. قال في «القاموس»: ﴿جئنا بكم لفيفا﴾ مجتمعين مختلطين من كل قبيلة انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: يلتف الكافرون بالمؤمنين لعلهم ينجون بهم من العذاب فيخاطبون بقوله تعالى: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٥٩﴾ [يس: ٥٩] ولا ينفعهم التلفف بل يقال لهم: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧] انتهى. يقول الفقير: وذلك لأن التلفف الصوري والارتباط الظاهري لا ينفع الكفار والمنافقين إذ لم يجمع بينهم وبين المؤمنين الاعتقاد الخالص والعمل الصالح فكانوا كمن انكسرت سفينتهم فتعلق من لا يحسن السباحة بالسباح فتعلقه هذا لا ينفعه إذ البحر عميق والساحل بعيد فكم من سباح لا ينجو فكيف غيره، سعدي:

در آبى كه پيدا نباشد كنار غرور شناور نيايد بكار

وفي الحديث «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» يعني: من أخره في الآخرة عمله السيىء أو تفريطه في العمل الصالح لم ينفعه شرف النسب من جهة الدنيا ولم ينجبر به نقيصته فإن نسبه ينقطع هناك ألا ترى أن الغصن اليابس يقطع من الشجرة ليبوسته ورطوبة الباقي وغضارته إذ لا مناسبة بينه وبين الأغصان الغضة الطرية فهو وإن كان غصن تلك الشجرة متعلقاً بها منسوباً إليها لكنه ليبوسته حري بالقطع وإنما النسب المفيد هو نسبة التقوى ولذا قال عليه السلام: «كل تقي نقي آلي» وكل من لم يكن متصفاً بالتقوى والنقاوة فليس من آله كأبي لهب ونحوه وليس له طريق ينتهي إلى الله تعالى فيا حسرة قوم ظنوا الوصول مع تضييع الأصول وبذل النقد في الفضول وعرضت على بعض الأكابر عطية من الله تعالى بلا واسطة فقال: لا أقبلها إلا على يد محمد ﷺ يعني على الصراط السوي فجاءته من تم فقد ضوعفت فهذا شاهد بأن صحة الاتصال بالله إنما هي بصحة الاتصال بواسطة وهو الرسول ﷺ وأن الرسول وشريعته محك فتضرب المواهب والعطايا عليه فإن جاءت موافقة لما أمره قبلت وإلا ردت إذ يحتمل أن يكون ذلك من قبل الشيطان والنفس جاء ملبوساً بلباس الحق مزخرفاً فلا بد من التمييز وهو من أصعب الأمور فعليك أيها الأخ في الله بالثبات والوقار ولا يستفزك العدو حتى لا تقع في ورطة البوار، قال الحافظ:

در راه عشق وسوسه اهر من بسيست هش دار وكوش دل بپيام سروش كن

والله المنجي والموفق.

﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝١٠٥ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ۝١٠٦ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا ۝١٠٧﴾

﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ أي: وما أنزلنا القرآن إلا ملتبساً بالحق المقتضي لإنزاله وما نزل إلا ملتبساً بالحق الذي اشتمل عليه فالمراد بالحق في كل من الموضعين معنى يغاير الآخر فلا يرد أن الثاني تأكيد للأول. قال الكاشفي: [درتبيان آمده كه با بمعنى على است ومراد ازحق محمد ﷺ يعني وعلى محمد نزل. درمدارك آورده احمد بن أبي كجواري كفت محمد بن سماك بيمارشد قاروزه أو بطبيب ترسا مى برديم مردى نيكو روى وخوشبوى وجامه پاكيزه پوشيده بما رسيد وصورت حال پرسيد بوى كفتيم فرمودكه سبحان الله در مهم دوست خداى تعالى از دشمن خداى استعانت مى كنيد باز كرديد وباين سماك بكوييدكه دست خود برموضع وجع بنه وبكوى **﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾** وازچشم ما غائب شد باز كشتيم

وقصه بعرض شيخ ورسانيديم دست بران موضع نهاد واين كلمات بكفت في الحال شفا يافت وكفته اند آن كس خضر عليه السلام بود أثر حكمت اين كار طبيبان الهيست].

وفي «التأويلات النجمية» إنزال القرآن كان بالحق لا بالباطل وذلك لأنه تعالى لما خلق الأرواح المقدسة في أحسن تقويم ثم بالنفخة رده إلى أسفل سافلين وهو القالب الإنساني احتاجت الأرواح في الرجوع إلى أعلى عليين قرب الحق وجواره إلى حبل تعتصم به في الرجوع فأنزل الله القرآن وهو حبله المتين وقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وبالحق نزل ليضل به أهل الشقاوة وبالرد والجحود والامتناع عن الاعتصام به ويبقى في الأسفل حكمة بالغة منه ويهدي به أهل السعادة بالقبول والإيمان والاعتصام به والتخلق بخلقه إلى أن يصل به إلى كمال قربه فيعتصم به كما قال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحج: ٧٨] ﴿**وما أرسلناك إلا مبشرا**﴾ للمطيع بالثواب ﴿**ونذيرا**﴾ للعاصي من العقاب فلا عليك إلا التبشير والإنذار.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**مبشرا**﴾ لأهل السعادة بسعادة الوصول والعرفان عند التمسك بالقرآن ﴿**ونذيرا**﴾ لأهل الشقاوة بشقاوة البعد والحرمان والخلود في النيران عند الانفصام عن حبل القرآن وترك الاعتصام به [سلمى قدس سره فرموده كه مژده دهنده آنراكه از ما روى بكرداند وبيم كننده آنراكه روى بما آورد يعني بدكارانرا بشارت دهد بسعت رحمت وكمال عفو ما تا روى بدركاه ما آرند]:

حافظاً رحمت او بهر كنهكارا نست نا اميدى مكن اي دوست كه فاسق باشى

نيكانرا انذار كند از أثر هيبت وجلال تابر أعمال خود اعتماد ننمايند:

زاهد غرور داشت سلامت نبرد راه رنده ازره نياز بدار السلام رفت

﴿**وقرآنا**﴾ منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى: ﴿**فرقناه**﴾ نزلناه مفرقاً. وبالفارسية [وپرا كنده فرستاديم قر آنرا يعني آيت آيت وسوره سوره] ﴿**لتقرأه على الناس على مكث**﴾ أي: مهل وتأن فإنه أيسر للحفظ وأعون على الفهم ﴿**ونزلناه**﴾ في ثلاث وعشرين سنة ﴿**تنزيلا**﴾ على قانون الحكمة وحسب الحوادث وجوابات السائلين.

﴿**قل**﴾ للذين كفروا ﴿**آمنوا به**﴾ أي: بالقرآن ﴿**أو لا تؤمنوا**﴾ فإن إيمانكم به لا يزيده كمالاً وامتناعكم عنه لا يورثه نقصاً:

حاجت مشاطه نيست روى دلارام را

والأمر للتهديد كما في «تفسير الكاشفي» ﴿**إن الذين أوتوا العلم من قبله**﴾ أي: العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل نحو عبد الله بن سلام واتباعه من اليهود والنجاشي وأصحابه من النصارى ﴿**إذا يتلى**﴾ أي: القرآن ﴿**عليهم يخرون للأذقان**﴾ [بيفتند برزنخهاى خود] أي: يسقطون على وجوههم فاللام بمعنى على والأذقان الوجوه على سبيل التعبير عن الكل بالجزء مجازاً ﴿**سجدا**﴾ أي: حال كونهم ساجدين تعظيماً لأمر الله وهو تعليل لما يفهم من قوله آمنوا به أو لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك أي: إن لم تؤمنوا فقد آمن به أحسن إيمان من هو خير منكم. قال البيضاوي ذكر الذقن لأنه أول ما يلقى الأرض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به. قال سعدي المفتي في حواشيه فيه بحث فإنه ظاهر أن أول ما يلقى

الأرض من وجه الساجد جبهته وأنفه إلا أن يقال إن طريق سجدتهم غير ما عرفناه انتهى. يقول الفقير معنى اللقاء هنا كون الذقن أقرب شيء إلى الأرض من الأنف والجبهة حال السجدة إذ الأقرب إلى الأرض بالنسبة إلى حال الخرور الركبة ثم اليدان ثم الرأس وأقرب أجزاء الرأس الذقن والأقرب إلى السماء بالإضافة إلى حال الرفع الرأس وأقرب أجزاء الرأس الجبهة فافهم.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿ويقولون﴾ في سجودهم ﴿سبحان ربنا﴾ [پاكست پرورد كارما] عما يفعل الكفرة من التكذيب أو عن خلفه وعده الذي في الكتب السالفة ببعث محمد وإنزال القرآن عليه ﴿إن﴾ أي: أن الشأن ﴿كان وعد ربنا لمفعولا﴾ كائناً لا محالة واقعاً البتة لأن الخلف نقص وهو محال على الله تعالى. يقول الفقير: الظاهر أن المراد بالوعد وعد الآخرة كما يدل عليه سياق الآية من قصة موسى وفرعون وما قبلها من قصة قريش في إنكار البعث والله أعلم.

﴿ويخرون للأذقان يبكون﴾ أي: حال كونهم باكين من خشية الله تعالى كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فإن الأول لتعظيم أمر الله والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «تضرعوا وابكوا فإن السموات والأرض والشمس القمر والنجوم يبكون من خشية الله» ﴿ويزيدهم﴾ أي: القرآن بسماعهم ﴿خشوعا﴾ كما يزيدهم علماً ويقيناً بالله والخشوع [فروتنى] وتضرع.

واعلم أن التواضع والسجود من شأن الأرواح والبكاء والخشوع من شأن الأجساد وإنما أرسلت الأرواح إلى الأجساد لتحصيل هذه المنافع في العبودية. قال الكاشفي: [اين سجده چهارم است از سجدات قرآن وحضرت شيخ قدس سره اين را سجود العلماء خوانده وفرموده كه بحقيقت اين سجود متجليست زيرا كه خشوع از وقوع تجلى باشد بر ظاهر يابر هردو وچون خبر دادكه خشوع ايشان زياده ميشود وخشوع نمى باشد الا از تجلى الهي پس زيادتى خشوع دليل زيادتى تجلى باشد وبرآن تقدير اين سجود تجلى بود وساجد بايدكه ببركت اين سجده از فيض تجلى بهره مند وخضوع او بيفزايد] ما تجلى الله لشيء إلا خضع له:

لمعه نور تجلى از قدم بر حدوث افتد فرو ريزدزهم
پس خضوع اينجا زوال هستى است وزبلندى موجب اين بستى است

فعليك ببذل الوجود وإفنائه فإنه تعالى إنما يتجلى لأهل الفناء نعم إن الفناء من التجلي كما دل عليه الخبر المذكور، وفي «المثنوي»:

چون تجلى كرد أوصاف قديم پس بسوزد وصف محدث راكليم

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾

﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾.

ـ روي ـ أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ إنك لتقل ذكر الرحمٰن وقد أكثر الله في التوراة فنزلت. والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء والمراد بالله والرحمٰن الاسم لا المسمى وأو للتخيير والمراد أنهما سيان في حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود. والمعنى سموا بهذا الاسم أو بهذا واذكروا إما هذا وإما هذا ﴿أيا ما تدعوا﴾ [هركدام را بخوانيد وبدان حق را

خوانده باشيد] والتنوين عوض عن المضاف إليه وما صلة لتأكيد ما في أي من الإبهام أي أي هذين الاسمين سميتم وذكرتم ﴿فله﴾ أي: للمسمى لأن التسمية لمسمى هذين الاسمين وهو ذاته تعالى لا للاسم ﴿الأسماء الحسنى﴾ وحسن جميع أسمائه يستدعي حسن ذينك الاسمين. والحسنى تأنيث الأحسن لأن حكم الأسماء حكم المؤنث نحو الجماعة الحسنى وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والجمال. قال في «بحر العلوم» معنى كونها أحسن الأسماء أنها مستقلة بمعاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والإلهية والأفعال التي هي النهاية في الحسن. وقال بعضهم: نزلت هذه الآية حين سمع المشركون رسول الله ﷺ يقول: يا الله يا رحمٰن فقالوا إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر فالمراد هو التسوية بين اللفظين بأنهما مطلقان على ذات واحدة وإن اختلف معناهما واعتبار إطلاقهما والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود وأو للإباحة لأن الإباحة يجوز فيها الجمع بين الفعلين دون التخيير والله أعلم.

قال المولى الفناري رحمه الله: إن لاسم الجلالة اختصاصاً وضعياً واستعمالياً وللرحمٰن اختصاصاً استعمالياً وقولهم رحمٰن اليمامة مسيلمة تعنت في كفرهم كما لو سموه الله مثلاً انتهى. وقال الإمام السهيلي رحمه الله في كتاب «التعريف والإعلام»: كان مسيلمة قديماً يتكذب ويتسمى بالرحمٰن وقد قيل إنه تسمى بالرحمن قبل مولد عبد الله والد النبي ﷺ ثم عَمَّرَ عمراً طويلاً إلى أن قتل باليمامة قتله وحشي في خلافة أبي بكر رضي الله عنه انتهى.

ـ وروي ـ أن بعض الجبابرة سمى نفسه بلفظ الجلالة فصهر ما في بطنه من دبره وهلك من ساعته لأن هذا الاسم الجليل لا يليق إلا لجناب الحق تعالى ولهذا لم يشاركه فيه أحد كما قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] أي: مشاركاً له في هذا الاسم وقال فرعون مصر للقبط أنا ربكم الأعلى ولم يقدر أن يقول أنا الله تعالى. قال حضرة الهدائي قدس سره استمداد جميع الأسماء من الاسم الرحمٰن الذي هو مقام خاتم النبوة والشفاعة العامة وإليه ينتهي كل الأسماء واستمداده من اسم الذات فينبغي للسالك أن لا يقصر بالعبادة في مراتب بعض الأسماء حتى يصل إلى المسمى ويجمع جميع الأسماء ويكون فوق الكل، وفي «المثنوي»:

دست شد بالاى دست اين تاكجا ... تا بيزدان كه اليه المنتهى

كان يكى درياست بى غور وكران ... جمله درياها چوسيلى پيش ان

﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أي: بقراءة صلاتك في المسجد الحرام بحيث تسمع المشركين فإن ذلك يحملهم على سب القرآن ومن أنزله ومن جاء به واللغو فيه ففيه حذف المضاف لأن الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار أو هو من تسمية الجزء بالكل مجازاً ﴿ولا تخافت بها﴾ أي: بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين. قال الكاشفي: [وآواز فرو مدار بآن] ﴿وابتغ﴾ اطلب ﴿بين ذلك﴾ أي: بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور ﴿سبيلا﴾ أمراً وسطاً فإن خير الأمور أوساطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار أنه أمر يتوجه إليه المتوجهون ويؤمه المقتدون فيوصلهم إلى المطلوب.

ـ روي ـ أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول: أناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه يجهر بها ويقول: أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يرفع قليلاً وعمر أن يخفض قليلاً.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾

﴿**وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا**﴾ لأن الولادة من صفات الأجسام لا غير وهو رد لليهود والنصارى وبني مدلج حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ﴿**ولم يكن له شريك في الملك**﴾ في ملك العالم أي: الألوهية فإن الكل عبيده والعبد لا يصلح أن يكون شريكاً لسيده في ملكه وهو ورد للثنوية القائلين بتعدد الآلهة، وفي «المثنوي»:

واحد اندر ملك اورا يار نى بندكانش را جز او سالار نى

نيست خلقش را دكركس مالكى شركتش دعوى كند جزها لكى

﴿**ولم يكن له ولي من الذل**﴾ لم يوال أحداً من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته فإنه محال أنه يذل فيحتاج إلى أحد يتعزز به ويدفع عنه المذلة إذ له العزة كلها فليس له مذلة دلالة ولا له احتياج إلى ولي يدفع الذل عنه وهو رد للمجوس والصابئين في قولهم لولا أولياء الله لذل الله تعالى عن ذلك. وفي «الأسئلة المقحمة»: كيف جعل عدم الولد علة استحقاق الحمد؟ الجواب أن هذا ليس بتعليل لوجوب الحمد إنما هو بيان من يقع له الحمد كما تقول الحمد لله الأول الآخر الحمد لله رب العالمين انتهى. وفي «الكشاف» كيف رتب الحمد على نفي الولد والشريك والذل؟! أي: مع أنه لم يكن من الجميل الاختياري قلت: إن من هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد ﴿**وكبره تكبيرا**﴾ عظمه تعظيماً أو قل الله أكبر من الاتخاذ والشريك والولي. وقال الكاشفي [يعني حق را بزركتر دان از وصف واصافان ومعرفت عارفان]:

فكرها عاجزست زاوصافش عقلها هرزه ميزند لافش

عقل عقلست جان جانست او آن كزو برترست آنست او

وكان النبي ﷺ إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وكان يسميها آية العزة.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن**﴾ يشير إلى أن الله اسم الذات والرحمن اسم الصفة ﴿**أيا ما تدعوا**﴾ أي: بأي اسم من اسم الذات والصفات تدعونه ﴿**فله الأسماء الحسنى**﴾ أي: كل اسم من أسمائه حسن فادعوه حسناً وهو أن تدعوه بالإخلاص ﴿**ولا تجهر بصلاتك**﴾ أي: بدعائك وعبادتك رياء وسمعة ﴿**ولا تخافت بها**﴾ أي: ولا تخفها بالكلية عن نظر لئلا يحرموا المتابعة والأسوة الحسنة ﴿**وابتغ بين ذلك سبيلا**﴾ وهو إظهار الفرائض بالجماعات في المساجد وإخفاء النوافل وحداناً في البيوت ﴿**وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا**﴾ فيكون كمال عنايته وعواطف إحسانه مخصوصاً بولده ويحرم عباده معه ﴿**ولم يكن له شريك في الملك**﴾ فيكون مانعاً له من إصابة الخير إلى عباده وأوليائه ﴿**ولم يكن له ولي من الذل**﴾ فيكون محتاجاً إليه فينعم عليه دون ما استغنى عنه بل أولياؤه الذين آمنوا وجاهدوا في الله حق جهاده وكبروا الله وعظموه بالمحبة والطلب والعبودية وهو معنى قوله: ﴿**وكبره تكبيرا**﴾ انتهى [علم الهدى فرموده كه حق سبحانه دوست نكيرد تابمدد ايشان ازدل بعز رسد بلكه

دوست كيرد تا بلطف وى از حضيض مذلت تابا وج عزت ترقى كند] كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وهذه الولاية عامة مشتركة بين جميع المؤمنين وترقيهم من الجهل إلى العلم وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢] وهذه الولاية خاصة بالواصلين إلى الله من أهل السلوك وترقيهم من العلم إلى العين ومن العين إلى الحق. قال في «شرح الحكم العطائية»: إن عباد الله المخلصين قسمان: قوم أقامهم الحق لخدمته وهم العباد والزهاد وأهل الأعمال والأوراد وقوم خصهم بمحبته وهم أهل المحبة والوداد والصفاء واتباع المراد وكل في خدمته وتحت طاعته وحرمته إذ كلهم قاصد وجهه ومتوجه إليه قال الله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠] وهذا عام في كل طريق وظاهر في كل فريق ﴿**وما كان عطاء ربك محظورا**﴾ فيحجر أو يحصر في نوع واحد أو صفة واحدة. وقد قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة. وقال أبو يزيد البسطامي قدس سره: اطلع الله سبحانه إلى قلوب أوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة فشغلهم بالعبادة، قال الحافظ:

درين چمن نكنم سرزنش بخودرويى چنانكه پرورشم ميدهند ميرويم

تمت سورة الإسراء في أوسط جمادى الأولى

من سنة خمس ومائة وألف.

١٨ - سورة الكهف

وهي مائة وعشر آيات مكية وقيل إلا قوله ﴿واصبر نفسك﴾ الآية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾

﴿**الحمد لله**﴾ اللام للاستحقاق أي: هو المستحق للمدح والثناء والشكر كله لأن كل وجود شيء نعمة من نعمه فلا منعم إلا هو. قال القيصري رحمه الله الحمد قولي وفعلي وحالي أما القولي فحمد اللسان وثناؤه عليه بما أثنى به الحق على نفسه على لسان أنبيائه عليهم السلام وأما الفعلي فهو الإتيان بالأعمال البدنية من العبادات والخيرات ابتغاء لوجه الله تعالى وتوجهاً إلى جنابه الكريم لأن الحمد كما يجب على الإنسان باللسان كذلك يجب عليه بحسب مقابلة كل عضو بل على كل عضو كالشكر وعند كل حال من الأحوال كما قال النبي عليه السلام: «الحمد لله على كل حال» وذلك لا يمكن إلا باستعمال كل عضو فيما خلق لأجله على الوجه المشروع عبادة للحق تعالى وانقياداً لأمره لا طلباً لحظوظ النفس ومرضاتها وأما الحالي: فهو يكون بحسب الروح والقلب كالاتصاف بالكمالات العلمية والعملية والتخلق بالأخلاق الإلهية لأن الناس مأمورون بالتخلق بلسان الأنبياء صلوات الله عليهم لتصير الكمالات ملكة نفوسهم وذواتهم وفي الحقيقة هذا حمداً لحق نفسه في مقامه التفصيلي المسمى بالمظاهر من حيث عدم مغايرتها له وأما حمده ذاته في مقامه الجمعي الإلهي قولاً فهو ما نطق به في كتبه وصحفه من تعريفاته نفسه بالصفات الكمالية وفعلاً فهو إظهار كمالاته الجمالية والجلالية من غيبه إلى شهادته ومن باطنه إلى ظاهره ومن علمه إلى عينه في مجالي صفاته ومحال آيات أسمائه وحالاً فهو تجلياته في ذاته بالفيض الاقدس الأولى وظهور النور الأزلي فهو الحامد والمحمود جمعاً وتفصيلاً، قال المولى الجامي:

آنجا كه كمال كبرياى تو بود ‌ ‌ ‌ عالم نمى از بحر عطاى توبود
ما راچه حد حمد وثناى توبود ‌ ‌ ‌ هم حمد وثناى تو سزاى توبود

﴿**الذي أنزل على عبده**﴾ محمد الذي يستأهل أن يكون عبداً مطلقاً حقيقياً حراً عن جميع ما سوى الله ولذا يقول: «أمتي أمتي» يوم يقول كل نبي نفسي نفسي وفيه إشعار بأن شأن الرسول أن يكون عبداً للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام: ﴿**الكتاب**﴾ أي: القرآن الحقيق باسم الكتاب وهو في اللغة جمع الحروف ورتب استحقاق الحمد على

إنزاله تنبيهاً على أنه من أعظم نعمائه إذ فيه سعادة الدارين ﴿ولم يجعل له﴾ أي: القرآن ﴿عوجا﴾ [چيزى ازكچى] أي: شيئاً من العوج بنوع اختلال في النظم وتناف في المعنى أو عدول عن الحق إلى الباطل واختار حفص عن عاصم السكت على عوجاً وهو وقفة لطيفة من غير تنفس لئلا يتوهم أن ما بعده صفة له واختار السكت أيضاً على مرقدنا إذ لا يحسن القطع بالكلية بين مقوليهم ولا الوصل لئلا يتوهم أن هذا إشارة إلى مرقدنا فافهم.

﴿قيماً﴾ انتصابه بمضمر تقديره جعله قيماً أي: مستقيماً معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط أو قيماً بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وصفه بالكمال والقيم والقيوم والقيام بناء مبالغة للقائم. قال الكاشفي: [در تأويلات آورده كه ضمير له راجع بعبداست ومعنى آنكه نداد بنده خودرا ميل بغير خود وكردانيد اورا مستقيم در جميع أحوال] ﴿لينذر﴾ أي: أنزل لينذر الكتاب أو محمد بما فيه الذين كفروا ﴿بأسا﴾ عذاباً ﴿شديدا﴾ صادراً ﴿من لدنه﴾ من عنده تعالى نازلاً من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وهو إما عذاب الاستئصال في الدنيا أو عذاب النار في العقبى أو كلاهما وإنما قال من لدنه لأنه هو المعذب دون الغير ﴿ويبشر﴾ [مزده دهد] ﴿المؤمنين﴾ المصدقين ﴿الذين يعملون الصالحات﴾ أي: الأعمال الصالحة وهي ما كانت لوجه الله تعالى ﴿أن لهم﴾ أي: بأن لهم في مقابلة إيمانهم وأعمالهم المذكورة ﴿أجرا حسنا﴾ هو الجنة وما فيها من النعيم ﴿ماكثين﴾ حال من ضمير لهم ﴿فيه﴾ أي: في ذلك الأجر ﴿أبدا﴾ من غير انقطاع وانتهاء وتغير حال نصب على الظرفية لماكثين وتقديم الإنذار على التبشير لتقدم التخلية على التحلية.

﴿وينذر﴾ أيضاً خاصاً ﴿الذين قالوا اتخذ الله ولدا﴾ كاليهود والنصارى وبني مدلج من كفار العرب.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾

﴿ما لهم به﴾ أي: باتخاذه تعالى ولداً ﴿من علم ولا لآبائهم﴾ الذين قلدوهم في ذلك يعني لا يقتضي العلم أن يتخذ الله ولداً لاستحالته في نفسه وإنما قالوا بالجهل من غير فكر ونظر فيما يجوز على الله ويمتنع ومن علم مرفوع على الابتداء ومن مزيدة لتأكيد النفي ﴿كبرت﴾ عظمت أي: نبت ﴿كلمة﴾ تمييز وتفسير للضمير المبهم الذهني في كبرت مثل ربه رجلاً ﴿تخرج من أفواههم﴾ صفة للكلمة تفيد استعظام اجترائهم على التفوه بها والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها يعني: إسناد الخروج إليها مع أن الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت لملابسته بها. قال القاضي: عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وإيهام احتياجه إلى ولد يعينه ويخلفه إلى غير ذلك من الزيغ.

وفي «التأويلات»: كبرت كلمة كفر وكذب قالوها عند الله تعالى وهي أكبر الكبائر إذ نسبوها إلى الله وكذبوا عليه وكذبوه ﴿إن يقولون﴾ أي: ما يقولون في هذا الشأن ﴿إلا كذبا﴾ إلا قولاً كذباً لا يكاد يدخل تحت إمكان الصدق.

﴿فلعلك﴾ [پس تو مكر] ﴿باخع﴾ مهلك ﴿نفسك﴾.

قال في «التأويلات النجمية»: معناه نهي أي: لا تبخع نفسك كما يقال لعلك تريد أن

تفعل كذا أي: لا تفعل كذا أو فكأنك كما قال تعالى في شأن عاد ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الشعراء: ١٢٩]. قال في «القاموس»: بخع نفسه كمنع قتلها غماً وبخع بالشاة بالغ في ذبحها حتى بلغ البخاع هذا أصله ثم استعمل في كل مبالغة فلعلك باخع نفسك أي: مهلكها مبالغاً فيها حرصاً على إسلامهم والبخاع ككتاب عرق في الصدر ويجزي في عظم الرقبة وهو غير النخاع بالنون فيما زعم الزمخشري انتهى ﴿على آثارهم﴾ غماً ووجداً على فراقهم. قال الكاشفي: [بعد ازبركشتن ايشان از تو ياپس از انكار ايشان ترا يعني كار برخود آسان كير وغم بردل بى غل منه] ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ أي: القرآن. إن قلت تسمية القرآن حديثاً دليل على حدوثه. قلت: سماه حديثاً لأنه يحدث عند سماعهم له معناه ولأنه عائد إلى الحروف التي وقعت بها العبارة عن القرآن كما في «الأسئلة المقحمة». قال في «الصحاح»: الحديث ضد القديم ويستعمل في قليل الكلام وكثيره ﴿أسفا﴾ مفعول له لباخع والأسف أشد الحزن كما في «القاموس»: إذ لفرط الحزن والغضب والحسرة مثل حاله ﷺ في شدة الوجد على إعراض القوم عن الإيمان بالقرآن وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه إهلاك نفسه عند مفارقة أحبته تأسفاً على مفارقتهم وهذه غاية الرحمة والشفقة على الأمة وكمال القيام بأداء حقوق الرسالة والإقدام على العبودية فوق الطاقة وكان من دأبه ﷺ أن يبالغ في القيام بما أمر إلى حد أن ينهى عنه كما أنه ﷺ حين أمر بالإنفاق بالغ فيه إلى أن أعطى قميصه وقعد في البيت عرياناً فنهي عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩] فتكلم بعض الكبار في الحزن فقال: الحزن حلية الأدباء طوبى لمن كان شعاره الحزن ودثاره الحزن وبيته الحزن وطعامه الحزن وشرابه الحزن به يلتذ الصديقون والنبيون إذا أحب الله تعالى عبداً ألقى له نائحة في قلبه ومن لم يذق طعام الحزن لم يذق لذة العبادة على أنواعها ولا يغرنك ما تسمع من قول صديق متمكن أن الحزن مقام نازل فإن مراده أن الحزن تابع للمحزون مثل العلم مع المعلوم فيتضع باتضاعه ويرتفع بارتفاعه. قال إبراهيم بن بشار: صحبت إبراهيم بن أدهم فرأيته طويل الحزن دائم الفكر واضعاً يده على رأسه كأنما أفرغت عليه الهموم إفراغاً. وكان سفيان عند رابعة فقال: واحزناه فقالت: قل واقلة حزناه فإنك لو كنت حزيناً ما هنأك العيش. وعن داود عليه السلام قال: الهي أمرتني أن أطهر قلبي فبماذا أطهر؟ قال: يا داود بالهموم والغموم، قال الحافظ:

روى زردســـــت وآه درد آلـــــود عـــاشـــقـــانـــرا دواى رنـــجـــورى

اللهم منّ على قلبي بهمك.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾

﴿إنا جعلنا ما على الأرض﴾ من الحيوان والنبات والمعدن ﴿زينة لها﴾ ولأهلها.

قال في «التأويلات النجمية»: أي: زينا الدنيا وشهواتها للخلق ملاءمة لطباعهم وجعلناها محل ابتلاء ﴿لنبلوهم﴾ لنعاملهم معاملة من يختبر حتى يظهر ﴿أيهم أحسن عملا﴾ في ترك الدنيا ومخالفة هوى نفسه طلباً لله ومرضاته وأيهم أقبح عملاً في الإعراض عن الله وما عنده من الباقيات الصالحات والإقبال على الدنيا وما فيها من الفانيات الفاسدات. قال في «الإرشاد»

أي: استفهامية مرفوعة بالابتداء وأحسن خبرها وعملاً تمييز والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته. قال الكاشفي: [محققان برانندكى ما اى في ما على الأرض بمعنى من است ومراد انبيا يا علما يا حفظة قرآن كه زينت زمين ايشانند وجمعى كويند آرايش زمين برجال الله است ازان روى كه قيام عالم بوجود شريف ايشان بازبسته است]:

روى زمين بطلعت ايشان منور است   چون آسمان بزهره وخورشيد ومشترى

﴿وإنا لجاعلون﴾ فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا ﴿ما عليها صعيدا﴾ تراباً ﴿جرزا﴾ لا نبات فيه وسنة جرز لا مطر فيها. قال الكاشفي: [صعيداً جرزاً هامون وبى كياه يعني بآخر اين عمارتها را خراب خواهيم ساخت پس دل برآن منهيد وبزينت ناپايدار فريفته مشويد]:

جهان ازرنك وبوسازد اسيرت   ولى نزديك ارباب بصيرت

نه رنك دلكشش را اعتباريست   نه بوى دلفريبش را مداريست

قال بعض الكبار صعيداً جرزاً لا حاصل له إلا الندامة والغرامة فالناسك السالك والطالب الصادق والمحب المحق من يحرم على نفسه الدنيا وزينتها حرامها وحلالها وهي ما زين للناس كما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤] لأن مع حب الله لا يسوغ حب الدنيا وشهواتها بل حب الآخرة ودرجاتها.

ـ حكي ـ أنه كان لهارون الرشيد ولد في سن ست عشرة سنة فزهد في الدنيا واختار العباء على القباء فمر يوماً على الرشيد وحوله وزراؤه فقالوا: لقد فضح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك بهذه الهيئة فدعاه هارون الرشيد وقال: يا بني لقد فضحتني بحالك فلم يجبه الولد ثم التفت فرأى طيراً على حائط فقال: أيها الطائر بحق خالقك إلا جئت على يدي فقعد الطائر على يده ثم قال: ارجع إلى مكانك فرجع ثم دعاه إلى يد أمير المؤمنين فلم يأت فقال لأبيه: بل أنت فضحتني بين الأولياء بحبك للدنيا وقد عزمت على مفارقتك ثم إنه خرج من بلده ولم يأخذ إلا خاتماً ومصحفاً ودخل البصرة وكان يعمل يوم السبت في الطين ولا يأخذ إلا درهماً ودانقاً للقوت قال أبو عامر البصري: استأجرته يوماً فعمل عمل عشرة وكان يأخذ كفاً من الطين ويضعه على الحائط ويركب الحجارة بعضها على بعض فقلت: هذا فعال الأولياء فإنهم معانون ثم طلبته يوماً فوجدته مريضاً في خربة فقال:

يا صاحبي لا تغترر بتنعم   فالعمر ينفد والنعيم يزول

وإذا حملت إلى القبور جنازة   فاعلم بأنك بعدها محمول

ثم وصاني بالغسل والتكفين في جبته فقلت: يا حبيبي ولم لا أكفنك في الجديد فقال: الحي أحوج إلى الجديد من الميت يا أبا عامر الثياب تبلى والأعمال تبقى ثم ادفع هذا المصحف والخاتم إلى الرشيد وقل له: يقول لك ولدك الغريب لا تدومن على غفلتك قال أبو عامر فقضيت شأنه ودفعت المصحف والخاتم إلى الرشيد وحكيت ما جرى فبكى وقال: فيم استعملت قرة عيني وقطعة كبدي قلت: في الطين والحجارة قال: استعملته في ذلك وله اتصال برسول الله ﷺ فقلت: ما عرفته قال: ثم أنت غسلته قلت: نعم فقبل يدي وجعلها على صدره ثم زار قبره ثم رأيته في المنام على سرير عظيم في قبة عظيمة فسألته عن حاله فقال: صرت إلى رب راض أعطاني ما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وآلى على ذاته

ونفسه الشريفة أي: قال: بالله الذي خلقني لا يخرج عبد من الدنيا كخروجي إلا أكرمه مثل كرامتي.

نكه دار فرصت كه عالم دميست | دمى پيش دانا به از عالميست
برفتندو هركس درود آنچه كشت | نماند بجز نام نيكو وزشت
دل اندر دلارام دنيا مبند | كه ننشست باكس كه دل برنكند

اللهم اجعلنا من المنقطعين إليك.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾

﴿**أم حسبت**﴾ الخطاب للرسول ﷺ والمراد إنكار حسبان أمته وأم منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث إلى حديث لا للإبطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وببل وحدها عند غيرهم أي: بل أحسبت وظننت بمعنى ما كان ينبغي أن يحتسب ولم حسبت. قال الكاشفي: [آورده اندكه چون يهود قريش راسه سؤال در آمو ختندكه ازحضرت رسالت ﷺ پرسيدند بايكديكر ميكفتندكه قصه جوانان بس عجبست عجب ازوى كه جواب آن داند حق سبحانه وتعالى آيت فرستادكه ﴿**أم حسبت**﴾ نه چنانست كه ميكويند آيامى پندارى تو] ﴿**أن أصحاب الكهف**﴾ الكهف الغار الواسع في الجبل فإن لم يكن واسعاً فغار ﴿**والرقيم**﴾ هو كلبهم بلغة الروم.

ـ يروى ـ عن الصاحب بن عباد أنه كان يتردد في معنى الرقيم وتبارك والمتاع ويدور على قبائل العرب فسمع امرأة تسأل أين المتاع ويجيب ابنها الصغير بقوله: الرقيم أخذ المتاع وتبارك الجبل فاستفسر عنها وعرف أن الرقيم هو الكلب وأن المتاع هو ما يبل بالماء فيمسح به وأن تبارك بمعنى صعد. قال في «القاموس»: الرقيم كأمير قرية أصحاب الكهف أو جبلهم أو كلبهم أو الوادي أو الصحراء أو لوح رصاصي أو حجري نقش ورقم فيه نسبهم وأسماؤهم ودينهم ومم هربوا وجعل على باب الكهف فالرقيم عربي فعيل بمعنى مفعول. قال الطبري: كان في بيت الملك رجلان مؤمنان اسم أحدهما يندروس والآخر روناس كتبا اسماءهم وقصتهم وأنسابهم في لوحين من رصاص ووضعاهما في تابوت من نحاس ثم جعلاه على فم الغار في البنيان وقالا: لعل الله أن يظهر عليهم قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة فتعلم أخبارهم ﴿**كانوا**﴾ في بقائهم على الحياة مدة طويلة من الدهر [يعني در خواب ماندن سيصدونه سال] ﴿**من آياتنا**﴾ من بين آياتنا ودلائل قدرتنا ﴿**عجبا**﴾ أي: آية ذات عجب وضعا له موضع المضاف أو وصفا لذلك بالمصدر مبالغة والعجيب ما خرج عن حد أشكاله ونظائره وهو خبر لكانوا ومن آياتنا حال منه. والمعنى أن قصتهم وإن كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة إلى سائر الآيات فإن لله تعالى آيات عجيبة قصتهم عندها كالنزر الحقير. قال الكاشفي: [يعني قصه ايشان بنسبت قدرت ما كه در آفرينش ارض وسما ظاهراست چندان عجيب وغريب نيست مراد از كهف غاريست جيرم نام واقع دركوه تباخلوس از حوالي شهر افسوس كه دار الملك دقيانوس بود آورده اندكه دقيانوس درزمان تسخير ممالك روم بشهر افسوس رسيد وآنجا مذبحى براى بتان كه معبودان او بودند ساخته أهل شهررا تكليف پرستش ايشان كرد هركه سخن اوشنيد

خلاص يافت وهركه تمرد نمود بقتل رسيد شش جوان نورسيده خدا پرست از بزركان زادكان شهر كوشه كرفته بدعا ونياز مشغول كشتند واز حق سبحانه وتعالى در خواست نمودندكه ايشانرا ازفتنه آن جبار ايمن سازد القصه مهم ايشان بعرض دقيانوس رسيده وباحضار ايشان امر كرده تهديد بسيارنمود ايشان بر طريق توحيد رسوخ ورزيده مطلقاً فرمان أو قبول نكردند دقيانوس بفرمودتا حلى وحلل كه دربرداشتند ازايشان انتزاع كردند وكفت شما جوانيد وخرد سال وشمارا دوسه روزى مهلت دادم تادركار خود تأمل كنيد وببينيدكه مصلحت شمادر قبول قول منست يا دررد آن پس ازان شهر متوجه موضعى ديكر شد وجوانان رفتن اورا غنيمت دانسته بايكديكر درباب مهم خود مشاورت نمودند ورأى همه بر فرار قرار يافت هريك ازخانه پدر قدرى مال بجهت زاد ونفقه بر داشته روى بكوهى كه نزديك شهر بود آوردند ودرراه شبانى بديشان رسيدو بدين ايشان در آمد ودرمرافقت موافقت نمود سك شبان نيزبر عقب ايشان دويدن آغاز كردچندان كه منع كردند ممتنع نشد وخداى اورا بسخن آوردنا بزبان فصيح كفت از من مترسيدكه من دوستان خدايرا دوست ميدارم شمادر خواب رويد تا من شمارا پاسبانى كنم اما چون نزديك كوه شدند شبان كفت من درين كوه غارى ميدانم كه بدان پناه مى توان كرفت پس اتفاق روى بغار نهادند وحق سبحانه وتعالى ازرفتن ايشان بغار برين وجه خبر ميدهد].

﴿**إذ أوى**﴾ ظرف لعجباً أو مفعول لا ذكر أي: اذكر حين صار وأتى وانضم والتجأ ﴿**الفتية**﴾ يعني: فتية من أشراف الروم أكرههم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا ﴿**إلى الكهف**﴾ هو جيروم في جبلهم بنجلوس واتخذوه مأوى. والفتية جمع الفتى وهو الشاب القوي الحدث ويستعار للملوك وإن كان شيخاً كالغلام وعن النبي ﷺ: «لا يقل أحدكم عبدي وأمتي ولكن ليقل فتاي وفتاتي» وعن أبي يوسف من قال: أنا فتى فلان كان إقراراً منه بالرق ﴿**فقالوا ربنا آتنا من لدنك**﴾ من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون أهل المعاداة فمن ابتدائية متعلقة بآتنا ﴿**رحمة**﴾ خاصة تستوجب المغفرة والرزق والأمن من الأعداء ﴿**وهيىء لنا من أمرنا**﴾ كلا الجارين متعلق بهيىء لاختلافهما في المعنى وأصل التهيئة إظهار هيئة الشيء وفي «الصحاح» هيأت الشيء أصلحته والإصلاح نقيض الإفساد وهو جعل الشيء على الحالة المستقيمة النافعة والإفساد هو الإخراج عن حد الاعتدال. والمعنى أصلح ورتب وأتمم لنا من أمرنا الذي هو مهاجرة الكفار والمثابرة على الطاعة ﴿**رشدا**﴾ إصابة للطريق الموصل إلى المطلوب واهتداء إليه.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾

﴿**فضربنا على آذانهم**﴾ أي: حجاباً يمنع سماعها أي: أنمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الإنامة الثقيلة المانعة عن وصول الأصوات إلى الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لما أنها المحتاجة إلى الحجب عادة إذ هي الطريقة للتيقظ غالباً لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق والفاء في ضربنا كما في قوله فاستجبنا له بعد قوله إذ نادى فإن الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال وغير ذلك ايتاء رحمة لدنية خافية عن أبصار

المتمسكين بالأسباب العادية استجابة لدعواتهم ﴿في الكهف﴾ ظرف مكان لضربنا ﴿سنين﴾ ظرف زمان له ﴿عددا﴾ أي: ذوات عدد هي ثلاثمائة وتسع سنين كما سيأتي ووصف السنين بذلك إما للتكثير وهو الأنسب بإظهار كمال القدرة أو للتقليل وهو الأليق بمقام إنكار كون القصة عجباً من بين سائر الآيات العجيبة فإن مدة لبثهم كبعض يوم عنده تعالى.

﴿ثم بعثناهم﴾ أي: أيقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت وفيه دليل على أن النوم أخو الموت في اللوازم من البعث وتعطيل الحياة والالتحاق بالجمادات ﴿لنعلم﴾ العلم هنا مجاز عن الاختبار بطريق إطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به قطعاً بل قد يكون لإظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٥٨] وهو المراد هنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم ﴿أي الحزبين﴾ أي: الفريقين المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتي.

ـ وروي ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أحد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكاً بعد ملك وذلك لأن اللام للعهد ولا عهد لغيرهم وأي مبتدأ خبره قوله: ﴿أحصى﴾ فعل ماض أي: ضبط ﴿لما لبثوا﴾ أي: للبثهم فما مصدرية ﴿أمدا﴾ يقال ما أمدك أي: منتهى عمرك أي: غايته فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك إلى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم من حفظ أبدانهم وأديانهم فيزدادوا يقيناً بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به أمر البعث ويكون ذلك لطفاً لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفارهم. والأمد بمعنى المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية على طريق التجوز بغاية الشيء عنه فالمراد بالمدى المدة كما أن المراد بالغاية المسافة وهو مفعول لأحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة فأحصى فعل ماض هنا وهو الصحيح لا أفعل تفضيل لأن المقصود بالاختيار إظهار عجز الكل عن الإحصاء رأساً لا إظهار أفضل الحزبين وتمييزه عن الأدنى مع تحقق أصل الإحصاء فيهما.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿أم حسبت﴾ إشارة إلى النبي ﷺ أي: إنك إن حسبت ﴿أن﴾ أحوال ﴿أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا﴾ أي: من آيات إحساننا مع العبد ﴿عجبا﴾ فإن في أمتك من هو أعجب حالاً منهم وذلك أن فيهم أصحاب الخلوات الذين كهفهم الذي يأوون إليه بيت الخلوة ورقيمهم قلوبهم المرقومة برقم المحبة فهم محبي ومحبوبي وألواح قلوبهم مرقومة بالعلوم اللدنية، قال الحافظ:

خاطرت كي رقم قيض پذيرد هيهات   مكر ازنقش پرا كنده ورق ساده كنى

وإن كان أصحاب الكهف آووا إلى الكهف خوفاً من لقاء دقيانوس وفراراً فإنهم آووا إلى كهف الخلوة شوقاً إلى لقائي وفراراً إلي، قال الحافظ:

شكر كمال حلاوت پس از رياضت يافت   نخست درشكن تنك ازان مكان كيرد

وإن كان مرادهم من قولهم ﴿ربنا آتنا﴾ الآية النجاة من شر دقيانوس والخروج من الغار بالسلامة فمراد هؤلاء القوم النجاة من شر نفوسهم والخروج من ظلمات غار الوجود للوصول إلى أنوال جمالي وجلالي، قال الحافظ:

مددى كر بچراغى نكند آتش طور   چاره تيره شب وادى ايمن چه كنم

وبقوله: ﴿فضربنا﴾ الآية يشير إلى سد آذان ظاهر أصحاب الخلوة وآذان باطنهم لئلا يقرع مسامعهم كلام الخلق فتنقش ألواح قلوبهم به وكذلك ينعزل جميع حواسهم عن نقش قلوبهم ثم إنهم يمحون النقوش السابقة عن القلوب بملازمة استعمال كلمة الطلاسة وهي كلمة لا إله إلا الله حتى تصفو قلوبهم بنفي لا إله عما سوى الله وبإثبات إلا الله تتنور قلوبهم بنور الله وتنتقش بنور العلوم اللدنية إلى أن يتجلى تبارك وتعالى لقلوبهم بذاته وجميع صفاته فيفنيهم الله عنهم ويبقيهم به وهو سر قوله: ﴿ثم بعثناهم﴾ أي: أحييناهم بنا ﴿لنعلم أي الحزبين﴾ أي: حزب أصحاب الكهف وحزب أصحاب الخلوة أحصى أي: أخطأ وأصوب لما لبثوا في كهفهم وبيت خلوتهم أمداً غاية لبثهم.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾

﴿نحن نقص عليك﴾ أي: نخبرك ونبين لك وقد مر اشتقاقه في مطلع سورة يوسف ﴿نبأهم﴾ أي: خبَر أصحاب الكهف والرقيم ﴿بالحق﴾ صفة لمصدر محذوف أي: نقص قصاً ملتبساً بالحق والصدق. وفيه إشارة إلى أن القصاص كثيراً يقصون بالباطل ويزيدون وينقصون ويغيرون القصة كل واحد يعمل برأيه موافقاً لطبعه وهواه وما يقص بالحق إلا الله تعالى: ﴿إنهم فتية﴾ [شبان] ﴿آمنوا بربهم﴾. قال في «التكملة»: سبب إيمانهم أن حوارياً من حواريي عيسى عليه السلام أراد أن يدخل مدينتهم فقيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجد له فامتنع من دخولها وأتى حماماً كان قريباً من تلك المدينة فآجر نفسه فيه فكان يعمل فيه فتعلق به فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه ثم هرب الحواري بسبب ابن الملك أراد دخول الحمام بامرأة فنهاه الحواري فانتهره فلما دخل مع المرأة ماتا في الحمام فطلبه الملك لما قيل له إنه قتل ابنك فهرب ثم قال الملك: من كان يصحبه؟ فسموا الفتية فهربوا إلى الكهف. يقول الفقير: الظاهر أن إيمانهم كان بالإلهام الملكوتي والانجذاب اللاهوتي من غير دليل يدلهم على ذلك كما يشير إليه كلام «التأويلات» وسيأتي. واختلف فيهم متى كانوا فروى بعض الناس أنهم كانوا قبل عيسى ابن مريم وأن عيسى أخبر قومه خبرهم وأن بعثهم من نومهم كان بعد رفع عيسى في الفترة بينه وبين محمد عليهما السلام. وروى بعضهم أن أمرهم كان بعد عيسى وأنهم كانوا على دين عيسى. قال الطبري وعليه أكثر العلماء ﴿وزدناهم﴾ [وبيفزوديم ايشانرا] ﴿هدى﴾ بأن ثبتناهم على الدين الحق وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه.

وفي «التأويلات النجمية»: سماهم باسم الفتوة لأنهم آمنوا بالتحقيق لا بالتقليد وطلبوا الهداية من الله إلى الله بالله ولكنهم طلبوا الهداية في البداية بحسب نظرهم وقدر همتهم فالله تعالى على قضية (من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا) زاد في هداهم فضلاً منه وكرماً كما قال: ﴿وزدناهم هدى﴾ أي: زدنا على متمناهم في الهداية فإنهم كانوا يتمنون أن يهديهم الله إلى الإيمان بالله وبما جاء به الأنبياء وبالبعث والنشور وإيماناً بالغيب فزاد الله على متمناهم في الهداية حين بعثهم من رقدتهم بعد ثلاثمائة وتسع سنين وما تغيرت أحوالهم وما بليت ثيابهم فصار الإيمان إيقاناً والغيب عيناً وعياناً.

ميوه باشد آخر از هار تو   كعبه باشد آخر اسفار تو

﴿وربطنا على قلوبهم﴾ أي: قويناهم حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الأهل والأوطان والنعيم والإخوان واجترأوا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار وفي الحديث «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» وذلك لأن المجاهد متردد بين رجاء وخوف وأما صاحب السلطان فمتعرض للتلف فصار الخوف أغلب. قال في «الأساس»: ربطت الدابة شددتها برباط والمربط الخيل ومن المجاز ربط الله على قلبه أي: صبره ولما كان الخوف والقلق يزعج القلوب عن مقارها كما قال الله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠] قيل في مقابلته ربط قلبه إذا تمكن وثبت وهو تمثيل شبه تثبيت القلوب بالصبر بشد الدواب بالرباط ﴿إذ قاموا﴾ منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لإظهار شعار الدين وقيل: المراد قيامهم بين يدي دقيانوس الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام فحينئذٍ يكون ما سيأتي من قوله تعالى: ﴿هؤلاء﴾ منقطعاً عما قبله صادراً عنهم بعد خروجهم من عنده.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وربطنا على قلوبهم إذ قاموا﴾ يعني: لئلا يلتفتوا إلى الدنيا وزخارفها وينقطعوا إلى الله بالكلية ولذلك ما اختاروا بعد البعث الحياة في الدنيا ورغبوا في أن يرجعوا إلى جوار الحق تعالى: ﴿فقالوا ربنا رب السموات والأرض﴾ رب العالم ومالكه وخالقه والصنم جزء من العالم فهو مخلوق لا يصلح للعبادة ﴿لن ندعو﴾ لن نعبد أبداً وبالفارسية [نخواهيم پرستيد] ﴿من دونه إلها﴾ معبوداً آخر لا استقلالاً ولا اشتراكاً والعدول عن أن يقال رباً للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون أصنامهم آلهة ﴿لقد قلنا إذاً﴾ [آن هنكام كه ديكرى را پرستيم] ﴿شططا﴾ قولاً ذا شطط أي: تجاوز عن الحد فهو نعت لمصدر محذوف بتقدير المضاف أو قولاً هو عين الشطط على أنه وصف بالمصدر مبالغة. قال في «القاموس» شط في سلعته شططا محركة جاوز القدر والحد وتباعد عن الحق انتهى وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما أنها لا تعرى عن الاعتراف بألوهية المعبود والتضرع إليه قيل لقد قلنا وإذا جواب وجزاء أي: لو دعونا من دونه إلّهاً والله لقد قلنا قولاً خارجاً عن حد العقول مفرطاً في الظلم.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾

﴿هؤلاء﴾ مبتدأ وفي التعبير باسم إشارة تحقير لهم ﴿قومنا﴾ عطف بيان له. يعني: [اين كروه كه كسان ما اند درنسب يعني جمعى از اهل افسوس].

وقال في «التأويلات النجمية» إنما قالوا: ﴿قومنا﴾ أي: كنا من جملتهم وبالضلالة في زمرتهم فأنعم الله علينا بالهداية والمعرفة وفرق بيننا وبينهم بالرعاية والعناية وخلصنا من عبادة الهوى والدنيا وشهواتها ﴿اتخذوا من دونه آلهة﴾ خبره وهو إخبار في معنى الإنكار أي: عبدوا الأصنام وجعلوها آلهة جهلاً منهم. قال أبو حيان: اتخذوا هنا يحتمل أن يكون بمعنى عملوا لأنها أصنام هم نحتوها وأن يكون بمعنى صيروا. وفي «المثنوي»:

پيش چوب وپيش سنك نقشى كنند   اي بسا كولان كه سرهامى نهند
ديو الحاح غوايت ميكند   شيخ الحاح هدايت ميكند

﴿لولا يأتون﴾ هلا يأتون. وبالفارسية [چرانمى آرندكه كافران] ﴿عليهم﴾ على ألوهيتهم ﴿بسلطان بين﴾ بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم يعني يعبدون آلهة لم يتمسكوا في صحة عبادتها ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا لهم فيها علم ضروري ولا دليل عقلي. وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات مردود والآية إنكار وتعجيز وتبكيت لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال ﴿فمن أظلم﴾ [پس كيست سمتكارتر] ﴿ممن افترى على الله كذبا﴾ بنسبة الشريك إليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً. والمعنى أنه أظلم من كل ظالم وعذابه أعظم من كل عذاب لأن الظلم موجب للعذاب فيكون الأعظم للأظلم.

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

﴿وإذ اعتزلتموهم﴾ الاعتزال بالفارسية [جداشدن] أي: فارقتموهم في الاعتقاد وأردتم الاعتزال الجسماني وهو خطاب بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم. قال الكاشفي: [قبل أزين كذشت كه دقيانوس بعد از معارضه ايشان مهلت دادوايشان فرار كردند يمليخا كه مهتر ايشان بود دراثناى طريق بايشان كفت ﴿وإذ اعتزلتموهم﴾ وچون يكسو شديد ازاهل شرك ودورى جستيد ازا يشان] ﴿وما يعبدون إلا الله﴾ عطف على الضمير المنصوب وما مصدرية أو موصولة أي: إذ اعتزلتموهم ومعبوديهم إلا الله أي: وعبادتهم إلا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كأهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الأوثان ﴿فأووا﴾ التجأوا ﴿إلى الكهف﴾ قال الفراء هو جواب إذ كما تقول إذ فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه أي: إذ اعتزلتموهم اعتزالاً اعتقادياً فاعتزلوهم اعتزالاً جسمانياً أو إذا أردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء إلى الكهف. وفيه إشارة إلى أن الاعتزال الاعتقادي يوجب الاعتزال الجسماني. ومن ثم قال في «مجمع الفتاوى» سئل الرستغفني عن المناكحة بين أهل السنة وبين أهل الاعتزال فقال: لا يجوز ﴿ينشر لكم﴾ يبسط لكم ويوسع عليكم ﴿ربكم﴾ مالك أمركم ﴿من رحمته﴾ من تفضله وإنعامه في الدارين ﴿ويهيىء لكم﴾ يسهل لكم ﴿من أمركم﴾ الذي أنتم بصدده من الفرار بالدين ﴿مرفقا﴾ ما ترفقون وتنتفعون به وجزمهم بذلك لخلوص يقينهم عن شوب الشك وقوة وثوقهم. وفي الحديث: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» وفي الآية: إشارة إلى أن التائب الصادق والطالب المحق من اعتزل عن قومه وترك أهل صحبته وقطع عن إخوان سوئه واعتقد أن لا يعبد إلا الله يعرض عما سوى الله مستعيناً بالله متوكلاً على الله فارّاً إلى الله من غير الله، قال الخجندي:

وصل ميسر نشود جز بقطع قطع نخست از همه ببريدنست

ثم يأوي إلى كهف الخلوة، قال الجامي:

زابناى دهر وقت كسى خوش نميشود خوش وقت آنكه معتكف كنج عزلتست

متمسكاً بذيل إرادة شيخ كامل مكمل واصل موصل ليربيه ويزيد في هدايته ويربط على قلبه بنور الولاية وقوة الرعاية كما كان حال أصحاب الكهف، وفي «المثنوي»:

كرچه شيرى چون روى ره بى دليل خويش بيني در ضلالي وذليل
هين مپر الا كه باپرهاى شيخ تابيني عون لشكرهاى شيخ

ولكنهم كانوا مجذوبين من الله مربوبين بربهم وذلك من النوادر ولا حكم للنادر وإليه يشير قوله عليه السلام: «إن الله أدبني فأحسن تأديبي» وهذا من قدرة الله أن يهدي جماعة إلى الإيمان بلا واسطة رسول أو نبي ويجذبهم بجذبات العناية إلى مقامات القرب ومحل الأولياء بلا شيخ مرشد وهاد مرب ومن سنة الله أن يهدي عباده بالأنبياء والرسل وبخلافتهم ونيابتهم بالعلماء الراسخين والمشايخ المقتدين ففي قوله: ﴿فأووا إلى الكهف﴾ إشارة إلى الالتجاء بالخلوة والتمسك بالمشايخ المسلكين يعني لهذه الطريقة ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ أي: يخصصكم برحمة الخاصة المضافة إلى نفسه وهو أن يجذبهم بجذبات العناية ويدخلهم في عالم الصفات ليتخلقوا بأخلاقه ويتصفوا بصفاته كقوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ [الشورى: ٨] وله رحمة عامة مشتركة بين المؤمن والكافر والجن والإنس والحيوان ﴿ويهيىء لكم من أمركم مرفقا﴾ أي: ينشر لكم طريق الوصول والوصال كما في «التأويلات النجمية».

﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾

﴿وترى الشمس﴾ يا محمد أو يا من يصلح للخطاب ويتأتى منه الرؤية وليس المراد به الإخبار بوقوع الرؤية تحقيقاً بل الإنباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس. قال الكاشفي: [آورده اندكه جوانان اتفاق نموده بكوه در آمدند وشبان ايشانرا بغار در آورد وچون درو قرار كرفتند حق سبحانه وتعالى خواب برايشان كماشت همانجا بخفتند دقيانوس بعد ازدوسه روزى بافسوس باز آمده أحوال جوانان پرسيد وچون ازفرار ايشان خبر يافت آباء ايشانرا براحضار ايشان تكليف نمود كفتند اي ملك مبلغي أموال ما برده بدين كوه متحصن شدند دقيانوس باجمعى ازعقب ايشان برفت وايشانرا درون غار تكيه كرده يافت پنداشت كه بيدارندكفت درغاررابسنك بر آريد تاهم آنجا بميرند پس درغاررا استوار كردند ودومؤمن ازمقربان دقيانوس اسامى واحوال جوانرا برلوحى ازسنك نقش كرد ودر ديوار غار وضع كردند باميد آنكه شايد كسى روزى آنجارسد وازحوال ايشان خبر دار كردد]. يقول الفقير: فيكون ما ذكر في الآية من تزاور الشمس وقرضها طالعة وغاربة قبل أن سد دقيانوس باب الكهف إذ لا يتصور دخول شعاع الشمس من الباب المسدود حتى يحتاج إلى التزاور والقرض كما لا يخفى ﴿إذا طلعت تزاور﴾ أي: تتزاور وتتنحى وتميل بحذف إحدى التاءين من الزور بفتح الواو وهو الميل ﴿عن كهفهم﴾ الذي آووا إليه فالإضافة لأدنى ملابسة ﴿ذات اليمين﴾ أي: جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل إلى قعره أي: جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم لأن الكهف كان جنوبياً أي: كانت ساحته داخلة في جانب الجنوب أو زوّرها الله عنهم وصرفها على منهاج خرق العادة كرامة لهم وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين أي: الجهة المسماة باسم اليمين ﴿وإذا غربت﴾ أي: تراها عند غروبها ﴿تقرضهم﴾ القرض القطع ومنه المقراض أي: تقطعهم ولا تقربهم ﴿ذات الشمال﴾ أي: جهة ذات شمال الكهف أي: جانبه الذي يلي المشرق. وفي «القاموس» تقرضهم ذات الشمال أي: تخلفهم شمالاً وتجاوزهم وتقطعهم وتتركهم على شمالها ﴿وهم في فجوة منه﴾ الفجوة الفرجة وما اتسع من الأرض

وساحة الدار وهي جملة حالية مبنية لكون ذلك أمراً بديعاً أي: تراها تميل عنهم يميناً وشمالاً ولا تحوم حولهم في نهارهم كله مع أنهم في متسع من الأرض أي: في وسط معرض لإصابتها لولا أن صرفتها عنهم يد التقدير ﴿ذلك﴾ أي: ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتي الطلوع والغروب مع كونهم في موقع شعاعها ﴿من آيات الله﴾ العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة أهله عنده ﴿من﴾ [هركه] ﴿يهد الله﴾ إلى الحق بالتوفيق له ﴿فهو المهتد﴾ الذي أصاب الفلاح واهتدى إلى السعادة كلها فلن يقدر على إضلاله أحد والمراد إما الثناء عليهم بأنهم المهتدون أو التنبيه على أن أمثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للاستبصار بها ﴿ومن يضلل﴾ أي: يخلق فيه الضلالة لصرف اختياره إليها ﴿فلن تجد له﴾ أبداً وإن بالغت في التتبع والاستقصاء ﴿وليا﴾ ناصراً ﴿مرشدا﴾ يهديه إلى الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا أنك لا تجده مع وجوده أو إمكانه.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾

﴿وتحسبهم﴾ تظنهم والخطاب فيه كما في ترى ﴿أيقاظا﴾ متنبهين جمع يقظ بفتح القاف وكسرها وهو اليقظان ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر ﴿وهم رقود﴾ نيام جمع راقد مثل بكيا وجثيا في سورة مريم جمع باك وجاث والأصل بكوى وجثوى على وزن رقود [در كشف الأسرار آورده كه اين حال نمودار كار جوانمردان طريقتست چون بظواهر ايشان درنكرى بينى كه جلوه كراند در ميدان أعمال وچون سرائر ايشان دريابى بينى كه ازهمه فارغند در بوستان لطف ذو الجلال بباطن مست وبظاهر هشيار بمعنى بيكار وبصورت دركار].

ظاهري با اين وآن درساخته   باطني از جمله وابرد اخته

﴿ونقلبهم﴾ في رقدتهم بأيدي الملائكة ﴿ذات اليمين﴾ نصب على الظرفية أي: جهة تلي إيمانهم ﴿وذات الشمال﴾ أي: جهة تلي شمائلهم كيلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم على طول الزمان قال أبو هريرة رضي الله عنه: كانت لهم تقلبتان في السنة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما تقلبة واحدة من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض لحومهم وذلك في يوم عاشوراء وتعجب منه الإمام وقال: إن الله قادر على حفظهم من غير تقليب وأجاب عنه سعدي المفتي بقوله: لا ريب في قدرة الله ولكن تعالى جعل لكل شيء سبباً في أغلب الأحوال انتهى. قال بعض الكبار: الميل إلى اليمين عند النفي حين التلفظ بكلمة الشهادة وإلى اليسار عند الإثبات مأخوذ من هذه الآية الشريفة.

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة لطيفة وهي أن المريد الذي يربيه الله بلا واسطة المشايخ يحتاج إلى أن يكون كالميت بين يدي الغسال مسلماً نفسه بالكلية إليه مدة ثلاثمائة سنة وتسع سنين حتى يبلغ مبلغ الرجال والمريد الذي يربيه الله بواسطة المشايخ لعله يبلغ مبلغ الرجال البالغين بخلوة أربعين يوماً أو خلوتين أو خلوات معدودة وذلك أن هؤلاء خلفاء الله بواسطة المشايخ وصورة لطفه كما أن الأشجار في الجبال تربى بلا واسطة فلا تثمر كما تثمر الأشجار في البساتين بواسطة الدهاقين وتربيتهم.

زمن اي دوست اين يك پندبپذير   برو فتراك صاحب دولتي كير

كه قطره تا صدف را درنيايد نكردد كوهر و روشن نتابد

﴿وكلبهم﴾ هو كلب راع قد تبعهم على دينهم واسمه قطمير ﴿باسط ذراعيه﴾ حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وأبي جعفر من البصريين يجوز إعماله مطلقاً والذراع من المرفق إلى رأس الأصبع الوسطى ﴿بالوصيد﴾ أي: بموضع الباب من الكهف. قال في «القاموس» الوصيد الفناء والعتبة انتهى. قال السدي الكهف لا يكون له عتبة ولا باب وإنما أراد أن الكلب منه موضع العتبة من البيت.

ـ روي ـ أنه يدخل الجنة مع المؤمنين على ما قال مقاتل عشرة من الحيوانات تدخل الجنة ناقة صالح وعجل إبراهيم وكبش إسماعيل وبقرة موسى وحوت يونس وحمار عزير ونملة سليمان وهدهد بلقيس وكلب أصحاب الكهف وناقة محمد ﷺ فكلهم يصيرون على صورة كبش ويدخلون الجنة ذكره في «مشكاة الأنوار»، قال الشيخ سعدي قدس سره:

سك أصحاب كهف روزى چند پى نيكان كرفت ومردم شد

يعني: [بامردمان داخل جنت شد درصورت كبش. ودر تفسير إمام ثعلبي مذكوراست كه هركه درشبانروز بر حضرت نوح عليه السلام درود فرستد از كژدم ضرري بوى نرسد وهركه اين كلمات ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ نوشته باخود دارد از سك متضرر نكردد]. قال في «حياة الحيوان» أكثر أهل التفسير على أن كلب أهل الكهف كان من جنس الكلاب.

ـ وروي ـ عن ابن جريج أنه قال: كان أسداً ويسمى الأسد كلباً لأن النبي عليه السلام دعا على عتبة بن أبي لهب أن يسلط الله عليه كلباً من كلابه فأكله الأسد والكلب نوعان أهلي وسلوقي نسبة إلى سلوق وهي مدينة باليمن ينسب إليها الكلاب السلوقية فإنه يكون فيها كلاب طوال يصيدون بها. ومن بلاغات الزمخشري السوقية والكلاب السلوقية سواء يعني أن السوقية لما فيهم من سوء الخلق ورداءة المعاملة والكلاب السلوقية متساويتان وكلا النوعين في الطبع سواء وفي طبعه الاحتلام وتحيض إناثه. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كلب أمين خير من صاحب خوان. وكان للحارث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم وكان شديد المحبة لهم فخرج في بعض منتزهاته ومعه ندماؤه فتخلف منهم واحد فدخل على زوجته فأكلا وشربا ثم اضطجعا فوثب الكلب عليهما فقتلهما فلما رجع الحارث إلى منزله فوجدهما قتيلين عرف الأمر فأنشد يقول:

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني ويحفظ عرسي والخليل يخون

فيا عجباً للخل تحليل حرمتي ويا عجباً للكلب كيف يصون

وفي «عجائب المخلوقات»: أن شخصاً قتل شخصاً بأصفهان وألقاه في بئر وللمقتول كلب يرى ذلك فكان يأتي كل يوم إلى رأس البئر وينحي التراب عنها ويشير وإذا رأى القاتل نبح عليه فلما تكرر منه ذلك حفروا الموضع فوجدوا القتيل ثم أخذوا الرجل فأقر فقتل به قال المولى الجامي في «ذم أبناء الزمان»:

در لباس دوستى سازند كار دشمنى

حسب الإمكان واجبست ازكيدايشان اجتناب

شكل ايشان شكل انسان فعل شان فعل سباع

هم ذئاب في ثياب أو ثياب في ذئاب

وعن الحسن البصري رحمه الله قال في الكلب عشر خصال ينبغي لكل مؤمن أن تكون فيه:

الأولى: أن يكون جائعاً فإنه من دأب الصالحين.

والثانية: أن لا يكون له مكان معروف وذلك من علامات المتوكلين.

والثالثة: أن لا ينام من الليل إلا قليلاً وذلك من علامات المحبين.

والرابعة: إذا مات لا يكون له ميراث وذلك من صفات المتزهدين.

والخامسة: أنه لا يترك صاحبه وإن ضربه وجفاه وذلك من علامات المريدين الصادقين.

والسادسة: أنه يرضى من الأرض بأدنى الأماكن وذلك من علامات المتواضعين.

والسابعة: إذا تغلب على مكانه تركه وانصرف إلى غيره وهذه من علامات الراضين.

والثامنة: إذا ضرب وطرد وجفى عليه وطرح له كسرة أجاب ولم يحقد على ما مضى وذلك من علامات الخاشعين.

والتاسعة: إذا حضر الأكل جلس بعيداً ينظر وهذه من خصال المساكين.

والعاشرة: أنه إذا رحل من مكان لا يلتفت إليه وهذه من علامات المحزونين كذا في «روض الرياحين» للإمام اليافعي رحمه الله **﴿لو اطلعت عليهم﴾** أي: لو عاينتهم وشاهدتهم وأصل الاطلاع الإشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة **﴿لوليت منهم﴾** أي: هربت **﴿فرارا﴾** نصب على المصدرية من معنى ما قبله إذ التولية والفرار من واحد أي: وليت تولية أو فررت فراراً **﴿ولملئت﴾** [وهر آينه پركرده شوى] **﴿منهم رعباً﴾** خوفاً يملأ الصدر ويرعبه وهو إما مفعول ثان أو تمييز وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة والهيئة كانت أعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم. قال الكاشفي: [مراد آنست كه كسى را طاقت ديدن ايشان نيست بجهت آنكه چشمهاى ايشان كشاده است ومويها وناخونهاى ايشان دراز شده وايشان درمكان مظلم وموحش اند] وعن معاوية رضي الله عنه أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: ليس لك ذلك وقد منع الله من هو خير منك فقال: **﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا﴾** فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث ناساً وقال لهم: اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف جاءت ريح فأحرقتهم وقيل: فأخرجتهم. فإن قيل: من أين يفهم المنع من الآية؟ قلنا: من حيث دلالتها على أنهم لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة لا يستطيع أحد أن ينظر إليهم نظر الاستقصاء وهذا الذي طلبه معاوية ولم يسمع لأنه ظن أن هذا المعنى وهو امتناع الاطلاع عليهم مختص بذلك الزمان الذي قبل بعثهم والإعثار عليهم وبناء المسجد فوقهم. وأما ابن عباس رضي الله عنه فقد علم أن ذلك عام في جميع الأزمان كذا في «حواشي» سعدي المفتي. يقول الفقير: لا شك أن عبارة الخطاب في لو اطلعت وما يليه لحضرة الرسالة وإشارته لكل من يصلح له من أمته فمعاوية داخل تحت إشارة هذا الخطاب فيكون التفتيش عنهم إذاً ضائعاً لا طائل تحته وذلك لأن مطالعة ما خرج عن حد إشكاله من الأمور العجيبة الخارقة لا تتيسر لكل نظر ألا ترى أنه عليه السلام مع غلبة الملكية عليه لما رأى جبرائيل على صورته العجيبة وقد سد بأجنحته ما بين المشرق والمغرب خر مغشياً عليه مع أن في النظر إليهم ابتذالاً لهم بالنسبة إلى من ليس من أهله وقد جرت عادة الله تعالى على ستر المعاني في الدنيا والصور في البرزخ الذي هو مقدمة عالم

الآخرة فكما لا يشاهد الروح وهو في البرزخ لكون حس الرائي حجاباً مانعاً كذلك الجسد الطاهر الطيب المقدس لكونه متصلاً بمقام الروح ولذا لا تأكله الأرض فافهم.

ـ حكي ـ أن صوفياً رأى ولياً من أولياء الله تعالى راكباً لأسد وبيده حية بدل السوط فلما شاهده هلك من هيبة المقام.

خام را طاقة پروانه پر سوخته نيست

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وكذلك﴾ قال الكاشفي: [چون دقيانوس در غار برايشان استوار كرده باز كشت وبدار الملك باز آمدند كه زمانى را باداجل بناى حياتش درهم فكند وآن همه ملك ومال وجلال متلاشى كشت]:

دمى چند بشمرد وناچيز شد زمانه بخنديد كونيز شد

[وبعد ازو چند مالك ديكر برآن ممالك نظر كرد تا نوبت ملك صالح تندروس وكويند تندروسى رسيد واو مردى مؤمن وخداى ترس بود واكثر اهل زمان اورا در حشر جسد شبهه افتاد ومنكران شدند هرچند ملك ايشانرا پند داد سود نكرد حق سبحانه وتعالى خراست كه دليل برحشر جسد برايشان نمايد اصحاب كهف را ازخواب بيدار كردچنانچه كفت] ﴿وكذلك﴾ أي: كما أنمناهم تلك الإنامة الطويلة وحفظنا أجسادهم وثيابهم من البلى والتحلل آية دالة على كمال قدرتنا ﴿بعثناهم﴾ أي: أيقظناهم من النوم ﴿ليتساءلوا بينهم﴾ أي: ليسأل بعضهم بعضاً فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة ﴿قال﴾ استئناف لبيان تسألهم ﴿قائل منهم﴾ هو رئيسهم مكشليينا. وفي «بحر العلوم»: مكسلمينا ﴿كم﴾ [چندوقت] ﴿لبثتم﴾ في منامكم لعله قال لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة ﴿قالوا﴾ أي: بعضهم ﴿لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ قيل: إنما قالوه لما أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا: لبثنا يوماً فلما رأوا أن الشمس لم تغرب بعد قالوا أو بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم ينسبوا إلى الكذب. وقال الكاشفي: [ايشان بامداد بغار بر آمده بودند چون درنكر يستند آفتاب بوقت چاشت رسيده ديدند قالوا لبثنا كفتند درنك كرديم اينجا يوماً روزى اكردى روز در خواب شده باشيم او بعض يوم ياپاره از روزا كردرين روز خفته باشيم]. يقول الفقير: هذا أولى مما قبله لأن قوله فابعثوا أحدكم بورقكم يدل على بقاء ما يسع فيه الذهاب والإياب من النهار بخلاف ما لو كان الوقت قبيل الغروب إذ يبعد البعث المذكور فيه لعدم إمكان العود عادة لمكان المسافة بين الكهف والمدينة ﴿قالوا﴾ أي: بعض آخر منهم بما سنح لهم من الأدلة أو بإلهام من الله. وقال الكاشفي: [پس چون ناخنان خودرا باليده ومويهاى سررا دراز يافتند كفتند بعضى ازايشان بعضى ديكريرا] ﴿ربكم أعلم بما لبثتم﴾ أي: أنتم لا تعلمون مدة لبثكم لأنها متطاولة ومقدارها مبهم وإنما يعلمها الله تعالى وبه يتحقق التحزب إلى الحزبين المعهودين فيما سبق ﴿فابعثوا أحدكم﴾ يمليخا ﴿بورقكم هذه إلى المدينة﴾ قالوه

إعراضاً عن التعمق في البحث لأنه ملتبس لا سبيل لهم إلى علمه وإقبالاً على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبىء عنه الفاء والورق الفضة مضروبة أو غير مضروبة ووصفها باسم الإشارة يشعر بأن القائل ناولها بعض أصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وحملهم لها دليل على أن التزود أي: أخذ الزاد لا ينافي التوكل على الله بل هو فعل الصالحين ودأب المنقطعين إلى الله دون المتوكلين على الإنفاقات والتوكل يكون بعد مباشرة الأسباب، وفي «المثنوي»:

كرتوكل ميكنى دركار كن　　كشت كن پس تكيه بر جبار كن
رمز الكاسب حبيب الله شنو　　از توكل در سبب كاهل مشو

وكونهم متوكلين علم من قولهم ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا﴾ والمدينة طرسوس وكان اسمها في الجاهلية افسوس. قال في «القاموس»: طرسوس كحلزون بلد مخصب كان للأرمن ثم أعيد إلى الإسلام في عصرنا ﴿فلينظر أيها﴾ أي: أهلها على حذف المضاف كقوله: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] ﴿أزكى طعاما﴾ أحل وأطيب وأكثر وأرخص طعاماً ﴿فليأتكم﴾ [پس بيارد بشما] ﴿برزق﴾ بقوت وهو ما يقوم به بدن الإنسان ﴿منه﴾ أي: من ذلك الأزكى طعاماً. قال الكاشفي: [در زمان ايشان در آن شهر كسان بودندكه ايمان خود مخفى مى داشتند غرض آن بودكه ذبيحه ايشان پيدا كند] ﴿وليتلطف﴾ وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن أو في الاستخفاء لئلا يعرف قال بعض المتقدمين حسبت القرآن بالحروف فوجدت النصف عند قوله في سورة الكهف: ﴿وليتلطف﴾ اللام الثاني في النصف الأول والطاء والفاء في النصف الثاني كما في «البستان». ﴿ولا يشعرن بكم أحدا﴾ من أهل المدينة فإنه يستدعي شيوع أخباركم أي: لا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور بنا من غير قصد فسمي ذلك إشعاراً منه بهم لأنه سبب فيه فالنهي على الأول تأسيس وعلى الثاني تأكيد للأمر بالتلطف.

﴿إنهم﴾ أي: ليبالغ في التلطف وعدم الإشعار لأنهم ﴿إن يظهروا عليكم﴾ أي: يطلعوا عليكم ويظفروا بكم والضمير للأهل المقدر في أيها ﴿يرجموكم﴾ يقتلوكم بالرجم وهو الرمي بالحجارة إن ثبتم على ما أنتم عليه وهو أخبث القتلة وكان من عادتهم ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ أي: يصيروكم إلى ملة الكفر أو يدخلوكم فيها كرهاً من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۚ﴾ [الأعراف: ٨٨] وقيل: كانوا أولاً على دينهم فآمنوا. يقول الفقير: هذا هو الصواب لقوله تعالى: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم﴾ وذلك لأنه لو لم يكن إيمانهم حادثاً لقيل إنهم فتية مؤمنون وإيثار كلمة في على كلمة إلى للدلالة على الاستقرار الذي هو أشد شيء عندهم كراهة ﴿ولن تفلحوا إذاً﴾ أي: إن دخلتم فيها ولو بالكره والإلجاء لن تفوزوا بخير ﴿أبدا﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة لأنكم وإن أكرهتم ربما استدرجكم الشيطان بذلك إلى الإجابة حقيقة والاستمرار عليها.

وفي «التأويلات النجمية»: العجب كل العجب أنهم لما كانوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين في مقام عندية الحق خارجين عن عنديتهم ما احتاجوا إلى طعام الدنيا وقد استغنوا عن الغذاء الجسماني بما نالوا من الغذاء الروحاني كما كان حال النبي ﷺ كان يواصل الأيام ويقول: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» فلما رجعوا من عندية الحق إلى عندية نفوسهم قالوا: ﴿فابعثوا﴾ الخ ففي طلبهم أزكى طعاماً إشارة إلى أرباب الوصول وأصحاب المشاهدة لما

شاهدوا ذلك الجمال والبهاء وذاقوا طعم الوصال وجدوا حلاوة الأنس وملاطفات الحبيب فإذا رجعوا إلى عالم النفوس تطالبهم الأرواح والقلوب بأغذيتهم الروحانية فيتعللون بمشاهدة كل جميل لأن كل جمال من جمال الله وكل بهاء من بهاء الله ويتوصلون بلطافة الأطعمة إلى تلك الملاطفات كما قالوا: ﴿فليأتكم برزق منه وليتلطف﴾ أي: في الطعام ﴿ولا يشعرن بكم أحدا﴾ وفيه إشارة إلى الاحتراز عن شعور أهل الغفلة بأحوال أرباب المحبة فإن لهم في النهاية أحوالاً كأنها كفر عند أهل البداية كما قال أبو عثمان المغربي قدس سره إرفاق العارفين باللطف وإرفاق المريدين بالعنف ﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ يعني: أهل الغفلة ﴿يرجموكم﴾ بالملامة فيما يشاهدون منكم يا أهل المعرفة من وسعة الولاية وقوتها واستحقاق التصرف في الكونين وانعدام تصرفهما فيكم فإنهم بمعزل عن بصيرة يشاهدون بها أحوالكم فمن قصر نظرهم يطعنون فيكم:

عشق درهر دل كه سازد بهر دردت خانه اول از سنك ملامت افكند بنيـاداو

﴿أو﴾ يريدون أن ﴿يعيدوكم في ملتهم﴾ وهي عبادة أصنام الهوى وطواغيت شهوات الدنيا وزينتها فإن رجعتم إليها فلن تفلحوا إذاً أبداً. يقول الفقير: اعلم أنه لا يخلو الأعصار من مثل دقيانوس الجبار صورة ومعنى فمن أراد السلامة في بدنه ودينه وعمله واعتقاده وعرضه فليجدها في الوحدة والاعتزال عن الناس والإيواء إلى كهف البيت والذهول عن أحوال الناس صغيرهم وكبيرهم رفيعهم ووضيعهم كالنائم فإنه مسلوب الحس لا يدري ما الدنيا وما فيها لغموض العينين لا يفرق بين سواد وبياض وإن ادعى أحد أنه بحر لا يتغير فذلك غرور محض لأن عدم التغير لا يحصل إلا للمنتهي ففي الاختلاط ضرر كثير وهو كالرضاع يغير الطباع وغايته موافقة أهل الهوى طوعاً أو كرهاً نعوذ بالله من ذلك ونسأله الحفظ من الوقوع في المهالك ونرجو منه الفلاح الأبدي والخلاص السرمدي.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وكذلك﴾. قال الكاشفي: [يمليخاكه بعقل كامل موصوف بود وصيتها قبول نموده روى بشهر نهاد وبدروازه رسيد أوضاع آن را متغير ديد وچون بشهر درآمد بازار ومحلات وأشكال وألوان مردم بر نمطى ديكر يافت حيرى بروى غلبه كرد آخر الأمر بدكان خباز آمد ودرمى از آنچه همراه داشت بوى داد تادر عوض نان بستاند نان واى زرى ديد منقش بنام دقيانوس خيال بست كه اين مرد كنجى يافته آن زررا ببازارى ديكر بديكرى نمود بيك لحظه اين خبر دربازار منتشر شده بشحنه رسيد ويمليخارا طلبيدة تهديدى عظيم نمود وطلب باقي زرها كرد يمليخا كفت من كنجى نيافته ام دى روز اين زررا ازخانه پدر برداشته ام وأمر وزببازار آورده ام نام پدرش پرسيدند وچون كفت كسى از اهل شهر ندانست ويراتكذيب نمودند واو ازغايت دهشت كفت مراپيش دقيانوس بريدكه او ازمهم من آكاهى دارد مردمان آغاز استهزا كردندكه دقيانوس قريب سيصد ساله شدكه مرده است تو مارا افسوس ميكرى يمليخا كفت شما بامن سخريه ميكنيد ديروز ما جماعتى ازوى كريخته بكوه رفتيم وامروز مرا بشهر بطلب طعام فرستادند من بجزاين چيزى ندانم القصه اورانزديك ملك آوردند وصورت حال تقرير كرد

ملك باجماعتي از مقربان واشراف بلد روى بغار آوردند ويمليخا بغار در آمد ويارانرا ازصورت حال خبر داد وعلى الفور ملك برسيد وآن لوح كه بردر غار بود برخواندند واسامى واحوال ايشان معلوم كرد وباقوم بغار در آمده ايشانرا ديد باروبهاى تازه وجامهاى نو متحير شده برايشان سلام كرد جواب دادند حق سبحانه وتعالى ازين حال اخبار فرمود] ﴿وكذلك﴾ أي: كما أنمناهم وبعثناهم من تلك النومة لما في ذلك من إظهار القدرة الباهرة والحكمة البالغة وازدياد بصيرتهم ويقينهم ﴿أعثرنا﴾ أي: أطلعنا الناس ﴿عليهم﴾ أي: على أصحاب الكهف وأصله أن الغافل عن شيء ينظر إليه إذا عثر به فيعرفه فكان العثار سبب العلم به فأطلق اسم السبب على المسبب. قال في «تهذيب المصادر» الإعثار [بررسانيدن كسى را بر چيزى] قال الله تعالى: ﴿وكذلك أعثرنا﴾ والاطلاع [بر رسانيدن كسى برنهانى] العرب تقول: اطلع فلان على القوم ظهر لهم حتى رأوا واطلع عنهم غاب عنهم حتى لا يروه ﴿ليعلموا﴾ أي: الذين اطلعناهم على حالهم وهم قوم تندروس الذين أنكروا البعث ﴿أن وعد الله﴾ أي: وعده بالبعث للروح والجسد معاً ﴿حق﴾ صدق لا خلف فيه لأن نومهم وانتباههم بعده كحال من يموت ثم يبعث إذ النوم أخو الموت ﴿وأن الساعة﴾ أي: القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعاً للحساب والجزاء ﴿لا ريب فيها﴾ لا شك في قيامها ولا شبهة في وقوعها فإن من شاهد أنه تعالى توفى نفوسهم وأمسكها ثلاثمائة سنة وأكثر حافظاً أبدانهم من التحلل والتفتت ثم أرسلها إليها علم يقيناً أنه تعالى يتوفى نفوس جميع الناس ويمسكها إلى أن يحشر أبدانها فيردها إليها للحساب والجزاء.

پيش قدرت كارها دشوار نيست عجزها باقوت حق كار نيست

يقول الفقير: هذا من لطف الله بالقوم وإرشاده إياهم بصورة النوم حيث أظهر هذه القدرة وبين الحق بوجه يقوم مقام بعث الرسول لمن هو من أهل اليقظة.

وفي «التأويلات النجمية» قوله: ﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ إشارة إلى أنا كما اطلعنا بعض منكري البعث والنشور بالأجساد على أحوال أصحاب الكهف ليعلموا ويتحقق لهم أن وعد الله بالبعث وإحياء الموتى حق وأن قيام الساعة لا ريب فيه إنا قادرون على إحياء بعض القلوب الميتة وإن وعد الله به بقوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] وبقوله: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] حق وإن قيام قلوب الصديقين المحبين لا ريب فيه انتهى [در تفسير امام ثعلبي مذكور است كه حضرت رسالت ﷺ را آرزوى آن شدكه أصحاب كهف رابه بيند جبريل آمدكه يا رسول الله نوايشانرا درين دنيا نخواهى ديد اما ازاخيار أصحاب خود چهاركس را بفرست تا ايشانرا بدين تو دعوت كنند آن حضرت فرمودكه چكونه فرستم وكه را برفتن بفرمايم جبريل فرمود رداى مبارك خود بكستران وصديق وفاروق ومرتضى وأبو درداء رضي الله عنهم بكوتا هريك بكوشه نشيند وبادراكه مسخر سليمان بود بطلب كه خداى تعالى اورا مطيع توكردانيد بفرماى تا ايشانرا برداشته بدان غار برد حضرت آنچنان كردوصحابه بدرغار سيدند سنكى بود برداشتند سك ايشان روشنى بانك دركرفت وحمله آورد واما چون چشم وى ايشانرا ديددم جنبانيدن آغار نهاد وبسر اشارت كردكه در آييد ايشان در آمده كفتند السلام عليكم ورحمة الله وبركاته حق سبحانه أرواح بأجساد ايشاز بازآورد تابر خاستند وجواب سلام بازدادند صحابه كفتند نبي الله محمد بن عبد الله ﷺ شما سلام رسانيده ايشان كفتند السلام على محمد

رسول الله پس دعوت كردند ايشانرا بدين اسلام وايشان قبول نمودند وحضرت پيغمبررا سلام رسانيدند باز در مضاجع خود تكيه كردند وباردیكر نزد خروج مهدي از اهل محمد عليه السلام زنده شوند ومهدي برايشان سلام كند وجواب دهند پس بميرند ودرقيامت مبعوث كردند] ﴿إذ يتنازعون﴾ قال بعض أصحاب التفسير: هو متعلق باذكر المقدر، يقول الفقير: هو الأظهر والأنسب لترتيب الفاء الآتية عليه فيكون كلاماً منفصلاً عما قبله والمتنازعون هم قوم تندروس ﴿بينهم أمرهم﴾ أي: تدبير أمر أصحاب الكهف حين توفاهم الله ثانياً بالموت كيف يخفون مكانهم وكيف يستر الطريق إليهم ﴿فقالوا﴾ أي: بعض أهل المدينة ﴿ابنوا عليهم﴾ أي: على باب كهفهم ﴿بنيانا﴾ [ديوارى كه ازچشم مردم پوشيده شوند] يعني لا يعلم أحد تربتهم وتكون محفوظة من تطرق الناس كما حفظت تربة رسول الله بالحظيرة ﴿ربهم أعلم بهم﴾ بحالهم وشأنهم لا حاجة إلى علم الغير بمكانهم ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ من المسلمين وملكهم ﴿لنتخذن عليهم مسجدا﴾ أي: لنبنينَّ على باب كهفهم مسجداً يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم.

ـ روي ـ أنه لما اختلف قوم تندروس في البعث مقترحين وجاحدين دخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحاً جلس على رماد وسأل ربه أن يظهر الحق فألقى الله تعالى في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله فلما انتشر خبرهم واطلع عليهم الملك وأهل المدينة مسلمهم وكافرهم كلموهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك: نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والإنس ثم رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وماتوا فألقى عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوتاً من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجداً.
يقول الفقير: هذه حال أهل الفناء ولذا لم يقبل حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره البناء على مرقده فعملوا من الألواح ثم أخذتها الصاعقة كأنه لم يقبل الغطاء وسببه ما سمعته من حضرة شيخي وسندي روح الله روحه وهو أنه قال إن الشيخ صدر الدين كان من أولاد الملوك كحضرة مولانا صاحب «المثنوي» وكان مولانا تاركاً للدنيا مطلقاً وصدر الدين متجملاً صورة حتى كان له خدام متزينون وله إبريق وطشت من فضة وتغير عليه شخص في ذلك فأشار حضرة الشيخ إلى الإبريق فأتى إلى حضرة الشيخ وقربه فتحير الحاضرون وتاب الشخص وقال يوماً لحضرة مولانا نعيش كالملوك ونضطجع كالصعلوك فقال مولانا نعيش كالصعلوك ونضطجع كالملوك ولذا ترى تربة مولانا على الاحتشام العظيم دون مرقد صدر الدين رزقنا الله شفاعتهما، قال المولى الجامي:

وصلش مجودر اطلس شاهى كه دوخت عشق
اين جامه برتنى كه نهان زير زنده بود

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿سيقولون﴾ الضمائر في الأفعال الثلاثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي ﷺ من أهل

الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه إسناد كل قولٍ فيها إلى كلهم بل إلى بعضهم سألوا رسول الله فأخر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم فنزلت إخباراً بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم أي: سيقول اليهود هم أي: أصحاب الكهف ﴿ثلاثة﴾ أي: ثلاثة أشخاص ﴿رابعهم كلبهم﴾ أي: جاعلهم أربعة بانضمامه إليهم كلبهم ﴿ويقولون﴾ أي: النصارى وإنما لم يجىء بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ﴿خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب﴾ رمياً بالخبر الخفي عليهم وإتياناً به كقوله: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [سبا: ٥٣] أي: يأتون به أو ظناً بالغيب من قولهم رجماً بالظن إذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين معاً أي: راجمين أو على المصدر منهما فإن الرجم والقول واحد أي: يرجمون رجماً بالغيب ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾ القائلون المسلمون بطرق التلقن من هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم إلى ذلك من عدم نظم في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها وذلك لأن الوحي مقدم على المقالة المذكورة على ما يدل عليه السنن ﴿قل﴾ تحقيقاً للحق ورداً على الأولين ﴿ربي أعلم﴾ قال سعدي المفتي أي: أقوى علماً وأزيد في الكيفية فإن مراتب اليقين متفاوتة في القوة ولا يجوز أن يكون التفضيل بالإضافة إلى الطائفتين الأوليين إذ لا شركة لهما في العلم ﴿بعدتهم﴾ بعددهم ﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾ ما يعلمهم عدتهم إلا قليل من الناس قد وفقهم الله للاستشهاد بتلك الشواهد. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ حين وقعت الواو وانقطعت العدة أي: لم يبق بعدها عدة عاد يعتد بها وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم قطعاً وجزماً وعليه مدار قوله أنا من ذلك القليل. وعن علي رضي الله عنهم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشازنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفشططيوش أو كفيشيططيوش. قال الكاشفي: الأصح أنه مرطوش. قال النيسابوري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أسماء أصحاب الكهف تصلح للطلب والهرب وإطفاء الحريق تكتب في خرقة ويرمى بها في وسط النار ولبكاء الطفل تكتب وتوضع تحت رأسه في المهد وللحرث تكتب على القرطاس وترفع على خشب منصوب في وسط الزرع وللضربان والحمى المثلثة والصداع والغنى والجاه والدخول على السلاطين تشد على الفخذ اليمنى ولعسر الولادة تشد على فخذها اليسرى ولحفظ المال والركوب في البحر والنجاة من القتل ﴿فلا تمار﴾ المماراة [ستيزه كردن] الفاء لتفريع النهي على ما قبله أي: إذ قد عرفت جهل أصحاب القولين الأولين فلا تجادلهم ﴿فيهم﴾ أي: في شأن أصحاب الكهف ﴿إلا مراء ظاهرا﴾ إلا جدالاً ظاهراً غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما في القرآن من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فإنه مما يخل بمكارم الأخلاق ﴿ولا تستفت﴾ [وفتوى مجوى يعني مپرس] ﴿فيهم﴾ أي: في شأنهم ﴿منهم﴾ أي: من الخائضين ﴿أحداً﴾ فإن فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع أنه لا علم لهم بذلك. قال الكاشفي: [أهل تأويل را درباب أصحاب كهف سخن بسياراست بعض كويند اين قصه نمود از أحوال بدلاء سبعة است كه هفت اقليم عالم بوجود ايشان قائمست وكهف خلو تخانه ايشان بود وكلب نفس حيوانية]. وعن الخضر عليه السلام أنه قال: ثلاثمائة هم الأولياء وسبعون هم النجباء وأربعون هم أوتاد الأرض وعشرة هم النقباء وسبعة هم العرفاء وثلاثة هم المختارون

العرفاء وثلاثة هم المختارون وواحد هو الغوث لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية ولكن بلغوا بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين اصطفاهم الله بعلمه واستخلصهم لنفسه وهم لا يسبون شيئاً ولا يلعنونه ولا يؤذون من تحتهم ولا يحقرونه ولا يحسدون من فوقهم أطيب الناس خبراً وألينهم عريكة وأسخاهم نفساً كذا في «روض الرياحين» للإمام اليافعي رحمه الله [ونزد جمعى اشارتست بروح وقلب وعقل فطرى ومعيش وقوت قدسيه وسر وخفى كه تعلق بكهف بدن دارد ودقيانوس نفس أماره است].

كنند مردرا نفس اماره خوار اكر هو شمندى عزيزش مدار

مبرطاعت نفس شهوت پرست كه هرساعتش قبله ديكرست

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿ولا تقولن﴾ نهي تأديب ﴿لشيء﴾ أي: لأجل شيء تعزم عليه ﴿إني فاعل ذلك﴾ الشيء ﴿غدا﴾ أي: فيما يستقبل من الزمان مطلقاً فيدخل فيه الغد دخولاً أولياً فإنه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فسألوه ﷺ فقال: «ائتوني غداً أخبركم» ولم يستثن أي: لم يقل إن شاء الله وتسميته استثناء لأنه يشبه الاستثناء في التخصص فأبطأ عليه الوحي أيام حتى شق عليه. يعني: [غبار ملال بر مرآت دل بي غل آن حضرت نشست] وكذبته قريش وقالوا ودعه ربه وأبغضه.

﴿إلا أن يشاء الله﴾ استثناء مفرغ من النهي أي: لا تقولن ذلك في حال من الأحوال إلا حال ملابسته بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو أن يقال إن شاء الله وفيه إشارة إلى أن الاختيار والمشيئة لله وأفعال العباد كلها مبنية على مشيئته كما قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [الإنسان: ٣٠] ﴿واذكر ربك﴾ أي: قل إن شاء الله ﴿إذا نسيت﴾ ثم تذكرته كما روي أنه عليه السلام لما نزل قال: «إن شاء الله» ﴿وقل عسى﴾ [شايدكه] ﴿أن يهدين ربي﴾ أي: يوفقني ﴿لأقرب من هذا﴾ أي: لشيء أقرب وأظهر من نبأ أصحاب الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوتي ﴿رشدا﴾ أي: إرشاداً للناس ودلالة على ذلك وقد فعل حيث أراه من البينات ما هو أعظم من ذلك وأبين كقصص الأنبياء المتباعدة أيامهم والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلة إلى قيام الساعة. قال سعدي المفتي: لما جعل اليهود الحكاية عن أصحاب الكهف دالة على نبوته هون الله أمرها وقال: ﴿قل عسى﴾ الآية كما هون المحكي في مفتتح الكلام بقوله: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم﴾ الآية انتهى. وقال السمرقندي في «بحر العلوم»: والظاهر أن يكون المعنى إذا نسيت شيئاً فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشداً وأدنى خيراً ومنفعة انتهى. قال الإمام في تفسيره: والسبب في أنه لا بد من ذكر هذا القول هو أن الإنسان إذا قال سأفعل الفعل الفلاني غداً لم يبعد أن يموت قبل أن يجيء الغد ولم يبعد أيضاً لو بقي حياً أن يعوقه من ذلك الفعل عائق فإذا لم يقل إن شاء الله صار كاذباً في ذلك الوعد والكذب منفر وذلك لا يليق بالأنبياء عليهم السلام فلهذا السبب وجب عليه أن يقول: إن شاء الله حتى أنه بتقدير أن يتعذر عليه الوفاء بذلك الموعود لم يصر كاذباً فلم يحصل التنفير انتهى. قال أبو

الليث ـ رحمه الله ـ روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: «لأطوفن الليلة على مائة امرأة كل امرأة تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله ونسي أن يقول إن شاء الله فلم تأتِ واحدة منهن بشيء إلا امرأة بشق غلام» فقال النبي عليه السلام: «والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لولد له ذلك» وذلك أن من لم يعلق فعله بمشيئته تعالى فإن من سنته أن يجري الأمر على خلاف مشيئته ليعلم أن لا مشيئة في الحقيقة إلا لله تعالى وفي الحديث: «إن من تمام إيمان العبد أن يستثني في كل حديثه» أي: سواء كان ذلك باللسان والقلب معاً أو بالقلب فقط فإن مجرد الاستثناء باللسان غير مفيد، وفي «المثنوي»:

ترك استثناء مرادم قسوتيست نى همين كفتن كه عارض حالتيست
اي بسا نا ورده استثنا بكفت جان او باجان استثناست جفت

ومن لطائف «روضة الخطيب» أنه سئل رجل إلى أين؟ فقال: إلى الكناسة لأشتري حماراً فقيل: قل إن شاء الله فقال: لست أحتاج إلى الاستثناء فالدراهم في كمي والحمير في الكناسة فلم يبلغ الكناسة حتى سرقت دراهمه من كمه فرجع فقال رجل: من أين؟ قال: من الكناسة إن شاء الله سرقت دراهمي إن شاء الله.

واعلم أن ابن عباس رضي الله عنهما جوز الاستثناء المنفصل بالآية المذكورة وعامة الفقهاء على خلافه إذ لو صح ذلك لما تقرر إقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب في الإخبار عن الأمور المستقبلة. قال القرطبي في تأويل الآية: هذا في تدارك التبرّي والتخلص من الإثم وأما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون إلا متصلاً انتهى. قال في مناقب الإمام الأعظم روي أن محمد بن إسحاق صاحب المغازي كان يحسد أبا حنيفة لما روي من تفضيل المنصور أبي جعفر أبا حنيفة على سائر العلماء فقال محمد بن إسحاق عند أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور لأبي حنيفة ما تقول في رجل حلف وسكت ثم قال: إن شاء الله بعد ما فرغ من يمينه وسكت فقال أبو حنيفة: لا يعمل الاستثناء لأنه مقطوع وإنما ينفعه إذا كان متصلاً فقال محمد بن إسحاق: كيف لا ينفعه وقد قال جد أمير المؤمنين وهو عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه يعمل الاستثناء وإن كان بعد سنة لقوله تعالى: ﴿**واذكر ربك إذا نسيت**﴾ فقال أمير المؤمنين: أهكذا قول جدي فقال: نعم فقال المنصور على وجه الغضب لأبي حنيفة: أتخالف جدي يا أبا حنيفة؟ فقال أبو حنيفة لقول ابن عباس تأويل يخرج على الصحة ثم قال لأمير المؤمنين: إن هذا وأصحابه لا يرونك أهلاً للخلافة لأنهم يبايعونك ثم يخرجون فيقولون إن شاء الله ويخرجون من بيعتك ولا يكون في عنقهم حنث فقال أمير المؤمنين لأعوانه: خذوا هذا يعني محمد بن إسحاق فأخذوه وجعلوا رداءه في عنقه وحبسوه.

ملزم آمد محمد إسحاق مبتلاً شد بنقيض إطلاق

وفيه تعظيم إمام الملة قائل الحق بغير العلة.

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿**ولبثوا**﴾ أي: الفتية وهو بيان لاجمال قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الكهف: ١١] ﴿**في كهفهم**﴾ إحياء نياماً ﴿**ثلاث مائة سنين**﴾ عطف بيان لثلاثمائة لا

تمييز وإلا لكان أقل مدة لبثهم عند الخليل ستمائة سنة لأن أقل الجمع عنده اثنان وعند غيره تسعمائة لأن أقله ثلاثة عندهم هذا على قراءة مائة بالتنوين وأما على قراءة الإضافة فأقيم الجمع مقام المفرد لأن حق المائة أن يضاف إلى المفرد وجه ذلك أن المفرد في ثلاثمائة درهم في المعنى جمع فحسن إضافته إلى لفظ الجمع كما في الأخسرين أعمالاً فإنه ميز بالجمع وحقه المفرد نظراً إلى مميزه ﴿**وازدادوا تسعاً**﴾ أي: تسع سنين وهو إشارة إلى أن ذلك الحساب على اعتقاد أهل الكتاب شمسي وأما عند العرب فهو قمري والقمري يزيد على الشمسي تسعاً لأن التفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث سنين ولذلك قال وازدادوا تسعاً هو مفعول ازدادوا والسنة الشمسية مدة وصول الشمس إلى النقطة التي فارقتها من ذلك البرج وذلك ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم والسنة القمرية اثنا عشر شهراً قمرياً ومدتها ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وثلث يوم. قال الكاشفي: [وبتحقيق سيصدسال شمسي سيصدونه سال قمري ودوماه نوازده روز باشد].

﴿**قل الله أعلم بما لبثوا**﴾، قال البغوي: إن الأمر في مدة لبثهم كما ذكرنا فإن نازعوك فيها فأجبهم و﴿**قل الله أعلم بما لبثوا**﴾ أي: بالزمان الذي لبثوا فيه لأن علم الخفيات مختص به ولذلك قال: ﴿**له**﴾ خاصة ﴿**غيب السموات والأرض**﴾ أي: ما غاب عن أهل الأرض ﴿**أبصر به**﴾ [چه بيناست خداى تعالى بهر موجودى] ﴿**وأسمع**﴾ [وچه شنواست بهر مسموعي]. قال الشيخ في تفسيره الضمير في به لله محله رفع لكونه فاعلاً لفعل التعجب والباء زائدة والهمزة في الفعلين للصيرورة أصله بصر الله وسمع ثم غير إلى لفظ الأمر وليس بأمر إذ لا معنى للأمر هنا ومعناه ما أبصر الله بكل موجود وما أسمعه لكل مسموع وصيغة التعجب ليست على حقيقتها لاستحالته على الله بل للدلالة على أن شأن علمه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه إدراك المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة إليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفي والجلي ولعل تقديم أمر إبصاره تعالى لما أن الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿**أبصر به وأسمع**﴾ أي: هو البصير بكل موجود وهو السميع بكل مسموع فبه أبصر وبه أسمع انتهى. قال القيصري رحمه الله سمعه تعالى عبارة عن تجليه بعلمه المتعلق بحقيقة الكلام الذاتي في مقام جمع الجمع والأعياني في مقام الجمع والتفصيل ظاهراً وباطناً لا بطريق الشهود وبصره عبارة عن تجليه وتعلق علمه بالحقائق على طريق الشهود وكلامه عبارة عن التجلي الحاصل من تعلق الإرادة والقدرة لإظهار ما في الغيب وإيجاده قال تعالى: ﴿**إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا**﴾ [يس: ٨٢] الآية ﴿**ما لهم**﴾ أي: لأهل السموات والأرض ﴿**من دونه**﴾ تعالى ﴿**من ولي**﴾ يتولى أمرهم وينصرهم استقلالاً ومن الأولى متعلقة بولي على الحال والثانية للاستغراق كأنه قيل ما لهم من دونه ولي ما ﴿**ولا يشرك في حكمه أحداً**﴾ أي: لا يجعل الله تعالى أحداً من الموجودات العلوية والسفلية شريكاً لذاته العالية في قضائه الأزلي إلى الأبد لعزته وغناه. قال الإمام المعنى أنه تعالى لما حكى أن لبثهم هو هذا المقدار فليس لأحد أن يقول بخلافه انتهى. قال بعض الكبار هذه الأمور المدبرة المنزلة بين السموات والأرض الجارية الحادثة في الواقع الظاهرة على أيدي مظاهرها وأسبابها في الخارج في الليل والنهار هي الأمور المحكمة المحفوظة من تبديل غير الحق تعالى وتغييره لأنها

المقادير التي قدرها ودبرها وأحكم صنعها ولا قدرة لأحد غيره على محو ما أثبته وإثبات ما محاه ﴿يَمْحُواْ اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] وليس لغيره كائناً من كان غير التسليم والرضى إذ ليس بشريك له تعالى في حكمه وفي الحديث القدسي «قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضي فله الرضى مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني»، قال الحافظ:

رضا بداده بده وزجبين كره بكشاي   كه برمن وتو در اختيار نكشادست

وقال:

در دائره قسمت ما نطقه تسليميم   لطف آنچه تواندیشی حکم انچه توفرمایی

يعني: ليس للعبد اعتراض على المولى في حكمه وأمره وإنما له التسليم والرضى وترك التدبير كما قال بعض الكبار عن لسان الحق تعالى يا مهموماً بنفسه كنت من كنت لو ألقيتها إلينا وأسقطت تدبيرها وتركت تدبيرك لها واكتفيت بتدبيرنا لها من غير منازعة في تدبيرنا لها لاسترحت جعلنا الله وإياكم هكذا بفضله وهذا مقال عال لم يصل إليه إلا أفراد الرجال الذين رفعوا منازعة النفس من البين ومشوا بالتسليم والرضى في كل أين يا رجل أين هم في هذا الزمان وكيف تبين حالهم للإنسان فاجتهد لعلك تظفر بواحد منهم حتى تكون ممن رضي الله عنهم.

﴿وَاتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿**واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك**﴾ أي: القرآن للتقرب إلى الله تعالى بتلاوته والعمل بموجبه والاطلاع على أسراره ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله والفرق بين التلاوة والقراءة أن التلاوة قراءة القرآن متابعة كالدراسة والأوراد الموظفة والقراءة أعم لأنها جمع الحروف باللفظ لا اتباعها ﴿**لا مبدل لكلماته**﴾ لا قادر على تبديله وتغييره غيره تعالى كقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ [النحل: ١٠١] فهو عام مخصوص فافهم ﴿**ولن تجد**﴾ أبد الدهر وإن بالغت في الطلب ﴿**من دونه**﴾ تعالى ﴿**ملتحدا**﴾ ملتجأ تعدل إليه عند نزول بلية. وقال الشيخ في تفسيره ولن تجد من دون عذابه ملتجأ تلجأ إليه إن هممت بذلك التبديل فرضاً انتهى.

واعلم أن القرآن لا يتبدل أبداً ولا يتغير بالزيادة والنقصان سرمداً وكذا أحكامه لأنه محفوظ في الصدور بنظمه ومعانيه وإنما يتبدل أهله بتبدل الأعصار فيعود العلم والعمل إلى الجهل والترك نعوذ بالله تعالى. قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: مررت بحجر مكتوب عليه قلبني أنفعك فقلبته فإذا مكتوب عليه أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب ما لم تعلم.

كر همه علم عالمت باشد   بى عمل ومدعى وكذابى

ومن فرق المتصوفة المبتدعة قوم يسمون بالإلهامية يتركون طلب العلم والدرس ويقولون القرآن حجاب والأشعار قرآن الطريقة فيتركون القرآن ويتعلمون الأشعار فهلكوا بذلك قال الكمال الخجندي:

دل از شنيدن قرآن بكيردت همه وقت   چو باطلان ز كلام حقت ملولى چيست

قال إبراهيم الخواص: جلاء القلب ودواؤه خمسة: قراءة القرآن بالتدبر، وإخلاء البطن،

وقيام الليل، والتضرع إلى الله عند السحر، ومجالسة الصالحين فمن اشتغل بشهوته وهواه عن هذه الأمور الشاقة بقي على مرضه الروحاني ولم يجد لنفسه ملتحداً سوى العذاب والهلاك فانظر يا مسيء الأدب أن لا مرجع إلا إلى الله تعالى فكيف ترجع إليه بالأشعار التي اخترعتها أنت وأمثالك من أهل النفس والهوى بدل القرآن الذي أرسله الله إليك وأمر بالعمل به فما جوابك يوم يجثو المقربون على ركبهم من الهول كما قال الشيخ سعدي:

دران روز كز فعل پرسند وقول   اولو العزم را تن بلرزد زهول
بجايى كه دهشت خورد انبيا   توعذر كنه را چه دارى بيا

فالواجب أن تجثو في هذا اليوم بين يدي عالم لتعلم القرآن وكيفية العمل به ومعرفة طريق الوصول إلى حقائقه فإنه نسخة إلهية فيها علوم جميع الأنبياء والأولياء فمن أراد دخول الدار من شيخ وشاب فليأت من طرف الباب. وعن علي رضي الله عنه: من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ وهو في غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات. قالوا: أفضل التلاوة على الوضوء والجلوس شطر القبلة وأن يكون غير متربع ولا متكىء ولا جالس جلسة متكبر ولكن نحو ما يجلس بين يدي من يهابه ويحتشم منه. وفي «الأشباه»: استماع القرآن أثوب من تلاوته انتهى. فما يفعل البعض في هذا الزمان من إخفاء آية الكرسي في بعض الجوامع والمجامع ليس على ما ينبغي وذلك لأن في القوم من هو أمي لا يحسن قراءة الآية المذكورة فاللائق أن يجهر بها المؤذن لينال المستمعون ثواب التلاوة بل أزيد وهو ظاهر على أرباب الإنصاف ولا يخرج عن هذا الحد إلا أصحاب الاعتساف.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿واصبر نفسك﴾ احبسها وثبتها مصاحبة ﴿مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ في أول النهار وآخره والمراد الدوام أي: مداومين على الدعاء في جميع الأوقات أو بالغداة لطلب التوفيق والتيسير والعشي لطلب عفو التقصير. نزلت حين طلب رؤساء الكفار طرد فقراء المسلمين من مجالسه عليه السلام كصهيب وعمار وخباب وغيرهم وقالوا: اطرد هؤلاء الذين ريحهم ريح الصنان يعني: [اين پشمينه پوشان بي قدررا كه بوى خرقهاى ايشان مارا متأذى دارد از مجلس خود دورساز] حتى نجالسك فإن أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء لأنهم قوم أرذلون كما قال قوم نوح ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] فلم يأذن الله في طرد الفقراء لأجل أن يؤمن جمع من الكفار. فإن قيل يرجح الأهم على المهم وطرد الفقراء يسقط حرمتهم وهو ضرر قليل وعدم طردهم يوجب بقاء الكفار على كفرهم وهو ضرر عظيم. قلنا من ترك الإيمان حذراً من مجالسة الفقراء لم يكن إيمانه إيماناً بل يكون نفاقاً قبيحاً يجب أن لا يلتفت إليه كذا في «تفسير الإمام». يقول الفقير شأن النبوة عظيم فلو طردهم لأجل

أمر غير مقطوع كان ذنباً عظيماً بالنسبة إلى منصبه الجليل مع أن الطرد المذكور من ديدن الملوك والأكابر من أهل الظواهر وعظماء الدين يتحاشون عن مثل ذلك الوضع نظراً إلى البواطن والسرائر ﴿يريدون﴾ بدعائهم ذلك ﴿وجهه﴾ تعالى حال من الضمير المستكن في يدعون أي: مريدين لرضاه لا شيء آخر من أعراض الدنيا فالوجه مجاز عن الرضى والمناسبة بينهما أن الرضى معلوم في الوجه وكذا السخط كما في «الحواشي الحسينية» على «التلويح». ﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾ أي: لا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم. قال الكاشفي: [بايدكه نكذرد چشمهاى توازايشان] من عدا الأمر وعنه جاوزه كما في «القاموس» فعيناك فاعل لا تعد وهذا نهي للعينين والمراد صاحبهما يعني نهيه عليه السلام عن الازدراء بفقراء المسلمين لرثاثة زيهم طموحاً إلى زي الأغنياء. وقال ذو النون رحمه الله خاطب الله نبيه عليه السلام وعاتبه وقال له: اصبر على من صبر علينا بنفسه وقلبه وروحه وهم الذين لا يفارقون محل الاختصاص من الحضرة بكرة وعشيا فمن لم يفارق حضرتنا فحق أن تصبر عليه فلا تفارقه وحق لمن لا تعدو عينهم عني طرفة عين أن لا ترفع نظرك عنهم وهذا جزاؤهم في العاجل ﴿تريد﴾ يا محمد ﴿زينة الحياة الدنيا﴾ أي: تطلب مجالسة الأغنياء والأشراف وأهل الدنيا وهي حال من الكاف وفي إضافة الزينة إلى الحياة الدنيا تحقير لشأنها وتنفير عنها. قال الكاشفي: [ببايد دانست كه آن حضرت را هر كزبدنيا وزينت آن ميل نبوده بلكه معنىء آيت اينست كه مكن عمل كسى مائل بزينت دنيا چه مائل بدنيا از فقر معرض وبراغنيا مقبل باشد]. وفي «زبدة التفاسير»: تريد حال صرف للاستقبال لا أنه حكم على النبي عليه السلام بإرادته زينة الدنيا وهو قد حذر عن الدنيا وزينتها ونهى عن صحبة الأغنياء كما قال: «لا تجالسوا الموتى» يعني الأغنياء ﴿ولا تطع﴾ في تنحية الفقراء عن مجلسك ﴿من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور أي: جعلت قلبه في فطرته الأولى غافلاً عن الذكر ومحتوماً عن التوحيد كرؤساء قريش ﴿واتبع هواه﴾ الهوى بالفارسية [آرزوى نفس] مصدر هواه إذا أحبه واشتهاه ثم سمى به المهوى المشتهى محموداً كان أو مذموماً ثم غلب على غير المحمود وقيل: فلان اتبع هواه إذا أريد ذمه ومنه فلان من أهل الهوى إذا زاغ عن السنة متعمداً وحاصله ميلان النفس إلى ما تشتهيه وتستلذه من غير داعية الشرع قالوا يجوز نسبة فعل العبد إلى نفسه من جهة كونه مقروناً بقدرته ومنه واتبع هواه وإلى الله من حيث كونه موجداً له ومنه أغفلنا ﴿وكان أمره فرطا﴾ قال في «القاموس»: الفرط بضمتين الظلم والاعتداء والأمر المجاوز فيه عن الحد انتهى أي: متقدماً للحق والصواب نابذاً له وراء ظهره من قولهم فرس فرط أي: متقدم للخيل.

وفي «التأويلات»: ﴿وكان أمره﴾ في متابعة الهوى هلاكاً وخسراناً وفي الآية تنبيه على أن الباعث لهم إلى هذا الاستعداد إغفال قلوبهم عن ذكر الله وإشغالها بالباطل الفاني عن الحق الباقي وعلى أن العبرة والشرف بحلية النفس وصفاء القلب وطهارة السرائر لا بزينة الجسد وحسن الصورة والظواهر، قال الحافظ:

قلندران حقيقت به نيم جو نخرند   قباى اطلس آنكس كه ازهنر عاريست

وقال الجامي قدس سره:

چه غم منقصت صورت أهل معنى را   چو جان زروم بود كوتن از حبش مى باش

وفي الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم بل إلى قلوبكم وأعمالكم» يعني: إذا كانت لكم قلوب وأعمال صالحة تكونون مقبولين مطلقاً سواء كانت لكم صور حسنة وأموال فاخرة أم لا وإلا فلا مطلقاً وكذا الحكم في الظاهر والباطن فافهم.

ـ روى ـ أن الله تعالى لما اتخذ إبراهيم خليلاً قالت الملائكة: يا رب إنه كيف يصلح للخلة وله شواغل من النفس والولد والمال والمرأة فقال تعالى: أنا لا أنظر إلى صورة عبدي وماله بل إلى قلبه وأعماله وليس لخليلي محبة لغيري فإن شئتم جربوه فجاءه جبريل وكان لإبراهيم عليه السلام اثنا عشر كلباً للصيد ولحفظ الغنم وطوق كل كلب من الذهب إيذاناً بخساسة الدنيا وحقارتها فسلم عليه جبريل فقال: لمن هذه؟ فقال: لله ولكن في يدي فقال تبيع واحداً منها؟ قال: اذكر الله وخذ ثلثها فقال سبوح قدوس رب الملائكة والروح فأعطى الثلث ثم قال اذكره ثانياً وخذ ثلثها واذكر ثالثاً وخذ كلها برعاتها وكلابها ثم اذكره رابعاً وأنا أُقِرُّ لك بالرق فقال الله تعالى: كيف رأيت خليلي يا جبريل؟ قال: نعم العبد خليلك يا رب فقال إبراهيم لرعاة الغنم سوقوا الأغنام خلف صاحبي هذا فقال جبريل: لا حاجة لي إلى ذلك وأظهر نفسه فقال: أنا خليل الله لا أسترد هبتي فأوحى الله إلى إبراهيم أن يبيعها ويشتري بثمنها الضياع والعقار ويجعلها وقفاً فأوقاف الخليل وما يؤكل على مرقده الشريف من ثمنها.

واعلم أن قدر الأذكار لا يعرفه إلا الكبار ألا يرى أن الخليل كيف فدى نفسه بعد إعطاء الكل بشرف ذكر الله وتعظيمه فليسارع العشاق إلى ذكر القادر الخلاق فإن صيقل القلوب ذكر علام الغيوب، قال الشيخ المغربي قدس سره:

اكرچه آينه داری از برای رخش   چه سودا كرچه كه داری هميشه آينه نار
بيا بصيقل توحيد زآينه بزدا   غبار شرك كه ناپاك كردد از زنكار

قال أهل التحقيق إن كلمة التوحيد لا إله إلا الله إذا قالها الكافر تنفي عنه ظلمة الكفر وتثبت في قلبه نور التوحيد وإذا قالها المؤمن تنفي عنه ظلمة النفس وتثبت في قلبه نور الوحدانية وإن قالها في كل يوم ألف مرة فكل مرة تنفي عنه شيء لم تنفعه في المرة الأولى فإن مقام العلم بالله لا ينتهي إلى الأبد وفي الحديث: «جلوسك ساعة عند حلقة يذكرون الله خير من عبادة ألف سنة» كما في مجالس حضرة الهدايي قدس سره والذكر يوصل إلى حضور المذكور وشهوده في مقام النور قال جلال الدين الرومي قدس سره:

آدمي ديدست وباقي پوستست   ديدآن ديديكه ديدى دوستست

اللهم اجعلنا من أهل النظر إلى نور جمالك ومن المتشرفين بشرف وصالك.

﴿**وقل**﴾ لأولئك الغافلين المتبعين هواهم ﴿**الحق**﴾ ما يكون ﴿**من ربكم**﴾ من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى فإنه باطل أو هذا الذي أوحي إلي هو الحق كائناً من ربكم فقد جاء الحق وانزاحت العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم مما فيه النجاة والهلاك.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**وقل الحق من ربكم**﴾ في التبشير والإنذار وبيان السلوك لمسالك أرباب السعادة والاحتراز عن مهالك أصحاب الشقاوة ﴿**فمن شاء فليؤمن**﴾ من نفوس أهل السعادة ﴿**ومن شاء فليكفر**﴾ من قلوب أهل الشقاوة. قال في «الإرشاد»: ﴿**فمن شاء فليؤمن**﴾ كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعليل ﴿**ومن شاء فليكفر**﴾ لا أبالي بإيمان من آمن وكفر من كفر فلا أطرد المؤمنين المخلصين لهواكم لرجاء إيمانكم بعدما تبين

الحق ووضح الأمر وهو تهديد ووعيد لا تخيير أراد أن الله تعالى لا ينفعه إيمانكم ولا يضره كفركم فإن شئتم فآمنوا وإن شئتم فاكفروا فإن كفرتم فاعلموا أن الله يعذبكم وإن آمنتم فاعلموا أنه يثيبكم كما في «الأسئلة المقحمة» قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ [الزمر: ٧] أي: عن إيمانكم ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] وإن تعلق به إرادته من بعضهم ولكن لا يرضى رحمة عليهم لاستضرارهم به ﴿وَإِن تَشْكُرُوا﴾ [الزمر: ٧] الله فتؤمنوا ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] أي: الشكر. قال في «بحر العلوم»: فمن شاء الإيمان فليصرف قدرته وإرادته إلى كسب الإيمان وهو أن يصدق بقلبه بجميع ما جاء من عند الله ومن شاء عدمه فليختره فإني لا أبالي بكليهما. وفيه دلالة بينة على أن للعبد في إيمانه وكفره مشيئة واختياراً فهما فعلان يتحققان بخلق الله وفعل العبد معاً وكذا سائر أفعاله الاختيارية كالصلاة والصوم مثلاً فإن كل واحد منهما لا يحصل إلا بمجموع إيجاد الله وكسب العبد وهو الحق الواسط بين الجبر والقدرة ولولا ذلك لما ترتب استحقاق العباد على ذلك بقوله: ﴿**إنا أعتدنا**﴾ هيأنا ﴿**للظالمين**﴾ أي: لكل ظالم على نفسه بإرادة الكفر واختياره على الإيمان ﴿**نارا**﴾ عظيمة عجيبة ﴿**أحاط بهم**﴾ يحيط بهم وإيثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق ﴿**سرادقها**﴾ أي: فسطاطها وهو الخيمة شبه به ما يحيط بهم من النار. وفي «بحر العلوم» السرادق ما يدار حول الخيمة من شقق بلا سقف. وعن أبي سعيد قال عليه السلام: «سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة» ﴿**وإن يستغيثوا**﴾ [واكرفرياد خواهى كنند ازتشنكى] ﴿**يغاثوا**﴾ [فرياد رس شوند] ﴿**بماء كالمهل**﴾ كالحديد المذاب وقيل غير ذلك والتفصيل في «القاموس» وعلى أسلوب قوله يعني في التهكم فاعتبوا بالصيلم أي: يجعل المهل لهم مكان الماء الذي طلبوه كما أن الشاعر جعل الصيلم لهم أي: الداهية مكان العتاب الذي يجري بين الأحبة ﴿**يشوي**﴾ [بريان كند وبسوزد] ﴿**الوجوه**﴾ إذا قدم ليشرب من فرط حرارته وعن النبي عليه السلام «هو كعكر الزيت» أي: درديه في الغلظة والسواد فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه ﴿**بئس الشراب**﴾ ذلك الماء الموصوف لأن المقصود تسكين الحرارة وهذا يبلغ في الإحراق مبلغاً عظيماً ﴿**وساءت**﴾ النار ﴿**مرتفقاً**﴾ تمييز أي: متكأ ومنزلاً وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وأنى ذلك في النار وإنما هو لمقابلة قوله: ﴿**وحسنت مرتفقا**﴾. وقال سعدي المفتي الاتكاء على المرفق كما يكون للاستراحة يكون للتحير والتحزن وانتفاء الأول هنا مسلم دون الثاني فلا تثبت المشاكلة انتهى. يقول الفقير المتكأ بمعنى [تكيه كاه] بالفارسية والاعتماد لا يراد حقيقته وإنما يراد المنزل فيجرد عن الاستراحة لكونه جهنم نعوذ بالله منها. فعلى المؤمن الاجتناب عن الظلم والمعاصي والإصرار عليهما على تقدير الذلة فالتدارك بالاستغفار والندامة والاشتغال بالتوحيد والأذكار وإلا فالسفر بعيد وحر النار شديد وماؤها مهل وصديد وقيدها حديد وفي الحديث «إن أدنى أهل النار عذاباً ينعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعله».

ـ روي ـ عن مالك بن دينار أنه قال: مررت على صبي وهو يلعب بالتراب يضحك تارة ويبكي أخرى فأردت أن أسلم عليه فمنعتني نفسي فقلت: يا نفس كان النبي ﷺ يسلم على الصغار والكبار فسلمت فقال: وعليك السلام ورحمة الله يا مالك فقلت: ومن أين عرفتني؟ قال: ألفت روحي بروحك في عالم الملكوت فعرفني الحي الذي لا يموت فقلت: ما الفرق بين النفس والعقل؟ فقال: نفسك التي منعتك عن السلام وعقلك الذي حرضك عليه فقلت:

لم تلعب بالتراب؟ فقال: لأنا خلقنا منه ونعود إليه فقلت: ولم الضحك والبكاء؟ قال: إذا ذكرت عذاب ربي أبكي وإذا ذكرت رحمته أضحك فقلت: يا ولدي أي: ذنب لك حتى تبكي أي: لأنك لست بمكلف؟ قال: لا تقل هذا فإني رأيت أمي لم توقد الحطب الكبار إلا بالصغار فعليك بالاعتبار، وفي «المثنوي»:

نى ترا از روى ظاهر طاعتي — نى ترا درسر باطن نيتى
نى ترا شبها مناجات وقيام — نى ترا در روز پرهيز وصيام
نى ترا حفظ زبان ز آزار كس — نى نظر كردن بعبرت پيش وپس
پيش چه بود ياد مرك ونزع خويش — پس چه باشد مردن ياران زپيش
نى ترا بر ظلم توبه پر خروش — اي دغا كندم نماى جو فروش
چون ترازوى تو كج بود ودغا — راست چون جويى ترازوى جزا
چونكه پاى چب بدى درغدروكاست — نامه چون آيد ترا دردست راست
چون جزا سايه است اى قد توخم — سايه تو كج فتد در پيش هم

وعن يزيد الرقاشي أنه قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ متغير اللون قال النبي عليه السلام: «يا جبريل ما لي أراك متغير اللون» فقال: يا محمد جئتك الساعة التي أمر الله فيها بمنافخ النار فقال ﷺ: «صف لي جهنم» قال: يا محمد إن الله لما خلق جهنم جعلها سبع طبقات إن أهون طبقة منها فيها سبعون ألف ألف جبل من نار وفي كل جبل سبعون ألف ألف واد من نار وفي كل واد سبعون ألف ألف بيت من نار وفي كل بيت سبعون ألف ألف صندوق من نار وفي كل صندوق سبعون ألف ألف نوع من العذاب نعوذ بالله تعالى منه» كذا في «مشكاة الأنوار» وهذا غير محمول على المبالغة بل هو على حقيقته لأنه مقابل بنعيم الجنان فكل من العذاب والنعيم خارج عن دائرة العقل وليس للعاقل إلا التسليم والاحتراز عن موجبات العذاب الأليم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ جمعوا بين عمل القلب وعمل الأركان. والصالحات جمع صالحة وهي في الأصل صفة ثم غلب استعمالها فيما حسنه الشرع من الأعمال فلم تحتج إلى موصوف ومثلها الحسنة فيما يتقرب به إلى الله تعالى **﴿إنا لا نضيع﴾** [الإضاعة كم كردن] **﴿أجر من أحسن عملا﴾** الأجر الجزاء على العمل وعملاً مفعول أحسن والتنوين للتقليل ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على أن الأجر إنما يستحق بالعمل دون العلم إذ به يستحق ارتفاع الدرجات والشرف والرتب كما في الحديث القدسي: «ادخلوا الجنة بفضلي واقتسموها بأعمالكم» وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قام أعرابي إلى النبي ﷺ في حجة الوداع والنبي واقف بعرفات على ناقته العضباء فقال: إني رجل متعلم فخبرني عن قول الله تعالى **﴿إن الذين آمنوا﴾** الآية فقال عليه السلام: «يا أعرابي ما أنت منهم ببعيد وما هم عنك ببعيد هم هؤلاء الأربعة الذين هم وقوف معي أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فأعلم قومك أن هذه الآية نزلت في هؤلاء الأربعة» ذكره الإمام السهيلي في كتاب «التعريف والإعلام».

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

﴿**أولئك**﴾ المنعوتون بالنعت الجليل ﴿**لهم جنات عدن**﴾. قال الإمام العدن في اللغة: الإقامة فيجوز أن يكون المعنى أولئك لهم جنات إقامة كما يقال هذه دار إقامة ويجوز أن يكون العدن اسماً لموضع معين من الجنة وهو وسطها وأشرف مكان وقوله جنات لفظ جمع فيمكن أن يكون المراد ما قاله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمان: ٤٦] ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن: ٦٢] ويمكن أن يكون نصيب كل واحد من المكلفين جنة على حدة ﴿**تجري من تحتهم الأنهار**﴾ الأربعة من الخمر واللبن والعسل والماء العذب وذلك لأن أفضل البساتين في الدنيا البساتين التي تجري فيها الأنهار ﴿**يحلون فيها**﴾ أي: في تلك الجنات من حليت المرأة إذا لبست الحلي وهي ما تتحلى به من ذهب وفضة وغير ذلك من الجوهر والتحلية [پيرايه بركردن]. قال الكاشفي: [پيرايه بسته شوند دران بوستانها] ﴿**من أساور**﴾ من ابتدائية وأساور جمع أسورة وهي جمع سوار بالفارسية [دستوان] ﴿**من ذهب**﴾ من بيانية صفة لأساور وتنكيرها لتعظيم حسنها وتبعيده من الإحالة به. قال في «بحر العلوم» وتنكير أساور للتكثير والتعظيم. عن سعيد بن جبير يحلى كل واحد منهم ثلاثة أساور: واحد من ذهب وواحد من فضة وواحد من لؤلؤ وياقوت فهم يسورون بالأجناس الثلاثة على المعاقبة أو على الجمع كما تفعله نساء الدنيا ويجمعن بين أنواع الحلي. قال بعض الكبار: أي يتزينون بأنواع الحلي من حقائق التوحيد الذاتي ومعاني التجليات العينية الأحدية فالذهبيات هي الذاتيات والفضيات هي الصفات النوريات كما قال: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١] ﴿**ويلبسون ثيابا خضرا**﴾ [جامهاى سيز] وذلك لأن الخضرة أحسن الألوان وأكثرها طراوة وأحبها إلى الله تعالى: ﴿**من سندس وإستبرق**﴾ ما رق من الديباج وما غلظ منه والديباج الثوب الذي سداه ولحمته ابريسم واستبرق ليس باستفعل من البرق كما زعمه بعض الناس بل معرب استبره جمع بين النوعين للدلالة على أن لبسهما مما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين.

اعلم أن لباس أهل الدنيا إما لباس التحلي وإما لباس الستر فأما لباس التحلي فقال تعالى في صفته: ﴿**يحلون**﴾ الآية وأما لباس الستر فقال تعالى في صفته ﴿**ويلبسون**﴾ الآية. فإن قيل: ما السبب في أنه تعالى قال في الحلي يحلون على فعل ما لم يسم فاعله والمحلي هو الله أو الملائكة وقال في السندس والاستبرق ويلبسون بإسناد اللبس إليهم. قلنا: يحتمل أن يكون اللبس إشارة إلى ما استوجبوه بعلمهم بمقتضى الوعد الإلهي وأن يكون الحلي إشارة إلى ما تفضل الله به عليهم تفضلاً زائداً على مقدار الوعد وأيضاً فيه إيذان بكرامتهم وبيان أن غيرهم يفعل بهم ذلك ويزينهم به بخلاف اللبس فإنه يتعاطاه بنفسه شريفاً وحقيراً يقول الفقير: لا شك أن لباس الستر يلبسه المرء بنفسه ولو كان سلطاناً فلذا أسند إليه وأما لباس الزينة فغيره يزينه به عادة كما يشاهد في السلاطين والعرائس ولذا أسند إلى غيره على سبيل التعظيم والكرامة ﴿**متكئين فيها على الأرائك**﴾ جمع أريكة: وهي السرير في الحجال ولا يسمى السرير وحده أريكة. والحجال جمع حجلة وهي بيت يزين بالثياب للعروس وخص الاتكاء لأنه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم. قال ابن عطاء متكئين على أرائك الإنس في رياض القدس

وميادين الرحمة فهم على بساتين الوصلة شاهدون عليكم في كل حال ﴿نعم الثواب﴾ ذلك إشارة إلى جنات عدن ونعيمها والثواب جزاء الطاعة ﴿وحسنت﴾ أي: الأرائك ﴿مرتفقا﴾ أي: متكأ ومنزلاً للاستراحة.

اعلم أنه لا كلام في حسن الجنة وصفة نعيمها وإنما الكلام في الاستعداد لها فالصالحات من الأعمال من الأسباب المعدة لها وهي ما كانت لوجه الله تعالى من الصوم والصلاة وسائر وجوه الخيرات، قال الشيخ سعدي قدس سره:

قيامت كه بازار مينو نهند منازل باعمال نيكو نهند
كسى راكه حسن عمل بيشتر بدركاه حق منزلت پيشتر
بضاعت بچندانكه آرى برى اكر مفلسى شر مسار برى
كه بازار چندانكه آكنده تر تهى دست را دل پرا كنده ثر

قال في «التأويلات النجمية»: إن لأهل الإيمان والأعمال جزاء يناسب صلاحية أعمالهم وحسنها فمنها أعمال تصلح للسير بها إلى الجنات وغرفها وهي الطاعات والعبادات البدنية بالنية الصالحة على وفق الشرع والمتابعة ومنها أعمال تصلح للسير إلى الله تعالى وهي الطاعات القلبية من الصدق في طلب الحق والإخلاص في التوحيد وترك الدنيا والإعراض عما سوى الله والإقبال على الله بالكلية والتمسك بذيل إرادة الشيخ الكامل الواصل المكمل الصالح ليسلكوا ولا يغتر بالأماني فإن من زرع الشعير لا يحصد حنطة.

ـ حكي ـ أن رجلاً ببلخ أمر عبده أن يزرع حنطة فزرع شعيراً فرآه وقت حصاده وسأله وقال: زرعت شعيراً على ظن أن ينبت حنطة فقال: يا أحمق هل رأيت أحداً زرع شعيراً فحصد حنطة فقال العبد: فكيف تعصى الله أنت وترجو رحمته.

هر كسى آن درود عاقبت كار كه كشت

أما علمت أن الدنيا مزرعة الآخرة؟ قال: حضرة جلال الدين الرومي قدس سره:

جمله دانند اين اكرتو نكروى هرچه مى كاريش روزى بدورى

فتاب الرجل وأعتق غلامه فمن أيقظه الله عن سنة الغفلة عرف الله وكان في تحصيل مرضاته ومرتبة العارف فوق مرتبة العابد والكرامات الكونية لا قدر لها. وقد ثبت فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه على سائر الصحابة رضي الله عنهم حتى قيل في شأنه إن الله يتجلى لأهل الجنة عامة ولأبي بكر خاصة مع أنه لم ينقل عنه شيء من الخوارق وذلك التجلي إنما هو بكرامته العلمية التي أعطاها الله إياه وأحسن التحقيق بحقائقها ولأهلها جنة عاجلة قلبية في الدنيا.

﴿۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿واضرب لهم مثلا رجلين﴾ مفعولان لـ «ضرب» أولهما ثانيهما لأنه المحتاج إلى التفصيل والبيان أي: اضرب يا محمد وبين للكافرين المتقلبين في نعم الله والمؤمنين المكابدين لمشاق الفقر مثلاً حال من رجلين مقدرين أو أخوين من بني إسرائيل. قال في الجلالين: يريد ابني ملك كان في بني إسرائيل. قال أبو حيان ويظهر من قوله: ﴿فقال لصاحبه﴾ أنه ليس أخاه انتهى. يقول الفقير: هذا ذهول عن عنوان الكلام إذ التعبير عنهما برجلين يصحح إطلاق

الصاحب على الأخ وأيضاً أخذ الكافر بيد أخيه المسلم وإدخاله إياه جنته طائفاً به فيما يأتي مما ينادي على صحة ما ادعيناه إذ لا تنافي هذه الصحبة الأخوة وكل منهما من أخص الأوصاف قالوا: كان أحد الأخوين مؤمناً واسمه يهودا والآخر كافراً واسمه قطروس بضم القاف ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتقاسماها بينهما فاشترى الكافر أرضاً بألف دينار وبنى داراً بألف دينار وتزوج امرأة بألف واشترى خدماً ومتاعاً بألف فقال المؤمن: اللهم إن أخي اشترى أرضاً بألف دينار وأنا أشتري منك أرضاً في الجنة فتصدق به وإن أخي بنى داراً بألف دينار وأنا أشتري منك داراً في الجنة فتصدق به وإن أخي تزوج امرأة بألف وأنا أجعل ألفاً صداقاً للحور فتصدق به وإن أخي اشترى خدماً ومتاعاً بألف وأنا أشتري منك الولدان المخلدين بألف فتصدق ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه فقام إليه فنظر إليه وقال: ما شأنك؟ قال: أصابتني حاجة فأتيت لتصيبني بخير فقال: وما فعلت بمالك وقد اقتسمنا مالاً وأخذت شطره فقص عليه القصص قال: إنك إذاً لمن المتصدقين بهذا اذهب فلا أعطينك شيئاً فطرده ووبخه على التصدق بماله ﴿**جعلنا لأحدهما**﴾ وهو الكافر ﴿**جنتين**﴾ بستانين ﴿**من أعناب**﴾ من كروم متنوعة فإطلاق الأعناب عليها مجازاً ويجوز أن يكون بتقدير المضاف أي أشجار أعناب ﴿**وحففناهما بنخل**﴾ أي: جعلنا النخل محيطة بالجنتين ملفوفاً بها كرومهما وبالفارسية [يعني درختان خرما كردا كرد در آورديم] يقال: حفه القوم إذا طافوا به أي: استداروا وحففته بهم أي: جعلتهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولاً ثانياً مثل غشيته وغشيته به ﴿**وجعلنا بينهما**﴾ وسطهما يعني [پيدا كرديم ميان آن دوباغ] ﴿**زرعا**﴾ ليكون كل منهما جامعاً للأقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الأنيق.

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿**كلتا الجنتين آتت أكلها**﴾ بثمرها وبلغ مبلغاً صالحاً للأكل وإفراد الضمير في آتت للحمل على لفظ المفرد. قال الحريري ولا يثنى خبر كلا إلا بالحمل على المعنى أو لضرورة الشعر ﴿**ولم تظلم منه**﴾ لم تنقص من أكلها ﴿**شيئا**﴾ كما يعهد في سائر البساتين فإن الثمار تتم في عام واحد وتنقص في عام غالباً وكذا بعض الأشجار تأتي بالثمر في بعض الأعوام دون بعض ﴿**وفجرنا خلالهما**﴾ وشققنا فيما بين كل من الجنتين وأخرجنا وأجرينا ﴿**نهرا**﴾ على حدة ليدوم شربهما ونزيد بهاؤهما ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر إيتاء الأكل مع أن الترتيب الخارجي على العكس للإيذان باستقلال كل من إيتاء الأكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين ولو عكس لانفهم أن المجموع خصلة واحدة بعضها مرتب على بعض فإن إيتاء الأكل متفرع على السقي عادة وفيه إيماء إلى أن إيتاء الأكل لا يتوقف على السقي كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥] ﴿**وكان له**﴾ أي: لصاحب الجنتين ﴿**ثمر**﴾ أنواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله الذي ذكر. وقال الشيخ في تفسيره بفتحتين جمع ثمرة وهي المجني من الفاكهة وذكرها وإن كانت الجنة لا تخلو عنها إيذان بكثرة الحاصل له في الجنتين من الثمار وغيرها. وقال الكاشفي: ﴿**وكان له ثمر**﴾ [همه ميوه يعني از انكور خرما وميوهاى ديكر داشت واختصاص آنها بذكر غالبيت بوده] ﴿**فقال لصاحبه**﴾ أخيه المؤمن ﴿**وهو**﴾ أي:

والحال أن القائل ﴿يحاوره﴾ يكلمه ويراجعه الكلام من حار إذا رجع. قال الكاشفي: [واو مجادله مى كرد با او وسخن باز مى كردانيد انتهى] ولهذه المحاورة والمعية أطلق عليه الصاحب ﴿أنا أكثر منك مالا﴾ عن محمد بن الحسن ـ رحمه الله ـ: المال كله ما يتملكه الناس من دراهم أو دنانير أو ذهب أو فضة أو حنطة أو خبز أو حيوان أو ثياب أو سلاح أو غير ذلك والمال العين هو المضروب ﴿وأعز نفرا﴾ حشماً وأعواناً وأولاداً ذكوراً لأنهم الذين ينفرون معه دون الإناث والنفر بفتحتين من الثلاثة إلى العشرة من الرجال ولا يقال فيما فوق العشرة يقول الفقير: لاح لي هٰهنا إشكال وهو أنه إن حمل أفعل على حقيقته في التفضيل يلزم أن يكون الرجلان المذكوران مقدرين لا محققين أخوين لأنه على تقدير التحقيق يقتضي أن لا يكون لأحدهما مال أصلاً كما يفصح عنه البيان السابق وقد أثبت هٰهنا الأكثرية للكافر والأقلية للمؤمن وجوابه يستنبط من السؤال والله أعلم بحقيقة الحال.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿ودخل﴾ صاحب الجنتين وهو قطروس ﴿جنته﴾ بصاحبه يطوف به فيها ويعجبه منها ويفاخره بها وتوحيدها يعني: بعد التثنية لاتصال إحداهما بالأخرى وإما لأن الدخول يكون في واحدة فواحدة. وقال الشيخ: افردها إرادة للروضة ﴿وهو﴾ أي: والحال أنه ﴿ظالم لنفسه﴾ ضار لها يعجب بماله وكفره بالمبدأ والمعاد وهو أقبح الظلم كأنه قيل: فماذا قال إذ ذاك؟ ﴿قال ما أظن﴾ كثيراً ما يستعار الظن للعلم لأن الظن الغالب يداني العلم ويقوم مقامه في العادات والأحكام ومنه المظنة للعلم ﴿أن تبيد﴾ تفنى وتهلك وتنعدم من باد إذا ذهب وانقطع ﴿هذه﴾ الجنة ﴿أبدا﴾ الأبد الدهر وانتصابه على الظرف والمراد هنا المكث الطويل وهو مدة حياته لا الدوام المؤبد إذ لا يظنه عاقل لدلالة الحس والحدس على أن أحوال الدنيا ذاهبة باطلة فلطول أمله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته قال بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنته والاغترار بها وأمره بتحصيل الباقيات الصالحات.

﴿وما أظن الساعة﴾ أي: القيامة التي هي عبارة عن وقت البعث ﴿قائمة﴾ كائنة فيما سيأتي ﴿ولئن رددت﴾ والله لئن رجعت ﴿إلى ربي﴾ بالبعث على الفرض والتقدير كما زعمت فليس فيه دلالة على أنه كان عارفاً بربه مع أن العرفان لا ينافي الإشراك وكان كافراً مشركاً. قال في «البرهان» قال تعالى: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ [الكهف: ٣٦] وفي حم ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ [فصلت: ٥٠] لأن الرد على الشيء يتضمن كراهة المردود ولما كان في الكهف تقديره ولئن رددت عن جنتي هذه التي أظن أن لا تبيد أبداً إلى ربي كان لفظ الرد الذي يتضمن الكراهة أولى وليس في حم ما يدل على كراهته فذكر بلفظ الرجع ليقع في كل سورة ما يليق بها ﴿لأجدن﴾ يومئذٍ ﴿خيرا منها﴾ من هذه الجنة ﴿منقلبا﴾ تمييز أي: مرجعاً وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقاد أنه تعالى إنما أولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه وهو معه أينما توجه ولم يدر أن ذلك استدراج، يعني: [مقتضاي استحقاق من آنست كه فردا بهشت بمن دهد چنانچه امروز اين باغ بمن داده] فقول من قال إنه كريم رحيم يعطيني

في الآخرة خيراً مما أعطاني في الدنيا وهو مخالف لأوامره ونواهيه غاية الغرور بالله تعالى كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ [الانفطار: ٦] إلى قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٤]:

آتشـى خـوش بـرفـروزيـم ازكـرم تـانـمـا نـدجـرم وزلـت بـيـش وكـم

﴿قال له صاحبه﴾ أي: أخوه المؤمن وهو استئناف كما سبق ﴿وهو يحاوره﴾ أي: والحال أن القائل يخاطبه ويجادله: قال في «الإرشاد» وفائدة هذه الجملة الحالية التنبيه من الأمر الأول على أن ما يتلوه كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاورة ﴿أكفرت﴾ حيث قلت: ما أظن الساعة قائمة فإنه شك في صفات الله وقدرته ﴿بالذي خلقك﴾ أي: في ضمن خلق أصلك آدم عليه السلام ﴿من تراب﴾ فإنه متضمن بخلقه منه إذ هو أنموذج مشتمل إجمالاً على جميع أفراد الجنس وهمزة الاستفهام للتقرير والإمكان بمعنى ما كان ينبغي أن تكفر ولم كفرت بمن أوجدك من تراب أولاً ﴿ثم من نطفة﴾ أي: من مني في رحم أمك ثانياً وهي مادتك القريبة ﴿ثم سواك﴾ جعلك معتدل الخلق والقامة حال كونك ﴿رجلا﴾ إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال. قال في «القاموس» الرجل بضم الجيم وسكونها معروف أو إنما هو إذا احتلم وشب.

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾

﴿لكنا هو الله ربي﴾ أصله لكن أنا فحذفت الهمزة بنقل حركتها إلى نون لكن أو بدون نقل على خلاف القياس فتلاقت النونان فكان الإدغام أثبت جميع القراء ألفها في الوقف وحذفوها في الوصل غير ابن عامر فإنه أثبتها في الوصل أيضاً لتعويضها من الهمزة أو لإجراء الوصل مجرى الوقف وهو ضمير الشأن مبتدأ خبره الله ربي وتلك الجملة خبر أنا والعائد منها إليه ياء الضمير في ربي والاستدراك من قوله: أكفرت كأنه قال لأخيه: أنت كافر بالله لكني مؤمن موحد فوقع لكن بين جملتين مختلفتين في النفي والإثبات ﴿ولا أشرك بربي أحدا﴾ فيه إيذان بأن كفره كان بطريق الإشراك.

﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت﴾ وهلا قلت عند دخول جنتك ﴿ما شاء الله﴾ ما موصولة خبر مبتدأ محذوف أي: الأمر ما شاء الله واللام في الأمر للاستغراق والمراد تحضيضه على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى إن شاء أبقاها على حالها عامرة وإن شاء أفناها وجعلها خربة ﴿لا قوة إلا بالله﴾ أي: هلا قلت ذلك اعترافاً بعجزك وبأن ما تيسر لك من عمارتها وتدبيرها إنما هو بمعونته تعالى وإقداره وفي الحديث: «من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم تضره العين» وفي الحديث: «من رأى أحداً أعطي خيراً من أهل أو مال فقال عنده ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم ير فيه مكروهاً» وفسر النبي عليه السلام معنى لا حول ولا قوة إلا بالله فقال: «لا حول تحول عن معاصي الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بالله» وروي «أنها دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهمّ» ﴿إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا﴾ أصله إن ترني والرؤية إما بصرية بأقل حال وإما علمية فهو مفعول ثان والأول ياء المتكلم المحذوفة وأنا على التقديرين تأكيد للياء.

﴿فعسى﴾ لعل ﴿ربي أن يؤتين﴾ أصله يؤتيني ﴿خيرا من جنتك﴾ هذه في الآخرة بسبب إيماني لأن الجنة الدنيوية فانية والأخروية باقية والجملة جواب الشرط ﴿ويرسل عليها﴾ على جنتك في الدنيا ﴿حسبانا من السماء﴾ عذاباً يرميها به من برد أو صاعقة أو نار. قال في «القاموس»: الحسبان بالضم جمع حساب والعذاب والبلاء والشر والصاعقة. يقول الفقير: إنما توقعه في حقه لعلمه بأن الكفران مؤد إلى الخسران وأن الإعجاب سلب للخراب كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] فكلامه هذا جواب عن قول صاحبه المنكر ما أظن أن تبيد هذه أبداً ﴿فتصبح﴾ الإصباح هنا بمعنى الصيرورة أي: تصير جنتك ﴿صعيداً زلقاً﴾ مصدر أريد به المفعول مبالغة أي: أرضاً ملساء يزلق عليها بملاصقتها باستئصال نباتها وأشجارها وجوز القرطبي أن تكون زلقاً من زلق رأسه أي: حلقه والمراد أنه لا يبقى فيها نبات كالرأس المحلوق فزلقا بمعنى مزلوق أيضاً.

﴿أو يصبح ماؤها غورا﴾ أي: غائراً في الأرض ذاهباً لا تناله الأيدي ولا الدلاء فأطلق هذا المصدر مبالغة ﴿فلن تستطيع﴾ تقدر إبداله ﴿له﴾ أي: للماء الغائر ﴿طلبا﴾ فضلاً عن وجدانه ورده. قال في الجلالين لا يبقى له أثر تطلبه به.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿وأحيط بثمره﴾ عطف على مقدر كأنه قيل فوقع بعض توقعه من المحذور وأهلك أمواله المعهودة التي هي جنتاه وما حوتاه مأخوذ من أحاط به العدو لأنه إذا أحاط به فقد غلبه واستولى عليه فيهلكه ﴿فأصبح﴾ صار ﴿يقلب كفيه﴾ ظهراً لبطن تأسفاً وتحسراً كما هو عادة النادمين فإن النادم يضرب يديه واحدة على الأخرى. قال في «بحر العلوم» تقليب الكفين وعض الكف والأنامل واليدين وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن الندم والحسرة لأنها من روادفها فتطلق الرادفة على المردوف فيرتقي الكلام به إلى الذروة العليا ويزيد الحسن بقبول السامع ولأنه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح يندم ﴿على ما أنفق﴾ [برآن چيزى خرج نموده بود اول] ﴿فيها﴾ في عمارتها من المال، وفي «المثنوي»:

بر كذشته حسرت آوردن خطاست باز نايد رفته ياد آن هباست

ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما أنه إنما يكون على الأفعال الاختيارية يقول الفقير الظاهر أن الإنفاق إنما هو لتملكها فالتحسر على ماله مغن عن التحسر على الجنة لأنها بدله وهذا شائع في العرف كما يقول بعض النادمين قد صرفت لهذا كذا وكذا مالاً وقد آل عمره إلى الهلاك متحسراً على المال المصروف ﴿وهي﴾ أي: الجنة من الأعناب المحفوفة بنخل ﴿خاوية﴾ خالية ساقطة يقال خوت الدار خويا تهدمت وخلت من أهلها ﴿على عروشها﴾ دعائمها المصنوعة للكروم سقطت عروشها على الأرض وسقط فوقها الكروم وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع لكونها العمدة قيل أرسل الله عليها ناراً فأحرقتها وغار ماؤها ﴿ويقول﴾ عطف على يقلب ﴿يا ليتني﴾ [كاشكى من] ﴿لم أشرك بربي أحدا﴾ كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه إنما أتى من جهة الشرك فتمنى أنه كان موحداً غير مشرك حين لم ينفعه التمني ولما كان رغبته في الإيمان لطلب الدنيا لم يكن قوله هذا توبة وتوحيداً لخلوه عن

الإخلاص. قال ابن الشيخ في سورة الأنعام: الرغبة في الإيمان والطاعة لا تنفع إلا إذا كانت تلك الرغبة رغبة لكونه إيماناً وطاعة أما الرغبة فيه لطلب الثواب وللخوف من العقاب فغير مفيدة انتهى، وفي «المثنوي»:

آن ندامت از نتيجه رنج بود　　نى زعقل روشن چون كنج بود
چونكه شدرنج آن ندامت شد عدم　　مى نيرزد خاك آن توبه ندم
ميكنند او توبه وپر خرد　　بانك لو ردوا لعادوا ميزند

﴿ولم تكن له فئة﴾ جماعة ﴿ينصرونه﴾ يقدرون على نصره بدفع الهلاك أو على رد المهلك والإتيان بمثله ﴿من دون الله﴾ فإنه القادر وحده على نصره بذلك لا غير لكنه لا ينصره لاستحقاقه الخذلان بكفره ومعاصيه ﴿وما كان منتصرا﴾ ممتنعاً بقوته عن انتقامه سبحانه.

﴿هنالك﴾ أي: في ذلك المقام وتلك الحال [دروقت زوال نعمت] ﴿الولاية لله الحق﴾ أي: النصرة له تعالى وحده لا يقدر عليها أحد وهو تقرير لقوله تعالى: ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله﴾ أو ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم كما نصر بما فعل بالكافر أخاه المؤمن وحقق ظنه وترك عدوه مخذولاً مقهوراً أو يؤيده قوله تعالى: ﴿هو﴾ أي: الله تعالى ﴿خير ثواباً وخير عقبا﴾ بمعنى العاقبة أي: لأوليائه. قال سعدي المفتي وعقبى يشمل العاقبة الدنيوية أيضاً كما لا يخفى. قال في «الجلالين»: أفضل ثواباً ممن يرجى ثوابه وعاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره.

واعلم أن هذه القصة مشتملة على فوائد كثيرة وأعظمها أن التوحيد وترك الدنيا سبب للنجاة في الدارين والشرك وحب الدنيا سبب للهلاك فيهما. وعن وهب بن منبه أنه قال: جمع عالم من علماء بني إسرائيل سبعين صندوقاً من كتب العلم كل صندوق سبعون ذراعاً فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان أن قل لهذا العالم لا تنفعك هذه العلوم وإن جمعت أضعافاً مضاعفة ما دام معك ثلاث خصال: حب الدنيا، ومرافقة الشيطان، وإيذاء مسلم وذلك أن فرعون علم نبوة موسى عليه السلام ولكن منعه حب الدنيا والرياسة عن المتابعة فلم ينفعه علمه المجرد وكذا علم إبليس حال آدم عليه السلام واليهود حال نبينا ﷺ وما سعدوا بمجرد علمهم وما وجدوا خير عاقبة ولو عملوا بما وعظوا لنجوا وفي «المثنوي»:

كرچه ناصح را بود صد داعيه　　پندرا اذنى ببايد واعيه
تو بصد تلطيف پندش مى دهى　　او ز پندت ميكند پهلو تهى
يك كس نا مستمع زاستيز ورد　　صد كس كوينده را عاجز كند
ز أنبيا نا صح ترو خوش لهجه تر　　كى بود كه رفت دمشان در حجر
زانكه كوه وسنك دركار آمدند　　مى نشد بدبخت را بكشاده بند
آنچنان دلها كه بدشان وما ومن　　نتشان شد بل أشد قسوة

ألا يرى لم ينجع فيه وعظ أخيه المسلم لزيادة قسوة قلبه فآلت عاقبته إلى الندامة.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا﴾ أي: اذكر لقومك وبين ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا ولا يعكفوا عليها ولا يعرضوا عن الآخرة بالكلية ﴿كماء﴾ استئناف لبيان المثل أي: هي كماء ﴿أنزلناه من السماء﴾ [از سحاب يا از جانب سما] ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء وحده بل بمجموع ما في حيز الأداة. ﴿فاختلط به نبات الأرض﴾ التف وتكاثف بسببه حتى خالط بعضه بعضاً. يعني: [قوت كرفت ونشو ونماى خود بكمال رسانيد وزمين بدو تازه وخرم شد] ﴿فأصبح﴾ فصار ذلك النبات الملتف أثر بهجته ﴿هشيما﴾ مهشوماً مكسوراً ليبسه من الهشم وهو كسر الشيء الرخو ﴿تذروه الرياح﴾ تحمله وتفرقه يقال ذرت الريح الشيء وأذرته وذرته اطارته واذهبته وذرا هو بنفسه والحنطة نقاها في الريح كما في «القاموس». وهذه الآية مختصرة من قوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ﴾ [يونس: ٢٤] الآية. قال الكاشفي: [همچنين آدمى بزندكى وتازكى كه دارد خوش برآيد همچنين كه نامه عمر ازعنفوان بپايان رسد مقتضى أجل در آمده نهال نهاداورا بصر صرفنا خشك سازد وخر منهاى از وآرزورا بباد نيستى بر دهد]:

بهار عمر بسى دلفريب ورنكينست ولى چه سود كه دارد خزان مرك از پى

﴿وكان الله على كل شيء﴾ من الإنشاء والإبقاء والإفناء وغير ذلك ﴿مقتدرا﴾ قادراً على الكمال لا يعجزه شيء. فعلى العاقل أن لا يغتر بالحياة الدنيا فإنها فانية ولو طالت مدتها وزائلة ولو أعجبت زينتها، قال الشيخ سعدي قدس سره:

چو شيبت در آمد بروى شباب شبت روزشد ديده بركن زخواب
دريغاكه بكذشت عمر عزيز بخواهد كذشت اين دمى چند نيز
فرو رفت جم را يكى نازنين كفن كردچون كرمش ابريشمين
بدخمه در آمد پس از چند روز كه بروى بكريد بزارى وسوز
چو پوشيده ديدش حرير كفن بفكرت چنين كفت باخو يشتن
من از كرم بركنده بودم بزور بكندند ازو باز كرمان كور
در يغا كه بى ما بسى روز كار برويد كل وبشكفد نو بهار

واعلم أن الذي أدركته العناية الأزلية بعد تعلق الروح بالجسد كتعلق الماء بالأرض فيبعث الله إليه دهقاناً من دهاقين الأولياء والأنبياء ومعه بذر الإيمان والتوحيد ليلقيه بيد الدعوة وتبليغ الرسالة في أرض نفسه فيقع منها في تربة طيبة وهي القلب كما ضرب الله تعالى مثلاً ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وكقوله: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨] فينبت عن بذر التوحيد وهي كلمة لا إله إلا الله شجرة الإيمان بماء الشريعة فيعلو به الروح من أسفل سافلين الإنسانية إلى أعلى درجات الروحانية وأقرب منازل قربات الربانية كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] والله تعالى قادر على أن يخذله وينفيه في أسفل سافلين الجسمانية الحيوانية ليصير الروح العلوي كالأنعام بل هو أضل وعلى أن يجذبه بجذبات العناية إلى أعلى عليين مراتب القرب ليكون مسجوداً لملائكة المقربين، قال المولى الجامي:

سالكان بى كشش دوست بجايى نرسند سالها كرچه درين راه تك وپوى كنند

نسأل الله تعالى أن يجذبنا بسلاسل محبته ويجعلنا من أهل طاعته وقربته. قال وهب:

رأيت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجهال فالأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم كانوا في الدنيا ولم يلتفتوا إليها ولم يرغبوا فيها قالوا: ليس كل من دخل المحبس يكون محبوساً فيه بل ربما دخله لإخراج المحبوس واستنقاذ المأسور فالنفوس النبوية ومن يتبعها إنما وردت إلى عالم الكون والفساد لاستنقاذ النفوس المحبوسة المأسورة فكما أن المحبوس إذا اتبع ذلك الداخل خرج ونجا فكذلك من اتبع الأنبياء في سننهم ومناهجهم خرج ونجا.

﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾ الزينة مصدر في الأصل أطلق على المفعول مبالغة كأنهما نفس الزينة والمعنى أن ما يفتخر به الناس لا سيما رؤساء العرب من المال والبنين شيء يتزينون به في الحياة الدنيا ويفني عنهم عن قريب. وبالفارسية: [مال وپسران آرايش زندكانىء دنيا آمد ندتوشه راه معاد چه باندك زماني تلف وهدف زوال خواهد شد] وفي «المثنوي»:

همچنين دنيا اكرچه خوش شكفت بانك هم زد بيوفايىء خويش كفت
كون مى كويد بيامن خوش پى ام وإن فسادش كفت رو من لا شي ام
اى زخوبى بهاران لب كزان بنكر آن سردى وزردىء خزان
كودكى از حسن شد مولاى خلق بعد فردا شد خرف رسواى خلق

﴿**والباقيات الصالحات**﴾ الباقيات اسم لأعمال الخير لا وصف ولذا لم يذكر الموصوف أي: أعمال الخير التي تبقى ثمراتها أبد الآباد من الصلاة والصوم وأعمال الحج وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ونحو ذلك من الكلم الطيب.

ـ روي ـ أنه عليه السلام خرج على قومه فقال: «خذوا جنتكم» قالوا: يا رسول الله أمن عدو حضر قال: «لا بل من النار» قالوا: وما جنتنا من النار قال: «سبحان الله» إلى آخر الكلمات. قال الكاشفي: [بعض علما برانندكه باقيات صالحات بنات است كه بحكم هن ستر من النار سبب خلاص والدين باشند] وفي الحديث: «من ابتلي» الابتلاء هو الامتحان لكن أكثر استعمال الابتلاء في المحن والبنات مما تعد منها لأن غالب هوى الخلق في الذكور «من هذه البنات بشيء» من بيانية مع مجرورها حال من شيء «فأحسن إليهن» فسر الشارح هنا الإحسان بالتزويج بالأكفاء لكن الأوجه أن يعمم الإحسان «كن له ستراً من النار» لأن احتياجهن إليه كان أكثر حال الصغر والكبر فمن يسترهن بالإحسان يجازى بالستر من النيران كما في «شرح المشارق» لابن الملك ﴿**خير**﴾ من الفانيات الفاسدات من المال والبنين ﴿**عند ربك**﴾ أي: في الآخرة ﴿**ثوابا**﴾ عائدة تعود إلى صاحبها ﴿**وخير أملا**﴾ رجاء حيث ينال بها صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا وأما ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه أمل يناله. والآية تزهيد للمؤمنين في زينة الحياة الدنيا الفانية وتوبيخ للمفتخرين بها قال بعضهم: لا ينجو من زينة الحياة الدنيا إلا من كان باطنه مزيناً بأنوار المعرفة وضياء المحبة ولمعان الشوق وظاهره مزيناً بآداب الخدمة وشرف الهمة وعلو النفس وتغلب زينة باطنه زينة حب الدنيا شوقاً منه إلى ربه وتغلب زينة ظاهره زينة الدنيا لأن زينتها أزين. وعن الضحاك عن النبي عليه السلام أنه قيل: يا رسول الله من أزهد الناس؟ قال: «من لم ينس القبر والبلى وترك فضول زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد من أيامه غداً وعد نفسه من الموتى» وفي الحديث: «قال الله تعالى: يفرح عبدي المؤمن إذا بسطت له شيئاً من الدنيا وذلك أبعد له مني ويحزن إذا أقترت عليه الدنيا وذلك أقرب له مني» ثم تلا عليه السلام هذه الآية ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ

وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦] إن ذلك فتنة لهم، قال الشيخ سعدي:

يكى پارسا سيرت وحق پرست | فتادش يكى خشت زرين بدست
همه شب در انديشه كين كنج ومال | درو تازيم ره نيابد زوال
دكر قامت عجزم ازبهر خواست | نيايد بزكس دوتا كرد وراست
سرايى كنم پاى بستش رخام | درختان سقفش همه عود خام
يكى حجره خاص ازپى دوستان | در حجره اندر سرا بوستان
بفرسودم ازرقعه بررقعه دوخت | تف ديكران چشم ومغزم بسوخت
ديكر زير دستان برندم خورش | براخت دهم روح را پرورش
بسختى بكشت اين نمد پسترم | روم زين سپس عبقرى كسترم
خيالش حزف كرد وكاليوه رنك | بمغزش فرو برده خرچنك چنك
فراغ مناجات وزارش نماند | خور وخواب وذكر ونمازش نماند
بصحرا در آمد سراز عشوه مست | كه جايى نبودش قرار نشست
يكى بر سركور كل ميسرشت | كه حاصل كند زان كل كور خشت
بانديشه لختى فرو رفت پير | كه اى نفس كوته نظر پندكير
چه پندى درين خشت زرين دلت | كه يك روز خشتى كنند از كلت
توغافل در انديشه سود ومال | كه سرمايه عمرشد پايمال
بكن سرمه غفلت از چشم پاك | كه فردا شوى سرمه در چشم خاك

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿ويوم نسير الجبال﴾ أي: اذكر حين نقلعها من أماكنها وتسير في الجو على هيآتها أو تسير أجزاؤها بعد أن نجعلها هباء منبثاً والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهي **﴿وترى﴾** يا محمد أوياكل من يصلح للرؤية **﴿الأرض﴾** جميع جوانبها **﴿بارزة﴾** ظاهرة ليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر ولا نبات **﴿وحشرناهم﴾** جمعنا أهل الإيمان والكفر إلى الموقف من جانب **﴿فلم نغادر﴾** لم نترك **﴿منهم أحدا﴾** تحت الأرض يقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل وتركه في الأرض الغائرة.

﴿وعرضوا﴾ أي: الخلائق يوم القيامة يعني المحشورين **﴿على ربك﴾** على حكمه وحسابه **﴿صفا﴾** مفرد منزل منزلة الجمع كقوله تعالى: **﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾** [غافر: ٦٧] أي: أطفالاً والمعنى صفوفاً يقف بعضهم وراء بعض غير متفرقين ولا مختلطين شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان ليحكم فيهم بما أراد لا ليعرفهم **﴿لقد جئتمونا﴾** أي: فيقال لهم ثمة لقد جئتمونا كائنين **﴿كما خلقناكم أول مرة﴾** حفاة عراة لا شيء من المال والولد. وعن عائشة رضي الله عنها قلت: يا رسول الله كيف يحشر الناس يوم القيامة؟ قال: «عراة حفاة» قلت: والنساء؟ قال: «نعم» قلت: يا رسول الله نستحيي قال: «يا عائشة الأمر أشد من ذلك لن يهمهم أن ينظر بعضهم إلى بعض».

وفي «التأويلات»: ﴿**وعرضوا على ربك صفا**﴾ أي: صفاً صفاً من الأنبياء والأولياء والمؤمنين والكافرين والمنافقين ويقال لهم: ﴿**لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة**﴾ في خمسة صفوف: صف من الأنبياء، وصف من الأولياء، وصف من المؤمنين، وصف من الكافرين، وصف من المنافقين ﴿**بل زعمتم**﴾ أيها الكافرون المنكرون للبعث والزعم الادعاء بالكذب ﴿**أن**﴾ مخففة من الثقيلة ﴿**لن نجعل لكم موعدا**﴾ بل للخروج والانتقال من قصة إلى أخرى كلاهما للتوبيخ والتقريع أي: زعمتم في الدنيا أنه لن نجعل لكم أبداً وقتاً ننجز فيه ما وعدناه على ألسنة الأنبياء من البعث وما يتبعه. والآية تشير إلى عزته تعالى وعظمته وإظهار شظية من صفة جلاله وقهره وآثار عدله لينتبه النائمون من نوم غفلتهم ويتأهب الغافلون بأسباب النجاة لذلك اليوم ويصلحوا أمر سريرتهم وعلانيتهم لخطاب الحق تعالى وجوابه إذ إليه المرجع والمآب والعرض على الله هو العرض الأكبر ليس كعرض على الملوك. قال عتبة الخواص: بات عندي عتبة الغلام فبكى حتى غشي عليه فقلت: ما يبكيك؟ قال: ذكر العرض على الله قطع أوصال المحبين.

ـ حكي ـ أن سليمان بن عبد الملك وهو سابع خلفاء المروانية قال لأبي حازم: ما لنا نكره الآخرة؟ قال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون الانتقال من العمران إلى الخراب فقال: صدقت يا أبا حازم فيا ليت شعري ما لنا عند الله تعالى غداً قال: إن شئت تعلم ذلك ففي كتاب الله فقال: أين أجده؟ فقال في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣-١٤] قال: فكيف يكون العرض على الله تعالى فقال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله مسروراً وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه محسوراً فبكي سليمان بكاء شديداً، قال الشيخ سعدي قدس سره:

نر يزد خدا آب روى كسى   كه ريزد كناه آب چشمش بسى
كر آيينه ازآه كردد سياه   شود روشن آيينه دل زآه
بترس ازكناهان خويش اين نفس   كه روز قيامت نترسى زكس
پليدى كند كربه در جاى پاك   چو زشتش نمايد بيوشد بخاك
تو آزادى ازنا پسنديدها   نترسى كه بروى فتد ديدها
بر انديش ازبنده پر كناه   كه از خواجه غائب شود چندكاه
اكرباز كردد بصدق ونياز   بز نجير وبندش نيارد نباز

ـ روي ـ عن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه قال: إني لا أغبط ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا عبداً صالحاً أليس هؤلاء يعاينون القيامة وأهوالها وإنما أغبط من لم يخلق لأنه لا يرى أحوال القيامة وشدائدها وذلك لأن من عاين الأمر على ما هو عليه اشتد خوفه ولم ير لنفسه حالاً ولا مقاماً مع أن المرء لا يخلو عن أسباب منجية ومهلكة فأي الرجال المهذب.

ـ روي ـ أن عمر رضي الله عنه رؤي بعد موته بثنتي عشرة سنة وهو يمسح جبينه ويقول: كنت في الحساب إلى الآن وقد نوقشت في جدي سقط من جسر مكسور فانكسرت رجله على أني لم أجرم له ولم أصلح الجسر حتى سقط الجدي ولكن غفر الله لي وعفا عني بسبب عصفور اشتريته من صبي فأرسلته.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿ووضع الكتاب﴾ عطف على عرضوا داخل تحت الأمور الهائلة التي أريد تذكيرها بتذكير وقتها وضع صحف الأعمال في إيمان أصحابها وشمائلها أو في الميزان ﴿فترى المجرمين﴾ قاطبة ﴿مشفقين﴾ خائفين ﴿مما فيه﴾ من الذنوب ومن ظهورها لأهل الموقف.

شد سيه چون نامهاى تعزيه ... بر معاصى متن نامه حاشيه
جمله فسق ومعصيت بد يكسرى ... همچو دار الحرب پر از كافرى
آنچنان نامه پليد وپر وبال ... در يمين نايد در آمد در شمال
خود همينجا نامه خودرا ببين ... دست چپ را شايد آن در يمين
چون نباشى راست مى دان كه چپى ... هست پيدا نعره شير وكپى
كرچپى باحضرت اوراست باش ... تا ببينى دست برد لطفها ش

﴿ويقولون﴾ عند وقوفهم على تضاعيفه نقيراً وقطميراً تعجباً من شأنه ﴿يا ويلتنا﴾ منادين لهلكتهم التي هلكوا بها من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا هول ما لاقوه فإن الويل والويلة الهلكة أي: يا هلكتنا احضري وتعالي فهذا أوانك ﴿مال هذا الكتاب﴾. قال البقاعي: رسم لام الجر وحده إشارة إلى أنهم صاروا من قوة الرعب وشدة الكرب يقفون على بعض الكلمة أي: أيّ شيء له حال كونه ﴿لا يغادر﴾ لا يترك ﴿صغيرة ولا كبيرة﴾ من الزلل تصدر عن جانيها ﴿إلا أحصاها﴾ حواها وضبطها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة. وعن سعيد بن جبير: الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا.

وفي «التأويلات النجمية»: الصغيرة كل تصرف في شيء بالشهوة النفسانية وإن كان من المناجاة والكبيرة التصرف في الدنيا على حبها وإن كان من حلالها لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة انتهى. وفي الحديث «إياكم ومحقرات الذنوب فإن محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى طبخوا أخبزتهم» وفي الحديث: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنها تجيء يوم القيامة كأمثال الجبال وكفارتها الصدقة» ﴿ووجدوا ما عملوا﴾ في الدنيا من السيآت أو جزاء ما عملوا ﴿حاضرا﴾ مثبتاً في كتابهم.

وفي «التأويلات»: لأنهم كتبوا صالح أعمالهم بقلم أفعالهم في صحائف قلوبهم وسوء أعمالهم في صحائف نفوسهم وقد يوجد عكس ما في هذه الصحائف على صفحات الأرواح نورانياً أو ظلمانياً ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ فيكتب ما لم يعمل من السيآت أو يزيد في عقابه الملائم لعمله فيكون إظهاراً لمعدلة القلم الأزلي.

وفي «التأويلات»: فإن كان النور غالباً على صفحة روحه فهو من أهل الجنة وإن كانت الظلمة غالبة عليها فهو هالك ومن لا يشوب نوره بالظلمة فهو من أهل الدرجات والقربات ومن أدركته الجذبات وبدلت سيآته بالحسنات وأخرج إلى النور الحقيقي من الظلمات فهو في مقعد صدق عند مليك مقتدر انتهى. فعليك بالحسنات والكف عن السيآت فإن كل أحد يجد ثمرة شجرة أعماله. عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت جالسة ذات يوم إذ جاءت امرأة قد سترت يدها في كمها فقالت عائشة: ما لك لا تخرجين يدك من كمك؟ قالت: لا تسأليني يا أم المؤمنين إنه كان لي أبوان وكان أبي يحب الصدقة وأما أمي فكانت تبغض الصدقة فلم أرها

تصدقت بشيء إلا قطعة شحم وثوباً خلقاً فلما ماتا رأيت في المنام قد قامت القيامة ورأيت أمي قائمة بين الخلق واضعة الخلقان على عورتها ورأيت الشحم بيدها وهي تلحسه وتنادي واعطشاه ورأيت أبي على شفير الحوض وهو يسقي الماء ولم يكن عند أبي صدقة أحب إليه من سقي الماء فأخذت قدحاً من ماء فسقيت أمي فنوديت من فوق ألا من سقاها شلت يده فاستيقظت وقد شلت يدي، قال الحافظ قدس سره:

دهقان سال خورده چه خوش كفت باپسر ... اى نور چشم من بجز از كشته ندروى

قال الشيخ سعدي قدس سره:

كنون وقت تخمست اكر پرورى ... كر اميدوارى كه خر من برى
بشهر قيامت مرو تنكدست ... كه وجهى ندارد بغفلت نشست
مكن عمر ضايع بافسوس وحيف ... كه فرصت عزيزست والوقت سيف

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾

﴿وإذ قلنا للملائكة﴾ أي: اذكر وقت قولنا لهم ﴿اسجدوا لآدم﴾ سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة وكان ذلك مشروعاً في الأمم السالفة ثم نسخ بالسلام ﴿فسجدوا﴾ جميعاً غير الأرواح العالية امتثالاً للأمر وإنما لم يسجد الملائكة العالون لأنهم لم يؤمروا بالسجود وقد سبق في سورة الحجر ﴿إلا إبليس﴾ فإنه لم يسجد بل أبى واستكبر وكأنه قيل ما باله لم يسجد فقيل: ﴿كان من الجن﴾ أي: كان أصله جنياً خلق من نار السموم ولم يكن من الملائكة وإنما صح الاستثناء المتصل لأنه أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله: ﴿فسجدوا﴾ ثم استثنى كما يستثني الواحد منهم استثناء متصلاً كقولك: خرجوا إلا فلانة لامرأة بين الرجال. قال في كتاب «التكملة» قيل: إن المراد بقوله: ﴿كان من الجن﴾ أي: كان أول الجن لأن الجن منه كما أن آدم من الإنس لأنه أول الإنس. وقيل: إنه كان بقايا قوم يقال لهم الجن كان الله تعالى قد خلقهم في الأرض قبل آدم فسفكوا الدماء وقاتلتهم الملائكة. وقيل: إنه كان من قوم خلقهم الله وقال لهم: اسجدوا لآدم فأبوا فبعث الله عليهم ناراً أحرقتهم ثم خلق هؤلاء بعد ذلك فقال لهم: اسجدوا لآدم ففعلوا وأبى إبليس لأنه كان من بقية أولئك الخلق. قال البغوي: كان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما عصى غير اسمه وصورته فقيل: إبليس لأنه أبلس من الرحمة أي: يئس والعياذ بالله تعالى ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ أي: خرج عن طاعته فالأمر على حقيقته جعل عدم امتثاله للأمر خروجاً عنه ويجوز أن يكون المراد المأمور به وهو السجود والفاء للسببية لا للعطف أي: كونه من الجن سبب فسقه ولو كان ملكاً لم يفسق عن أمر ربه لأن الملك معصوم دون الجن والإنس.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ وخلع قلادة التقليد عن عنقه ليعلم أن الأصيل لا يخطىء وعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان كما أن البعرة تشابه المسك وتعارضه في الصورة فلما امتحنا بالنار تبين المقبول من المردود والمبغوض من الموداود، وقال الحافظ قدس سره:

خوش بود اكر محك تجربه آمد بميان ... تا سيه روى شود هركه دروغش باشد

﴿أفتتخذونه﴾ الهمزة للإنكار والتعجب والفاء للتعقيب أي: عقيب عملكم يا بني آدم بصدور الفسق عن إبليس تتخذونه ﴿وذريته﴾ أي: أولاده وأتباعه جعلوا ذريته مجازاً. قال الكاشفي: [كويند بمعنى اتباع وتسميه ايشان بذريت ازقبيل مجاز بود واكثر برانند كه او زذريت نيست] قال في «القاموس»: ذرأ كجعل خلق والشيء كثره ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين انتهى وسيأتي الكلام على هذا ﴿أولياء من دوني﴾ فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي أي ذلك الاتخاذ منكر غاية الإنكار حقيق بأن يتعجب منه ومعنى الاستبدال منهم من قوله من دونه فإن معناه مجاوزين عني إليهم وهو عين الاستبدال ﴿وهم﴾ أي: والحال أن إبليس وذريته ﴿لكم عدو﴾ أي: أعداء فحقهم أن تعادوهم لا أن توالوهم شبه بالمصادر للموازنة كالقبول ﴿بئس للظالمين بدلا﴾ من الله إبليس وذريته تمييز.

﴿ما أشهدتهم﴾ إشارة إلى غناه تعالى عن خلقه ونفي مشاركتهم في الألوهية أي: ما أحضرت إبليس وذريته ﴿خلق السموات والأرض﴾ لاعتضد بهم في خلقهما وأشاورهم في تدبير أمرهما حيث خلقتهما قبل خلقهم. وفيه رد لمن يدعي أن الجن يعلمون الغيب لأنهم لم يحضروا خلق السموات والأرض حتى يطلعوا على مغيباتهما ﴿ولا خلق أنفسهم﴾ ولا أشهدت بعضهم خلق بعضهم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [النساء: ٢٩] ﴿وما كنت متخذ المضلين﴾ أي: الشياطين الذين يضلون الناس عن الدين والأصل متخذهم فوضع المظهر موضع المضمر ذماً لهم وتسجيلاً عليهم بالإضلال ﴿عضدا﴾ أعواناً في شأن الخلق وفي شأن من شؤوني حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على الشركة في بعض أحكام الربوبية. قال في «القاموس»: العضد الناصر والمعين وهم عضدي وأعضادي انتهى.

اعلم أن الله تعالى منفرد في الألوهية والكل مخلوق له وقد خلق الملائكة والجن والإنس فباين بينهم في الصورة والأشكال والأحوال. قال سعيد بن المسيب الملائكة ليسوا بذكور ولا إناث ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون والجن يتوالدون وفيهم ذكور وإناث ويموتون والشياطين ذكور وإناث يتوالدون ولا يموتون بل يخلدون في الدنيا كما خلد فيها إبليس وإبليس هو أبو الجن وقيل: إنه يدخل ذنبه في دبره فيبيض بيضة فتفلق البيضة عن جماعة من الشياطين: قال الإمام السهيلي في كتاب «التعريف والاعلام» سمي من ولد إبليس في الحديث الأقبص دهامة بن الأقبص وسمي منهم بلزون وهو الموكل بالأسواق وأمهم طرطبة ويقال: بل هي حاضنتهم ذكره النقاش باضت ثلاثين بيضة عشراً في المشرق وعشراً في المغرب وعشراً في وسط الأرض وأنه خرج من كل بيضة جنس من الشياطين كالعفاريت والغيلان والقطاربة والجان وأسماؤهم مختلفة وكلهم عدو لبني آدم بنص هذه الآية إلا من آمن منهم انتهى. قال الكاشفي: [در تبيان آورده كه چون حق سبحانه وتعالى إبليس را برانداز پهلوى چپ او زوجهء وراكه آودنام دارد بيافريد واورا بشمار ريكهاى بيابان فر زندانند وازاولاد او يكى مره است كنيت بدو يافته است وديكر لا قيس موسوس صلوات و«ولهان» بالتحريك موسوس طهارتست يعني «الولهان شيطان يولع الناس بكثرة استعمال الماء ويضحكهم عند الوضوء» وإمام أحمد غزالي رحمه الله در اربعين آورده كه شيطان را چند فرزنداست وباتفاق زلنبور ازاولاد او صاحب اسواقست كه بدروغ وكم فروشى وخيانت وسوسه ميكند واعول صاحب ابواب زنانست يعني «صاحب الزنى الذي يأمر به ويزينه» وثبر صاحب مصائب كه بثبور ونوحه وشق جيوب ولطم

خدود ودعوى الجاهلية ميفرمايد وميسوط صاحب اراجيفست يعني: «صاحب الكذب الذي يسمع فيلقى الرجل فيخبر بالخبر فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم: قد رأيت رجلاً أعرف وجهه ما أدري ما اسمه حدثني بكذا وكذا» وداسم باخورنده طعام كه بسم الله نكفته باشد شركت ميكند]. وفي آكام المرجان داسم هو الذي يدخل مع الرجل وأهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم [ومدهيش موكل علما است كه ايشانرا براهواء مختلفه ميدارد]. ثم في الآيتين إشارات:

منها ما يتعلق بالله تعالى أراد أن يظهر صفة لطفه وصفة قهره وكمال قدرته وحكمته فأظهر صفة لطفه بآدم إذ خلقه من صلصال من حمأ مسنون وأمر ملائكته الذين خلقوا من النور بسجوده من كمال لطفه وجوده وأظهر صفة قهره بإبليس إذ أمره بسجوده لآدم بعد أن كان رئيس الملائكة ومقدمهم ومعلمهم وأشدهم اجتهاداً في العبادة حتى لم يبق في سبع السموات ولا في سبع الأرضين موضع شبر إلا وقد سجد لله تعالى عليه سجدة حتى امتلأ من العجب بنفسه حتى لم ير أحداً فأبى أن يسجد لآدم استكباراً وقال: أنا خير منه فلعنه الله وطرده إظهاراً للقهر وأظهر كمال قدرته وحكمته بأن بلغ من غاية القدرة والحكمة من خلق من قبضة تراب ظلماني كثيف سفلي إلى مرتبة يسجد له جميع الملائكة المقربين الذين خلقوا من نور علوي لطيف روحاني.

ومنها ما يتعلق بآدم عليه السلام وهو أنه تعالى لما أراد أن يجعله خليفة في الأرض أودع في طينته عند تخميرها بيده أربعين صباحاً سر الخلافة وهو استعداد قبول الفيض الإلهي بلا واسطة وقد اختصه الله وذريته بهذه الكرامة بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] من بين سائر المخلوقات كما أخبر عليه السلام عن كشف قناع هذا السر بقوله: «إن الله خلق آدم فتجلى فيه» ولهذه الكرامة صار مسجوداً للملائكة المقربين، قال الحافظ قدس سره:

فرشته عشق نداندكه چيست قصه مخوان　　بخواه جام وكلابى بخاك آدم ريز

ومنها ما يتعلق بالملائكة وهو أنهم لما خلقوا من النور الروحاني العلوي كان من طبعهم الانقياد لأوامر الله تعالى والطاعة والعبودية فلما أمروا بسجود آدم وامتحنوا به وذلك غاية الامتحان لأن السجود أعلى مراتب العبودية والتواضع لله فإذا امتحن أحد أن يسجد لغير الله فذلك غاية الامتحان للامتثال فلم يتلعثموا في ذلك وسجدوا لآدم بالطوع والرغبة من غير كره وإباء امتثالاً وانقياداً لأوامر الله كما قال: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

ومنها ما يتعلق بإبليس وهو أنه لما خلق للضلالة والغواية والإضلال والإغواء خلق من النار وطبعها الاستعلاء والاستكبار وإن نظمه الله في سلك الملائكة منذ خلقه وكساه كسوة الملائكة وهو قد تشبه بأفعالهم تقليداً لا تحقيقاً حتى عد من جملتهم وذكر في زمرتهم بل زاد عليهم في الاجتهاد والاعتياد بالاعتقاد فاتخذوه رئيساً ومعلماً لما رأوا منه اشتداده في الاجتهاد بالإراءة دون الإرادة فلما امتحن بسجود آدم في جملة الملائكة هبت نكباء النكبة وانخلع عنه كسوة أهل الرغبة والرهبة ليميز الله الخبيث من الطيب فطاشت عنه تلك المخادعات وتلاشت منه تلك المبادرات وعاد الميشوم إلى طبعه وقد تبين الرشد من غيه فسجد الملائكة وأبى إبليس واستكبر من غيه وظهر أنه كان من الجن وأنه طبع كافراً، قال الحافظ قدس سره:

زاهد ايمن مشو از بازى غيرت زنهار　　كه ره از صومه تادير مغان اين همه نيست

ومنها أن في أولاد آدم من هو في صورة آدم لكنه في صفة إبليس وأنهم شياطين الإنس وأماراتهم أنهم يتخذون إبليس وذريته أولياء من دون الله فيطيعون الشيطان ولا يطيعون الرحمٰن ويتبعون ذرية الشيطان ولا يتبعون ذرية آدم من الأنبياء والأولياء ولا يفرقون بين الأولياء والأعداء فبجهلهم يظلمون على أنفسهم ويبدلون الله وهو وليهم بالشياطين وهم لهم عدو وأولياء الله تعالى هم الذين لا يبدلون الله تعالى بما سواه ويتخذون ما سواه عدواً كما قال إبراهيم خليل الله ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٧] لأنه رأى صحة الخلة مع الله في صحة العداوة مع ما سواه.

ومنها: أن إخباره تعالى بأنه ما أشهد الشياطين خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم دليل على أنه يشهد بعض أوليائه على ما لم يشهد أعداءه فيبصر بنوره الأزلي ابتداء تعلق قدرته ببعض الأشياء المعدومة وكيفية إخراجها من العدم إلى الوجود وأما قول أهل النظر لا يبحث عن كيفية وجود الباري تعالى وكيفية تعلق القدرة بالمعدومات وكيفية العذاب بعد الموت ونحو ذلك فلا ينافيه إذ المستبعد عند العقل الجزئي مستقرب عند الكشف الكلي وكلامنا مع أهل الكشف لا مع غيره، قال الصائب:

سخن عشق باخرد كفتن   بررك مرده نيشتر زدنست

وفي «المثنوي»:

اى كه برد عقلي هديه با اله   عقل اينجا كمترست ازخاك راه

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿ويوم يقول﴾ أي: يوم يقول الله للكفار توبيخاً وتعجيزاً وهو يوم القيامة وقال بعضهم: يقول على ألسنة الملائكة: يقول الفقير: الأظهر هو الأول لأنه قد ثبت أن الله تعالى يتجلى يوم القيامة للخلق مسلمهم وكافرهم بصور شتى حتى يرونه بحسب ما اعتقدوه في هذه الدار فلا يبعد كلامه معهم أيضاً لأنه كلام بالعيب والتوبيخ لا بالرضى والتشريف كما كلم إبليس بعد اللعن والطرد على ما سبق في سورة الحجر ونحوها ﴿نادوا شركائي﴾ أضافهم إليه على زعمهم تهكماً بهم وتقريعاً لهم ﴿الذين زعمتم﴾ ادعيتم أنهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل من عبد من دونه تعالى ﴿فدعوهم﴾ أي: نادوهم للإعانة ذكر كيفية دعوتهم في آية أخرى قالوا ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا﴾ [إبراهيم: ٢١] ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ فلم يغيثوهم أي: لم يدفعوا عنهم ضراً ولا أوصلوا إليهم نفعاً إذ لا إمكان لذلك فهو لا ينافي إجابتهم صورة ولفظاً كما قال حكاية عن الأصنام أنها تقول: ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣]. وفيه إشارة إلى أن امتثال أوامره ونواهيه ينفع العبد إذا كان في الدنيا قبل موته وبثمره في الآخرة فأما إذا كان في الآخرة فلا ينفعه الإيمان والأعمال فإن قوله: ﴿نادوا شركائي﴾ أمر من الله تعالى وقد امتثلوا أمره بقوله: ﴿فدعوهم﴾ فلم ينفعهم الامتثال لأن الشركاء ﴿لم يستجيبوا لهم﴾ ﴿وجعلنا بينهم﴾ بين الداعين والمدعوين ﴿موبقاً﴾ اسم مكان أو مصدر من وبق وبوقاً كوثب وثوباً أو وبق وبقا كفرح فرحاً إذا هلك مهلكاً يشتركون فيه وهو النار أو عداوة هي في الشدة

نفس الهلاك. وقال الفراء: ﴿وجعلنا﴾ تواصلكم في الدنيا هلاكاً في الآخرة فالبين على هذا القول التواصل كقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] على قراءة من قرأ بالرفع ومفعول أول لجعلنا وعلى الوجه الأول مفعول ثان. قال في «القاموس»: الموبق كمجلس المهلك وواد في جهنم وكل شيء حال بين الشيئين انتهى فالمعنى على الثاني بالفارسية [وادى ازوادهاى دوزخ پيدا كنم ميان ايشان كه مهلكه عظيم باشد وهمه ايشانرا دران معذب سازيم]. يقول الفقير الظاهر أن المعنى على الثالث أي: جعلنا بينهم برزخاً يفصل أحدهما على الآخر فلا يشفع مثل الملائكة وعيسى وعزير وتبرأ غيرهم وهو لا ينافي الاجتماع. والاشتراك في النار بمن قضي له الدخول كما لا يخفى.

﴿ورأى المجرمون النار﴾ حين أمروا بالسوق إليها. قال الكاشفي: [وبه بيند مشركان آتش دوزخ را از چهل ساله را] ﴿فظنوا﴾ فأيقنوا ﴿أنهم مواقعوها﴾ مخالطوها واقعون فيها فإن المخالطة إذا قويت سميت مواقعة. قال الإمام: والأقرب أنهم يرون النار من بعيد فيظنون أنهم مواقعوها مع الرؤية من غير مهلة لشدة ما يسمعون من تغيظها وزفيرها كقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢] والمكان البعيد مسيرة خمسمائة سنة ﴿ولم يجدوا عنها مصرفا﴾ انصرافاً أو مكاناً ينصرفون إليه. قال الكاشفي: [مصرفا مكانى باز كردند بد آن يا كريز كاهى] لأنها أحاطت بهم من كل جانب.

﴿ولقد صرفنا﴾ أي: أقسم قسماً لقد كررنا وأدرنا على وجوه كثيرة من النظم ﴿في هذا القرآن للناس﴾ لمصلحتهم ومنفعتهم ﴿من كل مثل﴾ كمثل الرجلين المذكورين ومثل الحياة الدنيا ليتذكروا ويتعظوا أو من كل معنى داع إلى الإيمان هو كالمثل في غرابته وحسنه. قال الكاشفي: [ازهر مثل بران محتاجند از قصص كذشته كه سبب عبرت كردد ودلائل قدرت كامله كه موجب ازدياد بصيرت شود]:

حق تعالى بمحض فضل عميم ... در كتاب كريم وحكم قديم
آنچه مر جمله را بكار آيد ... كفته است آنچنانكه مى آيد

﴿وكان الإنسان﴾ جنس الإنسان بحسب جبلته ﴿أكثر شيء جدلا﴾ جدلاً تمييز أي: أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل كالجن والملك أي: جدله أكثر من جدل كل مجادل وهو هٰهنا شدة الخصومة بالباطل لاقتضاء خصوصية المقام وإلا فالجدل لا يلزم أن يكون بالباطل قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وهو من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة الملاواة لأن كلاً من المجادلين يلتوي على صاحبه وفي الحديث «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» رواه أبو أمامة كما في «تفسير أبي الليث».

قال في «التأويلات النجمية» من طبيعة الإنسان المجادلة والمخاصمة وبها يقطعون الطريق على أنفسهم. فتارة مع الأنبياء يجادلون لا يقبلون بالنبوة والرسالة حتى يقاتلونهم. وتارة يجادلون في الكتب المنزلة ويقولون ما أنزل الله على بشر من شيء. وتارة يجادلون في محاكماتها. وتارة يجادلون في متشابهاتها. وتارة يجادلون في ناسخها ومنسوخها. وتارة يجادلون في تفسيرها وتأويلها. وتارة يجادلون في أسباب نزولها. وتارة يجادلون في قراءتها. وتارة يجادلون في قدمها وحدوثها على هذا حتى لم يفرغوا من المجادلة إلى المجاهدة ومن المخاصمة إلى المعاملة ومن المنازعة إلى المطاوعة ومن المناظرة إلى المواصلة فلهذا قال

تعالى: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾ ومن هذا عالجهم بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] الآية ومن كلمات مولانا قدس سره:

ماراچه ازين قصه كه كاو آمد وخر رفت   اين وقت عزيزست ازين عربده بازآى

فعلى العاقل أن يشتغل بنفسه ويترك المراء والجدل فإن مرجعه هو النقيض والتمزيق للغير وهو من مقتضى السبعية وفي الحديث: «لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقاً» فإذا لزم ترك الجدال وهو محق فكيف وهو مبطل أعاذنا الله تعالى وإياكم منه بفضله وجعلنا من المتكلمين بالخير والمعرضين عن لغو الغير قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] الآية وقال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَـٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿وما منع الناس﴾ أي: لم يمنع أهل مكة من ﴿أن يؤمنوا﴾ بالله تعالى ويترك الشرك الذي هم عليه ﴿إذ جاءهم الهدى﴾ وهو الرسول الكريم الداعي والقرآن العظيم الهادي ﴿و﴾ من أن ﴿يستغفروا ربهم﴾ من أنواع الذنوب ﴿إلا﴾ انتظار ﴿أن يأتيهم سنة الأولين﴾ أي: سنة الله وعادته في الأمم الماضية وهو الاستئصال لما كان تعنتهم مفضياً إليه جعلوا كأنهم منتظرون له ﴿أو﴾ انتظار أن ﴿يأتيهم العذاب﴾ عذاب الآخرة حال كونه ﴿قبلا﴾ أنواعاً جمع قبيل أو عياناً لهم أي: معايناً. وبالفارسية [روى باروى]. قال في «الجلالين» يعني القتل يوم بدر. وقال في «الأسئلة المقحمة»: كيف وعدهم في هذه الآية بإحدى العقوبتين إن لم يؤمنوا ولم يفعل ذلك بمن لم يؤمنوا منهم الجواب إنما وعدهم بذلك إن تركوا الإيمان كلهم فقد آمن أكثرهم يوم فتح مكة.

﴿وما نرسل المرسلين﴾ إلى الأمم ملتبسين بحال من الأحوال ﴿إلا مبشرين﴾ للمؤمنين والمطيعين بالثواب والدرجات ﴿ومنذرين﴾ للكافرين والعاصين بالعقاب والدركات فإن طريق الوصول إلى الأول والحذر عن الثاني مما لا يستقل به العقل فكان من لطف الله ورحمته أن أرسل الرسل لبيان ذلك. يقول الفقير: إشارة إلى أن العلماء الذين هم بمنزلة أنبياء بني إسرائيل رحمة الله من الله تعالى أيضاً إذ ببيانهم يضمحل ظلم الشبه وينحل عقد الشكوك وبإرشادهم يحصل كمال الاهتداء ويتم أمر السلوك ﴿ويجادل الذين كفروا﴾ أي: يجادلون الرسل المبشرين والمنذرين ﴿بالباطل﴾ [به بيهوده] حيث يقولون: ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة ويقترحون آيات بعد ظهور المعجزات تعنتاً ﴿ليدحضوا﴾ ليزيلوا ﴿به﴾ بالجدال ﴿الحق﴾ الذي مع الرسل عن مقره ومركزه ويبطلوه من ادحاض القدم وهو إزلاقها عن موطنها والدحض الزلق. ومن بلاغات الزمخشري حجج الموحدين لا تدحض بشبه المشبه كيف يضع ما رفع إبراهم أبرهه، وفي «المثنوي»:

هركه بر شمع خدا آرد پفو   شمع كى ميرد بسوزد پوزاو

﴿واتخذوا آياتي﴾ الدالة على الوحدة والقدرة ونحوهما ﴿وما أنذروا﴾ خوفوا به من العذاب ﴿هزوا﴾ سخرية يعني موضع استهزاء فيكون من باب الوصف بالمصدر مبالغة.

﴿ومن أظلم﴾ استفهام على سبيل التوبيخ أي: من أشد ظلماً ﴿ممن ذكر بآيات ربه﴾ أي: وعظ بالقرآن الكريم ﴿فأعرض عنها﴾ لم يتدبرها ولم يتفكرها ﴿ونسي ما قدمت يداه﴾ من الكفر والمعاصي ولم يتفكر في عاقبتها ولم ينظر في أن المسيء والمحسن لابد لهما من جزاء ولما كان الإنسان يباشر أكثر أعماله بيديه غلب الأعمال باليدين على الأعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك. قال بعضهم: أحق الناس تسمية بالظلم من يرى الآيات فلا يعتبر بها ويرى طريق الخير فيعرض عنها ويرى مواقع الشر فيتبعها ولا يجتنب عنها ﴿إنا جعلنا﴾ إهمالهم كما في «تفسير الشيخ» ﴿على قلوبهم أكنة﴾ أغطية جمع كنان وهو تعليل لإعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم ﴿أن يفقهوه﴾ كراهة أن يقفوا على كنه الآيات وتوحيد الضمير باعتبار القرآن ﴿و﴾ جعلنا ﴿في آذانهم وقرا﴾ ثقلاً وصمماً يمنعهم عن استماعه. وفيه إشارة إلى أن أهل اللغو والهذيان لا يصيخون إلى القرآن، قال الكمال الخجندي قدس سره:

دل از شنيدن قرآن بكير درهمه وقت چو باطلان ز كلام حقت ملولى چيست

﴿وإن تدعهم إلى الهدى﴾ أي: إلى طريق الفلاح وهو دين الإسلام ﴿فلن يهتدوا إذاً أبدا﴾ أي: فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف كلها لأنه محال منهم. قال الكاشفي: [مراد جمعي اند از كفار مكه كه علم حق بعدم ايمان ايشان متعلق بود] وإن جواب عن سؤال النبي ﷺ وجزاء للشرط أما كونه جواباً فلان قوله: ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة﴾ في معنى لا تدعهم إلى الهدى ثم نزل حرصه عليه السلام على إسلامهم منزلة قوله ما لي لا أدعوهم فأجيب بقوله: ﴿وإن تدعهم﴾ الآية وأما كونه جزاء فلأنه على انتفاء الاهتداء لدعوة الرسول على معنى أنهم جعلوا ما هو سبب لوجود الاهتداء سبباً لانتفائه بالإعراض عن دعوته.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿وربك﴾ مبتدأ خبره قوله ﴿الغفور﴾ البليغ في المغفرة وهي صيانة العبد عما استحقه من العقاب للتجاوز عن ذنوبه من الغفر وهو إلباس الشيء ما يصونه من الدنس ﴿ذو الرحمة﴾ الموصوف بالرحمة وهي الإنعام على الخلق خبر بعد خبر وإيراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب وأن المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب وأما الرحمة فهي فعل وإيجاد ولا يدخل تحت الوجود إلا ما يتناهى وتقديم الوصف الأول لأن التخلية قبل التحلية ﴿لو يؤاخذهم﴾ لو يريد مؤاخذتهم ﴿بما كسبوا﴾ من الذنوب ﴿لعجل لهم العذاب﴾ في الدنيا من غير إمهال لاستيجاب أعمالهم لذلك ولكنه لم يعجل ولم يؤاخذ بغتة ﴿بل لهم موعد﴾ بالفارسية [زمان وعد] فهو اسم زمان والمراد يوم بدر أو يوم القيامة فيعذبون فيه ﴿و﴾ ﴿لن يجدوا﴾ ألبتة حين مجيء الموعد ﴿من دونه﴾ من غيره تعالى ﴿موئلا﴾ منجى وملجأ يقال وأل أي: نجا ووأل إليه أي: لجأ إليه وقيل من دون العذاب. قال سعدي المفتي: هو أولى وفيه دلالة على أبلغ وجه على أن لا ملجأ لهم ولا منجى فإن من

يكون ملجأه العذاب كيف يرى وجه الخلاص والنجاة انتهى. ويجوز أن يكون المعنى لن يجدوا عند حلول الموعد موئلاً بالفارسية [پناهى وكريز كاهى] وهو اللائح والله أعلم.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾

﴿وتلك القرى﴾ أي: قرى عاد وثمود وأضرابهما وهي مبتدأ على تقدير المضاف أي: وأهل تلك القرى خبره قوله تعالى: ﴿أهلكناهم لما ظلموا﴾ أي: وقت ظلمهم مثل ظلم أهل مكة بالتكذيب والجدال وأنواع المعاصي ولما إما حرف كما قال ابن عصفور وإما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان من ابتداء الظلم إلى آخره ﴿وجعلنا لمهلكهم﴾ أي: عيناً لهلاكهم لأن المهلك بفتح اللام وكسرها الهلاك ﴿موعدا﴾ ممتداً لا يتأخرون عنه [پس چرا قريش عبرت نكيرند وازشرك ونافرمانى دست باز نمى دارند «السعيد من وعظ بغيره». ورشيد الدين وطواط در ترجمه اين كلام سعادت فرموده]:

نيكبخت آن كسى بودكه دلش آنچه نيكو تراست بپذيرد
ديكرانرا چوپند داده شود او ازان پند بهره بر كيرد

وفي الآيات إشارات:

منها: أن أسباب الهداية وإن اجتمعت بالكلية لا يهتدي بها الناس ولا يؤمنون إلا بجذبات العنايات كما قال عليه السلام: «لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا» قال المولى الجامي:

سالكان بى كشش دوست بجايى نرسند سالها كرچه درين راه تك وپوى كنند

فالاهتداء بهداية الله تعالى وبالسيف كما قال عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» وكما قال: «أنا نبي السيف ونبي الملحمة».

ومنها أن أهل الباطل يرون الحق باطلاً والباطل حقاً وذلك من عمى قلوبهم وسخافة عقولهم فيجادلون الأنبياء والأولياء جهلاً منهم وضلالة ويسعون في إبطال الحق وأما أهل الحق فينقادون للأنبياء والأولياء ويستسلمون لهم من غير عناد وجدال وذلك لأنهم ينظرون بنور الله فيرون الحق حقاً ويتبعونه ويرون الباطل باطلاً ويجتنبونه لا جرم أنهم يتخذون آيات الله جداً لا هزواً فيأتمرون بما أمروا به وينتهون عما نهوا عنه.

ومنها: أن رحمة الله تعالى في الدنيا تعم المؤمن والكافر لأنه لا يؤاخذهم بما كسبوا في الدنيا بقطع الرزق ونحوه وتخص يوم القيامة بالمؤمن والعذاب يخص الكافر كقوله تعالى: ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا﴾ أي: إنما أهلكنا أهل تلك القرى بعد أن كان من سنتنا أن تعم رحمتنا المؤمن والكافر في الدنيا لأنهم ضموا مع كفرهم الظلم ومن سنتنا أن لا نمهل الظالم ولا نهمله كما قال عليه السلام: «الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم» وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ [الأنعام: ١٢٩] وذلك لأن همم المظلومين المظطرين مؤثرة ودعاؤهم مستجاب قال عليه السلام: «اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» ومن هذا المقام يعرف سر قوله عليه السلام: «ولدت في زمن الملك العادل» فإن إطلاق العادل على أنوشروان بالنسبة إلى انتفاء الظلم الآفاقي عنه وقد كان في نفسه مجوسياً والشرك ظلم عظيم، قال الشيخ سعدي:

مهازورمندى مكن بركهان كه بريك نمط مى نماند جهان
پريشانى خاطر داد خواه بر اندازد ازمملكت بادشاه
خنك روز محشرتن داد كر كه در سايه عرش دارد مقر

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿وإذ قال موسى﴾:

ـ روي ـ أن موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني إسرائيل بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه إنعام الله عليهم فخطب خطبة بليغة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقال واحد من علماء بني إسرائيل: يا موسى من أعلم؟ قال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه تعالى فأوحى إليه بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان في أيام أفريدون الملك العادل العاقل قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى وهو قد بعث في أيام كشتاسف بن لهراسب كما قاله ابن الأثير في «تاريخه» فقال: يا رب أين أطلبه وكيف يتيسر لي الظفر به والاجتماع معه قال: اطلبه على ساحل البحر عند الصخرة وخذ حوتاً مملوحاً في مكتل يكون زاداً لك فحيث فقدته أي: غاب عنك فهو هناك فأخذ حوتاً فجعله في مكتل فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني. والمعنى اذكر وقت قول موسى بن عمران لما فيه من العبرة وزعم أهل التوراة أن موسى هذا هو موسى بن ميشا بن يوسف النبي عليه السلام وأنه كان نبياً قبل موسى بن عمران لاستبعادهم أن يكون كليم الله المختص بالمعجزات الباهرة مبعوثاً للتعلم والاستفادة ممن هو دونه فلهذا لا يبعد عن العالم الكامل أن يجهل بعض الأشياء فالفاضل قد يكون مفضولاً من وجه بل المراد منه صاحب التوراة وإطلاق هذا الاسم يدل عليه لأنه لو أراد غيره لقيده كما يقال: قال أبو حنيفة الدينوري تمييزاً عن أبي حنيفة الإمام ﴿لفتاه﴾ وهو يوشع بن نون بن افراييم بن يوسف وهو ابن أخت موسى وكان من أكبر أصحابه ولم يزل معه إلى أن مات وخلفه في شريعته وكان من أعظم بني إسرائيل بعد موسى سمي فتاه إذ كان يخدمه ويتبعه ويتعلم منه ويسمى الخادم والتلميذ فتى وإن كان شيخاً وإليه يشير القول المشهور: «تعلم يا فتى فالجهل عار» وهو عبد حكمي كما قال شعبة: من كتبت عنه أربعة أحاديث فأنا عبده إلى أن أموت وقيل لعبده وإنما قال لفتاه تعليماً للأدب قال عليه السلام: «ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي» قال أبو يوسف: من قال أنا فتى فلان كان إقراراً منه بالرق. يقول الفقير المشهور وهو الوجه الأول وتأبى جلالة هذا السفر إلا أن يكون الصاحب من أولي الخطر ونظيره أن نبينا ﷺ لما أراد الهجرة لم يرض برفاقته في سفره إلا الصديق رضي الله عنه لكونه أعز أصحابه وخليفته بعده كما أن يوشع صار خليفة موسى بعده ﴿لا أبرح﴾ من برح الناقص كزال يزال أي: لا أزال أسير فحذف الخبر اعتماداً على قرينة الحال إذ كان ذلك عند التوجه إلى السفر ويدل عليه أيضاً ذكر السفر في قوله: ﴿لقد لقينا من سفرنا﴾ فقول سعدي المفتي: لا دلالة في نظم القرآن على هذا ولعله علم من الأثر أو من أخبار المؤرخين ذهول عما بعد الآية ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ هو ملتقى بحر فارس والروم

مما يلي المشرق وهو المكان الذي وعد الله موسى بلقاء الخضر فيه. قال سعدي المفتي بحرا فارس والروم إنما يلتقيان في المحيط على ما سيجيء في سورة الرحمٰن أعني المحيط الغربي فإن الالتقاء هناك كما لا يخفى على من يعرف وضع البحار فالمراد بملتقاهما هنا موضع يقرب التقاؤهما فيه مما يلي المشرق ويعطي لما يقرب من الشيء حكم ذلك الشيء ويعبر به عنه انتهى. وفيه إشارة: إلى أن موسى والخضر عليهما السلام بحران لكثرة علمهما أحدهما وهو موسى بحر الظاهر والباطن والغالب عليه الظاهر على الشريعة والآخر وهو الخضر بحرهما والغالب عليه الباطن أي: الحقيقة إذ تتفاوت الأنبياء عليهم السلام بحسب غلبة الجمال أو الجلال على نشأتهم وسيأتي التحقيق إن شاء الله تعالى فملتقاهما إذا المكان الذي يتفق اجتماعهما فيه لا موضع معين ﴿أو أمضي﴾ من مضى في الأمر بمعنى نفذ وأمضاه أنفذه ﴿حقبا﴾ هو بضم القاف وسكونه ثمانون سنة. والمعنى أسير زماناً طويلاً أتيقن معه فوات المطلب يعني حتى يقع إما بلوغ المجمع أو مضي الحقب. وفي بعض التفاسير: أسيرُ دهراً طويلاً حتى أجد هذا العالم. قال الكاشفي: [موسى فرمود كه مدام ميروم تابرسم بمنزل او ياميروم زمان دراز كه هشتاد سال باشد يعني بهيچ وجهي روى ازسفر نمى تابم تا اورا بيابم]:

دست از طلب ندارمِ تاكام من بر آيد

وفي «المثنوي»:

كر كران وكر شتابنده بود آنكه جو ينده است يا بنده بود

در طلب زن دائماً توهردو دست كه طلب در راه نيكو رهبرست

قال الإمام في تفسيره: هذا إخبار من موسى بأنه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد والعناء العظيم في السفر لأجل طلب العلم وذلك تنبيه على أن المتعلم لو سار من المشرق إلى المغرب لطلب مسألة واحدة لحق له ذلك انتهى. قال في «روضة الخطيب» رجل جاء من المدينة إلى مصر لحديث واحد ولذا لم يعد أحد كاملاً إلا بعد رحلته ولا وصل مقصده إلا بعد هجرته. وقالوا: كل من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الاتباع ويكشف عن قلبه القناع فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له دعي لا نسب له انتهى. ومن كلام أبي يزيد البسطامي قدس سره: من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان، وفي «المثنوي»:

پير را بكزين كه بى پير اين سفر هست بس پرآفت وخوف وخطر

چون كرفتى پير هين تسليم شو همچو موسى زير حكم خضر رو

قال في «التأويلات النجمية»: في الآية إشارات:

منها: أن شرط المسافر أن يطلب الرفيق ثم يأخذ الطريق.

ومنها: أن من شرط الرفيقين أن يكون أحدهما أميراً والثاني مأموراً له ومتابعاً.

ومنها: أن يعلم الرفيق عزيمته ومقصده ويخبر عن مدة مكثه في سفره ليكون الرفيق واقفاً على أحواله فإن كان موافقاً له يرافقه في ذلك.

ومنها: أن من شرط الطالب الصادق أن يكون نيته في طلب شيخ يقتدي به أن لا يبرح حتى يبلغ مقصوده ويظفر به فإن طلب الشيخ طلب الحق تعالى على الحقيقة انتهى كلامه قدس سره.

﴿فلما بلغا﴾ قال الكاشفي: [موسى عليه السلام فرمودكه اي يوشع توبامن موافقت نماى

در طلب اين بنده صالح يوشع فرمود آرى من بتو موافقم ورفاقت تو مغتنم مى شمارم:

خوشست آوار كى آنرا كه همراهى چنين باشد

پس يوشع عليه السلام تهى چندان وماهى برداشته باتفاق موسى روانه شد] والفاء فصيحة أي: فذهب موسى ويوشع يمشيان فلما بلغا ﴿**مجمع بينهما**﴾ بينهما ظرف أضيف له اتساعاً فالمعنى مكاناً يكاد يلتقي وسط ما امتد من البحرين طولاً. قال الكاشفي: [بمجمع كه ميان دو درياست آنجا برصحره بركنار چشمه حيات بود نشستند موسى عليه السلام درخواب رفته بود ويوشع دران چشمه وضو ساخت وقطره برآن ماهى بريان چكيد في الحال زنده شد روى بدريا نهاد ويوشع متحيرشد وموسى ازخواب در آمده تفقد حال يوشع وماهى ننموده روى براه نهاد وازغايت تعجيل سفر] ﴿**نسيا حوتهما**﴾ الذي جعل فقدانه أمارة وجدان المطلوب أي: نسي موسى تذكر الحوت لصاحبه وصاحبه نسي الأخبار بأمره فلا يخالفه ما في حديث الصحيحين من إسناد النسيان إلى صاحبه. وفي «الأسئلة المقحمة»: كانا جميعاً قد زوداه لسفرهما فجاز إضافة ذلك إليهما وإن كان الناسي أحدهما وهو يوشع يقال: خرج القوم وحملوا معهم الزاد وإنما حمله بعضهم ﴿**فاتخذ**﴾ الحوت. إن قلت كيف أتى بالفاء وذهاب الحوت مقدم على النسيان؟ قلت: الفاء فصيحة ولا يلزم أن يكون المعطوف عليه الذي يفصح عنه الفاء معطوفاً على نسيا بالفاء بل بالواو والتقدير وحيى الحوت فسقط في البحر فاتخذ ﴿**سبيله**﴾ أي: طريق الحوت ﴿**في البحر سربا**﴾ مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال منه أي: مسلكاً كالسرب وهو بيت في الأرض وثقب تحتها وهو خلاف النفق لأنه إذا لم يكن له منفذ يقال له سرب وإذا كان له منفذ يقال له نفق وذلك أن الله تعالى أمسك جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه وهو ما عقد من أعلى البناء وبقي ما تحته خالياً يعني أنه إنجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم تلتئم هكذا فسر النبي ﷺ هذا المقام كما في حديث الصحيحين. وبالفارسية [سربا مثل سردابه كه دران توان رفت هرجا كه ما هى بريان ميرفت آب بالاى أو مرتفع مى ايستاد در زمين خشك ميكشت] فلا وجه لقول بعض المفسرين كالقاضي ومن يتبعه سرباً أي: مسلكاً يسلك فيه ويذهب من قوله: ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾ [الرعد: ١٠] وهو الذاهب على وجهه في الأرض.

﴿**فلما جاوزا**﴾ أي: مجمع البحرين الذي جعل موعداً للملاقاة أي: انطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان الغد ألقي على موسى الجوع ليتذكر الحوت ويرجع إلى مطلبه فعند ذلك ﴿**قال لفتاه آتنا غداءنا**﴾ ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبىء عنه الجواب والغداء بالفتح هو ما يعد للأكل أول النهار والعشاء ما يعد له آخره ﴿**لقد لقينا من سفرنا هذا**﴾ أي: بالله لقد لقينا من هذا السفر الذي سرناه بعد مجاوزة مجمع البحرين ﴿**نصبا**﴾ تعباً وإعياء. قال النووي: إنما لحقه النَّصَب والجوع ليطلب موسى الغداء فيتذكر به يوشع الحوت وفي الحديث «لم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره به». وفي «الأسئلة المقحمة»: كيف جاع موسى ونصب في سفرته هذه وحين خرج إلى الميقات ثلاثين يوماً لم يجع ولم ينصب قيل لأن هذا السفر كان سفر تأديب وطلب علم واحتمال مشقة وذلك السفر كان إلى الله تعالى انتهى والجملة في محل التعليل للأمر بإيتاء الغداء إما باعتبار النصب إنما يعتري بسبب الضعف الناشىء عن الجوع وإما باعتبار ما في أثناء التغدي من استراحة ما كما قال الكاشفي: [بيار طعام چاشت مارا تا بخوريم كه كرسنه شديم ودمى بر آساييم چون يوشع سفره پيش آورد وقصه ما هي بيادش آمد].

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿قال﴾ فتاه ﴿أرأيت﴾ [خبرداری]. وقال ابن ملك هو يجيء بمعنى أخبرني وهنا بمعنى التعجب ومفعوله محذوف وذلك المحذوف عامل في قوله: ﴿إذ أوينا إلى الصخرة﴾ يعني عجبت ما أصابني حين وصلنا إلى الصخرة ونزلنا عندها ﴿فإني نسيت الحوت﴾ أن أذكر لك أمره وما شاهدت منه من الأمور العجيبة ثم اعتذر بإنساء الشيطان إياه لأنه لو ذكر ذلك لموسى ما جاوز ذلك المكان وما ناله النصب فقال: ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان﴾ بوسوسته الشاغلة عن ذلك ﴿أن أذكره﴾ بدل اشتمال من الضمير أي: وما أنساني أن أذكره لك ﴿واتخذ سبيله في البحر﴾ سبيلاً ﴿عجبا﴾ وهو كون مسلكه كالطاق والسرب فعجباً ثاني مفعولي اتخذ والظرف حال من أولهما أو ثانيهما وهو بيان لطرف من أمر الحوت منبىء عن طرف آخر وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كأنه قيل حيى واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلاً عجباً يعني: أن قوله ﴿وما أنسانيه﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه سببه ما يجري مجرى العذر والعلة لوقوع ذلك النسيان. قال الإمام: فإن قيل انقلاب السمكة المالحة حية حالة عجيبة جعل الله تعالى حصول هذه الحالة العجيبة دليلاً على الوصول إلى المطلوب فكيف يعقل حصول النسيان في هذا المعنى أجاب العلماء عنه بأن يوشع كان قد شاهد المعجزات الباهرة من موسى كثيراً فلم يبق لهذه المعجزة عنده وقع عظيم فجاز حصول النسيان وعندي فيه جواب آخر وهو أن موسى لما استعظم علم نفسه أزال الله تعالى عن قلب صاحبه هذا العلم الضروري تنبيهاً لموسى على أن العلم لا يحصل إلا بتعليم الله تعالى وحفظه على القلب الخاطر انتهى. وقال بعضهم: لعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره إلى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وهي حياة السمكة المملوحة المأكول بعضها وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه وإنما نسبه إلى الشيطان هضماً لنفسه أي: لمقتضى نفسه من الاغترار والافتخار بأمثاله.

وفي الآيات إشارات:

منها: أن الطالب الصادق إذا قصد خدمة شيخ كامل يسلكه طريق الحق يلزمه مرافقة رفيق التوفيق ومعه حوت قلبه الميت بالشهوات النفسانية المملح بملح حب الدنيا وزينتها ومجمع البحرين هو الولاية بين الطالب وبين الشيخ ولم يظفر المريد بصحبة الشيخ ما لم يصل إلى مجمع ولايته فافهم جدا وعند مجمع الولاية عين الحياة الحقيقية فبأول قطرة من تلك العين تقع على حوت قلب المريد يحيى ويتخذ سبيله في البحر عن الولاية سرباً.

ومنها: أن الله يحول بين المرء وقلبه فينسى المريد قلبه حين فقده وينسى القلب المريد إذا وجد الشيخ، وفي «المثنوي»:

اي خنك آن مرده كزخودرسته شد   دروجود زنده پيوسته شد
واى آن زنده كه بامرده نشست   مرده كشت وزنده كى ازوى پرست

ومنها أن المريد لو تطرق إليه الملالة في أثناء السلوك وأصابت قلبه الكلالة وسولت له

نفسه التجاوز عن خدمة الشيخ وترك صحبته حتى يظن أن لو سافر عن خدمته واشتغل بطاعة ربه وجاهد نفسه في طلب الحق تعالى لعله يصل مقصده ويحصل مقصوده بلا واسطة الشيخ والاقتداء به هيهات فإنه ظن فاسد ومتاع كاسد وأنه يضيع عمره ويتعب نفسه ويضل عن سبيل الرشاد ويبعد عن طريق السداد إلا إن أدركته العناية الأزلية التي هي الكفاية الأبدية وردت إليه صدق الإرادة، وفي «المثنوي»:

آن رهى كه بارها تورفته ... بى قلاوز اندرآن آشفته
پس رهى راكه نرفتستى توهيچ ... هين مروتنها زرهبر سرمپچ
هين مپرالا كه باپرهاى شيخ ... تاببينى عون ولشكر هاى شيخ

ومنها: أن صحبة الشيخ المرشد غذاء للمريد لاشتمالها على ما يجري مجرى الغذاء للروح من الأقوال الطيبة والأفعال الحسنة ومتى جاوز صحبته أتعب نفسه بلا فائدة الوصول ونيل المقصود ولا يحمل على هذا إلا شيطان الخذلان فيلزم الرجوع والعود إلى ملازمة الخدمة في مرافقة رفيق التوفيق كما رجع موسى ويوشع عليهما السلام قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة: ١١٩] أي: في صحبتهم ولا تكونوا مع الكاذبين، وفي «المثنوي»:

هر طرف غولى همى خواند ترا ... كاى برادرراه خواهى هين بيا
رهنمايم هم رهت باشم رفيق ... من قلاوزم درين راه دقيق
نى قلاوزست ونى ره داندداو ... يوسفا كم روسوى آن كرك خو

نسأل الله العصمة والتوفيق.

﴿قال﴾ موسى عليه السلام: ﴿ذلك﴾ الذي ذكرت من أمر الحوت ﴿ما﴾ أي: الذي ﴿كنا نبغ﴾ أصله نبغي والضمير العائد إلى الموصول محذوف أي: نبغيه ونطلبه لكونه أمارة للفوز بالمرام من لقاء الخضر عليه السلام ﴿فارتدا﴾ رجعا من ذلك الموضع وهو طرف نهر ينصب إلى البحر ﴿على آثارهما﴾ طريقهما الذي جاءا منه والآثار الإعلام جمع أثر وأثر وخرج في أثره وأثره أي: بعده وعقبه. وبالفارسية: [برنشانهاى قدم خود] ﴿قصصا﴾ مصدر فعل محذوف أي: يقصان قصصاً أي: يتبعان آثارهما اتباعاً ويتفحصان تفحصاً حتى أتيا الصخرة التي حيي الحوت عندها وسقط في البحر واتخذ سبيله سرباً.

﴿فوجدا عبدا﴾ التنكير للتفخيم ﴿من عبادنا﴾ الإضافة للتشريف وكان مسجى بثوب فسلم عليه موسى وعرفه نفسه وأفاد أنه جاء لأجل التعلم والاستفادة. والجمهور على أنه الخضر بفتح الخاء المعجمة وكسر الضاد وهو لقبه وسبب تلقيبه بذلك ما جاء في الصحيح أنه عليه السلام قال: «إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء» الفروة وجه الأرض اليابسة وقيل النبات اليابس المجتمع والبيضاء الأرض الفارغة لا غرس فيها لأنها تكون بيضاء واهتزاز النبات تحركه وكنيته أبو العباس واسمه بليا بباء موحدة مفتوحة ثم لام ساكنة ثم مثناة تحت ابن ملكان بفتح الميم وإسكان اللام ابن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح. قال أبو الليث: إنه عليه السلام ذكر قصة الخضر فقال: «كان ابن ملك من الملوك فأراد أبوه أن يستخلفه من بعده فلم يقبل وهرب منه ولحق بجزائر البحر فلم يقدر عليه» وتفصيله على ما في كتاب «التعريف والإعلام» للإمام السهيلي وهو أن أباه كان ملكاً

وأن أمه كانت بنت فارس واسمها إلهاً وإنها ولدته في مغارة وأنه ترك هنالك وشاة ترضعه في كل يوم من غنم رجل من القرية فأخذه الرجل فرباه فلما شب وطلب الملك أبوه كاتباً وجمع أهل المعرفة والنبالة ليكتب الصحف التي نزلت على إبراهيم وشيث كان فيمن قدم عليه من الكتاب ابنه الخضر وهو لا يعرفه فلما استحسن خطه ومعرفته ونجابته سأله عن جلية أمره فعرف أنه ابنه فضمه لنفسه وولاه أمر الناس ثم إن الخضر فر من الملك وزهد في الدنيا وسار إلى أن وجد عين الحياة فشرب منها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخضر ابن آدم لصلته ونسىء له في أجله حتى يكذب الدجال وفيه إشارة إلى أن لكل دجال في كل عصر مكذباً ومبطلاً لأمره، قال الحافظ:

كجاست صوفى دجال فعل ملحد شكل بكوبسوزكه مهدىء دين پناه رسيد

وأخرج عن ابن عساكر: أن آدم لما حضره الموت أوصى بنيه أن يكون جسده الشريف معهم في غار فكان جسده في المغارة معهم فلما بعث الله نوحاً ضم ذلك الجسد في السفينة بوصية آدم فلما خرج منها قال لبنيه: إن آدم دعا بطول العمر لمن يدفنه من أولاده إلى يوم القيامة فذهب أولاده إلى الغار ليدفنوه وكان فيهم الخضر فكان هو الذي تولى دفن آدم فأنجز الله ما وعده فهو يحيي ما شاء الله له أن يحيي. قال في «فتح القريب»: ومن أغرب ما قيل: إنه ابن آدم لصلبه وقيل إنه من الملائكة وهذا باطل ومن أعجب ما قيل: إنه ابن فرعون صاحب موسى كما في «تواريخ مصر» وقيل أنه ابن خالة ذي القرنين كان في سفره معه وشرب من ماء الحياة مد الله عمره إلى الوقت المعلوم ولا بعد فإنه كان من بني آدم من يعيش ثلاثة آلاف سنة أو أكثر وقيل: إنه ابن عاميل بن شمالخين بن ارما بن علقما بن عيصو بن إسحاق النبي وكان عاميل ملكاً. والجمهور على أنه نبي غير مرسل وعند الصوفية المحققين ولي غير نبي واختلفوا في حياته والأكثر على أنه موجود بين أظهرنا وهذا متفق عليه عند الصوفية لأن حكاياتهم أنهم رأوه في المواضع الشريفة وكالموه أكثر من أن يحصى نقله الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية وأبو طالب المكي في كتبه والحكيم الترمذي في نوادره وغير ذلك من المحققين من سادات الأمة الذين لا يتصور اجتماعهم على الكذب والافتراء بمجرد الأخبار النقلية حاشاهم عن ذلك وقد ثبت وجوده فلا يكون عدمه إلا بدليل ولا دليل على موته ولا نص فيه من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا نقل أنه مات بأرض كذا في وقت كذا في زمن ملك من الملوك. وفي «تفسير البغوي»: أربعة من الأنبياء أحياء إلى يوم البعث اثنان في الأرض وهما الخضر وإلياس أي: وإلياس في البر والخضر في البحر يجتمعان كل ليلة على ردم ذي القرنين يحرسانه وأكلهما الكرفس والكمأة واثنان في السماء إدريس وعيسى عليهما السلام. وفي كتاب «التمهيد» لأبي عمر إمام الحديث في وقته أن رسول الله ﷺ حين غسل وكفن سمعوا قائلاً يقول: السلام عليكم يا أهل البيت إن في الله خلفاً من كل هالك وعوضاً من كل تالف وعزاء من كل مصيبة فعليكم بالصبر فاصبروا واحتسبوا ثم دعا لهم ولا يرون شخصه فكانوا أي: الأصحاب وأهل البيت يرونه أنه الخضر. وفي كتاب «الهواتف» أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقي الخضر وعلمه هذا الدعاء وذكر فيه ثواباً عظيماً ومغفرة ورحمة لمن قاله في أثر كل صلاة وهو «يا من لا يشغله سمع عن سمع ويا من لا تغلطه المسائل ويا من لا يتبرم من إلحاح الملحين أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك». قال الهروي: إن الخضر قد جاء النبي عليه السلام مراراً وأما

قوله عليه السلام: «لو كان حياً لزارني» فلا يمنع وقوع الزيارة بعده. قال في فصل الخطاب: إن الخضر قد صحب النبي عليه السلام وروى عنه أحاديث. وفي «الخصائص الصغرى»: أن في غزوة تبوك اجتمع عليه السلام بالياس فعن أنس رضي الله عنه غزونا مع النبي عليه السلام حتى إذا كنا بفج الناقة عند الحجر سمعنا صوتاً يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها فقال عليه السلام: «يا أنس انظر ما هذا الصوت» فدخلت الجبل فإذا رجل عليه ثياب بياض أبيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع فلما رآني قال: أنت رسول النبي عليه السلام؟ قلت: نعم قال: ارجع إليه وأقرئه السلام وقل له هذا أخوك الياس يريد أن يلقاك فرجعت إلى النبي عليه السلام فأخبرته فجاء عليه السلام يمشي وأنا معه حتى إذا كنا قريباً منه تقدم النبي وتأخرت أنا فتحدثا طويلاً فنزل عليهما من السماء شيء يشبه السفرة ودعواني فأكلت معهما قليلاً فإذا فيها كمأة ورمان وحوت وتمر وكرفس فلما أكلت قمت فتنحيت ثم جاءت سحابة فاحتملته فأنا أنظر إلى بياض ثيابه فيها تهوى به قبل الشام فقلت للنبي عليه السلام بأبي أنت وأمي هذا الطعام الذي أكلنا من السماء نزل عليه؟ قال عليه السلام: «سألته عنه فقال: يأتيني به جبرائيل في كل أربعين يوماً أكلة وفي كل حول شربة من ماء زمزم وربما رأيته على الجب يملأ بالدلو فيشرب وربما سقاني» والأكثر من المحدثين على وفاة الخضر سئل البخاري عن الخضر والياس هل هما في الأحياء؟ قال: كيف يكون ذلك وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يبقى على رأس المائة ممن هو اليوم على وجه الأرض أحد» وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] والجواب أن هذا الحكم جار على الأكثر ولا حكم للنادر الذي يعيش فوق المائة فقد عاش سلمان ومعدي كرب وأبو طفيل فوق المائة وكانوا موجودين في ذلك الزمان عند إخباره عليه السلام والمراد بالخلود هو التأبيد ولا شك أن حياة الخضر وغيره منقطعة عند الصعقة قبل القيامة فيمتنع الخلود. وأما من قال من العلماء لا يجوز أن يكون الخضر باقياً لأنه لا نبي بعد نبينا فلا عبرة لكلامه لأنه لم يتنبأ بعده بل قبله كعيسى أبقاه الله لمعنى وحكمة إلى أن يرتفع القرآن من وجه الأرض. وذكر الشيخ الأكبر قدس سره في بعض كتبه أنه يظهر مع أصحاب الكهف في آخر الزمان عند ظهور المهدي ويستشهد ويكون من أفضل شهداء عساكر المهدي. وفي آخر صحيح مسلم في أحاديث الدجال أنه يقتل رجلاً ثم يحيى قال إبراهيم بن سفيان صاحب مسلم يقال: إن هذا الرجل هو الخضر وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يلتقي الخضر والياس في كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان على هذه الكلمات «بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله» من قالهن ثلاث مرات حين يصبح ويمسي آمنه الله من الحرق والغرق والسرق ومن الشيطان والحية والعقرب، وزاد أحمد في الزهد أنهما يصومان رمضان في بيت المقدس. وعن علي رضي الله عنه مسكن الخضر بيت المقدس فيما بين باب الرحمة إلى باب الأسباط. قال القاشاني: الخضر كناية عن البسط والياس عن القبض وأما كون الخضر شخصاً إنساناً باقياً من زمان موسى إلى هذا العهد أو روحانياً يتمثل بصورته لمن يرشده فغير متحقق عندي بل قد يتمثل ويتخيل معناه له بالصفة الغالبة عليه ثم يضمحل وهو روح ذلك الشخص أو روح القدس انتهى. يقول الفقير: تمثل الروح بالصفة الغالبة قد وقع لكثير من أهل

السلوك ولكن ليس كل مرئي في اليقظة تمثلاً كما في المنام فقد يظهر المثال وقد يظهر حقيقته ولله في كل شيء حكمة بالغة ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصه بجناب الكبرياء. قال الإمام مسلم: إن النبوة رحمة كما في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢] ونحوه ولكن لا يلزم أن تكون الرحمة نبوة فالرحمة هنا هي طول العمر على قول من ذهب إلى عدم نبوته ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ خاصاً هو علم الغيوب والإخبار عنها بإذنه تعالى على ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما أو علم الباطن. قال في «بحر العلوم»: إنما قال من لدنا مع أن العلوم كلها من لدنه لأن بعضها بواسطة تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علماً لدنيا بل العلم اللدني هو الذي ينزله في القلب من غير واسطة أحد ولا سبب مألوف من خارج كما كان لعمر وعلي ولكثير من أولياء الله تعالى المرتاضين الذين فاقوا بالشوق والزهد على كل من سواهم كما قال سيد الأولين والآخرين عليه السلام: «نفس من أنفاس المشتاقين خير من عبادة الثقلين» وقال عليه السلام: «ركعتان من رجل زاهد قلبه خير وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين إلى آخر الدهر» وقد صدق لكنه قليل كما قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٦] ومن هنا يتبين لك معرفة رفعة الصحابة رضي الله عنهم وعظمهم رتبة ومكاناً من الله فإنهم أئمة المشتاقين والزاهدين الشاكرين ونجوم لهم يهتدون بهم انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿فوجدا عبداً من عبادنا﴾ أي: حراً من رق عبودية غيرنا من أحرارنا أي: ممن أحررناهم من رق عبودية الأغيار واصطفيناهم من الأخيار ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ يعني جعلناه قابلاً لفيض نور من أنوار صفاتنا بلا واسطة ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ وهو علم معرفة ذاته وصفاته الذي لا يعلمه أحد إلا بتعليمه إياه.

واعلم أن كل علم يعلمه الله تعالى عباده ويمكن للعباد أن يتعلموا ذلك العلم من غير الله تعالى فإنه ليس من جملة العلم اللدني لأنه يمكن أن يتعلم من لدن غيره يدل عليه قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠] فإن علم صنعة اللبوس مما علمه الله داود عليه السلام فلا يقال إنه العلم اللدني لأنه يحتمل أن يتعلم من غير الله تعالى فيكون من لدن ذلك الغير وأيضاً إن العلم اللدني ما يتعلق بلدن الله تعالى وهو علم معرفة ذاته وصفاته تعالى انتهى. قال الجنيد قدس سره: العلم اللدني ما كان تحكماً على الأسرار بغير ظن فيه ولا خلاف لكنه مكاشفات الأنوار عن مكنونات المغيبات وذلك يقع للعبد إذا زم جوارحه عن جميع المخلوقات وأفنى حركاته عن كل الإرادات وكان شبحاً بين يدي الحق بلا تمن ولا مراد. قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: باب الملكوت والمعارف من المحال أن ينفتح وفي القلب شهوة هذا الملكوت وأما باب العلم بالله تعالى من حيث المشاهدة فلا ينفتح وفي القلب لمحة للعالم بأسره الملك والملكوت [درفتوحات ازسلطان العارفين قدس سره نقل ميكندكه باجمعى دانشمندان مى كفته] أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت:

كلشني كز نقل رويد يكدمست ... كلشني كز عشق رويد خرمست
كلشني كز كل دمد كردد تباه ... كلشني كز دل دمد وافرحتاه
علم چون بردل زند يارى شود ... علم چون بر كل زند بارى شود

واعلم أن الصوفية سموا العلوم الحاصلة بسبب المكاشفات العلوم اللدنية وتفصيل الكلام

أنا إذا أدركنا أمراً من الأمور وتصورنا حقيقة من الحقائق فإما أن نحكم عليه بحكم وهو التصديق أو لا نحكم وهو التصور وكل واحد من هذين القسمين فإما أن يكون ضرورياً حاصلاً من غير كسب وطلب وإما أن يكون كسبياً أما العلوم الضرورية فهي تحصل في النفس والعقل من غير كسب وطلب مثل تصورنا الألم واللذة والوجود والعدم ومثل تصديقنا بأن النفي والإثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان وأن الواحد نصف الاثنين وأما العلوم الكسبية فهي التي لا تكون حاصلة في جوهر النفس ابتداء بل لا بد من طريق يتوصل به إلى اكتساب تلك العلوم فإن كان التوصل إلى استعلام المجهولات بتركيب العلوم البديهية فهو طريق النظر وإن كان بتهيئة المحل وتصفيته عن الميل إلى ما سوى الله تعالى فهو طريق الكشف والكشف أنواع أعلاها أسرار ذاته تعالى وأنوار صفاته وآثار أفعاله وهو العلم الإلهي الشرعي المسمى في مشرب أهل الله علم الحقائق أي: العلم بالحق سبحانه وتعالى من حيث الارتباط بينه وبين الخلق وانتشاء العالم منه بقدر الطاقة البشرية إذ منه ما ليس في الطاقة البشرية وهو ما وقع فيه الكمل في ورطة الحيرة وأقروا بالعجز عن حق المعرفة وهذا العلم الجليل بالنسبة إلى سائر العلوم كالشمس بالنسبة إلى الذرات وكالبحر إلى القطرات فعلوم أهل الله مبنية على الكشف والعيان وعلوم غيرهم من الخواطر الفكرية والأذهان وبداية طريقهم التقوى والعمل الصالح وبداية طريق غيرهم تحصيل الوظائف والمناصب وجمع الحطام الذي لا يدوم وقال المولى الجامي:

جان زاهد ساحل وهم وخيال   جان عارف غرقه بحر شهود

قال حضرة شيخي وسندي روح الله روحه الطيب وقدس سره الزكي في كتاب «اللائحات البرقيات» المراد بالرحمة علم العبادة والدراسة والظاهر والشريعة ولذلك عبر عنه بالرحمة بناء على عمومه مثلها حيث قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ولكون مقام هذا العلم الظاهري مقام القرب الصفاتي عبر عن مقامه بما يعبر به عن مقام هذا القرب الصفاتي من قوله تعالى: ﴿من عندنا﴾ أي: من مقام واحدية صفاتنا ومرتبة قربها والمراد بالعلم علم الإشارة والوراثة والباطن والحقيقة ولذلك عبر عنه بلفظ العلم بناء على التعبير بالمطلق على الفرد الكامل إذ العلم الباطني من العلم الظاهري بمنزلة الروح واللب من الجسد والقشر وبمنزلة المعنى من الصورة فلا جرم أن العلم الباطني من العلم الظاهري بمنزلة الفرد الكامل من الفرد الناقص والعلم الظاهري من العلم الباطني بمنزلة الفرد الناقص من الفرد الكامل والنقصان الموهوم المعتبر في العلم الظاهري بحسب الإضافة والنسبة إلى العلم الباطني باعتبار المقام الذي يوجب الامتياز بينهما من جهة الصورة لا يقدح في كماله الذاتي الحقيقي في عينه ونفسه كما أن الكمال المعتبر في العلم الباطني بحسب الإضافة والنسبة إلى العلم الظاهري باعتبار المقام الموجب للافتراق بينهما من جهة التعين لا يزيد في كماله الذاتي الحقيقي في نفسه وذاته بل كل منهما من حيث هو بالنظر إلى ذاته مع قطع النظر إلى الإضافة والنسبة المعتبرة بينهما بحسب المقامات والتعلقات وغير ذلك كمال محض لا يتصور في واحد منهما نقصان أصلاً فكما أن الجهل والغفلة في أنفسهما محض نقصان حقيقي فكذلك العلم والمعرفة في أنفسهما محض كمال حقيقي وإنما الاعتبارات لئلا تبطل حقائق الأحكام ولذا قيل لولا الاعتبارات أي: الاضافات والنسب المعتبرة بين الأشياء لبطلت الحقائق ولما كان مقام هذا الباطن مقام القرب الذاتي عبر عن مقام ما يعبر به عن مقام القرب الذاتي من قوله: ﴿من لدنا﴾ أي: من مقام

أحدية ذاتنا ومرتبتها ولذا خص كبار الصوفية في اصطلاحاتهم لفظ العلم اللدني بهذا العلم الباطني الحاصل بمحض تعليم الله تعالى من لدنه بغير واسطة عبارة ولذلك قال بعضهم:

تعلمنا بلا حرف وصوت قرأناه بلا سهو وفوت

يعني بطريق الفيض الإلهي والإلهام الرباني لا بطريق التعليم اللفظي والتدريس القولي ولكون مقام العلم الظاهري من مقام العلم الباطني بمنزلة الظاهر من الباطن حيث يتعلق العلم الظاهري بظواهر الشريعة وصورها والعلم الباطني بمنزلة الباب من البيت ومن أراد دخول البيت فليأت من باب وبيت العلم ومدينته هو النبي عليه السلام وباب هذا البيت والمدينة هو علي ـ رضي الله عنه ـ كمال قال عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها».

كرتشنه فيض حق بصدقى حافظ سر چشمه آن زساقى كوثر پرس

واعلم أن التحقيق الحقيق في هذا المقام أن العلم المأمور موسى عليه السلام بتعلمه من الخضر هو العلم الباطني المتعلم بطريق الإشارة لا العلم الباطني المتعلم بطريق المكاشفة ولا العلم الظاهري المتعلم بطريق العبارة والدليل عليه إرسال الحق سبحانه موسى إلى عبده الخضر وعدم تعليمه بواسطة أمين الوحي جبرائيل وتعليم الخضر بطريق الإشارة بالأمور الثلاثة لكن لما كان الظاهر بالنظر إلى غلبة جانب علم الظاهر في وجود موسى أن يطلب تعلمه بطريق العبارة لا بطريق الإشارة وطريقه طريق الإشارة لا طريق العبارة قال: إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً من طريق التعلم بالإشارة لا بالعبارة والغالب عليك إنما هو طريق العبارة لا طريق الإشارة كما أن الغالب على طريق الإشارة لا طريق العبارة ولكل وجهة هو موليها قل كل يعمل على شاكلته. ثم إن الإمام الأعظم من الحسن البصري رحمهما الله تعالى بمنزلة موسى من الخضر عليهما السلام كما أن العكس بالعكس من جهة ما هو الغالب في نشأة كل منهما ولذلك أفاد الإمام الهمام العلم الظاهري غالباً وتقيد بترتيب أنوار الشريعة وأحكامها عبارة وصراحة وأفاد العلم الباطني نادراً وتعرض لأسرار الحقيقة ودقائقها إشارة وكناية بخلاف الحسن البصري فالإمام شمسي المشرب والحسن قمري المشرب ولذلك كان فلك الإمام أعظم وأوسع من فلك الحسن البصري وكان الإمام رحمة لأهل العموم عامة وكان الحسن البصري رحمة لأهل الخصوص خاصة والإمام مظهر اسم الرحمٰن والحسن مظهر اسم الرحيم ويدل على هذا كله انتشار مذهبه شرقاً وغرباً وهو من جميع المذاهب بمنزلة النبوة المحمدية والولاية العيسوية من جميع النبوات والولايات من جهة الخاتمية وحيث يختم به جميع المذاهب الحقة كما ختم بالنبوة المحمدية جميع النبوات ويختم بالولاية العيسوية جميع الولايات ولكون مشربه ومذهبه شمسياً سمي سراج الأمة وكاشف الغمة ورافع الظلمة ودافع البدعة ومحيي الدين وحافظ الشريعة بالكتاب والسنة ولكون مشرب الحسن ومذهبه قمرياً أنار القلوب والنفوس والطبائع المظلمة بظلمة الغفلة والهوى بأنوار المعرفة وأسرار الحقيقة والهدى تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وفي تقديم السراج على القمر المنير إشارة إلى تقديم رتبة الإمام على رتبة الحسن إذ هو مظهر اسم الأول والظاهر والحسن مظهر اسم الآخر والباطن والأولان مقدمان على الثانيين بتقديم إلهي في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] وهذا التفاوت إنما هو باعتبار ترتيب المراتب وأما في أصل الكمال وحقيقة الفضل فهم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها لسر يعرفه من يعرف ويغفل

عنه من يغفل ورئيس أهل الذكر الصوفية الحنفية هو الإمام الأعظم الأكمل ورئيس أهل الذكر الصوفية الشافعية هو الإمام الشافعي الأفضل ورئيس أهل الذكر الصوفية الحنبلية هو الإمام الحنبلي التقي ورئيس أهل الذكر الصوفية المالكية هو الإمام مالك الزكي وهؤلاء الأئمة العظام كالخلفاء الأربعة الفخام كالنجوم بل كالأقمار بل كالشموس بأيهم اقتدى السالك اهتدى الحق المبين وهم لدين الحق كالأركان الأربعة للبيت وهم أيضاً من سائر الأقطاب والأولياء كالعرش والشمس من الأفلاك والنجوم وليس لغيرهم ممن بعدهم إلى يوم القيامة بدون الاقتداء بهم اهتداء إلى طريق الجنة والرؤية ومن اقتدى بهم في الشريعة والطريقة والحقيقة وعلم علومهم وعمل أعمالهم وتأدب بآدابهم على مذهب أيهم كان بحسب وسعه فلا شك أنه اقتفى أثر رسول الله عليه السلام ومن لم يقتد بهم في ذلك فلا شك أنه ضل عن أثر الرسول وخرج عن دائرة القبول هذا كله كلام حضرة شيخي وسندي مع اختصار. وأما ما يلوح من كلمات بعض المشايخ من أن المجتهدين لم ينالوا العشق فله محامل ذكرنا بعضاً منها في كتابنا الموسوم «بتمام الفيض» والذي يظهر أنها كلمات صدرت حالة السكر والغلبات فلا اعتبار بها والأدب التام أن يمسك عنهم إلا بخير الكلام.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿قال له موسى﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من السياق كأنه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل: قال له موسى أي: للخضر عليهما السلام: **﴿هل أتبعك﴾** أصحبك **﴿على أن تعلمن﴾** على شرط أن تعلمن وهو في موضع الحال من الكاف وهو استئذان منه في اتباعه له على وجه التعليم ويكفيك دليلاً في شرف الاتباع **﴿مما علمت رشدا﴾** أي: علماً ذا رشد أرشد به في ديني والرشد إصابة الخير. قال الكاشفي: [علمي كه مبني بررشد باشد] يعني: إصابة خير ولقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع معه فينبغي للمرء أن يتواضع لمن هو أعلم منه. قال الإمام: والآية تدل على أن موسى راعى أنواع الأدب جعل نفسه تبعاً له فقال: **﴿هل أتبعك﴾** واستأذن في إثبات هذه التبعية وأقر على نفسه بالجهل وعلى أستاذه بالعلم في قوله: **﴿على أن تعلمن﴾** ومن في قوله: **﴿مما علمت﴾** للتبعيض أي: لا أطلب مساواتك في العلوم وإنما أريد بعضاً من علومك كالفقير يطلب من الغني جزءاً من ماله وقوله: **﴿مما علمت﴾** اعتراف بأنه أخذ من الله وقوله: **﴿رشدا﴾** طلب للإرشاد أي: ما لولاه لضل وهذا يدل على أنه طلب أن يعامله بمثل ما عامله الله به أي: ينعم بالتعليم كما أنعم الله عليه فإن البذل من الشكر، قال الحافظ:

أي صاحب كرامت شكرانه سلامت روزى تفقدى كن درويش بى نوارا

قال قتادة: لو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفى نجي الله موسى ولكنه قال: **﴿هل أتبعك﴾** الآية. وقال الزجاج وفيما فعل موسى وهو من أجلة الأنبياء من طلب العلم والرحلة في ذلك ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته ولذا ورد «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»، وفي «المثنوي»:

خاتم ملك سليمانست علم جمله عالم صورت وجانست علم

قال العلماء ولا ينافي نبوة موسى وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من نبي آخر ما لا يتعلق له بأحكام شريعته من أسرار العلوم الخفية وقد أمر الله بأخذ العلم منه فلا دلالة له. قال شيخي وسندي روح الله روحه تعليم موسى وتربيته بالخضر إنما هو من قبيل تعليم الأكمل وتربيته بالكامل لأنه تعالى قد يطلع الكامل على أسرار يخفيها عن الأكمل وإذا أراد أن يطلع الأكمل عليها أيضاً فقد يطلعه بالذات وقد يطلعه بواسطة الكامل ولا يلزم من توسط الكامل أن يكون أكمل من الأكمل أو مثله والكامل كامل مطلقاً والأكمل أكمل مطلقاً والرجحان للأكمل جداً ولا تسمع إلى غير ذلك مما يقول الضالون وقول الخضر لموسى عليه السلام يا موسى أنت على علم علمك الله وأنا على علم علمني الله إنما هو بناء على الامتياز المعتبر بينهما بحسب الغالب في نشأة كل منهما وإلا فالعلم الظاهر والباطن حاصلان في نشأة كل منهما انتهى وفهم منه جواب ما سبق من قوله إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك فإن المراد إثبات أعلميته في علم من العلوم الخاصة دون سائرها وقد انعقد الإجماع على أن نبينا عليه السلام أعلم الخلق وأفضلهم على الإطلاق وقد قال: «أنتم أعلم بأمور دنياكم». وفي قصص الأنبياء بينما هما على ساحل البحر إذ أقبل طائر وغمس منقاره في البحر ثم أخرجه ومسحه على جناحه ثم طار نحو المشرق ثم أطار نحو المغرب ثم رجع وصاح فقال الخضر: يا موسى أتروي ما قال هذا الطائر؟ قال: لا قال: إنه يقول ما أوتي بنو آدم من العلم إلا بمقدار ما أخذت من هذا البحر بمنقاري.

ازعلم تونكته ايست عالم زان دائره نقطه ايست آدم

وفي «التأويلات النجمية»: من آداب المريد الصادق بعد طلب الشيخ ووجدانه أن يستجيز منه في اتباعه وملازمة صحبته تواضعاً لنفسه وتعظيماً لشيخه بعد مفارقة أهاليه وأوطانه وترك مناصبه واتباعه وإخوانه وأخدانه كما كان حال موسى إذ قال للخضر: ﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾ بإرشاد الله لك أي: تعلمني طريق الاسترشاد من الله بلا واسطة جبريل والكتاب المنزل ومكالمة الحق تعالى فإن جميع ذلك كان حاصلاً له. فإن قيل فهل مرتبة فوق هذه المراتب الثلاث؟ قلنا إن هذه المراتب وإن كانت عزيزة جليلة ولكن مجيء جبريل يقتضي الواسطة وإنزال الكتاب يدل على البعد والمكالمة تنبىء عن الإثنينية والرشد الحقيقي من الله للعبد هو أن يجعله قابلاً لفيض نور الله بلا واسطة وذلك يتجلى جماله وجلاله الذي كان مطلوب موسى بقوله: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فإن فيه رفع الإثنينية وإثبات الوحدة التي لا يسع العبد فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل. ومنها أن المريد إذا استسعد بخدمة شيخ واصل ينبغي أن يخرج عما معه من الحسب والنسب والجاه والمنصب والفضائل والعلوم ويرى نفسه كأنه أعجمي لا يعرف الهر من البر أي: ما يهره مما يبره أو القط من الفار أو العقوق من اللطف أو الكراهية من الإكرام كما في «القاموس»، قال الحافظ:

خاطرت كى رقم فيض پذيرد هيهات مكر از نقش پراكنده ورق ساده كنى

وينقاد لأوامره ونواهيه كما كان فإن كليم الله لم يمنعه النبوة والرسالة ومجيء جبريل وإنزال التوراة ومكالمة الله واقتداء بني إسرائيل به أن يتبع الخضر ويتواضع له وترك أهاليه وأتباعه وأشياعه وكل ما كان له من المناصب والمناقب وتمسك بذيل إرادته منقاد لأوامره ونواهيه.

﴿قال﴾ الخضر ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنه مما لا يصح ولا يستقيم والمراد نفي الصبر على ما يدل عليه قوله وكيف تصبر ويلزم من نفيها نفيه. وفيه دليل على أن الاستطاعة مع الفعل [موسى كفت چرا صبر نتوانم كرد كفت بجهت آنكه تو پيغمبرى وحكم تو بر ظاهر است شايدكه ازمن عملى صادر شود در ظاهر آن منكر وناشايسته نمايد وجه حكمت آنراندانى وبرآن صبر كردن نتوانى].

﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ تمييز من خبر يخبر كنصر وعلم بمعنى عرف أي: لم يحط به خبرك أي: علمك وهو إيذان بأنه يتولى أموراً خفية منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يصبر إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار. قال الإمام المتعلم قسمان منه من مارس العلوم ومنه من لم يمارسها والأول إذا وصل إلى من هو أكمل منه عسر عليه التعلم جداً لأنه إذا رأى شيئاً أو سمع كلاماً فربما أنكره وكان صواباً فهو لألفته بالقيل والقال يغتر بظاهره ولا يقف على سره وحقيقته فيقدم على النزاع ويثقل ذلك على الأستاذ وإذا تكرر منه الجدل حصلت النفرة وإليه أشار الخضر بقوله: ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ لأنك ألفت الكلام والإثبات والإبطال والاعتراض والاستدلال ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ أي: لست تعلم حقائق الأشياء كما هي. قال حضرة شيخي وسندي روح الله روحه في كتاب «اللائحات البرقيات» كل واحد من العلمين أي: الظاهر والباطن موجود في وجود كل من موسى والخضر عليهما السلام إلا أن الغالب في نشأة موسى هو العلم الظاهري كما يدل عليه رسالته وقوله للخضر ﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾ لأن المتعلم من المخلوق إنما هو العلم الظاهري المتعلم بالحرف والصوت لا العلم الباطني المتعلم من الله بلا حرف وصوت بل بذوق وكشف إلهي وإلقاء وإلهام سبحاني لأن جميع علوم الباطن إنما تحصل بالذوق والوجدان والشهود والعيان لا بالدليل والبرهان وهي ذوقيات لا نظريات فإنها ليست بطريق التأمل السابق ولا بسبيل التعلم اللاحق بترتيب المبادي والمقدمات وعلى اعتبار حصولها بطريق الانتقال بالواسطة لا بطريق الذوق بغير الواسطة والغالب في نشأة الخضر هو العلم الباطني كما يدل عليه ولايته ولو قيل بنبوته وقوله لموسى عليه السلام: ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ يعني: بحسب غلبة جانب علم الظاهر وعلم الرسالة على جانب علم الباطن وعلم الولاية إذ الحكم للأغلب القاهر انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن الآداب أن يكون المريد ثابتاً في الإرادة بحيث لو يرده الشيخ كرات بعد مرات ولا يقبله امتحاناً له في صدق الإرادة يلازم عتبة بابه ويكون أقل من ذباب فإنه كلما ذب آب كما كان حال كليم الله فإنه كان الخضر يرده ويقول له: ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ أي: كيف تصبر على فعل يخالف مذهبك ظاهراً ولم يطلعك الله على الحكمة في إتيانه باطناً ومذهبك أنك تحكم بالظاهر على ما أنزل الله عليك من علم الكتاب ومذهبي أن أحكم بالباطن على ما أمرني الله من العلم اللدني وقد كوشفت بحقائق الأشياء ودقائق الأمور في حكمة إجرائها وذلك أنه تعالى أفناني عني بهويته وأبقاني به بألوهيته فبه أبصر وبه أسمع وبه أنطق وبه آخذ وبه أعطي وبه أفعل وبه أعلم فإني لا أعلم ما لم يعلم وأنه يقول ستجدني.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿قال﴾ موسى عليه السلام: ﴿ستجدني﴾ [زود باشدكه يابى مرا] ﴿إن شاء الله صابرا﴾ معك غير معترض عليك والصبر الحبس يقال صبرت نفسي على كذا أي: حبستها وتعليق الوعد بالمشيئة إما طلباً لتوفيقه في الصبر ومعونته أو تيمناً به أو علماً منه بشدة الأمر وصعوبته فإن الصبر من مثله عند مشاهدة الفساد شديد جداً لا يكون إلا بتأييد الله تعالى. وقيل: إنما استثنى لأنه لم يكن على ثقة فيما التزم من الصبر وهذه عادة الصالحين. ويقال إن أمزجة جميع الأنبياء البلغم إلا موسى فإن مزاجه كان المرة. فإن قلت ما معنى قول موسى للخضر: ﴿ستجدني﴾ الآية ولم يصبر وقول إسماعيل عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] فصبر. قال بعض العلماء لأن موسى جاء صحبة الخضر بصورة التعلم والمتعلم لا يصبر إذا رأى شيئاً حتى يفهمه بل يعترض على أستاذه كما هو دأب المتعلمين وإسماعيل لم يكن كذلك بل كان في معرض التسليم والتفويض إلى الله تعالى وكلاهما في مقامهما واقفان. وقيل: كان في مقام الغيرة والحدة والذبيح في مقام الحكم والصبر. قال بعض العارفين قال الذبيح من الصابرين أدخل نفسه في عداد الصابرين فدخل وموسى عليه السلام تفرد بنفسه وقال صابراً فخرج والتفويض من التفرد أسلم وأوفق لتحصيل المقام ووصول المرام. ﴿ولا أعصي لك أمرا﴾ عطف على صابراً أي: ستجدني صابراً وغير عاص أي: لا أخالفك في شيء ولا أترك أمرك فيما أمرتني به وفي عدم هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن الآداب أن لا يكون معترضاً على أفعال الشيخ وأقواله وأحواله وجميع حركاته وسكناته معتقداً له في جميع حالاته وإن شاهد منه معاملة غير مرضية بنظر عقله وشرعه فلا ينكره بها ولا يسيء الظن فيه بل يحسن فيه الظن ويعتقد أنه مصيب في معاملاته مجتهد في آرائه وإنما الخطأ من قصور نظري وسخافة عقلي وقلة علمي.

﴿قال فإن اتبعتني﴾ صحبتني لأخذ العلم وهو أذن له في الاتباع بعد اللتيا والتي والفاء لتفريع الشرطية على ما مر من التزامه للصبر والطاعة ﴿فلا تسألني عن شيء﴾ تشاهده من أفعالي وتنكره مني في نفسك أي: لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلاً عن المناقشة والاعتراض ﴿حتى أحدث لك منه ذكرا﴾ حتى ابتدىء ببيانه. وفيه إيذان بأن كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من آداب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع.

قال في «التأويلات النجمية»: ومن الآداب أن يسد على نفسه باب السؤال فلا يسأل الشيخ عن شيء حتى يحدث له منه ذكراً إما بالقال وإما بالحال انتهى.

ـ روي ـ أن لقمان دخل على داود عليه السلام وهو يسرد دروعاً ولم يكن رآها قبل ذلك فتعجب منه فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته الحكمة فأمسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسها ثم قال نعم الدرع للحرب. وقيل: كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يسأل ذلك فلم يسأل. قالت الحكماء إن كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب. وعن بعض الكبار الصمت على قسمين: صمت باللسان عن الحديث بغير الله مع غير الله جملة وصمت بالقلب عن خاطر

كوني البتة فمن صمت لسانه ولم يصمت قلبه خف وزره ومن صمت قلبه ولم يصمت لسانه فهو ناطق بلسان الحكمة ومن صمت لسانه وقلبه ظهر له سره وتجلى له ربه ومن لم يصمت لسانه وقلبه كان مسخرة للشيطان. فعلى العاقل أن يجتهد حتى يسلم قلبه من الانقباض ولسانه من الاعتراض وينسى ما سوى الله تعالى ولا تلعب به الأفكار ويصبر عند مظان الصبر ويستسلم لأمر الله الملك الغفار فإن لله تعالى في كل شيء حكمة وفي كل تلف عوضاً، وفي «المثنوي»:

لا نسلم واعتراض ازما برفت ... چون عوض مى آيداز مفقودزفت
چونكه بى آتش مرا كرمى رسد ... راضيم كر آتش مارا كشد
بى چراغى چون دهد اوروشنى ... كر چراغت شدجه افغان ميكنى
دانه پر مغز باخاك دزم ... خلوتى وصحبتي كرد ازكرم
خويشتن درخاك كلى محو كرد ... تانماندش رنك وبوى سرخ وزرد
از پس آن محو قبض اونماند ... بر كشاد وبست شد مركب براند

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الخلوة به والصحبة بالأهل والتسليم للأمر.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾

﴿**فانطلقا**﴾ أي: ذهب موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة وأما يوشع فقد صرفه موسى إلى بني إسرائيل. وقال الكاشفي: [ويوشع بر عقب ايشان ميرفت]. يقول الفقير وهو الظاهر فإن تثنية الفعل إنما هي لأجل الانتقال من قصة موسى مع يوشع إلى قصته مع الخضر فكان يوشع تبعاً لهما فلم يذكر ويدل على هذا قوله عليه السلام: «مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوا بغير نول» على ما في المشارق ولا مقتضى لرده إلى بني إسرائيل فإن هارون عليه السلام كان معهم والله أعلم. ﴿**حتى إذا ركبا**﴾ دخلا ﴿**في السفينة**﴾. وقال في «الإرشاد» في سورة هود: معنى الركوب العلو على شيء له حركة إما إرادية كالحيوان أو قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فإذا استعمل في الأول يوفر له حظ الأصل فيقال: ركبت الفرس وإن استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت في السفينة. وفي «الجلالين»: ﴿**حتى إذا ركبا**﴾ البحر ﴿**في السفينة**﴾.

ـ روي ـ أنهما مرا بالسفينة فاستحملا ملاحيها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول بفتح النون أي: بغير أجرة ﴿**خرقها**﴾ ثقبها الخضر وشقها لما بلغوا اللج أي: معظم الماء حيث أخذ فأساً فقلع بغتة أي: على غفلة من القوم من ألواحها لوحين مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه وأخذ الخضر قدحاً من زجاج ورقع به خرق السفينة أو سده بخرقة.

ـ روي ـ أنه لما خرق السفينة لم يدخلها الماء. وقال الإمام في تفسيره والظاهر أنه خرق جدارها لتكون ظاهرة العيب ولا يتسارع إلى أهلها الغرق فعند ذلك ﴿**قال**﴾ موسى منكراً عليه ﴿**أخرقتها**﴾ يا خضر ﴿**لتغرق أهلها**﴾ فإن خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي إلى غرق أهلها وهم قد أحسنوا بنا حيث حملونا بغير أجرة وليس هذا جزاءهم فاللام للعاقبة. وقال سعدي المفتي ويجوز أن يحمل على التعليل بل هو الأنسب لمقام الإنكار ﴿**لقد جئت**﴾ أي: أتيت وفعلت ﴿**شيئاً إمراً**﴾ [چيزى شكفت وشنيع وبر دل كران]. قال في «القاموس» أمر أمر

منكر عجب. ومن بلاغات الزمخشري كم أحدث بك الزمان أمراً أمراً كما لم يزل يضرب زيد عمراً أي: كما ثبت دوام هذه القصة. قال في «الأسئلة المقحمة» كان من حق العلم الواجب عليه الإنكار بحكم الظاهر إلا أنه كان يلزم مع ذلك التوقف وقت قلب العادة، قال الحافظ:

مزن زچون چرادم كه بنده مقبل — قبول كردبجان هرسخن كه جانان كفت

﴿قال﴾ الخضر لموسى ﴿ألم أقل﴾ أي: قد قلت: ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ ما تقدر أن تصبر معي البتة وهو تذكير لما قاله من قبل متضمن للإنكار على عدم الوفاء بوعد.

﴿قال﴾ [كفت موسى كه آن سخن از خاطرم رفته بود] ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ بنسياني وصيتك بعدم السؤال عن حكمة الأفعال قبل البيان فإنه لا مؤاخذة على الناسي كما ورد في صحيح البخاري «من أن الأول كان من موسى نسياناً والثاني فرطاً والثالث عمداً» ﴿ولا ترهقني﴾ يقال رهقه كفرح غشيه وأرهقه إياه والإرهاق أن يحمل الإنسان على ما لا يطيقه وأرهقه عشراً كلفه إياه في «القاموس» أي: ولا تغشني ولا تكلفني ولا تحملني. قال الكاشفي: [ودر مرسان مرا] ﴿من أمري﴾ وهو اتباعه إياه ﴿عسرا﴾ [دشوارى] مفعول ثاني للإرهاق أي: لا تعسر عليّ متابعتك ويسرها عليّ فإني أريد صحبتك ولا سبيل لي إليها إلا بالإغضاء والعفو وترك المناقشة.

بپوش دامن عفوي بروى جرم مرا — مريزآب رخ بنده بدين چون وچرا

وفي «التأويلات النجمية»: ومن آداب الشيخ وشرائطه في الشيخوخة أن لا يحرص على قبول المريد بل يمتحنه بأن يخبره عن دقة صراط الطلب وعزة المطلوب وعسرته وفي ذلك يكون له مبشراً ولا يكون منفراً فإن وجده صادقاً في دعواه وراغباً فيما يهواه معرضاً عما سواه يتقبله بقبول حسن ويكرم مثواه ويقبل عليه إقبال مولاه ويربيه تربية الأولاد ويؤدبه بآداب العباد. ومنها أن يتغافل عن كثير من زلات المريد رحمة عليه ولا يؤاخذه بكل سهو أو خطأ أو نسيان عهد لضعف حاله إلا بما يؤدي إلى مخالفة أمر من أوامره أو مزاولة نهي من نواهيه أو يؤدي إلى إنكار واعتراض على بعض أفعاله وأقواله فإنه يؤاخذه به وينبهه عن ذلك فإن رجع عن ذلك واستغفر منه واعترف بذنبه وندم شرط معه أن لا يعود إلى أمثاله ويعتذر عما جرى عليه كما كان حال الكليم حيث قال: ﴿لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا﴾ أي: لا تضيق علي أمري فإني لا أطيق ذلك انتهى. وفي الآية تصريح بأن النسيان يعتري الأنبياء عليهم السلام للإشعار بأن غيره تعالى معيوب غير معصوم ولكن العصيان يعفي غالباً فكيف بنسيان قارنه الاعتذار وقد قيل:

أقبل معاذير من يأتيك معتذراً — إن برّ عندك فيما قال أو فجرا

ثم إن امتحان الله وامتحان أوليائه شديد فلا بد من الصبر والتسليم والرضى:

قفل زفتست وكشاينده خدا — دست در تسليم زن اندر رضا

قال الخجندي:

بجفا دوشدن ازتو نباشد محمود — هركجا پاى ايازست سر محمودست

وعن الشيخ أبي عبد الله بن خفيف قدس سره قال: دخلت بغداد قاصداً الحج وفي رأسي نخوة الصوفية يعني حدة الإرادة وشدة المجاهدة وإطراح ما سوى الله قال: ولم آكل أربعين يوماً ولم أدخل على الجنيد وخرجت ولم أشرب وكنت على طهارتي فرأيت ظبياً في

البرية على رأس بئر وهو يشرب وكنت عطشاناً فلما دنوت من البئر ولى الظبي وإذا الماء في أسفل البئر فمشيت وقلت: يا سيدي أمالي عندك محل هذا الظبي فسمعت من خلفي يقال: جربناك فلم تصبر ارجع فخذ الماء إن الظبي جاء بلا ركوة ولا حبل وأنت جئت ومعك الركوة والحبل فرجعت فإذا البئر ملآن فملأت ركوتي وكنت أشرب منها وأتطهر إلى المدينة ولم ينفذ الماء فلما رجعت من الحج دخلت الجامع فلما وقع بصر الجنيد قدس سره عليّ قال: لو صبرت لنبع الماء من تحت قدمك لو صبرت صبر ساعة اللهم اجعلنا من أهل العناية.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿فانطلقا﴾ الفاء فصيحة والانطلاق الذهاب أي: فقبل الخضر عذر موسى عليه السلام فخرجا من السفينة فانطلقا ﴿حتى إذا﴾ [تاچون] ﴿لقيا﴾ في خارج قرية مرا بها ﴿غلاما﴾ [پسرى را زيباروى وبلندقامت خضر اورا درپس ديوارى ببرد] ﴿فقتله﴾ عطف على الشرط بالفاء أي: فقتله عقيب اللقاء واسمه جيسور بالجيم أو حيسور بالحاء أو حينون قاله السهيلي ومعنى قتله أشار بأصابعه الثلاث الإبهام والسبابة والوسطى وقلع رأسه كما قال رسول الله ﷺ: «ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله» كذا في الصحيحين برواية أبي بن كعب رضي الله عنه ﴿قال﴾ موسى والجملة جزآء الشرط ﴿أقتلت نفسا زكية﴾ طاهرة من الذنوب لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث أي: الإثم والذنب وهو قول الأكثرين. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو زاكية والباقون زكية فعيلة للمبالغة في زكاتها وطهارتها وفرق بينهما أبو عمرو بأن الزاكية هي التي لم تذنب قط والزكية التي أذنبت ثم تابت ﴿بغير نفس﴾ بغير قتل نفس محرمة يعني لم تقتل نفساً فيقتص منها. قيل الصغير لا يقاد فالظاهر من الآية كبر الغلام وفيه أن الشرائع مختلفة فلعل الصغير يقاد في شريعته ويؤيد هذا الكلام ما نقل البيهقي في «كتاب المعرفة» أن الأحكام إنما صارت متعلقة بالبلوغ بعد الهجرة. وقال الشيخ تقي الدين السبكي إنها إنما صارت متعلقة بالبلوغ بعد أحد. وقال في «إنسان العيون»: إنما صح إسلام علي رضي الله عنه مع أنهم أجمعوا على أنه لم يكن بلغ الحلم ومن ثم نقل عنه رضي الله عنه أنه قال:

سبقتكمو إلى الإسلام طرا صغيراً ما بلغت أوان حلمي

أي كان عمره ثماني سنين لأن الصبيان كانوا إذ ذاك مكلفين لأن القلم إنما رفع عن الصبي عام خيبر. قال في «الإرشاد»: وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الإيمان والزنى بعد الإحصان لأنه أقرب إلى الوقوع نظراً إلى حال الغلام وفي الحديث «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً»، فإن قلت: ما معنى هذا وقد قال عليه السلام: «كل مولود يولد على الفطرة»، قلت: المراد بالفطرة استعداده لقبول الإسلام وذلك لا ينافي كونه شقياً في جبليته أو يراد بالفطرة قولهم بلى حين قال الله: «ألست بربكم»، قال النووي لما كان أبواه مؤمنين كان هو مؤمناً أيضاً فيجب تأويله بأن معناه والله أعلم أن ذلك الغلام لو بلغ لكان كافراً ﴿لقد جئت﴾ فعلت ﴿شيئا نكرا﴾ منكراً أنكر من الأول لأن ذلك كان

خرقاً يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه. وقيل الأمر أعظم من النكر لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة. قال جماعة من القراء نصف القرآن عند قوله تعالى: ﴿لقد جئت شيئا نكرا﴾.

﴿قال﴾ الخضر: ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ توبيخ لموسى على ترك الوصية وزيادة لك هنا لزيادة العتاب على تركها لأنه قد نقض العهد مرتين.

﴿قال﴾ موسى ﴿إن سألتك عن شيء﴾ [اى چيزى كه صادر شود مثل اين افعال منكره] ﴿بعدها﴾ أي: بعد هذه المرة ﴿فلا تصاحبني﴾ أي: لا تكن صاحبي ومقارني بل أبعدني عنك وإن سألت صحبتك ﴿قد بلغت من لدني﴾ [بدرستى كه رسيدى از نزديك من] ﴿عذرا﴾ أي: قد وجدت عذراً من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات. وبالفارسية [چون سه بار مخالفت كنم هرآينه درترك صحبت من معذور باشى] العذر بضمتين والسكون في الأصل تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه بأن يقول لم أفعل أو فعلت لأجل كذا أو فعلت فلا أعود وهذا الثالث التوبة فكل توبة عذر بلا عكس. والاعتذار عبارة عن محو أثر الذنب وأصله القطع يقال: اعتذرت إليه أي: قطعت ما في قلبه من الموجدة وفي الحديث: «رحم الله أخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب». وفي «الخصائص الصغرى»: ومن خصائصه ﷺ أنه جمعت له الشريعة والحقيقة ولم يكن للأنبياء إلا أحدهما بدليل قصة موسى مع الخضر عليهما السلام والمراد بالشريعة الحكم بالظاهر وبالحقيقة الحكم بالباطن وقد نص العلماء على أن غالب الأنبياء إنما بعثوا ليحكموا بالظاهر دون ما اطلعوا عليه من بواطن الأمور وحقائقها وبعث الخضر ليحكم عليه من بواطن الأمور وحقائقها ومن ثمة أنكر موسى على الخضر في قتله للغلام بقوله: ﴿لقد جئت شيئاً نكرا﴾ فقال له الخضر: وما فعلته عن أمري ومن ثمة قال الخضر لموسى إني على علم من عند الله لا ينبغي لك أن تعمل به لأنك لست مأموراً بالعمل به وأنت على علم من عند الله لا ينبغي لي أن أعمل به لأني لست مأموراً بالعمل به. وفي «تفسير ابن حبان»: والجمهور على أن الخضر نبي وكان علمه معرفة بواطن أمور أوحيت إليه أي: ليعمل بها وعلم موسى الحكم بالظاهر أي: دون الحكم بالباطن ونبينا ﷺ حكم بالظاهر في أغلب أحواله وحكم بالباطن في بعضها بدليل قتله عليه السلام للسارق وللمصلي لما اطلع على باطن أمرهما وعلم منهما ما يوجب القتل. وقد ذكر بعض السلف أن الخضر إلى الآن ينفذ الحكم بالحقيقة وأن الذين يموتون فجأة هو الذين يقتلهم فإن صح ذلك فهو في هذه الأمة بطريق النيابة عن النبي ﷺ فإنه صار من أتباعه عليه السلام كما أن عيسى عليه السلام عندما ينزل يحكم بشريعته نيابة عنه لأنه من أتباعه. وفيه أن عيسى اجتمع به ﷺ اجتماعاً متعارفاً ببيت المقدس فهو صحابي كذا في «إنسان العيون»، يقول الفقير: لا وجه لتخصيص عيسى فإنه عليه السلام كما اجتمع به عليه السلام ذلك الاجتماع كذلك الخضر والياس عليهما السلام اجتمعا به اجتماعاً متعارفاً كما سبق فهما صحابيان أيضاً. وفيه بيان شرف نبينا ﷺ حيث إن هؤلاء الأنبياء الكرام استمهلوا من الله تعالى ليكونوا من أمته:

سر خيل انبيا وسپهدار اتقيا ... سلطان باركاه دنى قائد امم

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿فانطلقا﴾ أي: ذهبا بعدما شرطا ذلك ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ هي أنطاكية بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وفتح الياء المخففة قاعدة العواصم وهي ذات أعين وسور عظيم من صخر داخله خمسة أجبل دورها اثنا عشر ميلاً كما في «القاموس». قال الكاشفي: [واهل ديه چون شب شدى دروازه دربستندى وبراى هيچكس نكشادندى نماز شام موسى وخضر بدان ديه رسيدند وخواستندكه بديه در آيند كسى دروازه مكشود واهل ديه را كفتند اينجا غريب رسيده ايم كرسنه نيز هستيم چون مارا درديه جاى نداديد بارى طعام جهت ما بفر ستيد] وذلك قوله تعالى: ﴿استطعما أهلها﴾ أي: طلبا منهم الطعام ضيافة. قيل: لم يسألاهم ولكن نزولهما عندهم كالسؤال منهم. قال في «الأسئلة المقحمة»: استطعم موسى هٰهنا فلم يطعم وحين سقى لبنات شعيب ما استطعتم وقد أطعم حيث قال: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ﴾ [القصص: ٢٥] والجواب هٰهنا أن الحرمان كان بسبب المعارضة بحيث لم يكتف بعلم الله بحاله بل جنح إلى الاعتماد على مخلوق فأراد السكون بحادث مسبوق وهناك جرى على توكله ولم يدخل وساطة بين المخلوقين وبين ربه بل حط الرحل ببابه فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٨] قال الحافظ:

فقير وخسته بدركاهت آمدم رحمى — كه جزدعاى توام نيست هيچ دست آويز

وقال:

ما آبروى فقر وقناعت نمى بريم — باپادشه بكوى كه روزى مقدرست

قوله: ﴿استطعما أهلها﴾ في محل الجر على أنه صفة لقرية وجه العدول عن استطعامهم على أن يكون صفة للأهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فإن الإباء من الضيافة وهم أهلها قاطنون بها أقبح وأشنع ﴿فأبوا﴾ امتنعوا ﴿أن يضيفوهما﴾ أي: من تضييفهما وهو بالفارسية [مهمان كردن] يقال ضافه إذا نزل به ضيفاً وأضافه وضيفه أنزله وجعله ضيفاً له هذا حقيقة الكلام ثم شاع كناية عن الإطعام وحقيقة ضاف مال إليه من ضاف السهم عن الغرض إذا مال وعن النبي عليه السلام: «كانوا أهل قرية لئاماً»، قال الشيخ سعدي قدس سره:

بزر كان مسافر بجان پرورند — كه نام نكويى بعالم برند
غريب آشناباش وسياح دوست — كه سياح جلاب نام نكوست
تبه كردان مملكت عن قريب — كزوخاطر آزرده كردد غريب
نكو دار ضيف ومسافر عزيز — وز آسيب شان بر حذرباش نيز

وفي الحكاية أن أهلها لما سمعوا الآية جاؤوا إلى النبي عليه السلام بحمل من الذهب وقالوا: نشتري بهذا أن تجعل الباء تاء يعني فأتوا أن يضيفوهما أي: لأن يضيفوهما وقالوا: غرضنا دفع اللؤم فامتنع وقال: تغييرها يوجب دخول الكذب في كلام الله والقدح في الإلهية كذا في «التفسير الكبير» ﴿فوجدا فيها﴾ قال الكاشفي: [ايشان كرسنه بيرون ديه بودند بامداد روى براه نهادند پس يافتند در نواحى ديه] ﴿جدارا﴾ [ديوارى مائل شده بيك طرف] ﴿يريد أن ينقض﴾ الإرادة نزوع النفس إلى شيء مع حكمه فيه بالفعل أو عدمه والإرادة من الله هي الحكم وهذا من مجاز كلام العرب لأن الجدار لا إرادة له وإنما معناه قرب ودنا من السقوط كما يقول العرب داري تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها. قال في «الإرشاد» أي: يداني أن يسقط فاستعيرت الإرادة للمشارفة للدلالة على المبالغة في ذلك. والانقضاض الإسراع في

السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والكواكب لسقوطها بسرعة. وقيل هو افعلال من النقض كأحمر من الحمرة ﴿فأقامه﴾ فسواه الخضر بالإشارة بيده كما هو المروي عن النبي عليه السلام وكان طول الجدار في السماء مائة ذراع ﴿قال﴾ له موسى لضرورة الحاجة إلى الطعام. قال الكاشفي: [كفت موسى اين أهل ديه مارا جاى ندادند وطعام نيز نفرستادند پس چرا ديوار ايشانرا عمارت كردى] والجملة جزاء الشرط ﴿لو شئت لاتخذت﴾ افتعل من اتخذ بمعنى أخذ كأتبع وليس من الأخذ عند البصريين ﴿عليه﴾ على عملك ﴿أجرا﴾ أجرة حتى نشتري بها طعاماً. قال بعضهم لما قال له ﴿لتغرق أهلها﴾ قال الخضر: أليس كنت في البحر ولم تغرق من غير سفينة ولما قال: ﴿أقتلت نفسا زكية بغير نفس﴾ فقال: أليس قتلت القبطي بغير ذنب ولما قال: ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ قال: أنسيت سقياك لبنات شعيب من غير أجرة وهذا من باب لطائف المحاورات. قال القاسم لما قال موسى هذا القول وقف ظبي بينهما وهما جائعان من جانب موسى غير مشوي ومن جانب الخضر مشوي لأن الخضر أقام الجدار بغير طمع وموسى رده إلى الطمع. قال ابن عباس رضي الله عنهما: رؤية العمل وطلب الثواب به يبطل العمل ألا ترى الكليم لما قال للخضر: ﴿لو شئت﴾ الآية كيف فارقه. وقال الجنيد قدس سره: إذا وردت ظلمة الاطماع على القلوب حجبت النفوس عن نظرها في بواطن الحكم. يقول الفقير: إن قلت كيف جوز موسى طلب الأجر بمقالة العمل الذي حصل بمجرد الإشارة وهو من طريق خرق العادة الذي لا مؤونة فيه. قلت: لم ينظر إلى جانب الأسباب وإنما نظر إلى النفع العائد إلى جانب أصحاب الجدار ألا ترى أنه جوز أخذ الأجر بمقالة الرقية بسورة الفاتحة ونحوها وهو ليس من قبيل طلب الأجرة على الدعوة فإنه لا يجوز للنبي أن يطلب أجراً من قومه على دعوته وإرشاده كما أشير إليه في مواضع كثيرة من القرآن.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾

﴿قال﴾ الخضر ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ أي: هذا الوقت وقت الفراق بيننا وهذا الاعتراض الثالث سبب الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني وإضافة الفراق إلى البين إضافة المصدر إلى الظرف اتساعاً ﴿سأنبئك﴾ سأخبرك السين للتأكيد لعدم تراخي التنبئة ﴿بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا﴾ التأويل رجع الشيء إلى مآله والمراد به هٰهنا المآل والعاقبة إذ هو المنبأ به دون التأويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص أبوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الأحسن واستخراج اليتيمين للكنز قال رسول الله ﷺ: «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما» أي: يبين الله لنا بالوحي.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن آداب الشيخ أنه لو ابتلي المريد بنوع من الاعتراض أو مما يوجب الفرقة يعفو عنه مرة أو مرتين ويصفح ولا يفارقه فإن عاد إلى الثالثة فلا يصاحبه لأنه قد بلغ من لدنه عذراً ويقول كما قال الخضر هذا فراق بيني وبينك. ومنها أنه لو آل أمر الصحبة إلى المفارقة بالاختيار أو بالاضطرار فلا يفارقه إلا على النصيحة فينبئه عن سر ما كان عليه الاعتراض ويخبره عن حكمته التي لم يحط بها خبراً ويبين له تأويل ما لم يستطع عليه صبراً لئلا يبقى معه إنكار فلا يفلح إذا أبدا انتهى. يقول الفقير وهو المراد بقول بعض الكبار من قال لأستاذه لم لم يفلح؟ قال أبو يزيد البسطامي قدس سره في حق تلميذه لما خالفه دعوا

من سقط من عين الله فرؤي بعد ذلك من المحنثين وسرق فقطعت يده هذا لما نكث العهد فأين هو ممن وفى ببيعته مثل تلميذ أبي سليمان الداراني قدس سره قيل له: ألقِ نفسك في التنور فألقى نفسه فيه فعاد عليه برداً وسلاماً وهذه نتيجة الوفاء، وفي المثنوي:

جرعه بر خاك وفا آنكس كه ريخت كى تواند صيد دولت زو كريخت

جعلنا الله وإياكم من المتحققين بحقائق المواثيق والعهود.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾

﴿أما السفينة﴾ التي خرقتها ﴿فكانت لمساكين﴾ لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وكانوا عشرة إخوة خمسة منهم زمنى ﴿يعملون في البحر﴾ بها مؤاجرة طلباً للكسب فإسناد العمل إلى الكل بطريق التغليب أو لأن عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين.

اعلم أن الفقير في الشريعة من له مال لا يبلغ نصاباً قدر مائتي درهم أو قيمتها فاضلاً عن حاجته الأصلية سواء كان نامياً أو لا والمسكين من لا شيء له من المال هذا هو الصحيح عند الحنفية والشافعية يعكسون. قال القاضي في الآية دليل أن المسكين يطلق على من يملك شيئاً لم يكفه وحمل اللام على التمليك. وقال مولانا سعدي: إنما يكون دليلاً إذا ثبت أن السفينة كانت ملكاً لهم لكن للخصم أن يقول اللام للدلالة على اختصاصها بهم لكونها في يدهم عارية أو كونهم أجراء كما ورد في الأثر انتهى. وقد نص على هذين الوجهين صاحب «الكفاية في شرح الهداية» ولئن سلمنا أن السفينة كانت ملكاً لهم فإنما سماهم الله مساكين دون فقراء لعجزهم عن دفع الملك الظالم ولزمانتهم والمسكين يقع على من أذله شيء وهو غير المسكين المشهور في مصرف الصدقة هذا هو تحقيق المقام ﴿فأردت﴾ بحكم الله وإرادته ﴿أن أعيبها﴾ أي: اجعلها ذات عيب ﴿وكان﴾ [وحال آنكه هست] ﴿وراءهم﴾ أمامهم كقوله: ومن ورائهم برزخ فوراء من الأضداد مثل قوله فما فوقها أي: دونها أريد به هٰهنا الأمام دون الخلف على ما يأتي من القصص ﴿ملك﴾ كافر اسمه جلندي بن كركرد كان بجزيرة الأندلس ببلدة قرطبة وأول فساد ظهر في البحر كان ظلمه على ما ذكره أبو الليث وأول فساد ظهر في البر قتل قابيل هابيل على ما ذكره أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾ [الروم: ٤١] الآية ﴿يأخذ كل سفينة﴾ صحيحة جيدة وهو من قبيل إيجاز الحذف ﴿غصبا﴾ من أصحابها وانتصابه على أنه مصدر مبين لنوع الأخذ أو على الحالية بمعنى غاصباً والغصب أخذ الشيء ظلماً وقهراً ويسمى المغصوب غصباً وخوف الغصب سبب لإرادة عيبها لكنه أخر عنها لقصد العناية بذكرها مقدماً وجه العناية أن موسى لما أنكر خرقها وقال: أخرقتها لتغرق أهلها اقتضى المقام الاهتمام لدفع مبنى إنكاره بأن الخرق لقصد التعييب لا لقصد الإغراق.

ـ وروي ـ أن الخضر اعتذر إلى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره. وفي قصص الأنبياء فبينما هم كذلك استقبلتهم سفينة فيها جنود الملك وقالوا إن الملك يريد أن يأخذ سفينتكم إن لم يكن فيها عيب ثم صعدوا إليها وكشفوها فوجدوا موضع اللوح مفتوحاً فانصرفوا فلما بعدوا عنهم أخذ الخضر ذلك اللوح ورده إلى مكانه، وفي المثنوي:

كر خضر در بحر كشتى را شكست صد درشتى درشكست خضر هست

فظاهر فعله تخريب وباطنه تعمير، وفي المثنوي:

آن يكى آمد زمين را مى شكافت ابلهى فرياد كرد وبرنتافت
كين زمين را ازچه ويران ميكنى مى شكافيّ وپريشان ميكنى
كفت اي ابله برو برمن مران تو عمارت از خرابى باز دان
كى شود كلزار وكندم زار اين تا نكردد زشت وويران ابن زمين
كى شود بستان وكشت وبرك بر تا نكردد نظم او زير وزبر
تا نشكافى بنشتر ريش چغز كى شود نيكو وكى كرديد نغز
تا نشوزد خلطهايت از دوا كى رود شورش كجا آيد شفا
پاره پاره كرد درزى جامه را كس زند آن درزى علامه را
كه چرا اين اطلس بكز يده را بر دريدى چه كنم بدر بده را
هر بناى كهنه كآبادان كنند نى كه اول كهنه را ويران كنند
همچنين نجار وحداد وقصاب هستشان پيش از عمارتها خراب
آن هليله وان بليله كوفتن زان تلف كردند معمورى تن
تا نكوبى كندم اندر آسيا كى شود آراسته زان خوان ما

وفي إفناء الوجود المجازي تحصيل للوجود الحقيقي فما دامت البشرية وأوصافها باقية على حالها لا يظهر آثار الأخلاق الإلهية البتة.

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية إشارات:

منها: أن خرق السفينة وإعابتها لئلا تؤخذ غصباً ليس من أحكام الشرع ظاهراً ولكنه لما كان فيه مصلحة لصاحبها في باطن الشرع جوز ذلك ليعلم أنه يجوز للمجتهد أن يحكم فيما يرى أن صلاحه أكثر من فساده في باطن الشرع بما لا يجوز في ظاهر الشرع إذا كان موافقاً للحقيقة كما قال: ﴿وكان وراءهم﴾ الآية.

ومنها: أن يعلم عناية الله في حق عباده المساكين الذين يعملون في البحر غافلين عما وراءهم من الآفات كيف أدركتهم العناية بنبي من أنبيائه وكيف دفع عنهم البلاء ودرأ عنهم الآفة.

ومنها: أن يعلم أن الله تعالى في بعض الأوقات يرجح مصلحة بعض السالكين على مصلحة نبي من أنبيائه في الظاهر وإن كان لا يخلو في باطن الأمر من مصلحة النبي في إهمال جانبه في الظاهر كما أن الله تعالى رجح رعاية مصلحة المساكين في خرق السفينة على رعاية مصلحة موسى لأنه كان من أسباب مفارقته عن صحبة الخضر ومصلحته ظاهراً كانت في ملازمة صحبة الخضر وقد كان فراقه عن صحبته متضمناً لمصالح النبوة والرسالة ودعوة بني إسرائيل وتربيتهم في حق موسى باطناً انتهى. يقول الفقير: ومنها أن أهل السفينة لما لم يأخذوا النول من موسى والخضر عوضهم الله تعالى خيراً من ذلك حيث نجى سفينتهم من اليد العادية وفيه فضيلة الفضل.

﴿وأما الغلام﴾ الذي قتلته وهو جيسور ﴿فكان أبواه﴾ اسم أبيه كازبرا واسم أمه سهوى كما في التعريف ﴿مؤمنين﴾ مقرين بتوحيد الله تعالى ﴿فخشينا﴾ خفنا من ﴿أن يرهقهما﴾ رهقه

غشيه ولحقه وأرهقه طغياناً أغشاه إياه وألحق ذلك به كما في «القاموس». قال الشيخ أي: يكلفهما ﴿طغيانا﴾ ضلالة ﴿وكفرا﴾ ويتبعان له لمحبتهما إياه فيكفران بعد الإيمان ويضلان بعد الهداية وإنما خشي الخضر من ذلك لأن الله أعلمه بحال الولد أنه طبع أي: خلق كافراً.

﴿فأردنا﴾ [پس خواستيم ما] ﴿أن يبدلهما ربهما﴾ يعوضهما ويرزقهما ولداً ﴿خيرا منه زكاة﴾ طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة ﴿وأقرب﴾ منه ﴿رحما﴾ رحمة وبراً بوالديه. قال ابن عباس رضي الله عنهما أبدلهما الله جارية تزوجها نبي من الأنبياء فولدت سبعين نبياً. قال مطرف فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض المرء بقضاء الله فإن قضاء الله للمؤمن خير له من قضائه فيما يحب:

آن پسررا كش خضر ببريد حلق سر آنرا در نيابد عام خلق
آنكه جان بخشد اكر بكشدرواست نائب است ودست او دست خداست
بس عداوتها كه آن يارى بود بس خرابيها كه معمارى بود

فرب عداوة هي في الحقيقة محبة ورب عدو هو في الباطن محب وكذا عكسه وانتفاع الإنسان بعدو مشاجر يذكر عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يخفي عليه عيوبه، وفي المثنوي:

در حقيقت دوستانت دشمنند كه زحضرت دور ومشغولت كنند
در حقيقت هر عدو داروى تست كيميا ونافع ودلجوى تست
كه ازو اندر كريزى در خلا استعانت جويى از لطف خدا

ـ وكان ـ واعظ كلما وعظ ودعا أشرك في دعائه قطاع الطريق ودعا لهم فسئل عن ذلك فقال: إنهم كانوا سبباً لسلوكي هذا الطريق أي: طريق الفقراء واختياري الفقر على الغنى فإني كنت تاجراً فأخذوني وآذوني وكلما خطر ببالي أمر التجارة ذكرت أذاهم وجفاهم فتركت التجارة وأقبلت على العبادة.

وفي الآية إشارات:

منها أن قتل النفس الزكية بلا جرم منها محظور في ظاهر الشرع وإن كان فيه مصلحة لغيره ولكنه في باطن الشرع جائز عند من يكاشف بخواتيم الأمور ويتحقق له أن حياته سبب فساد دين غيره وسبب كمال شقاوة نفسه كما كان حال الخضر مع قتل الغلام لقوله تعالى: ﴿وأما الغلام﴾ الآية فلو عاش الغلام لكان حياته سبب فساد دين أبويه وسبب كمال شقاوته فإنه وإن طبع كافراً شقياً لم يكن يبلغ كمال شقاوته إلا بطول الحياة ومباشرة أعمال الكفر.

ومنها تحقيق قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦] الآية فإن أبوي الغلام كانا يكرهان قتل ابنهما بغير قتل نفس ولا جرم وكان قتله خيراً لهما وكانا يحبان حياة ابنهما وهو أجمل الناس وكان حياته شراً لهما وكان الغلام أيضاً يكره قتل نفسه وهو خير له ويحب حياة نفسه وهو شر له لأنه بطول حياته يبلغ إلى كمال شقاوته.

ومنها: أن من عواطف إحسان الله تعالى أنه إذا أخذ من العبد المؤمن شيئاً من محبوباته وهو مضر له والعبد غافل عن مضرته فإن صبر وشكر فالله تعالى يبدله خيراً منه مما ينفعه ولا يضره كما قال تعالى ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما﴾ الآية كما في «التأويلات النجمية»: نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الصابرين الشاكرين في الشريعة والطريقة ويوصلنا إلى ما هو خير وكمال في الحقيقة.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

﴿وأما الجدار﴾ المعهود ﴿فكان لغلامين يتيمين﴾ اسمهما اصرم وصريم ابنا كاشح وكان سياحاً تقياً واسم أمهما دنيا فيما ذكره النقاش ﴿في المدينة﴾ في القرية المذكورة فيما سبق وهي أنطاكية ﴿وكان تحته﴾ أي: تحت الجدار ﴿كنز لهما﴾ [كنجى براى ايشان] هو في الأصل مال دفنه إنسان في أرض وكنزه يكنزه أي: دفنه أي مال مدفون لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعاً وهو الظاهر لإطلاق الذم على كنزهما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] لمن لا يؤدي زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق. وقيل كان لوحاً من ذهب أو من رخام مكتوب فيه «بسم الله الرحمٰن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر» أي: أن الأمور كائنة بقضاء الله تعالى وتقديره «كيف يحزن»؟ أي: على فوات نعمة وإتيان شدة «وعجبت لمن يؤمن بالرزق» أي: أن الرزق مقسوم والله تعالى رازق كل أحد «كيف ينصب»؟ أي: يتعب في تحصيله «وعجبت لمن يؤمن بالموت» أي: أنه سيموت وهو حق «كيف يفرح»؟ أي: بحياته القليلة القصيرة «وعجبت لمن يؤمن بالحساب» أي: أن الله تعالى يحاسب على كل قليل وكثير «كيف يغفل»؟ أي: عن ذلك ويشغل بتكثير متاع الدنيا «وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وعجبت لمن يؤمن بالنار كيف يضحك» وفي الجانب الآخر مكتوب «أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه» وهو قول الجمهور كما في «بحر العلوم». ﴿وكان أبوهما صالحا﴾ كان الناس يضعون الودائع عند ذلك الصالح فيردها إليهم سالمة فحفظاً بصلاح أبيهما في مالهما وأنفسهما. قال جعفر بن محمد: كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء فيكون الذي دفن ذلك الكنز جدهما السابع ﴿فأراد ربك﴾ بالأمر بتسوية الجدار ﴿أن يبلغا أشدهما﴾ أي: حلمهما وكمال رأيهما. قال في «بحر العلوم»: الأشد في معنى القوة جمع شدة كأنعم في نعمة على تقدير حذف الهاء وقيل لا واحد له وبلوغ الأشد بالإدراك وقيل إن يونس منه الرشد مع أن يكون بالغاً وآخره ثلاث وثلاثون سنة أو ثماني عشرة وإنما قال الخضر في تأويل خرق السفينة ﴿فأردت أن أعيبها﴾ بالإسناد إلى نفسه لظاهر القبح وفي تأويل قتل الغلام ﴿خشينا﴾ بلفظ الخشية والإسناد إلى نا لأن الكفر مما يجب أن يخشاه كل أحد وقال في تأويل الجدار ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ بالإسناد إلى الله تعالى وحده لأن بلوغ الأشد وتكامل السن ليس إلا بمحض إرادة الله تعالى من غير مدخل وأثر لإرادة العبد فالأول في نفسه شر قبيح والثالث خير محض والثاني ممتزج. وقال بعضهم لما قال الخضر ﴿فأردت﴾ ألهم من أنت حتى يكون لك إرادة فجمع في الثانية حيث قال: ﴿فأردنا﴾ فالهم من أنت وموسى حتى يكون لكما إرادة فخص في الثالثة الإرادة بالله أي: دون إضافة الإرادة إلى نفسه وادعاء الشركة فيهما أيضاً ﴿ويستخرجا كنزهما﴾ من تحت الجدار ولولا أني أقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية. فإن قيل إن عرف واحد من اليتيمين والقيم عليهما الكنز امتنع أن يترك

سقوط الجدار وإن لم يعرفوا فكيف يسهل عليهم استخراجه. قلنا لعلهما لم يعلماه وعلم القيم إلا أنه كان غائباً كذا في «تفسير الإمام». يقول الفقير قوله وإن لم يعرفوا الخ غير مسلم لأن الله تعالى قادر على أن يعرفهما مكان ذلك الكنز بطريق من الطرق ويسهل عليهما استخراجه على أن واجد الكنز في كل زمان من غير سبق معرفة بالمكان ليس بنادر واللام في كنز لهما لاختصاص الوجدان بهما ومن البعيد أن يعيش الجد السابع إلى أن يولد للبطن السادس من أولاده ويدفن له مالاً أو يعين له ﴿رحمة من ربك﴾ لهما مصدر في موقع الحال أي: مرحومين من قبله تعالى أو علة لأراد فإن إرادة الخير رحمة أو مصدر لمحذوف أي: رحمهما الله بذلك رحمة ﴿وما فعلته﴾ أي: ما فعلت ما رأيته يا موسى من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ﴿عن أمري﴾ عن رأيي واجتهادي وإنما فعلته بأمر الله ووحيه وهذا إيضاح لما أشكل على موسى وتمهيد للعذر في فعله المنكر ظاهراً وهكذا الطريق بين المرشد والمسترشد في إزالة الشكوك والشبه عنه شفقة له ﴿ذلك﴾ المذكور من العواقب ﴿تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾ أي: لم تستطع فحذف التاء للتخفيف وهو إنجاز للتنبئة الموعودة.

ـ روي ـ أن موسى لما أراد أن يفارقه قال له الخضر: لو صبرت لأتيت على ألف عجب كل عجب أعجب مما رأيت فبكى موسى على فراقه وقال له: أوصني يا نبي الله، قال: لا تطلب العلم لتحدث به الناس واطلبه لتعمل به وذلك لأن من لم يعمل بعلمه فلا فائدة في تحديثه بل نفعه يعود إلى غيره، وفي المثنوي:

جوع يوسف بود آن يعقوب را ... بوى نانش مى رسيد ازدورجا
آنكه بستد پيرهن رامى شتافت ... بوى پيراهان يوسف مى نيافت
وانكه صدفرسنك زآن سوبوى او ... چونكه بد يعقوب مى بوييد بو
اي بسا عالم زدانش بى نصيب ... حافظ علمست آنكست نى حبيب
مستمع ازوى همى بايد مشام ... كرچه باشد مستمع ازجنس عام
زانكه پيراهان بدستش عاريه است ... چون بدست آن نخاسى جاريه است
جاريه پيش نخاسى سرسريست ... در كف او ازبراى مشتريست

ومن وصايا الخضر: كن نَفَّاعاً ولا تكن ضراراً، وكن بشاشاً ولا تكن عبوساً غضاباً، وإياك واللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعير المذنبين خطاياهم بعد الندم، وابكِ على خطيئتك ما دمت حياً، ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد، واجعل همك في معادك، ولا تخض فيما لا يعنيك، ولا تأمن لخوف من أمنك، ولا تيأس من الأمن من خوفك، وتدبر الأمور في علانيتك، ولا تذر الإحسان في قدرتك. فقال له موسى: قد أبلغت في الوصية فأتم الله عليك نعمته وغمرك في رحمته وكلأك من عدوه، فقال له الخضر: أوصني أنت يا موسى فقال له موسى: إياك والغضب إلا في الله، ولا تحب الدنيا فإنها تخرجك من الإيمان وتدخلك في الكفر فقال له الخضر: قد أبلغت في الوصية فأعانك الله على طاعته وأراك السرور في أمرك وحببك إلى خلقه وأوسع عليك من فضله قال له: آمين كما في «التعريف والإعلام» للإمام السهيلي رحمه الله. وفي بعث موسى إلى الخضر إشارة إلى أن الكمال في الانتقال من علوم الشريعة المبنية على الظواهر إلى علوم الباطن المبنية على التطلع إلى حقائق الأمور كما في «تفسير الإمام». قال بعض العارفين: من لم يكن له نصيب من هذا

العلم أي: العلم الوهبي الكشفي أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى النصيب التصديق به وتسليمه لأهله وأقل عقوبة من ينكره أن لا يرزق منه شيئاً وهو علم الصديقين والمقربين كذا في «إحياء العلوم».

وفي الآية إشارات:

منها: أنه تعالى من كمال حكمته وغاية رأفته ورحمته في حق عباده يستعمل نبيين مثل موسى والخضر عليهما السلام في مصلحة الطفلين.

ومنها: أن مثل الأنبياء يجوز أن يسعى في أمر دنيوي إذا كان فيه صلاح أمر أخروي لا سيما فائدة راجعة إلى غيره في الله.

ومنها: أن يعلم أن الله تعالى يحفظ بصالح قوماً وقبيلة ويوصل بركاته إلى البطن السابع منه كما قال: ﴿**وكان أبوهما صالحا**﴾. قال محمد بن المنكدر إن الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وعشيرته والدويرات أي: أهلها حوله فلا يزالون في حفظ الله وستره. وقال سعيد بن المسيب إني أصلي وأذكر ولدي فأزيد في صلاتي. وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿**وكان أبوهما صالحا**﴾ أنه قال: حفظا بصلاح أبيهما وما ذكر منهما صلاحاً فإذا نفع الأب الصالح مع أنه السابع كما قيل في الآية فما بالك بسيد الأنبياء والمرسلين بالنسبة إلى قرابته الطاهرة الطيبة المطهرة. وقد قيل: إن حمام الحرم إنما أكرم لأنه من ذرية حمامتين عششتا على غار ثور الذي اختفى فيه النبي عليه السلام عند خروجه من مكة للهجرة كما في «الصواعق» لابن حجر. وذكر أن بعض العلوية هم هارون الرشيد بقتله فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل: بمَ دعوت حتى أنجاك الله منه؟ فقال: قلت: يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظني لصلاح آبائي كما في «العرائس».

ومنها: ليتأدب المريد فيما استعمله الشيخ وينقاد له ولا يعمل إلا لوجه الله ولا يشوب عمله بطمع دنيوي وغرض نفساني ليحبط عمله ويقطع حبل الصحبة ويوجب الفرقة.

ومنها: أن الله تعالى يحفظ المال الصالح للعبد الصالح إذا كان فيه صلاح.

ومنها: ليتحقق أن كل ما يجري على أرباب النبوة وأصحاب الولاية إنما يكون بأمر من أوامر الله ظاهراً وباطناً. أما الظاهر فكحال الخضر كما قال: ﴿**وما فعلته عن أمري**﴾ أي: فعلته بأمر ربي. وأما الباطن فكحال موسى واعتراضه على الخضر في معاملته ما كان خالياً عن أمر باطن من الله تعالى في ذلك لأنه كان اعتراضه على وفق شريعته.

ومنها: أن الصبر على أفاعيل المشايخ أمر شديد فإن زل قدم مريد صادق في أمر من أوامر الشيخ أو تطرق إليه إنكار على بعض أفعال المشايخ أو اعتراه اعتراض على بعض معاملاته أو أعوزه الصبر على ذلك فليعذره ويعف عنه ويتجاوز إلى ثلاث مرات فإن قال بعد الثالثة هذا فراق بيني وبينك يكون معذوراً ومشكوراً ثم ينبئه عن أفاعيله ويقول له ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً. قال في «العوارف» ويحذر المريد الاعتراض على الشيخ ويزيل اتهام الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه فإنه السم القاتل للمريدين وقل أن يكون مريد يعترض على الشيخ بباطنه فيفلح ويذكر المريد في كل ما أشكل عليه من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر كيف كان يصدر من الخضر تصاريف ينكرها موسى ثم لما كشف له عن معناها بأن لموسى وجه الصواب في ذلك فهكذا ينبغي للمريد أن يعلم أن كل تصرف أشكل عليه صحته

من الشيخ عند الشيخ فيه بيان وبرهان للصحة انتهى، قال الحافظ:

نصيحتي كنمت بشنو وبهانه مكير هر آنكه ناصح مشفق بكويدت بپذير

وينبغي أن يكون المرشد محققاً ومشفقاً لا مقلداً غير مشفق كيلا يضيع سعي من اقتدى به فإنه قيل:

إذا كان الغراب دليل قوم سيهديهم إلى أرض الجياف

قال الحافظ:

دردم نهفته به زطبيبان مدعى باشد كه ازخزانه غيبش دواكنند

قال الصائب:

ربي دردان علاج درد خودجستن بآن ماند كه خاراز پابرون آرد كسى بانيش عقربها

ومنها: أنه إذا تعارض ضرران يجب تحمل أهونهما لدفع أعظمهما وهو أصل ممهد غير أن الشرائع في تفاصيله مختلفة مثاله. رجل عليه جرح لو سجد سال جرحه وإن لم يسجد لم يسل فإنه يصلي قاعداً يومي بالركوع والسجود لأن ترك الركوع والسجود أهون من الصلاة مع الحدث. وشيخ لا يقدر على القراءة إن صلى قائماً ويقدر عليها إن صلى قاعداً يصلي قاعداً مع القراءة ولو صلى في الفصلين قائماً مع الحدث وترك القراءة لم يجز. ورجل لو خرج إلى الجماعة لا يقدر على القيام ولو صلى في بيته صلى قاعداً صححه في «الخلاصة» وفي «شرح المنية» يصلي في بيته قائماً قال ابن نجيم وهو الأظهر ومن اضطر وعنده ميتة ومال الغير أكلها دونه. ورجل قيل له لتلقين نفسك في النار أو من الجبل أو لأقتلنك وكان الإلقاء بحيث لا ينجو يختار ما هو الأهون في زعمه عند الإمام وعندهما يصبر حتى يقتل كذا في «الأشباه».

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾

﴿**ويسألونك عن ذي القرنين**﴾ هم اليهود سألوه على وجه الامتحان عن رجل طواف بلغ شرق الأرض وغربها أو سأل قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك إلى ورود الجواب وهو ذو القرنين الأكبر واسمه اسكندر بن فيلقوس اليوناني ملك الدنيا بأسرها كما قال مجاهد ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان وذو القرنين والكافران نمرود وبخت نصر وفي «مشكاة الأنوار» شداد بن عاد بدل بخت نصر وكان ذو القرنين بعد نمرود في عهد إبراهيم عليه السلام على ما يأتي ولكنه عاش طويلاً ألفاً وستمائة سنة على ما قالوا. وفي «تفسير الشيخ» وكان بعد ثمود وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير. قال ابن كثير والصحيح أنه ما كان نبياً ولا ملكاً وإنما كان ملكاً صالحاً عادلاً ملك الأقاليم وقهر أهلها من الملوك وغيرهم وانقادت له البلاد مات بمدينة شهرزور بعدما خرج من الظلمة ودفن فيها وفي «التبيان» مدة دوران ذي القرنين في الدنيا خمسمائة ولما فرغ من بناء السد رجع إلى بيت المقدس ومات به وإنما سمي بذي القرنين لأنه بلغ قرني الشمس أي: جانبيها مشرقها ومغربها كما لقب أردشير واضع النرد بطويل اليدين لنفوذ أمره حيث أراد. وفي «القاموس»: لما دعاهم إلى الله ضربوه على قرنه الأيمن فمات فأحياه الله ثم دعاهم فضربوه على قرنه الأيسر فمات ثم أحياه الله كما سمي علي بن أبي

طالب رضي الله عنه بذي القرنين لما كان شجتان في قرني رأسه إحداهما من عمرو بن ود والثانية من ابن ملجم لعنه الله. وفي «قصص الأنبياء» وكان قد رأى في منامه أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقها وغربها فلما قص رؤياه على قومه سموه به. وقال الإمام السيوطي رحمه الله في «الأوائل» أول من لبس العمامة ذو القرنين وذلك أنه طلع له في رأسه قرنان كالظلفين يتحركان فلبسها من أجل ذلك ثم إنه دخل الحمام ومعه كاتبه فوضع العمامة وقال لكاتبه هذا أمر لم يطلع عليه غيرك فإن سمعت به من أحد قتلتك فخرج الكاتب من الحمام فأخذه كهيئة الموت فأتى الصحراء فوضع فمه بالأرض ثم نادى ألا إن للملك قرنين فأنبت الله من كلمته قصبتين فمر بهما راع فقطعهما واتخذهما مزماراً فكان إذا زمر خرج من القصبتين ألا إن للملك قرنين فانتشر ذلك في المدينة فقال ذو القرنين هذا أمر أراد الله أن يبديه. وأما ذو القرنين الثاني وهو اسكندر الرومي الذي يؤرخ بأيامه الروم فكان متأخراً عن الأول بدهر طويل أكثر من ألفي سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلاثمائة سنة وكان وزيره أرسطا طاليس الفيلسوف وهو الذي حارب دارا وأذل ملوك الفرس ووطىء أرضهم وكان كافراً عاش ستاً وثلاثين سنة فالمراد بذي القرنين في القرآن هو الأول دون الثاني وقد غلط كثير من العلماء في الفرق بينهما فظنوا أن المذكور في الآية هو الرومي سامحهم الله تعالى ﴿**قل**﴾ لهم في الجواب: ﴿**سأتلو عليكم**﴾ سأذكر لكم أيها السائلون ﴿**منه**﴾ أي: من خبر ذو القرنين وحاله فحذف المضاف ﴿**ذكرا**﴾ نبأ مذكوراً وبياناً أو سأتلو في شأنه من جهته تعالى ذكراً أي: قرآناً والسين للتأكيد والدلالة على التحقق أي: لا أترك التلاوة ألبتة.

﴿**إنا مكنا له في الأرض**﴾ شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين هٰهنا الإقدار وتمهيد الأسباب فلا يحتاج إلى المفعول يقال مكنه ومكن له ومعنى الأول جعله قادراً قوياً ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما في الوجود وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله: ﴿مَكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ [الأنعام: ٦] أي: جعلناهم قادرين من حيث القوى والأسباب والآلات على أنواع التصرفات فيها ما لم نجعله لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والأسباب فكأنه قيل ما لم نمكن لكم فيها أي: ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها أو مكنا لهم في الأرض ما لم نمكن لكم وهذا إذا كان التمكين مأخوذاً من المكان بناء على توهم أن ميمه أصلية أو المعنى إنا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف من حيث التدبير والرأي والأسباب حيث سخر له السحاب ومد له في الأسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الأرض وذللت له طرقها. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كان إبراهيم عليه السلام بمكة فأقبل عليها ذو القرنين فلما كان بالأبطح قيل له في هذه البلدة إبراهيم خليل الرحمٰن فقال ذو القرنين ما ينبغي لي أن أركب في بلدة فيها إبراهيم خليل الرحمٰن فنزل ذو القرنين ومشى إلى إبراهيم فسلم عليه إبراهيم واعتنقه فكان هو أول من عانق عند السلام كما في «إنسان العيون ودرر الغرر» فعند ذلك سخر له السحاب لأن من تواضع رفعه الله فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم إذا أرادوا غزوة قوم وسخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه.

چون نهد در تو صفات جبرئيل   همچو فرخى برهوا جويى سبيل

چون نهند در تو صفتهاى خرى صد پرت كرهست در آخور پرى
چونكه چشم دل شده محرم بنور ظلمت كون ومكان شد ازتو دور
هركه نا بينا شود اندر جهان روز او باشب برابر بى كمان

﴿وآتيناه من كل شيء﴾ أراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه ﴿سببا﴾ أي: طريقاً يوصل إليه وهو كل ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة. وبالفارسية [دست آويزى كه بدان سبب اورا آن چيز ميسر ميشد].

﴿فأتبع﴾ بالقطع أي: فأراد بلوغ المغرب فأتبع ﴿سببا﴾ يوصله إليه أي: لحقه وتبعه وسلكه وسار. قال في «القاموس»: واتبعتهم تبعتهم وذلك إذا كانوا سبقوك فلحقتهم واتبعتهم أيضاً غيري وقوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ [يونس: ٩٠] أي: لحقهم ففي الاتباع معنى الإدراك والإسراع. قال ابن الكمال: يقال تبعه اتباعاً إذا طلب الثاني اللحوق بالأول وتبعه تبعاً إذا مر به ومضى معه. قال في «الإرشاد»: ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية انتهى. وقال في «التبيان»: قصد إلى ناحية المغرب يطلب عين الحياة عند بحر الظلمات لأنه قيل له ثمة عين الحياة من شرب منها لم يمت أبداً إلى يوم القيامة فمشى نحو الظلمات لعله يقع بالعين.

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله: ﴿ويسألونك﴾ الآية إلى أن السائل لا يرد وأن في القصص للقلوب عبرة وتقوية وتثبتاً وبقوله: ﴿إنا مكنا له في الأرض﴾ يشير إلى تمكن الخلافة أي: مكناه بخلافتنا في الأرض وآتيناه بالخلافة ما كان سبب وجود كل مقدور من مقدوراتنا بالأصالة حتى صار قادراً على قلب الأعيان وكانت الدنيا مسخرة له فلو أراد طويت له الأرض وإذا شاء مشى على الماء وإذا أحب طار في الهواء ويدخل النار فأتبع سبباً كل مقدور فصار مقدوراً له بالخلافة في الأرض ما كان مقدوراً لنا بالأصالة في السماء والأرض انتهى. يقول الفقير: إنما بدأ بالسير إلى المغرب إشارة إلى كون ترتيب السلوك عروجاً فإن المغرب إشارة إلى الأجسام والمشرق إلى الأرواح فما دام لم يتم سير الأجسام من الأكوان لا يحصل الترقي إلى عالم الأرواح ثم إلى عالم الحقيقة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾

﴿حتى إذا بلغ﴾ [تا چون رسيد] ﴿مغرب الشمس﴾ إلى منتهى الأرض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن أحد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط. قال الشيخ: أي بلغ قوماً في جهة ليس وراءهم أحد لأنه لا يمكنه أن يبلغ موضع غروب الشمس. قال في «التبيان» ولما وصل ذو القرنين إلى مغرب الشمس يطلب عين الحياة قال له شيخ: هي خلف أرض الظلمة ولما أراد أن يسلك في الظلمة سأل أي: الدواب في الليل أبصر قالوا الخيل فقال: أي: الخيل أبصر قالوا الإناث فقال أي: الإناث: أبصر قالوا البكارة فجمع من عسكره ستة آلاف فرس كذلك فركبوا الرماك وترك بقية عسكره فدخلوا الظلمات فساروا يوماً وليلة فأصاب الخضر العين لأنه كان على مقدمة جيشه صاحب لوائه الأكبر فشرب منها واغتسل وأخطأ ذو القرنين، قال الحافظ:

فيض ازل بزور زر ار آمدى بدست آب خضر نصيبه اسكندر آمدى

فساروا على حصحاص من حجارة لا يدرون ما هي فسألوه عنها فقال الإسكندر: خذوا من هذه الحجارة ما استطعتم فإنه من أقل منها ندم ومن أكثر منها ندم فأخذوا وملأوا مخالي دوابهم من تلك الحجارة فلما خرجوا نظروا إلى ما في مخالبهم فوجدوه زمرداً أخضر فندموا كلهم لكونهم لم يكثروا من ذلك **﴿وجدها﴾** أي: رأى الشمس **﴿تغرب في عين حمئة﴾** أي: ذات حمأة وهي الطين الأسود، بالفارسية: [آب مكدر لاى آميز] من حمئت البئر إذا كثرت حمأتها ولعله لما بلغ ساحل البحر رآها كذلك إذ ليس في مطمح نظره غير الماء كراكب البحر ولذلك قال: **﴿وجدها تغرب﴾** ولم يقل كانت تغرب. وقال بعضهم: لما بلغ موضعاً لم يبق بعده عمارة في جانب المغرب وجد الشمس كأنها تغرب في وهدة مظلمة كما أن راكب البحر يراها كأنها تغرب في البحر إذا لم ير الشط وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر وإلا فقد علم أن الأرض كرة والسماء محيطة بها والشمس في الفلك وجلوس قوم في قرب الشمس غير موجود والشمس أكثر من الأرض بمرات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض. قال السمرقندي رحمه الله في «بحر العلوم»: فإن قيل قد ورد في الحديث أن الشمس تشرق من السماء الرابعة ظهرها إلى الدنيا ووجهها يشرق لأهل السموات وعظمها مثل الدنيا ثلاثمائة مرة أو ما شاء الله فكيف يمكن دخولها في عين من عيون الأرض قلنا إن قدرة الله تعالى باهرة وحكمته بالغة فالله تعالى قادر أن يدخل السموات السبع والأرضين السبع في أصغر شيء وأحقره فما ظنك بما فيها من الشمس وغيرها انتهى.

وفي «التأويلات»: فإن قال قائل: إنا قد علمنا أن الشمس في السماء الرابعة ولها فلك خاص يدور بها في السماء فكيف يكون غروبها في عين حمئة قلنا: إن الله تعالى لم يخبر عن حقيقة غروبها في عين حمئة وإنما أخبر عن وجدان ذي القرنين غروبها فيها فقال: **﴿وجدها تغرب في عين حمئة﴾** وذلك أن ذا القرنين ركب بحر الغرب وأجرى مركبه إلى أن بلغ في البحر موضعاً لم يتمكن جريان المراكب فيه فنظر إلى الشمس عند غروبها وجدها تغرب بنظره في عين حمئة انتهى. قال بعضهم: إذا كان ذو القرنين نبياً فنظر النبي ثاقب يرى الأشياء على ما هي عليها كما رأى النبي عليه السلام النجاشي من المدينة وصلى عليه وإن لم يكن نبياً فذلك الوجدان بحسب حسبانه **﴿ووجد عندها﴾** عند تلك العين يعني عند نهاية العمارة. وبالفارسية: [يافت نزديك آن چشمه بر ساحل درياى محيط غربى] **﴿قوما﴾** [كروهى را در ناسك مذكوراست كه ايشان قومي بودند بت پرست سبز چشم سرخ موى لباس ايشان پوست حيوانات وطعام ايشان كوشت حيوان آبى] قال بعضهم قوماً في مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوب الشمس حين تجب. وقال الإمام السهيلي: هم أهل جابلص بالفتح وهي مدينة يقال لها بالسريانية جرجيسا لها عشرة آلاف باب بين كل بابين فرسخ يسكنها قوم من نسل ثمود بقيتهم الذين آمنوا بصالح عليه السلام وأهل جابلص آمنوا بالنبي عليه السلام لما مر بهم ليلة الإسراء. وقال في أسئلة الحكم: أما حديث جابلصا وجابلقا وايمان أهاليهما ليلة المعراج وأنهما من الإنسان الأول فمشهور **﴿قلنا﴾** بطريق الإلهام ويدل على نبوته كونه مأموراً بالقتال معهم كما قال عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» كما في «التأويلات» قال الحدادي: لا يمكن إثبات نبوة إلا بدليل قطعي. **﴿يا ذا القرنين**

إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا﴾ أمراً ذا حسن فحذف المضاف أي أنت مخير في أمرهم بعد الدعوة إلى الإسلام إما تعذيبك بالقتل إن أبوا وإما إحسانك بالعفو أو الأسر وسماهما إحساناً في مقابلة القتل ويجوز أن يكون إما وإما للتوزيع والتقسيم دون التخبير أي: ليكن شأنك معهم إما التعذيب وإما الإحسان فالأول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾

﴿قال﴾ ذو القرنين ﴿أما من﴾ [اما كسى كه] ﴿ظلم﴾ نفسه بالإصرار على الكفر ولم يقبل الإيمان مني ﴿فسوف نعذبه﴾ أنا ومن معي في الدنيا بالقتل. وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور ومن آمن أعطاه وكساه ﴿ثم يرد إلى ربه﴾ في الآخرة ﴿فيعذبه﴾ فيها ﴿عذابا نكرا﴾ منكراً لم يعهد مثله وهو عذاب النار.

﴿وأما من آمن﴾ بموجب دعوتي ﴿وعمل﴾ عملاً ﴿صالحا﴾ حسبما يقتضيه الإيمان ﴿فله﴾ في الدارين ﴿جزاء الحسنى﴾ أي: فله المثوبة الحسنى حال كونه مجزياً بها فجزاء حال أو فله في الدار الآخرة الجنة ﴿وسنقول له من أمرنا﴾ أي: مما نأمر به ﴿يسرا﴾ أي: سهلاً متيسراً غير شاق. وبالفارسية [كارى آسان فراخور طاقت او] وتقديره ذا يسر وأطلق عليه المصدر مبالغة يعني لا نأمره بما يصعب عليه بل بما يسهل. قال الكاشفي: [آورده اندكه لشكر ظلمت مرا برقوم ناسك كاشت تابكوش ودهن در آمد وزنهار خواستند وبوى ايمان آوردند]. قال في «قصص الأنبياء» سار ذو القرنين نحو المغرب فلا يمر بأمة إلا دعاها إلى الله تعالى فإن أجابوه قبل منهم وإن لم يجيبوه غشيتهم الظلمة فألبست مدينتهم وقراهم وحصونهم وبيوتهم وأبصارهم ودخلت أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم فلا يزالون منها متحيرين حتى يستجيبوا له حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجد عندها القوم الذين ذكرهم الله في كتابه ففعل بهم كما فعل بغيرهم ثم مشى على ما في الظلمة ثمانية أيام كملاً وثماني ليال وأصحابه ينتظرون حتى انتهى إلى الجبل الذي هو محيط بالأرض كلها وإذا بملك قابض على الجبل وهو يقول: سبحان ربي من الأزل إلى منتهى الدهر وسبحان ربي من أول الدنيا إلى آخرها وسبحان ربي من موضع كفي إلى عرش ربي وسبحان ربي من منتهى الظلمة إلى النور بصوت رفيع شديد لا يفتر فلما رأى ذلك ذو القرنين خر ساجداً لله فلم يرفع رأسه حتى قواه الله وأعانه على النظر إلى ذلك الجبل والملك القابض عليه فقال له الملك: كيف قويت على أن تبلغ هذا الموضع ولم يبلغه أحد من ولد آدم قبلك قال: قواني الله الذي قواك على قبض هذا الجبل فأخبرني عن قبضك على هذا الجبل فقال: إني موكل به وهو جبل قاف المحيط بالأرض ولولا هذا الجبل انكفأت الأرض بأهلها وليس على ظهر الأرض جبل أعظم منه فلما أراد ذو القرنين الرجوع قال للملك: أوصني قال الملك: يا ذا القرنين لا يهمنك رزق غد، ولا تؤخر عمل اليوم لغد، ولا تحزن على ما فاتك وعليه بالرفق ولا تكن جباراً متكبراً.

تكبر كند مرد حشمت پرست ... نداندكه حشمت بحلم اندرست
وجود تو شهريست پرنيك وبد ... تو سلطان ودستور دانا خرد
همانا كه دونان كردن فراز ... درين شهر كبرست وسود اوآز

چو سلطان عنايت كند بابدان كجا ماند آسايش بخردان
تو خودراچو كودك ادب كن بچوب بكرز كران مغز مردم مكوب

﴿ثم أتبع سببا﴾ أي: تبع وسلك طريقاً راجعاً من مغرب الشمس موصلاً إلى مشرقها. قال الكاشفي: [قوم تماسك را باخودبرده لشكر نوررا زپيش روان كرد وعسكر ظلمت را ازپس بداشت وبجانب جنوب متوجه شده قوم هاويل راكه قطر ايمن بود مسخر كرد بهمان طريق كه درناسك مذكور شد پس روى بمشرق نهاد].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾

﴿حتى إذا بلغ﴾ [تاچون رسيد] ﴿مطلع الشمس﴾ يعني الموضع الذي تطلع عليه الشمس أولاً من معمورة الأرض. وبالفارسية: [موضعي كه مبدأ عماراتست از جانب شرق] إذ لا يمكنه أن يبلغ موضع طلوع الشمس قيل بلغه في اثنتي عشرة سنة وقيل في أقل من ذلك بناء على ما ذكر من أنه سخر له السحاب وطوى له الأسباب ﴿وجدها تطلع على قوم﴾ عراة ﴿لم نجعل لهم من دونها﴾ من أمام الشمس ﴿سترا﴾ من اللباس والبناء يعني ليس لهم لباس يتسترون به من حر الشمس ولا بناء يستظلون فيه لأن أرضهم لا تمسك الأبنية لغاية رخاوتها وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوا الأسراب أو البحر من شدة الحر وإذا ارتفعت عنهم خرجوا يعني: [وقتى كه آفتاب ارتفاع پذير فتى وازسمت رأس ايشان دور كشتى اززير زمين بيرون آمده ماهى كرفتندى وبا آفتاب بريان كرده خوردندى]. قال الحدادي: ليس على رؤوسهم ولا على أجسادهم شعر وليس لهم حواجب وكأنما سلخت وجوههم وذلك من شدة حر بلادهم.

ـ وحكي ـ عن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا: بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلتحف بالأخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له: جئنا ننظر كيف تطلع الشمس قال: فبينما نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي عليّ ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذ هو فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سرباً لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم. عن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض وهم الزنج. وقال الكاشفي: [ايشان قوم منسل بودند]. وقال السهيلي ـ رحمه الله ـ: هم أهل جابلق بالفتح وهي مدينة لها عشرة آلاف باب بين كل بابين فرسخ يقال لها بالسريانية مرقيشاً وهم نسل مؤمني قوم عاد الذين آمنوا بهود عليه السلام وأهل جابلق آمنوا بالنبي عليه السلام ليلة أسري به ووراء جابلق أمم وهم من نسل وثاقيل وفارس وهم لم يؤمنوا بالنبي عليه السلام.

قال في «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى أن هذا العالم عالم الأسباب لم يبلغ أحد إلى شيء من الأشياء ولا إلى مقصد من المقاصد إلا أن مكنه الله تعالى وآتاه سبب بلاغ ذلك الشيء والمقصد ووفقه لاتباع ذلك السبب فباتباع السبب بلغ ذو القرنين مغرب الشمس ومطلعها.

﴿كذلك﴾ أي: أمر ذي القرنين كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة الملك أو أمره فيهم كأمره في أهل الغرب من التخيير والاختيار. قال الكاشفي: [همچنان كرد اسكندر باايشان كه بااهل مغرب كرد وبجانب قطر ايسر روان شد وبقومى رسيدكه ايشان راتأويل خوانند وبايشان همان سلوك نمود] ﴿وقد أحطنا بما لديه﴾ من الأسباب والعدد. وبالفارسية [وبدرستى كه ما أحاطه داشتيم بآنچه نزديك او بود] ﴿خبرا﴾ تمييز أي: علماً تعلق بظواهره وخفاياه. وبالفارسية [ازروى آكاهى] يعني أن ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير فانظر إلى سعة لطف الله تعالى وإمداده بمن شاء من عباده فإنه ذكر وهب بن منبه أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل الاسكندرية ابن امرأة عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان خارجاً عن قومه ولم يكن بأفضلهم حسباً ولا نسباً ولكنه نشأ في ذات حسن وجمال وحلم ومروءة وعفة من لدن كان غلاماً إلى أن بلغ رجلاً ولم يزل منذ نشأ يتخلق بمكارم الأخلاق ويسمو إلى معالي الأمور إلى أن علا صيته وعز في قومه وألقى الله تعالى عليه الهيبة ثم إنه زاد به الأمر إلى أن حدث نفسه بالأشياء فكان أول ما أجمع عليه رأيه الإسلام فأسلم ثم دعا قومه إلى الإسلام فأسلموا عنوة منه عن آخرهم ثم كان من أمره ما كان [اسكندررا پرسيدند مشرق ومغرب بچه كرفتى كه ملوك پيشين را خزائن ولشكر بيش ازتو بود چنين فتح ميسر نشد كفت بعون خداى عز وجل كه هر مملكت راكه كرفتم رعيتش را نيازردم ونام پادشاهانرا جزبنيكويى نبردم]:

بزركش نحو انند اهل خرد كه نام بزرگان بزشتى برد

وقال بعضهم:

فلم أرَ مثل العدل للمرء رافعاً ولم أرَ مثل الجور للمرء واضعا
كنت الصحيح وكنا منك في سقم فإن سقمت فإنا السالمون غدا
دعت عليك اكفت طالما ظلمت ولن تردّ يد مظلومة أبدا

وفي تفسير «التبيان»: كان أي: ذو القرنين ملكاً جباراً فلما هلك أبوه ولي مكانه فعظم تجبره وتكبره فقبض الله له قريناً صالحاً فقال له: أيها الملك دع عنك التجبر وتب إلى الله تعالى قبل أن تموت فغضب عليه الإسكندر وحبسه فمكث في المحبس ثلاثة أيام فبعث الله إليه ملكاً كشف سقف المحبس وأخرجه منه وأتى به منزله فلما أصبح أخبر الاسكندر بذلك فجاء إلى السجن فرأى سقف السجن قد ذهب فاقشعر جلد الاسكندر وعلم أن ملكه ضعيف عند قدرة الله تعالى فانصرف متعجباً وطلب الرجل المحبوس فوجده قائماً يصلي على جبل طالس فقال الرجل لذي القرنين تب إلى الله فهمّ بأخذه وأمر جنوده به فأرسل الله عليهم ناراً فأحرقتهم وخر الاسكندر مغشياً عليه فلما أفاق تاب إلى الله تعالى وتضرع إلى الرجل الصالح وأطاع الله وأصلح سيرته وقصد الملوك الجبابرة وقهرهم ودعا الناس إلى طاعة الله وتوحيده وكان من أول أمره أن بنى مسجداً واسعاً طوله أربعمائة ذراع وعرض الحائط اثنان وعشرون ذراعاً وارتفاعه في الهواء مائة ذراع. وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للغني عند أول أمره أن يصرف شطراً من ماله إلى وجه من وجوه الخير لا إلى ما يشتهيه طبعه ويميل إليه نفسه كما أن المفتي إذا تصدر يبدأ في فتواه بما يتعلق بالتوحيد ونحوه وكذا لابس جديد أو مغسول يبدأ بالمسجد والصلاة والذكر ونحوها لا بالخروج إلى السوق وبيت الخلاء ونحوهما. ثم إن الفتح الصوري إنما يُبتنىٰ على الأسباب الصورية إذ لا يحصل التسخير غالباً إلا بكثرة العدد والعدد وأما الفتح المعنوي

فحصوله مبني على الفناء وترك الأسباب والتوجه إلى مسبب الأسباب كما قال الصائب:

هركس كشيد سربكريبان نيستى تسخير كرد مملكت بى زوال را

فالاسكندر الحقيقي الذي لا يزول ملكه ولا يحيط بما لديه إلا الله تعالى هو من ايد ظاهره بأحكام الطاعات ومعاملات العبودية وباطنه بأنوار المشاهدات وتجليات الربوبية فإنه حينئذٍ تموت النفس الأمارة وتزول يدها العادية القاهرة عن قلعة القلب ويظهر جنود الله التي لا يعلمها إلا هو لكثرتها اللهم اجعلنا من المؤيدين بالأنوار الملكوتية والأمداد اللاهوتية إنك على ما تشاء قدير.

﴿ثم أتبع سببا﴾ أي: أخذ طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب آخذاً من الجنوب إلى الشمال.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿حتى إذا بلغ﴾ [تاچون رسيد] ﴿بين السدين﴾ بين الجبلين اللذين سد ما بينهما وهما جبلان عاليان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق من ورائهما يأجوج ومأجوج. والسد بالفتح والضم واحد بمعنى الجبل والحاجز أو بالفتح ما كان من عمل الخلق وبالضم ما كان من خلق الله لأن فعل بمعنى مفعول أي: هو مما فعله الله وخلقه وانتصاب بين على المفعولية لأنه مبلوغ وهو من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفاً كما ارتفع في قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] وانجرّ في قوله: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] ﴿وجد من دونهما﴾ أمام السدين ومن ورائهما مجاوزاً عنهما. وقال الكاشفي: [يافت درپيش آن دوكوه] وفسره في «تفسير الجلالين» أيضاً بقوله عندهما ﴿قوما﴾ أمة من الناس ﴿لا يكادون يفقهون قولا﴾ أي: لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم لغرابة لغتهم. وقال الزمخشري: ﴿لا يكادون يفقهون﴾ إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم البكم وهو الترك. قال أهل التاريخ: أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبش والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج. وقال في «أنوار المشارق» أصل الترك بنو قنطورا وقنطورا أمة كانت لإبراهيم عليه السلام فولدت له أولاداً فانتشر منهم الترك.

﴿قالوا﴾ على لسان ترجمانهم بطريق الشكاية والظاهر أن ذى القرنين كان قد أوتي اللغات ففهم كلامهم.

وفي «التأويلات النجمية»: كيف أخبر عنهم أنهم ﴿لا يكادون يفقهون قولا﴾ ثم قال: ﴿قالوا﴾ الآية قلنا كلمة كاد ليست لوقوع الفعل كقوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَنفَطِرْنَ﴾ [مريم: ٩٠] أي: قاربت الانفطار فلن تنفطر وإذا دخل فيها لا الجحود وما النفي تكون لوقوع الفعل كقوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] أي: قرب أن لا يذبحوها فذبحوها وكذلك قوله: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: ٩٣] أي: لا يفقهون قولاً يلين به قلب ذي القرنين ليجعل لهم السد ففقهوا بإلهام الحق تعالى حتى قالوا: ﴿يا ذا القرنين إن يأجوج

ومأجوج﴾ اسمان أعجميان بدليل منع الصرف أو عربيان ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث لأنهما علمان لقبيلتين من أولاد يافث بن نوح كما سبق أو من احتلام آدم عليه السلام كما ذكر في «عين المعاني» وغيره أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فهم منها يتصلون بنا من جهة الأب دون الأم. وقال في «أنوار المشارق» هذا منكر جداً لا أصل له وكذا قال في «بحر العلوم»: واعلم أن هذا مخالف لقوله عليه السلام: «ما احتلم نبي قط» انتهى.

يقول الفقير: سمعت من فم حضرة شيخي وسندي روح الله روحه أنه قال في أول من ابتلي بالاحتلام أبونا آدم عليه السلام لحكمة خفية كما ابتلي نبينا عليه السلام ببعض السهو لحكمة علية والحديث المذكور مخصوص بمن عداه والمنع عن الكلام فيه إنما هو لرعاية الأدب فافهم جداً ﴿**مفسدون في الأرض**﴾ أي: في أرضنا بالقتل والتخريب وإتلاف الزروع وكانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه وربما أكلوا الناس إذا لم يجدوا شيئاً من الأنعام ونحوها وكان لا يموت أحد منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما بنو آدم عشرهم:

چو پوزينكان آمده در وجود مژه زرد ورخ سرخ وديده كبود
ندارند جز خواب وخور هيچ كار نميرد يكى تا نزايد هزار

وهم أصناف صنف منهم طول الرجل منهم مائة وعشرون ذراعاً وصنف منهم قد هم على شبر واحد طولهم وعرضهم سواء وصنف منهم كبار الآذان يفترش أحدهم أحد أذنيه ويلتحف بالأخرى ولهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم وما يقيهم من الحر والبرد فلا يغزلون ولا ينسجون يعوون عوى الذئاب ويتسافدون كتسافد البهائم يقال سفد الذكر على أنثى نزا لهم مخالب في أيديهم وأضراس كأضراس السباع وأنياب يسمع لها حركة كحركة الجرس في حلوق الإبل لا يمرون بفيل ولا جمل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه ويأكلون الحشرات والحيات والعقارب. قال في «حياة الحيوان»: التنين ضرب من الحيات كأكبر ما يكون فيها وفي فمه أنياب مثل أسنة الرماح وهو طويل كالنخلة السحوق أحمر العينين مثل الدم واسع الفم والجوف براق العينين يبتلع كثيراً من الحيوان يخافه حيوان البر والبحر إذا تحرك يموج البحر لشدة قوته وأول أمره يكون حية متمردة تأكل من دواب البر ما ترى فإذا كثر فسادها احتملها ملك وألقاها في البحر فتفعل بدواب البحر ما كانت تفعل بدواب البر فيعظم بدنها حتى يكون رأسها كالتل العظيم فيبعث الله تعالى ملكاً يحملها ويلقيها إلى يأجوج ومأجوج. قال في «قصص الأنبياء»: إذا قذفوا بها خصبوا وإلا قحطوا ﴿**فهل**﴾ [پس آيا] ﴿**نجعل لك خرجا**﴾ جعلاً من أموالنا أي: أجراً نخرجه لك والخرج والخراج واحد كالنول والنوال أو الخراج ما على الأرض والزمة والخرج المصدر أو الخرج ما كان على كل رأس والخراج ما كان على البلد أو الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك أداؤه ﴿**على أن تجعل**﴾ [بشرط آنكه بكنى] ﴿**بيننا وبينهم سدا**﴾ حاجزاً يمنعهم من الخروج والوصول إلينا.

﴿**قال**﴾ ذو القرنين ﴿**ما مكني**﴾ بالادغام وقرىء بالفك أي: الذي مكنني وبالفارسية: [آنچه دست رس داده مرا] ﴿**فيه ربي**﴾ وجعلني فيه مكيناً قادراً من الملك والمال وسائر الأسباب ﴿**خير**﴾ مما تريدون أن تبذلوه إليّ من الخراج فلا حاجة لي إليه ونحوه قول سليمان عليه السلام: ﴿**فما آتاني الله خير مما آتاكم**﴾ ﴿**فأعينوني بقوة**﴾ بفعلة وصناع يحسنون البناء

والعمل بآلات لا بد منها في البناء ﴿أجعل﴾ جواب الأمر ﴿بينكم وبينهم ردما﴾ حاجزاً حصيناً وحجاباً عظيماً. وبالفارسية [حجابي سخت كه بعضى ازان بر بعضى مركب باشد] وهو أكبر من السد وأوثق يقال ثوب مردم أي: فيه رقاع فوق رقاع وهذا إسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه.

﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾

وفي «التأويلات النجمية»: قوله تعالى: ﴿آتوني زبر الحديد﴾ تفسير للقوة فيكون المراد بها ترتيب الآلات. وزبر جمع زبرة كغرف جمع غرفة وهي القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي رد خراجهم لأن المأمور به الإيتاء بالثمن والمناولة ولأن إيتاء الآلة من قبيل الإعانة بالقوة دون الخراج على العمل. قال في «القصص»: قالوا من أين لنا من الحديد ما يسع هذا العمل فدلهم على معدن الحديد والنحاس ولعل تخصيص الأمر بالإيتاء بها دون سائر الآلات من الصخور ونحوها لما أن الحاجة إليها أمس إذ هي الركن في السد. قال الكاشفي: [منقولست كه فرمود تاخشتها از آهن بساختند بفارغ دلى جابجاتن زدند همه روزشب خشت آهن زدند وحكم كرد تاميان آن كوه را چهار هزار قدم بود درشصت وپنج كز عرض بكنند تا بآب رسيد]. وفي «القصص»: قاس ما بين الصدفين فوجده ثلاثة أميال. وقال بعضهم: حفر ما بين السدين وهو مائة فرسخ حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب بدل الطين لها والبنيان من زبر الحديد بين كل زبرتين الحطب والفحم ﴿حتى إذا﴾ [تاچون] ﴿ساوى بين الصدفين﴾ الصدف منقطع الجبل أو ناحيته وبين مفعول كبين السدين أي: آتوه إياها فجعل يبني شيئاً فشيئاً حتى إذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين مساوياً لهما في السمك يعني ملأ ما بينهما إلى أعلاهما وكان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعاً ثم وضع المنافخ حوله ﴿قال﴾ للعملة ﴿انفخوا﴾ على زبر الحديد بالكير والنار ﴿حتى إذا جعله﴾ أي: المنفوخ فيه وهو زبر الحديد ﴿نارا﴾ كالنار في الحرارة والهيئة وإسناد الجعل المذكور إلى ذي القرنين مع أنه فعل الفعلة للتنبيه على أنه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة ﴿قال﴾ للذين يتولون أمر النحاس من الإذابة ونحوها ﴿آتوني﴾ قطراً أي: نحاساً مذاباً ﴿أفرغ عليه قطرا﴾ الإفراغ الصب أي: اصبب على الحديد المحمى قطراً فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وإسناد الافراغ إلى نفسه للسر الذي وقفت عليه آنفاً.

بهر روى فرشى برانكيختند ... برو روى حل كرده مى ريختند

﴿فما اسطاعوا﴾ بحذف تاء الافتعال تخفيفاً وحذراً من تلاقي المتقاربين، وقال في «برهان القرآن»: اختار التخفيف في الأول لأن مفعوله حرف وفعل وفاعل ومفعول فاختير فيه الحذف والثاني مفعوله اسم واحد وهو قوله نقباً انتهى. والفاء فصيحة أي: فعلوا ما أمروا به من إيتاء القطر فافرغ عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلاً صلداً أي: صلباً أملس فجاء يأجوج ومأجوج فقصدوا أن يعلوه وينقبوه فما قدروا ﴿أن يظهروه﴾ أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وملاسته ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾ أي: وما قدروا أن ينقبوه ويخرقوه من أسفله لصلابته وثخانته وهذه معجزة عظيمة لأن تلك الزبر الكثيرة إذا أثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان

على أن يحوم حولها فضلاً عن النفخ فيها إلى أن تكون كالنار أو عن إفراغ القطر عليها فكأنه سبحانه صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك المباشرين للأعمال فكان ما كان والله على كل شيء قدير كذا في «الإرشاد»: أخذاً عن «تفسير الإمام». يقول الفقير: ليس ببعيد أن يكون المباشرة بالنفخ والصب من بعيد بطريق من طرق الحيل ألا ترى أن نار نمرود لما كانت بحيث لا يقرب منها أحد عملوا المنجنيق فألقوا بها إبراهيم عليه السلام فيها وعن رسول الله ﷺ أن رجلاً أخبره به أي: بالسد فقال: «كيف رأيته» قال: كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال: «قد رأيته» وذلك لأن الطريقة الحمراء من النحاس والسوداء من الحديد.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾

﴿قال﴾ ذو القرنين **﴿هذا﴾** السد **﴿رحمة﴾** عظيمة ونعمة جسيمة **﴿من ربي﴾** على كافة العباد لا سيما على مجاهديه. وفيه إيذان بأنه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو إحسان إلهي محض وإن ظهر بمباشرتي **﴿فإذا جاء﴾** [پس چون بيايد] **﴿وعد ربي﴾** مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيامة والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجيء مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى ونحو ذلك **﴿جعله﴾** أي: السد أشار إليه مع متانته **﴿دكاء﴾** أرضاً مستوية وقرىء دكاً أي: مدكوكاً مستوياً بالأرض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك وفيه بيان لعظم قدرته تعالى بعد بيان سعة رحمته **﴿وكان وعد ربي﴾** أي: وعده المعهود أو كل ما وعد به **﴿حقا﴾** ثابتاً لا محالة واقعاً ألبتة.

وفي «التأويلات النجمية»: وفي قوله: **﴿هذا﴾** إلى آخر الآية دلالة على نبوته فإنه أخبر عن وعد الحق وتحقيق وعده وهذا من شأن الأنبياء وإعجازهم انتهى. وهذا آخر حكاية ذي القرنين. قيل: إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون الشعاع قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرون غداً ولم يستثن فيعيده الله كما كان فيأتون غداً فيجدونه كالأول فإذا أراد الله خروجهم خلق فيهم رجلاً مؤمناً فيحفرون السد حتى يبقى منه اليسير فيقول لهم: ارجعوا فستحفرون غداً إن شاء الله تعالى فإذا عادوا من الغد إلى الحفر قال لهم: قولوا بسم الله فيحفرونه ويخرجون على الناس فكل من لحقوه قتلوه وأكلوه ولا يمرون على شيء إلا أكلوه ولا بماء إلا شربوه فيشربون ماء دجلة والفرات ويأكلون ما فيه من السمك والسرطان والسلحفاة وسائر الدواب حتى يأتوا بحيرة طبرية بالشام وهي مملوءة ماء فيشربون فيأتي آخرهم فلا يجدون فيها قطرة ماء فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء وطافوا الأرض إلا أنهم لا يستطيعون أن يأتوا المساجد الأربعة مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس ومسجد طور سيناء ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الأرض هلم فنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه في جبل الطور حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيدعون عليهم عيسى عليه السلام فيرسل الله عليهم دوداً تسمى النغف فتأخذهم في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط عيسى وأصحابه من الطور فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيدعو الله فيرسل الله طيراً كأعناق

البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين منتخب من «المصابيح وتفسير التبيان» وغيرهما. وعن زينب أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها» قالت زينب: فقلت يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث» أي: الزنى والمراد بهذا الحديث أنه لم يكن في ذلك الردم ثقبة إلى هذا اليوم وقد انفتحت فيه ثقبة وانفتاح الثقبة فيه من علامات قرب القيامة وإذا توسعت خرجوا منها وخروجهم بعد خروج الدجال. قال في «فتح القريب» المراد بالويل الحزم وقد وقع ما أخبر به عليه السلام بما استأثر به عليهم من الملك والدولة والأموال والأمارة وصار ذلك في غيرهم من الترك والعجم وتشتتوا في البوادي بعد أن كان العز والملك والدنيا لهم ببركته عليه السلام وما جاء من الإسلام والدين فلما لم يشكروا النعمة وكفروها بقتل بعضهم بعضاً وسلب بعضهم أموال بعض سلبها الله منهم ونقلها إلى غيرهم كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] فعلى العاقل أن يحترز من فتنة يأجوج النفس والطبيعة والشيطان ويبني عليها سد الشريعة الحصينة والطريقة المتينة ويكون اسكندر إقليم الباطن والملكوت واللاهوت.

﴿وتركنا﴾ في «القاموس»: الترك الجعل كأنه ضد أي: وجعلنا **﴿بعضهم﴾** بعض الخلائق **﴿يومئذ﴾** يوم إذ جاء الوعد بمجيء بعض مباديه **﴿يموج في بعض﴾** آخر والموج الاضطراب أي: يضطربون اضطراب أمواج البحر ويختلط إنسهم وجنهم حيارى من شدة الهول. وبالفارسية [روز قيامت انس وجن ازروى تحير واضطراب درهم آميزند]. قال في «الإرشاد»: لعل ذلك قبل النفخة الأولى **﴿ونفخ في الصور﴾** هي النفخة الثانية التي عندها يكون الحشر بمقتضى الفاء التي بعدها ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الأولى لئلا يقع الفصل بين ما يقع في النشأة الأولى من الأحوال والأهوال وبين ما يقع منها في النشأة الآخرة. والمعنى: نفخ إسرافيل في الصور أرواح الخلائق عند استعداد صور الأجساد لقبول الأرواح كاستعداد الحشيش لقبول الاشتعال فتشتعل بأرواحها فإذا هم قيام ينظرون وكل يتخيل أن ذلك الذي كان فيه منام كما يتخيله المستيقظ وقد كان حين مات وانتقل إلى البرزخ كالمستيقظ هناك وأن الحياة الدنيا كانت له كالمنام وفي الآخرة يعتقد في أمر الدنيا والبرزخ أنه منام في منام وأن اليقظة الصحيحة هي التي هو عليها في الدار الآخرة حيث لا نوم فيها. وسئل رسول الله ﷺ عن الصور فقال: «هو قرن من نور ألقمه إسرافيل».

واعلم: أن لا شيء من الأكوان أوسع منه وإذا قبض الله الأرواح من هذه الأجسام الطبيعية حيث كانت أودعها صوراً جسدية في مجموع هذا القرن النور فجمع ما يدركه الإنسان بعد الموت في البرزخ من الأمور إنما يدركه بعين الصورة التي هو فيها في القرن وبنورها وهو إدراك حقيقي فمن الصور ما هي مقيدة عن التصرف. ومنها مطلقة كأرواح الأنبياء كلهم وأرواح الشهداء. ومنها ما يكون لها نظر إلى عالم الدنيا في هذه الدار. ومنها ما يتجلى للنائم في حضرة الخيال التي هي فيه وهو الذي يصدق رؤياه أبداً وكل رؤيا صادقة ولا تخطى ولكن العابر الذي يعبرها هو المخطى حيث لم يعرف ما المراد بها وكذلك قوم فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً في تلك الصور ولا يدخلونها فإنهم محبوسون في ذلك القرن ويوم القيامة

يدخلون أشد العذاب وهو العذاب المحسوس لا المنخيل كما في «تفسير الفاتحة» للفناري.
﴿فجمعناهم﴾ أي: جمعنا الخلائق بعدما تمزقت أجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء ﴿جمعا﴾ عجيباً لم نترك من الملك والإنس والجن والحيوانات أحداً وفي الحديث: «السعيد في ذلك اليوم في ذلك الجمع من يجد مكاناً يضع عليه أصابع رجليه» كما «في ربيع الأبرار».

وقال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الله تعالى من كمال قدرته يحيي الخلق بسبب يميتهم به وهو النفخة وبالنفخة الأولى كما أماتهم كقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨] كذلك بالنفخة الأخيرة أحياهم كقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩] وفيه إشارة إلى أن الخلق محتاجون إلى اتباع سبب كل شيء ليبلغوا إليه وهم لا يقدرون على أن يجعلوا سبباً لشيء سبباً لشيء آخر على ضده والخالق سبحانه هو المسبب فهو قادر على أن يجعل الشيء الواحد سبباً لوجود الشيئين المتضادين كما جعل النفخة في الصورة سبباً للممات والحياة، وفي «المثنوي».

سازد اسرافيل روزى ناله را ... جان دهد پوسيده صد ساله را
انبيارا در درون هم نغمهاست ... طالبانرا زان حيات بى بهاست
نشنود آن نغمهارا كوش حس ... كز ستمها كوش حس باشد نجس
نشنود نغمه پرى را آدمي ... كوبود زاسرار پريان أعجمي
كرچه هم نغمه پرى زين عالمست ... نغمه دل بر تر از هر دودمست
كر پرى وآدمي زندانيند ... هر دو در زندان اين نادانيند
نغمهاى اندرون اوليا ... اولا كويدكه اي اجزاى لا
هين زلاى نفى سرها بر زنيد ... اين خيال ووهم يكسو افكنيد
اي همه پوشيده دركون وفساد ... جان باقيتان نرويد ونزاد
هين كه اسرافيل وقتند اوليا ... مرده را زيشان حياتست ونما
جان هريك مرده از كورتن ... بر جهد ز آواز شان اندر كفن
كويد اين آواز زآواها جداست ... زنده كردن كار آواز خداست
ما بمرديم وبكلى كاستيم ... بانك حق آمد همه بر خاستيم
مطلق آن آواز خود ازشه بود ... كرچه از حلقوم عبد الله بود

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿وعرضنا﴾ يقال: عرض الشيء له أظهره أي: أظهرنا ﴿جهنم﴾ معرب والأصل [چه نم] كذا قال البعض ﴿يومئذ﴾ يوم إذ جمعنا الخلائق كافة ﴿للكافرين﴾ منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظاً وزفيراً ﴿عرضا﴾ هائلاً لا يعرف كنهه وفي الحديث: «يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» أي: يؤتى بها يوم القيامة من المكان الذي خلقها الله فيه فتوضع بأرض حتى لا يبقى طريق للجنة إلا الصراط وهذه الأزمّة تمنعها عن الخروج على أهل المحشر إلا من شاء الله كذا في «شرح المشارق» لابن ملك وتخصيص العرض بالكافرين مع أنها بمرأى من أهل الجمع قاطبة لأن ذلك لأجلهم

خاصة وهذا العرض يجري مجرى العقاب لهم من أول الأمر لما يتداخلهم من الغم العظيم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن جهنم لو كانت معروضة على أرواح الكافرين قبل يوم القيامة كما كانت معروضة على أرواح المؤمنين آمنوا بها كما آمن المؤمنون بها إذ لم تكن أعينهم في غطاء عن ذكر الله وكانوا يستطيعون سمعاً لكلام الله تعالى لأن آذان قلوبهم مفتوحة.

﴿الذين﴾ الموصول مع صلته نعت للكافرين أو بدل ولذا لا وقف على عرضا كما في «الكواشي». ﴿كانت أعينهم﴾ وهم في الدنيا ﴿في غطاء﴾ غلاف غليظ محاطة بذلك من جميع الجوانب. والغطاء ما يغطي الشيء ويستره. وبالفارسية: [پرده وبوشش] ﴿عن ذكري﴾ عن الآيات المؤدية لأولي الأبصار المتدبرين فيها إلى ذكري بالتوحيد والتمجيد كما قيل:

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

برك درختان سبز درنظر هوشيار هرورقى دفتريست معرفت كرد كار

﴿وكانوا﴾ مع ذلك ﴿لا يستطيعون﴾ لفرط تصاممهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول ﷺ ﴿سمعا﴾ استماعاً لذكري وكلامي يعني أن حالهم أعظم من الصمم فإن الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء زالت عنهم تلك الاستطاعة:

چون توقر آن خوانى اي صدر امم كوش شانرا پرده سازم ازصمم

چشمشانرا نيز سازم چشم بند تابيبنند وكلامت نشنوند

قال في «الإرشاد»: وهذا تمثيل لإعراضهم عن الأدلة السمعية كما أن الأول تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالابصار قال بعض الكبار: كانت أعين نفوسهم في غطاء الغفلة عن نظر العبرة وأعين قلوبهم في غطاء حب الدنيا وشهواتها عن رؤية درجات الآخرة ودركاتها وأعين أسرارهم في غطاء الالتفات إلى الكونين عن شواهد المكون وأعين أرواحهم في غطاء تذكار ما سوى الله تعالى عن ذكر الله تعالى فإذا فتحت العين الباطنة بالمشاهدة فتحت العين الظاهرة بنظر الاعتبار وكذا السمع بظاهر السمع تابع لسمع الباطن ويدخل في سماع كلام الحق سماع سنن المصطفى ﷺ وسير الصالحين.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾

﴿أفحسب الذين كفروا﴾ الهمزة للإنكار والتوبيخ على معنى إنكار الواقع واستقباحه كما في قولك أضربت أباك لإنكار الوقوع كما في أتضرب أباك والفاء للعطف على مقدر تفصح عنه الصلة على توجيه الإنكار والتوبيخ إلى المعطوفين جميعاً أي: أكفروا بي مع جلالة شأني فحسبوا وظنوا ﴿أن يتخذوا عبادي﴾ من الملائكة وعيسى وعزير وهم تحت سلطاني وملكوتي ﴿من دوني﴾ مجاوزين إياي أي: تاركين عبادتي ﴿أولياء﴾ معبودين ينصرونهم من بأسي على معنى أن ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما أنه إنما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام منزهون عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك أنت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف أي: أفحسبوا اتخاذهم نافعاً لهم والوجه هو الأول لأن في هذا تسليماً لنفس الاتخاذ واعتداداً به في الجملة كذا في «الإرشاد». ﴿إنا أعتدنا جهنم﴾ هيأناها ﴿للكافرين﴾ المعهودين ﴿نزلا﴾ وهو ما يعد للنزيل والضيف أي: أحضرنا جهنم للكافرين كالنزل المعد للضيف وفيه تهكم بهم

كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] وإيماء إلى أن لهم وراء جهنم من العذاب ما هي أنموذج له وهو كونهم محجوبين عن رؤية الله تعالى كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦﴾ [المطففين: ١٥ـ١٦] جعل الصليّ أي: الدخول تالياً في المرتبة للمحجوبية فهو دونها في الرتبة وفسره ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بموضع النزول والمثوى. فالمعنى بالفارسية [منزل ومأوايى كه براى مهمان آرند ودرين معنى تهكم است برآنكه ايشانرا عذابها خواهد بودكه دوزخ درپيش آن چيزى محقر باشد]. وفي الآية إشارة إلى أن من ادعى محبة الله وولاءه لا يتخذ من دون الله أولياء إذ لا يجتمع ولاية الحق وولاية الخلق ومن كفر بنعمة الولاء واتخذ من دون الله أولياء فله جهنم البعد والقطيعة أبداً. وقد قال بعض المحققين: أبت المحبة أن تستعمل محباً لغير محبوبه وحب الله تعالى قطب تدور عليه الخيرات وأصل جامع لأنواع الكرامات وعلامته الجريان على موجب الأمر والنهي كما قال بعضهم نزه ربك وعظمه من أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك فالذين كفروا أضاعوا أيامهم بالكفر والآثام وعبدوا المعدوم وهو ما سوى الله الملك العلام وأكلوا وشربوا في الدنيا كالأنعام فلا جرم جعل الله لهم جهنم نزلاً وشر مقام وأما المؤمنين فقد جاهدوا في الله بالطاعات واشتغلوا بالرياضات والمجاهدات وما عبدوا غير الموجود الحقيقي في وقت من الأوقات فلا جرم أحسن الله إليهم بالدرجات العاليات فالخلاص والنجاة في التوجه إلى الله رفيع الدرجات.

ـ حكي ـ أنه كان ملك مشرك جبار فأخذه المسلمون فجعلوه في قمقمة ووضعوها في نار شديدة فأسلم وتضرع إلى الله تعالى فأمطرت السماء فخرجت ريح شديدة وألقتها في مملكة فرآها أهل تلك المملكة وسألوه فقال: أنا الملك الفلاني فلما أسلمت وتضرعت إلى الله خلصني من الشدة فأسلم أهل تلك المملكة لِمَا رأوا عظم قدرة الله تعالى وشاهدوا شواهد توحيده والحمد لله تعالى.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾

﴿**قل هل ننبئكم**﴾ نخبركم أنا ومن تبعني من المؤمنين أيها الكفرة. ﴿**بالأخسرين أعمالا**﴾ نصب على التمييز والجمع للإيذان بتنوعها أي: بالقوم الذين هم أشد الخلق وأعظمهم خسراناً فيما عملوا. وبالفارسية [برزيانكار ترين مردمان ازروى كردارها]. قال في «الإرشاد»: هذا بيان حال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الأعمال الحسنة في أنفسها من صلة الرحم وإطعام الفقراء وعتق الرقاب ونحوها وفي حسبانهم أيضاً حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها غب بيان حالهم باعتبار أعمالهم السيئة في أنفسها مع كونها حسنة في حسبانهم.

﴿**الذين**﴾ كأنه قيل منهم فقيل هم الذين ﴿**ضل سعيهم**﴾ في إقامة الأعمال الحسنة في أنفسها أي: ضاع وبطل بالكلية. وبالفارسية [كم شد وضائع كشت شتافتن ايشان بعملهاى نيكونماى] ﴿**في الحياة الدنيا**﴾ متعلق بالسعي لا بالضلال لأن بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا ﴿**وهم**﴾ أي: ضل والحال أنهم ﴿**يحسبون**﴾ يظنون ﴿**أنهم يحسنون صنعا**﴾ يعني: يعملون عملاً ينفعهم في الآخرة. وبالفارسية [وايشان مى پندارند آنكه ايشان نيكويى ميكنند كاررا]

والإحسان الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي أي: يحسبون أنهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لإعجابهم بأعمالهم التي سعوا في إقامتها وكابدوا في تحصيلها. وفي الآية: إشارة إلى أهل الأهواء والبدع وأهل الرياء والسمعة فإن اليسير من الرياء شرك وأن الشرك محبط الأعمال كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] وأن هؤلاء القوم يبتدعون في العقائد ويراؤون بالأعمال فلا يعود وبال البدعة والرياء إلا إليهم والحاصل أن العمل المقارن بالكفر باطل وإن كان طاعة وكذا العمل المقارن بالشرك الخفي وإذا كان ما هو طاعة مردوداً لمجاورته المنافي فما ظنك بما هو معصية في نفسه وهو يظنه طاعة فيأتي به فمثل أهل الرياء والسمعة والبدعة وطالب المنة والشكر من الخلق على معروفه وكذا الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع وحملوها على الرياضات الشاقة ليسوا على شيء:

كرت بيخ إخلاص در بوم نيست ازين دركسى چون تومحروم نيست

كرا جامه پاكست وسيرت پليد در دوز خش را بنايد كليد

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ هم أهل حروراء قرية بالكوفة وهم الخوارج الذين قاتلهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه كما في «التكملة». والخوارج قوم من زهاد الكوفة خرجوا عن إطاعة علي ـ رضي الله عنه ـ عند رضاه بالتحكيم بينه وبين معاوية قالوا كفر بالتحكيم إن الحكم إلا لله وكانوا اثني عشر ألف رجل اجتمعوا ونصبوا راية الخلاف وسفكوا الدماء وقطعوا السبيل فخرج إليهم علي رضي الله عنه ورام رجوعهم فأبوا إلا القتال فقاتلهم بالنهروان فقتلهم واستأصلهم ولم ينج منهم إلا القليل وهم الذين قال فيهم ﷺ: «يخرج قوم في أمتي يحقر أحدكم صلاته في جنب صلاتهم وصومه في جنب صومهم ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم» وقال عليه السلام: «الخوارج كلاب النار» كذا في «شرح الطريقة».

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾

﴿**أولئك**﴾ المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المزبور ﴿**الذين كفروا بآيات ربهم**﴾ بدلائله الداعية إلى التوحيد عقلاً ونقلاً ﴿**ولقائه**﴾ بالبعث وما يتبعه من أمور الآخرة على ما هي عليه ﴿**فحبطت**﴾ بطلت بذلك ﴿**أعمالهم**﴾ المعهودة حبوطاً كلياً فلا يثابون عليها ﴿**فلا نقيم لهم يوم القيامة**﴾ أي: لأولئك الموصوفين بما مر من حبوط الأعمال ﴿**وزنا**﴾ أي: فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقداراً واعتباراً [بلكه خوار ومبتذل خواهند بود] لأن مداره الأعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الأعمال عطف عليه بطريق التفريع وأما ما هو من أجزية الكفر فسيجيء بعد ذلك وفي الحديث «يؤتى بالرجل الطويل الأكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة» أي: لا يوضع له قدر لخساسته وكفره وعجبه «اقرأوا إن شئتم: ﴿**فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً**﴾ أي: لا نضع لأجل وزن أعمالهم ميزاناً لأنه إنما يوضع لأهل الحسنات والسيآت من الموحدين ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب عليه التكفير أو عدمه لأن ذلك في الموحدين بطريق الكمية وأما الكفر فإحباط للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعاً.

وفي «التأويلات النجمية»: لأن وزن الأشخاص والأعمال في ميزان القيامة إنما يكون بحسب الصدق والإخلاص فمن زاد إخلاصه زاد ثقل وزنه ومن لم يكن فيه وفي أعماله إخلاص لم يكن له ولا لعمله وزن ومقدار كما قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ [الفرقان: ٢٣] أي: بلا إخلاص ﴿فجعلناه هباء منثورا﴾ فلا يكون للهباء المنثور وزن ولا قيمة.

﴿ذلك﴾ أي: الأمر ذلك وقوله تعالى: **﴿جزاؤهم جهنم﴾** جملة مبينة له **﴿بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا﴾** يعني: بسبب كفرهم وإنكارهم لما يجب إيمانهم وإقرارهم به واتخاذهم القرآن وغيره من الكتب الإلهية ورسل الله وأنبياءه سخرية واستهزاء من قبيل الوصف بالمصدر للمبالغة يعني أنهم بالغوا في الاستهزاء بآيات الله ورسله فكأنهم جعلوها وإياهم عين الاستهزاء أو المعنى مهزوا بهما أو مكان هزء.

واعلم أن العلماء ورثة الأنبياء وعلومهم مستنبطة من علومهم فكما أن العلماء العاملين ورثة الأنبياء والمرسلين في علومهم وأعمالهم كذلك المستهزئون بهم ورثة أبي جهل وعقبة ونحوهما في استهزائهم وضلالهم. ومن استهزاء أبي جهل بالنبي ﷺ أنه كان يخلج بأنفه وفمه خلف رسول الله يسخر به فاطلع عليه عليه السلام يوماً فقال: «كن كذلك» فكان كذلك إلى أن مات. ومن استهزاء عقبة به عليه السلام أنه بصق يوماً في وجه النبي ﷺ فعاد بصاقه على وجهه وصار برصاً وفي حقه نزل ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧] أي: في النار يأكل إحدى يديه إلى المرفق ثم يأكل الأخرى فتنبت الأول فيأكلها وهكذا كذا في «إنسان العيون» وفي الحديث: «إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا جاء أغلق دونه فما يزال كذلك حتى أن الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فما يأتيه» كما في «الطريقة» اللهم اجعلنا من أهل الجد لا من أهل الهزل ووفقنا للعمل بما في القرآن الجزل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا﴾ في الدنيا **﴿وعملوا الصالحات﴾** من الأعمال وهي ما كانت خالصة لوجه الله تعالى **﴿كانت لهم﴾** في علم الله تعالى **﴿جنات الفردوس﴾** [بهشتهاى فردوس يعني بوستانهاى مشتمل بر اشجاركه أكثر آن تاك بود]. قال في «القاموس»: الفردوس البستان يجمع كل ما يكون في البساتين يكون فيه الكروم وقد يؤنث عربية أو رومية نقلت أو سريانية انتهى **﴿نزلا﴾** خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف على أنه حال من نزلا والنزل المنزل وما هيىء للضيف النازل أي: كانت جنات الفردوس منازل مهيأة لهم أو ثمار جنات الفردوس نزلاً أو جعلت نفس الجنات نزلاً مبالغة في إكرام. وفيه إيذان بأنها عندما أعدها الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» بمنزلة النزل بالنسبة إلى الضيافة. قال الكاشفي: هي دولة اللقاء، قال الحافظ:

نعمت فردوس زاهد راوما راروى دوست   قيمت هركس بقدر همت والاى اوست

وفي «المثنوي»:

هشت جنت هفت دوزخ پيش من   هست پيدا همچو بت پيش شمن

ومن هنا قال أبو يزيد البسطامي قدس سره لو عذبني الله يوم القيامة لشغلني بالجنة ونعيمها فلا جنة أعلى من جنة اللقاء والوصال ولا نار أشد من نار الهجران والفراق:

روزشب غصه وخون ميخورم وچون نخورم

چون زديدار تو دورم بچه باشم دلشاد

﴿خالدين فيها﴾ حال مقدرة أي: مقدرين الخلود في تلك الجنات ﴿لا يبغون عنها حولا﴾ مصدر كالصغر والجملة حال من صاحب خالدين أي: لا يطلبون تحولاً وانتقالاً عنها إلى غيرها كما ينتقل الرجل من دار إذا لم توافقه إلى دار إذ لا مزيد عليها وفيها كل المطالب. قال الإمام وهذا الوصف يدل على غاية الكمال لأن الإنسان في الدنيا إذا وصل إلى أي درجة كانت في السعادة فهو طامح الطرف إلى ما هو أعلى منها ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود كما في «تفسير الشيخ» وهذا كناية عن التخليد وقال المراد بالفردوس ربوة خضراء في الجنة أعلاها وأحسنها يقال لها سرة الجنة وفي الحديث «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض الفردوس أعلاها فيها تتفجر الأنهار الأربعة وفوقها عرش الرحمٰن فإذا سألتم الله فاسألوا الفردوس» وفي الحديث: «جنتان الفردوس أربع جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما فضة وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ذهب» [ودرتبيان آورده كه خداى تعالى فردوس را بيد قدرت خود آفريده وبمقدار هر روز از روزهاى دنيا پنجاه كرت بدو نظر كرده وميفرما يدكه «ازدادى طيباً وحسناً لأوليائي» افزون ساز حسن جمال وتازه كى وپاكى خودرا براى دوستان من] وفي بعض الروايات «يفتحها كل يوم خمس مرات». يقول الفقير التوفيق بين الروايتين أن الأولى من مقام التفصيل والثانية من مقام الإجمال إذ المقصود ازدياد حسنها وطيبها كلما أدى الصلوات الخمس وهي في الأصل خمسون صلاة كما سبق في بحث المعراج وفي الحديث: «إن الله غرس الفردوس بيده ثم قال: وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث» قيل ما الديوث يا رسول الله؟ قال: «الذي يرضى الفواحش لأهله» كما في «تفسير الحدادي». وقال في «بحر العلوم»: قال عليه السلام: «إن الله كبس عرصة جنة الفردوس بيده ثم بناها لبنة من ذهب مصفى ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من طيب الفاكهة وطيب الريحان وفجر فيها أنهارها ثم أوفى ربنا على العرش فنظر إليها فقال: وعزتي لا يدخلك مدمن خمر ولا مصر على زنى». يقول الفقير: إن قلت فعلى ما ذكر من أوصاف الفردوس يكون مقام المقربين فكيف يترتب جزاء الخاصة على العامة. قلت: يؤول العنوان بمن جمع بين الإيمان والعمل على وجه الكمال وهو بأن آمن إيماناً عيانياً بعدما آمن برهانياً وعمل بإخلاص الباطن وشرائط الظاهر على وفق الشريعة وقانون الطريقة فيدخل فيه الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر على ما فسر كعب فإن الدلالة على الخير والمنع من الشر من فواضل الأعمال وخواص الرجال. ويدل على ما ذكرنا ما قبل الآية من قوله تعالى في حق الكفار ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه﴾ فإن المراد بيان المؤمنين المتصفين بأضداد ما اتصفوا به والإيمان باللقاء أي: الرؤية والمشهود بعد الإيمان بالآيات والشاهد وهو بالترقي من العلم والغيب والآثار إلى العين والشهادة والأنوار ويدل عليه ما بعد الآية أيضاً من قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو﴾ إلى آخره فافهم وهكذا لاح بالبال والله أعلم بحقيقة الحال نسأل الله الفردوس بل

وتجلي جماله والاحتظاظ بكاسات وصاله، قال الحافظ:

كداى كوى تو ازهشت خلد مستغنيست اسير عشق تو ازهردو كون آزادست

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾

﴿قل لو كان البحر﴾ [بكوا كرباشد درياى محيط كه شامل ارضست] كذا في «تفسير الكاشفي». وقال غيره: يريد الجنس يعني لو كان ماء جنس البحر ﴿مدادا﴾ نقساً وحبراً والثلاثة بمعنى ما يكتب به نزلت حين قال حيي بن أخطب في كتابكم ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] ثم تقرأون ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] كأنه يشير إلى أن التوراة خير كثير فكيف يخاطب أهلها بهذا الخطاب يعني أن ذلك خير كثير بالنسبة إلينا ولكنه قطرة من بحر كلمات الله:

علمها از بحر علمش قطره اين چو خورشيدست وآنها ذره

كر كسى در علم صد لقمان بود پيش علم كاملش نادان بود

لأنه لو كان ماء البحر مداداً ﴿لكلمات ربي﴾ لكلمات علمه وحكمته يعني لمعلوماته وحكمه فتكتب من ماء البحر كما تكتب من المداد والحبر. قال في «تفسير الجلالين» ﴿لكلمات ربي﴾ أي: لكتابتها وهي حكمه وعجائبه والكلمات هي العبارات عنها انتهى ﴿لنفد البحر﴾ يعني: ماء جنس البحر بأسره مع كثرته ولم يبق فيه شيء لأن كل جسم متناهٍ ﴿قبل أن تنفد كلمات ربي﴾ أي: من غير أن تفنى معلوماته وحكمه فإنها غير متناهية لا تنفد كعلمه فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وإنما اختار جمع القلة على الكثرة وهي الكلم تنبيهاً على أن ذلك لا يقابل بالقليل فكيف بالكثير كما في «بحر العلوم». وقال أبو القاسم الفزاري في «الأسئلة المقحمة»: ما معنى قوله كلمات ربي فذكر بلفظ الجمع وكلمته واحدة صفة له والجواب قيل معاني كلمات ربي فلا نهاية لها لأن متعلقات الصفات القديمة غير متناهية والفلاسفة يحملون كل كلمة جاءت في القرآن على الروح ويقولون بأن الروح الإنسانية قديمة منه بدت وإليه تعود. ورأيت في كلمات بعض المعاصرين الذين يدعون التحقيق في الكلام ويحومون حول هذا الحمى إظهاراً من نفوسهم التفطن في الشطح ولكن تارة يعرض بها وتارة يصرح بذلك وإياكم ثم إياكم والاغترار بها فإنها من أوائل حكم الفلسفة وأوائل العلوم مسوقة ولكنها عند البحث قلما تعود بطائل يتروج وهو مطوي ويهجر وهو منشور انتهى. ﴿ولو جئنا بمثله﴾ بمثل البحر الموجود يعني بمائة. وقال الكاشفي: [واكرنيز بياريم مثل درياى محيط] ﴿مددا﴾ تمييز أي زيادة ومعونة أي: لنفد أيضاً والكلمات غير نافدة لعدم تناهيها فحذف جزاء الثاني لدلالة الأول عليه ويجوز أن يكون التقدير ولو جئنا بمثله مدداً ما نفدت كلمات الله وهو أحسن لكونه أوفق بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧] ولأنه يدل به على تحقق نفاد البحر وعدم تحقق نفاد الكلمات صريحاً فيكفي مؤنة كثيرة من الكلام كما في «بحر العلوم». قال في «الإرشاد»: قوله: ﴿ولو جئنا﴾ كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن يجيء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله والواو لعطف الجملة على نظيرتها أي: لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم يجيء بمثله مدداً ولو جئنا بقدرتنا القاهرة بمثله عوناً وزيادة لأن مجموع المتناهيين متناه

بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الأجسام لا يكون إلا متناهياً لقيام الأدلة القاطعة على تناهي الابعاد. قال الإمام قولنا الله تعالى قادر على مقدورات غير متناهية مع قولنا إن حدوث ما لا نهاية له محال معناه أن قادرية الله تعالى لا تنتهي إلى حد إلا ويصح منه الإيجاد بعد ذلك انتهى أي: فلا يلزم منه عدم تناهي الممكنات. قال شيخي وسندي قدس الله سره في بعض تحريراته قوله كلمات علمه وحكمته الظاهر أن المراد الكلمات التي يعبر بها عن معلومات الله تعالى وما يتعلق به حكمته فكلمة قبل على المجاز عن نفاد البحر دون أن يكون لها تحقق النفاد أي: ينفد البحر ولا يتحقق لكلمات الرب نفاد. فإن قلت إنما يتم ما ذكرتم إذا كانت الكلمات هي المعلومات المحكومة والمقدورة كالممكنات والممتنعات فكيف يتم ما ذكرتم إذ كل منهما مما ينفد ويتناهى فهٰهنا اشكال لأنه إن قيل: إنهما ليسا من المعلومات فيلزم أنهما من غير المعلومات فيلزم على الباري تعالى ما هو المحال والمفقود في حقه الأعلى من الجهل والغفلة فهو غير متصور في شأنه العلي. قلنا: إن البحر إذا كان مداداً وكانت كل قطرة منه قد عينت لأن يكتب بها نفسها باعتبار كونها من الكلمات والمعلومات ينفد بكتابة نفسه وقطراته ولا يبقى منه شيء يكتب به ما عداه من الكلمات ولو جيء بمثله مدداً لأن جميع المتناهى متناه فضلاً عن نفاد الكلمات وتناهي المعلومات فإنها غير متناهية لا تنفد أو قلنا: إن المراد مطلق المعلومات العام الشامل لكل ما يتعلق به علمه سواء كان ذات الباري تعالى وصفاته العليا وأسماؤه الحسنى أو غيره من الموجودات الممكنة والمعدومات الممتنعة فحينئذٍ يتم ما ذكرنا وإن كان يرى في صورة ما لا يتم ولا يصح باعتبار أن يكون من المعلومات ما له تناهٍ ونفاد من الممكنات والممتنعات ثم إن في إطلاق الكلمات على بعض ما يتعلق به علمه تعالى ما ليس في إطلاق المعلومات عليه من الاشكال والخفاء كذات الباري تعالى وصفاته مع أنهما من المعلومات المعبر عنها بالكلمات فيرى أن تفسير الكلمات بالمحكومات أو بالمقدورات أولى منه بالمعلومات إذ في إضافة الكلمات إلى الرب إشعار به وإشارة إليه وتسمية الممكنات بالكلمات من تسمية المسبب باسم السبب لأنها إنما تكوّنت بكلمة كن كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ﴾ [يس: ٨٢] الآية ومحصل الكلام أن نفاد البحر وقوعاً أو فرضاً أمر ذاتي غير معلل مطلقاً كان مداداً أم لا فإن كل جسم متناه ونافد قطعاً وعدم نفاد كلمات الرب لا وقوعاً ولا فرضاً أمر أصلي غير معلل أزلاً فإنها غير متناهية أبداً ولا نافدة سرمداً انتهى كلام حضرة الشيخ روح الله روحه.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾

﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ قل يا محمد ما أنا إلا آدمي مثلكم في الصورة ومساو بكم في بعض الصفات البشرية **﴿يوحى إلي﴾** من ربي **﴿أنما إلهكم إله واحد﴾** ما هو إلا متفرد في الألوهية لا نظير له في ذاته ولا شريك له في صفاته، يعني: أنا معترف ببشريتي ولكن الله منّ عليّ من بينكم بالنبوة والرسالة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن بني آدم في البشرية واستعداد الإنسانية سواء النبي والولي والمؤمن والكافر والفرق بينهم بفضيلة الإيمان والولاية والنبوة والوحي والمعرفة بأن إله

العالمين إله واحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد انتهى كما قال الشيخ سعدي:

ره راست بايد نه بالاى راست   كه كافرهم ازروى صورت چو ماست

﴿فمن كان يرجو﴾ شرط جزاؤه فليعمل. والمعنى بالفارسية: [پس هركه اميد ميدارد] ﴿لقاء ربه﴾. قال في «الإرشاد»: كان للاستمرار ولرجاء توقع وصول الخبر في المستقبل والمراد بلقائه كرامته أي: فمن استمره على رجاء كرامته تعالى. وقال الإمام: أصحابنا حملوا لقاء الرب على رؤيته والمعتزلة على لقاء ثوابه يقال لقيه كرضيه رآه كما في «القاموس». ﴿فليعمل﴾ لتحصيل ذلك المطلوب العزيز ﴿عملا صالحا﴾ [كارى شايسته يعني بسنديده خداى]. قال الأنطاكي: من خاف المقام بين أيدي الله فليعمل عملاً يصلح للعرض عليه والرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل كما في البغوي. وقال ذو النون العمل الصالح هو الخالص من الرياء. وقال أبو عبد الله القرشي: العمل الصالح الذي ليس للنفس إليه التفات ولا به طلب ثواب وجزاء.

وقال في «التأويلات النجمية»: العمل الصالح متابعة النبي عليه السلام والتأسي بسنته ظاهراً وباطناً فأما سنة باطنه فالتبتل إلى الله وقطع النظر عما سواه [يعني ديده همت ازماسوى بربستن وجز بشهود حضرت مولى نا كشودن] كما قال الله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم: ١٧].

روى ازهمه برتافتم وسوى توكردم   چشم ازهمه بربستم وديدار توديدم

﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ [شريك نيارد وانباز نسازد بپرستش پروردكار خود يكى را]. قال أبو البقاء أي: في عبادة ربه ويجوز أن يكون على بابه أي: بسبب عبادة ربه انتهى. وفي «الإرشاد»: إشراكاً جلياً كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا إشراكاً خفياً كما يفعله أهل الرياء ومن يطلب به أجراً انتهى. وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يقل ولا يشرك به لأنه أراد العمل الذي يعمله ويحب أن يحمد عليه. وعن الحسن هذا فيمن أشرك بعمل يريد الله به والناس على ما روي أن جندب بن زهير رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: إني لأعمل العمل لله فإذا اطلع عليه أحد سرني فقال: «إن الله لا يقبل ما شورك فيه» فنزلت تصديقاً له عليه السلام وروي أنه قال له: «لك أجران أجر السر وأجر العلانية» وهذا على حسب النية فإذا سره ظهوره ليقتدي به كما هو شأن الكاملين المخلصين المعرضين عما سوى الله أو تنتفي عنه التهمة إذ كان ذلك من الواجبات فله أجران فأما إذا أراد به مجرد مدح الناس وانتشار الصيت والذكر فهو محض الرياء والشرك فيخفى المقتدي احترازاً عن إفساد العمل. وعن عبد الله بن غالب أنه كان إذا أصبح يقول رزقني الله البارحة خيراً قرأت كذا وصليت كذا فإذا قيل له يا أبا فراس أمثلك يقول مثل هذا يقول قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ [الضحى: ١١] وأنتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وإنما يجوز مثله إذا قصد به اللطف وأن يقتدي به غيره وأمن على نفسه الفتنة والستر أولى ولو لم يكن فيه إلا التشبه بأهل الرياء والسمعة لكفى كذا في «الكشاف» في سورة الضحى. والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والإخلاص في العمل، قال الشيخ سعدي قدس سره:

عبادت باخلاص نيت نكوست   وكرنه چه آيد زبى مغز پوست
چه زنار مغ درميانت چه دلق   كه دريوشى ازبهر پندار خلق
بروى ريا خرقه سهلست دوخت   كرش باخدا درتوانى فروخت

قال في «بحر العلوم» إن قلت: ما معنى الرياء؟ قلت العمل لغير الله بدليل قوله عليه السلام «إن أخوف ما أخاف على أمتي الإشراكَ بالله أما أني لا أقول يعبدون شمساً ولا قمراً ولا شجراً ولا وثناً ولكن أعمالاً لغير الله تعالى». قال في «الأشباه»: ولا يدخل الرياء في الصوم انتهى هذا إذا لم يجوّع نفسه إظهاراً لأثره في وجهه أو لم يقل ولم يعرض به كما لا يخفى على ما روي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى صلاة يرائي بها فقد أشرك ومن صام صوماً يرائي به فقد أشرك» وقرأ ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ الآية كما في «الحدادي» وقس عليه التصدق والحج وسائر وجوه البر:

مـرايـى هـركـسـى مـعـبـود سـازد — مـرايـى را ازان كـفـتـنـد مـشـرك

وفي الحديث: «إنما حرم الله الجنة على كل مرائي» ليس البر في حسن اللباس والزي ولكن البر المسكنة والوقار.

كـراجـامـه پـاكـسـت وسـيـرت پـلـيـد — در دوز خـش را نـبـايـد كـلـيـد
بـنـزديـك مـن شـب رو راهـزن — بـه ازفـاسـق پـارسـا پـيـرهـن

وفي الحديث: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك في عمل عمله لله أحداً فليطلب ثواب عمله من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك».

زعـمـرو اى پـسر چـشـم اجـرت مـدار — چـو درخـانـه زيـد بـاشـى بـكـار

وفي الحديث: «إن في جهنم وادياً تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم مائة مرة أعد ذلك للمرائين» وفي الحديث: «اتقوا الشرك الأصغر» قيل وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء»، وفي الحديث «إن أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الخفي فإياكم وشرك السرائر فإن الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء» فشق على الناس فقال عليه السلام: «أفلا أدلكم على ما يذهب صغير الشرك وكبيره قولوا: اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم» كذا في «عين المعاني».

ـ حكي ـ أن بعض الخلفاء أراد أن يتطهر فعدا غلمانه ليصبوا عليه الماء فصدهم عن ذلك وتلا هذه الآية وأظنه المرتضى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ كذا في الأسئلة المقحمة لأبي القاسم الفزاري. يقول الفقير: كان المرتضى رضي الله عنه عمم الإشراك إلى الرياء والاستعانة في الوضوء ونحوه نظراً إلى ظاهر النظم وذلك زيادة في التقوى ونظيره أن الشافعي أوجب الوضوء من لمس المرأة باليد ونحوها نظراً إلى إطلاق قوله تعالى: ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣] وهو عمل بالعزيمة كما لا يخفى. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال» رواه مسلم قال ابن ملك اللام فيه للعهد ويجوز أن تكون للجنس لأن الدجال من يكثر منه الكذب والتلبيس وقد جاء في الحديث «يكون في آخر الزمان دجالون» فأهل الأهواء والبدع دجاجلة زمانهم والسر في العصمة منه أن هذه الآيات العشر مشتملة على قصة أصحاب الكهف وهم لما التجأوا إلى الله تعالى من شر دقيانوس الكافر أنجاهم الله منه فالمرجو منه تعالى أن يحفظ قارئها من الدجال ويثبته على الدين القويم. وفي رواية للنسائي «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال». وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «من قرأ

الكهف كما أنزلت كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه» رواه الحاكم. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال عليه السلام: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين». وعن أبي سعيد قال: «من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق» رواه الدارمي في مسنده موقوفاً على أبي سعيد كذا في «الترغيب والترهيب» للإمام المنذري. وفي تفسير «التبيان»: روى عبد الله بن فردة رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك حين نزلت ملأ عظمها ما بين السماء والأرض لتاليها مثل ذلك» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «سورة الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر له إلى يوم الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام وأعطي نوراً يبلغ السماء ووقي فتنة الدجال». وفي «تفسير الحدادي» عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «من قرأ سورة الكهف فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة تكون فيها ومن قرأ الآية التي في آخرها حين يأخذ مضجعه كان له نور يتلألأ إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه وإن كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نور يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ». وفي «تفسير البيضاوي» عن النبي عليه السلام: «من قرأ عند مضجعه ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ كان له نور في مضجعه يتلألأ إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ». وفي «فتح القريب» من قرأ عند إرادة النوم ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الخ ثم قال اللهم أيقظني في أحب الأوقات إليك واستعملني بأحب الأعمال إليك فإنه سبحانه يوقظه ويكتبه من قوام الليل. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أردت أن تقوم أية ساعة شئت من الليل فاقرأ إذا أخذت مضجعك ﴿قل لو كان البحر مدادا﴾ الآية فإن الله يوقظك متى شئت من الليل. وتكلموا في القراءة في الفراش مضطجعاً. قال في «الفتاوى الحمدية»: لا بأس للمضطجع بقراءة القرآن انتهى. والأولى أن لا يقرأ وهو أقرب إلى التعظيم كما في «شرح الشرعة» ليحيى الفقيه. وعن ظهير الدين المرغيناني لا بأس للمضطجع بالقراءة مضطجعاً إذا أخرج رأسه من اللحاف لأنه يكون كاللبس وإلا فلا نقله قاضي خان. وفي «المحيط»: لا بأس بالقراءة إذا وضع جنبيه على الأرض لكن يضم رجليه إلى نفسه انتهى. نسأل الله تعالى أن يوقظنا من الغفلة قبل انقضاء الأعمار ويؤنسنا بالقرآن آناء الليل وأطراف النهار تمت سورة الكهف والحمد لله تعالى يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر رمضان من سنة خمس ومائة وألف.

١٩ - سورة مريم

ثمان أو تسع وتسعون آية وهي مكية إلا آية السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ ﴾

﴿كهيعص﴾ اسم للسورة ومحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص أي: مسمى به وإنما صحت الإشارة إليه مع عدم جريان ذكره لأنه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان، كذا في «الإرشاد».

وقال في تفسير الشيخ قسم أقسم بالله تعالى أو هي اسم من أسمائه الحسنى ويدل عليه ما قرأوا في بعض الأدعية من قولهم يا كهيعص يا حمعسق أو أنه مركب من حروف يشير كل منها إلى صفة من صفاته العظمى. فالكاف من كريم وكبير. والهاء من هاد. والياء من رحيم. والعين من عليم وعظيم. والصاد من الصادق أو معناه هو تعالى كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق في وعده.

قال الكاشفي: [در مواهب صوفيان از مواهب الهى كه بر حضرت شيخ ركن الدين علاء الدولة سمناني قدس سره فرود آمده مذكوراست كه حضرت رسالت را ﷺ سه صورتست يكى بشرى كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ﴾ [الكهف: ١١٠] دوم ملكى چنانكه فرموده است (لست كأحد ابيت عند ربي) سيوم حقي كما قال: (لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل) وازين روشنتر «من رآني فقد رأى الحق» وحق سبحانه را با او درهر صورتي سخن بعبارتي ديكر واقع شده است در صورت بشرى كلمات مركبه چون ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١] ودر صورت ملكي حروف مفرده مانند﴿كهيعص﴾ واخواته ودرصورت حقى كلامى مبهم كه ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠]:

درتنكناى حرف نكنجد بيان ذوق ... زان سوى حرف ونقطه حكايات ديكرست]

وفي «التأويلات النجمية» في سورة البقرة يحتمل أن يكون﴿الم﴾ وسائر الحروف المقطعة من قبيل المواضعات والمعميات بالحروف بين المحبين لا يطلع عليها غيرهم وقد واضعها الله تعالى مع نبيه عليه السلام في وقت لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ليتكلم بها معه على لسان جبريل بأسرار وحقائق لا يطلع عليها جبريل ولا غيره. يدل على هذا ما روي في الأخبار أن جبريل عليه السلام نزل بقوله تعالى: ﴿كهيعص﴾ فلما قال كاف قال النبي عليه السلام: «علمت» فقال ها فقال: «علمت» فقال يا فقال: «علمت» فقال عين فقال: «علمت» فقال صاد فقال: «علمت» فقال جبريل: كيف علمت ما لم أعلم؟ وفي «أسئلة

الحكم» علوم القرآن ثلاثة:

علم لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته ومعرفة حقائق أسمائه وصفاته وتفاصيل علوم غيوبه التي لا يعلمها إلا هو وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه بوجه من الوجوه إجماعاً، العلم الثاني ما اطلع عليه نبيه من أسرار الكتاب واختصه به وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا له عليه السلام أو لمن أذن له وأوائل السور من هذا القسم وقيل من القسم الأول.

العلم الثالث: علوم علمها الله نبيه مما أودع كتابه من المعاني الجليلة والخفية وأمره بتعليمها ﴿ذكر﴾ أي: هذا المتلو ذكر ﴿رحمة ربك﴾ ذكر مضاف إلى مفعوله ﴿عبده﴾ مفعول رحمة ﴿زكريا﴾ بدل منه وهو زكريا يمد ويقصر ابن آزر.

قال الكاشفي: [واو ازاولاد رجعيم بن سليمان بن داود عليهم السلام بوده بيغمبر عاليشان ومهتر احبار بيت المقدس وصاحب قربان]. قال الإمام زكريا من ولد هارون أخي موسى وهما من ولد لاوى بن يعقوب بن إسحاق ﴿إذ نادى ربه نداء خفياً﴾ ظرف لرحمة ربك. والمعنى بالفارسية [چون ندا كرد وبخواند پروردكار خودرا در محراب بيت المقدس بعد از تقريب قربان وخواندن پنهان] ولقد راعى عليه السلام حسن الأدب في دعائه فإنه مع كونه بالنسبة إليه تعالى كالجهر أدخل في الإخلاص وأبعد من الرياء وأقرب إلى الخلاص من غائلة مواليه الذين كان يخافهم فإنه إذا أخفى لم يطلعوا عليه ومن لوم الناس على طلب الولد لتوقفه على مبادي لا يليق به تعاطيها وقت الكبر والشيخوخة وكانت سنه وقتئذ تسعاً وتسعين على ما اختاره الكاشفي.

فإن قلت شرط النداء الجهر فكيف يكون خفيا.

قلت: دعا في الصلاة فأخفاه.

يقول الفقير النداء وإن كان بمعنى الصوت لكن الصوت قد يتصف بالضعف ويقال صوت خفي وهو الهمس فكذا النداء وقد صح عن الفقهاء أن بعض المخافتة يعد من أدنى مراتب الجهر وتفصيله في «تفسير الفاتحة» للفناري. ولي فيه وجه خفي لاح عند المطالعة وهو أن النداء الخفي عند الخواص كالذكر الخفي هو ما خفي عن الحفظة فضلاً عن الناس لا يخفض به الصوت والوجه في عبارة النداء الإشارة إلى شدة الإقبال والتوجه في الأمر المتوجه إليه كما هو شأن الأنبياء ومن له بهم أسوة حسنة من كمل الأولياء.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾

﴿قال﴾ استئناف وقع بياناً للنداء ﴿رب﴾ [اي پروردكار من] ﴿إني وهن العظم مني﴾ الوهن الضعف وإنما أسنده إلى العظم وهو بالفارسية [استخوان] لأنه عماد بيت البدن فإذا أصابه الضعف مع صلابته وقلة تأثره من العلل أصاب سائر الأجزاء. قال قتادة: اشتكى سقوط الأضراس كما في البغوي وإفراده للقصد إلى جنس المنبىء عن شمول الوهن لكل فرد من أفراده ولو جمع لخرج بعض العظام عن الوهن. «ومني» متعلق بمحذوف وهو حال من

العظم وهو تفصيل بعد الإجمال لزيادة التقرير لأن العظم من حيث إنه يصدق على عظمه يفيد نسبته إليه إجمالاً ﴿واشتعل الرأس﴾ مني حذف اكتفاء بما سبق ﴿شيبا﴾ شبه الشيب في بياضه وإنارته بشواظ النار وانتشاره في الشعر ومنبته مبالغة وإشعاراً لشمول الشيب جملة الرأس حتى لم يبق من السواد شيء وجعل الشيب تمييزاً إيضاحاً للمقصود والأصل اشتعل شيب رأسي فوزانه بالنسبة إلى الأصل وزان اشتعل بيته ناراً بالنسبة إلى اشتعل النار في بيته، قال الشيخ سعدي:

چـو شـيـبـت در آمـد بـروى شـبـاب شـبـت روز شـد ديـده بـركـن زخـواب
مـن آن روز ازخـود بـربـدم امـيـد كـه افـتـادم انـدر سـيـاهـى سـفـيـد
چـو دوران عـمـر از چـهـل در كـذشـت مـزن دسـت وپـاكـآب ازسـر كـذشـت
دريـغـاكـه بـكـذشـت عـمـر عـزيـز بـخـواهـد كـذشـت ايـن دمـى چـنـدنـيـز

﴿ولم أكن بدعائك رب شقياً﴾ ولم أكن بدعائي إياك خائباً في وقت من أوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي وهذا توسل منه بما سلف من الاستجابة عند كل دعوة أثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال فإنه تعالى بعدما عوّد عبده بالإجابة دهراً طويلاً لا يخيبه أبداً لا سيما عند اضطرار وشدة افتقار.

ـ روي ـ أن محتاجاً قال لبعضهم: أنا الذي أحسنت إلى وقت كذا فقال: مرحباً بمن توسل بنا إلينا وقضى حاجته ووجهه أن الرد بعد القبول يحبط الإنعام الأول والمنعم لا يسعى فيه وكأنه يقول ما رددتني حين ما كنت قوي القلب والبدن غير متعود بلطفك فلو رددتني الآن بعدما عودتني القبول مع نهاية ضعفي لتضاعف ألم قلبي وهلكته يقال سعد بحاجته إذا ظفر بها وشقي بها إذا خاب كذا في «تفسير الإمام» ثم بين أن ما يريده منتفع به في الدين فقال:

﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾ أي بعد موتي فلا بد لي من الخلف وهو متعلق بمحذوف ينساق إليه الذهن أي جور الموالي لا بخفت لفساد المعنى والجملة عطف على قوله أني وهن مترتب مضمونه على مضمونها فإن ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه من يلي أمره بعد موته ومواليه بنوا عمه وكانوا شرار بني إسرائيل فخاف أن لا يحسنوا خلافته في أمته ويبدلوا عليهم دينهم.

قال في «القاموس» المولى المالك والعبد والمعتق والصاحب والقريب كابن العم ونحوه والجار والحليف والابن والعم والنزيل والشريك وابن الأخت والولي والرب والناصر والمنعم والمنعم عليه والمحب والتابع والصهر انتهى. ﴿وكانت امرأتي﴾ هي ايشاع بنت فاقوذ بن فيل وهي أخت حنة بنت فاقوذ. قال الطبري وحنة هي أم مريم. وقال القتيبي امرأة زكريا هي ايشاع بنت عمران فعلى هذا القول يكون يحيى ابن خالة عيسى على الحقيقة وعلى القول الآخر يكون ابن خالة أمه وفي حديث الإسراء: «فلقيت ابني الخالة يحيى وعيسى» وهذا شاهد للقول الأول قاله الإمام السهيلي في كتاب «التعريف والإعلام» ﴿عاقرا﴾ أي: لا تلد من حين شبابها فإن العاقر من الرجال والنساء من لا يولد له ولد وكان سنها حينئذٍ ثماني وتسعين على ما اختاره الكاشفي ﴿فهب﴾ [پس ببخش] ﴿لي من لدنك﴾ كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما، فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازاً، ولدن في الأصل ظرف بمعنى أول غاية زمان أو مكان أو غيرهما من الذوات، أي اعطني من محض فضلك الواسع وقدرتك بطريق الاختراع لا

بواسطة الأسباب العادية فإني وامرأتي لا نصلح للولادة ﴿ولياً﴾ ولداً من صلبي يلي أمر الدين بعدي كما قال:

﴿يرثني﴾ صفة لوليا أي: يرثني من حيث العلم والدين والنبوة فإن الأنبياء لا يورثون المال كما قال عليه السلام: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة». فإن قلت وقد وصف الولي بالوراثة ولم يستجب له في ذلك فإن يحيى خرج من الدنيا قبل زكريا على ما هو المشهور. قلت: الأنبياء وإن كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات حسبما تقتضيه المشيئة الإلهية المبنية على الحكم البالغة ألا يرى إلى دعوة إبراهيم عليه السلام في حق أبيه وإلى دعوة النبي عليه السلام حيث قال: «وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعتها» وقد كان من قضائه تعالى أن يهبه يحيى نبياً مرضياً ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الأول دون الثاني ﴿ويرث من آل يعقوب﴾ بن إسحاق بن إبراهيم الملك يقال ورثه وورث منه لغتان. وآل الرجل خاصة الذين يؤول إليه أمرهم للقرابة أو الصحبة أو الموافقة في الدين. وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام أبو مريم وكان آل يعقوب أخوال يحيى بن زكريا. قال الكلبي: كان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الأحبار يومئذٍ فأراد أن يرث ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم ﴿واجعله﴾ أي: الولد الموهوب ﴿رب رضيا﴾ مرضياً عندك قولاً وفعلاً وتوسيط رب بين مفعولي الجعل كتوسيطه بين كان وخبرها فيما سبق لتحريك سلسلة الإجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل إذا أراد العبد أن يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من أسمائه وصفاته. واعلم أن الله تعالى لا يمكن العبد من الدعاء إلا لإجابته كلاً أو بعضاً كما وقع لزكريا:

هم زاول تو دهى ميل دعا ... تو دهى آخر دعاها را جزا

ترس وعشق توكمند لطف ماست ... زير هر يارب تو لبيكهاست

وفي الحديث: «من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة» وذلك لأن في الدعاء إظهار الذلة والافتقار وليس شيء أحب إلى الله من هذا الإظهار ولذا قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: كابدت العبادة ثلاثين سنة فرأيت قائلاً يقول لي: يا أبا يزيد خزائنه مملوءة من العبادات إن أردت الوصول إليه فعليك بالذلة والافتقار ولذا قال عند دخوله عالم الحقيقة:

چار جيز آورده ام شاهاكه دركنج تونيست ... نيستي وحاجت وعجز ونياز آورده ام

وعن بعض أهل المعرفة:

نعم السلاح الدعاء، ونعم المطية الوفاء، ونعم الشفيع البكاء، كما في «خالصة الحقائق» ثم إن الدعاء إما للدين أو للدنيا والأول مطمح نظر الكمل ألا ترى أن زكريا طلب من الله أن يكون من ذريته من يرث العلم الذي هو خير من ميراث المال لأن نظام العالم في العلم والعمل والصلاح والتقوى والعدل والإنصاف وفيه إشارة إلى أنه لا بد للكامل من مرآة يظهر فيها كمالاته ألا ترى أن الله تعالى خلق العوالم وبث فيها أسماءه الحسنى وجعل الإنسان الكامل في كل عصر مجلى أنواره ومظهر أسراره فمن أراد الوصول إلى الله تعالى فليصل إلى الإنسان الكامل فعليك بطلب خير الأول ليحيى به ذكرك إلى يوم التناد ومن الله رب العباد الفيض والإمداد والتوفيق لأسباب الوصول إلى المراد.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾﴾

﴿يا زكريا﴾ على إرادة القول أي: قال تعالى على لسان الملك يا زكريا كما قال في سورة آل عمران ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩] **﴿إنا نبشرك﴾** [ما بشارت ميدهيم ترا] والبشارة بكسر الباء الإخبار بما تظهر سروراً في المخبر **﴿بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا﴾** [همنام] أي: شريكاً له في الاسم حيث لم يسم أحد قبله بيحيى وهو شاهد بأن التسمية بالأسامي الغريبة تنويه للمسمى وإياها كانت العرب تعني لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النبز [در زاد المسير فرموده كه وجه فضيلت نه ازان رويست كه پيش ازو كسى مسمى بدين اسم نبوده چه بسيار آدمى بدين وجه يافت شودكه پيش ازو مسمى نبوده باشد پس فضيلت آنست كه حق سبحانه وتعالى بخود تولى تسميه او نموده به پدر ومادر حواله نكرد] كما أن زينب أم المؤمنين رضي الله عنها زوجها الله بالذات حبيبه عليه السلام حيث قال: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] ولذا كانت تفتخر بهذا على سائر الأزواج المطهرة: [وامام ثعلبي آورده كه ذكر قبل ازان فر مودكه بعد ازو كسى ظهور خواهد كردكه اورا بچند بن اسم خاص اختصاص دهد واسم سامى اورا ازنام همايون فرجام خود مشتق سازد] كما قال حسان رضي الله عنه.

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

اى خواجه كه عاقبت كارامتست محمود ازان شدست كه نامت محمداست

والأظهر أن يحيى اسم أعجمي وإن كان عربياً فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش. قيل سمي به لأنه حيى به رحم أمه أو حيى دين الله بدعوته أو حيى بالعلم والحكمة التي أوتيها. وفيه إشارة إلى أن من لم يحيه الله بنوره وعلمه فهو ميت أو حيى به ذكر زكريا كما أن آدم حيى ذكره بشيث ونوحاً حيي ذكره بسام وكذا الأنبياء الباقون ولكن ما جمع الله لأحد من الأنبياء في ولده قبل ولادة يحيى بين الاسم العلم الواقع منه تعالى وبين الصفة الحاصلة في ذلك النبي إلا لزكريا عناية منه إليه وهذه العناية إنما تعلقت به إذ قال: **﴿فهب لي من لدنك وليا﴾** فقدم الحق تعالى حيث كنى عنه بكاف الخطاب على ذكر ولده حين عبر عنه بالولي فأكرمه الله بأن وهبه ولياً طلبه وسماه بما يدل على صفة زكريا وهو حياة ذكره كذا قال الشيخ الأكبر قدس سره: قال الإمام السهيلي: في كتاب «التعريف والإعلام» كان اسمه في الكتاب الأول حيا وكان اسم سارة زوجة إبراهيم يسارة وتفسيرها بالعربية لا تلد فلما بشرت بإسحاق قيل لها سارة سماها بذلك جبريل فقالت يا إبراهيم لم نقص من اسمي حرف فقال ذلك إبراهيم لجبرائيل عليه السلام فقال: إن ذلك الحرف قد زيد في اسم ابن لها من أفضل الأنبياء واسمه حيا وسمي يحيى ذكره النقاش.

﴿قال﴾ استئناف مبني على السؤال كأنه فماذا قال زكريا حينئذٍ فقيل قال: **﴿رب﴾** ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى إليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل إليه تعالى والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم إن علمه بما صدر عنه متوقف على توسطه كما أن علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك في عامة

الأوقات ﴿أنى﴾ [چكونه] ﴿يكون لي غلام﴾ أي: كيف أو من أين يحدث لي غلام ﴿و﴾ الحال أنه قد ﴿كانت امرأتي عاقرا﴾ لم تلد في شبابها وشبابي فكيف وهي عجوز الآن ﴿وقد بلغت﴾ أنا ﴿من الكبر﴾ من أجل كبر السن ﴿عتيا﴾ يبوسة وجفافاً كالعود اليابس من قولهم عتا العود إذا يبس وعتا الشيخ إذا كبر وهرم وولى ويقال لكل شيء انتهى قد عتا وإنما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بأن المؤثر فيه كمال قدرته وأن الوسائط عند التحقيق ملغاة فأنى استعجاب واستبعاد من حيث العبادة لا من حيث القدرة.

قال الإمام فان قيل لم تعجب زكريا بقوله: ﴿أنى يكون لي غلام﴾ مع أنه طلبه قلنا تعجب من أن يجعلهما شابين ثم يرزقها الولد أو يتركهما شيخين ويلدان مع الشيخوخة يدل عليه قوله تعالى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠] أي: أعدنا له قوة الولادة انتهى. وفي «الأسئلة المقحمة» أراد من التي يكون منه هذا الولد أمن هذه المرة وهي عاقر أم من امرأة أخرى أتزوج بها أو مملوكة.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾

﴿قال﴾ الملك المبلغ للبشارة ﴿كذلك﴾ أي: الأمر كما قلت. وبالفارسية: [همجنين است كه توكفتى ازپيرى] وضعف أما ﴿قال ربك هو﴾ [اين كاركه آفريدن فرزنداست درين سن ازين دو شخص] مع بعده في نفسه ﴿علي﴾ [برقدت من خاصة] ﴿هين﴾ [آسانست] أرد عليك قوتك حتى تقوى على الجماع وأفتق رحم امرأتك بالولد كما في تفسير «الجلالين والكاشفي». وقال في «الإرشاد» الكاف في كذلك مقحمة كما في مثلك لا يبخل فمحلها النصب على أنه مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك إشارة إلى مصدره الذي هو عبارة عن الوعد السابق لا إلى قول آخر شبه هذا به وقوله: ﴿هو عليّ هين﴾ جملة مقررة للوعد المذكور دالة على إنجازه داخلة في حيز قال الأول كأنه قيل قال الله مثل ذلك القول البديع قلت: أي مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو عليّ خاصة هين وإن كان في العادة مستحيلاً ويجوز أن يكون محل الكاف في كذلك الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وذلك إشارة إلى ما تقدم من وعده تعالى أي: قال عز وعلا أمر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله: ﴿قال ربك﴾ استئناف. مقرر لمضمونه ﴿وقد خلقتك من قبل﴾ من قبل يحيى في تضاعيف خلق آدم ﴿ولم تك﴾ إذ ذاك ﴿شيئاً﴾ أصلاً بل عد ما صرفا فخلق يحيى من البشرين اهون من خلقك مفردا والمراد خلق آدم لأنه انموذج مشتمل على جميع الذرية.

قال الإمام وجه الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وقد خلقتك﴾ إلخ أن خلقه من العدم الصرف خلق للذات والصفات وخلق الولد من شيخين لا يحتاج إلا إلى تبديل الصفات والقادر على خلق الذات والصفات أولى أن يقدر على تبديل الصفات انتهى.

قال في «بحر العلوم» ولفظ الشيء عندنا يختص بالموجود وبالعكس، ونفي كون الشيء تقرير لعدمه فالآية دليل على أن المعدوم ليس بشيء.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾

﴿قال رب اجعل لي آية﴾ الجعل إبداعي وقيل بمعنى التصيير أي: علامة على وقوع الحبل لا تلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها وهذا السؤال ينبغي أن يكون بعدما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روي أن يحيى كان أكبر من عيسى بستة أشهر أو بثلاث سنين ولا ريب في أن دعاء زكرياء كان في صغر مريم لقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٨] وهي إنما ولدت عيسى وهي بنت عشر سنين أو ثلاث عشرة سنة كذا في «الإرشاد» والأسئلة المقحمة ﴿قال﴾ الله تعالى: ﴿آيتك أن لا تكلم الناس﴾ أي أن لا تقدر على أن تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح كما هو المفهوم من تخصيص الناس ﴿ثلاث ليال﴾ مع أيامهن للتصريح بها في سورة آل عمران ﴿سويا﴾ حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار أي: تمنع الكلام فلا تطيق به حال كونك سوى الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس قالوا: رجع تلك الليلة إلى امرأته فقربها ووقع الولد في رحمها فلما أصبح امتنع عليه الكلام الناس.

﴿فخرج﴾ صبيحة حمل امرأته ﴿على قومه من المحراب﴾ من المصلى أو من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرون أن يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا إذ خرج عليهم متغيراً لونه فأنكروه صامتاً وقالوا: ما لك يا زكريا ﴿فأوحى إليهم﴾ أي: أومأ إليهم لقوله تعالى: ﴿إِلَّا رَمۡزًا﴾ [آل عمران: ٤١] ﴿أن سبحوا﴾ أن إما مفسرة لأوحي أو مصدرية والمعنى أي: صلوا أو بأن صلوا ﴿بكرة﴾ هي من طلوع الفجر إلى وقت الضحى ﴿وعشيا﴾ هو من وقت زوال الشمس إلى أن تغرب وهما ظرفا زمان للتسبيح.

عن أبي العالية أن المراد بهما صلاة الفجر وصلاة العصر أو نزهوا ربكم طرفي النهار وقولوا سبحان الله ولعله كان مأموراً بأن يسبح شكراً ويأمر قومه بذلك كما في «الإرشاد».

يقول الفقير: هو الظاهر لأن معنى التسبيح في هذا الموضع تنزيه الله تعالى عن العجز عن خلق ولد يستبعد وقوعه من الشيخين لأن الله على كل شيء قدير وقد ورد في الاذكار «لكل أعجوبة سبحان الله».

وفي «التأويلات النجمية» في قوله: ﴿يا زكريا﴾ إلى ﴿بكرة وعشيا﴾ إشارة إلى بشارات:

منها: أنه تعالى ناداه باسمه زكريا وهذه كرامة منه.

ومنها: أنه سماه يحيى ولم يجعل له من قبل سميا بالصورة والمعنى أما بالصورة فظاهر وأما بالمعنى فإنه ما كان محتاجاً إلى شهوة من غير علة ولم يهمّ إلى معصية قط وما خطر بباله همها كما أخبر عن حاله النبي عليه السلام وفي قوله: ﴿لم نجعل له من قبل سميا﴾ إشارة إلى أنه تعالى يتولى تسمية كل إنسان قبل خلقه وما سمي أحد إلا بإلهام الله كما أن الله تعالى ألهم عيسى عليه السلام حين قال: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف: ٦] وفي قوله: ﴿قال رب أنى يكون لي غلام﴾ الآية، إشارة إلى أن أسباب حصول الولد منفية من الوالدين بالعقر والكبر وهي من السنة الإلهية فإن من السنة أن يخلق الله الشيء من الشيء كقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٨٥] ومن القدرة أنه تعالى يخلق الشيء من لا شيء فقال: ﴿أنى يكون لي غلام﴾ أي: أمن السنة أم من القدرة فأجابه الله تعالى بقوله: ﴿قال كذلك﴾ أي: الأمر لا يخلو من السنة أو القدرة وفي قوله: ﴿قال ربك هو عليّ هين﴾ إشارة إلى أن كلا الأمرين علي هين إن شئت أردّ عليكما أسباب حصول الولد من القوة على الجماع وفتق الرحم بالولد كما جرت

به السنة وإن شئت أخلق لك ولداً من لا شيء بالقدرة كما خلقتك من قبل ولم تك شيئاً أي: خلقت روحك من قبل جسدك من لا شيء بأمركن ولهذا قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] وهو أول مقدور تعلقت القدرة به، وفي «المثنوي»:

آب از جوشش همی کردد هوا ... وان هوا کردد ز سردی آبها
بلکه بی اسباب بیرون زین حکم ... آب رویانید تکوین از عدم
تو ز طفلی چون سببها دیده ... در سبب از جهل بر چفسیده

﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤﴾

﴿**يا يحيى**﴾ على إرادة القول أي: ووهبنا له يحيى وقلنا له يا يحيى. قال الكاشفي: [القصة سه روز بدين منوال كذشت پس بحال خود آمد ويحيى عليه السلام بعد از مضى مدت حمل متولد شد ودر كوذكى پلاس پوشيده بااحبار عبادت بطريق رياضت موافقت مى نمود تا وقتى كه وحى بدو فرود آمد وازحق سبحانه وتعالى خطاب رسيدكه يا يحيى] ﴿**خذ الكتاب**﴾ أي: التوراة ﴿**بقوة**﴾ بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد. قال في «الجلالين» أي: أعطيتكها وقويتك على حفظها والعمل بما فيها. قال المولى الجامي في «شرح الفصوص»: لولا إمداد الحق زكريا وزوجته بقوة غيبية ربانية خارجة عن الأسباب المعتادة ما صلحت زوجته ولا تيسر لها الحمل ثم إنه كما سرت تلك القوة من الحق في زكريا وزوجته تعدت منهما إلى يحيى ولذلك قال له الحق ﴿**يا يحيى خذ الكتاب بقوة**﴾. قال في «الأسئلة المقحمة»: أي: دليل فيها على المعتزلة؟ الجواب أنه دليل على أن الاسم والمسمى واحد لأنه تعالى قال: ﴿**اسمه يحيى**﴾ ثم نادى الشخص فقال: ﴿**يا يحيى**﴾ ﴿**وآتيناه الحكم**﴾ حال كونه ﴿**صبيا**﴾. قال ابن عباس: الحكم النبوة استنبأه الله تعالى وهو ابن ثلاث سنين أو سبع وإنما سميت النبوة حكماً لأن الله تعالى أحكم عقله في صباه وأوحى إليه. وقيل: الحكم الحكمة وفهم التوراة والفقه في الدين فهو بمعنى المنع ومنه الحاكم لأنه يمنع الظالم من الظلم والحكمة ما يمنع الشخص من السفه.

ـ روي ـ أنه دعاه الصبيان إلى اللعب فقال: ما للعب خلقنا. قال الكاشفي: [درين سخن پندى عظيم است بيخبرانِ بازيچه كاه غفلت راكه عمر عزيز ببازى ميكذرانند وبدام فريب ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ﴾ [محمد: ٣٦] مقيد شده اند]:

عمر ببازيجه بسر ميبرى ... پاى باندازه بدر ميبرى
به كه زبازىء جهان پاكشى ... طفل نه چند ببازى خوشى

يقول الفقير: مثل يحيى عليه السلام في هذه الأمة المرحومة الشيخ العارف المحقق سهل بن عبد الله التستري قدس سره فإنه تم له أمر السلوك من ثلاث سنين إلى سبع سنين كما سمعت من شيخي وسندي روح الله روحه يعني وقع له الانكشاف والإلهام وظهر له الحال التام وهو ابن ثلاث سنين فكان ما كان إلى سبع فسبحان القادر وهذا من لطافة الحجاب وأما من كان كثيف الحجاب فيحتاج في إزالته إلى مجاهدات شاقة في مدة طويلة.

واعلم أن روح الكامل سريع التعلق ببدنه يعني أن مادة النطفة تصل سريعاً إلى الأبوين

فيحصل العلوق والولادة على أحسن وصف وفي أعدل زمان فيجيء الولد غالباً عليه أحكام الوجوب اللهم أعنا على إزالة الحجب الظلمانية والنورانية واجعلنا مكاشفين للأنوار الربانية.

﴿**وحنانا من لدنا**﴾ عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق يقال حنّ أي: ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة أي: وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا أو رحمة في قلبه وشفقة على أبويه وغيرهما ﴿**وزكاة**﴾ أي: طهارة من الذنوب. قال الإمام: لم تدعه شفقته إلى الإخلال بواجب لأن الرأفة ربما أورثت ترك الواجب ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢] فالمعنى جمعنا له التعطف عليهم مع الطهارة عن الإخلال بالواجبات انتهى. أو صدقة أي: تصدق الله به على أبويه أو وفقناه للتصدق على الناس ﴿**وكان تقيا**﴾ مطيعاً متجنباً عن المعاصي لم يعمل خطيئة ولم يهم بها قط.

﴿**وبرا بوالديه**﴾ عطف على تقيا أي: باراً بهما لطيفاً بهما محسناً إليهما ﴿**ولم يكن جبارا عصيا**﴾ متكبراً عاقاً لهما أو عاصياً لربه. قال في «بحر العلوم» الجبار المتكبر وقيل هو الذي يضرب ويقتل على الغضب لا ينظر في العواقب وقيل هو المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

﴿**وسلام**﴾ سلامة من الله تعالى وأمان ﴿**عليه**﴾ على يحيى أصله وسلمنا عليه في هذه الأحوال وهي أوحش المواطن لكن نقل إلى الجملة الاسمية للدلالة على ثبات السلام واستقراره فإن وحشتها لا تكاد تزول إلا بثبات السلام فيها ودوامه ﴿**يوم ولد**﴾ من رحم أمه من طعن الشيطان كما يطعن سائر بني آدم ﴿**ويوم يموت**﴾ بالموت الطبيعي من هول الموت وما بعده من عذاب القبر ﴿**ويوم يبعث**﴾ حال كونه ﴿**حياً**﴾ من هول القيامة وعذاب النار. وفيه إشارة إلى الولادة من أم الطبيعة والموت بالفناء عن مقتضيات الطبيعة في الله والبعث بالبقاء بعد الفناء. وقال ابن أبي عيينة أوحش ما يكون الإنسان في هذه الأحوال يوم ولد فيخرج مما كان ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم ير مثله فخص يحيى بالسلام في هذه المواطن.

واعلم أن زكريا إشارة إلى الروح الإنساني وامرأته إلى الجثة الجسدانية التي هي زوج الروح ويحيى إلى القلب وقد استبعد الروح بسبب طول زمان التعلق بالقالب أن يتولد له قلب قابل لفيض الألوهية بلا واسطة كما قال: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن» وهو الفيض الأزلي لم يؤت لواحد من الحيوانات والملائكة كما قال المولى الجامي:

ملائك را چه سود از حسن طاعت چو فيض عشق بر آدم فرو ريخت

ثم إنه لما بشر بولادة القلب الموصوف بما ذكر طلب آية يهتدي بها إلى كيفية حمل القالب العاقر بالقلب الحي الذي حيي بنور الله تعالى قال: ﴿**آيتك أن لا تكلم الناس**﴾ أي: لا تخاطب غير الله ولا تلتفت إلى ما سوى الله ثلاث ليال وبها يشير إلى مراتب ما سوى الله وهي ثلاث: الجمادات، والحيوانات، والروحانيات، فإذا تقرب إلى الله تعالى بعدم الالتفات إلى ما سواه يتقرب إليه بموهبة الغلام الذي هو القلب الحي بنوره فخرج زكريا الروح من محراب هواه وتبعه على قوم صفات نفسه وقلبه وأنانيته فقال: كونوا متوجهين إلى الله معرضين عما سواه آناء

الليل وأطراف النهار بل بكرة الأزل وعشيّ الأبد فلما ولد له يحيى القلب قيل له يا يحيى خذ كتاب الفيض الإلهي بقوّة ربانية لا بقوّة إنسانية لأنه خلق الإنسان ضعيفاً وهو عن القوة بمعزل وأن الله هو الرزاق ذو القوّة المتين فجاء صاحب علم وحكمة ورحمة وطهارة من الميل إلى ما سوى الله واتقاء **﴿وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا﴾** كالنفس الأمارة بالسوء أما بره بوالد الروح فتنويره بنور الفيض الإلهي إذ هو محل قبول الفيض لأن الفيض الإلهي وإن كان نصيب الروح أو لا ولكن لا يمسكه للطافة الروح بل يعبر عنه الفيض ويقبله القلب ويمسكه لأن فيه صفاء وكثافة فبالصفاء يقبل الفيض وبالكثافة يمسكه كما لا هي أن الشمس فيضها يقبل الهواء لصفائه ولكن لا يمسكه للطافة الهواء فأما المرة فتقبل فيضها بصفائها وتمسكه لكثافتها وهذا أحد أسرار حمل الأمانة التي حملها الإنسان ولم تحملها الملائكة وأما برّه بوالدة القالب فباستعمالها على وفق أوامر الشرع ونواهيه لينجيها من عذاب القبر ويدخلها الجنة كذا في «التأويلات النجمية» باختصار. قال بعض الأولياء: كنت في تيه بني إسرائيل فإذا رجل يماشيني فتعجبت منه وألهمت أنه الخضر فقلت له: بحق الحق من أنت؟ قال: أنا أخوك الخضر فقلت له: أريد أن أسألك قال: سل قلت: بأي وسيلة رأيتك؟ قال: ببرك أمك كما في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي. فعلى العاقل أن يكون باراً بوالديه مطلقاً أنفسين أو أفاقيين فإن البر يهدي إلى الجنة ودار الكرامة ويبشر في شدائد الأحوال بالأمن والأمان وأنواع السلامة.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾﴾

﴿واذكر﴾ يا محمد للناس **﴿في الكتاب﴾** أي: القرآن أو السورة الكريمة فإنها بعض من الكتاب فصح إطلاقه عليها **﴿مريم﴾** على حذف المضاف أي: خبر بنت عمران وقصتها فإن الذكر لا يتعلق بالأعيان ومريم بمعنى العابدة قال بعض العلماء في حكمة ذكر مريم باسمها دون غيرها من النساء أن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في ملأ ولا يبتذلون أسماءهن بل يكنون عن الزوجة بالعرس والعيال والأهل ونحو ذلك فإذا ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر والتصريح بها فلما قالت النصارى في حق مريم ما قالت وفي ابنها صرح الله تعالى باسمها ولم يكنّ عنها تأكيداً للأموّة والعبودية التي هي صفة لها وإجراء للكلام على عادة العرب في ذكر إمائها ومع هذا فإن عيسى عليه السلام لا أب له واعتقاد هذا واجب فإذا تكرر ذكره منسوباً إلى الأم استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفي الأب عنه وتنزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله تعالى كذا في «التعريف والإعلام» للإمام السهيلي. وقال في «أسئلة الحكم»: سميت مريم في القرآن باسمها لأنها أقامت نفسها في الطاعة كالرجل الكامل فذكرت باسمها كما يذكر الرجال من موسى وعيسى ونحوهما عليهم السلام وخوطبت كما خوطب الأنبياء كما قال تعالى: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: ٤٣] ولذا قيل: بنبوتها **﴿إذ انتبذت﴾** ظرف لذلك المضاف من النبذ وهو الطرح والانتباذ افتعال منه **﴿من أهلها﴾** من قومها متعلق بانتبذت **﴿مكانا شرقيا﴾** مفعول له باعتبار ما في ضمنه من معنى الإتيان. قال الحسن ومن ثمة اتخذ النصارى المشرق قبلة كما

اتخذ اليهود المغرب قبلة لأن الميقات وإيتاء التوراة واقعاً في جانب الجبل الغربي كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤] والمعنى حين اعتزلت وانفردت وتباعدت من قومها وأتت مكاناً شرقياً من دار خالتها ايشاع زوجة زكريا فإن موضعها كان المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها وإذا طهرت عادت إلى المسجد فاحتاجت يوماً إلى الاغتسال وكان الوقت وقت الشتاء فجاءت إلى ناحية شرقية من الدار وموضع مقابل للشمس.

﴿فاتخذت من دونهم﴾ أي: أرخت من أدنى مكان أهلها. قال الكاشفي: [از پيش ايشان يعني از سوى ايشان] ﴿حجابا﴾ ستراً تتستر به. قال الكاشفي: [پرده كه مانع باشد ازديدن] فبينما هي في مغتسلها وقد تطهرت ولبست ثوبها أتاها الملك في صورة آدمي شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى: ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ أي: جبريل فإنه كان روحانياً فأطلق عليه الروح للطافته مثله ولأن الدين يحيى به. وقال بعض الكبار جبرائيل هو الروح حقيقة باعتبار حقيقته المجردة مجازاً باعتبار صورته المثالية ومن خصائص الأرواح المجردة التي من صفاتها الذاتية الحياة ومن شأنها التمثل بالصور المثالية لأنها لا تمس شيئاً في حال تمثلها إلا حيى ذلك الشيء وسرت منها الحياة فيه ولذا قبض السامري قبضة تراب من أثر ب اف جبرائيل فنبذها في صورة العجل المتخذة من حلي القوم فخار العجل بسراية الحياة فيه وقيل سماه روحاً مجازاً محبة له وتقريباً كقولك أنت روحي لمن تحب ﴿فتمثل لها﴾ [پس متمثل شد جبريل براى مريم] يعني فتشبه لأجلها فانتصاب قوله: ﴿بشرا﴾ على أنه مفعول به ﴿سويا﴾ تام الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئاً وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقي إليها من كلماته تعالى إذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع استماع كلامه ولأنه جاء للنفخ المنتج للبشر فتمثل بشراً ولو جاء على صورة الملك لجاء عيسى على صورة الروحانيين كما لا يخفى. وفيه إشارة إلى أن القربان بعد الطهر التام أطهر والولد إذن أنجب فافهم.

وفي «التأويلات»: الروح هو نور كلمة الله التي يعبر عنها بقوله كن وإنما سمي نور كلمته روحاً لأنه به يحيى القلوب الميتة كما قال: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾] [الأنعام: ١٢٢] الآية فتارة يعبر عن الروح بالنور وتارة يعبر عن النور بالروح كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] الآية فأرسل الله إلى مريم نور كلمة كن فتمثل لها بشراً سوياً كما تمثل نور التوحيد بحروف لا إله إلا الله والذي يدل على أن عيسى من نور الكلمة قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] أي: نور من لقائه فلما تمثلت الكلمة بالبشر أنكرتها مريم ولم تعرفها فاستعاذت بالله منه.

﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك﴾ يا شاب ذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها. قال في «الكشاف»: دل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة ﴿إن كنت تقيا﴾ تتقي الله وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرك محذوف ثقة بدلالة السياق عليه أي: فإني عائذة به. وقال الكاشفي: [يعني تومتقى ومتورعى من از توپر هيز ميكنم وپناه بحق ميبرم فكيف كه چنين نباشى]. قال الشيخ في تفسيره: وإنما قالت ذلك لأن التقي يتعظ بالله ويخاف والفاسق يخوف

بالسلطان والمنافق يخوف بالناس كما قال في «التأويلات النجمية» يعني: أنك إن كنت تقياً من أهل الدين تعرف الرحمن فلا تقربني بعوذي به وإن كنت شقياً لا تعرف الرحمن فأتعوذ منك بالخلق فأجابها.

﴿قال إنما أنا رسول ربك﴾ يريد أني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وإنما أنا رسول ربك الذي استعذت به ﴿لأهب لك غلاما﴾ أي: لأكون سبباً في هبته بالنفخ في الدرع ﴿زكيا﴾ طاهراً من الذنوب ولوث الظلمة النفسانية الإنسانية.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾

﴿قالت﴾ استبعاداً ظاهراً أي: متعجبة من حيث العادة لا مستبعدة من حيث القدرة ﴿أنى يكون لي﴾ [چكونه بودمرا] ﴿غلام﴾ كما وصف ﴿ولم يمسسني بشر﴾ أي: والحال أنه لم يباشرني بالنكاح رجل فإن المس كناية عن الوطء الحلال أما الزنى فإنما يقال خبث بها أو فجر أو زنى وإنما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها عن مبادي الولادة ﴿و﴾ الحال أنه ﴿لم أك بغيا﴾ فعول بمعنى الفاعل أصله بغوياً. قال الشيخ في «تفسيره»: ولم يقل بغية لأنه وصف غالب على المؤنث كحائض أي: فاجرة تبغي الرجال. وبالفارسية [زنا كار وجوينده فجور] يريد نفي الوطء مطلقاً وأن الولد إما من النكاح الحلال أو الحرام أما الحلال فلأنها لم يمسها بشر وأما الحرام فلأنها لم تك بغيا فإذا انتفى السببان جميعاً انتفى الولد.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولم يمسسني بشر﴾ قبل هذا ﴿ولم أك بغيا﴾ ليمسسني بشر بعد هذا بالزنى أو بالنكاح لأني محررة محرم عليّ الزوج.

﴿قال كذلك﴾ أي: الأمر كما قلت. وبالفارسية: [يعني چنين است كه توميكويى هيچ كس بنكاح وسفاح ترامس نكرده است] فأما ﴿قال ربك﴾ الذي أرسلني إليك ﴿هو﴾ أي: ما ذكرت من هبة الغلام من غير أن يمسك بشر أصلاً ﴿علي﴾ خاصة ﴿هين﴾ يسر وإن كان مستحيلاً عادة لما أني لا أحتاج إلى الأسباب والوسائط.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿قال كذلك﴾ الذي تقولين ولكن ﴿قال ربك هو علي هين﴾ أن أخلق ولداً من غير ماء منيّ والد فإني أخلقه من نور كلمة كن كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩] ﴿ولنجعله﴾ أي: ونفعل ذلك لنجعل وهب الغلام ﴿آية للناس﴾ وبرهاناً يستدلون بها على كمال قدرتنا فالواو اعتراضية أو لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله الخ.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿آية﴾ أي: دلالة على قدرتي بأني قادر على أن أخلق ولداً من غير أب كما أني خلقت آدم من غير أب وأم وخلقت حواء من غير أم ﴿ورحمة﴾ عظيمة كائنة ﴿منا﴾ عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بإرشاده وبين قوله: ﴿ورحمة منا﴾ وقوله: ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾ فرق عظيم وهو أنه تعالى إذا أدخل عبداً في رحمته يرحمه ويدخله الجنة ومن جعله رحمة منه يجعله متصفاً بصفته وكذا بين قوله: ﴿رحمة منا﴾ وقوله في حق نبينا عليه السلام ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] أبداً أما في الدنيا فبأن لا ينسخ دينه وأما في الآخرة فبأن يكون الخلق محتاجين إلى شفاعته حتى إبراهيم عليه السلام فافهم جداً كذا في «التأويلات

النجمية» ﴿وكان﴾ خلقه بلا فحل ﴿أمرا مقضيا﴾ قضيت به في سابق علمي وحكمت بوقوعه لا محالة فيمتنع خلافه فلا فائدة في الحزن وهو معنى قوله: «من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب». يقول الفقير: ذلك أن العلم تابع للمعلوم فكل ما يقتضيه من الأحوال فالله تعالى يظهره بحكمته وخلق عيسى عليه السلام على الصفة المذكورة كان في الأزل بمقتضى الحكمة القديمة مقدراً فجميع الأعيان وما يتبعها من الأحوال المختلفة داخلة تحت الحكمة فمن كوشف عن سر هذا المقام هانت عليه المصائب والآلام إذ كل ما نبت في مزرعة الوجود الخارجي فهو من بذر الحكم الأزلي على حسب تفاوت الاستعدادات كتفاوت المزارع فمن وجد خيراً فيحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، قال الحافظ:

نمى كنم كله ليكن ابر رحمت دوست   بكشت زار جكر تشنكان نداد نمى

أي: لا أشتكي من هذا المعنى فإنه من مقتضى ذاتي، وقال:

درين چمن مكنم سرزنش بخود رويى   چنانكه پرورشم ميدهند ميرويم

أي: لا تثريب عليّ في هذا المعنى فإنه من قضاء الله تعالى. قال الإمام أبو القاسم القشيري قدس سره: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول في آخر عمره وقد اشتدت به العلة من أمارات التأييد حفظ التوحيد في أوقات الحكم ثم قال كالمفسر لفعله مفسراً لما كان فيه من حاله هو أن يقرضك بمقاريض القدرة في إمضاء الأحكام قطعة قطعة وأنت شاكر حامد انتهى. فقصة مريم من جملة أحكام الله تعالى ولذا عرفت الحال لأنها كانت صديقة وصبرت على أذى القوم وشماتتهم وفي الحديث: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه» فالواجب على العبد الحمد على البلية لما تضمنته من النعمة فإن فقد فالصبر وكلاهما من طريق العبودية وإذا وقف مع الجزع المستفاد من وجود الشفقة على نفسه فهو من غلبة الهوى. قال أحمد بن حضرويه قدس سره الطريق واضح والدليل لائح والداعي قد أسمع فما التحير بعد هذا إلا من العمى وفي الحديث خطاباً لابن عباس رضي الله عنهما «إن استطعت أن تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل وإلا ففي الصبر على ما تكره خير كثير». قال في «شرح الحكم العطائية» ثم إذا تأملت ظهر لك أن التحقق بالمعرفة منطو في وجود البلايا إذ ليست المعرفة إلا بتحقق أوصافه تعالى حتى يفنى في أوصافه كل شيء من وجودك فلا يبقى لك عز مع عزه ولا غنى مع غناه ولا قدرة مع قدرته ولا قوة مع قوته وهذا يتحقق لك بوجود البلية إذ هي مشعرة بقهر الربوبية فافهم هذا وفقنا الله وإياكم للتحقق بحقيقة الحال والتمكن في مقام الصبر والحمد على جميع الأحوال، وفي «المثنوي»:

صد هزاران كيميا حق آفريد   كيميايى همچو صبر آدم نديد

وذلك لأن بالبلاء تحترق الأوصاف الرديئة الخلقية وبالصبر يحصل الأخلاق الإلهية والصفات الحقية.

﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾

﴿فحملته﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنهما - فاطمأنت مريم إلى قول جبريل فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت عيسى عقيب النفخ. يقول الفقير:

وصول النفخ إلى الجوف لا يحتاج إلى منفذ من المنافذ كالفم ونحوه ألا ترى أن الروح حين دخل جسد آدم دخل من اليافوخ وهو وسط الرأس إذا اشتد وقبل اشتداده كما في رأس الطفل يقال له الفادية بالفاء ثم نزل إلى العينين ثم إلى الفم ثم إلى سائر الأعضاء.

واعلم أن لعيسى عليه السلام جهة جسمانية وجهة روحانية وأحدية جمع للجهتين فإذا نظر إلى جهة الجسمانية يظن أنه تكون من ماء مريم وإذا نظر إلى جهة الروحانية وآثارها من إحياء الموتى وخلق الطير من الطين يحكم أنه من نفخ جبريل وإذا نظر إلى أحدية جمعها يقال إنه تكون منهما فالتحقيق أن الملك لما تمثل لها بشراً سوياً نزل الماء منها إلى الرحم لشدة اللذة بالنظر إليه فتكون عيسى من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة منها فهو من ماء أمه فقط خلافاً للطبيعيين فإنهم ينكرون وجود الولد من ماء أحد الزوجين دون الآخر. فإن قلت: قد ثبت أن ماء الرجل يكون منه العظم والعصب وماء المرأة يكون منه اللحم والدم فكيف جاء عيسى مركباً من هذه الأجزاء؟ قلت: خروجه على الصورة البشرية كامل الأجزاء إنما هو من أجل أمه لأن ماءها محقق ومن أجل تمثل جبريل في صورة البشر فإنه إنما مثل في صورة البشر حتى لا يقع التكوين في هذا النوع الإنساني إلا على الحكم المعتاد الذي جرت به العادة غالباً وهو تولده من شخصين إنسانين وقد توهمت في النفخ الماء فحصل الماء المتوهم أيضاً ووجود بعض الأشياء قد يترتب على توهمه كترتب السقوط عن الجذع على توهمه ولأجل تكونه من نفخ جبريل طالت إقامته في صورة البشر لأن للأرواح صفة البقاء.

- روي - أن مولد عيسى عليه السلام كان قبل مولد نبينا عليه السلام بخمسمائة وخمس وخمسين سنة وقد بقي بعد وسينزل ويدعو الناس إلى دين نبينا عليه السلام. قال بعض الكبار: لو لم يتمثل جبريل عند النفخ بالصورة البشرية لظهر عيسى على صورة الروحانيين ولو نفخ فيها وقت الاستعاذة على الحالة التي كانت عليها من تحرّج صدرها وضجرها لتخيلها أنه بشر يريد مواقعتها على وجه لا يجوز في الشرائع لخرج عيسى بحيث لا يطيقه أحد لشكاسة خلقه أي: رداءته لسراية حال أمه فيه لأن الولد إنما يتكوّن بحسب ما غلب على الوالدين من المعاني النفسانية والصور الجسمانية. نقل في الأخبار: أن امرأة ولدت ولداً صورته صورة البشر وجسمه جسم الحية فلما سئلت عنها أخبرت أنها رأت حية عند المواقعة، وأن امرأة ولدت ولداً له عين أربع ورجلان كرجل الدب وكانت قبطية جامعها زوجها وهي ناظرة إلى دبين كانا عند زوجها فلما قال لها جبريل: **﴿إنما أنا رسول ربك﴾** جئت من عنده **﴿لأهب لك غلاما زكيا﴾** انبسطت عن ذلك القبض لما عرفت أنه مرسل إليها من عند ربها وانشرح صدرها لما تذكرت بشارة ربها إياها بعيسى ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران: ٤٥] فنفخ فيها في حين الانبساط والانشراح فخرج عيسى منبسطاً منشرح الصدر لسراية حال أمه فيه. ولذا قالوا: يتفكر عند الجماع الأقوياء ويمثل بين عينيه صورة رجل على أحسن خلقة وأقوم جثة وأفضل خلق وأكمل حال قالوا: حملته وسنها وقتئذٍ ثلاث عشرة سنة وقد حاضت حيضتين قبل أن تحمل. واختلف في مدة حملها كما اختلف في مدة حمل آمنة والدة النبي عليه السلام. ففي رواية عن ابن عباس كانت مدة الحمل والولادة ساعة واحدة وجعله بعضهم أصح لأن عيسى كان مبدعاً ولم يكن من نطفة يدور في أدوار الخلقة ويؤيده عطف قوله **﴿فانتبذت به﴾** بالفاء التعقيبية.

يقول الفقير: القول بأن مثل هذه الفاء قد يدل على ترتيب الحكم وعدم تكونه من نطفة ظاهرة البطلان لأنه من ماء محقق وماء متوهم كما سبق وكونه من المبدعات بلا سبب ظاهر لا يستلزم أن يكون جميع أحواله بطريق خرق العادة. وفي رواية أخرى عنه كانت تسعة أشهر كحمل أكثر النساء إذ لو كان أقل لذكر هٰهنا في جملة مدائحها وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى وكان ذلك آية أخرى. قال الحكماء في بيان سبب ذلك: أن الولد عند استكماله سبعة أشهر يتحرك للخروج حركة عنيفة أقوى من حركته في الشهر السادس فإن خرج عاش وإن لم يخرج استراح في البطن عقيب تلك الحركة المضعفة فلا يتحرك في الشهر الثامن ولذلك تقل حركته في البطن في ذلك الشهر فإذا تحرك للخروج وخرج فقد ضعف غاية الضعف فلا يعيش لاستيلاء حركتين مضعفتين له مع ضعفه. وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره لم أر للثمانية صورة في نجوم المنازل ولهذا كان المولود إذا ولد في الشهر الثامن يموت ولا يعيش وعلى فرض أن يعيش يكون معلولاً لا ينتفع بنفسه وذلك لأن الشهر الثامن يغلب فيه على الجنين البرد واليبس وهو طبع الموت ﴿**فانتبذت به**﴾ الباء للملابسة والجار والمجرور في حيز النصب على الحالية أي: فاعتزلت ملتبسة به أي: وهو في بطنها كقوله تنبت بالدهن أي: تنبت ودهنها فيها ﴿**مكانا قصيا**﴾ مفعول انتبذت على تضمين معنى الإتيان كما سبق أي: أتت مكاناً بعيداً من أهلها. قال الكاشفي: [مكاني دورزر شهر ايليا كويند بكوهى رفت درجانب شرقي از شهريا بوادى بيت لحم كه شش ميل دور بود از ايليا] وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ في حديث الإسراء: «فقال لي جبريل أنزل فصلِ فصليت فقال: أتدري أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى ابن مريم» وهو حديث صحيح أو حسن رواه النسائي والبيهقي في «دلائل النبوة» أو أقصى الدار وهو الأنسب لقصر مدة الحمل كما في «الإرشاد». وقال في «قصص الأنبياء»: لما دنت ولادة مريم خرجت في جوف الليل من منزل زكريا إلى خارج بيت المقدس وأحبت أن لا يعلم بها زكريا ولا غيره.

﴿**فأجاءها**﴾ تعدية جاء بالهمزة أي: جاء بها واضطرها ﴿**المخاض**﴾ وجع الولادة. وبالفارسية [درد زادن] يقال مخضت المرأة إذا تحرك الولد في بطنها للخروج ﴿**إلى جذع النخلة**﴾ لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة إذ لم تكن لها قابلة تعينها. وقال في القصص: رأت نخلة يابسة في جوف الليل فجلست عند أصلها.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة**﴾ لإظهار المعجزة في الجذع انتهى. والجذع ما بين العرق والغصن أي: أسفلها ما دون الرأس الذي عليه الثمر وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء ولعله تعالى ألهمها ذلك ليريها من آياته ما يسكن روعتها فإن النخلة اليابسة التي لا رأس لها قد أثمرت في الشتاء وهي أقل شيء صبراً على البرد وثمرها إنما هو من جمارها بعد اللقاح والجمار رأس النخلة وهو شيء أبيض لين وليطعمها الرطب الذي هو خرست النفساء الموافقة لها والخرسة بالتاء طعام النفساء وبدونها طعام الولادة ﴿**قالت يا ليتني مت**﴾ [كفت كاشكى من مردمى] وهو بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرىء بضمها من مات يموت ﴿**قبل هذا**﴾ اليوم أو هذا الأمر كما في «الجلالين» وإنما قالته مع أنها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل من الوعد الكريم استحياء من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله وخوفاً من ملامتهم وحذراً من وقوع

الناس في المعصية بما تكلموا فيها أو جرياً على سنن الصالحين عند اشتداد الأمر عليهم كما روي عن عمر رضي الله عنه أنه أخذ تبنة من الأرض فقال: يا ليتني هذه التبنة ولم أكن شيئاً وعن بلال أنه قال: ليت بلالاً لم تلده أمه.

فقولي تارة يا رب زدني وأخرى ليت أمي لم تلدني

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿قبل هذا﴾ أي: قبل هذا الحمل فإنه بسبب حملي وولدي يدخل الله النار خلقاً عظيماً لأن بعضهم يتهمني بالزنى وبعضهم يتهم ولدي بابن الله ﴿وكنت﴾ [وبودمى] ﴿نسيا﴾ شيئاً حقيراً شأنه أن ينسى ولا يعتد به أصلاً ﴿منسيا﴾ لا يخطر ببال أحد من الناس وهو نعت للمبالغة.

وفي «التأويلات»: ﴿نسيا منسيا﴾ في العدم لا يذكرني الله بالإيجاد. وقال الكاشفي: [يعني هيچكس مرا ندانستى وازمن حساب نداشتى وحال آنكه همه اخبار بيت المقدس مرامى شناسندكه دختر امام ايشانم در كفالت زكريا بوده ام وهنوز بكارت من زائل نشده وشوهرى نكرده ام واكنون فرزند مى زايم واز خجالت آن حال نمى دانم چه كنم]:

هرچند بروى كار درمينكرم محنت زده چوخود نمى بينم من

﴿فناداها﴾ أي: جبرائيل حين سمع جزعها لأن عيسى لم يتكلم حتى أتت به قومها ﴿من تحتها﴾ من مكان أسفل منها تحت الأكمة. وقال في «القصص»: من تحت النخلة. وفي «الأسئلة المقحمة» قرىء بفتح الميم يعني به عيسى لما خرج من البطن ناداها ﴿أن لا تحزني﴾ أن مفسرة بمعنى أي: لا تحزني بولادة عيسى وبمكان القحط [وتمناى مرك مكن] أو مصدرية على حذف الباء تقديره بأن لا تحزني. والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار ﴿قد جعل ربك تحتك﴾ أي: في مكان أسفل منك ﴿سريا﴾ نهراً صغيراً على ما فسره النبي عليه السلام. قال ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل ضرب برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولاً. وقال بعض أرباب الحقيقة: أنبأ عيسى عن نبوته في المهد بقوله: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ [مريم: ٣٠] وفي بطن أمه بقوله: ﴿لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا﴾ أي: سيداً على القوم بالنبوة انتهى. فيكون من السرو وهو السؤدد.

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾﴾

﴿وهزي﴾ هز الشيء تحريكه إلى الجهات المتقابلة تحريكاً عنيفاً متداركاً والمراد هٰهنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله: ﴿إليك﴾ أي: إلى جهتك ﴿بجذع النخلة﴾ الباء صلة للتأكيد كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] قال الفراء: تقول العرب هزه وهز به ﴿تساقط﴾ أي: تسقط النخلة ﴿عليك﴾ إسقاطاً متواتراً حسب تواتر الهز ﴿رطبا﴾ [خرماى تازه] ﴿جنيا﴾ وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول أي: رطباً مجنياً أي: صالحاً للاجتناء قد بلغ الغاية. قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف أمرها بهز النخلة هٰهنا وقبل ذلك كان زكريا يجد رزقها في المحراب فالجواب أنها في حالة الطفولية كانت بلا علاقة أوجبت العناء والمشقة. وقال في «أسئلة الحكم» ما الحكمة في أمرها بالهز قيل لأنها تعجبت من ولد بغير أب فأراها الرطب من نخل يابس آية منه تعالى كيلا تتعجب منه. وأما سر كون الآية في النخلة فلأنها خلقت من طينة آدم وفيها نسبة معنوية لحقيقة الإنسانية دون غيرها لعدم حصولها بغير

زوج ذكر يسمى بالتأبير وقال: لم أجرى الله النهر بغير سعي مريم ولم يعطها الرطب إلا بسعيها؟ قيل: لأن الرطب غذاء وشهوة والماء سبب للطهارة والخدمة وقيل ثمرة الرطب صورة العمل الكسبي والماء صورة سر الفيض الإلهي فأجرى كل شيء في منزله ومقامه لأن كل كرامة صورة عمل السالك إذا تحقق وتخلق به وقيل جرت عادة الله تعالى في الرطب بأسباب التعمل كالغرس والسقي والتأبير والماء ليس له سبب أرضي بل هو وهبي سماوي ولذا أجرى النهر لمريم بغير سبب.

﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾

﴿فكلي﴾ من ذلك الرطب **﴿واشربي﴾** من ماء السري وكان ذلك إرهاصاً لعيسى أو كرامة لأمه وليس بمعجزة لفقد شرطها وهو التحدي كما في «بحر العلوم». قال الإمام في تفسيره قدم الأكل لأن حاجتها إليه أشد من حاجتها إلى الماء لكثرة ما سال منها من الدماء. فإن قيل مضرة الخوف أشد لأنه ألم الروح والجوع والعطش ألم البدن ونقل أنه أجيع شاة ثم قدم إليها العلف وربط عندها ذئب فلم تأكل ثم أبعد الذئب وكسر رجلها فتناولت فدل على أن ألم الخوف أشد فلم أخر الله سبحانه دفع ضرره. قلنا: كان الخوف قليلاً لبشارة جبريل فلم يحتج إلى التذكير مرة أخرى انتهى. قالوا: التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وهو بالفارسية [كام كودك بماليدن] يقال حنك الصبي مضغ تمراً أو غيره فدلكه بحنكه وقالوا: كان من العجوة وهي بالحجاز أم التمر كما في «القاموس» وفي الحديث: «إذا ولدت امرأة فليكن أول ما تأكل الرطب فإن لم يكن رطب فتمر فإنه لو كان شيء أفضل منه لأطعمه الله تعالى مريم بنت عمران حين ولدت عيسى». قال الربيع بن خيثم: ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل **﴿وقري عينا﴾** وطيبي نفساً وارفضي عنها ما أحزنك وأهمك فإن الله تعالى قد نزه ساحتك بالخوارق من جري النهر واخضرار النخلة اليابسة وإثمارها قبل وقتها لأنهم إذا رأوا ذلك لم يستبعدوا ولادة ولد بلا فحل واشتقاقه من القرار فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره يقال أقر الله عينيك أي: صادف فؤادك ما يرضيك فيقر عينك من النظر إلى غيره. قال في «القاموس»: قرت عينه تقر بالكسر والفتح قرة ويضم وقروراً بردت وانقطع بكاؤها أو رأت ما كانت متشوفة إليه انتهى. أو من القر بالضم وهو البرد فإن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنة العين للمحبوب والمكروه.

وقال الكاشفي: [وقري عيناً وروشن ساز چشم را بفرزند ياخود بسبز شدن درخت وبر دادن او كه مناسبت باحال تو دارد چه آنكه قادراست بر اظهار خرما از درخت يابس قدرت دارد برايجاد ولد ازمادربى پدر وحق سبحانه وملائكه فرستاد تابكرد مريم در آمدند وچون عيسى عليه السلام متولد شد اورا فرا كرفته پشستند ودرحرير بهشت پيچيده دركنار مريم نهادند] قالوا: ما من مولود يستهل غيره [وندا رسيد] **﴿فإما ترين من البشر أحدا﴾** أي: فإن ترى آدمياً كائناً من كان وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط وهي بمنزلة لام القسم في أنها إذا دخلت على الفعل دخلت معها النون المؤكدة **﴿فقولي﴾** له إن استنطقك أي: سألك على ولدك [يعني پرسند اين فرزند از كجاست] ولامكِ عليه **﴿إني نذرت﴾** أوجبت على نفسي **﴿للرحمن**

صوما﴾ أي: صمتاً أو صياماً وكان صيام المجتهدين من بني إسرائيل بالإمساك عن الطعام والكلام حتى يمسي وقد نسخ في هذه الأمة لأنه عليه السلام نهى عن صوم الصمت. قال في أبكار الأذكار السكوت في وقته صفة الرجال كما أن النطق في موضعه شرف الخصال:

اكرچه پيش خرمند خامشى ادبست بوقت مصلحت آن به كه درسخن كوشى

دوچيز طيره عقلست دم فرو بستن بوقت كفتن وكفتن بوقت خاموشى

وأما إيثار أصحاب المجاهدة السكوت فلعلمهم بما في الكلام من حظ النفس وإظهار صفات المدح والميل إلى حسن النطق. فأما صمت الجاهلية فمنهي عنه كما ورد لا يتم بعد الاحتلام ولا صمات يوم إلى الليل فكان أهل الجاهلية من نسكهم اعتكاف يوم وليلة بالصمات فنهوا في الإسلام عن ذلك وأمروا بالحديث بالخير والذكر. يقول الفقير: إن المنهي عنه هو السكوت مطلقاً. وأما السكوت عن كلام الناس مع ملازمة الذكر فمقبول بل مأمور به ولذا جعل دوام السكوت أحد الشرائط الثمان فصحة الانقطاع وفائدة السلوك إنما تحصل به وباخواته **﴿فلن أكلم اليوم إنسيا﴾** [پس سخن نخواهم كفت امروز باهيچ آدمي بلكه باملائكه وباحق سخن ميكويم ومناجات ميكنم] أمرت بأن تخبر بنذرها بالإشارة فالمعنى قولي ذلك بالإشارة لا باللفظ. قال الفراء: العرب تسمي كل وصل إلى الإنسان كلاماً بأي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فإذا أكد لم يكن إلا حقيقة الكلام وإنما أمرت بذلك لكراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى أنه قاطع لطعن الطاعن والرائب في براءة ساحتها وذلك أن الله تعالى أراد أن يظهر براءتها من جهة عيسى فتكلم ببراءة أمه وهو في المهد وفيه أن السكوت عن السفيه واجب ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافهاً، قال الصائب:

درجنك ميكند لب خاموش كار تيغ داد جواب مردم نادان چه لازمست

وقال:

باكران جانان مكو حرف كران تانشنوى كوه در رد صدا بى اختيار افتاده است

ومن بلاغات الزمخشري: ما قدع السفيه بمثل الإعراض وما أطلق عنانه بمثل العراض سورة السفيه تكسرها الحلماء والنار المضطرمة يطفئها الماء يعني أن سورة السفيه كالنار المضطرمة ولا يطفأها إلا الحلم كما لا يطفىء النار إلا الماء والنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله. وفي الآية: إشارة إلى الصوم عن الالتفات لغير الله تعالى كما قال بعض الكبار الدنيا يوم ولنا فيه صوم ولا يكون إفطاره إلا على مشاهدة الجمال. فعلى السالك أن ينقطع عن عالم الناسوت ويقطع لسانه عن غير ذكر اللاهوت حتى يحصل قطع الطريق والوصول إلى منزل التحقيق وكما أن مريم هزت النخلة فأسقطت عليها رطباً جنياً فكذا مريم القلب إذا هزت بنخلة الذكر وهي كلمة «لا إله إلا الله» تسقط عليها من المشاهدات الربانية والمكاشفات الإلٓهية ما به يحصل التمتعات التي هي مشارب الرجال البالغين كما كان حال النبي ﷺ يقول: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» اللهم اجعلنا من الذين كوشفوا عن وجه حقيقة الحال ووصلوا إلى تجليات الجمال والجلال.

﴿فأتت به قومها﴾ والباء بمعنى مع أي: جاءتهم مع ولدها راجعة إليهم عندما طهرت من نفاسها وجعلها الكاشفي للتعدية حيث قال: [پس آورد مريم عيسى را]. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنها خرجت من عندهم حين شرقت الشمس وجاءتهم عند الظهر ومعها

صبي ﴿تحمله﴾ في موقع الحال أي: حاملة له.

ـ روي ـ أن زكريا افتقد مريم فلم يجدها في محرابها فاغتم غماً شديداً وقال لابن خالها يوسف: اخرج في طلبها فخرج يقص أثرها حتى لقيها تحت النخلة فلما رجعت إلى قومها وهم أهل بيت صالحون وزكريا جالس معهم بكوا وحزنوا ثم ﴿قالوا﴾ موبخين لها ﴿يا مريم لقد جئت شيئا﴾ على حذف الباء من شيئاً ومآله فعلت شيئاً ﴿فريا﴾ أي: عظيماً بديعاً منكراً مقطوعاً بكذبه من فرى الجلد إذا قطعه. والفرية بالكسر الكذب والفري الأمر المختلق المصنوع أو العظيم وهو يفري الفرى يأتي بالعجب في عمله. وفي «الأختري»: أنه من الأضداد يجيء بمعنى الأمر الصالح والسيىء. قال الكاشفي: [چيزى شكفت يا زشت كه در ميان اهل بيت مثل اين واقع نبوده].

﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾﴾

﴿يا أخت هارون﴾ روي عن النبي عليه السلام أنهم إنما عنوا به هارون النبي عليه السلام وكانت من أعقاب من كان معه في مرتبة الأخوة وذلك بأن تكون من أخت هارون أو أخيه وكان بينها وبينه ألف وثمانمائة سنة وقيل كان هارون أخاها من أبيها وكان رجلاً صالحاً وقيل هو أخو موسى نسبت إليه بالأخوة لأنها من ولده كما يقال يا أخا العرب أي: يا واحداً منهم ﴿ما كان أبوك﴾ عمران ﴿امرأ سوء﴾ المرء مع ألف الوصل الإنسان أو الرجل ولا يجمع من لفظه كما في «القاموس». وسوء بفتح السين وبإضافة امرأ إليه وهي أكثر استعمالاً من الصفة والمعنى ما كان عمران زانياً قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. قال الكاشفي: [نبودپدرتو عمران مردى بد بلكه مردى كه مسجد اقصارا اشرف احبار بود] ﴿وما كانت أمك﴾ حنة بنت فاقوذ ﴿بغيا﴾ زانية فمن أين لك هذا الولد من غير زوج وهو تقرير لكون ما جاءت به فريا منكراً وتنبيه على أن ارتكاب الفواحش من أولاد الصالحين أفحش.

واعلم أن المعتاد من أهل الزمان إذا أظهر الله في كل زمان نبياً أو ولياً يخصه بمعجزة أو كرامة أن ينكر عليه أكثرهم وينسبوه إلى الجنون والضلالة والافتراء والكذب والسحر وأمثالها وأما الأقلون فيعرفون أن من سافر عن منزل الجمهور فإنه يرجع عن سفره ومعه من العلوم الغريبة والأحوال العجيبة ما لم يألف بها العقول ولم يشاهدها الأنظار فلا يرجعون بالرد عليه بل بالاعتقاد، وفي «المثنوي»:

مغزرا خالي كن از انكار يار تا كه ريحان يابد از كلزار يار

تا بيابى بوى خلد ازيار من چون محمد بوى رحمان ازيمن

﴿فأشارت إليه﴾ أي: إلى عيسى أن كلموه ليجيبكم ويكون كلامه حجة لي والظاهر أنها حينئذٍ بينت نذرها وأنها بمعزل عن محاورة الإنس ﴿قالوا﴾ منكرين لجوابها ﴿كيف نكلم﴾ نحدث ﴿من كان في المهد﴾ [در كهواره يعنى درخور كهواره] ﴿صبيا﴾ ولم نعهد فيما سلف صبياً رضيعاً في الحجر يكلمه عاقل لأنه لا قدرة له على فهم الخطاب ورد الجواب وكان لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده وهو هٰهنا لقريبه خاصة بدليل

أنه مسوق للتعجب أو زائدة والظرف صلة من وصبياً حال من المستكن فيه أو تامة أو دائمة كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤]. يقول الفقير: الظاهر إن كان لتحقيق صباوته فإن الماضي دال على التحقق.

﴿قال﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل: قال عيسى بلسان فصيح **﴿إني عبد الله﴾** أقر على نفسه بالعبودية أول ما تكلم رداً على من يزعم بربوبيته من النصارى وإزالة للتهمة عن الله مع إفادة إزالة تهمة الزنى عن أمه لأنه تعالى لا يخص الفاجرة بولد مثله. قال الجنيد لست بعبد سوء ولا عبد طمع ولا عبد شهوة وفيه إشارة إلى أن أفضل أسماء البشرية العبودية. يقول الفقير: سمعت من فم حضرة شيخي وسندي روح الله روحه أنه قال عبد الله فوق عبد الرحمٰن وهو فوق عبد الرحيم وهو فوق عبد الكريم ولذا جعل رسول الله ﷺ عبد الله وكذا عبد الحي وعبد الحق أعلى الأسماء وأمثلها لأن بعض الأسماء الإلهية يدل على الذات وبعضها على الصفات وبعضها على الأفعال والأولى أرفع من الثانية وهي من الثالثة. قيل: كان المستنطق لعيسى زكريا وقد أكرم الله تعالى أربعة من الصبيان بأربعة أشياء: يوسف بالوحي في الجب، وعيسى بالنطق في المهد، وسليمان بالفهم، ويحيى بالحكمة في الصباوة. وأما الفضيلة العظمى والآية الكبرى أن الله أكرم سيد المرسلين عليه وعليهم السلام في الصباوة بالسجدة عند الولادة بأنه رسول الله وشرح الصدر وختم النبوة وخدمة الملائكة والحور عند ولادته وأكرم بالنبوة في عالم الأرواح قبل الولادة والصباوة وكفى بذلك اختصاصاً وتفضيلاً:

شمسه نه مسند وهفت اختران ختم رسل خواجه پيغمبران

﴿آتاني الكتاب﴾ الإنجيل **﴿وجعلني نبيا وجعلني﴾** مع ذلك **﴿مباركا﴾** نفاعاً معلماً للخير أخبر عما يكون لا محالة بصيغة الماضي والجمهور على أن عيسى آتاه الله الإنجيل والنبوة في الطفولية وكان يعقل عقل الرجال كما في «بحر العلوم». يقول الفقير المشهور أنه أوحى الله إليه بعد الثلاثين فتكون رسالته متأخرة عن نبوته **﴿أينما كنت﴾** حيثما كنت فإنه لا يتقيد بأين دون اين **﴿وأوصاني بالصلاة﴾** أي: أمرني بها أمراً مؤكداً **﴿والزكاة﴾** أي: زكاة المال ملكية. يقول الفقير: الظاهر أن إيصاءه بها لا يستلزم غناء بل هي بالنسبة إلى أغنياء أمته وعموم الخطابات الإلهية منسوب إلى الأنبياء تهييجاً للأمة على الائتمار والانتهاء **﴿ما دمت حيا﴾** في الدنيا. قال في «بحر العلوم»: فيه دلالة بينة على أن العبد ما دام حياً لا يسقط عنه التكاليف والعبادات الظاهرة فالقول بسقوطها كما نقل عن بعض الإباحيين كفر وضلال.

وفي «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أنه ما دام العبد حياً لا بد من مراقبة السر وإقامة العبودية وتزكية النفس. يقول الفقير: إقامة التكاليف عبودية وهي إما للتزكية كالمبتدئين وإما للشكر كالمنتهين وكلا الأمرين لا يسقط ما دام العبد حياً بالغاً فإذا تغير حاله بالجنون ونحوه فقد عذر.

﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾﴾

﴿وبرا﴾ [مهربان] **﴿بوالدتي﴾** عطف على مباركاً أي: جعلني باراً بها محسناً لطيفاً وهو إشارة إلى أنه بلا فحل **﴿ولم يجعلني جبارا﴾** متكبراً. وبالفارسية [كرد نكشى متعظم كه خلق

را تكبر كنم وانسانرا بر نجانم] ﴿شقيا﴾ عاصياً لربه.

﴿والسلام علي﴾ [سلام خداى برمنست] ﴿يوم ولدت﴾ بلا والد طبيعي أي: من طعن الشيطان ﴿ويوم أموت﴾ من شدائد الموت وما بعده ﴿ويوم أبعث حيا﴾ حال أي: من هول القيامة وعذاب النار كما هو على يحيى يعني السلامة من الله وجهت إليّ كما وجهت إلى يحيى في هذه الأحوال الثلاثة العظام على أن التعريف للعهد والأظهر على أنه للجنس والتعريض باللعن عن أعدائه فإن إثبات جنس السلام لنفسه تعريض لإثبات ضده لأضداده كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧] فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى فلما كلمهم عيسى بهذا الكلام أيقنوا ببراءة أمه وأنها من أهل العصمة والبعد من الريبة ولم يتكلم بعد حتى بلغ سن الكلام. قال في «الأسئلة المقحمة» قوله: ﴿ويوم أبعث حياً﴾ يدل على أن لا حياة في القبر لأنه ذكر حياة واحدة والجواب أنه أراد بها الدائمة الباقية بخلاف حياة القبر انتهى. يقول الفقير: لا شك أن حياة البرزخ على النصف من حياة يوم البعث فإن الأولى حياة الروح فقط والثانية حياة الروح والجسد معاً وهي المرادة هٰهنا ولا انقطاع لحياة الأرواح مذ خلقت من الأبديات فافهم. ثم إنه نكر في سلام يحيى وعرف في سلام عيسى لأن الأول من الله والقليل منه كثير قال بعضهم قليلك لا يقال له قليل ولهذا قرأ الحسن اهدنا صراطاً مستقيماً أي: نحن راضون بالقليل، كذا في «برهان القرآن». قال شيخي وسندي في «كتاب البرقيات» له قدس سره: إنما أتى بطريق الغيبة في حق يحيى عليه السلام لأن كلا منهما أهل الحقيقة والفناء والكمال الجامع بين الجلال والجمال وأهل الشريعة والبقاء والجلال والجمال مندرجون تحت حيطة الكمال إلا أن الميل الاستعدادي الأزلي إلى جانب الحقيقة والفناء وكمال الجلال غالب في جمعية يحيى عليه السلام بحسب الفطرة الإلهية الأزلية وهذه الغلبة ليست اختيارية بل اضطرارية أزلية حاصلة باستيلاء سلطنة الحقيقة والفناء وكمال الجلال على قلبه وهذا الميل إلى جانب الشريعة والبقاء جمال غالب في جمعية عيسى عليه السلام بحسب الفطرة الإلهية الأزلية وهذه الغلبة أيضاً ليست اختيارية بل اضطرارية حاصلة باستيلاء دولة الشريعة والبقاء وجمال الكمال على قلبه ومقتضى الغلبة اليحياوية السكوت وترك النطق ولذا كان المتكلم في بيان أحواله هو الله تعالى وأتى بطريق الغيبة لا نفسه وهو من قبيل من عرف كل لسانه لغلبة الفناء على البقاء وكل من كل لسانه في معرفة الله فهو على مشرب يحيى ومقتضى الغلبة العيسوية النطق وترك السكوت ولذا كان المتكلم في بيان أحوال نفسه وأتى بطريق الحكاية دون الله تعالى وهو من قبيل من عرف الله طال لسانه لغلبة البقاء على الفناء وكل من طال لسانه في معرفة الله فهو على مشرب عيسى عليه السلام وحال كل منهما بقضاء الله ورضاه وهما مشتركان في الجمعية الكبرى مجتمعان في ميل الأهلية العظمى ومنفردان في غلبة العليا بأن تكون غلبة ميل يحيى عليه السلام إلى الفناء وغلبة ميل عيسى عليه السلام إلى البقاء ولو اجتمعا في تلك الغلبة أيضاً لما امتاز حال أحدهما عن الآخرة بل يكون عبثاً نوعاً تعالى الله عن العبث ولذا لم يتجل لأحد بعين ما يتجلى به لغيره بل إنما يتجلى لكل متجل له بوجه آخر ولهذه الحكمة كان الجلال غالباً في قلب يحيى والجمال غالباً في قلب عيسى عليه السلام حتى يكون التجلي لكل منهما بوجه آخر مع أحدية أصله ويوجد بينهما فرق بعد الجمع وكل من ورث هذا المقام بعدهما إلى يوم القيامة من أولياء الله الكرامة يقول الله له بطريق الفيض والإلهام السلام عليك

يوم ولدت ويوم تموت ويوم تبعث حياً ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهو من قبيل مبشراتهم الدنيوية التي أشير إليها بقوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤] إلا أنهم يكتمون أمثاله لكونهم مأمورين بالكتمان وعلمهم بسلامتهم يكفي لهم ولا حاجة لهم بعلم غيرهم وأما الأنبياء عليهم السلام فهم يخبرون بسلامتهم لكونهم شارعين فلا بد لغيرهم من العلم بسلامتهم حتى يؤمن ويقبل دعوتهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى. قال في «أسئلة الحكم»: أخبر رسول الله ﷺ عن مقامهما حيث قال: «إن عيسى ويحيى التقيا فقال يحيى لعيسى كأنك قد أمنت مكر الله وقال عيسى ليحيى كأنك قد أيست من فضل الله ورحمته فأوحى الله تعالى إليهما أن أحبكما إليّ أحسنكما ظناً بي» وكان عاقبة أمره في مقام الجلال أن قتل فلم يزل فائراً دمه حتى قتل من أجله سبعون ألفاً قصاصاً منه فسكن فورانه وكان عاقبة أمر عيسى في مقام البسط والجمال أن رفع إلى السماء أي إلى الملأ الأعلىٰ من مظاهر الجمال فكلاهما في مقامهما فائزان كاملان انتهى.

وفي «التأويلات النجمية» قوله: ﴿ويوم أموت﴾ فيه إشارة إلى أن عيسى المعنى المتولد من نفخ الحق في القلب قابل الموت بسم غلبات صفات النفس والمعاملات المنتجة منها لئلا يغتر الواصل بأنه إذا حي بحياة لا يموت المعنى الذي في قلبه، يقول الفقير:

اى بسازنده بمرده مغرور	شده از دائره زندكى دور
كشت بروى متغير حالش	زهر شد جمله فيض بالش
ماند دوعين قفا صورت او	كرچه در صورت ظاهر شده رو
درپى نفس بدش هركه دويد	تانبنداركه سر منزل ديد

قال في «التكملة»: ولد عيسى عليه السلام في أيام ملوك الطوائف لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وقيل لأكثر من ذلك وكان حمل مريم به وهي ابنة ثلاث عشرة سنة ونبىء عيسى وهو ابن ثلاثين سنة ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وعاشت مريم بعده ست سنين وخرجت به أمه من الشام إلى مصر وهو صغير خوفاً عليه من هيردوس الملك وذلك أن ملك فارس علم بمولده لطلوع نجمه فوجه له هدايا من الذهب والمر واللبان فأتت رسله بالهدايا حتى دخلت على هيردوس فسألوه عنه فلم يعلم به فأخبروه بخبره وبأنه يكون نبياً وأخبروه بالهدايا فقال لهم: لم أهديتم الذهب؟ قالوا: لأنه سيد المتاع وهو سيد أهل زمانه قال لهم: ولم أهديتم المر؟ قالوا: لأنه يجبر الجرح والكسر وهو يشفي السقام والعلل قال: ولم أهديتم اللبان؟ قالوا: لأنه يصعد دخان إلى السماء وكذلك هو يرفع إلى السماء فخافه هيردوس وقال لهم: إذا عرفتم مكانه فعرفوني به فإني راغب فيما رغبتم فيه فلما وجدوه دفعوا الهدايا لمريم وأرادوا الرجوع إلى هيردوس فبعث الله لهم ملكاً وقال لهم إنه يريد قتله فرجعوا ولم يلقوا هيردوس وأمر الله مريم أن ينتقل به إلى مصر ومعهما يوسف بن يعقوب النجار فسكنت به في مصر حتى كان ابن اثنتي عشرة سنة ومات هيردوس فرجعت إلى الشام انتهى.

ـ روي ـ أن مريم سلمت عيسى إلى معلمه فعلمه أبجد فقال عيسى: أتدري ما «أبجد»؟ قال: لا فقال: أما الألف فآلاء الله والباء بهاء الله والجيم جلال الله والدال دين الله فقال المعلم: أحسنت فما «هوز»؟ فقال: الهاء هو الله الذي لا إله إلا هو والواو ويل للمكذبين

والزاي زبانية جهنم أعدت للكافرين فقال المعلم: أحسنت فما «حطي»؟ قال: الحاء حطة الخطايا عن المذنبين والطاء شجرة طوبى والياء يد الله على خلقه فقال: أحسنت فما «كلمن»؟ قال: الكاف كلام الله واللام لقاء أهل الجنة بعضهم بعضاً والميم ملك الله والنون نور الله فقال: أحسنت فما «سعفص»؟ قال: السين سناء الله والعين علم الله والفاء فعله في خلقه والصاد صدقه في أقواله فقال: أحسنت فما «قرشت»؟ قال: القاف قدرة الله والراء ربوبيته والشين مشيئته والتاء تعالى الله عما يشركون فقال له المعلم: أحسنت ثم قال لمريم: خذي ولدك وانصرفي فإنه علمني ما لم أكن أعرفه كذا في «قصص الأنبياء». قيل: هذه الكلمات وهي أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت وثخذ وضظغ أسماء ثمانية ملوك فيما تقدم. وقيل هي أسماء ثمانية من الفلاسفة. وقيل هذه الكلمات وضعها اليونانيون لضبط الأعداد وتمييز مراتبها كذا في «شرح التقويم». وقال محمد بن طلحة في «العقد الفريد»: أول من وضع الخط العربي وأقامه وصنع حرفه وأقسامه ستة أشخاص من طسم كانوا نزولاً عند عدنان بن داود وكانت أسماؤهم أبجد وهوز حطي وكلمن وسعفص وقرشت ووضعوا الكتابة والخط على أسمائهم فلما وجدوا في الألفاظ حروفاً ليست في أسمائهم ألحقوها بها وسموها الروادف وهي الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين على حسب ما يلحق حروف الجمل هذا تلخيص ما قيل في ذلك وقيل غيره انتهى.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

﴿**ذلك**﴾ الذي فصلت نعوته الجليلة ﴿**عيسى ابن مريم**﴾ لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الأبلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفاً بأضداد ما يصفونه ثم عكس على الحكم ﴿**قول الحق**﴾ قول الثابت والصدق وهو بالنصب على أنه مصدر مؤكد لقال إني عبد الله الخ وقوله ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ٣٤] اعتراض ﴿**الذي فيه يمترون**﴾ أي: يشكون فإن المرية الشك فيقولون هو ابن الله.

﴿**ما كان لله**﴾ ما صح وما استقام له تعالى: ﴿**أن يتخذ من ولد**﴾ أي: ولداً وجاء بمن لتأكيد النفي العام.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: جزءاً فإن الولد جزء الوالد كما قال عليه السلام: «فاطمة بضعة مني» ﴿**سبحانه**﴾ أي: تنزه وتعالى تنزيهاً عن بهتان النصارى لأنه ليس للقديم جنس إذ لا جنس له ولذلك قالوا: لا فضل له ﴿**إذا قضى أمراً**﴾ أي: أراد كونه ﴿**فإنما يقول له كن فيكون**﴾ قال لعيسى: كن فكان من غير أب والقول هٰهنا مجاز عن سرعة الإيجاد. والمعنى أنه تعالى إذا أراد تكوين الأشياء لم تمتنع عليه ووجدت كما أرادها على الفور من غير تأخير في ذلك كالمأمور المطيع الذي إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع كان المأمور به مفعولاً لا حبس ولا إبطاء وهو المجاز الذي يسمى التمثيل.

﴿**وإن الله ربي وربكم فاعبدوه**﴾ من تمام كلام عيسى عطف على قوله: ﴿**إني عبد الله**﴾ داخل تحت القول ﴿**هذا**﴾ الذي ذكرته من التوحيد ﴿**صراط مستقيم**﴾ لا يضل سالكه.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا

لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿**فاختلف الأحزاب**﴾ جمع حزب بمعنى الجماعة ﴿**من بينهم**﴾ أي: من بين الناس المخاطبين بقوله: ﴿**ربكم فاعبدوه**﴾ وهم القوم المبعوث إليهم فقالت النسطورية: هو ابن الله واليعقوبية هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه.

وفي «التأويلات النجمية» أي: تحزبوا ثلاث فرق: فرقة يعبدون الله بالسير على قدمي الشريعة والطريقة بالعبور على المقامات والوصول إلى القربات وهم الأولياء والصديقون وهم أهل الله خاصة وفرقة يعبدون الله على صورة الشريعة وأعمالها وهم المؤمنون المسلمون وهم أهل الجنة وفرقة يعبدون الهوى على وفق الطبيعة ويزعمون أنهم يعبدون الله كما أن الكفار يعبدون الأصنام ويقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فهؤلاء ينكرون على أهل الحق وهم أهل البدع والأهواء والسمعة والنفاق وهم أهل النار ﴿**فويل للذين كفروا**﴾ وهم المختلفون. والويل الهلاك وهو نكرة وقعت مبتدأ وخبره ما بعده ونظيره سلام عليك فإن أصله منصوب نائب مناب فعله لكنه عدل به إلى الرفع على الابتداء للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ﴿**من مشهد يوم عظيم**﴾ أي: من شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيامة.

﴿**أسمع بهم وأبصر**﴾ [چه شنو باشد كافران وچه بينا] وهو تعجب من حدة سمعهم وأبصارهم يومئذٍ ومعناه أن استماعهم وأبصارهم للهدى ﴿**يوم يأتوننا**﴾ للحساب والجزاء يوم القيامة جدير بأن يتعجب منه بعد أن كانوا في الدنيا صماً وعمياً والتعجب استعظام الشيء مع الجهل بسببه ثم استعمل لمجرد الاستعظام ﴿**لكن الظالمون اليوم**﴾ أي: في الدنيا ﴿**في ضلال مبين**﴾ في خطأ ظاهر لا يدرك غايته حيث أغفلوا الاستماع والنظر بالكلية حين ينفعهم.

عمر مكن ضايع بافسوس وحيف ... كه فرصت عزيزست والوقت سيف

كه فردا پشيمان برآرى خروش ... كه آوخ چرا حق نكردم بكوش

﴿**وأنذرهم**﴾ خوفهم يا محمد يعني الظالمين ﴿**يوم الحسرة**﴾ أي: من يوم يتحسر فيه ويتحزن الناس ويندمون قاطبة أما المسيء فعلى إساءته وأما المحسن فعلى قلة إحسانه ﴿**إذ قضي الأمر**﴾ بدل من يوم الحسرة أي: فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار.

ـ وروي ـ أن النبي عليه السلام سئل عن ذلك فقال: «حين يجاء بالموت على صورة الكبش الأملح فيذبح والفريقان ينظرون فينادي المنادي يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرح وأهل النار غماً إلى غم» ﴿**وهم في غفلة**﴾ أي: عما يفعل بهم في الآخرة ﴿**وهم لا يؤمنون**﴾ وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى: ﴿**في ضلال مبين**﴾ أي: مستقرون في ذلك وهم في تينك الحالتين وما بينهما اعتراض.

﴿**إنا نحن**﴾ تأكيد لأنا ﴿**نرث**﴾ نملك ﴿**الأرض ومن عليها**﴾ ذكر من تغليباً للعقلاء أي: لا يبقى لأحد غيرنا عليهم ملك ولا ملك وقد سبق في سورة الحجر ما يتعلق بهذه الآية ﴿**وإلينا يرجعون**﴾ أي: يردون للجزاء لا إلى غيرنا استقلالاً أو اشتراكاً.

اعلم أن الرجوع على نوعين: رجوع بالقهر وهو رجوع العوام لأن نفوسهم باقية مطمئنة بالدنيا فلا يخرجون مما هم عليه إلا بالكراهة ورجوع باللطف وهو رجوع الخواص لأن نفوسهم فانية غير مطمئنة بالدنيا والعقبى بل بالمولى الأعلى فيخرجون من الدنيا والموت ولقاء الله تعالى أحب إليهم من كل شيء. فعلى السالك أن يجتهد في تحصيل الفناء والبقاء وتكميل الشوق إلى اللقاء ويرجع إلى الله تعالى قبل أن يرجع فإن سرّ لمن الملك اليوم دائر على هذا.

صرصر قهروى از ممكن وحدت بوزيد حس وخاشاك تعين همه برباد ببرد
هرچه در عرصه امكان بوجود آمده بود سيل عزت همه را تا عدم آباد ببرد

ولله عباد خوطبوا فصار كلهم اذناً وشهدوا فصار كلهم عيناً ووجدوا في الرحيل حتى حطوا الرحل عند الملك الجليل:

نظرت في الراحة الكبرى فلم أرها تنال إلا على جنس من التعب
والجد منها بعيد في تطلبها فكيف تدرك بالتقصير واللعب

قال الشيخ أبو الحسن المزين رحمه الله: دخلت البادية على التجريد حافياً حاسراً فخطر ببالي أنه ما دخل بهذه البادية في هذه السنة أحد أشد تجريداً مني فجذبني إنسان من ورائي وقال: يا حجام كم تحدث نفسك بالأباطيل فظهر أن الترك والتجرد والرجوع في الحق على مراتب ولكل سالك خطوة فلا يغتر أحد بحاله ولا يخطر العجب بباله. وعن إبراهيم الخواص قدس سره قال: دخلت البادية فأصابتني شدة فكابدتها وصابرتها فلما دخلت مكة داخلني شيء من الإعجاب فنادتني عجوز من الطواف يا إبراهيم كنت معك في البادية فلم أكلمك لأني لم أرد أن أشغل سرك عنه أخرج هذا الوسواس عنك فظهر أن التوفيق للرجوع إلى الله إنما هو من الله وكل كمال فبحوله وقوته ونصرته ومعونته.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾

﴿واذكر في الكتاب إبراهيم﴾ أي: اتل يا محمد على قومك في السورة أو القرآن قصة إبراهيم وبلغها إياهم كقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الشعراء: ٦٩] وذلك أن أهل الملل كانوا يعترفون بفضله ومشركو العرب يفتخرون بكونهم من أبنائه فأمر الله تعالى حبيبه عليه السلام أن يخبرهم بتوحيده ليقلعوا عن الشرك **﴿إنه كان صديقا﴾** ملازماً للصدق في كل ما يأتي وما يذر مبالغاً فيه قائماً في جميع الأوقات **﴿نبيا﴾** خبر آخر لكان مقيد للأول مخصص له أي: كان جامعاً بين الصديقية والنبوة وذلك أن الصديقية تلو النبوة ومن شرطها أن لا يكون نبياً إلا وهو صديق وليس من شرط الصديق أن يكون نبياً. ولأرباب الصدق مراتب صادق وصدوق وصديق فالصادق من صدق في قيامه مع الله بالله وفي الله وهو الفاني عن نفسه والباقي بربه. والفرق بين الرسول والنبي أن الرسول من بعث لتبليغ الأحكام ملكاً كان أو إنساناً بخلاف النبي فإنه مختص بالإنسان.

﴿إذ قال﴾ بدل من إبراهيم بدل الاشتمال لأن الأحيان مشتملة على ما فيها أي: اذكر

وقت قوله: ﴿لأبيه﴾ آزر متلطفاً في الدعوة مسهلاً له ﴿يا أبت﴾ أي: يا أبي فإن التاء عوض عن ياء الإضافة ولذلك لا يجتمعان أي: لا يقال يا أبتي ولا يقال يا أبتا لكون الألف بدلاً من الياء ﴿لم تعبد ما لا يسمع﴾ ثناءك وتضرعك له به عند عبادتك له وما عبارة عن الصور والتماثيل ولام الإضافة التي دخلت على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك: بمَ، وعلامَ، وفيمَ، وإلامَ، وممَ، وعمَ، حذفت الألف لأن ما والحرف كشيء واحد وقل استعمال الأصل ﴿ولا يبصر﴾ خضوعك وخشوعك بين يديه ﴿ولا يغني عنك﴾ أي: لا يقدر على أن ينفعك ﴿شيئا﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة وهو مصدر أي: شيئاً من الإغناء وهو القليل منه أو مفعول به أي: ولا يدفع عنك شيئاً من عذاب الله تعالى.

﴿يا أبت إني قد جاءني﴾ بطريق الوحي ﴿من العلم ما لم يأتك فاتبعني﴾ ولا تستنكف عن التعلم مني ﴿أهدك﴾ [ما بنماييم ترا] ﴿صراطا سويا﴾ أي: مستقيماً موصلاً إلى أعلى المراتب منجياً من الضلال لم يشافهه بالجهل المفرط وإن كان في أقصاه ولم يصف نفسه بالعلم الفائق وإن كان كذلك بل جعل نفسه في صورة رفيق له في مسير يكون أعرف وذلك من باب الرفق واللطف.

﴿يا أبت لا تعبد الـ ـيطان﴾ فإن عبادتك للأصنام عبادة له إذ هو الذي يزينها لك ويغريك عليها ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصيا﴾ ومن جملة عصيانه إباؤه عن السجدة ومعلوم أن طاعة العاصي تورث النقم وزوال النعم والتعرض لعنوان الرحمانية لإظهار كمال شناعة عصيانه.

﴿يا أبت إني أخاف﴾ إن مت على ما أنت عليه من متابعة الشيطان وعصيان الرحمن ﴿أن﴾ أي: من أن ﴿يمسك﴾ يصيبك. وبالفارسية [بر سيد بتو] ﴿عذاب﴾ كائن ﴿من الرحمن﴾ وذلك الخوف للمجاملة ﴿فتكون﴾ [پس باشى] ﴿للشيطان وليا﴾ أي: قريناً له في اللعن المخلد أو قريباً تليه ويليك من الولي وهو القرب.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾

﴿قال﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا قال أبوه عندما سمع منه هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصراً على عناده ﴿أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ أي: أمعرض ومنصرف أنت عنها بتوجيه الإنكار إلى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلاً عن ترغيب الغير عنها قدم الخبر على المبتدأ للاهتمام والأولى كونه مبتدأ وأنت فاعله سد مسد الخبر لئلا يلزم الفصل بين الصفة وما يتعلق بها وهو عن كذا في «تفسير الشيخ». ﴿لئن لم تنته﴾ والله لئن لم ترجع عما كنت عليه من النهي عن عبادتها ﴿لأرجمنك﴾ بالحجارة حتى تموت أو تبعد عني وقيل باللسان يعني: الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن وأصل الرجم الرمي بالرجام بالكسر وهي الحجارة ﴿واهجرني﴾ عطف على ما دل عليه لأرجمنك أي: فاحذرني واتركني ﴿مليا﴾ أي: زماناً طويلاً سالماً مني ولا تكلمني من الملاوة وهو الدهر ﴿قال﴾ إبراهيم وهو استئناف بياني.

﴿**سلام عليك**﴾ [سلام برتو يعنى ميروم ووداع ميكنم] فهو سلام مفارقة لا سلام لطف وإحسان لأنه ليس بدعاء له كقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥] على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة ودل على جواز متاركة المنصوح إذا أظهر اللجاج. والمعنى سلمت مني لا أصيبك بمكروه بعد ولا أشافهك بما يؤذيك ولكن ﴿**سأستغفر لك ربي**﴾ السين للاستقبال أو لمجرد التأكيد أي: استدعيه أن يغفر لك بأن يوفقك للتوبة ويهديك إلى الإيمان كما يلوح به تعليل قوله: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ﴾[الشعراء: ٨٦] بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦] والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبيين أنه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وإنما المحظور استدعاؤه له مع بقائه على الكفر فإنه مما لا مساغ له عقلاً ولا نقلاً وأما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا يأباه قضية العقل وإنما الذي يمنعه السمع ألا يرى إلى أنه عليه السلام قال لعمه أبي طالب «لا أزال أستغفر لك ما لم أنهَ عنه» فنزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية ولا اشتباه في أن هذا الوعد من إبراهيم وكذا قوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤] وما ترتب عليهما من قوله ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ﴾[الشعراء: ٨٦] إنما كان قبل انقطاع رجائه عن إيمانه لعدم تبين أمره ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤] ﴿**إنه كان بي حفياً**﴾ أي: بليغاً في البر والإلطاف يقال حفيت به بالغت وتحفيت في إكرامه بالغت.

﴿**وأعتزلكم**﴾ أي: أتباعد عنك وعن قومك بالمهاجرة بديني حيث لم يؤثر فيكم نصائحي ﴿**وما تدعون من دون الله**﴾ أي: تعبدون ﴿**وأدعو ربي**﴾ أي: اعبده وحده ﴿**عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً**﴾ أي: بدعائي إياه خائباً ضائع السعي وفيه تعريض لشقائهم في عبادتهم آلهتهم.

حاجت زكسى خواه كه محتاجا نرا بى بهره نكرداند از انعام عميم

وفي تصدير الكلام بعسى إظهار التواضع ومراعاة حسن الأدب.

﴿**فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله**﴾ بالمهاجرة إلى الشام. قال في «تفسير الشيخ»: فارتحل من كوثى إلى الأرض المقدسة ﴿**ووهبنا له إسحاق ويعقوب**﴾ ابن إسحاق بدل من فارقه من أقربائه الكفرة لا عقيب المجاوزة والمهاجرة فإن المشهور أن الموهوب حينئذٍ إسماعيل لقوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] إثر دعائه بقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات: ١٠٠] ولعل تخصيصهما بالذكر لأنهما شجرة الأنبياء أو لأنه أراد أن يذكر إسماعيل بفضل على انفراده ﴿**وكلاً جعلنا نبيا**﴾ أي: كل واحد منهم جعلناه نبياً لا بعضهم دون بعض فكلاً مفعول أول لجعلنا قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة إلى من عداهم بل بالنسبة إلى بعضهم.

﴿**ووهبنا لهم من رحمتنا**﴾ كل خير ديني ودنيوي مما لا يوهب لأحد من العالمين ﴿**وجعلنا لهم لسان صدق عليا**﴾ ثناء حسناً رفيعاً فإن لسان الصدق هو الثناء الحسن على أن يكون المراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب وإضافته من إضافة الموصوف إلى الصفة أي: يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء: ٨٤].

اعلم أن في الآيات إشارات:

منها: الرفق وحسن الخلق فإن الهادي إلى الحق يجب أن يكون رفيقاً فإن العنف يوجب إعراض المستمع وفي الحديث «أوحى الله إلى إبراهيم يا خليل حَسِّن خلقك ولو مع الكفار

تدخل مداخل الأبرار فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه بأن أظله تحت عرشي وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جواري»، قال الصائب:

كذشت عمرو نكردى كلام خودرا نرم ترا چه حاصل ازين آسياى دندانست

ومنها المتابعة قال أبو القاسم: الطريق إلى الحق المتابعة من علت مرتبته اتبع الكتاب ومن نزل عنهم اتبع الرسول عليه السلام ومن نزل عنهم اتبع الصحابة رضي الله عنهم ومن نزل عنهم اتبع أولياء الله والعلماء بالله وأسلم الطرق إلى الله طريق الاتباع لأن سهل بن عبد الله قال: أشد ما على النفس الاقتداء فإنه ليس للنفس فيه نفس ولا راحة.

ومنها العزلة قال أبو القاسم: من أراد السلامة في الدنيا والآخرة ظاهراً وباطناً فليعتزل قرناء السوء وأخدان السوء ولا يمكنه ذلك إلا بالالتجاء والتضرع إلى ربه في ذلك ليوفقه لمفارقتهم فإن المرء مع من أحب. قال بعض الكبار: العزلة سبب لصمت اللسان فمن اعتزل عن الناس لم يجد من يحادثه فأداه ذلك إلى صمت اللسان وهي على قسمين: عزلة المريدين بالأجسام عن الأغيار وعزلة المحققين بالقلوب عن الأكوان فليست قلوبهم محالاً لغير علم الله الذي هو شاهده الحاصل فيها من المشاهدة ونية أهل العزلة إما اتقاء شر الناس وإما اتقاء شره المتعدي إليهم وهو أرفع من الأول إذ سوء الظن بالنفس أولى من سوء الظن بالغير وإما إيثار صحبة المولى على صحبة السوى فأعلى المعتزلين من اعتزل عن نفسه إيثاراً لصحبة ربه فمن آثر العزلة على المخالطة فقد آثر ربه على غيره ولم يعرف أحد ما يعطيه الله من المواهب والأسرار والعزلة تعطي صمت اللسان لا صمت القلب إذ قد يتحدث المرء في نفسه بغير الله ومع غير الله فلهذا جعل الصمت ركناً برأسه من أركان الطريق وحال العزلة التنزيه عن الأوصاف سالكاً كاد المعتزل يكون صاحب يقين مع الله تعالى حتى لا يكون له خاطر متعلق بخارج بيت عزلته والهجرة سبب للعزلة عن الأشرار من هاجر في طلب رضى الله أكرمه الله في الدنيا والآخرة. فعلى العاقل أن يجتهد في تحصيل الرضى بالهجرة والخلوة والعزلة ونحوها، قال الصائب:

در مشرب من خلوت اكر خلوت كوراست بسيار به از صحبت ابناى زمانست

ومنها: أن من فارق محبوبه ابتغاء لمرضاة الله تعالى فإن الله تعالى يجعل له بدلاً خيراً من ذلك وأحب فيأنس به ويتوحش عما ألف به فيما مضى فيحصل الحل والعقد على مراد الله اللهم اجعلنا من المنقطعين إليك والمستوحشين عما سواك والسالكين إلى سبيل الفناء والطالبين لرضاك.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾

﴿واذكر في الكتاب موسى﴾ قدم ذكره على إسماعيل لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب **﴿إنه كان مخلصاً﴾** أخلصه الله من الادناس والنقائص ومما سواه وهو معنى الفتح الموافق للصديق فإن أهل الإشارة قالوا: إن الصادق والمخلص بالكسر من باب واحد وهو التخلص من شوائب الصفات النفسانية مطلقاً والصديق والمخلص بالفتح من باب واحد وهو التخلص أيضاً من شوائب الغيرية.

قال في «التأويلات النجمية»: اعلم أن الإخلاص في العبودية مقام الأولياء فلا يكون ولي إلا وهو مخلص ولا يكون كل مخلص ولياً ولا يكون رسولاً إلا وهو نبي ولا يكون كل نبي رسولاً والمخلص بكسر اللام من أخلص نفسه في العبودية بالتزكية عن الأوصاف النفسانية الحيوانية والمخلص بفتح اللام من أخلصه الله بعد التزكية بالتحلية بالصفات الروحانية الربانية كما قال النبي عليه السلام: «من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» وقال تعالى: «الإخلاص سرّ بيني وبين عبدي لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل أنا الذي أتولى تحلية قلوب المخلصين بتجلي صفات جمالي وجلالي لهم» وفي الحقيقة لا تكون العبودية مقبولة إلا من المخلصين لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ولإخلاص المخلصين مراتب أدناها أن تكون العبودية لله خالصة لا يكون لغير الله فيها شركة وأوسطها أن يكون العبد مخلصاً في بذل الوجود لله إلى الله وأعلى درجة المخلصين أن يخلصهم من حبس وجودهم بأن يفنيهم عنهم ويبقيهم بوجوده **﴿وكان رسولاً نبياً﴾** أرسله الله إلى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولاً مع كونه أخص وأعلى. يقول الفقير: تأخير نبياً لأجل الفواصل.

﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ الطور جبل بين مصر ومدين والأيمن في الأصل خلاف الأيسر أي: جانب اليمن وهو صفة للجانب أي: ناديناه من ناحيته اليمنى وهي التي تلي يمين موسى إذ لا يمين للجبل ولا شمال أو من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه أنه تمثل له الكلام من تلك الجهة. وقال في «الجلالين»: أقبل من مدين يريد مصر فنودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى **﴿وقربناه نجيا﴾** تقريب تشريف مثل حاله بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته حيث كلمه بغير واسطة ملك ونجياً أي: مناجياً حال من أحد الضميرين في ناديناه والمناجاة [راز كفتن] كما في «التهذيب» يقال ناجاه مناجاة ساره كما في «القاموس».

﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾ أي: من أجل رحمتنا ورأفتنا به **﴿أخاه هارون﴾** أخاه مفعول وهبنا وهارون عطف بيان لأخاه **﴿نبيا﴾** حال منه ليكون معه وزيراً معيناً كما سأل ذلك ربه فقال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩﴾ [طه: ٢٩] فالهبة على ظاهرها كما في قوله: ﴿وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ﴾ [مريم: ٤٩] فإن هارون كان أسن من موسى فوجب الحمل على المعاضدة والموازرة [صاحب كشف الأسرار كويد حضرت موسى عليه السلام را هم روش بود وهم كشش اشارت بروش او ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ﴾ [الأعراف: ١٤٣] عبارت از كشش او **﴿وقربناه نجيا﴾** سالك تا در روش است خطر دارد وچون كشش در رسيد خطر را باوكار نيست يعنى در سلوك شوب تفرقه هست وجذبه محض جمعيت است:

با خود روى بيحاصلى چون او كشيدت واصلى
رفتن كجا بردن كجا اين سر ربانيست اين

قال المولى الجامي:

سالكان بى كشش دوست بجايى نرسند سالها كرچه درين راه تك وپوى كنند]

وفي «التأويلات النجمية»: قوله: **﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا﴾** يشير إلى أن

النبوة ليست بكسبية بل هي من مواهب الحق تعالى يهب لمن يشاء النبوة ويهب لمن يشاء الرسالة من رحمته وفضله لا من كسبهم واجتهادهم على أن توفيق الكسب والاجتهاد أيضاً من مواهب الحق تعالى وفيه إشارة إلى أن موسى عليه السلام أشد اختصاصاً بالقربة والقبول عند الله تعالى حتى يهب أخاه هارون النبوة والرسالة بشفاعته والعجب أن الله تعالى يهب النبوة والرسالة بشفاعة موسى عليه السلام وأنه يهب الأنبياء والرسل محمد ﷺ لقوله: «الناس يحتاجون إلى شفاعتي حتى إبراهيم عليه السلام» اللهم اجعلنا من المستسعدين بشفاعته واحشرنا تحت لوائه ورايته.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾﴾

﴿واذكر في الكتاب إسماعيل﴾ فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه لإبراز كمال الاعتناء بأمره بإيراده مستقلاً أي: واتل على قومك يا محمد في القرآن قصة جدك إسماعيل وبلغها إليهم **﴿إنه كان صادق الوعد﴾** فيما بينه وبين الله وكذا بين الناس.

قال في «التأويلات النجمية»: فيما وعد الله بأداء العبودية انتهى. والوعد عبارة عن الإخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها وإيراده بهذا الوصف لكمال شهرته به واتصاله بأشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن إسماعيل عليه السلام وعد صاحباً له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة:

نيست بر مردم صاحب نظر صورتي از صدق ووفا خوبتر

وناهيك أنه وعد الصبر على الذبح فوفى حيث قال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] وفيه حث على صدق الوعد والوفاء به والأصل فيه نيته لقوله عليه السلام: «إذا وعد الرجل أخاه ومن نيته أن يفي فلم يف ولم يجيء للميعاد فلا إثم عليه».

واعلم أن الله تعالى أثنى على إسماعيل بكونه صادق والوعد إشارة إلى أن الثناء إنما يتحقق بصدق الوعد وإتيان الواعد بالموعود لا بصدق الوعيد وإتيان المتوعد بما توعد به إذ لا يثني عقلاً وعرفاً على ما يصدر منه الآفات والمضرات بل على من يصدر منه الخيرات والمبرات ومن هذا ذهب بعض العلماء إلى الخلف في الوعيد جائز على الله تعالى دون الوعد صرحه الإمام الواحدي في «الوسيط» في قوله تعالى في سورة النساء ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣] الآية وفي الحديث: «من وعد لأحد على عمله ثواباً فهو منجز له ومن أوعده على عمله عقاباً فهو بالخيار» والعرب لا تعد عيباً ولا خلفاً أن يعد أحد شراً ثم لا يفعله بل ترى ذلك كرماً وفضلاً كما قيل:

وإني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

وقيل:

إذا وعد السرّاء نجز وعده وإن أوعد الضراء فالعقل مانعه

وأحسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى حيث قال الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على ما ضمن لهم إذا فعلوا ذلك أن يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فإن شاء عفا وإن شاء أخذ لأنه حقه وأولاهما العفو

والكرم لأنه غفور رحيم كذا في «شرح العضد» للجلال الدواني ﴿وكان رسولا﴾ أرسله الله تعالى إلى جرهم وإلى العماليق وإلى قبائل اليمن في زمن أبيه إبراهيم عليهما السلام. قال في «القاموس»: جرهم كقنفذ حي من اليمن تزوج فيهم إسماعيل ﴿نبيا﴾ يخبر عن الله وكان على شريعة أبيه إبراهيم ولم يكن له كتاب أنزل إليه بإجماع العلماء وكذا لوط وإسحاق ويعقوب.

﴿وكان يأمر أهله﴾ الخاص وهو من اتصل به بجهة الزوجية والولاد والعام وهو من اتصل به بجهة الدعوة وهم قومه ويجوز أن يرجح الأول لأن الأهم أن يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو أقرب الناس إليه قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [طه: ١٣٢] ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] فإنهم إذا صلحوا صلح الكل وتربى بزيهم في الخير والصلاح ﴿بالصلاة﴾ التي هي أشرف العبادات البدنية ﴿والزكاة﴾ التي هي أفضل العبادات المالية. وفيه إشارة إلى أن من حق الصالح أن ينصح للأقارب والأجانب ويحظيهم بالفوائد الدينية:

ای صاحب كرامت شكرانه سلامت روزى تفقدي كن درويش بى نوارا

﴿وكان عند ربه مرضيا﴾ في الأقوال والأفعال والأحوال. وفي «الجلالين»: مرضياً لأنه قد قام بطاعته انتهى:

ای مرد اكرت رضاء دلبر بايد آن بايد كرد هرچه او فرمايد
كر كويد خون كرى مكو ازچه سبب وركويد جان بده مكوكه نايد

وعن بعض الصالحين أنه قال: نزل عندي أضياف وعلمت أنهم من أبدال فقلت لهم: أوصوني بوصية بالغة حتى أخاف الله قالوا: نوصيك بستة أشياء: أولها: من كثر نومه فلا يطمع في رقة قلبه. ومن كثر أكله فلا يطمع في قيام الليل. ومن اختار صحبة ظالم فلا يطمع في استقامة دينه. ومن كان الكذب والغيبة عادته فلا يطمع في أن يخرج من الدنيا مع الإيمان. ومن كثر اختلاطه بالناس فلا يطمع في حلاوة العبادة. ومن طلب رضى الناس فلا يطمع في رضى الله تعالى.

واعلم أن المرضي المطلق هو الإنسان الكامل الجامع لجميع الكمالات المحيط بحقائق جميع الأشياء والصفات وأما من دونه فمرضي بوجه دون وجه وعلى حال دون حال نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل الرضى واليقين والسكون والتمكين آمين.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

﴿واذكر في الكتاب إدريس﴾ هو جد أبي نوح فإن نوحاً بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو إدريس النبي عليه السلام ابن يرد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم ولد وآدم حي قبل أن يموت بمائة سنة كذا في «روضة الخطيب». وقال الكاشفي: [در جامع الأصول آورده كه ادريس بصد سال بعد ازوفات آدم متولد شده] هو أول من وضع الميزان والمكيال وأول من اتخذ السلاح وجاهد في سبيل الله وسبى واسترق بني قابيل وأول من خط بالقلم ونظر في علم الحساب والنجوم وأول من خاط الثياب وكانوا يلبسون الجلود وأول من لبس ثوب القطن واشتقاقه من الدرس يمنعه منع صرفه نعم لا يبعد أن يكون في تلك اللغة قريباً من ذلك فلقب به لكثرة دراسته إذ روي أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة ﴿إنه كان صديقا﴾

ملازماً للصدق في جميع أحواله ﴿نبياً﴾ خبر آخر لكان مخصص للأول إذ ليس كل صديق نبياً. قال عباس بن عطاء: أدنى منازل المرسلين أعلى مراتب النبيين وأدنى مراتب النبيين أعلى مراتب الصديقين وأدنى مراتب الصديقين أعلى مراتب المؤمنين.

﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ وهو السماء الرابعة فإن النبي عليه السلام رأى آدم ليلة المعراج في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في الثانية ويوسف في الثالثة وإدريس في الرابعة وهارون في الخامسة وموسى في السادسة وإبراهيم في السابعة. واختلف القائلون بأنه في السماء أهو حي فيها أم ميت فالجمهور على أنه حي وهو الصحيح وقالوا: أربعة من الأنبياء في الأحياء اثنان في الأرض وهما الخضر والياس واثنان في السماء إدريس وعيسى كما في «بحر العلوم». قال الكاشفي: [در رفع ادريس اخبار متنوعه هست ابن عباس فرمودكه روزى ادريس را حرارت آفتاب غلبه كرد مناجات كردكه آلهى باوجود اين مقدار بعدكه ميان من وآفتاب هست ازحرارت او باحتراق نزديك شدم آيا آن فرشته كه حامل اوست چه حال داشته باشد خدايا بار آفتاب وشدت بروسبك كردان واورا ازتاب حرارت آفتاب درسايه عنايت خود محفوظ دار:

ازتاب آفتاب حوادث چه غم خورد آنرا كه سائبان عنايت پناه اوست

حق سبحانه وتعالى دعاى أو مستجاب فرمود روز ديكر آن فرشته كه حامل آفتابست خودرا سبكبار يافت وتأثيرى ازحرارت او فهم نكرد سبب آنرا از حضرت عزت استدعا نمود خطاب رسيدكه بنده من ادريس در حق تو دعا كرده ومن اجابت كردم آن فرشته اجازت خواست كه بزيارت ادريس آيد اجازت يافت وبرزمين آمد وبالتماس ادريس اورا به پر بافر خود نشانيده بآسمان بردو نزديك مطلع آفتاب رسانيده وباستدعاى ادريس كميت عمرو كيفيت اجل وى از ملك الموت پرسيد وعزرائيل ديوان اعمار نكاه كرده فرمود كه حكم آلهى درباره اين كس كه توميكويى آنست كه حالى نزديك مطلع آفتاب متوفى شود وچون آن فرشته باز آمد ادريس را يافت نقد جان بخازن اجل سپرده طوطى روحش بشكرستان قدس پرواز كرده. وروايتي ديكر آنست كه ملك الموت از كثرت طاعت ادريس مشتاق ديدارش شد وباذن حق تعالى برزمين آمده ويرادريافت وبامر آلهى بالتماس ادريس جانش برداشت وباز حق سبحانه جانش داد وعزرائيل اورا بآسمان برد ودوزخ بدو نمود واز آنجا ببهشت رفت وديكر بيرون نيامد] فالآية دلت على رفعته وعلى علو مكانه وهو فلك الشمس أما رفعته فبتبعية مكانه وأما علو مكانه فبوجهين: أحدهما باعتبار ما تحته من الكرات الفلكية والعنصرية وثانيهما باعتبار المرتبة بالنسبة إلى جميع الأفلاك وذلك أن فلك الشمس تحته سبعة أفلاك: فلك الزهرة، وفلك عطارد، وفلك القمر، وكرة الأثير أي: النار، وكرة الهواء، وكرة الماء، وكرة التراب، وفوقه سبعة أفلاك أيضاً: فلك المريخ، وفلك المشتري، وفلك زحل، وفلك الثوابت، والفلك الأطلس، وفلك الكرسي، وفلك العرش، فأعلى الأمكنة بالمكانة والمرتبة فلك الشمس الذي هو قطب الأفلاك إذ الفيض إنما يصل من روحانيته إلى سائر الأفلاك كما أن من كوكبه يتنور الأفلاك جميعاً وذلك كما يقال على القلب يدور البدن أي: منه يصل الفيض إلى سائر البدن وفي فلك الشمس مقام روحانية إدريس كما يشعر به حديث المعراج.

وفي «التأويلات النجمية»: المكان العلي فوق المكونات عند المكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر انتهى. وقد أعطى الله تعالى للمحمديين علو المكانة لكن العبد لا يتصور أن

يكون علياً مطلقاً إذ لا ينال درجة إلا ويكون في الوجود ما هو فوقها وهي درجات الأنبياء والملائكة نعم يتصور أن ينال درجة لا يكون في جنس الإنس من يفوقه وهي درجة نبينا عليه السلام ولكنه قاصر بالإضافة إلى العلو المطلق لأنه علو بالإضافة إلى بعض الموجودات والآخر علو بالإضافة إلى الوجود لا بطريق الوجوب بل يقارنه إمكان وجود إنسان فوقه فالعلي المطلق هو الذي له الفوقية لا بالإضافة وبحسب الوجوب لا بحسب الوجود الذي يقارنه إمكان نقيضه، وفي «المثنوي»:

دست بر بالاى دست اين تاكجا ... تا بيزدان كه اليه المنتهى
كان يكى درياست بى غور وكران ... جمله درياها چوسيلى پيش آن
حيلها وچارها كر ازدهاست ... پيش الا الله انها جملة لاست

فعلى العامة أن لا يلتفتوا إلى العلو الإضافي الحاصل من بعض الرياسات كالقضاء والتدريس والإمامة والإمارة ونحوها وعلى الخاصة أن لا ينظروا إلى العلو الاعتباري الحاصل من بعض المقامات كالأفعال والصفات فإن الكمال الحقيقي هو الترقي من كل إضافة فانية وعلاقة زائلة والتجرد من ملابس كل كون حادث صورة ومعنى ألا ترى إلى حال أصحاب الصفة رضي الله عنهم نسأل الله تعالى أن لا يجعلنا من المفتخرين بغيره.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾

﴿**أولئك**﴾ إشارة إلى المذكورين في هذه السورة من زكريا إلى إدريس وهو مبتدأ خبره قوله ﴿**الذين أنعم الله عليهم**﴾ بأنواع النعم الدينية والدنيوية وأصناف المواهب الصورية والمعنوية وقد أشير إلى بعض ما يخص كلاً منهم ﴿**من النبيين**﴾ بيان للموصول ونظيره في سورة الفتح ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿**من ذرية آدم**﴾ بدل منه بإعادة الجار يقال ذرأ الشيء كثر ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين كما في «القاموس» ﴿**وممن حملنا مع نوح**﴾ أي: ومن ذرية من حملنا معه في سفينته خصوصاً وهم من عدا إدريس فإن إبراهيم كان من ذرية سام بن نوح ﴿**ومن ذرية إبراهيم**﴾ وهم الباقون ﴿**وإسرائيل**﴾ عطف على إبراهيم أي: ومن ذرية إسرائيل أي: يعقوب وكان منهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى. وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية لأن عيسى من مريم وهي من نسل يعقوب ﴿**وممن هدينا واجتبينا**﴾ أي: ومن جملة من هديناهم إلى الحق واصطفيناهم للنبوة والكرامة قالوا من فيه للتبيين إن عطف على من النبيين وللتبعيض إن عطف على ومن ذرية آدم ﴿**إذا تتلى**﴾ تقرأ ﴿**عليهم**﴾ على هؤلاء الأنبياء ﴿**آيات الرحمن**﴾ أي: آيات الترغيب والترهيب في كتبهم المنزلة ﴿**خروا**﴾ سقطوا على الأرض حال كونهم ﴿**سجدا**﴾ ساجدين جمع ساجد ﴿**وبكيا**﴾ باكين جمع باك وأصله بكويا والمعنى أن الأنبياء قبلكم مع ما لهم من علو الرتبة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى كانوا يسجدون ويبكون لسماع آيات الله فكونوا مثلهم وفي الحديث «اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» يقال تباكى فلان إذا تكلف البكاء أي: إن لم تبك أعينكم فلتبك قلوبكم يعني تحزنوا عند سماع القرآن فإن القرآن نزل بحزن على المحزونين. قال الكاشفي: [كلام دوست مهيج شوقست چون آتش شوق

بركانون دل بر افروخته كردد ازديده خون ريختن كيرد:

اى دريـغـا اشـك مـن دريـابـدى تـانـثـار دلـبـر زيـبـا بـدى

اشـك كـان ازبـهـر آن بـارنـد خـلـق كـوهـرسـت واشـك پـنـدارنـد خـلـق]

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿خروا﴾ بقلوبهم على عتبة العبودية ﴿سجدا﴾ بالتسليم للأحكام الأزلية ﴿وبكيا﴾ بكاء السمع بذوبان الوجود على نار الشوق والمحبة انتهى. قالوا: ينبغي أن يدعو الساجد في سجدته بما يليق بآياتها فههنا يقول: «اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك» وفي آية الإسراء «اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك» وفي آية تنزيل السجدة يقول: «اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك». قال الكاشفي: [اين سجده پنجمست از سجدات كلام الله حضرت شيخ قدس سره اين سجده راكه بجهت تلاوت آيات رحمانى مى بايد سجود انعام عام كفته وكريه كه متفرع براوست انرا كريه فرح وسرور ميداند چه رحمت رحما نيست مقتضى لطف ورأفت است وموجب بهجت ومسرت پس نتيجه او طربست نه اندوه وتعب].

﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾﴾

﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون أي: فعقب الأنبياء المذكورين وجاء بعدهم عقب سوء من أولادهم. وفي «الجلالين» بقي من بعد هؤلاء قوم سوء يعني اليهود والنصارى والمجوس انتهى. وفي الحديث «ما من نبي بعثه الله في أمة إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» ذكره مسلم ﴿أضاعوا الصلاة﴾ تركوها أو أخروها عن وقتها أو ضيعوا ثوابها بعد الأداء بالنميمة والغيبة والكذب ونحوها أو شرعوا فيها بلا نية وقاموا لها بلا خضوع وخشوع ﴿واتبعوا الشهوات﴾ من شرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب والانهماك في فنون المعاصي. وعن علي رضي الله عنه هم من بني المشيد وركب المنظور ولبس المشهور وفي الحديث «أوحى الله إلى داود مثل الدنيا كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرونها أفتحب أن تكون كلباً مثلهم فتجر معهم يا داود طيب الطعام ولين اللباس والصيت في الناس والجنة في الآخرة لا يجتمعان أبداً».

واعلم أن تيسير أسباب الشهوات ليس من أمارة الخير وعلامة النجاة في الآخرة ومن ثمة امتنع عمر رضي الله عنه من شرب ماء بارد بعسل وقال: اعزلوا عني حسابها. وقال وهب بن منبه: التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر: من أين؟ فقال: أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي وقال الآخر: أمرت بإهراق زيت اشتهاه فلان العابد والشهوة في الأصل التمني ومعناها بالفارسية [آرزو خواستن] والمراد بها في الآية المشتهيات المذمومة. والفرق بين الهوى والشهوة أن الهوى هو المذموم من جملة الشهوات والشهوة قد تكون

محمودة وهي من فعل الله تعالى وهي ما يدعو الإنسان إلى الصلاح وقد تكون مذمومة وهي من فعل النفس الأمارة بالسوء وهي استجابتها لما فيه لذاتها البدنية ولا عبادة لله أعظم وأشرف من مخالفة الهوى والشهوات وترك اللذات، قال الشيخ سعدي:

مبر طاعت نفس شهوت پرست كه هر ساعتش قبله ديكرست
مرو درپى هرچه دل خواهدت كه تمكين تن نورجان كاهدت
كند مردرا نفس اماره خوار اكر هو شمندى عزيزش مدار

﴿فسوف يلقون غياً﴾ أي: شراً فإن كل شر عند العرب غي فكل خير رشاد. وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] أي: جزاء أثام. وقيل غي واد من جهنم يستعيذ من حره أوديتها أعد للزاني وشارب الخمر وآكل الربا وشاهد الزور ولأهل العقوق وتارك الصلاة.

﴿إلا من تاب﴾ رجع من الشرك والمعاصي ﴿وآمن﴾ اختيار الإيمان مكان الكفر ﴿وعمل صالحا﴾ بعد التوبة والندم ﴿فأولئك﴾ المنعوتون بالتوبة والإيمان والعمل الصالح ﴿يدخلون الجنة﴾ بموجب الوعد المحتوم ﴿ولا يظلمون﴾ لا ينقصون من جزاء أعمالهم ﴿شيئا﴾ ولا يمنعونه فالظلم بمعنى النقص والمنع وشيئاً مفعوله ويجوز أن يكون شيئاً في موضع المصدر أي: ولا يظلمون البتة شيئاً من الظلم.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾

﴿جنات عدن﴾ بدل من الجنة بدل البعض لأن الجنة تشتمل على جنات عدن وما بينهما اعتراض وجنات عدن علم لجنة مخصوصة كشهر رمضان وقد يحذف المضاف حيث يقال جاء رمضان وقيل جنات عدن علم لدار الثواب جميعها والعدن الإقامة وهو الأنسب بمثل هذا المقام فإن جنة عدن المخصوصة وجنة الفردوس لا يدخلهما العوام بالأصالة لأنهما مقام المقربين ﴿التي وعد الرحمن عباده﴾ أي: وعدها إياهم ملتبسة ﴿بالغيب﴾ أي: وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو غائبين عنها لا يرونها وإنما آمنوا بها بمجرد الاخبار والتعرض لعنوان الرحمة للإيذان بأن وعدها وإنجازه لكمال سعة رحمته تعالى. وفي الإضافة إشارة إلى أن المراد من يعبده مخلصاً له في العبودية لا يعبد الدنيا والنفس والهوى إذ كمال التشريف بالإضافة إنما يحصل بهذا المعنى فله جنة عدن المخصوصة ﴿إنه﴾ أي: الله تعالى ﴿كان وعده﴾ أي: موعوده الذي هو الجنة ﴿مأتيا﴾ أي: يأتيه من وعد له لا محالة بغير خلف فالمأتي بمعنى المفعول من الإتيان أو بمعنى الفاعل أي: جائياً ألبتة.

﴿لا يسمعون فيها﴾ في تلك الجنات ﴿لغوا﴾ أي: فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن أهلها. وفيه تنبيه على أن اللغو مما ينبغي أن يجتنب عنه في هذه الدار ما أمكن ﴿إلا سلاماً﴾ استثناء منقطع أي: لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم على بعض ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة﴾ [بامداد] ﴿وعشيا﴾ [شبانكاه] والمراد دوام الرزق كما يقال أنا عند فلان صباحاً ومساء يراد الدوام منه وقيل يؤتى طعامهم على مقدار البكرة والعشي إذ لا نهار ثمة ولا ليل بل هم في نور أبداً وإنما وصف الله الجنة بذلك لأن العرب لا

تعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة والعشي. قال الإمام في تفسيره فإن قيل المقصود من الآيات وصف الجنة بأمور مستعظمة وليس وصول الرزق بكرة وعشياً منها قلنا قال الحسن: أراد أن يرغب كل قوم بما أحبوه في الدنيا فلذلك ذكر أساور الذهب والفضة ولبس الحرير الذي كان عادة العجم والأرائك التي كانت عادة أشراف اليمن ولا شيء أحب إلى العرب من الغداء والعشاء.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿**ولهم رزقهم فيها**﴾ من رؤية الله تعالى ﴿**بكرة وعشيا**﴾ كما جاء في الخبر: «وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشياً» انتهى.

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾

﴿**تلك**﴾ إشارة إلى الجنة المذكورة المتقدمة يريد تلك التي بلغك وصفها وسمعت بذكرها ﴿**الجنة**﴾ قال في «الإرشاد»: مبتدأ وخبر جيء به لتعظيم شأن الجنة وتعيين أهلها ويجوز أن يكون الجنة صفة للمبتدأ الذي هو اسم الإشارة وخبره قوله: ﴿**التي نورث**﴾ أي: نورثها ونعطيها بغير اختيار الوارث ﴿**من عبادنا من كان تقيا**﴾ مجتنباً عن الشرك والمعاصي مطيعاً لله أي: نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها كما نبقي على الوارث مال مورثه ونمتعه به. قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف قال نورث والميراث ما انتقل من شخص إلى شخص والجواب أن هذا على وجه التشبيه أراد أن الأعمال سبب لها كالنسب ملك بلا كسب ولا تكلف وكذا الجنة عطاء من الله ورحمة منه خلافاً للقدرية انتهى. والوراثة أقوى ما يستعمل في التملك والاستحقاق من حيث إنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا إبطال ولا إسقاط. قال في «الأشباه»: لو قال الوارث تركت حقي بطل حقه انتهى. وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا وأطاعوا زيادة في كرامتهم. قال المولى الفناري في تفسير الفاتحة: اعلم أن الجنات ثلاث:

الأولى جنة اختصاص إلهي وهي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا حد العمل وحدهم من أول ما يولد إلى أن يستهل صارخاً إلى انقضاء ستة أعوام ويعطي الله من شاء من عباده من جنات الاختصاص ما شاء ومن أهلها المجانين الذين ما عقلوا ومن أهلها أهل التوحيد العلمي ومن أهلها أهل الفترات ومن لم تصل إليهم دعوة رسول.

والجنة الثانية: جنة ميراث ينالها كل من دخل الجنة ممن ذكرنا من المؤمنين وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها.

والجنة الثالثة: جنة الأعمال وهي التي يتزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر سواء كان الفاضل بهذه الحال دون المفضول أو لم يكن فما من عمل إلا وله جنة يقع التفاضل فيها بين أصحابها ورد في الحديث الصحيح عن النبي عليه السلام أنه قال لبلال: «يا بلال بمَ سبقتني إلى الجنة فما وطئت منها موضعاً إلا سمعت خشخشتك أمامي» فقال: يا رسول الله ما أحدثت قط إلا توضأت وما توضأت إلا صليت ركعتين فقال رسول الله ﷺ: «بهما» فعلمنا أنها كانت جنة مخصوصة بهذا العمل فما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم ومكروه إلا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص

يناله من دخلها ومن الناس من يجمع في الزمن الواحد أعمالاً كثيرة فيصرف سمعه وبصره ويده فيما ينبغي في زمان صومه وصدقته بل في زمان صلاته في زمان ذكره في زمان نيته من فعل وترك فيؤجر في الزمن الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس له ذلك نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الطاعة.

﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾. قال مجاهد: أبطأ الملك على رسول الله ﷺ ثم أتاه فقال له عليه السلام: «ما حبسك يا جبرائيل» قال: وكيف آتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تأخذون شواربكم ولا تنقون براجمكم ولا تستاكون ثم قرأ **﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾** كما في «أسباب النزول» و«سفينة الأبرار» وفي الحديث: «نقوا براجمكم» وهي مفاصل الأصابع والعقد التي على ظهرها يجتمع فيها الوسخ واحدها برجمة وما بين العقدتين يسمى راجبة والجمع رواجب وذلك مما يلي ظهرها وهو قصبة الأصبع فلكل أصبع برجمتان وثلاث رواجب إلا الإبهام فإن له برجمة وراجبتين فأمر بتنقيته لئلا يدرن فيبقى فيه الجنابة ويحول الدرن بين الماء والبشرة ذكره القرطبي. وقال بعض المفسرين: هو حكاية لقول جبريل حين استبطأه رسول الله لما سئل عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا أن يوحى إليه فيه فأبطأ عليه أربعين يوماً أو خمسة عشر فشق عليه ذلك مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل ببيان ذلك قال له: «أبطأت عليّ حتى ساء ظني واشتقت إليك» فقال جبريل: إني كنت أشوق ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست فأنزل الله هذه الآية وسورة والضحى. والتنزل النزول على مهل لأنه مطاوع للتنزيل والمعنى قال الله لجبريل: قل لمحمد وما نتنزل وقتاً غب وقت إلا بأمر الله على ما تقتضيه حكمته.

﴿له﴾ أي: لله بالاختصاص **﴿ما بين أيدينا﴾** من الأمور الأخروية الآتية **﴿وما خلفنا﴾** من الأمور الدنيوية الماضية **﴿وما بين ذلك﴾** ما بين ما كان وما سيكون أي: من هذا الوقت إلى قيام الساعة.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿له ما بين أيدينا﴾** من التقدير الأزلي **﴿وما خلفنا﴾** من التدبير الأبدي **﴿وما بين ذلك﴾** من أزل إلى الأبد انتهى. ونظيره قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥] **﴿وما كان ربك نسيا﴾** [فر اموشكار يعنى ازحال تو آكاهست هركاه كه خواهد مارا بتوفرستد]. قال أهل التفسير فعيل بمعنى فاعل من النسيان بمعنى الترك أي: تاركاً لك كما زعمت الكفرة وإن تأخر عنك الوحي لمصلحة أو بمعنى نقيض الذكر الذي هو الغفلة أي: غافلاً عنك.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾

﴿رب السموات والأرض﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: هو مالكهما **﴿وما بينهما﴾** من الخلق فكيف يجوز النسيان على الرب **﴿فاعبده﴾** أي: إذا كان هو الرب فاثبت على عبادته يا محمد والعبادة قيام العبد بما تعبد به وتكلف من امتثال الأوامر والنواهي.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿فاعبده﴾** بجسدك ونفسك وقلبك وسرك وروحك فعبادة جسدك إياه بأركان الشريعة وهي الائتمار بما أمرك الله به والانتهاء عما نهاك الله عنه وعبادة نفسك بآداب الطريقة وهي ترك موافقة هواها ولزوم مخالفة هواها وعبادة القلب والإعراض عن

الدنيا وما فيها والإقبال على الآخرة ومكارمها وعبادة السر خلوه عن تعلقات الكونين اتصالاً بالله تعالى ومحبة وعبادة الروح ببذل الوجود لنيل الشهود **﴿واصطبر لعبادته﴾** أي: اصبر لمشاقها ولا تحزن بإبطاء الوحي واستهزاء الكفرة وشماتتهم بك فإنه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والآخرة. وتعدية الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء كما في قوله ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك أي: اثبت له فيما يورد عليك من شدائده وحملاته **﴿هل تعلم له سمياً﴾** السمي الشريك في الاسم والمثل والشبيه أي: مثلاً يستحق أن يسمى إلٰهاً وإنما قيل للمثل سمي لأن كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والنظير وكل واحد منهما سمي لصاحبه أو أحداً يسمي الله غيره فإن المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة أصلاً والمراد بإنكار العلم ونفيه إنكار المعلوم ونفيه أي: لا يكون ولم يكن ذلك. قال الكاشفي: [يكى از آثار سطوت آلهي آن بودكه هيچ كس ازاهل شرك معبود خودرا الله نكفته اند عزت احديت وغيرت الوهيت اين اسم سامى را از تصرف كفار وتسميه ايشان در حصن حصين امان محفوظ داشت وزبان اهل ايمانرا در نعمت ومحنت وسرا وضرا بتكرر آن نام نامى جارى ساخت]:

الله الله چـه طـرفـه نـامـسـت ايـن   حـرزدل وردجـان تـمـامـسـت ايـن

بـس بـود نـزد صـاحـب مـعـنـى   حـسـبـي الله كـواه ايـن دعـوى

روي أن بعض الجبابرة سمى نفسه بلفظ الجلالة فصهر ما في بطنه من دبره وهلك من ساعته وقال فرعون مصر للقبط أنا ربكم الأعلى ولم يقدر أن يقول أنا الله. قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يسمى أحد الرحمٰن وغيره. قال المولى الفناري في ترتيب أسماء البسملة: إن لاسم الجلالة اختصاصاً وضعياً واستعمالياً وللرحمٰن اختصاصاً استعمالياً وقولهم رحمٰن اليمامة لمسيلمة تعنت في كفرهم كما لو سموه الله مثلاً ولا اختصاص للرحيم قالت قريش لرسول الله ﷺ: بلغنا أنك إنما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمٰن وإنا والله لن نؤمن بالرحمٰن أبداً وقد عنوا بالرحمٰن مسيلمة الكذاب وقيل عنوا كاهناً كان لليهود باليمامة وقد رد الله عليهم بأن الرحمٰن المعلم له هو الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠] أي: توبتي ورجوعي كما في «إنسان العيون» وتكره التسمية بالأسماء التي لا تليق إلا بالله تعالى كالرحمٰن والرحيم والإله والخالق والقدوس ونحوها قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣] قال بعض المفسرين قل سموهم بأسمائي ثم انظروا هل تليق بهم أي: لا تليق بهم وغير رسول الله ﷺ اسم العزيز لأن العزة لله وشعار العبد الذلة والاستكانة كما في «ابكار الأفكار».

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾

﴿ويقول الإنسان﴾ بطريق الإنكار والاستبعاد للبعث وهو أبي بن خلف حين فت عظماً بالياً فقال: يزعم محمد أنا نبعث بعدما نموت ونصير إلى هذه الحال **﴿أئذا ما مت﴾** وكنت رميماً **﴿لسوف أخرج﴾** من القبر حال كوني **﴿حيا﴾** وبالفارسية [آياچون بميرم من هر آينه زود

بيرون شوم از خاك زنده يعني چكونه تواند بودكه مرده زنده شود وازخاك بيرون آيد] تقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار لما أن المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج وهو البعث لا به فإن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها لصدارتها وهي في الأصل للحال وههنا للتأكيد المجرد أي: لتأكيد معنى همزة الإنكار في أئذا ولذا جاز اقترانها بسوف الذي هو حرف الاستقبال. وفي «التكملة» اللام في قوله تعالى: ﴿لسوف﴾ ليست للتأكيد فإنه منكر فكيف يحقق ما ينكر وإنما كلامه حكاية لكلام النبي عليه السلام كأنه ﷺ قال إن الإنسان إذا مات لسوف يخرج حياً فأنكر الكافر ذلك وحكي قوله فنزلت الآية على ذلك حكاه الجرجاني في كتاب «نظم القرآن». قال في «بحر العلوم» لما كانت هذه اللام لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر وجب تقدير مبتدأ وخبر وأن يكون أصله لأنا سوف أخرج حياً وما في أئذا ما للتوكيد أيضاً وتكرير التوكيد إنكار على إنكار.

﴿أولا يذكر الإنسان﴾ الهمزة للإنكار التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول. والذكر في الأصل هو العلم بما قد علم من قبل ثم تخلله سهو وهم ما كانوا عالمين فالمراد به هنا التذكر والتفكر والمعنى أيقول ذلك ولا يتفكر ﴿إنا خلقناه من قبل﴾ أي: من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه ﴿ولم يك﴾ أصله لم يكن حذف النون تخفيفاً لكثرة الاستعمال أو تشبيهاً بحروف العلة في امتداد الصوت. وقال الرضي: النون مشابه للواو في الغنة ﴿شيئا﴾ بل كان عدماً صرفاً فيعلم أن من قدر على الابتداء من غير مادة قدر على الإعادة بجمع المواد بعد تفريقها وفي هذا دليل على صحة القياس حيث أنكر عليه وجهله في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى فيستدل به على البعث والإعادة قيل لو اجتمع الخلق على إيراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا.

﴿فوربك﴾ الواو للقسم. والمعنى بالفارسية [پس بحق پرورد كار توكه بوقت قيامت] ﴿لنحشرنهم﴾ لنجمعنّ القائلين بالسوق إلى المحشر بعد ما أخرجناهم من الأرض أحياء ﴿والشياطين﴾ معهم وهم الذين أغووهم إذ كل كافر سيحشر مع شيطانه في سلسلة ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم﴾ حال كونهم ﴿جثيا﴾ جمع جاث من جثا يجثو ويجثي جثوا وجثياً فيهما جلس على ركبتيه كما في «القاموس» أي: جالسين على الركب لما يعرضهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما جثيا جماعات جمع جثوة وهي الجماعة واختاره في تفسير «الجلالين».

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾

﴿ثم لننزعن﴾ لنخرجن قاله البغوي والنزع الجذب ﴿من كل شيعة﴾ أمة وفرقة شاعت أي: نبعث غاوياً من الغواة ﴿أيهم﴾ موصول حذف صدر صلته منصوب بننزعن الذين هم أو استفهام مبتدأ خبره أشد فرفعه على الحكاية أي: لننزعن الذين يقال لهم أيهم ﴿أشد﴾ [سختتر وبسيارتر] ﴿على الرحمن﴾ [برخداى تعالى] ﴿عتيا﴾ [از جهت سركشى وجرأت يعني أول ازهر امتى آنراكه نافرمان تربوده جدا كنيم] يقال عتا على فلان إذا تجاوز الحد في الظلم

والمقصود أنه يميز من كل طائفة منهم الأعصى فالأعصى فإذا اجتمعوا يطرح في النار على الترتيب. قال في الكبير يحضرهم أولاً ثم يخص أشدهم تمرداً بعذاب أعظم إذ عذاب الضال المضل يجب أن يكون فوق عذاب من يضل تبعاً وليس عذاب من يورد الشبهة كعذاب من يقتدي به غافلاً قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨] انتهى. يقول الفقير في الآية تهديد عظيم لأبي المذكور وأنه أول منزوع من مشركي العرب لكونه أشد على الرحمٰن عتياً من جهة مقالته المذكورة.

واعلم أن أول الأمر البعث ثم الحشر ثم الإحضار ثم النزع ثم الإدخال في النار وهو قوله تعالى:

﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى﴾ [سزاوار ترند] ﴿بها﴾ [بآتش دوزخ] ﴿صليا﴾ دخولاً يعني [ميدانيم كه كيست سزاى انكه اورا نخست در آتش افكنند] وهم المنتزعون يقال صلى يصلي كلقى يلقي ومضى يمضي إذا دخل النار.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾

﴿وإن منكم﴾ أي: وما منكم أيها الناس ﴿إلا واردها﴾ أي: واصل جهنم وداخلها ﴿كان﴾ أي: ورودهم إياها ﴿على ربك حتما﴾ مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الأمير أي: أمراً محتوماً أوجبه الله على ذاته ﴿مقضيا﴾ حتى أنه لا بد من وقوعه ألبتة.

﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [پس نجات دهيم آنانرا كه پرهيز كردند از شرك يعنى بيرون آريم ازدوزخ] أحال الورود إلى الوارد وأحال النجاة إلى نفسه تعالى. ففيه إشارة إلى أن كل وارد يرد بقدم الطبيعة في هاوية الهوى إن شاء وإن أبى ولو خلى إلى طبيعته لا ينجو منها أبداً ولكن ما نجا من نجا إلا بإنجاء الله تعالى إياه ﴿ونذر﴾ نترك ﴿الظالمين﴾ لأنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿فيها﴾ في جهنم ﴿جثيا﴾ [بزانو در آمد كان] وهو إشارة إلى هوانهم وتقاعدهم عن الحركة إلى الجنة مع الناجين. وفي تفسير «الجلالين» جثياً أي: جميعاً انتهى.

اعلم أن الوعيدية وهم المعتزلة قالوا: إن من دخلها لا يخرج منها وقالت المرجئة لا يدخلها مؤمن قط وقالوا إن الورود هٰهنا هو الحضور لا الدخول فأما أهل السنة فقالوا يجوز أن يعاقب الله العصاة من المؤمنين بالنار ثم يخرجهم منها. وقالوا معنى الورود الدخول كقوله تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨] وقال تعالى ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] وبدليل قوله تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ والنجاة إنما تكون بعد الدخول فيها كقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] فإن قلت كيف يدخلونها والله تعالى يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٢]. قلت: المراد به الإبعاد عن عذابها. قال في «الأسئلة المقحمة» يجوز أن يدخلوها ولا يسمعوا حسيسها لأن الله تعالى يجعلها عليهم برداً وسلاماً كما جعلها على إبراهيم عليه السلام فالمؤمنون يمرون بجهنم وهي برد وسلام والكافرون وهي نار كما أن الكوز الواحد كان يشربه القبطي فيصير دماً والإسرائيلي فيكون ماء عذباً:

مؤمن فسون چه داند بر آتشش بخواند سوزش درو نماند كردد چونور روشن

وفي الحديث: «جز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي»، وفي «المثنوي»:

كويدش بكذر سبك اى محتشم ورنه آتشهاى تومرد آتشم

فإن قلت إذا لم يكن في دخول المؤمنين عذاب فما الفائدة فيه؟ قلت وجوه:

الأول: أن يزيدهم سروراً إذا علموا الخلاص منه.

والثاني: يزيد غم أهل النار لظهور فضيحتهم عند المؤمنين والأولياء الذين كانوا يخوفونهم بالنار.

والثالث: يرون أعداءهم المؤمنين قد تخلصوا منها وهم يبقون فيها.

والرابع: أن المؤمنين إذا كانوا معهم فيها بكتوهم فيزداد غمهم.

والخامس: أن مشاهدة عذابهم توجب مزيد التذاذهم بنعيم الجنة.

يقول الفقير: لا شك عند أهل المعرفة أن جهنم صورة النفس الأمارة ففي الدنيا يرد كل من الأنبياء والأولياء والمؤمنين والكافرين هاوية الهوى بقدم الطبيعة لكن الأنبياء لكون نفوسهم من المطمئنة يجدونها خامدة وأما الأولياء فيردون عليها وهي ملتهبة ثم يجهدون إلى أن يطفئوها بنور الهدى ويلتحق بهم بعض المؤمنين وهم المعفو عنهم ولا يمر هؤلاء الطوائف الجليلة بالنار في الآخرة فلا يحترقون بها أصلاً وأما الكفار فلما كان كفرهم كبريت الهوى في الدنيا فلا جرم يدخلون النار في الآخرة وهي ملتهبة فيبقون هناك محترقين مخلدين ويلتحق بهم بعض العصاة وهم المعذبون لكنهم يخرجون منها بسبب نور تقواهم عن الشرك. وقال ابن مسعود والحسن وقتادة ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها وذلك لأنه لا طريق إلى الجنة سوى الصراط فالمرور في حكم الورود وفي الحديث: «لا يموت لمسلم ثلاث من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم» وهي قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ والتحلة مصدر حللت اليمين أي: أبررتها وتحلة القسم ما يفعله الحالف مما أقسم عليه مقدار ما يكون باراً في قسمه فهو مثل في القليل المفرط القلة. وقال مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء» وفي الحديث: «الحمى حظ كل مؤمن من النار» وقد جاء «إن حمى ليلة كفارة سنة ومن حم يوماً كان له براءة من النار وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وعن جابر رضي الله عنه استأذنت الحمى على رسول الله عليه السلام فقال: «من هذه» قالت أم ملدم فأمر بها عليه السلام إلى أهل قبا فلقوا منها ما لا يعلمه إلا الله فشكوا إليه عليه السلام فقال: «إن شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم وإن شئتم تكون لكم طهوراً» قالوا: أويفعل ذلك قال: «نعم» قالوا فدعها قالت عائشة رضي الله عنها قدمنا المدينة وهي أوبى أرض الله ولما حصلت لها الحمى قال لها عليه السلام: «ما لي أراك هكذا» قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله هذه الحمى وسبّتها فقال: «لا تسبيها فإنها مأمورة ولكن إن شئت علمتك كلمات إذا قلتهن أذهب الله عنك» قالت: فعلمني قال: «قولي اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا أم ملدم إن كنت آمنت بالله العظيم فلا تصدعي الرأس ولا تنتني الفم ولا تأكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني إلى من اتخذ مع الله إلهاً آخر» فقالتها فذهبت عنها كذا في إنسان العيون.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿وإذا تتلى﴾ [وچون خوانده شود] ﴿عليهم﴾ أي: على المشركين ﴿آياتنا﴾ القرآنية ﴿بينات﴾ واضحات الاعجاز والمعاني وهي حال مؤكدة فإن آيات الله لا ينفك عنها الوضوح ﴿قال﴾ [كويند] ﴿الذين كفروا﴾ كنضر بن الحارث وأصحابه ﴿للذين آمنوا﴾ أي: لفقراء المؤمنين واللام للتبليغ كما في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٧] أو لام الأجل أي: لأجلهم في حقهم ﴿أيّ الفريقين﴾ أي: المؤمنين والكافرين كأنهم قالوا أينا ﴿خير﴾ نحن أو أنتم ﴿مقاماً﴾ مكاناً ومسكناً يعني [مارا منازل نزه است وهمه اسباب معيشت] ﴿وأحسن ندياً﴾ أي: مجلساً ومجتمعاً. قال بعض المفسرين الندى المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم يعنى [در مجمع ما همه صناديد قريش وأشراف عرب اند ودر مجلس او همه موالى وضعفا].

- يروى - أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة فإذا سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها قالوا مفتخرين بالحظوظ الدنيوية على فقراء المؤمنين لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا أحسن لأن الحكيم لا يليق به أن يوقع أولياءه في العذاب والذل وأعداءه في العز والراحة لكن الأمر بالعكس وقصدهم بهذا الكلام صرفهم عن دينهم فرد الله عليهم بقوله:

﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ كم مفعول أهلكنا ومن قرن بيان لإبهامها وأهل كل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم مأخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها. وقال الكاشفي: [من قرن: كروهى را مجتمع بودند در زمان واحد] انتهى كأنه أخذه من الاقتران ﴿هم أحسن﴾ في محل النصب على أنه صفة لكم ﴿أثاثاً﴾ تمييز عن النسبة وهو متاع البيت يعني [نيكوتر ازجهت امتعه بيت كه آرايش منازل بدان باشد] ﴿ورئيا﴾ هو المنظر والهيئة فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن والمعنى كثيراً من القرون التي كانوا أفضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود وأضرابهم من الأمم العاتية قبل هؤلاء أي: كفار قريش أهلكناهم بفنون العذاب لو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا. وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كأنه قيل فلينظر هؤلاء أيضاً مثل ذلك. قال الكاشفي: [نه آن مال هلاك از ايشان دفع كرد ونه آن جمال عذاب از ايشان باز داشت]:

برمال وجمال خويشتن تكيه مكن كانرا بشبى برند وآنرا بتبى

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن أهل الإنكار وأهل العزة بالله ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ من الحقائق والأسرار ﴿قال الذين كفروا﴾ ستروا الحق بالإنكار والاستهزاء ﴿للذين آمنوا﴾ من أهل التحقيق إذا رأوهم مرتاضين مجاهدين مع أنفسهم متحملين متواضعين متذللين متخاشعين وهم متنعمون متمولون متكبرون متبعو شهوات أنفسهم ضاحكون مستبشرون ﴿أي الفريقين﴾ منا ومنكم ﴿خير مقاماً﴾ منزلة ومرتبة في الدنيا ووجاهة عند الناس وتوسعاً في المعيشة ﴿وأحسن ندياً﴾ مجلساً ومنصباً وحكماً فقال تعالى في جوابهم ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي: أهلكناهم بحب الدنيا ونعيمها إذ أغرقناهم في بحر شهواتها واستيفاء لذاتها والتعزز

بمناصبها ﴿هم أحسن أثاثاً ورئياً﴾ استعداداً واستحقاقاً في الكمالات الدينية منكم كما قال عليه السلام: «خياركم في الإسلام خياركم في الجاهلية إذا فقهوا».

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿قل﴾ للمفتخرين بالمال والمنال ﴿من﴾ شرطية والمعنى بالفارسية [هركه] ﴿كان﴾ مستقراً ﴿في الضلالة﴾ [دركمر اهى ودر دورى ازراه حق] مغموراً بالجهل والغفلة عن عواقب الأمور ﴿فليمدد له الرحمن مداً﴾ أي: يمد له ويمهله بطول العمر وأعطاه المال والتمكين من التصرفات وإخراجه على صيغة الأمر للإيذان بأن ذلك مما ينبغي أن يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير أو للاستدراج واعتبار الاستقرار في الضلالة لما أن المد لا يكون إلا للمصرين عليها إذ رب ضال يهديه الله والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن المد من أحكام الرحمة الدنيوية. قال شيخي وسندي قدس سره في بعض تحريراته ﴿فليمدد له الرحمن مداً﴾ أي: فليستدرجه الرحمٰن استدراجاً بمد عمره وتوسيع ماله وتكثير ولده أو فليمهله الرحمٰن إمهالاً بمد راحته على الطغيان وإيصال نعمته على وجه الإحسان حتى يقع في العقاب والعذاب على سبيل التدريج لا التعجيل فيكون عقابه وعذابه أكمل وأشمل أثراً وألماً لأن الأخذ على طريق التدريج والنعمة أشد منه على طريق التعجيل والنقمة مع أن مبدأ المد مطلقاً هو الرحمٰن دون القهار أو الجبار لأن كلاً منهما مبدأ الشدة ولذلك عبر به لا بغيره هذا هو الخاطر ببالي في وجه التعبير بالرحمٰن وإن كانت أشدية عقاب الرحمٰن وجهاً لكن وجه أشدية عقابه ما ذكرنا لأنه إذا أراد العقاب يأتي به على وجه الرحمة والنعمة فيكون كدراً بعد الصفاء وألما بعد الراحة وشدة بعد الرخاء فهذا أقوى أثراً والحاصل لا يتصور وقوع المد المذكور إلا من الرحمٰن لأنه أصله ومنشأه انتهى كلامه روح الله روحه ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون﴾ [تاوقتى كه ببينند آنچه بيم كرده شده اند بدان] غاية للمد الممتد وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضميرين الأولين باعتبار لفظها ﴿إما العذاب وإما الساعة﴾ تفصيل للموعود على سبيل البدل فإنه إما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم إياهم قتلاً وأسراً وإما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الحزن والنكال على طريقة منع الخلو دون الجمع فإن العذاب الأخروي لا ينفك عنهم بحال. قال الإمام أي: لو فرض أن هذا الضال المتنعم قد مد له في أجله أليس أنه ينتهي إلى عذاب في الدنيا أو في الآخرة فسيعلم أن النعم لا تنفعه كما قال تعالى: ﴿فسيعلمون﴾ جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى فإنها هي التي تحكي بعدها الجملة ولذا وقع بعد الجملة الشرطية أي: حتى إذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوي أو الأخروي فقط فسيعلمون حينئذٍ ﴿من هو شر مكاناً﴾ من الفريقين بأن يشاهدوا الأمر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون أنهم شر مكاناً لا خير مقاماً. قال الكاشفي: [پس بدانند آنرا كه بدترست از هر دو كروه ازجهت مكان جه جاى مؤمنان درجات جنان باشد ومأواى ايشان دركات نيران]:

افتخار از رنك وبو واز مكان ... هست شادى وفريب كودكان

قال في «بحر العلوم»: جعلت الشرارة للمكان ليفيد إثباتها لأهله لأنه إذا ثبت الأمر في

مكان الرجل فقد ثبت له كما في قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه ﴿وأضعف جنداً﴾ أي: فئة وأنصاراً لا أحسن ندياً كما كانوا يدعونه. قال في «تفسير الجلالين» وذلك أنهم إن قتلوا ونصر المؤمنون عليهم علموا أنهم أضعف جنداً ضعفاء كلا ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف: ٤٣] وإنما ذكر ذلك رداً لما كانوا يزعمون أن لهم أعواناً من الأعيان وأنصاراً من الأخيار ويفتخرون بذلك في الأندية والمحافل.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾

﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ كلام مستأنف سيق لبيان حال المهتدين إثر بيان حال الضالين أي: ويزيد الله المؤمنين إيماناً وعملاً ويقيناً ورشداً كما زاد الضالين ضلالاً ومدهم في استدراجهم ﴿والباقيات الصالحات خير﴾ كلام مستأنف وارد من جهته تعالى لبيان فضل أعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى: ﴿عند ربك ثواباً﴾ هو الجزاء لأنه نفع يعود إلى المجزى وهو اسم من الإثابة أو التثويب أي: الأعمال التي تبقى عائدتها أبداً خير عند ربك من مفاخرات الكفار وحظوظهم العاجلة ﴿وخير مرداً﴾ مرجعاً وعاقبة لأن مآلها رضوان الله والنعيم الدائم ومآل هذا السخط والعذاب المقيم. وقال الكاشفي يعني [اكر كافر انرا دردنيا جاه ومال است ودر آخرت وبال ونكال خواهدشد اما مؤمن دردنيا هم هدايت دارندوهم حمايت ودر آخرت هم ثواب خواهند داشت وهم حسن المآب]:

بدنيي سر فراز ونام دارند بعقبى كامدار وكام كارند

ففي الآية إشارة إلى أن الضرر القليل المتناهي الذي يعقبه نفع كثير غير متناه كما هو حال المؤمنين خير من عكسه كما هو حال الكافرين فإمهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله كما أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لأن الله تعالى أراد به ما هو خير له وعوضه منه.

واعلم أن الباقيات الصالحات هي أعمال الآخرة كلها ومنها الكلمات الطيبة. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: جلس رسول الله عليه السلام ذات يوم وأخذ عوداً يابساً وأزال الورق عنه ثم قال: «إن قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ليحط الخطايا كما يحط ورق هذه الشجرة الريح خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن فهن الباقيات الصالحات وهي من كنوز الجنة».

وفي «التأويلات النجمية»: الباقيات الصالحات هي الأعمال الصالحات التي هي من نتائج الواردات الإلهية التي ترد من عند الله إلى قلوب أهل الغيوب يعني كل عمل يصدر من عند نفس العبد من نتائج طبعه وعقله لا يكون من الباقيات الصالحات يدل عليه قوله ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] انتهى. فعلى العاقل أن يجتهد في إصلاح النفس وتزكيتها ليتولد منها الأعمال الباقية والأحوال الفاضلة ويحصل له نسل بلا عقم ونكاح منتج قوانا الله وإياكم في ذلك آمين.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾

﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ نزلت فيمن سخر بالبعث وهو العاص بن وائل كان لخباب بن الأرت عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا أكفر بمحمد حياً ولا ميتاً ولا حين نبعث قال: وإذا بعثت جئتني فيكون لي مال وولد فأعطيك والهمزة للتعجب من حاله والإيذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن يرى ويقضي منها العجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: أنظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا التي من جملتها آيات البعث ﴿وقال﴾ مستهزئاً بها مصدراً كلامه باليمين الفاجرة ﴿لأوتين﴾ في الآخرة إن بعثت يعني [بمن دهند] ﴿مالاً وولداً﴾ أي: أنظر إليه يا محمد فتعجب من حالته البديعة وجراءته الشنيعة.

﴿أطلع الغيب﴾ همزته استفهام وأصله أأطلع من قولهم اطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه وطلع الثنية. والمعنى أقد بلغ من عظمة الشأن إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به العليم الخبير حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالاً وولداً وأقسم عليه ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ أو اتخذ من عالم الغيب عهداً بذلك فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين علم الغيب وعهد من عالمه وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فإن وعد الله بالثواب عليهما كالعهد الموثق عليه ﴿كلا﴾ ليس الأمر على ما يقول.

﴿سنكتب ما يقول﴾ سنحفظ عليه ما يقول من الكذب والكفر والاستهزاء فنجازيه به ﴿ونمد له من العذاب مداً﴾ مكان ما يدعيه لنفسه من الإمداد بالمال والولد أي: نطول له من العذاب ما يستحقه.

﴿ونرثه﴾ بموته ﴿ما يقول﴾ أي: مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما أوتيه في الدنيا من المال والولد. وفيه إيذان بأنه ليس لما يقوله مصداق موجود سوى ما ذكر أي: ننزع ما آتيناه كما في «الإرشاد». وقال في «العيون» ما بدل من هاء نرثه بدل اشتمال أي: نهلكه ونورث ماله وولده غيره. وقال الكاشفي: [وميراث ميكيريم آنچه ميكويدكه فردا بمن خواهند داد يعني مال وفرزند] ﴿ويأتينا﴾ يوم القيامة ﴿فرداً﴾ وحيداً خالياً لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلاً عن أن يؤتى ثمة زائداً. وفي الآية إشارة إلى أن أهل الغرور يدعون الإحراز للفضيلتين المال والولد في الدنيا والنجاة والدرجات في الآخرة وينكرون على أهل التجرد في الإعراض عن الكسب واعتزال النساء والأولاد ولا يدرون أنهم يقعون بذلك في عذاب البعد إذ لا سند لهم أصلاً، قال الكمال الخجندي:

بشكن بت غروركه دردين عاشقان يك بت كه بشكنند به ازصد عبادتست

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾

﴿واتخذوا﴾ أي: مشركو قريش ﴿من دون الله آلهة﴾ أي: اتخذوا الأصنام آلهة متجاوزين الله تعالى ﴿ليكونوا لهم عزا﴾ أي: ليتعززوا بهم بأن يكونوا لهم وصلة إليه تعالى وشفعاء عنده وأنصاراً ينجون بهم من عذاب الله تعالى. قال بعضهم: كيف تظفر بالعز وأنت تطلبه في محل الذل ومكانه إذ ذللت نفسك بسؤال الخلق ولو كنت موفقاً لأعززت نفسك بسؤال الحق أو بذكره أو بالرضى لما يرد عليك منه فتكون عزيزاً في كل حال دنيا وآخرة.

﴿كلا﴾ ليس الأمر على ما ظنوا ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لهم ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ أعداء للآلهة كافرين بها بعد أن كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها. وقال في تفسير الجلالين ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ أي: يجحدونها لأنهم كانوا جماداً لم يعرفوا أنهم يعبدون ويكونون عليهم ضداً أي: أعواناً وذلك أن الله تعالى يحشر آلهتهم فينطقهم ويركب فيهم العقول فتقول: يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك انتهى فالضمير في يكفرون ويكونون للآلهة.

﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ أي: سلطناهم عليهم بسبب سوء اختيارهم حال كون تلك الشياطين ﴿تؤزهم أزاً﴾ أي: تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهييجاً شديداً بأنواع الوساوس والتسويلات فإن الاز والهز والاستفزاز أخوات معناها شدة الازعاج. وفي «العيون» الاز في الأصل هو الحركة مع صوت متصل من ازيز القدر أي: غليانه والمراد تعجيب رسول الله عليه السلام من أقاويل الكفرة وتماديهم في الغي والانهماك في الضلال والإفراط في العناد والإجماع على موافقة الحق بعد اتضاحه وتنبيه على أن جميع ذلك منهم بإضلال الشياطين وإغوائهم لا لأن له مسوغاً في الجملة.

﴿فلا تعجل عليهم﴾ أي: بأن يهلكوا حسبما تقضيه جناياتهم حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الأرض من فسادهم يقال عجلت عليه بكذا إذا استعجلته منه ﴿إنما نعد لهم﴾ أيام آجالهم ﴿عداً﴾ أي: لا تعجل بهلاكهم فإنه لم يبق لهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة فيجازيهم بها. وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخول قبرك. وكان ابن السماك رحمه الله عند المأمون فقرأها فقال: إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدِد فما أسرع ما تنفد قال أعرابي: كيف تفرح بعمر تقطعه الساعات وسلامة بدن تعرض للآفات. قال العلامة الزمخشري استغنم تنفس الأجل وإمكان العمل وأقطع ذكر المعاذير والعلل فإنك في أجل محدود وعمر ممدود. قال المنصور لما حضرته الوفاة بعنا الآخرة بنومة قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: من حافظ على الأنفاس فالساعات في حكمه إلى ما فوق ذلك ومن كان وقته الساعات فأتته الأنفاس ومن كان وقته الأيام فأتته الساعات ومن كان وقته الجمعة فأتته الأيام ومن كان وقته الشهور فأتته الأسابيع ومن كان وقته السنون فأتته الشهور ومن كان وقته العمر فأتته السنون ومن فاته عمر لم يكن له وقت ولم تعد همته بهمة:

على نفسك فليبك من ضاع عمره

ويطول الوقت ويقصر بحسب حضور صاحبه فمنهم من وقته ساعة ويوم وجمعة وشهر وسنة ومرة واحدة في عمره ومن الناس من لا وقت له لغلبة بهيميته عليه واستغراقه في الشهوات، قال المولى الجامي:

هردم از عمر كرامى هست كنج بى بدل ... ميرود كنج چنين هر لحظه برباد آخ آخ

وقال:

عمر توكنج وهر نفس ازوى يكى كهر ... كنجى چنين لطيف مكن رايكان تلف

وقال الحافظ:

كارى كشيم ورنه خجالت بر آورد ... روزيكه رخت جان بجهان دكر كشيم

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾

﴿يوم نحشر المتقين﴾ أي: اذكر يا محمد لقومك بطريق الترغيب والترهيب يوم نجمع أهل التقوى والطاعة ﴿إلى الرحمن﴾ إلى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة حال كونهم ﴿وفدا﴾ وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وإنعامهم والوافد من يأتي بالخير. وفي «التهذيب» الوفد والوفادة [بنزديك امير شدن بحاجت] وفي «القاموس» وفد إليه وعليه قدم ورد وهم وفود ووفد.

وفي «التأويلات النجمية»: إنما خص حشر وفد المتقين إلى حضرة الرحمانية لأنها من صفات اللطف ومن شأنها الجود والانعام والفضل والكرم والتقريب والمواهب انتهى. والرحمة إن كانت من صفات الذات يراد بها إرادة إيصال الخير ودفع الشر وإن كانت من صفات الفعل يراد بها إيصال الخير ودفع الشر كما في «بحر العلوم». وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وأزمتها زبرجد ثم ينطق بهم حتى يقرعوا باب الجنة. قال الكاشفي: ﴿وفدا﴾ [در حالتى كه سواران باشند بر ناقهاى بهشت يعنى ايشانرا سوار ببهشت برند چنانچه وافدانرا بدركاه ملوك ميبرند، إمام قشيري رحمه الله فرمودكه بعضى بر نجائب طاعات وعبادات باشند وقومى بر مراكب همم ونيات. آنانكه بر مراكب طاعت باشند بهشت جويانند ايشانرا بروضه جنان برند. وآنانكه بر نجائب همت باشند خداى طلبانند ايشانرا بقرب رحمت خوانند جنان جوى ديكرست ورحمان جوى ديكر. در كشف الاسرار آورده كه ممشاد دينورى رحمه الله در حال نزع بود درويشى پيش وى ايستاده ودعا مى كردكه خدايا برو رحمت كن وبهشت اورا كرامت كن ممشاد بانك بروزدكه اى غافل سى سالست كه بهشت را باشرف وعزت وحور وقصور برمن جلوه ميدهند ومن كوشه چشم هست برو نيفكنده ام اكنون بدركاه قرب ميروم زحمت خود آورده وبراى من بهشت ورحمت مى خواهى]:

باغ فردوس از براى ديدنش بايد مرا   بى جمالش روضه رضوان چه كار آيد مرا

﴿ونسوق المجرمين﴾ العاصين كما تساق البهائم ﴿إلى جهنم وردا﴾ مشاة عطاشا فإن من يرد الماء لا يرده إلا العطش وحقيقة الورد المسير إلى الماء.

﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ إن كانت الشفاعة مصدراً من المبني للفاعل والعهد بمعنى الاذن لأنه يقال عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به فالمعنى لا يملك أحد من العباد أيا من كان أن يشفع للعصاة إلا من اتخذ من الله إذناً فيها كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وإن كانت مصدراً من المبني للمفعول والعهد عهد الإيمان فالمعنى لا يملك المجرمون أن يشفع لهم إلا من كان منهم مسلماً. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي عليه السلام قال لأصحابه ذات يوم «أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهداً» قالوا: وكيف ذلك؟ قال: «يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك وأنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من

الخير وأني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عهداً توفينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع» أي: ختم عليه بخاتم «ووضع تحت العرش فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمٰن عهداً فيدخلون الجنة» كما في «بحر العلوم الكبير».

﴿وقالوا اتخذ الرحمٰن ولداً﴾ أي: قال اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب أن الملائكة بنات الله فقال الله تعالى.

﴿لقد جئتم شيئاً إدا﴾ الإد والإدة بكسرهما العجب والأمر الفظيع والداهية والمنكر كالأد بالفتح كما في «القاموس» أي: فعلتم أمراً منكراً شديداً لا يقادر قدره فإن جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته. وقال الكاشفي: [بدرستى كه آوردى چيزى زشت يعنى ناخوش وبى ادبانه].

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿تكاد السموات﴾ صفة الأدُّ أي: تقرب من أن ﴿يتفطرن منه﴾ يتشققن مرة بعد أخرى من عظم ذلك الأمر فإن التفطر التشقق وهو بالفارسية [شكافته شدن] وأصل التفعل التكلف.

﴿وتنشق الأرض﴾ وتكاد تنشق الأرض وتنصدع أجزاؤها.

ـ وروي ـ عن بعض الصحابة أنه قال: كان بنو آدم لا يأتون شجرة إلا أصابوا منها منفعة حتى قالت فجرة بني آدم اتخذ الرحمٰن ولداً فاقشعرت الأرض وشاك الشجر ﴿وتخر الجبال﴾ أي: تسقط وتتهدم ﴿هدّا﴾ مصدر مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال أي: تهد هدا أي: تكسر كسرا يعني [پاره پاره كردد]. قال في «القاموس» الهدُّ: الهدم الشديد والكسر كالهدود. والمعنى أن هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها هاتيك الأجرام العظام وتفتتت من شدتها أو أن فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى على أهل الأرض وأنه لا يعالجهم بالعقاب لخرب العالم وبدد قوائمه غضباً على من تفوه بها.

﴿أن دعوا للرحمن ولداً﴾ منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد أو مجرور بإضمارها أي: تكاد السموات تتفطرن والأرض تنشق والجال تخر لأن دعوا له سبحانه ولداً ودعوا من دعا بمعنى سمي المتعدي إلى المفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعي له من عيسى وعزير والملائكة ونحوهم إذ لو قيل دعوا عيسى ولداً لما علم الحكم على العموم أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى إلى فلان أي: انتسب إليه.

﴿وما ينبغي للرحمٰن أن يتخذ ولداً﴾ حال من فاعل قالوا وينبغي مطاوع بغى إذا طلب أي: قالوه والحال أنه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلاً لاستحالته في نفسه وذلك لأن الولد بضعة من الوالد فهو مركب ولا بد للمركب من مؤلف فالمحتاج إلى المؤلف لا يصلح أن يكون إلٰهاً.

﴿إن كل من في السموات والأرض﴾ أي: ما منهم أحد من الملائكة والثقلين فإن بمعنى النفي كما ولك مبتدأ خبره آتى ومن موصوفة لأنها وقعت بعد كل نكرة ﴿إلا آتي الرحمن﴾

حال كونه ﴿عبداً﴾ أي: إلا وهو مملوك يأوي إليه بالعبودية والانقياد. وفي «العيون»: سيأتي جميع الخلائق يوم القيامة إلى الرحمٰن خاضعاً ذليلاً مقراً بالعبودية كالملائكة وعيسى وعزير وغيرهم يعني: يلتجئون إلى ربوبيته منقادين كما يفعل العبيد للملوك فلا يليق به اتخاذ الولد منهم انتهى. قال أبو بكر الوراق رحمه الله: ما تقرب أحد إلى ربه بشيء ازين عليه من ملازمة العبودية وإظهار الافتقار لأن ملازمة العبودية تورث دوام الخدمة وإظهار الافتقار إليه يورث دوام الالتجاء والتضرع، قال الحافظ:

فقير وخسته بدركاهت آمدم رحمى   كه جزدعاى توام نيست هيج دست آويز

﴿لقد أحصاهم﴾ أي: حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم أحد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته مع إفراط كثرتهم ﴿وعدهم عداً﴾ أي: عد أشخاصهم وأنفاسهم وآجالهم.

﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ أي: كل واحد منهم آت إياه تعالى منفرداً من الاتباع والأنصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه ولداً ولا يناسبه ليشرك به وفي الحديث القدسي «كذبني ابن آدم» أي: نسبني إلى الكذب «ولم يكن له ذلك» يعني لم يكن التكذيب لائقاً به بل كان خطأ «وشتمني» الشتم وصف الغير بما فيه نقص وإزراء «ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني» يعني: لن يحييني الله بعد موتي كما خلقني وليس أول الخلق بأهون عليّ أي: بأسهل والخلق بمعنى المخلوق من إعادته أي: من إعادة المخلوق بل إعادته أسهل لوجود أصل البنية.

اعلم أن هذا مذكور على طريق التمثيل لأن الإعادة بالنسبة إلى قوانا أيسر من الإنسان وأما النسبة إلى قدرة الله تعالى فلا سهولة في شيء ولا صعوبة «وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولداً» وإنما صار هذا شتماً لأن التولد هو انفصال الجزء عن الكل بحيث ينمو وهذا إنما يكون في المركب وكل مركب محتاج إلى المؤلف أو لأن الحكمة في التولد استحفاظ النوع عند فناء الآباء تعالى الله عما لا يليق. فإن قلت قوله «اتخذ الله» تكذيب أيضاً لأنه تعالى أخبر أن لا ولد له وقوله «لن يعيدني» شتم أيضاً لأنه نسبة له إلى العجز فلم خص أحدهما بالشتم والآخر بالتكذيب. قلت: نفي الإعادة نفي صفة كمال واتخاذ الولد إثبات صفة نقصان له والشتم افحش من التكذيب ولذلك نفاه الله عنه بأبلغ الوجوه فقال: «وانا الأحد» أي: المتفرد بصفات الكمال من البقاء والتنزه وغيرهما الواو فيه للحال «الصمد» بمعنى المصمود يعني المقصود إليه في كل الحوائج «الذي لم يلد» هذا نفي للتشبيه والمجانسة «ولم يولد» هذا وصف بالقدم والأولية «ولم يكن له كفواً أحد» هذا تقرير لما فعله. فإن قلت لا يلزم من نفي الكفو في الماضي نفيه في الحال والاستقبال. قلت يلزم لأنه إذا لم يكن في الماضي فوجد يكون حادثاً والحادث لا يكون كفواً للقديم كذا في «شرح المشارق» لابن ملك فإذا ثبت أن الألوهية والربوبية لله تعالى وأنه لا يجانسه ولا يشاركه شيء من المخلوقات ثبتت العبودية والمربوبية للعبد وأن من شأنه أن لا يعبد شيئاً من الأجسام والأرواح ولا يتقيد بشيء من العلويات والسفليات بل يخص عبادته بالله تعالى ويجرد توحيده عن هواه. قال علي رضي الله عنه قيل للنبي عليه السلام: هل عبدت وثنا قط قال: لا قيل: هل شربت خمراً قط قال: لا وما زلت أعرف أن الذي هم أي: الكفار عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان فهذا من آثار حسن الاستعداد حيث استغنى عن البرهان بقاطع العقل فليتبع العاقل أثر متبوعه المصطفى عليه

السلام وقد لاح المنار واستبان النور من النار فالنور هو التوحيد والإقرار والنار هو الشرك والإنكار والتوحيد إذا تجلى بحقائقه ظهر التجريد وهو إذا حصل بمعانيه ثبت التفريد فالفردانية صفة السر الأعلى وهي حاصلة للعارفين في هذه الدار ولغيرهم يوم القيامة وما في هذه الدار اختياري مقبول وما في الآخرة اضطراري مردود فيا أرباب الشرك أين التوحيد ويا أهل التوحيد أين التجريد ويا أصحاب التجريد أين التفريد ﴿**وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً**﴾ وقد قيل: قيامة العارفين دائمة، قال الصائب:

ترك هستى كن كه آسودست از تاراج سيل

هركه پيش ازسيل رخت خودبرون از خانه ريخت

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾

﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ جمعوا بين عمل القلب وعمل الجوارح ﴿**سيجعل لهم الرحمن وداً**﴾ أي: سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لأسبابها من قرابة أو صداقة أو اصطناع معروف أو غير ذلك سوى ما لهم من الإيمان والعمل الصالح والسين إما لأن السورة مكية وكان المؤمنون حينئذٍ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك إذا قوي الإسلام وإما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الله إلى خلقه بما يظهر من حسناته.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن بذر الإيمان إذا وقع في أرض القلب وتربى بماء الأعمال الصالحات ينمو ويتربى إلى أن يثمر فتكون ثمرته محبة الله ومحبة الأنبياء والملائكة والمؤمنين جميعاً كما قال تعالى: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٤٥] انتهى.

واعلم أن المحبة الموافقة ثم الميل ثم الود ثم الهوى ثم الوله فالموافقة للطبع والميل للنفس والود للقلب والمحبة للفؤاد وهو باطن القلب والهوى غلبة المحبة والوله زيادة الهوى يقال نور المحبة ثم نار العشق ثم حرارة الشهوة ثم البخار اللطيف ثم النفس الرقيق ثم الهواء الدقيق. قال رجل لعبد الله بن جعفر: إن فلاناً يقول أنا أحبك فبم أعلم صدقه فقال استخبر قلبك فإن توده فإنه يودك قيل:

وعلى القلوب من القلوب دلائل ... بالود قبل تشاهد الأشباح

وفي الحديث: «أكثروا من الاخوان فإن ربكم حي كريم يستحيي أن يعذب عبده بين اخوانه يوم القيامة» وعنه عليه السلام: «من نظر إلى أخيه نظر مودة ولم يكن في قلبه إحن لم يطرف حتى يغفر الله له ما تقدم من ذنبه» يقال طرف بصره إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر. قال عمر رضي الله عنه ثلاث يثبتن الود في صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وأن توسع له في المجلس وأن تدعوه بأحب أسمائه إليه. وقال سقراط اثن على ذي المودة خيراً عند من لقيت فإن رأس المودة حسن الثناء كما أن رأس العداوة سوء الذكر. ومن بلاغات الزمخشري محك المودة الإخاء حال الشدة دون حال الرخاء. وقال أبو علي الدقاق قدس سره لما سعى غلام الخليل بالصوفية إلى الخليفة أمر بضرب أعناقهم فأما الجنيد فإنه تستر بالفقه وكان يفتي على مذهب أبي ثور وأما الشحام والرقام والنوري وجماعة فقبض عليهم فبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم النوري فقال السياف تدري لماذا تبادر فقال: نعم فقال: وما يعجلك فقال: أوثر أصحابي

بحياة ساعة فتحير السياف فانتهى الخبر إلى الخليفة فردهم إلى القاضي ليتعرف حالهم فألقى القاضي على أبي الحسن النوري مسائل فقهية فأجاب عن الكل ثم أخذ يقول وبعد فإن لله عباداً إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله وسرد ألفاظاً أبكى القاضي فأرسل القاضي إلى الخليفة وقال إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم فانظر واعتبر من معاملة النوري مع إخوانه فإنه آثرهم حال الشدة على نفسه بخلوص جنانه:

حديث عشق ازان بطال منيوش   كه درسختى كند يارى فراموش

﴿فإنما يسرناه﴾ أي: سهلنا القرآن. وبالفارسية [پس جزاين نيست كه آسان كردانيده قرآنرا] ﴿بلسانك﴾ بأن أنزلناه على لغتك والباء بمعنى على والفاء لتعليل أمر ينساق إليه النظم الكريم كأنه قيل بعد إيحاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل وبشر به وأنذر فإنما يسرناه بلسانك العربي المبين ﴿لتبشر به﴾ [تامژده دهى بدو] ﴿المتقين﴾ أي: الصائرين إلى التقوى بامتثال ما فيه من الأمر والنهي ﴿وتنذر به﴾ يقال انذره بالأمر إنذاراً أعلمه وحذره وخوفه في إبلاغه كما في «القاموس» ﴿قوماً لدّاً﴾ لا يؤمنون به لجاجاً وعناداً. واللد جمع الألد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند. قال في «القاموس» الألد الخصم الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق وفي الحديث «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم».

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن حقيقة القرآن التي هي صفة الله تعالى القديمة القائمة بذاته لا تسعها ظروف الحروف المحدثة المعدودة المتشابهة لأنها قديمة غير معدودة ولا متناهية وإنما يسر الله درايته بقلب النبي عليه السلام وقراءته باللسان العربي المبين ليبشر به المتقين لأنهم أهل البشارة وهم أصناف ثلاثة فصنف منهم يتقون الشرك بالتوحيد وصنف يتقون المعاصي بالطاعة وصنف يتقون عما سوى الله تعالى بالله وينذر به قوماً لداً شداداً في الخصومة لأنهم أهل الإنذار وهم ثلاث فرق ففرقة منهم الكفار الذين يقاتلون على الباطل وفرقة منهم أهل الكتاب الذين يخاصمون على أديانهم المنسوخة وفرقة منهم أهل الأهواء والبدع والفلاسفة الذين يجادلون أهل الحق بالباطل.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾

﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ سبق معنى القرن أي: قروناً كثيرة أهلكنا قبل هؤلاء المعاندين بعد أن أنذرهم أنبياؤهم بآيات الله وحذروهم عذابه وتدميره ﴿هل تحس منهم من أحد﴾. قال في «تهذيب المصادر»: الإحساس [دانستن وديدن] قال الله تعالى: ﴿هل تحس منهم من أحد﴾ الخ أي: هل تشعر بأحد منهم وترى أي: لا وبالفارسية [هيچ مى بايد ومى بينى ازان هلاك شد كان يكى را] ﴿أو تسمع لهم﴾ [يامى شنوى مرا يشانرا] ﴿ركزاً﴾ أي: صوتاً خفياً وأصل الركز هو الخفاء ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض والركاز المال المدفون المخفي والمعنى أهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم أحد ولا يسمع منهم صوت خفي. وبالفارسية يعني: [چون عذاب ما بديشان فرود آمد مستأصل شدند نه ازايشان شخصى باقى ماندكه كسى بيند ونه آواز برجاى كه كسى بشنود بلكه مؤكل قهر الهي باهيچكس درنساخت وهمه را بدست فنا دردام خمول ونسيان انداخت]:

كأن لم يخلقوا ولم يكونوا

كـواثـر از سـروران تـاج بـخـش كـونـشـان از خـسـروان تـاجـدار
سـوخـت ديـهـيـم شـهـان كـامـجـوى خـاك شـد تـحـت مـلـوك كـامـكـار

وفي الآية وعد لرسول الله ﷺ عليه في ضمن وعيد الكفرة بالإهلاك وحث له على الإنذار قال الشيخ سعدي قدس سره:

بـكـوى آنـچـه دانـى سـخـن سـودمـنـد وكـر هـيـچـكـس را نـيـايـد پـسـنـد
كـه فـردا پـشـيـمـان بـر آرد خـروش كـه آوخ چـرا حـق نـكـردم بـكـوش
بـكـمـراه كـفـتـن نـكـو مـيـروى كـنـاه بـزركـسـت وجـور قـوى
مكـو شـهـد شـيـريـن شـكـر فـايـقـست كـسـى راكـه سـقـمـونـيـا لايـقـست
چه خـوش كـفـت يـكـروز دار وفـروش شـفـا بـايـدت داروى تـلـخ نـوش

وفي «المثنوي»:

هـركسى كـو ازصـف ديـن سـركـشـست مـيـرود سـوى صـفـي كـان واپـسـت
تـو زكـفـتـار تـعـالـوا كـم مـكـن كـيـميائى پس شكـر فـست ايـن سـخـن
كـرمـسـى كـردد زكـفـتـارت نـفـيـر كـيـمـيـارا هـيـچ ازوى وامـكـيـر
ايـن زمـان كـريـسـت نـفـس سـاحـرش كـفـت تـو سـودش كـنـد دد آخـرش
قـل تـعـالـوا قـل تـعـالـوا اى غـلام هـيـن كـه ان الله يـدعـو بـالـسـلام

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لإجابة الدعوة إنه قريب مجيب.
تمت سورة مريم وقت الضحى من يوم الاثنين التاسع عشر
من ذي القعدة من سنة خمس ومائة وألف

٢٠ ـ سورة طه

مائة وخمس وثلاثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤﴾

﴿طه﴾ اختلفوا فيه أكثر مما في غيره من المقطعات. فقال بعضهم هو اسم القرآن أو اسم السورة أو اسم الله أو مفتاح الاسم الطاهر والهادي. وقال بعضهم هو اسم من أسماء رسول الله ﷺ مثل أحمد ويس وغير ذلك كما قال عليه السلام: «أنا محمد وأنا أحمد والفاتح والقاسم والحاشر والعاقب والماحي وطه ويس» ويؤيده الخطاب في عليك فيكون حرف النداء محذوفاً أي: يا طه والطاء والهاء إشارة إلى أنه عليه السلام طالب الشفاعة للناس وهادي البشر أو أنه طاهر من الذنوب وهاد إلى معرفة علام الغيوب. قال الكاشفي: [ياطا طهارت دل اوست از غير حق تعالى وها هدايت او بقرب حق]. قال الإمام جعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ طه قسم بطهارة أهل البيت وهدايتهم كما قال تعالى: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] أو بطوبى والهاوية أي: الجنة والنار. وفي «زاد المسير» الطاء طيبة والهاء مكة والله تعالى أقسم بهذين الحرمين أو الطاء طلب الغزاة والهاء هرب الكفار أو طلب أهل الجنان وهوان أرباب النيران.

وفي «التأويلات النجمية»: يا من طوى به بساط النبوة وأيضاً يا من طوى به المكونات إلى هويتنا انتهى. وقال بعضهم: إنه ليس من الحروف المقطعة بل هو موضوع بإزاء يا رجل بلغة عك أو بلسان الحبشة أو النبطية أو السريانية والمراد به حضرة الرسالة [ودر بعضى تفاسير آمده كه طا بحساب جمل نه است وهاپنج ومجموع چهارده باشد وغالب آنست كه ماه را مرتبه بدريت در چهاردهم حاصل شود پس در ضمن اين خطاب مندر جست كه اى ماه شب چهارده ومنادى حضرت رسالتست وبدريت اشارت بكمال مرتبة جامعيت آن حضرت] كما لا يخفى على العرفاء:

ماه چون كامل شود انور بود ... وانكه او مرآت نور خور بود
كاه ماه بدرى وكه شاه بدر ... صدرتو مشروح وكارت شرح صدر
درشب تاريكى وكفر وضلال ... ازمهت روشن شود نور جلال

جوز الحسن طه بوزن هب على أنه أمر للرسول عليه السلام بأن يطأ الأرض بقدميه معاً فإنه لما نزل عليه الوحي اجتهد في العبادة وكان يصلي الليل كله ويقوم على إحدى رجليه تخفيفاً على الأخرى لطول القيام ويتعب نفسه كل الإتعاب فيكون أصله طأ من وطىء يطأ قلبت

همزته هاء. وفي الحديث «إن الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لأمة محمد ينزل هذا عليهم وطوبى لألسن تتكلم بهذا» رواه الطبراني وصاحب الفردوس. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «أعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الأول وأعطيت طه وطواسين من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي ذكرت فيها البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة» كذا في «بحر العلوم».

﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ الشقاء شائع بمعنى التعب ومن أشقى من رائض المهر أي: أتعب ممن يجعل المهر وهو ولد الفرس صالحاً للركوب بأن تزول عنه الصعوبة وينقاد لصاحبه وفي ذلك العمل مشقة وتعب للرائض ولذلك يضرب به المثل والمعنى لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش إذ ما عليك إلا البلاغ وقد فعلت فلا عليك أن يؤمنوا به بعد ذلك أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق إذ ما بعثت إلا بالحنيفية السمحة. وبالفارسية [نفر ستاديم ما برتوقر آنرا تادررنج افتى وشب خواب نكنى وبواسطه قيام درنماز الم ورم بپاى مباركت رسد].

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ في الدنيا أو العقبى بل أنزلناه على قلبك لتسعد بتخلقك بخلقه لتكون على خلق عظيم وليسعد بك أهل السموات وأهل الأرضين فتكون الشقاوة ضد السعادة ويجوز أن يكون رداً للمشركين وتكذيباً لهم فإن أبا جهل والنضر بن الحارث قالا له: إنك شقي لأنك تركت دين آبائك وأن القرآن أنزل عليك لتشقى به فأريد رد ذلك بأن دين الإسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها.

﴿إلا تذكرة لمن يخشى﴾ نصب على أنه مفعول له لأنزلنا معطوف على تشقى بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع فإن الفعل الواحد لا يتعدى إلى علتين إلا من حيث البدلية أو العطف كأنه قيل ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه ولكن تذكيراً وموعظة لمن يعلم الله منه أن يخشى بالتذكرة والتخويف وقد جرد التذكرة عن اللام لكونها فعلاً لفاعل الفعل المعلل وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] لأنهم المنتفعون بها. قال في «الكبير» ويدخل تحت قوله: ﴿لمن يخشى﴾ الرسول لأنه في الخشية والتذكرة فوق الكل.

﴿تنزيلاً﴾ أي: نزل القرآن تنزيلاً ﴿ممن﴾ متعلقة بتنزيلاً ﴿خلق﴾ أخرج من العدم إلى الوجود ﴿الأرض والسموات العلى﴾ تخصيص خلقهما لأنهما قوام العالم وأصوله وتقديم الأرض لكونها أقرب إلى الحس وأظهر عنده من السموات ووصف السموات بالعلى وهو جمع العليا تأنيث الأعلى للدلالة على عظم قدرة خالقها بعلوها وعطف السموات على الأرض من عطف الجنس على الجنس لأن التعريف مصروف إلى الجنس لا من عطف الجمع على المفرد حتى يلزم ترك الأولى من رعاية التطابق بين المعطوف والمعطوف عليه.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦
وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾

﴿الرحمن﴾ رفع على المدح أي: هو الرحمٰن أو مبتدأ واللام فيه للعهد مشاراً به إلى من خلق خبره ما بعده ﴿على العرش﴾ الذي يحمله الملائكة متعلق بقوله: ﴿استوى﴾ اعلم أن العرش سرير الملك والاستواء الاستقرار والمراد به هٰهنا الاستيلاء ومعنى الاستيلاء عليه كناية عن الملك لأنه من توابع الملك فذكر اللازم وأريد الملزوم يقال استوى فلان على سرير الملك على قصد الاخبار عنه بأنه ملك وإن لم يقعد على السرير المعهود أصلاً فالمراد بيان تعلق إرادته الشريفة بإيجاد الكائنات وتدبير أمرها إذ الباري مقدس الانتقال والحلول وإنما خلق العرش العظيم ليعلم المتعبدون إلى أين يتوجهون بقلوبهم بالعبادة والدعاء في السماء كما خلق الكعبة ليعلموا إلى أين يتوجهون بأبدانهم في العبادة في الأرض [وشيخ أكبر قدس سره در فتوحات فرموده كه استواء خداوند بر عرش در قرآنست ومراد بدين ايمانست تأويل نجوييم كه تأويل درين باب طغيانست بظاهر قبول كنيم وبباطن تسليم كه اين اعتقاد سفيانست اما ميدانم كه نه محتاج مكانست ونه عرش بر دارنده اوست كه اوست بر دارنده مكان ونكه دارنده عرش]:

نى مكان ره يافت سويش نه زمان   نى بيان دارد خبرزو نه عيان
اين همه مخلوق حكم داورست   خالق عالم زعالم بر ترست

قال بعضهم ليس على الكون من أثر ولا على الأثر من كون. قال بعضهم: إنا نقطع بأن الله منزه عن المكان وإلا لزم قدم المكان وقد دل الدليل على أن لا قديم سوى الله تعالى وأنه تعالى لم يرد من الاستواء الاستقرار والجلوس بل مراده به شيء آخر إلا أنا لا نشتغل بتعيين ذلك المراد خوفاً من الخطأ ونفوض تأويل المتشابهات إلى الله تعالى كما هو رأي من يقف على ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] وعليه أكثر السلف كما روي عن مالك وأحمد الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والبحث عنها بدعة وما كان مقصود الإمامين الأجلين بذلك إلا المنع من الجدال وقد أحسنا حيث حسما بذلك باب الجدال وكذلك فعل الجمهور لأن في فتح باب الجدال ضرراً عظيماً على أكثر عباد الله تعالى. وقد روي أن رجلاً سأل عمر رضي الله عنه عن آيتين متشابهتين فعلاه بالدرة. وقال بعض كبار المحققين من أهل الله تعالى المراد بهذا الاستواء استواؤه سبحانه لكن لا باعتبار نفسه وذاته تعالى علواً كبيراً عما يقول الظالمون من المجسمة وغيرهم بل باعتبار أمره الإيجادي وتجليه الحسي الأحدي وإنما كان العرش محل هذا الاستواء لأن التجليات الذاتية التي هي شروط التجليات المتعينة والأحكام الظاهرة والأمور البارزة والشؤون المتحققة في السماء والأرض وفيما بينهما من عالم الكون والفساد بالأمر الإلهي والإيجاد الأولي إنما تمت باستيفاء لوازمها واستكمال جوانبها واستجماع أركانها الأربعة المستوية في ظهور العرش بروحه وصورته وحركته الدورية لأنه لا بد في استواء تجليات الحق سبحانه في هذه العوالم بتجليه الحسي وأمره الإيجادي من الأمور الأربعة التي هي من هذه التجليات الحسية والإيجادية بمنزلة الشكل المستوي المشتمل على الحد الأصغر والأكبر والأوسط المكرر الكائن به السورة ذات الأركان الأربعة من النتيجة وتلك الأمور أربعة هي الحركة المعنوية الاسمائية والحركة النورية الروحانية والحركة الطبيعية المثالية والحركة الصورية الحسية وتلك الحركة الصورية الحسية هي حركة العرش وهي بمنزلة الحد الأكبر ولما استوى أمر تمام حصول الأركان الأربعة الموقوف عليها بتوقيف الله تعالى التجليات الإيجادية الأمرية

المتنزلة بين السموات السبع والأرضين السبع بحسب مقتضيات استعدادات أهل العصر وموجب قابليات أصحاب الزمان في كل يوم بل في كل آن كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] وقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمان: ٢٩] في العرش كان العرش مستوي الحق سبحانه بالاعتبار المذكور الثاني لا بالاعتبار المزبور الأول وفي الحقيقة بالنظر إلى هذا الاعتبار هو مستوي أمره الإيجادي لا مستوى نفسه وذاته فلا اضطراب ولا خلجان في الكلام والمقال والحال. ثم إن استواء الأمر الإرادي الإيجادي على العرش بمنزلة استواء الأمر التكليفي الإرشادي على الشرع فكما أن كل واحد من الأمرين قلب الآخر وعكسه المستوي السوي فكذلك كل واحد من العرش والشرع قلب الآخر وعكسه السوي المستوي. يقول الفقير قواه الله القدير لا شك أن بين زيد والعالم فرقاً من حيث إن الأول يدل على الذات المجردة والثاني على المتصفة بصفة العلم فإسناد الاستواء إلى عنوان الاسم الرحمٰن الذي يراد به صفة الرحمة العامة وإن كان مشتملاً على الذات دون الاسم الله الذي يراد به الذات وإن كان مستجمعاً لجميع الصفات ينادي بتنزه ذاته تعالى عن الاستواء وأن الذي استوى على العرش المحيط بجميع الأجسام هو الرحمة المحيطة بالكل ومن لم يفرق بين استواء الذات واستواء الصفة فقد أخطأ وذلك أن الله تعالى غني بذاته عن العالمين جميعاً متجل بصفاته وأسمائه في الأرواح والأجسام بحيث لا يرى في مرائي الأكوان إلا صور التجليات الأسمائية والصفاتية ولا يلزم من هذا التجلي أن تحل ذاته في كون من الأكوان إذ هو الآن على ما كان عليه قبل من التوحد والتجرد والتفرد والتقدس ولذا كان أعلى المراتب الوصول إلى عالم الحقيقة المطلقة إطلاقاً ذاتياً كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٩] وفي الحديث «إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم» ذكره في «الروضة» فهذا يدل على أن الله تعالى ليس في السماء ولا في الأرض ولو كان لانقطع الطلب وأما قوله عليه السلام: «يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض فما علامة غضبك من رضاك قال إذا استعملت عليكم خياركم فهو علامة رضاي عنكم وإذا استعملت عليكم شراركم فهو علامة سخطي عليكم» على ما ذكره الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «كتاب المسامرة». وقوله عليه السلام لجارية معاوية بن الحكم السلمي: «أين الله» فقالت: في السماء فقال: «من أنا» فقالت: أنت رسول الله فقال: «أعتقها فإنها مؤمنة» ونحو ذلك من الأخبار الدالة على ثبوت المكان له تعالى فمصروفة عن ظواهرها محمولة على محل ظهور آثار صفاته العليا ولذا خص السماء بالذكر لأنها مهبط الأنوار ومحل النوازل والأحكام ومن هذا ظهر أن من قال: إن الله في السماء عالم أراد به المكان كفر وإن أراد به الحكاية عما جاء في ظاهر الأخبار لا يكفر لأنها مؤولة والأذهان السليمة والعقول المستقيمة لا تفهم بحسب السليقة من مثل هذه التشبيهات إلا عين التنزيه.

ـ يروى ـ أن إمام الحرمين رفع الله درجته في الدارين نزل ببعض الأكابر ضيفاً فاجتمع عنده العلماء والأكابر فقام واحد من أهل المجلس فقال: ما الدليل على تنزيهه تعالى عن المكان وهو قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥] فقال: الدليل عليه قول يونس عليه السلام في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فتعجب منه الناظرون فالتمس صاحب الضيافة بيانه فقال الإمام: إن هٰهنا فقيراً مديوناً بألف

درهم أد عنه دينه حتى أبينه فقبل صاحب الضيافة دينه فقال: إن رسول الله ﷺ لما ذهب في المعراج إلى ما شاء الله من العلى قال هناك: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» ولما ابتلي يونس عليه السلام بالظلمات في قعر البحر ببطن الحوت قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فكل منهما خاطب بقوله أنت وهو خطاب الحضور فلو كان هو في مكان لما صح ذلك فدل ذلك على أنه ليس في مكان. فإن قلت فليكن في كل مكان. قلت: قد أشرت إلى أنه في كل مكان بآثار صفاته وأنوار ذاته لا بذاته كما أن الشمس في كل مكان بنورها وظهورها لا بوجودها وعينها ولو كان في كل مكان بالمعنى الذي أراده جهالة المتصوفة فيقال فأين كان هو قبل خلق هذه العوالم ألم يكن له وجود متحقق فإن قالوا لا فقد كفروا وإن قالوا بالحلول والانتقال فكذلك لأن الواجب لا يقارن الحادث إلا بالتأثير والفيض وظهور كمالاته فيه لكن لا من حيث إنه حادث مطلقاً بل من حيث إن وجوده مستفاض منه فافهم. فإن قلت فإذا كان تعالى منزهاً عن الجهة والمكان فما معنى رفع الأيدي إلى السماء وقت الدعاء؟ قلت: معناه الاستعطاء من الخزانة لأن خزائنه تعالى في السماء كما قال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [الذاريات: ٢٢] وقال: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [الحجر: ٢١] فثبت أن العرش مظهر استواء الصفة الرحمانية وإن من يثبت له تعالى مكاناً فهو من المجسمة ومنهم جهلة المتصوفة القائلون بأنه تعالى في كل مكان ومن يليهم من العلماء الزائغين عن الحق الخارجين عن طريق العقل والنقل والكشف فمثل مذهبهم وقذره كمثل مذهبهم وقذره فنعوذ بالله تعالى من التلوث بلوث الجهل والزيغ والضلال ونعتصم به عما يعصم من الوهم والخيال والحق حق والأشياء أشياء ولا ينظر إلى الحق بعين الأشياء إلا من ليس في وجهه حياء.

﴿**له ما في السوات وما في الأرض**﴾ سواء كان ذلك بالجزئية منهما أو بالحلول فيهما ﴿**وما بينهما**﴾ من الموجودات الكائنة في الجو دائماً كالهواء والسحاب أو أكثرياً كالطير أي: له تعالى وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالاً كل ما ذكر ملكاً وتصرفاً وإحياء وإماتة وإيجاداً وإعداماً ﴿**وما تحت الثرى**﴾ الثرى التراب الندي أي: الرطب والأرض كما في «القاموس» ويجوز الحمل على كليهما في هذا المقام فإن ظاهر الأرض تراب جاف وما هو أسفل منه تراب مبتل. فإن قلت الثرى إذا كان محمولاً على السطح الأخير من العالم فما الذي تحته حتى يكون الله تعالى مالكاً له. قلت: هو إما الثور أو الحوت أو الصخرة أو البحر أو الهواء على اختلاف الروايات وقال بعضهم أراد الثرى الذي تحت الصخرة التي عليها الثور الذي تحت الأرض ولا يعلم ما تحت الثرى إلا الله تعالى كما لا يعلم أحد ما فوق السدرة إلا هو أي: الذي هو التراب الرطب مقدار خمسمائة عام تحت الأرض ولولا ذلك لأحرقت النار الدنيا وما فيها كما في «إنسان العيون». قال الكاشفي: [زمين بردوش فرشته ايست وقدمين فرشته بر صخره ايست وصخره برشاخ كاوى وقوائم كاو بريشت ما هي ازحوض كوثر وما هي ثابت است بر بحر وبحر بر جهنم مبنى بر ريح وريح بر حجابى از ظلمت وآن حجاب بر ثرى وعلم أهل آسمان وزمين تاثرى بيش نرسد وما تحت الثرى جز حق سبحانه نداند] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الأرضين على ظهر النون والنون على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة المذكورة في سورة لقمان في قوله:

﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ [لقمان: ١٦] والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه فإذا جعل الله البحار بحراً واحداً سالت في جوفه فإذا وقعت في جوفه يبست ذكره البغوي.

﴿وإن تجهر بالقول﴾ أي: إن تعلن بذكره تعالى ودعائه. فاعلم أنه تعالى غني عن جهرك وإعلانك ﴿فإنه﴾ تعالى ﴿يعلم السر وأخفى﴾ يقال فلان يحسن إلى الفقراء لا يراد حال ولا استقبال وإنما يراد جود الإحسان منه في جميع الأزمنة والأوقات ومنه قوله ﴿يعلم السر وأخفى﴾ علمهما منه مستمر دائم وذلك أن علمه تعالى منزه عن الزمان كما هو منزه عن المكان بأسره فالتغيير على المعلوم لا على العلم عندنا والسر واحد الأسرار وهو ما يكتم ومنه أسرّ الحديث إذا أخفاه وتنكير أخفى للمبالغة في الخفاء أي: يعلم ما أسررته إلى غيرك وشيئاً أخفى من ذلك وهو ما أخطرته ببالك من غير أن تتفوّه به أصلاً وما أسررته في نفسك وأخفى منه وهو ما ستسره فيما سيأتي أي: ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك وهذا إما نهي عن الجهر كقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وإما إرشاد للعباد إلى أن الجهر ليس لاسماعه بل لغرض آخر من تصور النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وإيقاظ الغير ونشر البركات إلى مدى صوته وتكثير إشهاد ونحو ذلك وجاء أنه عليه السلام لما توجه إلى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا إله إلا الله فقال عليه السلام: «أربعوا على أنفسكم» أي: ارفقوا بأنفسكم لا تبالغوا في رفع أصواتكم «إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم» ويحتاج إلى الجمع بين هذا وبين أمره عليه السلام برفع الأصوات بالتلبية وقد يقال المنهي عنه هنا الرفع الخارج عن العادة الذي ربما آذى بدليل قوله عليه السلام أربعوا على أنفسكم أي: أرفقوا بها كذا في «إنسان العيون».

يقول الفقير: إنما نهى النبي عليه السلام أصحابه عن رفع الصوت إخفاء لأمره عن العدو ولأن أكثر أصحابه كانوا أرباب أحوال فشأنهم الاعتدال بل الإخفاء إلا لضرورة قوية كما في إزاء العدو أو اللصوص تهيبياً لهم ولا شك أن أعدى العدو النفس وأشد اللصوص الشيطان ولذا اعتاد الصوفية بجهر الذكر تهييباً لهما وطرداً للوسوسة وقد اختار الحكماء للسلطان جهارة الصوت في كلامه ليكون أهيب لسامعيه وأوقع في قلوبهم كما في «العقد الفريد».

وفي «التأويلات النجمية»: السر باصطلاح أهل التحقيق لطيفة بين القلب والروح وهو معدن أسرار الروحانية والخفي لطيفة بين الروح والحضرة الإلهية وهو مهبط أنوار الربوبية وأسرارها ولهذا قال عقيب قوله: ﴿يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو﴾ الآية إشارة إلى أن مظهر ألوهية صفاته العليا إنما هو الخفي الذي هو أخفى من السر أي: ألطف وأعز وأعلى وأشرف وأقرب إلى الحضرة ألا وهو سر وعلم آدم الأسماء كلها وهو حقيقة قوله عليه السلام: «إن الله خلق آدم فتجلى فيه».

ثم اعلم أن لطيفة السر التي بين القلب والروح تكون موجودة في كل إنسان عند نشأته الأولى والخفي ينتشىء عند نشأته الأخرى فلذا يمكن أن يكون كل إنسان مؤمن أو كافر معدن أسرار الروحانية وجملتها المعقولات ولا يمكن إلا لمؤمن موحد أن يكون مهبط أنوار الربانية وأسرارها وجملتها المشاهدات والمكاشفات وحقائق العلوم اللدنية.

﴿الله﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله ﴿لا إله إلا هو﴾ لا معبود في الأرض ولا في السماء إلا هو دل على الهوية بهذا القول فإن هو كناية عن غائب موجود والغائب عن الحواس الموجود في الأزل هو الله تعالى وفيه معنى حسن وهو التعالي عن درك الحواس حتى استحق اسم الكناية عن الغائب من غير غيبة كما في «بحر العلوم». يقول الفقير على هذا المعنى بنى الصوفية ذكرهم بالاسم هو إخفاء وجهراً اجتماعاً وانفراداً مع أن مرجعه هو الله فيكون في حكم الاسم المظهر ولا ينازع فيه إلا مكابر وفي الحديث «إن الله خلق ملكاً من الملائكة قبل أن خلق السموات والأرض وهو يقول أشهد أن لا إله إلا الله ماداً بها صوته لا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يتمها فإذا أتمها أمر إسرافيل بالنفخ في الصور وقامت القيامة» كما في «التفسير الكبير» فعلم منه أن الركن الأعظم للعالم ودوام وجوده إنما هو الذكر فإذا انقطع الذكر انهدم العالم وكل فوت إنما هو من أجل ترك الذكر.

ـ ذكر ـ أن صياداً كان يصيد السمكة وكانت ابنته تطرحها في الماء وتقول إنها ما وقعت في الشبكة إلا لغفلتها. وفي الحديث «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله» أكده بالتكرار ولا شك أن لا يذكر الله ذكراً حقيقياً وخصوصاً بهذا الاسم الجامع الأعظم المنعوت بجميع الأسماء إلا الذي يعرف الحق المعرفة التامة وأتم الخلق معرفة بالله في كل عصر خليفة الله وهو كامل ذلك العصر فكأنه يقول عليه السلام: لا تقوم الساعة وفي الأرض إنسان كامل وهو المشار إليه بأنه العماد المعنوي الماسك فإن شئت قلت الممسك لأجله فإذا انتقل انشقت السماء وكورت الشمس وانكدرت النجوم وانتثرت وسيرت الجبال وزلزلت الأرض وجاءت القيامة كذا في «الفكوك» لحضرة الشيخ صدر الدين قدس سره ﴿له الأسماء الحسنى﴾ بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية أسماءه وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى فإنه روى أن المشركين حين سمعوا النبي عليه السلام يقول يا الله يا رحمٰن قالوا: ينهانا أن نعبد إلهين وقد يدعو إلهاً آخر. والحسنى تأنيث الأحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كمآرب أخرى وآياتنا الكبرى وفضل أسماء الله في الحسن على سائر الأسماء لدلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والأفعال التي هي النهاية في الفضل والحسن. قال في «تفسير الكبير»: يقال إن لله أربعة آلاف اسم ثلاثة آلاف منها لا يعلمها إلا الله والأنبياء أما الألف الرابعة فإن المؤمنين يعلمونها فثلاثمائة في التوراة وثلاثمائة في الإنجيل وثلاثمائة في الزبور ومائة في القرآن تسعة وتسعون ظاهرة وواحد مكنون من أحصاها دخل الجنة وليس حسن الأسماء لذواتها لأنها ألفاظ وأصوات بل حسنها لحسن معانيها ثم ليس حسن المسمى حسناً ينطلق بالصورة والخلقة فإن ذلك محال على من ليس بجسم بل حسن يرجع إلى معنى الإحسان مثلاً اسم الستار والغفار والرحيم إنما كانت حسنى لأنها دالة على معنى الإحسان.

ـ روي ـ أن حكيماً ذهب إليه قبيح وحسن والتمسا الوصية فقال للحسن: أنت حسن ولا يليق بك الفعل القبيح وللقبيح أنت قبيح إذا فعلت القبيح عظم قبحك الهنا أسماؤك حسنة وصفاتك حسنة فلا تظهر لنا من تلك الأسماء الحسنة والصفات الحسنة إلا الإحسان ويكفينا قبح أفعالنا وسيرتنا فلا تضم إليه قبح العقاب ووحشة العذاب. وفي الحديث: «اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه» وذلك لأنهم إذا قضوا الحاجات قضوا بوجه طلق وإن ردوا ردوا بوجه طلق:

كشته از لطف حق بعرصه خاك حسن صورت دليل سيرت پاك

وقال بعضهم:

يـدل عـلـى مـعـروفـه حـسـن وجـهـه وما زال حسن الوجه إحدى الشواهد

وفي الحديث «إذا بعثتم إليّ رجلاً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم» إلٰهنا حسن وجوهنا قبيح بعصياننا فمن هذا الوجه نستحي طلب الحوائج وحسن الأسماء والصفات يدلنا عليك فلا تردنا عن إحسانك خائبين خاسرين. قال موسى: إلهي أي خلق أكرم عليك قال الذي لا يزال لسانه رطباً من ذكري قال: فأي خلقك أعلم؟ قال: الذي يلتمس إني أعلم علم غيره قال فأي خلقك أعدل؟ قال: الذي يقضي على نفسه كما يقضي على الناس قال فأي خلقك أعظم جرماً قال الذي يتهمني وهو الذي يسألني ثم لا يرضى بما قضيته له إلهنا لانتهمك فإنا نعلم أن كل ما أحسنت فهو فضل وكل ما لا تفعله فهو عدل فلا تؤاخذنا بسوء أعمالنا، قال الحافظ:

در دائره قسمت ما نقطه تسليميم لطف آنچه تو انديشى حكم انجه توفر مايى

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾

﴿وهل آتاك حديث موسى﴾ يحتمل أن يكون أول ما أخبر الله به من أمر موسى فإن السورة من أوائل ما نزل فيكون الاستفهام للإنكار أي: لم يأتك إلى الآن خبر موسى وقصته وقد أتاك الآن بطريق الوحي فتنبه له واذكر لقومك ما فيه من أمر التوحيد ونحوه ويحتمل أنه قد أتاه ذلك سابقاً فيكون استفهام تقرير فكأنه قال قد أتاك.

﴿إذ رأى ناراً﴾ ظرف للحديث.

ـ روي ـ أن موسى عليه السلام تزوج صفوراء وقال السهيلي صفورياء بنت شعيب عليه السلام فاستأذن منه في الخروج من مدين لزيارة أمه وأخيه هارون في مصر فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق خوفاً من ملوك الشام فلما أتى وادي طوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له ولد في ليلة مظلمة ذات برد وشتاء وثلج وكانت ليلة الجمعة فقدح زنده فصلد أي: صوّت ولم يخرج ناراً وقيل كان موسى رجلاً غيوراً يصحب الناس بالليل ويفارقهم بالنهار غيرة منه لئلا يروا امرأته فلذا أخطأ الرفقة والطريق فبينما هو في ذلك إذ رأى ناراً من بعيد على يسار الطريق من جانب الطور فظن أنها من نيران الرعاة ﴿فقال لأهله﴾ لامرأته وولده وخادمه فإن الأهل يفسر بالأزواج والأولاد والعبيد والإماء وبالأقارب وبالأصحاب وبالمجموع كما في «شرح المشارق» لابن ملك ﴿امكثوا﴾ أقيموا مكانكم ولا تتبعوني ﴿إني آنست ناراً﴾ الإيناس الإبصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه إنسان العين لأنه يبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم أي: أبصرتها إبصاراً بيناً لا شبهة فيه فأذهب إليها ﴿لعلي آتيكم منها﴾ راجياً أن أجيئكم من النار ﴿بقبس﴾ بشعلة من النار أي: بشيء فيه لهب مقتبس من معظم النار وهي المرادة بالجذوة في سورة القصص وبالشهاب القبس في سورة النمل يقال قبست منه نارا في رأس عود أو فتيلة أو غيرهما لم يقطع بأن يقول إني آتيكم لئلا يعد ما لم يتيقن الوفاء به انظر كيف احترز موسى عن شائبة الكذب قبل نبوته فإنه حينئذٍ لم يكن مبعوثاً. قال أكثر المفسرين: إن الذي رآه موسى لم يكن ناراً بل كان نور الرب تعالى ذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً. وقال الإمام الصحيح أنه رأى ناراً ليكون صادقاً في خبره إذ الكذب لا يجوز على الأنبياء

انتهى. قال بعض الكبار لما كانت النار بغية موسى تجلى الله له في صورة مطلوبة المجازي ليقبل عليه ولا يعرض عنه فإنه لو تجلى له في غير صورة مطلوبة أعرض عنه لاجتماع ما تجلى فيه:

كنار موسى يراها عين حاجته　　　وهو الاله ولكن ليس يدريه

أي: ليس يعرف الاله المتجلي في صورة النور والمتكلم فيها ﴿**أو أجد على النار هدى**﴾ هادياً يدلني على الطريق لأن النار قلما تخلو من أهل لها وناس عندها على أنه مصدر سمي به الفاعل مبالغة أو حذف منه المضاف أي: ذا هداية كقوله في سورة القصص ﴿لَعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٢٨] وكلمة أو في الموضعين لمنع الخلو دون منع الجمع ومعنى الاستعلاء في على أن أهل النار يكتنفونها عند الاصطلاء قياماً وقعوداً فيشرفون عليها.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾

﴿**فلما أتاها**﴾ أي: انتهى إلى النار التي آنسها قال ابن عباس رضي الله عنه: رأى شجرة خضراء أحاطت بها من أسفلها إلى أعلاها نار بيضاء تتقد كأضوء ما يكون ولم ير هناك أحداً فوقف متعجباً من شدة ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوء النار فسمع تسبيح الملائكة ورأى نوراً عظيماً تكل الأبصار عنه فوضع يديه على عينيه وخاف وبهت فألقيت عليه السكينة والطمأنينة ثم نودي وكانت الشجرة سمرة خضراء أو عوسجة أو عليقاً أو شجرة العناب وهي شجرة لا نار فيها بخلاف غيرها من الأشجار. قالوا: النار أربعة أصناف: صنف يأكل ولا يشرب وهي نار الدنيا، وصنف يشرب ولا يأكل وهي نار الشجر الأخضر، وصنف يأكل ويشرب وهي نار جنهم، وصنف لا يأكل ولا يشرب وهي نار موسى. وقالوا أيضاً هي أربعة أنواع: نوع له إحراق بلا نور وهي نار الجحيم، ونوع له نور بلا إحراق وهي نار موسى، ونوع له إحراق ونور وهي نار الدنيا، ونوع ليس له إحراق ولا نور وهي نار الأشجار. يقول الفقير: النور للمحبة والنار للعشق وعندما كمل وامتلأ نور محبة موسى وتم واشتعل نار عشقه وشوقه تجلى الله له بصورة ما في بطنه وذلك لأنه لما ولد له ولد القلب الذي هو طفل خليفة الله في أرض الوجود في ليلة شاتية هي ليلة الجلال ظهر له نور ذاتي في صورة نار صفاتية لأن الصورة إنما هي للصفات واحترق جميع أنانيته وحصل له التوجه الوحداني فعند ذلك ﴿**نودي**﴾ فقيل: ﴿**يا موسى**﴾ ﴿**إني أنا**﴾ للتوكيد والتحقق يعني [شك مكن ومتيقن شوكه من] ﴿**ربك**﴾ [بروردكار توام] ﴿**فاخلع**﴾ [پس بيرون كن وبيكفن ازپاى خود] ﴿**نعليك**﴾ أمر بذلك لأن الحفوة أدخل في التواضع وحسن الأدب ولذلك كان بشر الحافي ونحوه يسيرون حفاة وكان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين:

كنجى كه زمين وآسمان طالب اوست　　　چون درنكرى برهنه پايان دارند

أو ليتشرف مشهد الوادي بقدوم قدميه وتتصل بركة الأرض إليه. وقيل للحبيب تقدم على بساط العرش بنعليك ليتشرف العرش بغبار نعال قدميك ويصل نور العرش يا سيد الكونين إليك أو لأنه لا ينبغي لبس النعل بين يدي الملوك إذا دخلوا عليهم وهذا بالنسبة إلى المرتبة الموسوية دون الجاه المحمدي كما مر آنفاً. وذكر في فضائل أبي حنيفة أنه كان إذا قدم على الخليفة

للزيارة استدعى منه الخليفة أن لا ينزل عن بغلته بل يطأ بها بساطه. أو لأنهما كانا غير مدبوغين من جلد الحمار فالخطاب خطاب التأديب كما في «حل الرموز». قال الكاشفي: [أصح آنست كه نعلين از جلد بقربود وطاهر] أو لأن النعل في النوم يعبر بالزوجة فأراد تعالى أن لا يلتفت بخاطره إلى الزوجة والولد. قال في «الأسرار المحمدية» جاء في غرائب التفسير في قوله سبحانه ﴿**فاخلع نعليك**﴾ يعني همك بامرأتك وغنمك. وقال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره يعني الطبيعة والنفس. يقول الفقير: لا شك أن المرأة صورة الطبيعة والولد صورة النفس لأن حبه من هواها غالباً وأيضاً أن المرأة في حكم الرجل نفسه لأنها جزء منه في الأصل والغنم ونحوه إنما هو من المعاش التابع للوجود فكأنه قيل فاخلع فكر النفس وما يتبعها أياً كان وتعال. وقال بعضهم: «المراد بالنعلين الدنيا والآخرة كأنه أمره بالاستغراق في معرفة الله ومشاهدته والوادي المقدس قدس جلال الله وطهارة عزته». وقال بعضهم إن إثبات الصانع يكون بمقدمتين فشبهتا بالنعلين إذ بهما يتوصل إلى المقصود وينتقل إلى معرفة الخالق فبعد الوصول يجب أن لا يلتفت إليهما ليبقى القلب مستغرقاً في نور القدس فكأنه قيل فاخلع فكر الدليل والبرهان فإنه لا فائدة فيه بعد المشاهدة والعيان:

ساكنان حرم از قبله نما آزادند

وفي «المثنوي»:

چون شدى پربامهاى آسمان سرد باشد جست وجوى نردبان
آينه روشن كه شد صاف وجلى جهل باشد برنهادن صيقلى
پيش سلطان خوش نشسته در قبول زشت باشد جستن نامه رسول

ولهذا غسل حضرة الشيخ الشبلي قدس سره جميع كتبه بعد الوصول إلى الله تعالى فتدبر ﴿**إنك بالواد المقدس**﴾ المطهر والمتبعد من السوء ﴿**طوى**﴾ اسم الوادي عطف بيان له. قال في «القاموس» الوادي مفرج بين جبال أو تلال أو آكام وطوى واد بالشام وهو بالتنوين منصرف بتأويل المكان وبتركه غير منصرف بتأويل البقعة المعروفة.

ـ روي ـ أن موسى عليه السلام خلعهما وألقاهما وراء الوادي.

﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾

﴿**وأنا اخترتك**﴾ أي: اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرأ حمزة «وأنا اخترناك» ﴿**فاستمع**﴾ [پس كوش فرا دار] ﴿**لما يوحى**﴾ للذي يوحى إليك مني من الأمر والنهي اللام متعلقة بالسمع مزيدة في المفعول كما في ردف لكم.

﴿**إنني أنا الله**﴾ [بدرستى كه منم خداى تعالى] وهو بدل من يوحى دال على تقدم علم الأصول على الفروع فإن التوحيد من مسائل الأصول والعبادة الآتية من الفروع ﴿**لا إله إلا أنا**﴾ [نيست خداى بغير من] فإذا كان كذلك ﴿**فاعبدني**﴾ فخصني بالعبادة والتوحيد ولا تشرك بعبادتي أحداً ﴿**وأقم الصلاة**﴾ من عطف الخاص على العام لفضله ﴿**لذكري**﴾ من إضافة المصدر إلى مفعوله أي: لتذكرني وتكون ذاكراً لي فإن ذكر الله كما ينبغي عبارة عن الاشتغال بعبادته باللسان والجنان والأركان والصلاة جامعة لها أو من إضافته إلى فاعله أي لأذكرك بالإثابة.

وفي «التأويلات النجمية»: وأدم المناجاة والمحاضرة معي ببذل الوجود لنيل ذكري إياك بالتجلي على الدوام لإفناء وجودك المتجدد.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾

﴿إن الساعة آتية﴾ تعليل لوجوب العبادة وإقامة الصلاة. والساعة اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمي بها لأنها ساعة حقيقة يحدث فيها أمر عظيم أي: القيامة كائنة لا محالة وإنما عبر عن ذلك بالإتيان تحقيقاً لحصولها بإبرازها في معرض أمر محقق متوجه نحو المخاطبين ﴿أكاد أخفيها﴾. قال في «تفسير الجلالين»: استرها للتهويل والتعظيم وأكاد صلة انتهى. وقال بعضهم: كاد وإن كان موضوعاً للمقاربة إلا أنه من الله للتحقق والوجوب فالمعنى أريد إخفاء وقتها عن الخلق ليكونوا على الحذر منها كل وقت كما أن عسى في قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١] للقطع بقربه أي: هو قريب. وفي «الإرشاد» لا أظهرها بأن أقول هي آتية ولولا ما في الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت.

وفي «التأويلات النجمية»: أكاد أخفي الساعة وإتيانها وأخفي أحوال الجنة ونعيمها وأهوال النار وعذاب جحيمها لئلا تكون عبادتي مشوبة بطمع الجنة وخوف النار بل تكون خالصة لوجهي كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] وفي ذلك تهديد عظيم للعباد وإظهار عزة وعظمة لنفسه إلا أنه سبقت رحمتي غضبي فما أخفيت الساعة وإتيانها ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ متعلقة بآتية وما بينهما اعتراض وما مصدرية أي: بسعيها وعملها خيراً كان أو شراً لتمييز المطيع من العاصي وتخصيص السعي بالذكر للإيذان بأن المراد بالذات من إتيانها هو الإثابة بالعبادة وأما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة.

﴿فلا يصدّنك عنها﴾ أي: لا يمنعنك عن ذكر الساعة ومراقبتها ﴿من لا يؤمن بها﴾ أي: بالساعة هذا وإن كان بحسب الظاهر نهياً للكافر عن صد موسى عن الساعة لكنه في الحقيقة نهي له عن الانصداد عنها على أبلغ وجه وآكده فإن النهي عن أسباب الشيء ومباديه المؤدية إليه نهي عنه بالطريق البرهاني وإبطال للسببية من أصلها ﴿واتبع هواه﴾ مراده المبني على ميل النفس لا يعضده برهان سماوي ولا دليل عقلي. وفي «الإرشاد» ما تهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية ﴿فتردى﴾ من الردى وهو الموت والهلاك أي: فتهلك فإن الإغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي من أحوالها مستتبع للهلاك لا محالة والمراد بهذا النهي الأمر بالاستقامة في الدين وهو خطاب له والمراد غيره.

واعلم أن هذه الآيات والآتية بعدها دلت على أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام وأنه سمع كلام الله تعالى. فإن قيل بأي شيء علم موسى أنه كلام الله. قيل: لم ينقطع كلامه بالنفس مع الحق كما ينقطع به مع المخلوق بل كلمه تعالى بمدد وحداني غير منقطع وبأنه سمع الكلام من الجوانب الستة وبجميع الأجزاء فصار الوجود كله سمعاً وكذا المؤمن في الآخرة وجه محض وعين محض وسمع محض ينظر من كل جهة وبكل جهة وعلى كل جهة وكذا يسمع بكل عضو من كل جهة وإذا شاهد الحق يشهده بكل وجه ليس في جهة من الجهات لا يحتجب سمعه وبصره بالجهات ويجوز أن يخلق الله تعالى علماً ضرورياً بذلك كما خلق لنبينا عليه السلام عند ظهور جبريل بغار حراء.

ثم اعلم أن للكلام مراتب فكلام هو عين المتكلم وكلام هو معنى قائم به كالكلام النفسي وكلام مركب من الحروف ومتعين بها وهو في عالمي المثال والحس بحسبهما فموسى عليه السلام قد تنزل له الكلام في مرتبة الأمر إلى مرتبة الروح ثم إلى مرتبة الحس ومن مشى على المراتب لم يعثر ألا ترى أن نبينا عليه السلام إذا نزل عليه الوحي كان يسمع في بعض الأحيان مثل صلصلة الجرس فإن التجلي الباطني لا يمنع مثل هذا. فإن قلت لماذا كلم الله موسى حتى صار كليم الله دون سائر الأنبياء؟ قلت: لأن الجزاء إنما هو من جنس العمل وكان قد احترق لسانه عليه السلام عند الامتحان الفرعوني فجازاه الله بمناجاته اسماع كلامه:

هر محنتى مقدمه راحتى بود شد همزبان حق چوزبان كليم سوخت

رؤي بعضهم في النوم فقيل: ما فعل الله بك؟ فقال رضي الله عني ورحمني وقال لي كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب فجوزي من حيث عمل حيث لم يقل له كل يا من قطع الليل تلاوة واشرب يا من ثبت يوم الزحف. وقيل لبعضهم وقد رؤي يمشي في الهواء بم نلت هذه الكرامة؟ فقال: تركت هواي لهواه فسخر لي هواه فالعلم والحكمة إنما هي في معرفة المناسبات قضاء عقلياً وقضاء إلهياً حكمياً ومن قال إن الله تعالى يفعل خلاف هذا فليس عنده معرفة بمواقع الحكم.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وما تلك﴾ السؤال بما تلك عن ماهية المسمى أي: حقيقته التي هو بها هو كقولك ما زيد تعني ما حقيقة مسمى هذا اللفظ فيجاب بأنه إنسان لا غير. قال الكاشفي: [چون موسى نعلين بيرون كرد در وادي مقدس خطاب رسيدكه] وما تلك أي أي شيء هذه حال كونها مأخوذة **﴿بيمينك يا موسى﴾** فما استفهامية في حيز الرفع بالخبرية لتلك المشار إليها أي: العصا وهو أوفق بالجواب من عكسه والعامل في الحال معنى الإشارة ولم يقل بيدك لاحتمال أن يكون في يساره شيء مثل الخاتم ونحوه فلو أجمل إليه لتحير في الجواب للاشتباه وسيأتي سر الاستفهام إن شاء الله تعالى.

﴿قال﴾ موسى **﴿هي عصاي﴾** نسبها إلى نفسه تحقيقاً لوجه كونها بيمينه وتمهيداً لما يعقبه من الأفاعيل المنسوبة إليه عليه السلام **﴿أتوكأ عليها﴾** أي: اعتمد عليها عند الإعياء في الطريق وحال المشي وحين الوقوف على رأس القطيع في المرعى **﴿وأهش بها على غنمي﴾** الهش [بيفشاندن برك ازدرخت] يقال هش الورق يهشه ويهشه خبطه بعصا ليتحات أي: ضربه ضرباً شديداً ليسقط. والمعنى أخبط بها الورق وأسقطه على رؤوس غنمي لتأكله. وبالفارسية [وفروميريزم برك ازدر ختها] **﴿ولي فيها مآرب﴾** جمع مأربة بفتح الراء وضمها وهي الحاجة **﴿أخرى﴾** لم يقل آخر لرعاية الفاصلة أي: حاجات أخر غير التوكي والهش وهي أنه إذا سار ألقاها على عاتقه وعلق بها قوسه وكنانته وحلابه ومطهرته وحمل عليها زاده وتحدثه. يعني [درراه باموسى سخن كفتى] وكان لها شعبتان ومحجن فإذا طال الغصن حناه بالمحجن وإذا حاول كسره لواه بالشعبتين وفي أسفلها سنان ويركزها فيخرج الماء وتحمل أي: ثمرة أحب وربما يدليها في البئر وتصير شعبتاها كالدلو فيخرج الماء وإذا قصر الرشاء وصله بها وتضيء

بالليل كالشمع وتحارب عنه. يعني: [بادشمن وى حرب كردى] وإذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها وتطرد الهوام في النوم واليقظة ويستظل بها إذا كان قعد يعني إذا كان في البرية ركزها وألقى كساءه عليها فكان ظلاً وكانت اثني عشر ذراعاً بذراعه عليه السلام من عود آس من شجر الجنة استودعها عند شعيب ملك من الملائكة في صورة إنسان. وقال الكاشفي: [آن عصا ازچوب مرد بهشت بود طول اوده كز وسراو دوشاخه ودر زيراو سناني نشانده نامش عليق بود يانيعه از آدم ميراث بشعيب رسيده بود وازو بموسى رسيد] وفي العصا إشارة إلى أن الأنبياء عليهم السلام رعاة الخلق والخلق مثل البهائم محتاجون إلى الرعي والكلاءة من ذئاب الشياطين وأسد النفس فلا بد من العمل بإرشادهم والوقوف بالخدمة عند باب دارهم، قال الحافظ:

شبان وادى ايمن كهى رسد بمراد كه چند سال بجان خدمت شعيب كند

قال بعض أهل المعرفة لما كانت العصا صورة النفس المطمئنة المفنية للموهومات والمتخيلات لأن صورة الحية تستعد للإيمان كما ظهر بعض الجن بالمدينة في صورة الحية ونهوا عن قتلها كما ذكر في «الصحاح» لذلك قال موسى عليه السلام: **﴿هي عصاي أتوكأ عليها﴾** أي: أستعين بها على مطالبي في السر **﴿وأهش بها على غنمي﴾** أي: على رعايا أعضائي وحواسي وعلى ما تحت يدي من القوى الطبيعية والبدنية **﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾** أي: مقاصد لا تحصل إلا بها من الكمالات المكتسبة بالمجاهدات البدنية والرياضات النفسية فإذا جاهدت وارتاضت وأنابت إلى ربها انقلبت المعصية التي هي السيئة طاعة أي: حسنة كما قال تعالى في صفة التائبين ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ﴾ [الفرقان: ٧٠]. فإن قيل السؤال للاستعلام وهو محال على العلام فما الفائدة فيه قلنا فائدته أن من أراد أن يظهر من الحقير شيئاً نفيساً يعرضه أولاً على الحاضرين ويقول ما هذا فيقال فلان ثم إنه يظهر صنعه الفائق فيه فيقول لهم: خذوا منه كذا وكذا كما يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد أيام لبوساً مسرداً فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها إلى ما ترى من عجيب الصنع وأنيق السرد فالله تعالى لما أراد أن يظهر من العصا تلك الآيات الشريفة عرضها أولاً عليه فقال: هل حقيقة ما في يدك إلا خشبة لا تضر ولا تنفع ثم قلبها ثعباناً عظيماً فنبه به على كمال قدرته ونهاية حكمته. قال الكاشفي: [استفهام متضمن تنبيه است يعني حاضر شو تا عجايب بيني].

وقال في «التأويلات النجمية»: إنما امتحن موسى بهذا السؤال تنبيهاً له ليعلم أن للعصا عند الله اسماً آخر وحقيقة أخرى غير ما علمه منها فيحيل علمها إلى تعالى فيقول: أنت أعلم بها يا رب فلما اتكل على علم نفسه وقال هي عصاي فكأنه قيل له أخطأت في هذا الجواب خطأين أحدهما في التسمية بالعصا والثاني في إضافتها إلى نفسك وهو ثعباني لا عصاك. فإن قيل هذا سؤال من الله مع موسى ولم يحصل لمحمد عليه السلام. قلنا خاطبه أيضاً في قوله: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠﴾ [النجم: ١٠] إلا أنه ما أفشاه وكان سراً لم يؤهل له أحداً من الخلق وأيضاً فإن دار الكلام بينه وبين موسى فأمة محمد يخاطبونه في كل يوم مرات على ما قاله عليه السلام: «المصلي يناجي ربه» وقال بعضهم: فهم موسى أن هذا السؤال ليس للاستعلام لأنه تعالى منزه عن ذلك بل للتذكر واستحضار حقيقتها وما يعلم من منافعها ولذا زاد في الجواب. وقال الكاشفي: [جواب داد وجهت تعداد نعم رباني برآن افزود] وقال بعضهم:

سأل الله عما في يده للتقرير على أنها عصا حتى لا يخاف إذا صارت ثعباناً ويعلم أنها معجزة عظيمة لإزالة الوحشة عن موسى ولذا كرر يا موسى يعني: ليحصل زيادة الانبساط والاستئناس وإزالة تلك الهيبة والدهشة الحاصرة من استماع ذلك الكلام الذي لم يشبه كلام الخلق مع مشاهدة تلك النار وتلك الشجرة وسمع تسبيح الملائكة ومن ثمة لما زالت بذلك اطنب في الجواب قال نبينا عليه السلام: قلت أي: ليلة المعراج: اللهم إنه لما لحقني استيحاش سمعت منادياً ينادي بلغة تشبه لغة أبي بكر رضي الله عنه فقال لي: قف فإن ربك يصلي فعجبت من هاتين هل سبقني أبو بكر إلى هذا المقام وإن ربي لغني عن أن يصلي فقال تعالى: أنا الغني عن أن أصلي لأحد وإنما أقول سبحاني سبحاني سبقت رحمتي على غضبي اقرأ يا محمد هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً فصلاتي رحمة لك ولأمتك وأما أمر صاحبك يا محمد فإن أخاك موسى كان أنسه بالعصا فلما أردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك يا موسى قال: هي عصاي وشغل بذكر العصا على عظيم الهيبة وكذلك أنت يا محمد لما كان أنسك بصاحبك أبي بكر خلقنا ملكاً على صورته ينادي بلغته ليزول عنك الاستيحاش لما يلحقك من عظيم الهيبة كذا في «إنسان العيون». وذكر الراغب الأصفهاني في «المحاضرات» أنه قال الإمام الشاذلي قدس سره صاحب الحزب البحر اضطجعت في المسجد الأقصى فرأيت في المنام قد نصب تحت خارج الأقصى في وسط الحرم فدخل خلق كثير أفواجاً أفواجاً فقلت: ما هذا الجمع فقالوا: جمع الأنبياء والرسل عليهم السلام قد حضروا ليشفعوا في حسين الحلاج عند محمد عليه السلام في إساءة أدب وقعت منه فنظرت إلى التخت فإذا نبينا ﷺ جالس عليه بانفراده وجميع الأنبياء على الأرض جالسون مثل إبراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم السلام فوقفت أنظر وأسمع كلامهم فخاطب موسى نبينا عليه السلام وقال له: إنك قد قلت: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» فأرنا منهم واحداً فقال: هذا وأشار إلى الإمام الغزالي قدس سره فسأله موسى سؤالاً فأجابه بعشرة أجوبة فاعترض عليه موسى بأن الجواب ينبغي أن يطابق السؤال والسؤال واحد والجواب عشرة فقال الإمام: هذا الاعتراض وارد عليك أيضاً حين سئلت ﴿**وما تلك بيمينك**﴾ وكان الجواب عصاي فأوردت صفات كثيرة فقال: فبينما أنا متفكر في جلالة قدر محمد عليه السلام وكونه جالساً على التخت بانفراده والخليل والكليم والروح جالسون على الأرض إذ رفسني شخص برجله رفسة مزعجة أي: ضربني فانتبهت فإذا بقيم يشعل قناديل الأقصى قال: لا تعجب فإن الكل خلقوا من نوره فخررت مغشياً فلما أقاموا الصلاة أفقت وطلبت القيم فلم أجده إلى يومي هذا ومن هذا قال في قصيدة البردة:

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

وقال آخر:

سر خيل انبيا وسپهدار اتقيا سلطان باركاه دنا قائد امم

﴿**قال**﴾ الله تعالى استئناف بياني ﴿**ألقها يا موسى**﴾ اطرحها لترى من شأنها ما لم يخطر ببالك والالقاء والنبذ والطرح بمعنى واحد.

﴿**فألقاها**﴾ على الأرض. قال الكاشفي: [موسى كمان بردكه اورانيزچون نعلين مى بايد افكند پس بيفكند آنرا ازقفاى خود في الحال آوازى عظيم بكوش وى رسيد بازنكريست] ﴿**فإذا**

هي﴾ [پس ازآنجا آن عصا] ﴿حية﴾ [مارى بود] ﴿تسعى﴾ [مى شتافد بهر جانب] والسعي المشي بسرعة وخفة حركة والجملة صفة لحية.

ـ روي ـ أنه حين ألقاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وهو الخفيف كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠] أي: باعتبار ابتداء حالها وسميت ثعباناً أخرى وهو أعظمها كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧] أي: باعتبار انتهاء حالها وعبر عنها هٰهنا بالاسم العام للحالين أي: الصغير والكبير والظاهر أنها انقلبت من أول الأمر ثعباناً وهو الأليق بالمقام كما يفصح عنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ وإنما شبهت بالجان في الجلادة وسرعة الحركة. قال بعض أهل المعرفة أما انقلاب العصا حيواناً فإيماء إلى انقلاب المعصية طاعة وحسنة فإن العصا من المعصية والمعصية إذا انقلبت صارت طاعة كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] وهذا التبديل من مقام المغفرة وأما المحو في قوله عليه السلام: «اتبع السيئة الحسنة تمحها» فعبارة عن حقيقة العفو. قال المولى الجامي في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ يعني في الحكم فإن الأعيان أنفسها لا تتبدل ولكن تنقلب أحكامها انتهى. يقول الفقير على هذا يدور انقلاب العصا حية حين الإلقاء ويحول النحاس فضة عند طرح الأكسير وتمثل جبريل في الصورة البشرية فاعرفه فإنه باب عظيم من دخله بالعرفان التام أمن من الأوهام، قال الحافظ:

دست ازمس وجود چو مردان ره بشوى تا كيمياى عشق بيابى وزر شوى

وقال المولى الجامي:

چو كسب علم كردى در عمل كوش كه علم بى عمل زهريست بى نوش

چه حاصل زآنكه دانى كيميارا مس خودرا نكرده زرسارا

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قال﴾ استئناف بياني ﴿خذها ولا تخف﴾ روي أنها انقلبت ثعباناً ذكراً يبتلع كل شيء يمر به من صخر وحجر وعيناه تتقدان كالنار ويسمع لأنيابه صريف شديد وكان بين لحييه أربعون ذراعاً أو ثمانون فلما رآه كذلك خاف ونفر لأن الخوف والهرب من الحيات ونحوها من طباع البشر. فإن قيل لم خاف موسى من العصا ولم يخف إبراهيم من النار؟ قلنا: لأن الخليل كان أشد تمكيناً إذ فرق بين بداية الحال ونهايتها وقد أزال الله هذا الخوف من موسى بقوله: ولا تخف ولذا تمكن من أخذ العصا كما يأتي فصار أهل تمكين كالخليل عليهما السلام ألا ترى أن نبينا عليه السلام أول ما جاءه جبريل خافه فرجع من الجبل مرتعداً ثم كان من أمره ما كان حتى استعد لرؤيته على صورته الأصلية ليلة المعراج كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم: ١٣-١٤].

وفي «التأويلات النجمية» ﴿خذها ولا تخف﴾ يعني كنت تحسب أن لك فيها المنافع والمآرب في البداية ثم رأيتها وأنت خائف من مضارها فخذها ولا تخف لتعلم أن الله تعالى هو الضار والنافع فيكون خوفك ورجاؤك منه إليه لا من غيره، وفي «المثنوي»:

هركه ترسيد از حق وتقوى كزيد ترسد ازوى جن وإنس وهركه ديد

﴿سنعيدها﴾ [زود باشدكه كردانيم ويرا] ﴿سيرتها الأولى﴾ السيرة فعلة من السير أي: نوع منه تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الجار أي: سنعيدها بعد الأخذ إلى هيئتها الأولى التي هي الهيئة العصوية فوضع يده في فم الحية فصارت عصا كما كانت ويده في شعبتيها في الموضع الذي يضعها فيه إذا توكأ وأراه هذه الآية كيلا يخاف عند فرعون إذا انقلبت حية وفي الحديث «يجاء لصاحب المال الذي لم يؤد زكاته بذلك المال على صورة ثعبان» يقول الفقير: لا شك عند أهل المعرفة أن لكل جسد روحاً ولو كان معنوياً ولكل عمل وخلق ووصف صورة معتدلة في الدنيا تتحول صورة محسوسة في الآخرة كما قال تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨] أي: يظهر لهم صور أعمالهم كما مر في سورة الأنعام ولما كان حب المال من أشد صفات النفس الأمارة التي هي في صورة ثعبان ضار لا جرم يظهر يوم تبلى السرائر على هذه الصورة المزعجة ويصير طوقاً لعنق صاحبه فإذا تزكى موسى القلب من حب المال وأحب بذله في سبيل الله جاء في صورة حسنة يهواها مناسبة لما عمل به من الخيرات وقس حال البواقي عليه. ثم أراه آية أخرى فقال:

﴿واضمم﴾ [ضم كن وببر] ﴿يدك﴾ اليمنى ﴿إلى جناحك﴾ [بسوى بهلوى خود درزير بغل] وجناح الإنسان جنبه وعضده إلى أصل إبطه كما أن جناحي العسكر ناحيتاه مستعار من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لأنه يجنحهما أي: يميلها عند الطيران. والمعنى اضمم يدك إلى جنبك تحت العضد ﴿تخرج﴾ [تابيرون آيد جواب] ﴿بيضاء﴾ [در حالتى كه سفيد وروشن] حال من الضمير فيه ﴿من غير سوء﴾ حال من الضمير في بيضاء أي: كائنة من غير عيب وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة لما أن الطباع تعافه وتنفر عنه.

ـ روي ـ أن موسى عليه السلام كان أسمر اللون فإذا أدخل يده اليمنى تحت إبطه الأيسر وأخرجها كان عليها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر ويسد الأفق ثم إذا ردها إلى جنبه صارت إلى لونها الأول بلا نور وبريق ﴿آية أخرى﴾ أي: معجزة أخرى غير العصا وانتصابها على الحالية من الضمير في بيضاء.

﴿لنريك﴾ أي: فعلنا ما فعلنا من قلب العصا حية وجعل اليد بيضاء لنريك بهاتين الآيتين ﴿من آياتنا الكبرى﴾ أي: بعض آياتنا الكبرى فكل من العصا واليد من الآيات الكبرى وهي تسع كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١] وقد سبق بيانها ونظير الآية قوله تعالى في حق نبينا عليه السلام ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ [النجم: ١٨] أي: محمد ليلة المعراج ﴿مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨] والفرق بين آيات موسى وآيات نبينا عليهما السلام أن آيات موسى عجائب الأرض فقط وآيات نبينا عجائب السموات والأرض كما لا يخفى هذا هو اللائح في هذا المقام فاعرفه.

واعلم أن موسى عليه السلام أدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء من غير سوء وهذا من كرامات اليد بعد التحقق بحقيقة الجود والكرم والسخاء والإيثار فالجود عطاؤك ابتداء قبل السؤال والكرم عطاؤك ما أنت محتاج إليه وبالعطاء صحت الخلة.

ـ روي ـ أن الله تعالى أرسل إلى إبراهيم جبريل عليهما السلام على صورة شخص فقال له: يا إبراهيم أراك تعطي الأوداء والأعداء فقال: تعلمت الكرم من ربي رأيته لا يضيعهم فأنا لا

أضيعهم فأوحى الله إليه أن يا إبراهيم أنت خليلي حقاً. ومن كرامات اليد ما روي أن نبينا عليه السلام نبع الماء من بين أصابعه في غزوة تبوك حتى شرب منه ورفعه خلق كثير ورمى التراب في وجوه الأعداء فانهزموا وسبح الحصى في يده، قال العطار قدس سره:

داعـــي ذرات بـــود آن پـــاك ذات در كفش تسبيح ازان كفتى حصات

وقبض من شاء من الأولياء في الهواء فيفتح يده عن فضة أو ذهب إلى أمثال هذا فإذا سمعت هذا عرفت أن كل كمال يظهر في النوع الإنسان فهو أثر عمل من الأعمال أو حال من الأحوال فبين كل شيئين إما مناسبة ظاهرة أو باطنة إذا طلبها الحكيم المراقب وجدها نسأل الله تعالى أن يوفقنا لصرف الأعضاء والقوى إلى ما خلقت هي لأجله ويفيض علينا فضله بسجله.

﴿اذهب﴾ يا موسى بطريق الدعوة والتحذير ﴿إلى فرعون﴾ وملئه بهاتين الآيتين العصا واليد لقوله تعالى في سورة القصص ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾ [القصص: ٣٢] وأما قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى﴾ [طه: ٤٢] فسيأتي معنى الجمع فيه إن شاء الله تعالى ﴿إنه طغى﴾ أي: جاوز حد العبودية بدعوى الربوبية استقلالاً لا اشتراكاً كما قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]. وفيه إشارة إلى معنيين:

أحدهما: أن السالك الصادق إذا بلغ مرتبة كماله يقيضه الله لدلالة عباده وتربيتهم.

والثاني: أن كمال البالغين في أن يرجعوا إلى الخلق ومخالطتهم والصبر على أذاهم ليختبروا بذلك حلمهم وعفوهم.

فإن قيل لم أرسله الله بالعصا؟ قلنا: لأن العصا من آلات الرعاة وموسى عليه السلام كان راعياً فأرسله الله مع آلته وأيضاً كان فرعون بمنزلة الحمار فاحتاج إلى العصا والضرب، وفي «المثنوي»:

كـرتـرا عـقـلـسـت كـردم لـطـفـهـا ورخـــرى آورده ام خـــررا عـــصـــا
آنـچـنـان زيـن آخـرت بـيـرون كـنـم كز عـصـا كـوش وسـرت پـرخـون كـنـم
انـدريـن آخـر خـران ومـردمـان مـى نـيـابـنـد از جـفـاى تـو امـان
يـك عـصـا آورده ام بـهـر ادب هـر خـرى را كـونـبـاشـد مـسـتـحـب
ازدهـائـى مـيـشـود در قـهـر تـو كـازدهـائـى كـشـتـه در فـعـل وخـو
ازدهـائـى كـوهـى تـو بـى امـان لـيـك بـنـكـر ازدهـاى آسـمـان
ايـن عـصـا ازدوزخ آمـد چـاشـنـى كـه هـلا بـكـريـز انـدر روشـنـى
ورنـه درمـانـى تـو دردنـدان مـن مـخـلـصـت نـبـود زدربـنـدان مـن
ايـن عـصـائـى بـود ايـن دم ازدهـاسـت تـانـكـوئـى دوزخ يـزدان كـجـاسـت
هـركـجـا خـواهـد خـدا دوزخ كـنـد اوج را بـرمـرغ دام وفـخ كـنـد
هـم زدنـدانـت بـرآيـد دردهـا تـابـكـوئـى دوز خـسـت واژدهـا
يـا كـنـد آب دهـانـت را عـسـل كـه بـكـوئـى كـه بـهـشـتـسـت وحـلـل
ازبـن دنـدان بـرو يـانـد شـكـر تـابـدانـى قـوت حـكـم قـدر
پـس بـدنـدان بـى كـنـهـانـرا مـكـز فـكـركـن ازضـربـت نـا مـحـتـرز

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾

﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿قال﴾ موسى مستعيناً بالله لما علم أنه حمل ثقيل وتكليف عظيم، يعني: [باخود انديشيدكه من تنها بافرعون ولشكر اوچكونه مقاومت توانم كرد پس ازخدا تقويت طلبيده آغاز ودعا كرد وازروى نياز كفت] ﴿رب﴾ [اى پروردكار من] ﴿اشرح لي صدري﴾ [كشاده كردان براى من سينه مرا] والمراد بالصدر هنا القلب لا العضو الذي فيه القلب أي: وسع قلبي حتى لا يضيق بسفاهة المعاندين ولجاجهم ولا يخاف من شوكتهم وكثرتهم.

واعلم أن شرح الصدر من نعم الله تعالى على الأنبياء وكمل الأولياء وقد أخذ منه نبينا عليه السلام الحظ الأوفى لأنه حصل له بصورته ومعناه إذ شق صدره في صباوته وألقى عنه العلقة التي هي حظ الشيطان ومغمزه وغسل في طست من الذهب وأيضاً في البلوغ إلى الأربعين لينشرح لتحمل أثقال الرسالة وفي المعراج ليتسع لأسرار الحق تعالى فجاء حاملاً للأوصاف الجليلة التي لا توصف من الحلم والعفو والصبر والكف واللطف والدعاء والنصيحة إلى غير ذلك.

﴿ويسر لي أمري﴾ سهل علي أمر التبليغ بإحداث الأسباب ورفع الموانع.

﴿واحلل﴾ وافتح، وبالفارسية [وبكشاى] ﴿عقدة﴾ لكنة، وبالفارسية [كرهى را] ﴿من لساني﴾ متعلق بالفعل وتنكير عقدة يدل على قلتها في نفسها قالوا ما الإنسان لولا اللسان الابهيمة مرسلة أو صورة ممثلة والمرء بأصغريه قلبه ولسانه.

﴿يفقهوا قولي﴾ أي: يفهم هو وقومه كلامي عند تبليغ الرسالة فإنما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة، وبالفارسية [بستكى زبان] من جمرة أدخلها فاه وذلك أن فرعون حمله يوماً فأخذ لحيته ونتفها لما كانت مرصعة بالجواهر فغضب وقال إن هذا عدوي المطلوب وأمر بقتله فقالت آسية زوجته: أيها الملك إنه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يدي موسى بأن جعل الجمر في طست والياقوت في آخر فقصد إلى أخذ الجوهر فأمال جبرائيل يده إلى الجمر فرفعه إلى فيه فاحترق لسانه فكانت منه لكنة وعجمة وإلى هذه القصة أشار العطار قدس سره بقوله:

همچو موسى اين زمان در طشت آتش مانده ايم
طفل فرعونيم ما كام ودهان پراخكرست

ولعل تبيض يده لما كانت آلة لأخذ الجمر واللحية والنتف. فإن قيل لم احترق لسان موسى ولم يحترق أصابعه حين قبض على الجمر عند امتحان فرعون؟ قلنا ليكون معجزة بعد رجوعه إلى فرعون بالدعوة لأنه شاهد احتراقه عنده فيكون دليلاً على إعجازه كأنه يقول الكليم أخرجني الله من عندك يا فرعون مغلولاً ذا عقدة ثم ردني إليك فصيحاً متكلماً وأورثني ذلك ابتلاء من ربي حال كوني صغيراً أن جعلني كليماً مع حضرته حال كوني كبيراً وأورث تناول يدي إلى النار آية نيرة بيضاء كشعلة النار في أعينكم فكل بلاء حسن. قال في «الأسئلة المقحمة»: لما دعا موسى بهذا الدعاء هل انحلت أي: كما يدل عليه قوله قال: قد أوتيت سؤلك فلماذا قال وأخي هارون هو أفصح مني لساناً وقال فرعون فيه ولا يكاد يبين؟ الجواب:

يجوز أن يكون هارون هو أفصح منه مع زوالها وقول فرعون تكلم به على وجه المعاندة والاستصغار كما يقول المعاند لخصمه: لا تقول شيئاً ولا تدري ما تقول وقالوا لشعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وقالوا لهود ما جئتنا ببينة ولنبينا عليه السلام قلوبنا في أكنة انتهى وإلى هذا التأويل جنح المولى أبو السعود في «الإرشاد».

﴿واجعل لي وزيراً﴾ الوزير حباء الملك أي: جليسه وخاصته الذي يحمل ثقله وبعينه برأيه كما في «القاموس» فاشتقاقه من الوزر بالكسر الذي هو الثقل لأنه يحمل الثقل عن أميره أو من الوزر محركة وهو الملجأ والمعتصم لأن الأمير يعتصم برأيه ويلجأ إليه في أموره والمعنى واجعل لي موازراً يعاونني في تحمل أعباء ما كلفته ﴿من أهلي﴾ من خواصي وأقربائي فإن الأهل خاصة الشيء ينسب إليه ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود: ٤٥] وأهل الله خاصته كما في الحديث «إن لله أهلين من الناس أهل القرآن وهم أهل الله» كما في «المقاصد الحسنة» وهو صفة لوزير أو صلة لأجعل.

﴿هارون﴾ مفعول أول لأجعل قدم عليه الثاني وهو وزيراً للعناية به لأن مقصوده الأهم طلب الوزير ﴿أخي﴾ بدل من هارون.

﴿اشدد به أزري﴾ الإزر القوة والظهر أي: احكم به قوتي أو قوّ به ظهري.

﴿وأشركه في أمري﴾ واجعله شريكي في أمر الرسالة حتى نتعاون على أدائها كما ينبغي. فإن قيل كيف سأل لأخيه النبوة؟ فإنما هي باختيار الله تعالى كما قال: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] قلت إن في إجابة الله دليلاً على أن سؤاله كان بإذن الله وإلهاماً منه ولما كان التعاون في الدين درجة عظيمة طلب أن لا يحصل إلا لأخيه. وفيه إشارة إلى أن صحبة الأخيار وموازرتهم مرغوب للأنبياء فضلاً عن غيرهم ولا ينبغي أن يكون المرء مستبداً برأيه مغروراً بقوته وشوكته وينبغي أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويجوز لنفسه الشريك في أمور المناصب ولا تقدح وزارة هارون في نبوته وقد كان أكثر أنبياء بني إسرائيل كذلك أي: كان أحدهم موازراً ومعيناً للآخر في تبليغ الرسالة وكان هارون بمصر حين بعث موسى نبياً بالشام.

﴿كي﴾ غاية للأدعية الثلاثة الأخيرة، والمعنى بالفارسية [تا] ﴿نسبحك﴾ تسبيحاً ﴿كثيراً﴾ أي: ننزهك عما لا يليق بك من الأفعال والصفات التي من جملتها ما يدعيه فرعون ﴿ونذكرك﴾ ذكراً ﴿كثيراً﴾ أي: على كل حال ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال فإن التعاون يهيج الرغبات ويؤدي إلى تكاثر الخير وتزايره.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن للجليس الصالح والصديق الصديق أثراً عظيماً في المعاونة على كثرة الطاعة والموافقة والمرافقة في اقتحام عقبات السلوك وقطع مفاوزه، قال الحافظ:

دريغ ودردكه تا اين زمان ندانستم   كه كيمياى سعادت رفيق بود رفيق

﴿إنك كنت بنا بصيراً﴾ الباء متعلقة ببصيراً قدمت عليه لرعاية الفواصل أي: عالماً بأحوالنا وإن التعاون يصلحنا وإن هارون نعم الوزير والمعين لي فيما أمرتني به فإنه أكبر مني سناً وأفصح لساناً وكان أكبر من موسى بأربع سنين أو بسنة على اختلاف الروايات.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ مسؤولك ومطلوبك فعل بمعنى مفعول

كالخبز بمعنى المخبوز والإيتاء عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له.
قال داود القيصري قدس سره: ومن جملة كمالات الأقطاب ومنن الله عليهم ألاّ يبتليهم بصحبة الجهلاء بل يرزقهم صحبة العلماء الأدباء الأمناء يحملون عنهم أثقالهم وينفذون أحكامهم وأقوالهم انتهى وذلك كما كان آصف بن برخيا وزيراً لسليمان عليه السلام الذي كان قطب وقته ومتصرفاً وخليفة على العالم فظهر عنه ما ظهر من إتيان عرش بلقيس كما حكاه الله تعالى في القرآن. وكان أنوشروان يقول لا يستغني أجود السيوف عن الصيقل ولا أكرم الدواب عن السوط، ولا أعلم الملوك عن الوزير وفي الحديث: «إذا أراد الله بملك خيراً قيض له وزيراً صالحاً إن نسي ذكره وإن نوى خيراً أعانه وإن نوى شراً كفه» وقد كان لرسول الله ﷺ وزراء كما قال: «إن لي وزيرين في الأرض أبا بكر وعمر ووزيرين في السماء جبريل وإسرافيل» فكان من في السماء يمده عليه السلام من جهة الروحانية ومن في الأرض من جهة الجسمانية قال الله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢] فنصر الله سماوي ونصر المؤمنين أرضي وبالكل يحصل الإمداد مطلقاً وفي الحديث: «إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور» ذكره الكاشفي في «الرسالة العلية» وابن الكمال في «شرح الأربعين» حديثاً والمراد من أهل القبور الروحانيون سواء كانوا في الأجساد الكثيفة أو اللطيفة فافهم. ثم إن العادل يرث من النبي عليه السلام هذه الوزارة وأما الظالم فيجعل له وزير سوء وهو علامة غضب الله وانتقامه، قال الشيخ سعدي قدس سره:

بقومي كه نيكى پسندد خداى ... دهد خسرو عادل نيك راى
چو خواهد كه ويران كند عالمي ... كند ملك درپنچه ظالمي

وقال الحافظ:

زمانه كرنه سر قلب داشتى كارش ... بدست آصف صاحب عيار بايستى

ولما كان السلطان ظل الله في الأرض ظهر مظهر الحقيقة الجامعة الإلهية وهو القطب الذي هو مدار العالم فكما أن للقطب وزراء من العلماء الأمناء كذلك لمن هو ظله وزراء من العادلين الأدباء وهذه الوزارة ممتدة إلى زمن المهدي ووزراؤه سبعة هم أصحاب الكهف يحييهم الله في آخر الزمان يختم بهم رتبة الوزراء المهدية ومنهم الوزراء السبعة للملوك العثمانية وهم الذين يسمون بوزراء القبة.

واعلم أن موسى بطريق الإشارة سلطاننا في الآفاق وروحنا في الأنفس وهارون هو الوزير أياً من كان في الآفاق والعقل في الأنفس وفرعون هو رئيس أهل الحرب من النصارى وغيرهم والنفوس الأمارة بالسوء فإذا قارن الروح بالعقل الكامل المشير المدبر وهو عقل المعاند يغلب على النفس وقواها ويخلص حصن القلب من أيديها كما أن السلطان إذا اصطفى لوزارته رجلاً صالحاً عادلاً يغلب إن شاء الله تعالى على الأعداء ويتصرف في بلادهم وحصونهم، وفي «المثنوي»:

عقل تو دستور مغلوب هواست ... در وجودت رهزن راه خداست
واى آن شه كه وزيرش اين بود ... جاى هردو دوزخ بركين بود
شاد آن شاهى كه اورا دستكير ... باشد اندركار چون آصف وزير
شاه عادل چون قرين اوشود ... نام او نور على نور اين بود

چون سليمان شاه وچون آصف وزير نور بر نورست وعنبر بر عبير
شاه فرعون وچو هامانش وزير هر دورا نبود زبد بختى كزير
پس بود ظلمات بعضى فوق بعض نى خرد يارو نه دولت روز عرض
عقل جزؤى را وزير خودمكير عقل كل را ساز اى سلطان وزير
مر هوارا تو وزير خود مساز كه بر آرد جان پاكت از نماز
كين هوا پر حرص وحالى بين بود عقل را انديشه يوم الدين بود

وفي الحديث: «من قلد إنساناً عملاً وفي رعيته من هو أولى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين»، قال الشيخ سعدي قدس سره:

كسى راكه باخواجه تست جنك بدستش چرامى دهى چوب وسنك
سك آخر كه باشدكه خوانش نهند بفرماى تا استخوانش نهند
مكافات موذى بمالش مكن كه بيخش بر آورد بايد زبن
سركرك بايد هم اول بريد نه چون كوسفندان مردم دريد

﴿**ولقد مننا عليك**﴾ من قولهم من عليه منا بمعنى أنعم عليه لا من قولهم عليه منة بمعنى امتن عليه لأن المنة تهدم الصنيعة. وفي «الكبير»: فإن قيل ذكر تلك النعم بلفظ المنة مؤذ والمقام مقام التلطف قلنا عرفه أنه لم يستحق شيئاً منها بذاته وإنما خصه بها بمحض التفضل والمعنى وبالله لقد أنعمنا عليك يا موسى أكرمناك بكرامات من غير أن تسألنا ﴿**مرة أخرى**﴾ في وقت ذي مر وذهاب أي: وقتاً غير هذا الوقت فإن أخرى تأنيث آخر بمعنى غير والمرة في الأصل اسم للمر الواحد الذي هو مصدر قولك مر يمر مراً ومروراً أي: ذهب ثم أطلق على فعلة واحدة من الفعلات متعدية كانت أو لازمة ثم شاع في كل فرد واحد من أفراد ماله أفراد متحدة فصار علماً في ذلك حتى جعل معياراً لما في معناه من سائر الأشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة المراد به هٰهنا الوقت الممتد الذي وقع فيه ما سيأتي ذكره من المنن العظيمة الكثيرة.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾

﴿**إذ أوحينا إلى أمك**﴾ ظرف لمننا والمراد من هذا الوحي ليس الوحي الواصل إلى الأنبياء لأن أم موسى ما كانت من الأنبياء فإن المرأة لا تصلح للإمارة والقضاء فكيف تصلح للنبوة بل الإلهام كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] بأن أوقع الله في قلبها عزيمة جازمة على ما فعلته من اتخاذ التابوت والقذف. قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف يجوز لها أن تلقي ولدها في البحر وتخاطر بروحه بمجرد الإلهام؟ والجواب كانت مضطرة إلى ركوب أحد الخطرين فاختارت له خير الشرين انتهى والظاهر أن الله تعالى قدر أنها تكون صدف درة وجود موسى فكما أن الصدف يتنور بنور الدرة نور صدر أمه أيضاً بنور الوحي من تلألؤ أنوار نبوته ورسالته فهذا الإلهام من أحوال الخواص من أهل الحال ﴿**ما يوحى**﴾ المراد به ما سيأتي من الأمر بقذفه في التابوت والبحر أبهم أولاً تهويلاً له وتفخيماً لشأنه عليه السلام ثم فسر ليكون أقر عند النفس.

﴿أن اقذفيه في التابوت﴾ أن مفسرة بمعنى أي: لأن الوحي من باب القول أي: قلنا لها اقذفيه ومعنى القذف هٰهنا الوضع وفي قوله: ﴿فاقذفيه في اليم﴾ الإلقاء وليس المراد القذف بلا تابوت واليم نيل مصر في قول جميع المفسرين فإن اليم يقع على البحر والنهر العظيم. فإن قيل ما الحكمة بإلقاء موسى في اليم دون غيره فيه؟ قلنا: له جوابان بلسان الحكمة والمعرفة قيل: بلسان الحكمة إن المنجمين إذا ألقى شيء في الماء يخفى عليهم أمره فأراد الله أن يخفي حال موسى على النجمين حتى لا يخبروا به فرعون وقيل بلسان الحال ألقيه في التلف لأنجيه بالتلف من التلف قيل لها بلسان الحال سلميه إليّ صبياً أسلمه إليك نبياً وقيل أنجاه من البحر في الابتداء كذلك أنجاه من البحر في الانتهاء بإغراق فرعون بالماء. وقال بعض أرباب المعارف: التابوت إشارة إلى ناسوت موسى عليه السلام أي: صورته الإنسانية واليم إشارة إلى ما حصل له من العلم بواسطة هذا الجسم العنصري فلما حصلت النفس في هذا الجسم وأمرت بالتصرف فيه وتدبيره جعل الله لها هذا القوى آلات يتوصل بها إلى ما أراده الله منها في تدبير هذا التابوت فرمى في اليم ليحصل له بهذا القوى من فنون العلم تكميل استعداده بذلك الأمر من النفس الكلية التي هي أمه المعنوية وأبوه الروح الكلي فكل ولد منها يأخذ استعداده بحسب القابلية فكمل لموسى الاستعداد الأصلي بذلك الإلقاء من توجه النفس الكلية له، وقال المولى الجامي قدس سره:

ديدم رخت آفتاب عالم اينست در طور وجود نور اعظم اينست
افتاد دلم اسير تابوت بدن دربحر غمت القى في اليم اينست

﴿فليلقه اليم بالساحل﴾ لما كان إلقاء البحر إياه بالساحل أمراً واجب الوقوع لتعلق الإرادة الربانية به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمر بذلك وأخرج الجواب مخرج الأمر فصورته أمر ومعناه خبر والضمائر كلها لموسى والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وإن كان التابوت أصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعاً له في ذلك. والساحل فاعل بمعنى مفعول من السحل لأنه يسحل الماء أي: يقشره ويسلخه وينزع عنه ما هو بمنزلة القشر على ظاهره يقال قشرت العود نزعت عنه قشره ﴿يأخذه عدو لي وعدو له﴾ الجزم جواب للأمر بالالقاء وتكرير عدو للمبالغة أي: دعيه حتى يأخذه العدو فإني قادر على تربية الولي في حجر العدو ووقايته من شره بإلقاء محبة منه عليه. فإن قيل كيف يجوز أن يكون مثل فرعون له رتبة معاداته تعالى حتى سمي عدو الله؟ قلنا معناه يأخذه مخالف لأمري كالعدو كذا في «الأسئلة المقحمة». قالوا: ليس المراد بالساحل نفس الشاطىء بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجري ماؤه إلى نهر فرعون لما روي أنها جعلت في التابوت قطناً ووضعته فيه ثم أحكمته بالقير وهو الزفت لئلا يدخل فيه الماء وألقته في اليم وكان يدخل منه إلى بستان فرعون نهر فدفعه الماء إليه فأتى به إلى بركة في البستان وكان فرعون جالساً ثمة مع آسية بنت مزاحم فأمر به فأخرج ففتح فإذا هو صبي أصبح الناس وجهاً ولما وجده في اليم عنده الشجر سماه موسى و«مو» هو الماء بالقبطية و«سا» هو الشجر وأحبه حباً شديداً لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى: ﴿وألقيت عليك محبة﴾ عظيمة كائنة ﴿مني﴾ قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذا أحبك عدو الله وآله.

ـ روي ـ أنه كان على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه.

ماه زيباست ولى روى تو زيباتر ازوست
چشم نركس چه كنم چشم تور عناتر ازوست

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وألقيت عليك محبة﴾ من محبتي ليحبك بمحبتي من أحبني بالتحقيق ويحبك عدوي وعدوك بالتقليد كما أن آسية أحبته بحب الله على التحقيق وفرعون أحبه لما ألقى الله عليه محبته بالتقليد ولما كانت محبة فرعون بالتقليد فسدت وبطلت بأدنى حركة رآها من موسى ولما كانت محبة آسية بالتحقيق ثبتت عليها ولم تتغير وهكذا يكون إرادة أهل التقليد تفسد بأدنى حركة لا تكون على وفق طبع المريد المقلد ولا تفسد إرادة المريد المحقق بأكبر حركة تخالف طبعه وهواه وهو مستسلم في جميع الأحوال:

نشان اهل خدا عاشقى وتسليمست كه درمريد شهر اين نشان نمى بينم

﴿ولتصنع على عيني﴾ عطف على علة مضمرة لألقيت أي: ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة ويحسن إليك وأنا راقبك ومراعيك وحافظك كما يراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به من قولهم صنع إليه معروفاً إذا أحسن إليه. وعيني حال من الضمير المستتر في لتصنع لا صلة له جعل العين مجازاً عن الرعاية والحراسة بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب فإن الناظر إلى الشيء يحرسه مما لا يريد في حقه ويراعيه حسبما يريد فيه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من أدركته العناية الأزلية يكون في جميع حالاته منظور نظر العناية لا يجري عليه أمر من أمور الدنيا والآخرة إلا وقد يكون له فيه صلاح وتربية إلى أن يبلغه درجة ومقاماً قد قدر له.

﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إذ تمشي أختك﴾ مريم ظرف لتصنع على أن المراد به وقت وقع فيه مشيها إلى بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجع إلى أمها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله ﴿ولتصنع على عيني﴾ إذ لا شفقة أعظم من شفقة الام. قال ابن الشيخ تقييد التربية بزمان مشي أخته صحيح لأن التربية إنما وقعت زمان المشي ورده إلى أمه ﴿فتقول﴾ أي: لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدياً وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية أي: قالت: ﴿هل أدلكم﴾ [آيا دلالت كنم شمارا] أي: حاضران ﴿على من يكفله﴾ [بركسي كمه له تكفل أين طفل كند واوراشير دهد] أي يضمه إلى نفسه ويربيه وذلك إنما يكون بقبول ثديها.

ـ يروى ـ أنه فشا الخبر بمصر أن آل فرعون أخذوا غلاماً من النيل لا يرضع ثدي امرأة واضطروا إلى تتبع النساء فخرجت مريم لتعرف خبره فجاءتهم منكرة فقالت ما قالت وقالوا من هي: قالت: أمي قالوا: ألها لبن؟ قالت: نعم لبن أخي هارون فجاءت بها فقبل ثديها ﴿فرجعناك إلى أمك﴾ الفاء فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها أي: فقالوا: دلينا عليها فجاءت بأمك فرجعناك إليها أي: رددناك، وبالفارسية: [پس بازكر دانيديم ترابسوى ما درتو وبوعده وفا كرديم] وهو قوله: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص:

٧] وذلك لأن إلهامها كان من إلهام الخواص الذي بمنزلة الوحي فلا تستبعد عليها هذه المكالمة المعنوية ويجوز أن يكون ذلك من قبيل الإعلام بالمبشرة ﴿**كي تقر عينها**﴾ [تاشايدكه روشن شود چشم مادر بلقاء تو]. وقال بعضهم: تطيب نفسها بلقائك يقال قرت عينه إذا بردت نقيض سخنت هذا أصله ثم استعير للسرور وهو المراد هٰهنا كما في «بحر العلوم» ﴿**ولا تحزن**﴾ على فقدك، وبالفارسية: [واندو هناك نكردد بفراق تو]. قال في «الكبير» فإن قيل: ﴿**ولا تحزن**﴾ فضل لأن السرور يزيل الغم لا محالة قلنا تقر عينها بوصولك إليها ولا تحزن بوصول لبن غيرها إلى باطنك انتهى. وفي «الإرشاد» أي: لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك وإلا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فإن التخلية متقدمة على التحلية انتهى.
يقول الفقير: الواو لمطلق الجمع وأيضاً أن الثاني لتأكيد الأول فلا يرد ما قالوا ﴿**وقتلت نفساً**﴾ هي نفس القبطي الذي استغاثه الإسرائيلي عليه كما يأتي في سورة القصص ﴿**فنجيناك من الغم**﴾ أي: غم قتله خوفاً من عقاب الله بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالإنجاء منه بالمهاجرة إلى مدين ﴿**وفتناك فتوناً**﴾ الفتنة والفتون المحنة وكل ما شق على الإنسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة ولا يطلق الفتان على الله لأنه صفة ذم عرفاً وأسماء الله توقيفية. فإن قيل: كيف يجوز ذكر الفتن عند ذكر النعم؟ قلنا: الفتنة تشديد المحنة ولما أوجب تشديد المحنة كثرة الثواب عده الله في النعم ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت» وقد فسره البعض بقوله ما صفى نبي مثل ما صفيت والمعنى ابتليناك ابتلاء. وقال بعضهم: طحناك بالبلاء طحناً، وبالفارسية: [وبياز موديم ترا آزمودنى يعني ترادر بوته بلاها افكنديم وخالص بيرون آمدى] ومن ابتلائه قتله القبطيّ ومهاجرته من الوطن ومفارقة الأحباب والمشي راجلاً وفقد الزاد ونحو ذلك مما وقع قبل وصوله إلى مدين بقضية الفاء الآتية.

وفي «التأويلات النجمية»: منها فتنة صحبتك مع فرعون وتربيتك مع قومه فحفظناك من التدين بدينهم.

ومنها: فتنة قتل نفس بغير الحق وفرارك من فرعون بسبب قتل القبطي فنجوت منها.

ومنها: ابتليناك بابنتي شعيب واحتياجهما إليك في سقي غنمهما فلولا حفظناك لملت إليهما ميل البشر للنساء.

ومنها: ابتليناك بخدمة شعيب وصحبته واستئجاره فوفقناك للخروج من عهدة حقوقه وعهوده.

قال بعض الكبار: اختبره في مواطن كثيرة ليتحقق في نفسه صبره على ما ابتلاه به فأول ما ابتلاه الله به قتل القبطي بما ألهمه الله في سره وأن يعلم بذلك الإلهام ولكن كان فيه علامة ذلك وهو إن لم يجد في نفسه مبالاة بقتله فعدم مبالاته بقتله مع عدم انتظاره الوحي علامة كونه ملهماً به في السر وألا ينبغي أن يعتريه وحشة عظيمة من ذلك الفعل. وإنما قلنا إنه عليه السلام كان ملهماً في قتل القبطي لأن باطن النبي معصوم من أن يميل إلى أمر ولم يكن مأموراً به من عند ربه وإن كان في السر ولكون النبي معصوم الباطن من حيث لا يشعر حتى يخبر بأن ذلك الأمر مأمور به في السر أراه الخضر حين قصد تنبيهه على ما ذهل عنه من كونه ملهماً بقتل القبطي قتل الغلام فأنكر عليه قتله ولم يتذكر قتله القبطي فقال له الخضر: ما فعلته عن أمري ينبهه على مرتبته قبل أن ينبأ أنه كان معصوم الحركة في قتله في نفس الأمر وإن لم يشعر بذلك

وأراه أيضاً خرق السفينة الذي ظاهره هلاك وباطنه نجاة من يد الغاصب جعل له ذلك في مقابلة التابوت الذي كان في اليم مطبقاً عليه فإن ظاهره هلاك وباطنه نجاة وإنما فعلت به أمه ذلك خوفاً من يد الغاصب فرعون أن يذبحه مع الوحي الذي ألهمها الله من حيث لا تشعر فوجدت في نفسها أنها ترضعه فإذا خافت عليه ألقته في اليم وغلب على ظنها أن الله ربما رده إليها لحسن ظنها به وقالت حين ألهمت ذلك لعل هذا هو الرسول الذي يهلك فرعون والقبط على يده فعاشت وسرت بهذا التوهم والظن بالنظر إليها إذ لم يكن عندها دليل يفيد العلم بذلك وهذا التوهم والظن علم باعتبار أن متعلقه حق مطابق للواقع متحقق في نفس الأمر **﴿فلبثت سنين﴾** عشر سنين **﴿في أهل مدين﴾** أي: عند شعيب لرعي الأغنام لأن شعيباً أنكحه بنته صفوراء على أن يخدمه ثماني سنين فخدمه عشراً قضاء لأكثر الأجلين كما يأتي في سورة القصص ومدين على ثماني مراحل من مصر وذكر اللبث دون الوصول إليهم إشارة إلى مقاساة شدائد أخرى في تلك السنين كإيجار نفسه ونحوه مما كان من قبيل الفتون.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿فلبثت سنين في أهل مدين﴾** لتستحق بتربية شعيب وملازمته النبوة والرسالة، قال الحافظ:

شبان وادى ايمن كهى رسد بمراد   كه چند سال بجان خدمت شعيب كند

يقول الفقير: انظر كيف أن الله تعالى جعل في الأمر المكروه أمراً محبوباً فإن قتل القبطي ساق موسى إلى خدمته شعيباً إلى أن استعد للنبوة وقس على هذا ما عداه وإذا كانت النبوة مما يقدم لها الخدمة مع كونها اختصاصاً إلهياً فما ظنك بالولاية **﴿ثم جئت﴾** أي: الوادي المقدس بعد ضلال الطريق وتفرق الغنم في الليلة المظلمة ونحوها **﴿على قدر﴾** تقدير قدرته لأن أكلمك وأستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر أو على مقدار من السن يوحى فيه إلى الأنبياء وهو رأس أربعين سنة وفي الحديث: «ما بعث الله نبياً إلا على رأس أربعين سنة» كما في «بحر العلوم» وأورده البعض في الموضوعات لأن عيسى عليه السلام نبيء ورفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين ونبىء يوسف عليه السلام في البئر وهو ابن ثماني عشرة وكذا يحيى عليه السلام أوتي الحكم وهو صبي فاشتراط الأربعين في حق الأنبياء ليس بشيء كما في «المقاصد الحسنة» **﴿يا موسى﴾** كرره تشريفاً له عليه السلام وتنبيهاً على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الأخرى التي وقعت قبل المرة المحكية.

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾﴾

﴿واصطنعتك لنفسي﴾ تذكير لقوله **﴿وأنا اخترتك﴾** أي: اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فهو تمثيل لما أعطاه تعالى من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض أموره الجليلة. وقال الكاشفي: [وترا بر كزيديم وخالص ساختيم براى محبت خود يعنى ترا دوست كرفتيم]. وفي «حواشي» ابن شيخ أي: اخترتك لتحبني وتتصرف على إرادتي ومحبتي وتشتغل بما أمرتك من إقامة حجتي وتبليغ رسالتي وأن تكون في حركاتك وسكناتك لوجهي لا لنفسك ولا لغيرك. والاصطناع افتعال من الصنع بالضم وهو مصدر قولك صنع إليه معروفاً واصطناع فلان اتخاذه صنيعاً محسناً إليه بتقريبه وتخصيصه بالتكريم والإجلال. عن القفال قال: اصطنعتك أصله من قولهم اصطنع فلان فلاناً

إذا أحسن إليه حتى يضاف إليه فيقال هذا صنيع فلان كما يقال هذا جريح فلان. وفي «القاموس» واصطنعتك لنفسي اخترتك لخاصة أمر استكفيكه انتهى وحقيقته جعله عليه السلام مرآة قابلة لأنوار صفات الجمال والجلال. وفيه إشارة إلى أن الخواص إنما خلقوا لأجل هذا المعنى الخاص وأما غيرهم فبعضهم للدنيا وبعضهم للآخرة فالخواص هم عباد الله حقاً وقد تخلصوا من شوب الميل إلى الباطل وهو ما سوى الله تعالى، قال لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وفي الحديث «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه» فالصبر تجرع المرارات عند نزول المصيبات والرضى سرور القلب بمر القضايا فالعبد الذي أراد الله اصطفاءه يجعله في بوتقة البلاء أولاً فيخلص جوهره مما سواه فطريق هذا المنزل صعب جداً، قال المولى الجامي:

مكوكه قطع بيابان عشق آسانست كه كوههاى بلا ريك آن بيابانست

اللهم اجعلنا من الصابرين الشاكرين الراضين الواصلين.

﴿**اذهب أنت**﴾ يا موسى والذهاب المضي يقال ذهب بالشيء وأذهبه ويستعمل ذلك في الأعيان والمعاني قال تعالى: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩] وقال: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ [هود: ٧٤] ﴿**وأخوك**﴾ أي: وليذهب أخوك هارون حسبما استدعيت عطف عليه لأنه كان غائباً عن موسى وقتئذٍ. والأخوة المشاركة في الولادة من الطرفين أو من أحدهما أو من الرضاع ويستعار الأخ لكل مشارك لغيره في القبلة أو في الدين أو في صنعة أو في معاملة أو في مودة أو في غير ذلك من المناسبات ﴿**بآياتي**﴾ بمعجزاتي والباء للمصاحبة لا للتعدية إذ المراد ذهابهما إلى فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها في إجراء أحكام الرسالة وإكمال أمر الدعوة لا مجرد إذهابهما وإيصالهما إليه. قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الآيات التسع التي أنزلت عليه وإن كان وقوع بعضها بالفعل مترقباً بعد. ويحتمل أن يكون الجمع للتعظيم والمراد العصا واليد. أو لما أن أقل الجمع عند الخليل اثنان يعني إن إطلاق الآيات على الآيتين وارد على الأدنى ﴿**ولا تنيا**﴾ لا تفترا، وبالفارسية: [وسستى ميكنيد] من ونى يني ونيا فهو وانٍ مثل وعد يعد وعداً فهو وأعد بمعنى فتر يفتر فتوراً ﴿**في ذكري**﴾ أي: في مداومته على كل حال لساناً وجناناً فإنه آلة لتحصيل كل المقاصد فإن أمراً من الأمور لا يتمشى لأحد إلا بذكري فالفتور في الأمور بسبب الفتور في ذكر الله وهو تذكير لقوله: ﴿**كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً**﴾. قال بعضهم: الحكمة في هذا التكليف أن من ذكر جلال الله تعالى وعظمته استخف غيره فلا يخاف أحداً غيره فيتقوى روحه بذلك الذكر فلا يضعف في مقصود. قال مرجع طريقتنا الجلوتية بالجيم حضرة الهدايى قدس سره التوحيد قبل الوعظ باعث لإصغاء السامعين وموجب للتأثير بعون الله الملك القدير. وفي «العرائس»: لا تغيبا عن مشاهدتي باشتغالكما بأمري حتى تكونا فاترين بي عني. وفي «الإرشاد»: في ذكري أي: بما يليق بي من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة عند تبليغ رسالتي والدعاء إليّ انتهى. يقول الفقير: أهل الشهود ليسوا بغائبين عن المشهود. ففي الآية إشارة إلى إدامة الأوراد وتنبيه للطالبين في الجد والاجتهاد ونعم ما قيل:

يا خاطب الحوراء في حسنها شمر فتقوى الله في مهرها

وكـن مـجـداً لا تـكـن وانـيـا وجـاهـد الـنـفـس عـلـى صـبـرهـا

قال الخجندي:

بكوش تا بكف آرى كليد كنج وجود كه بى طلب نتوان يافت كوهر مقصود

وقال المولى الجامي:

بي طلب نتوان وصالت يافت آرى كى دهد دولت حج دست جز راه بيابان برده را

وقال الحافظ:

مقام عيش ميسر نميشود بى رنج بلى بحكم بلا بسته اند حكم ألست

ـ روي ـ أنه تعالى لما نادى موسى بالواد المقدس وأرسله إلى فرعون وأعطاه سؤله انطلق من ذلك الموضع إلى فرعون وشيعته الملائكة يصافحون وخلف أهله في الموضع الذي تركهم فيه [درتيسير آورده كه كسان موسى شب انتظار بردند ونيامد وروز نيز ازوى خبرى نيافتند دران صحرا متحير بماندند] فلم يزالوا مقيمين فيه حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فحملهم إلى شعيب فمكثوا عنده حتى بلغهم خبر موسى بعدما جاوز ببني إسرائيل البحر وغرق فرعون قومه وبعث بهم شعيب إلى موسى بمصر. ففيه إشارة إلى أن المؤمن إذا عرض له الأمران أمر الدنيا وأمر الآخرة يختار أمر الآخرة فإنه أمر الله تعالى ألا ترى أن موسى عليه السلام لم ينظر وراءه حين أمر بالذهاب إلى فرعون ولم يلتفت إلى الأهل والعيال بل ولم يخطر بباله سوى الحكيم الفعال إذ يكفيه أن الله خليفته في كل أمر من أموره وقت غيبته وحضوره ومثله إبراهيم عليه السلام حين ترك إسماعيل وأمه هاجر بأرض مكة وهي يومئذٍ أرض قفر ولا ماء بها ولا نبات امتثالاً لأمر الله تعالى من غير اعتراض وانقباض وهكذا تكون المسارعة في هذا الباب. وسمعت من شيخي وسندي قدس سره أنه نام نومة الضحى يوماً في مدينة فلبه من البلاد الرومية فأمر بالهجرة إلى مدينة قسطنطينية فلما استيقظ توضأ وصلى فلم يلبث لحظة حتى خرج راجلاً وترك الأهل والعيال في تلك المدينة حتى كان ما كان على ما استوفيناه في كتابنا الموسوم «بتمام الفيض»، قال الحافظ:

خرم آن روزكه زين مرحله بربندم رخت وزسر كوى توپرسند رفيقان خبرم

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾

﴿اذهبا إلى فرعون﴾ هذا الخطاب إما بطريق التغليب أو بعد ملاقاة أحدهما الآخر وتكرير الأمر بالذهاب لترتيب ما بعده عليه. وفرعون اسم أعجمي لقب الوليد بن مصعب صاحب موسى وقد اعتبر غوايته فقيل تفرعن فلان إذا تعاطى فعل فرعون وتخلق بخلقه كما يقال أبلس وتبلس ومنه قيل للطغاة الفراعنة والأبالسة **﴿إنه طغى﴾** الطغيان مجاوزة الحد في العصيان أي: تجاوز حد العبودية بدعوى الربوبية. قال في «العرائس»: أمر الله موسى وهارون عليهما السلام بالذهاب إلى فرعون لقطع حجته وإظهار كذبه في دعواه وهذا تهديد لكل مدع لا يكون معه بينة من الله في دعواه والحكمة في إرسال الأنبياء إلى الأعداء ليعرفوا عجزهم عن هداية الخلق إلى الله ومن يعجز عن هداية غيره فأيضاً يعجز عن هداية نفسه كالطبيب العاجز عن معالجة الغير فإنه عاجز عن معالجة نفسه أيضاً وليعلموا أن الاختصاص لا يكون بالأسباب ويشكروا الله بما أنعم عليهم بلطفه وربما يصطادون من بين الكفرة من يكون له استعداد بنظر الغيب مثل حبيب

النجار والرجل من آل فرعون وامرأة فرعون والسحرة. قال ابن عطاء: الإشارة إلى فرعون وهو المبعوث بالحقيقة إلى السحرة فإن الله يرسل أنبياءه إلى أعدائه ولم يكن لأعدائه عنده من الخطر ما يرسل إليهم أنبياءه بسببه ولكن يبعث الأنبياء إليهم ليخرج أولياءه المؤمنين من أعدائه الكفرة:

حافظ ازبهر تو آمد سوى اقليم وجود قدمى نه بوداعش كه روان خواهد شد

وفي «التأويلات النجمية» اعلم أن فائدة إتيانهما ورسالتهما إلى فرعون وتبليغ الرسالة كانت عائدة إلى موسى وهارون لنفسهما لا إلى فرعون في علم الله تعالى فالحكمة في إرسالهما أن يكونا رسولين من ربهما مبلغين منذرين لتحقق رسالتهما وينكرها فرعون ويكفر بهما ليتحقق كفره كما قال ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ أي: كلماه باللين والرفق من غير خشونة ولا تعنيف ويسرا ولا تعسرا فإنه ما دخل الرفق في شيء إلا وقد زانه وما دخل الخرق في شيء إلا وقد شانه وكان في موسى حدة وصلابة وخشونة بحيث إذا غضب اشتعلت قلنسوته ناراً فعالج حدته وخشونته باللين ليكون حليماً وهو معنى قول من قال طبع الحبيب كان على اللين والرحمة فلذا أمر بالغلظة كما قال تعالى: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] تحققاً بكمال الجلال وطبع الكليم على الشدة والحدة والصلابة فلذا أمر بالقول اللين تحققاً بكمال الجمال وقد قال عليه السلام: «تخلقوا بأخلاق الله» فالخطاب خطاب الأمر بالتخلق جمالاً وجلالاً فكل واحد منهما أوفق بمقامه وأيضاً إن فرعون كان من الملوك الجبابرة ومن عادتهم أن يزدادوا عتواً إذا خوشنوا في الوعظ فاللين عندهم أنفع وأسلم كما أن الغلظة على العامة أوفق حكمة وأشد دعوة فلو كان في قول موسى خشونة لم يحتمل طبع فرعون بل هاج غضبه فلعله يقصد موسى بضرب أو قتل ففائدة اللين عائدة إلى موسى. وفي «الأسئلة المقحمة» إنما أمرهما بذلك لأنه كان ابتداء حال الدعوة وفي ابتداء الحال يجب التمكين والإمهال لينظر المدعو فيما يدعى إليه كما قال لنبينا عليه السلام: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] قيل أمهلهم لينظروا ويستدلوا فبعد أن ظهر منهم التمرد والعناد فحينئذٍ يتوجه العنف والتشديد ويختلف ذلك باختلاف الأحوال انتهى فكل من اللين والخشونة يمدح به طوراً ويذم به طوراً بحسب اختلاف الواقع وعليه يحمل نحو قوله عليه السلام: «لا تكن مراً فتعقي ولا حلواً فتسترط» يقال أعقيت الشيء إذا أزلته من فيك لمرارته واستراطه ابتلاعه ومن أمثال العرب لا تكن رطباً فتعصر ولا يابساً فتكسر وذلك لأن خير الأمور أوسطها ورعاية مقتضى الحال قاعدة الحكيم، قال الشيخ سعدي قدس سره:

چو نرمى كنى خصم كردد دلير وكر خشم كيرى شوند ازتوسير

درشتى ونرمى بهم در بهست چورك زن كه جراح ومرهم نهست

وقيل: أمر الله موسى باللين مع الكافر مراعاة لحق التربية لأنه كان رباه فنبه به على نهاية تعظيم حق الأبوين. وفي الإحياء سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده فقال: يعظه ما لم يغضب فإذا غضب سكت فعلم منه أنه ليس للولد الحسبة على الوالد بالتعنيف والضرب وليس كذلك التلميذ مع الأستاذ إذ لا حرمة لعالم غير عامل. وقيل أمر موسى باللين ليكون حجة على فرعون لئلا يقول أغلظ علي القول في دعوته. وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ رحمه الله هذه الآية فبكى وقال إلٰهي هذا رفقك بمن يقول أنا الاله فكيف بمن يقول أنت الإله ﴿لعله يتذكر﴾ [شايد او پندكيرد] ﴿أو يخشى﴾ [يا بترسد از عذاب خداى] كما قال في «الإرشاد»

لعله يتذكر بما بلغتماه من ذكري ويرغب فيما رغبتماه فيه أو يخشى عقابي وكلمة أو لمنع الخلو انتهى. وقال بعضهم: الرجاء والطمع راجعان إلى مال موسى وهارون والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ولذلك خص العلماء بها في قوله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] أي: قولا له ذلك راجيين أن يترك الإصرار على إنكار الحق وتكذيبه إما بأن يتذكر ويتعظ ويقبل الحق قلباً وقالباً أو بأن يتوهم أنه حق فيخشى بذلك من أن يصر على الإنكار ويبقى متردداً ومتوقفاً بين الأمرين وذلك خير بالنسبة إلى الإنكار والإصرار عليه لأنه من أسباب القول ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم ينفعاه وذلك حين ألجمه الغرق ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

ـ روي ـ أن موسى وعده على قبول الإيمان شباباً لا يهرم وملكاً لا ينزع منه إلا بالموت ويبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته فإذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان هامان غائباً وهو لا يقطع أمراً بدونه فلما قدم أخبره بما قال له موسى وقال: أردت أن أقبل منه يا هامان فقال له هامان: كنت أرى أن لك عقلاً ورأياً أنت الآن رب تريد أن تكون مربوباً فأبى عن الإيمان. وفائدة إرسالهما إليه مع علمه تعالى بأنه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة لأن عادة الله التبليغ ثم التعذيب. قال بعض أرباب الحقيقة: الأمر تكليفي وإرادي والإرادة كثيراً ما تكون مخالفة للأمر التكليفي فالرسل والورثة في خدمة الحق من حيث أمره التكليفي وليسوا في خدمته من حيث الأمر الإرادي ولو كانوا خادمين للإرادة مطلقاً لما ردوا على أحد في فعله القبيح بل يتركونه على ما هو عليه لأنه هو المراد ولما كان لعين العاصي الثابتة في الحضرة العلمية استعداد التكليف توجه إليه الأمر التكليفي وليس لتلك العين استعداد الإتيان بالمأمور به فلا يتحقق منه المأمور به ولهذا تقع المخالفة والمعصية. فإن قلت ما فائدة التكليف والأمر بما يعلم عدم وقوعه. قلت: فائدته تمييز من له استعداد القبول ممن ليس له استعداد ذلك لتظهر السعادة والشقاوة وأهلهما انتهى، قال الحافظ:

درين چمن مكنم سرزنش بخود رويى   چنانكه پرورشم ميدهند مى رويم

قال في «بحر العلوم»: إن الله قد علم كل شيء على ما هو عليه والعلم تبع للمعلوم وعلمه بأن فرعون لا يؤمن باختياره لا يخرجه عن حيز الإمكان ولذلك أمرهما بدعوته والرفق فيها وفي قوله: **﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾** دلالة ظاهرة على أن لقدرة العبد تأثيراً على أفعاله وفي أفعال غيره وأنه ليس بمجبور فيها كما زعم الأشعري حيث قال لا تأثير لقدرة العبد في أفعاله بل هو مجبور وإلا لم يثبت له التذكر والخشية بقول موسى:

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾

﴿قالا ربنا﴾. قال في «الإرشاد» أسند القول إليهما مع أن القائل حقيقة هو موسى بطريق التغليب إيذاناً بأصالته في كل قول وفعل وتبعية هارون له في كل ما يأتي وما يذر.

ـ وروي ـ أن موسى انطلق من الطور إلى جانب مصر لا علم له بالطريق وليس له زاد ولا حمولة ولا صحبة ولا شيء إلا العصا يظل صادياً ويبيت طاوياً يصيب من ثمار الأرض ومن

الصيد شيئاً قليلاً حتى ورد أرض مصر. قال الكاشفي: [چون بمصر توجه فرمود وحى آمد بهارون كه باستقبال برادر براه مدين دوان شود پس در اثناى طريق ملاقات فرمودند وموسى شرح احوال بتمامى باز كفت هارون كفت اى برادر شوكت وعظمت ازانچه ديده زياده شد وبأدنى سببى حكم بقطع وقتل وصلب ميكند موسى انديشناك شد وهردو برادر باتفاق كفتند اى پروردكار ما] ﴿إننا نخاف﴾ الخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة ويضاد الخوف الأمن ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧] والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد بل إنما يراد به الكف عن المعاصي واختيار الطاعات ﴿أن يفرط علينا﴾ من فرط إذا تقدم تقدماً بالقصد ومنه الفارط إلى الماء أي: المتقدم لإصلاح الدلو أي: يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة فيتعطل المطلوب من الإرسال إليه. وقرىء يفرط من الإفراط في الأذية. فإن قلت: كيف هذا الخوف وقد علما أنهما رسولا رب العزة إليه؟ قلت: جرياً على الخوف الذي هو مجبول في طينة بني آدم كما في «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الخوف مركوز في جبلة الإنسان حتى أنه لو بلغ مرتبة النبوة والرسالة فإنه لا يخرج الخوف من جبلته كما قالا: ﴿ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ يعني أن يقتلنا ولكن الخوف ليس بجهة القتل وإنما نخاف فوات عبوديتك بالقيام لأداء الرسالة والتبليغ كما أمرتنا أو يتمرد بجهله ولا ينقاد لأوامرك ويسبك انتهى ﴿أو أن يطغى﴾ أي: يزداد طغياناً إلى أن يقول في شأنك ما لا ينبغي لكمال جراءته وقساوته وإطلاقه حيث لم يقل عليك من حسن الأدب ولما كان طغيانه في حق الله أعظم من إفراطه في حقهما ختم الكلام به فإن المتمسك بالأعذار يؤخر الأقوى ونحوه ختم الهدهد بقوله: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾ [النمل: ٢٤].

يقول الفقير: يجوز أن يكون المراد يطغى علينا أي: يجاوز الحد في الإساءة إلينا إلا أنه حذف الجار والمجرور رعاية للفواصل كما حذف المفعول لذلك في قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ٣] وإظهار أن مع سداد المعنى بدونه للإشعار بتحقق الخوف من كل منهما.

﴿قال﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما إليه فقيل قال: ﴿لا تخافا﴾ ما توهمتما من الأمرين يشير إلى أن الخوف إنما يزول عن جبلة الإنسان بأمر التكوين كما قال ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩] فكانت بتكوين الله إياها برداً وسلاماً، وفي «المثنوي»:

لا تخافوا هست نزل خائفان ... هست درخور از براى خائفان
هركه ترسد مرورا ايمن كنند ... مردل ترسندرا ساكن كنند
آنكه خوفش نيست چون كوئى مترس ... درس چه دهى نيست او محتاج درس

قال ابن الشيخ في «حواشيه»: ليس المراد منه النهي عن الخوف لأنه من حيث كونه أمراً طبيعياً لا مدخل للاختيار فيه لا يدخل تحت التكليف ثبوتاً وانتفاء بل المراد به التسلي بوعد الحفظ والنصرة كما يدل عليه قوله: ﴿إنني معكما﴾ بكمال الحفظ والنصرة فإن الله تعالى منزه عن المعية المكانية ﴿أسمع وأرى﴾ أي: ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضرر وشر وجلب نفع وخير فمن كان الله معه يحفظه من كل جبار عنيد.

ـ روي ـ أن شاباً كان يأمر وينهى فحبسه الرشيد في بيت وسد المنافذ ليهلك فبعد أيام رؤي في بستان يتفرج فأحضره الرشيد وقال: من أخرجك؟ قال: الذي أدخلني البستان فقال: من أدخلك؟ قال: الذي أخرجني من البيت فتعجب الرشيد وبكى وأمر له بالإحسان وبأن يركب وينادي بين يديه هذا رجل أعزه الله وأراد الرشيد إهانته فلم يقدر الله إلا إكرامه واحترامه، قال الحافظ:

هزار دشمن اكر ميكنند قصد هلاك كرم تو دوستى از دشمنان ندارم باك

وقال الشيخ سعدي قدس سره:

محالست چون دوست دارد ترا كه دردست دشمن كذارد ترا

واعلم أن الله تعالى حاضر مع عباده الحضور اللائق بشأنه ولا يعرف ذلك إلا من اكتحلت عين بصيرته بنور الشهود ولكن شهود الوحدة الذاتية أتم وأعلى من شهود المعية ولذلك لا يرضى الكمل الوقوف في مرتبة المعية بل يطلبون أن يصلوا بالفناء التام إلى مقام الوحدة.

ثم اعلم أن موسى وهارون عليهما السلام التجئا إلى حضرة الربوبية بكمال العبودية فتداركهما الله بالحفظ والعون. قال الفقيه أبو الحسن: وقع القحط ببغداد فاجتمع الناس فرفعوا قصتهم إلى علي بن عيسى الوزير فقرأها وكتب على ظهرها: لست بسماء فأسقيكم ولا بأرض فأكفيكم ارجعوا إلى بارئكم. قال أبو المعين: سألت بعض النصارى عن أحسن آية في الإنجيل فقال: خمس كلمات: «سلني أجبك، واشكر لي أزدك، وأقبل عليّ أقبل عليك، واقرب مني أقرب منك، وأطعني في الدنيا أطعك في الدنيا والآخرة»، وفي «المثنوي»:

كفت حق كر فاسق واهل صنم چون مراخوانى اجابتها كنم

تودعارا سخت كيرو مى شخول عاقبت برهاندت ازدست غول

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾

﴿فأتياه﴾ أُمِرا بإتيانه الذي هو عبارة عن الوصول إليه بعدما أمرا بالذهاب إليه فلا تكرار والإتيان مجيء بسهولة والمجيء أعم والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول والمجيء اعتباراً بالحصول **﴿فقولا﴾** من أول الأمر **﴿إنا رسولا ربك﴾** ليعرف الطاغي سؤالكما ويبني جوابه عليه ورسولا تثنية رسول وهو فعول مبالغة مفعل بضم الميم وفتح العين بمعنى ذي رسالة اسم من الإرسال وفعول هذا لم يأت إلا نادراً وعرفاً من بعث لتبليغ الأحكام ملكاً كان أو إنساناً بخلاف النبي فإنه مختص بالإنسان **﴿فأرسل معنا بني إسرائيل﴾** [پس فرست باما فرزندان يعقوبرا بارض مقدسه بازرويم كه مسكن آباء ما بوده] كما قال في «بحر العلوم» فأطلقهم وخلهم يذهبوا معنا إلى فلسطين وكانت مسكنهما وفلسطين بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين المهملة هي البلاد التي بين الشام وأرض مصر منها الرملة وغزة وعسقلان وغيرها. وقال في «الإرشاد» بالإرسال إطلاقهم من الأسر والقسر وإخراجهم من تحت يد العادية لا تكليفه أن يذهبوا معهما إلى الشام كما ينبىء عنه قوله تعالى: **﴿ولا تعذبهم﴾** أي: بإبقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فإنهم كانوا تحت مملكة القبط يستخدمونهم في الأعمال

الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الأحجار وغيرهما من الأمور الشاقة ويقتلون ذكور أولادهم عاماً دون عام ويستخدمون نساءهم. وتوسيط حكم الإرسال بين رسالتهما وبين ذكر المجيء بآية دالة على صحتها لإظهار الاعتناء به لأن تخليص المؤمنين من أيدي الكفرة أهم من دعوتهم إلى الإيمان كما قيل. والعذاب هو الإيجاء الشديد وقد عذبه تعذيباً أي: أكثر حبسه في العذاب وأصله من قولهم عذب الرجل إذا ترك المأكل والنوم فهو عاذب وعذوب فالتعذيب في الأصل هو حمل الإنسان على أن يعذب أي: يجوع ويسهر وقيل أصله من العذب فعذبته أزلت عذب حياته على بناء مرّضته وفديته وقيل أصل التعذيب إكثار الضرب بعذبة السوط أي: طرفه ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ [بدرستى كه آورده ايم نشانى يعنى معجزه ازيرورد كارتو] وتوحيد الآية مع تعددها لأن المراد إثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة فكأنه قال: قد جئناك ببرهان على ما ادعيناه من الرسالة ﴿والسلام﴾ اللام لتعريف الماهية والسلامة التعري من الآفات الظاهرة والباطنة والمراد هنا إما التحية فالمعنى والتحية المستتبعة بسلامة الدارين من الله والملائكة أي: خزنة الجنة وغيرهم من المسلمين ﴿على من اتبع الهدى﴾ بتصديق آيات الله الهادية إلى الحق فاللام على أصلها كما في سلام عليكم يقال تبعه واتبعه قفا أثره وذلك تارة بالجسم وتارة بالارتسام والامتثال وعلى ذلك قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٣٨] وأما السلامة فعلى بمعنى اللام كعكسه في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ [غافر: ٥٢] أي: عليهم اللعنة.

قال في «التأويلات»: سلم من استسلم واتبع هدى الله تعالى وهو ما جاء به أنبياؤه عليهم السلام.

﴿إنا قد أوحي إلينا﴾ من جهة ربنا وأصل الوحي الإشارة السريعة وذلك قد يكون بالكلام الخفي على لسان جبريل وقد يكون بالإلهام وبالمنام والوحي إلى موسى بوساطة جبريل وإلى هارون بوساطته ووساطة موسى ﴿أن العذاب﴾ أي: كل العذاب لأنه في مقابله السلام أي: كل السلام وهو العذاب الدنيوي والأخروي الدائم لأن العذاب المتناهي كلا عذاب فلا يرد أنه يلزم قصر العذاب على المكذبين مع أن غيرهم قد يعذبون ﴿على من كذب﴾ بآياته تعالى وكفر بما جاء به الأنبياء عليهم السلام والكذب يقال في المقال وفي الفعال ﴿وتولى﴾ إذا عدي بعن لفظاً أو تقديراً اقتضى معنى الإعراض وترك الولي أي: القرب فالمعنى أعرض عن قبولها بمتابعة الهوى وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه. يقول الفقير: إن كلاً من تكذيب الرسوم والحقائق سبب العذاب والهوان مطلقاً فكفار الشريعة كفار الرسوم والحقائق جميعاً فلهم عذاب جسماني وروحاني وكفار الحقيقة كفار الآيات الحقيقية فلهم هوان معنوي فالنعيم والعزة في الإطاعة والاتباع والاستسلام كما أن الجحيم والذل في خلافها.

ـ حكي ـ أن بعض السادات لما رأى عبد الله بن المبارك في عزة ورفعة مع جماعة قال: انظروا إلى حال آل محمد وعزة ابن المبارك فقال ابن المبارك: إن سيدنا لما لم يراع سنة جده ذل وابن المبارك لما أطاع النبي عليه السلام وسار سيرته أعطاه الله عزاً وشرفاً.

واعلم أن عزة فرعون وشرفه انقلبا ذلاً وهواناً بسبب تكذيب موسى وإعراضه عن قبول دعوته وهامان وإن كان سبباً صورياً في امتناعه عن القبول ونكوله عن الانقياد لكن لم يكن له

في أصل جبلته استعداد لقبول الحق فلا يغرنكم عزة الدنيا مع عدم الإطاعة لأنه ينقلب يوماً ذلاً وخسراناً وكثيراً ما وقع في الدنيا ورأيناه فاقبل النصيحة مع مداومة مجلس العلم وإلا فعند ظهور الحق ووجود الاستعداد والقابلة لا يبقى غير الاستسلام وإن منعه العالم بأسره عن ذلك ألا ترى أن النجاشي ملك الحبشة لما علم علماً جازماً أن الرسول حق اتبعه من غير خوف من أحد من العالمين ومبالاة لكلام أحد في ذلك فنجا من العذاب نجاة أبدية ثم اعلم أنه كما أن للأنبياء معجزات فكذا للأولياء كرامات والعلمية منها هي التي حق اعتبارها فإن الكونية مما يشترك فيه الملتان فالكرامات العلمية آيات الأولياء جاؤوا بها من الله من طريق الكشف الصحيح فمن اتبع هداهم بقبول آياتهم الهادية إلى عالم الحقيقة فقد سلم من الإنكار مطلقاً صورياً أو معنوياً ونجا من العذاب قطعاً صورياً أو معنوياً وهو عذاب القطيعة والبعد ودخل المكذب في النار مع الداخلين والعجب أن الأنبياء والأولياء مع كونهم رحمة من الله على عباده إذ لا نعمة فوق «الإرشاد» وإيصال المريدين إلى المراد لم يدر جاههم أكثر الناس ولم يوفق لاتباعهم إلا أقل من القليل وبقي البقية كالنسناس ولذا لم يمض قرن من القرون إلا والعذاب بالعصاة مقرون فانظر من أنت وما بغيتك فإن كنت تطلب النجاة فلا تجدها إلا في الإطاعة وخصوصاً في هذا الزمان المشوب بالجور والعدوان والفسق والعصيان والغالب على أهاليه الابتلاء بأنواع البلايا الموبقة وعلى تقدير الإطاعة والاتباع يلزم للمريد أن يخرج من البين ويجعل جل همه أن يصل إلى عالم العين ولا يطمع في شيء سوى الرضى الوافي والولاء الكافي. قال حمدون القصار: القائمون بالأوامر على ثلاثة مقامات. واحد يقوم إليه على العادة وقيامه قيام كسل. وآخر يقوم إليه على طلب الثواب وقيامه قيام طمع. وآخر يقوم إليه على المشاهدة فهو القائم بالله لا بنفسه لفنائه عن نفسه وغيره وهذا القسم من القيام بالأمر هو المؤدي إلى محبة الله الموصلة إلى العزة الباقية وسعادة الدارين فلا بد للعاقل من الاجتهاد، وفي «المثنوي»:

جهد كن تا نور تو رخشان شود تا سلوك وخدمتت آسان شود
كود كانرا مى برى مكتب بزور زانكه هستند از فوائد چشم كور
چون شود واقف بمكتب مى رود جانش از رفتن شكفته مى شود

والله المعين في كل حين.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قال﴾ قال الكاشفي: [پس موسى وهارون بحكم حضرت الهي بدركاه فرعون آمدند وبعد ازمدتى كه ملاقات او ميسر شد كفتند مارسولان پرور دكاريم وترا بعبادت او ميخوانيم وآن كلمات كه حق تعالى تلقين كرده بود اداكردند فرعون كفت] **﴿فمن﴾** استفهامية: والمعنى بالفارسية [پس كيست] **﴿ربكما﴾** وقال غيره الفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما رسولي ربهما أي: إذا كنتما رسولي ربكما فأخبرا من ربكما الذي أرسلكما إليّ ولم يقل فمن ربي مع قولهما **﴿إنا رسولا ربك﴾** لغاية عتوه ونهاية طغيانه. قال الإمام أثبت نفسه رباً في قوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨] فذكر ذلك على سبيل التعجب كأنه قال: أنا ربك فلم تدعو ربا آخر **﴿يا موسى﴾** خاطبهما ثم أفرد موسى إذ كان يعلم أن موسى هو الأصل في الباب وهارون وزيره وتابع له.

﴿قال﴾ موسى مجيباً له ﴿ربنا﴾ مبتدأ خبره قوله ﴿الذي﴾ من محض رحمته ﴿أعطى كل شيء﴾ من أنواع المخلوقات ﴿خلقه﴾ أي: صورته وشكله اللائق به مشتملاً على خواصه ومنافعه فالمراد بالخلق المخلوق ومنه يفهم أن ضمير الجمع في ربنا عام لموسى وهارون وفرعون وغيرهم ولم يقل ربنا الله بل وصفه بأفعاله ليستدل بالفعل على الفاعل ﴿ثم هدى﴾ وجه كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغي له طبعاً كما في الجمادات واختياراً كما في الحيوانات وهيأه لما خلق له ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الأجزاء وتسوية الأجسام متقدماً على الهداية التي هي عبارة عن إيداع القوى المحركة والمدركة في تلك الأجسام وسط بينهما كلمة التراخي. قال بعض الكبار: إن للمخلوقات كلها حياة وروحاً إما صورية كما في الإنس والجن والملك ومن يتبعهم وإما معنوية كما في الجمادات والنباتات ولذا قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] فما من مخلوق إلا وقد هدى إلى معرفته تعالى بقدر عقله وروحه وحياته.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿أعطى كل شيء خلقه﴾ استعداداً لما خلق له ﴿ثم هدى﴾ أي: يسره لما خلق له والذي يدل عليه قوله عليه السلام: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» معناه أن الله تعالى خلق المؤمن مستعداً لقبول فيض الإيمان ثم هداه إلى قبول دعوة الأنبياء ومتابعتهم وخلق الكافر مستعداً لقبول فيض القهر والخذلان والتمرد على الأنبياء ومخالفتهم، قال المغربي قدس سره:

یکی را بهر طاعت خلق کردند   یکی را بهر عصیان آفریدند
یکی از بهر مالك كشت موجود   یکی را بهر رضوان آفریدند

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾

﴿قال﴾ فرعون ﴿فما بال القرون الأولى﴾ ما استفهام. والبال الحال التي يكترث بها ولذا يقال ما باليت بكذا أي: ما اكترثت به ويعبر به عن الحال الذي ينطوي عليه الإنسان فيقال: ما خطر ببالي كذا. والقرن القوم المقترنون في زمن واحد. والأولى تأنيث الأول وواحد الأول كالكبرى والأكبر والكبر. والمعنى فما بال القرون الماضية وما خبر الأمم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة. قال في «الأسئلة المقحمة» فإن قلت هذا لا يليق بما تقدم قلنا: إن موسى كان قد قال له إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب أن يلحقكم ما قد لحقهم إن لم تؤمنوا بي فلهذا سأله فرعون عن حالهم انتهى. يقول الفقير: هذا وإن كان مطابقاً لمقتضى الفاء إلا أن الجواب لا يساعده مع أن القائل بالخوف ليس هو موسى بل الذي آمن وبعيد أن يحمل الذي آمن على موسى لعدم مساعدة السباق والسياق فارجع إلى سورة المؤمن. وقال بعضهم لما سمع البرهان خاف أن يزيد في إيضاحه فيتبين لقومه صدقه فيؤمنوا به فأراد أن يصرفه عنه ويشغله بالحكاية فلم يلتفت موسى إليه ولذا.

﴿قال﴾ أي: موسى ﴿علمها عند ربي﴾ أي: إن علم أحوال تلك القرون من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله ولا ملابسة للعلم بأحوالهم بمنصب الرسالة فلا أعلم منها إلا ما علمنيه من الأمور المتعلقة بما ارسلت ﴿في كتاب﴾ أي: مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾ الضلال أن تخطىء الشيء في مكانه فلم تهتد إليه والنسيان: أن تغفل عنه

بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات. والمعنى لا يخطىء ابتداء بل يعلم كل المعلومات ولا يغفل عنه بقاء بل هو ثابت أبداً وهو لبيان أن إثباته في اللوح المحفوظ ليس لحاجته تعالى إليه في العلم به ابتداء وبقاء وإنما كتب أحكام الكائنات في كتاب ليظهرها للملائكة فيزيد استدلالهم بها على تنزه علمه تعالى عن السهو والغفلة.

برو علم يك ذره پوشيده نيست   كه پيدا وپنهان بنزدش يكيست

فبعد الجواب القاطع رجع إلى بيان شؤونه تعالى وقال:

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾

﴿الذي﴾ أي: هو الذي ﴿جعل لكم الأرض مهداً﴾ قال الإمام الراغب: المهد ما يهيأ للصبي والمهد والمهاد المكان الممهد الموطأ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [طه: ٥٣] انتهى. قال الكاشفي: [خوش كسترانيدكه برآن مى نشينيد ومسكن ميسازيد] ﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾ السلوك النفاذ في الطريق [يعني اندرراه شدن ورفتن] وسلك لازم ومتعد يقال سلكت الشيء في الشيء أدخلته والسبل جمع سبيل وهو من الطرق ما هو معتاد السلوك. والمعنى جعل لكم أي: لأجلكم لا لغيركم طرقاً كثيرة ووسطها بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من قطر إلى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ﴿وأنزل﴾ النزول هو الانحطاط من علو يقال نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حط رحله فيه وأنزل غيره ﴿من السماء﴾ أي: من الفلك أو من السحاب فإن كل ما علا سحاب ﴿ماء﴾ هو جسم سيان قد أحاط حول الأرض والمراد هنا المطر وهو الأجزاء المائية إذا التأم بعضها مع بعض ونكره قصداً إلى معنى البعضية أي: أنزل من السماء بعض الماء ﴿فأخرجنا به﴾ يقال خرج خروجاً برز من مقره أو حاله وأكثر ما يقال الإخراج في الأعيان أي: أنبتنا بسببه ذكر الماء وعدل عن لفظ الغيبة إلى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تنبيهاً على زيادة اختصاص الفعل بذاته وإن ذلك منه ولا يقدر عليه غيره تعالى ﴿أزواجاً﴾ أصنافاً سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض لأنه يقال لكل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاداً زوج ولكل قرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة زوج ولكل قرينين فيها وفي غيرها زوج كالخف والنعل ﴿من نبات﴾ هو كل جسم يغتذي وينمو كما قال الراغب النبت والنبات ما يخرج من الأرض من الناميات سواء كان له ساق كالشجر أو لم يكن له ساق كالنجم لكن اختص في التعارف بما لا ساق له بل قد اختص عند العامة بما تأكله الحيوانات ومتى اعتبرت الحقائق فإنه يستعمل في كل نام نباتاً كان أو حيواناً أو إنساناً انتهى ومن بيانية فيكون قوله: ﴿شتى﴾ صفة للنبات لما أنه في الأصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع. وشتى جمع شتيت بمعنى المتفرق أي: نباتات مختلفة الأنواع والطعوم والروائح والأشكال والمنافع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم والأظهر أن من نبات وشتى صفتان لأزواجاً واخر شتى رعاية للفواصل.

﴿كلوا﴾ حال من ضمير فأخرجنا على إرادة القول أي: أخرجنا منها أصناف النباتات قائلين كلوا منها أي: من الثمار والحبوب ونحوهما ﴿وارعوا﴾ الرعي في الأصل حفظ الحيوان

إما بغذائه الحافظ لحياته أو بذب العدو عنه أي: أسيموا وأسرحوا فيها، وبالفارسية: [وبچرانيد] ﴿أنعامكم﴾ وهي الإبل والبقر والضأن والمعز أي اقصدوا بها الانتفاع بالذات وبالواسطة آذنين في الانتفاع بها مبيحين بأن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن السماء والماء والنبات والأنعام كلها مخلوقة لكم ولولا احتياجكم للتعيش بهذه الأشياء بل بجميع المخلوقات ما خلقتها، قال المغربي قدس سره:

غرض توبى ز وجود همه جهان ورنه لما تكوّن في الكون كائن لولاك

﴿إن في ذلك﴾ المذكور من الشؤون والأفعال الإلهية من جعل الأرض مهداً وسلك السبل فيها وإنزال الماء وإخراج أصناف النبات ﴿لآيات﴾ كثيرة جليلة واضحة الدلالة على الصانع ووحدته وعظيم قدرته وباهر حكمته ﴿لأولي النهى﴾ جمع نهية سمي بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك لذوي العقول الناهية عن الأباطيل التي من جملتها ما تدعيه الطاغية وتقبله منهم الفئة الباغية وتخصيص أولي النهى مع أنها آيات للعالمين باعتبار أنهم المنتفعون بها.

﴿منها﴾ أي: من الأرض.

وفي «التأويلات النجمية»: من قبضة التراب التي أمر الله تعالى عزرائيل أن يأخذها من جميع الأرض ﴿خلقناكم﴾ بوساطة أصلكم آدم والا فمن عدا آدم وحواء مخلوق من النطفة وأصل الخلق التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء قال تعالى: ﴿فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١] ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء كما في هذا المقام ﴿وفيها نعيدكم﴾ عند الموت بالدفن في الموضع الذي أخذ ترابكم منه وإيثار كلمة في للدلالة على الاستقرار والعود الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه إما انصراف بالذات أو بالقول والعزيمة وإعادة الشيء كالحديث وغيره تكريره ﴿ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ أي: عند البعث بتأليف الأجزاء وتسوية الأجساد ورد الأرواح للحساب والجزاء وكون هذا الإخراج تارة أخرى باعتبار أن خلقهم من الأرض إخراج لهم منها وإن لم يكن على نهج التارة الثانية. والتارة في الأصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم أطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة كما مر في المرة، قال الحكيم فردوسي:

بخاكت در آرد خداوند پاك دكرره برون آرد از زير خاك
بدان حال كايى بخاك اندرون بدان كونه از خاك آيى برون
اكر پاك درخاك كيرى مقام برآيى از وپاك وپاكيزه نام

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل جاء إلى النبي عليه السلام فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام وهو يقول ما لي أراك مغموماً حزيناً؟ قال عليه السلام: «يا جبريل طال تفكيري في أمر أمتي يوم القيامة» قال: أفي أمر أهل الكفر أم في أمر أهل الإسلام؟ فقال: «يا جبريل في أمر أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله» فأخذ بيده حتى أقامه إلى مقبرة بني سلمة ثم ضرب بجناحه الأيمن على قبر ميت فقال: قم بإذن الله فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال جبريل: عد إلى مكانك فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الأيسر فقال: قم بإذن الله فخرج رجل مسود الوجه أزرق العينين وهو يقول واحسرتاه واندامتاه

فقال له جبريل: عد إلى مكانك فعاد كما كان ثم قال: يا محمد على هذا يبعثون يوم القيامة وعند ذلك قال رسول الله ﷺ: «تموتون كما تعيشون وتبعثون كما تموتون». قيل ليحيى بن معاذ رضي الله عنه: ما بال الإنسان يحب الدنيا؟ قال: حق له أن يحبها منها خلق وهي أمه ومنها عيشه ورزقه فهي حياته وفيها يعاد فهي كفاته وفيها كسب الجنة فهي مبدأ سعادته وهي ممر الصالحين إلى الله تعالى كيف لا يحب طريقاً يأخذ بسالكه إلى جوار ربه.

واعلم أن من صفة الأرض الطمأنينة والسكون لفوزها بوجود مطلوبها فكانت أعلى مرتبة في عين السفل وقامت بالرضى فمقامها رضى وحالها تسليم ودينها إسلام وهكذا الإنسان الكامل في الدنيا فإن الله تعالى قد صاغه من قالب الأرض وهو وإن كان ترابي الأصل لكن طرح عليه اكسير الروح الأعظم فإذا طار الروح بقيت سبيكة الجسد على حالها كالذهب الخالص إذ لا تبلى نفوس الكمل. قال في «أسئلة الحكم»: الأكثرون على تفضيل الأرض على السماء لأن الأنبياء خلقوا من الأرض وعبدوا فيها ودفنوا فيها وأن الأرض دار الخلافة ومزرعة الآخرة وأما الأرض الأولى فقال بعضهم: إنها أفضل لكونها مهبط الوحي ومشاهد الأنبياء وللانتفاع بها ولاستقرار الخلفاء عليها وغيرها من الفضائل انتهى.

يقول الفقير: كان الظاهر أن تفضل السماء لكونها مقر الأرواح العالية ولذا يبقى الجسد هنا بعد الوفاة ويعرج الروح ولكن فضل الأرض لأن أسباب العروج إنما حصلت بالآلات الجسدانية وهي من الأرض ولذا جعل عليه السلام الصلاة من الدنيا في قوله: «حبب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وقرة عيني في الصلاة» وذلك لأن صورة الصلاة التي هي الأفعال والاذكار تحصل بالأعضاء والجوارح التي هي من الدنيا وعالم الملك وإن كان القلب والتوجه من عالم الملكوت نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتحققين بحقائق الأرض والمعرضين عن كل طول وعرض.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾
فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾

﴿ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ إضافة الآيات عهدية وكلها تأكيد لشمول الأنواع أي: وبالله لقد بصرنا فرعون على يدي موسى آياتنا كلها من العصا واليد وغيرهما على مهل من الزمان أو عرفناه صحتها وأوضحنا وجه الدلالة فيها **﴿فكذب﴾** بالآيات كلها من فرط عناده من غير تردد وتأخير وزعم أنها سحر **﴿وأبى﴾** عن قبولها لعتوه والإباء شدة الامتناع فكل إباء امتناع وليس كل امتناع إباء.

﴿قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى﴾ استئناف مبين لكيفية تكذيبه وإبائه والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه وادعاء أنه أمر محال والمجيء إما على حقيقته أو بمعنى الإقبال على الأمر والتصدي والسحر خداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما تفعله المشعبذة من صرف الابصار عما تفعله بخفة يد وما يفعله النمّام بقول حرف عائق للاسماع. والمعنى أجئتنا من مكانك الذي كنت فيه بعدما غبت عنا أو أقبلت علينا لتخرجنا من أرض مصر بالغلبة والاستيلاء بما أظهرته من السحر فإن ذلك مما لا يصدر عن العاقل لكونه من باب محاولة المحال. قال الكاشفي: [يعني دانستيم كه تو ساحرى وميخواهى كه بسحر مارا از مصر بيرون

كنى وبنى اسرائيل را متمكن سازى وپادشاهى كنى بر ايشان] وقال بعضهم هذا تعلل وتحير ودليل على أنه علم كون موسى محقاً حتى خاف منه على ملكه فإن ساحراً لا يقدر أن يخرج ملكاً مثله من أرضه. وفي «الإرشاد» إنما قال لحمل قومه على غاية المقت بإبراز أن مراده ليس مجرد إنجاء بني إسرائيل من أيديهم بل إخراج القبط من وطنهم وحيازة أموالهم وأملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه إلى اتباعه أحد ويبالغوا في المدافعة والمخاصمة وسمي ما أظهره عليه من المعجزات الباهرة سحراً ليجسرهم على المقابلة.

وفي «التأويلات النجمية»: إنما قال هذا لأنه كان من أهل البصر لا من أهل البصيرة ولو كان من أهل البصيرة لرأى مجيئه لإخراجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمات البشرية إلى نور الروحانية ومن ظلمات الإنسانية إلى نور الربانية، وفي «المثنوي»:

هركه از ديدار برخوردار شد ... اين جهان در چشم او مردار شد

ملك برهم زن توادهم وار زود ... تا بيابى همچو او ملك خلود

فلما رأى ببصر الحس المعجزة سحراً ادعى أن يعارضه بمثل ما أتى به فقال:

﴿فلنأتينك بسحر مثله﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كأنه قيل إذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك فلا تغلب علينا، وبالفارسية: [هر آيينه بياريم براى تو جادويى مانند جادويى تو وبآن باتو معارضه كنيم تا مردمان بدانندكه تو پيغمبر نيستى جادو كرى] **﴿فاجعل﴾** صير **﴿بيننا وبينك﴾** لإظهار السحر **﴿موعداً﴾** أي: وعداً لقوله: **﴿لا نخلفه﴾** أي: ذلك الوعد **﴿نحن ولا أنت﴾** يقال اخلف وعده ولا يقال اخلف زمانه ولا مكانه. وقال بعضهم: أراد بالموعد هٰهنا موضعاً يتواعدون فيه الاجتماع هناك انتهى. والوعد عبارة عن الاخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها. والخلف المخالفة في الوعد يقال وعدني فأخلفني أي: خالف في الميعاد **﴿مكاناً سوى﴾** منصوب بفعل يدل عليه المصدر لا به فإنه موصوف وسوى بالضم والكسر بمعنى العدل والمساواة أي: عد مكاناً عدلاً بيننا وبينك وسطاً يستوي طرفاه من حيث المسافة علينا وعليكم لا يكون فيه أحد الطرفين أرجح من الآخر أو مكاناً مستوياً لا يحجب العين ارتفاعه ولا انخفاضه، وبالفارسية: [چون وعد برسد حاضر شويم درجايى كه مساوى باشد مسافت قوم ما وتوبآن يا مكان مستوى وهموار كه درويستى وبلندى نباشد تا مردم نظاره توانند كرد] ففوض اللعين أمر الوعد إلى موسى للاحتراز عن نسبته إلى ضعف القلب كأنه متمكن من تهيئة أسباب المعارضة طال الأمد أم قصر.

وفي «التأويلات النجمية»: إنما طلب الموعد لأن صاحب السحر يحتاج في تدبير السحر إلى طول الزمان وصاحب المعجزة لا يحتاج في إظهار المعجزة إلى الموعد.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾

﴿قال﴾ موسى: **﴿موعدكم﴾** [زمان وعد شما] **﴿يوم الزينة﴾** [روز آرايش قبطيانست] يعني يوم عيدهم الذي يجتمع فيه الناس من كل مكان ليكون بمشهد خلق عظيم لعلهم يستحيون منهم فلا ينكرون المعجزة بعد إبطال السحر سألوا عن المكان فأجابهم بالزمان فإن يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم.

اعلم أن الأعياد خمسة: «أحدها»: عيد قوم إبراهيم عليه السلام وفيه جعل إبراهيم

الأصنام جذاذاً، والثاني عيد قوم فرعون وهو يوم الزينة، والثالث عيد قوم عيسى كما مر في أواخر المائدة، والرابع والخامس عيدا أهل المدينة في الجاهلية وذلك يومان في السنة فأبدلهما الله في الإسلام يومي الفطر والأضحى وهذان اليومان مستمران إلى يوم القيامة.

قال المولى الجامي:

قربان شدن بتيغ جفاى تو عيد ماست جان ميدهيم بهر چنين عيد عمر هاست

﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾ عطف على اليوم أو الزينة والحشر: إخراج الجماعة من مقارهم وازعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها ولا يقال إلا في الجماعة. وضحى نصب على الظرف أي: وأن يجمع الناس في وقت الضحى ليكون أبعد من الريبة. قال في «ضرام السقط»: أول اليوم الفجر ثم الصباح ثم الغداة ثم البكرة ثم الضحى ثم الضحوة ثم الهجيرة ثم الظهيرة ثم الرواح ثم المساء ثم العصر ثم الأصيل ثم العشاء الأولى ثم العشاء الأخيرة عند مغيب الشفق. وفي «بحر العلوم» الضحى صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها. وقال الإمام الراغب الضحى انبساط النهار وامتداده سمي الوقت به. وقال الكاشفي: [ضحى درجاشتكاه كه روشنترست از باقى روز].

﴿فتولى فرعون﴾ أي: ترك الولي والقرب وانصرف عن المجلس وأرسل إلى المدائن لجمع السحرة ﴿فجمع كيده﴾ أي: ما يكاد به من السحرة وأدواتهم والكيد ضرب من الاحتيال ﴿ثم أتى﴾ أي: الموعد ومعه ما جمعه من كيده وفي كلمة التراخي إيماء إلى أنه لم يسارع إليه بل أتاه بعد تأخير.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾

﴿قال لهم موسى﴾ كأنه قيل فماذا صنع موسى عند إتيان فرعون مع السحرة فقيل قال لهم بطريق النصيحة ﴿ويلكم﴾ أصله الدعاء بالهلاك بمعنى ألزمكم الله ويلا يعني عذاباً وهلاكاً والمراد هنا الزجر والردع والحث والتحريض على ترك الافتراء، وبالفارسية: [واى برشما] ﴿لا تفتروا على الله كذباً﴾ بأن تدعو أن الآيات التي ستظهر على يدي سحر أو لا تشركوا مع الله أحداً والافتراء التقول والكذب عن عمد.

وفي «التأويلات»: قال موسى للسحرة ﴿ويلكم لا تفتروا على الله كذباً﴾ بإتيان السحر في معرض المعجزة ادعاء بأن الله قد أعطانا مثل ما أعطى الأنبياء من المعجزة ﴿فيسحتكم﴾ فيهلككم ويستأصلكم بسببه، وبالفارسية: [ازبيخ بركند شمارا] يقال اسحت الشيء أعدمه واستأصله ﴿بعذاب﴾ هائل لا يقادر قدره ﴿وقد خاب﴾ الخيبة فوت المطلب أي: [بى بهره ونا اميدماند] ﴿من افترى﴾ أي: على الله تعالى كائناً من كان بأي وجه كان.

﴿فتنازعوا﴾ أي: السحرة حين سمعوا كلامه كأن ذلك غاظهم فتنازعوا ﴿أمرهم﴾ الذي أريد منهم من مغالبته عليه السلام وتشاوروا وتناظروا ﴿بينهم﴾ في كيفية المعارضة وتجاذبوا أهداب القول في ذلك. قال في «المفردات» نزع الشيء جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده

والتنازع والمنازعة المجاذبة ويعبر بها عن المخاصمة والمجادلة ﴿وأسروا النجوى﴾ وبالغوا في إخفاء النجوى عن موسى لئلا يقف عليه فيدافعه، وبالفارسية: [وپنهان داشتند ازكفتن را] والنجوى السر وأصله المصدر وناجيته أي: ساررته وأصله ارتحلوا به في نجوة من الأرض أي: مكان مرتفع منفصل بارتفاعه عما حوله وقيل أصله من النجاة وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه أو أن تنجو بسرك من أن يطلع عليه وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى:

﴿قالوا﴾ أي: بطريق التناجي والإسرار ﴿إن هذان لساحران﴾ إن مخففة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمشار إليه موسى وهارون ﴿يريدان أن يخرجاكم من أرضكم﴾ أي: من أرض مصر بالغلبة والاستيلاء عليها وهو خبر بعد خبر ﴿بسحرهما﴾ الذي أظهراه من قبل ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ المثلى تأنيث الأمثل وهو الأشرف أي: بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب وأمثلها بإظهار مذهبهما وإعلاء دينهما يريدون ما كان عليه قوم فرعون لقوله: ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم﴾ لا طريقة السحر فإنهم ما كانوا يعتقدون ديناً. قال في «بحر العلوم» سموا مذهبهم بها لزيادة سرورهم وكمال فرحهم بذلك وأنه الذي تطمئن به نفوسهم كما قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]. قال الإمام الراغب الطريق السبيل الذي يطرق بالأرجل ويضرب قال تعالى: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [طه: ٧٧] ومنه استعير لكل مسلك يسلكه الإنسان في فعل محموداً كان أو مذموماً قال تعالى: ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ أي: الأشبه بالفضيلة.

﴿فأجمعوا كيدكم﴾ الفاء فصيحة وأجمعوا من الإجماع يقال أجمع الأمر إذا أحكمه وعزم عليه وحقيقته جمع رأيه عليه وأجمع المسلمون كذا اجتمعت آراؤهم عليه. قال الراغب: أكثر ما يقال فيما يكون جمعاً يتوصل إليه بالتدبير والفكرة. والمعنى إذا كان الأمر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الإخراج والإذهاب فأزمعوا مكركم وحيلكم في رفع هذا المزاحم واجعلوه مجمعاً عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة. وقرىء فأجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى: ﴿فجمع كيده﴾ أي: فأجمعوا أداوات سحركم ورتبوها كما ينبغي ﴿ثم ائتوا صفاً﴾ أي: مصطفين في الموعد ومجتمعين ليكون أشد لهيبتكم وأنظم لأمركم فجاؤوا في سبعين صفاً كل صف ألف والصف أن يجعل الشيء على خط مستو كالناس والأشجار ونحو ذلك وقد يجعل بمعنى الصاف.

قال في «الإرشاد»: لعل الموعد كان مكاناً متسعاً خاطبهم موسى بما ذكر في قطر من أقطاره وتنازعوا أمرهم في قطر آخر منه ثم أمروا بأن يأتوا وسطه على الوجه المذكور ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ الفلاح الظفر وإدراك البغية والاستعلاء قد يكون طلب العلو المذموم وقد يكون طلب العلاء أي: الرفعة. والآية تحتمل الأمرين جميعاً أي: وقد فاز بالمطلوب من غلب ونال علو المرتبة بين الناس.

قال في «الإرشاد»: يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الأجر والتقريب وبمن غلب أنفسهم جميعاً أو من غلب منهم حثاً لهم على بذل المجهود في المغالبة. يقول الفقير فيه إشارة إلى أن المنهي من العلوم والأسباب كالسحر ونحوه ما يتقرب به إلى الدنيا وجمع طامها لا إلى الآخرة والفوز بنعيمها ولا إلى الله تعالى ولذا قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] فكل من أراد أن يتوصل بما يفعله مما نهاه الشرع إلى درجة من الدرجات الأخروية أو

مرتبة من المراتب المعنوية فإنه يضيع سعيه ولا يفلح ولا يبقى له سوى التعب. ثم إن أرباب التقليد يقتفون آثار فرعون وسحرته ويقولون في حق أهل التحقيق إن هؤلاء يخرجونكم من مناصب شيخوختكم ومراتب قبولكم عند العوام ويصرفون وجوه الناس عنكم ويذهبون بأشراف قومكم من الملوك والأمراء وأرباب المعارف وأهل الدثور والأموال فيسلكون مسالك الحيل ويريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون أي: المشركون بالشرك الخفي، وفي «المثنوي»:

هركه برشمع خدا آرد پفو شمع كى ميرد بسوزد پوزاو

فالذي خلق علوياً كالشمس فإنه لا يكون سفلياً بوجه من وجوه الحيل وكذا التراب خلق سفلياً فإنه لا يكون سماوياً، قال المولى الجامي:

پستست قدر سفله اكر خود كلاه جاه براوج سلطنت زند از كردش زمان
سفليست خاك اكرچه نه بر مقتضاى طبع همراه كرد باد كشد سر بر آسمان

نسأل الله أن يجعلنا من أهل السعادة والفلاح.

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾

﴿قالوا﴾ أي: السحرة بعد إجماعهم وإتيانهم الموعد واصطفافهم. قال الكاشفي: [سحره بقولى سيصد هزار خروار حبل وعصاها ميان تهى كرده وير اززيبق ساخته بميدان آوردند بطريق ادب وكفتند] **﴿يا موسى إما أن تلقي﴾** الإلقاء طرح الشيء حيث تلقاه أي: تراه ثم صار في التعارف اسماً لكل طرح أي: تطرح عصاك من يدك على الأرض **﴿وإما أن نكون أول من ألقى﴾** ما نلقيه من العصي والحبال وأن مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبرية مبتدأ محذوف أي: اختر إلقاءك أولاً أو إلقاءنا أو الأمر إما إلقاؤك أو إلقاؤنا. وفيه إشارة إلى أن السحرة لما أعزوا موسى عليه السلام بالتقديم والتخيير في الإلقاء أعزهم الله بالإيمان الحقيقي حتى رأوا بنور الإيمان معجزة موسى فآمنوا به تحقيقاً لا تقليداً وهذا حقيقة قوله: «من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً» فلما تقربوا إلى الله بإعزاز من أعزه الله أعزهم بالإيمان تقرباً إليه فكذلك أعزهم موسى بالتقديم في الإلقاء كما حكى الله عنه بقوله:

﴿قال﴾ موسى: **﴿بل ألقوا﴾** أولاً ما أنتم ملقون.

يقول الفقير: الظاهر أن الله تعالى ألهم السحرة التخيير وعلم موسى اختيار إلقائهم أولاً ليظهر الحق من الباطل لأن الحق يدفع الباطل ويمحوه ولو كان موسى أول من ألقى لتفرق الناس من أول الأمر خيفة الثعبان كما تفرقوا بعد ابتلاع العصا عصيهم وحبالهم وذا مخل بالمقصود. قال الإمام فإن قيل كيف أمرهم به وهو سحر وكفر. قلنا لما تعين طريقاً إلى كشف الشبهة صار جائزاً. وفي «الأسئلة المقحمة»: هذا ليس بأمر وإنما هو للاستهانة بذلك وعدم الاكتراث به لما كان يعلم أن ذلك سبب لظهور الحق وزهوق الباطل **﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾** الفاء فصيحة وإذ المفاجأة ظرفية والحبال جمع حبل وهو الرسن والعصي جمع عصا والتخيل تصوير خيال الشيء في النفس والتخيل تصور ذلك والخيال أصله الصورة المجردة كالصورة المتصورة في المنام وفي المرآة وفي القلب بعيد غيبوبة المرئي

ثم تستعمل في صورة كل أمر متصور وفي كل شخص دقيق يجري مجرى الخيال وأنها تسعى نائب فاعل ليحيل والسعي المشي السريع وهو دون العدو. والمعنى فألقوا ففاجأ موسى وقت أن يخيل إليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم، وبالفارسية [پس رسنها وعصاهاي ايشان نموده شد بموسى از جادويى وكيد ايشان كه كويى بدرستى كه آن ميرود ومى شتابد] وذلك أنهم كانوا لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيل إليه أنها تتحرك.

﴿**فأوجس في نفسه خيفة موسى**﴾ الوجس الصوت الخفي والتوجس التسمع والإيجاس وجود ذلك في النفس والخيفة الحالة التي عليها الإنسان من الخوف وهي مفعول أوجس وموسى فاعله. والمعنى: أضمر موسى في نفسه بعض خوف من مفاجأته بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات والاحتراز من ضررها المعتاد من اللسع ونحوه كما دل عليه قوله في نفسه لأنه من خطرات النفس لا من القلب وفي الحقيقة أن الله تعالى ألبس السحر لباس القهر فخاف موسى من قهر الله لا من غيره لأنه لا يأمن من مكر الله إلا القوم الفاسقون، يقول الفقير:

چون خدا خواهد شودهر برك خار رشته باريك درچشم عين مار
برك لرزان آب ريزان از الم چون نمى ترسم زقهر كردكار

﴿**قلنا لا تخف**﴾ ما توهمت ﴿**إنك**﴾ أي: لأنك ﴿**أنت الأعلى**﴾ أي: الغالب القاهر لهم ونحن معك في جميع أحوالك فإنك القائم بالمسبب وهم القائمون المعتمدون على الأسباب وأيضاً معك آياتنا الكبرى وهو لباس حفظنا.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن خوف البشرية مركوز في جبلة الإنسان ولو كان نبياً إلى أن ينزع الله الخوف منه انتزاعاً ربانياً بقول صمداني كما قال تعالى: ﴿**قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى**﴾ أي: أعلى درجة من أن تخاف من المخلوقات دون الخالق وفيه معنى آخر أن خوف موسى ما كان من المكونات بل من المكون إذ رأى عصاه ثعباناً تلقف سحر السحرة وقد علم أنها صارت مظهر صفة قهارية الحق فخاف من الحق وقهره لا من العصا وثعبانها فلهذا قال تعالى: ﴿**لا تخف إنك أنت الأعلى**﴾ أي: لأنك على درجة عندنا منها لأنها عصاك مصنوعة لنفسك وأنت رسولي وكليمي واصطنعتك لنفسي فإن كانت هي مظهر صفة قهري فأنت مظهر صفات لطفي وقهري كلها.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾

﴿**وألق ما في يمينك**﴾ أي: عصاك والإبهام لتفخيم شأنها والإيذان بأنها ليست من جنس العصى المعهودة لأنها مستتبعة لآثار غريبة ﴿**تلقف ما صنعوا**﴾ بالجزم جواب للأمر من لقفه كسمعه لقفا بسكون القاف وفتحها إذا ابتلعه التقمه بسرعة. قال في «المفردات»: لقفت الشيء القفه وتلقفته تناولته بالجذب سواء كان تناوله بالفم أو باليد انتهى والتأنيث لكون ما عبارة عن العصا والصنع إجادة الفعل فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعا ولا تنسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل. والمعنى تبتلع وتلقم ما صنعوه من الحبال والعصي التي خيل إليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والإيذان بالتمويه والتزوير أي زوروه

وافتعلوه ﴿إن ما صنعوا﴾ ما موصولة أو موصوفة أي: إن الذي صنعوه أو إن شيئاً صنعوه ﴿كيد ساحر﴾ بالرفع على أنه خبر لأن أي: كيد جنس الساحر ومكره وحيلته وتنكيره للتوسل به إلى تنكير ما أضيف إليه للتحقير والكيد ضرب من الاحتيال يكون محموداً أو مذموماً وإن كان يستعمل في المذموم أكثر وكذلك الاستدراج والمكر ﴿ولا يفلح الساحر﴾ أي: لا يدرك بغيته هذا الجنس ﴿حيث أتى﴾ من الأرض وعمل السحر فيها وهو من تمام التعليل.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن ما في يمينك هو مصنوعي وكيدي وما صنعه السحرة إنما هو مصنوعهم وكيدهم ولا يفلح الساحر ومصنوعه وكيده حيث أتى مصنوعي وكيدي لأن كيدي متين.

واعلم أن الفلاح دنيوي وهو الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا وهو البقاء والغنى والعز وأخروي وهو أربعة أشياء: بقاء بلا فناء وغنى بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل ففلاح أهل الدنيا كلا فلاح لأن عاقبته خيبة وخسران ألا ترى أن من قال لأستاذه لم أي: اعترض عليه لن يفلح أبداً وقد رأينا بعض المعترضين قد أوتي مالاً وجاهاً ورياسة فهو في تقلبه خائب خاسر وقس عليه سائر المخالفين من أهل المنكرات. قال في «نصاب الاحتساب» الساحر إذا تاب قبل أن يؤخذ تقبل توبته وإن أخذ ثم تاب لم تقبل توبته. وفي «شرح المشارق»: للشيخ أكمل روى محمد بن شجاع عن الحسن بن زياد عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال في الساحر يقتل إذا علم أنه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله إني أترك السحر وأتوب منه فإذا أقر أنه ساحر فقد حل دمه وإن شهد عليه شاهدان بالسحر فوصفوا ذلك بصفة يعلم أنها سحر قتل ولا يستتاب انتهى. وفي «شرح رمضان» على «شرح العقائد» أن الساحر يقتل ذكراً أو أنثى إذا كان سعيه بالإفساد والإهلاك في الأرض وإذا كان سعيه بالكفر فيقتل الذكر دون الأنثى انتهى. وفي الفروع لا تقتل الساحرة المسلمة ولكن تضرب وتحبس لأنها ارتكبت جريمة عظيمة وإنما لا تقتل لأن النبي عليه السلام نهى عن قتل النساء مطلقاً. وفي الأشباه كل كافر تاب فتوبته مقبولة في الدنيا والآخرة إلا جماعة الكافر بسب النبي وبسب الشيخين أو أحدهما وبالسحر ولو امرأة وبالزندقة إذا أخذ قبل توبته انتهى. وفي «فتاوي قارىء الهداية» الزنديق من يقول ببقاء الدهر أي: لا يؤمن بالآخرة ولا الخالق ويعتقد أن الأموال والحرم مشتركة. وقال في موضع آخر: هو الذي لا يعتقد إلهاً ولا بعثاً ولا حرمة شيء من الأشياء وفي قبول توبته روايتان والذي ترجح عدم قبول توبته انتهى. قال في «شرح الطريقة» السحر في اللغة كل ما لطف ودق ومنه السحر للصبح الكاذب وقوله عليه السلام: «إن من البيان لسحراً» وبابه منع وفي العرف إراءة الباطل في صورة الحق وهو عندنا أمر ثابت لقوله عليه السلام: «السحر حق والعين حق». وفي «شرح الأمالي» السحر من سحر يسحر سحراً إذا خدع أحداً وجعله مدهوشاً متحيراً وهذا إنما يكون بأن يفعل الساحر شيئاً يعجز عن فعله وإدراكه المسحور عليه. وفي «كتاب اختلاف الأئمة» السحر رقي وعزائم وعقد تؤثر في الأبدان والقلوب فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه وله حقيقة عند الأئمة الثلاثة. وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله لا حقيقة له ولا تأثير له في الجسم وبه قال أبو جعفر الاستراباذي من الشافعية. وفي «شرح المقاصد»: السحر إظهار أمر خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة بمباشرة أعمال مخصوصة يجري فيها التعلم والتعليم وبهذين الاعتبارين يفارق المعجز والكرامة وبأنه لا يكون بحسب اقتراح المقترحين

وبأنه يخص الأزمنة أو الأمكنة أو الشرائط وبأنه قد يتصدى لمعارضته ويبذل الجهد في الإتيان بمثله وبأن صاحبه ربما يعلن بالفسق ويتصف بالرجس في الظاهر والباطن والخزي في الدنيا والآخرة وهو أي: السحر عند أهل الحق جائز عقلاً ثابت سمعاً وكذا الإصابة بالعين. وقال المعتزلة بل هو مجرد إراءة ما لا حقيقة له بمنزلة الشعوذة التي سببها خفة حركات اليد أو إخفاء وجه الحيلة وفيه لنا وجهان الأول يدل على الجواز والثاني يدل على الوقوع، أما الأول فهو إمكان الأمر في نفسه وشمول قدرة الله تعالى فإنه هو الخالق وإنما الساحر فاعل وكاسب وأيضاً فيه إجماع الفقهاء وإنما اختلفوا في الحكم وأما الثاني فهو قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ إلى قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٠٢] وفيه إشعار بأنه ثابت حقيقة ليس مجرد إراءة وتمويه وبأن المؤثر والخالق هو الله تعالى وحده. فإن قيل قوله تعالى في قصة موسى ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] يدل على أنه لا حقيقة للسحر وإنما هو تمويه وتخييل. قلنا: يجوز أن يكون سحرهم هو إيقاع ذلك التخييل وقد تحقق ولو سلم فكون أثره في تلك الصورة هو التخييل لا يدل على أنه لا حقيقة له أصلاً. ثم إن السحر خمسة أنواع في المشهور:

منها: الطلسم قيل هو مقلوب المسلط وهو جمع الآثار السماوية مع عقاقير الأرض ليظهر منها أمر عجيب.

ومنها: النيرنج قيل هو معرب «نيرنك» وهو التمويه والتخييل قالوا ذلك تمزيج قوى جواهر الأرض ليحدث منها أمر عجيب.

ومنها: الرقية وهو الافسون معرب «آب سون» وهو النفث في الماء وسمي به لأنهم ينفثون في الماء ثم يشربونه أو يصبون عليه وإنما سميت رقية لأنها كلمات رقيت من صدر الراقي فبعضها فهلويه وبعضها قبطية وبعضها بلا معنى يزعمون أنها مسموعة من الجن أو في المنام.

ومنها: الخلقطيرات وهي خطوط عقدت عليها حروف وأشكال أي: حلق ودوائر يزعمون أن لها تأثيرات بالخاصية.

ومنها: الشعبذة ويقال لها الشعوذة معرب «شعباذة» اسم رجل ينسب إليه هذا العلم وهي خيالات مبنية على خفة اليد وأخذ البصر في تقليب الأشياء كالمشي على الإرسال واللعب بالمهارق والحقات وغير ذلك والمذهب أن التأثير الحاصل عقيب الكل هو فعل الله تعالى على وفق إجراء عادته ووجه الحكمة فيه لا يعلمه إلا هو سبحانه. قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «الفتوحات المكية»: إن التأثير الحاصل من الحروف وأسماء الله تعالى من جنس الكرامات أي: إظهار الخواص بالكرامة فإن كل أحد لا يقدر على الاستخراج خواص الأشياء.

﴿فألقي السحرة﴾ الفاء فصيحة أي: فإلقاه فوقع ما وقع من اللقف فألقى السحرة حال كونهم ﴿سجداً﴾ ساجدين كأنما ألقاهم ملقي لشدة خرورهم وبالفارسية [حضرت موسى عصا بيفكند في الحال ازدهايى شد ودهن خود كشاده تمام ادوات جادوانرا فروبرد ومردم ازترس روى بكريز آوردند وموسى اورا بكرفت همان عصا شد جادوان دانستندكه آن سحر نيست زيراكه سحر سحر ديكررا باطل نكند بلكه قدرت خدا ومعجزه موسى است پس درافكنده شدند

يعنى تأمل اين معنى ايشانرا دررى افكند درحالتى كه سجده كنندكان بودند مرخدايرا ازروى صدق] وإنما عبر عن الخرور بالالقاء ليشاكل تلك الالقآت.

- روي - أن رئيسهم قال: كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحراً فأين ما ألقيناه من الآلات فاستدل بتغير أحوال الأجسام على الصانع العالم القادر وبظهور ذلك على يد موسى على صحة رسالته فتابوا وأتوا بنهاية الخضوع وهو السجود قال جار الله: ما أعجب أمرهم القوا حبالهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤوسهم للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقاءين ﴿**قالوا**﴾ في سجودهم وهو استئناف بياني ﴿**آمنا برب هارون وموسى**﴾ تأخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل ولأن فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى أو قدم ذكره فربما توهم أن المراد فرعون وذكر هارون على الاستتباع ومعنى إضافة الرب إليهما أنه هو الذي يدعوان إليه وأجري على يديهما ما أجري. قال بعض الكبار: من كان له استعداد النظر إلى عالم الغيب وباشر حظوظ النفس احتجب عنه فإنه انقطع إلى الله نظر الله إلى قلبه بنعت الإخلاص واليقين وكشف الله له أنوار حضرته وجذبه إلى قربه فالسحرة مجذوبون مهتدون بالله إلى الله مؤمنون بالبرهان لا بالتقليد وأن فرعون ما رأى برهان الربوبية فلم يؤمن.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾

﴿**قال**﴾ فرعون للسحرة بطريق التوبيخ ﴿**آمنتم له**﴾ أي: لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع واللام مع الإيمان في كتاب الله لغيره. وفي «بحر العلوم»: له أي: لربهما على أن اللام بمعنى الباء والدليل القاطع عليه قوله: ﴿**قال**﴾ أي: فرعون ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٣] في سورة الأعراف وآمنتم بالمد على الإخبار أي: فعلتم هذا الفعل توبيخاً لهم ﴿**قبل أن آذن لكم**﴾ أي: من غير أن آذن لكم في الإيمان له وأمركم به كما في قوله تعالى: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩] لا أن الإذن لهم في ذلك واقع بعده أو متوقع والإذن في الشيء إعلام بإجازته واذنته بكذا وآذنته بمعنى ﴿**إنه**﴾ يعني موسى ﴿**لكبيركم**﴾ أي: في فنكم وأعلمكم به وأستاذكم ﴿**الذي علمكم السحر**﴾ فتواطأتم على ما فعلتم. قال الكاشفي: [يعني استاد ومعلم ومهتر جادوانست شماباهم خواهيدكه ملك برابر اندازند] وأراد التلبيس على قومه لئلا يتبعوا السحرة في الإيمان لأنه عالم أن موسى ما علمهم السحر يعني أن هذه شبهة زورها اللعين وألقاها على قومه وأراهم أن أمر الإيمان منوط بإذنه فلما كان إيمانهم بغير إذنه لم يكن معتداً به وأنهم من تلامذته عليه السلام فلا عبرة بما أظهره كا لا عبرة بما أظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الإيمان بالله ثم أقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال: ﴿**فلأقطعن**﴾ أي: فوالله لأقطعن وصيغة التفعيل للتكثير وكذا في الفعل الآتي والقطع فصل شيء مدركاً بالبصر كالأجسام أو مدركاً بالبصيرة كالأشياء المعقولة ﴿**أيديكم وأرجلكم من خلاف**﴾ الخلاف أعم من الضد لأن كل ضدين مختلفان دون العكس. والمعنى من كل شق طرفاً وهو أن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن فيه لابتداء الغاية أي: ابتداء القطع من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه إياه فإن المبتدىء

من المعروض مبتدىء من العارض أيضاً وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية أي: لأقطعنها مختلفاً لأنها إذا خالف بعضها بعضاً بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك يسار فقد اتصفت بالاختلاف وتعيين القطع وكيفيته لكونه أفظع من غيره **﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾** الصلب الذي هو تعليق الإنسان للقتل قيل هو شد صلبه على خشب أي: على أصول النخل في شاطىء النيل، وبالفارسية: [وهر آيينه برآويزم شمارا درتن خرما بن كه دراز ترين درختانست تاهمه كس شمارابه بيند وعبرت كيرد] وإيثار كلمة في للدلالة على إبقائهم عليها زماناً طويلاً تشبيهاً لاستقرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه. قالوا: فرعون موسى هو أول من استعمل الصلب. فإن قيل مع قرب عهده بانقلاب العصا حية وقصدها ابتلاع قصره واستغاثته بموسى من شرها كيف يعقل أن يهدّد السحرة إلى هذا الحد ويستهزىء بموسى. قلنا: يجوز أن يكون في أشد الخوف ويظهر الجلادة تمشية لناموسه وترويجاً لأمره والاستقراء يوقفك على أمثاله **﴿ولتعلمن أينا﴾** أي: أنا وموسى **﴿أشد عذاباً وأبقى﴾** أدوم وموسى لم يكن في شيء من التعذيب إلا أن فرعون ظن السحرة خافوا من قبل موسى على أنفسهم حين رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فقال ما قال وعلى ما سبق من «بحر العلوم» في **﴿آمنتم له﴾** يكون المراد بـ **﴿أينا﴾** نفسه ورب موسى.

وفي «التأويلات النجمية»: وإنما قال: **﴿أشد عذاباً﴾** لأنه كان بصيراً بعذاب الدنيا وشدته وقد كان أعمى بعذاب الآخرة وشدته.

﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن
يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾

﴿قالوا﴾ غير مكترثين بوعيده. قال الكاشفي: [ساحران چون ازجام جذبه حقانى مست شده بودند واز انوار تواتر ملاطفات ربانى كه بردل ايشان تافته بود ازدست شده:

خورده يكجرعه از كف ساقى ... هرچه فانيست كرده درباقى
دامن از فكر غير افشانده ... ليس في الدار غيره خوانده

لا جرم درجواب فرعون كفتند] **﴿لن نؤثرك﴾** لن نختارك بالإيمان والاتباع **﴿على ما جاءنا﴾** من الله على يد موسى **﴿من البينات﴾** من المعجزات الظاهرة التي لا شبهة في حقيتها وكان من استدلالهم أنهم قالوا: لو كان هذا سحراً فأين حبالنا وعصينا. وفيه إشارة إلى أن القوم شاهدوا في رؤية الآيات أنوار الذات والصفات فهان عليهم عظائم البليات ومن آثر الله على الأشياء هان عليه ما يلقى في ذات الله. وقد قال بعض الكبار ليخفف ألم البلاء عنك علمك أن الله هو المبلى **﴿والذي فطرنا﴾** أي: خلقنا وسائر المخلوقات عطف على ما جاءنا وتأخيره لأن ما في ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهده آية حسية ظاهرة. وقال بعضهم هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه أي: وحق الذي فطرنا لا نؤثرك فإن القسم لايجاب بلن إلا على شذوذ. وفي «التفسير الفارسي»: [وسوكنده ميخوريم بخدايى كه مارا آفريد].

وفي «التأويلات»: أي: بالذي فطرنا على فطرة الإسلام والتعرض للفاطرية لإيجابها عدم

إيثارهم فرعون عليه تعالى ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ جواب عن تهديده بقوله لأقطعن أي فاصنع ما أنت صانعه أو احكم فينا ما أنت فيه حاكم من القطع والصلب.

وفي «التأويلات»: أي: فاحكم وأجر علينا ما قضى الله لنا في الأزل من الشهادة ﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ أي: إنما تصنع ما تهواه أو تحكم بما تراه في هذه الحياة الدنيا ومدة حياتنا فحسب فسيزول أمرك وسلطانك عن قريب وما لنا من رغبة في عذبها ولا رهبة من عذابها [امروز بجور هرچه خواهى ميكن فردا بتونيز هرچه خواهند كنند].

﴿إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا﴾ من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذ بها في الدار الآخرة لا ليمتعنا بتلك الحياة الفانية حتى تتأثر بما أوعدتنا به من القطع والصلب والمغفرة صيانة العبد عما استحقه من العقاب للتجاوز عن ذنوبه من الغفر وهو إلباس الشيء ما يصونه عن الدنس. والخطايا جمع الخطية والفرق بينها وبين السيئة أن السيئة قد تقال فيما يقصد بالذات والخطية فيما يقصد بالعرض لأنها من الخطأ ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ عطف على خطايانا أي: ويغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة موسى بإكراهك وحشرك إيانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع اندراجه في خطاياهم إظهاراً لغاية نفرتهم منه ورغبتهم في مغفرته ﴿والله خير﴾ أي: في ذاته وهو ناظر إلى قولهم والذي فطرنا ﴿وأبقى﴾ أي: جزاء ثواباً كان أو عقاباً أو خير لنا منك ثواباً إن أطعناه وأدوم عذاباً منك إن عصيناه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿والله خير﴾ في إيصال الخير ودفع الشر منك ﴿وأبقى﴾ خيره من خيرك وعذابه من عذابك. قال الحسن: سبحان الله لقوم كفارهم أشد الكافرين كفراً ثبت في قلوبهم الإيمان طرفة عين فلم يتعاظم عندهم أن قالوا: ﴿اقض ما أنت قاض﴾ في ذات الله والله إن أحدهم اليوم ليصحب القرآن ستين عاماً ثم إنه ليبيع دينه بثمن حقير، قال الشيخ سعدي قدس سره:

زيان ميكند مرد تفسيردان ... كه علم أدب ميفروشد بنان
كجا عقل باشرح فتوى دهد ... كه اهل خرد دين بديني دهد
بدين اى فرومايه دنيى مخر ... چوخرها بانجيل عيسى مخر

﴿إنه﴾ أي: الشأن وهو تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيراً وأبقى ﴿من﴾ [كس كه] ﴿يأت﴾ [آيد در روز قيامت] ﴿ربه﴾ [نزديك پرور دكار او] ﴿مجرماً﴾ حال كونه متوغلاً في إجرامه منهمكاً فيه بأن يموت على الكفر والمعاصي ولأنه مذكور في مقابلة المؤمن ﴿فإن له جهنم لا يموت فيها﴾ فينتهي عذابه ويستريح وهذا تحقيق لكون عذابه أبقى ﴿ولا يحيى﴾ حياة ينتفع بها.

﴿ومن يأته مؤمناً﴾ به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات التي من جملتها ما شاهدناه ﴿قد﴾ أي: وقد ﴿عمل الصالحات﴾ الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا تذكر غالباً مع الموصوف وهي كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والنقل ﴿فأولئك﴾ إشارة إلى من والجمع باعتبار معناها أي: فأولئك المؤمنون العاملون للصالحات ﴿لهم﴾ بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة ﴿الدرجات العلى﴾ جمع العليا تأنيث الأعلى أي: المنازل الرفيعة في الجنة. وفيه إشارة إلى الفرق بين أهل الإيمان المجرد وبين الجامع بين الإيمان والعمل حيث إن الدرجات العالية للثاني وغيرها لغيره.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾

﴿**جنات عدن**﴾ بدل من الدرجات العلى ﴿**تجري من تحتها الأنهار**﴾ [پيوسته ميرود از زير منازل آن يا أشجار آن جويها] حال من الجنات ﴿**خالدين فيها**﴾ حال من الضمير في لهم والعامل معنى الاستقرار أو الإشارة ﴿**وذلك**﴾ أي: المذكور من الثواب ﴿**جزاء من تزكى**﴾ الجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر يقال جزيته كذا وبكذا والفرق بين الأجر والجزاء أن الأجر يقال فيما كان عن عقد وما يجري مجرى العقد ولا يقال إلا في النفع دون الضر والجزاء يقال فيما كان عن عقد وعن غير عقد ويقال في النافع والضار والمعنى جزاء من تطهر من دنس الكفر والمعاصي بما ذكر من الإيمان والأعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثواب الله تعالى أبقى وفي الحديث: «إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدريّ في أفق السماء وإن أبا أبكر وعمر منهم وانعما» أي: هما أهل لهذا. قالوا ليس في القرآن أن فرعون فعل بأولئك المؤمنين ما أوعدهم به ولم يثبت في الأخبار كما في الأخبار. وقال في «التفسير الكبير»: نقلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا أول النهار سحرة وآخره شهداء وفي «بحر العلوم» أصبحوا كفرة وأمسوا أبراراً شهداء، وفي «المثنوي»:

ساحران در عهد فرعون لعين ... چون مرى كردند با موسى بكين
ليك موسى را مقدم داشتند ... ساحران اورا مكرّم داشتند
زانكه كفتندش كه فرمان آن تست ... كو تومى خواهى عصا بفكن نخست
كفت نى اول شما أى ساحران ... افكنيد آن مكرهارا درميان
اين قدر تعظيم ايشانرا خريد ... وازمرى آن دست وپاهاشان بريد
ساحران چون قدر او نشناختند ... دست وپادر جرم آن در باختند

فدلت هذه الأخبار على كونهم شهداء وأن فرعون استعمل الصلب فيهم وإلا لم يكن أول من صلب. فعلى العاقل أن يختار الله تعالى ويتزكى عن الأخلاق الذميمة النفسانية والأوصاف الشنيعة الشيطانية ويتحلى بالأخلاق الروحانية الربانية ويبذل المال والروح لينال أعلى الفتوح جعلنا الله وإياكم من أهل الولاء وممن هان عليه البلاء.

﴿**ولقد أوحينا إلى موسى**﴾ وبالله لقد أوحينا إليه بعد إجراء الآيات التسع في نحو من عشرين سنة كما في «الإرشاد».

يقول الفقير: يخالفها ما في بعض الروايات المشهورة من أن موسى عليه السلام دعا ربه في حق فرعون وقومه فاستجيب له ولكن أثره بعد أربعين سنة على ما قالوا عند قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩] ﴿**أن**﴾ مفسرة بمعنى أي: أو مصدرية أي: بأن ﴿**أسر بعبادي**﴾ السرى والإسراء سير الليل أي: قال سر ببني إسرائيل من مصر ليلاً، وبالفارسية: [بشب ببربندكان مرا] أمر بذلك لئلا يعوقهم أعوان فرعون ﴿**فاضرب لهم**﴾ فاجعل من قولهم ضرب له في ماله سهماً أو فاتخذوا عمل من قولهم ضرب اللبن إذا عمله. وفي «الجلالين»: فاضرب لهم بعصاك ﴿**طريقاً**﴾ الطريق كل ما يطرقه طارق معتاداً كان أو غير معتاد. قال الراغب: الطريق السبيل الذي يطرق بالأرجل ويضرب ﴿**في البحر**﴾ البحر كل مكان واسع

جامع للماء الكثير والمراد هنا بحر القلزم. قال في «القاموس» هو بلد بين مصر ومكة قرب جبل الطور وإليه يضاف بحر القلزم لأنه على طرفه أو لأنه يبتلع من ركبه لأن القلزمة الابتلاع ﴿**يبسا**﴾ صفة لطريقا واليبس المكان الذي كان فيه ماء فذهب. قال في «الإرشاد» أي: يابساً على أنه مصدر وصف به الفاعل مبالغة، وبالفارسية: [خشك كه درواب ولاى تبود] ﴿**لا تخاف دركا**﴾ حال مقدرة من المأمور أي: موسى والدرك محركة اسم من الإدراك كالدرك بالسكون. والمعنى حال كونك آمنا من أن يدرككم العدو ﴿**ولا تخشى**﴾ الغرق.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾

﴿**فأتبعهم فرعون بجنوده**﴾ الفاء فصيحة أي: ففعل ما أمر به من الإسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فتبعهم فرعون ومعه جنوده حتى لحقوهم وقت إشراق الشمس وهو إضاءتها يقال اتبعهم أي: تبعهم وذلك إذا كانوا سبقوك فلحقتهم فالفرق بين تبعه واتبعه أن يقال اتبعه اتباعاً إذ طلب الثاني اللحوق بالأول وتبعه تبعاً إذا مر به ومضى معه.

ـ روي ـ أن موسى خرج بهم أول الليل وكانوا ستمائة وسبعين ألفاً فأخبر فرعون بذلك فأتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة ألف فقص أثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فانفلق على اثني عشر فرقاً كل فرق كالطود العظيم وبقي الماء قائماً بين الطرق فعبر موسى بمن معه من الأسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده ﴿**فغشيهم**﴾ سترهم وعلاهم ﴿**من اليم**﴾ أي: بحر القلزم ﴿**ما غشيهم**﴾ أي: الموج الهائل الذي لا يعلم كنهه إلا الله.

﴿**وأضل فرعون قومه**﴾ أي: سلك بهم مسلكاً أداهم إلى الخيبة والخسران في الدين والدنيا معاً حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي المتصل بالعذاب الخالد الأخروي ﴿**وما هدى**﴾ أي: ما أرشدهم قط إلى طريق موصل إلى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية وهو تقرير لإضلاله وتأكيد له إذ رب مضل قد يرشد من يضله إلى بعض مطالبه. وفيه نوع تهكم في قوله: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] فإن نفي الهداية من شخص مشعر بكونه ممن تتصور منه الهداية في الجملة وذلك إنما يتصور في حقه بطريق التهكم. يقول الفقير موسى مع قومه إشارة إلى الروح القدسي مع قواه وفرعون مع قومه إشارة إلى النفس الأمارة مع قواها والبحر هو بحر الدنيا فموسى الروح يعبره إما بسفينة الشريعة أو بنور الكشف الإلهي ويغرق فرعون النفس لأنها تابعة لهواها لا شريعة لها ولا كشف فعلم منه أن اتباع أهل الضلال أنفساً وآفاقاً يؤدي إلى الهلاك الصوري والمعنوي واقتداء أهل الهدى يفضي إلى النجاة الأبدية.

زينها راز قرين بد زنهار وقنا ربنا عذاب النار

وأحسن وجوه الاتباع الإيمان والتوحيد لأن جميع الأنبياء متفقون على ذلك والمؤمن في حصن حفظه الله تعالى من الأعداء الظاهرة والباطنة في الدنيا والآخرة.

ـ حكي ـ عن عبد الله بن الثقفي أن الحجاج أحضر أنس بن مالك وقال له: أريد أن أقتلك شر قتلة فقال أنس: لو علمت أن ذلك بيدك لعبدتك من دون الله تعالى قال الحجاج: ولم ذلك؟ قال: لأن رسول الله عليه السلام علمني دعاء وقال: «من دعا به في كل صباح لم يكن لأحد عليه سبيل» وقد دعوت به في صباحي فقال الحجاج: علمنيه قال: معاذ الله أن

أعلمه لأحد وأنت حي فقال: خلوا سبيله فقيل له في ذلك فقال: رأيت على عاتقيه أسدين عظيمين فاتحين أفواههما ولما حضرته الوفاة قال لخادمه إن لك علي حقاً أي: حق الخدمة فعلمه الدعاء المذكور وقال له قل: «بسم الله خير الأسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء» ثم إن هذا في الدنيا وأما في الآخرة فيحفظه من النار والعذاب.

واعلم أن موسى نصح فرعون ولكن لم ينجعه الوعظ فلم يدر قدره ولم يقبل فوصل من طريق الرد والعناد إلى الغرق والهلاك نعوذ بالله رب العباد. فعلى العاقل أن يستمع إلى الناصح، قال الحافظ:

امروز قدر پند عزيزان شناختم يا رب روان ناصح ما از تو شاد باد

قوله: أمروز يريد به وقت الشيخوخة وفيه إشارة إلى أن وقت الشباب ليس كوقت الكهولة ولذا ترى أكثر الشباب منكبين على سماع الملاهي معرضين عن الناصح الإلهي فمن هداه الله تعالى رجع إلى نفسه ودعا لناصحه لأنه ينصح حروفه بالفارسية [ميدوزد دريدهاى او] ولا بد للسالك من مرشد ومجاهدة ورياضة فإن مجرد وجود المرشد لا ينفعه ما دام لم يسترشد ألا ترى أن فرعون عرف حقية موسى وما جاء به لكنه أبى عن سلوك طريقه فلم ينتفع به فالأول الاعتقاد ثم الإقرار ثم الاجتهاد وقد قال بعضهم: «إن السفينة لا تجري على اليبس» والنفس تجر إلى الدعة والبطالة وقد قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] فالعبادة لازمة إلى أن يأتي اليقين حال النشاط والكراهة والجهاد ماض إلى يوم القيامة، قال المولى الجامي قدس سره:

بى رنج كسى چون نبردره بسر كنج آن به كه بكوشم بتمنا ننشينم

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لطريق مرضاته ويوصلنا إلى جناب حضرته.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ٨٠﴾

﴿يا بني إسرائيل﴾ أي: قلنا لهم بعد إغراق فرعون وقومه وإنجائهم منهم **﴿قد أنجيناكم من عدوكم﴾** فرعون وقومه حيث كانوا يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ويستخدمونكم في الأعمال الشاقة والعدو يجيء في معنى الوحدة والجماعة **﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾** بالنصب على أنه صفة للمضاف أي: واعدناكم بوساطة نبيكم إتيان جانبه الأيمن نظراً إلى السالك من مصر إلى الشام وإلا فليس للجبل يمين ولا يسار أي: إتيان موسى للمناجاة وإنزال التوراة عليه ونسبة المواعدة إليهم مع كونها لموسى نظراً إلى ملابستها إياهم وسراية منفعتها إليهم **﴿ونزلنا عليكم المن﴾** هو شيء كالطل فيه حلاوة يسقط على الشجر يقال له الترنجبين معرب «كرنكبين» **﴿والسلوى﴾** طائر يقال له السماني كان ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع لكل إنسان صاع ويبعث عليهم الجنوب السماني فيذبح الرجل ما يكفيه والتيه المفازة التي يتاه فيها وذلك حين أمروا بأن يدخلوا مدينة الجبارين فأبوا ذلك فعاقبهم الله بأن يتيهوا في الأرض أربعين سنة كما مر في سورة المائدة ومثل ذلك كمثل الوالد المشفق يضرب ولده العاصي ليتأدب وهو لا يقطع عنه إحسانه فقد ابتلوا بالتيه ورزقوا بما لا تعب فيه.

اى كريمى كه از خزانه غيب كبر وترسا وظيفه خوردارى
دوستانرا كجا كنى محروم توكه بادشمنان نظر دارى

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

﴿كلوا﴾ أي: وقلنا لكم كلوا **﴿من طيبات ما رزقناكم﴾** أي: من لذائذه أو حلالاته. قال الراغب: أصل الطيب ما تستلذه الحواس والنفس والطعام الطيب في الشرع ما كان متناولاً من حيث ما يجوز وبقدر ما يجوز ومن المكان الذي يجوز فإنه متى كان كذلك كان طيباً عاجلاً وآجلاً لا يستوخم وإلا فإنه وإن كان طيباً عاجلاً لم يطب آجلاً **﴿ولا تطغوا فيه﴾** الطغيان تجاوز الحد في العصيان أي: ولا تتجاوزا الحد فيما رزقناكم بالإخلال بشكره وبالسرف والبطر والمنع من المستحق والادخار منه لأكثر من يوم وليلة **﴿فيحل عليكم غضبي﴾** جواب للنهي أي: فيلزمكم عقوبتي وتجب لكم من حل الدين يحل بالكسر إذا وجب أداؤه وأما يحل بالضم فهو بمعنى الحلول أي: النزول والغضب ثوران دم القلب عند إرادة الانتقام وإذا وصف الله تعالى به فالمراد الانتقام دون غيره، وفي «المثنوي»:

شكر منعم واجب امد درخرد ورنه بكشايد درخشم ابد

﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ أي: تردى وهلك وأصله أن يسقط من جبل فيهلك ومن بلاغات الزمخشري من أرسل نفسه مع الهوى فقد هوى في أبعد الهوى.

وفي «التأويلات النجمية»: ونزلنا عليهم المن من صفاتنا والسلوى سلوى أخلاقنا كلوا من طيبات ما رزقناكم أي: اتصفوا بطيبات صفاتنا وتخلقوا بكرائم أخلاقنا التي شرفناكم بها أي: لو لم تكن العناية الربانية لما نجا الروح والقلب وصفاتهما من شر فرعون النفس وصفاتها ولولا التأييد الإلهي لما اتصفوا بصفات الله ولا تخلقوا بأخلاقه ثم قال ولا تطغوا فيه أي: إذا استغنيتم بصفاتي وأخلاقي عن صفاتكم وأخلاقكم فلا تطغوا بأن تدعوا العبودية وتدعوا الربوبية وتسموا باسمي بأن اتصفتم بصفاتي كما قال بعضهم أنا الحق وبعضهم سبحاني وما أشبه هذه الأحوال مما يتولد من طبيعة الإنسانية فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وإن طغيان هذه الطائفة بمثل هذه المقالات وإن كانت هي من أحوالهم لأن الحالات لا تصلح للمقامات وهي موجبة للغضب كما قال تعالى: **﴿فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾** أي: نجعل كل معاملاته في العبودية هباء منثوراً ولهذا الوعيد أمر الله عباده في الاستهداء بقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٦-٧] أي: اهدنا هداية غير من أنعمت عليه بتوفيق الطاعة والعبودية ثم ابتليته بطغيان يحل عليه غضبك **﴿وإني لغفار﴾** لستور **﴿لمن تاب﴾** من الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكر. قال في «المفاتيح شرح المصابيح» الفرق بين الغفور والغفار أن الغفور كثير المغفرة وهي صيانة العبد عما استحقه من العقاب للتجاوز عن ذنوبه من الغفر وهو إلباس الشيء ما يصونه عن الدنس ولعل الغفار أبلغ منه لزيادة بنائه وقيل الفرق بينه وبين الغفار أن المبالغة فيه من جهة الكيفية وفي الغفار باعتبار الكمية **﴿وآمن﴾** بما يجب الإيمان به **﴿وعمل صالحاً﴾** مستقيماً عند الشرع والعقل. وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على

التوبة والإيمان ﴿ثم اهتدى﴾ أي: استقام على الهدى ولزمه حتى الموت وهو إشارة إلى أن من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخي الرتبي. قال في «بحر العلوم» ثم لتراخي الاستقامة على الخير عن الخير نفسه وفضلها عليه لأنها أعلى منه وأجل لأن الشأن كله فيها وهي مزلة أقدام الرجال. قال ابن عطاء: ﴿وإني لغفار لمن تاب﴾ أي: رجع من طريق المخالفة إلى طريق الموافقة وصدق موعود الله فيه واتبع السنة ﴿ثم اهتدى﴾ أقام على ذلك لا يطلب سواه مسلكاً وطريقاً:

راه سنت رواكر خواهى طريق مستقيم   كزسنن راهى بود سوى رضاى ذو المنن
هر مزده درچشم وى همچون سنانى بادتيز   كرسنان زندكى خواهد زمانى بى سنن

وفي «التأويلات النجمية»: أي: رجع من الطغيان بعبادة الرحمٰن ﴿وعمل صالحاً﴾ بالعبودية للربوبية ﴿ثم اهتدى﴾ أي: تحقق له أن تلك الحضرة منزهة عن دنس الوهم والخيال وإن الربوبية قائمة والعبودية دائمة.

اعلم أن التوبة بمنزلة الصابون فكما أن الصابون يزيل الأوساخ الظاهرة فكذلك التوبة تزيل الأوساخ الباطنة أعني الذنوب.

ـ روي ـ أن رجلاً قال للدينوري: ما أصنع فكلما وقفت على باب المولى صرفتني البلوى فقال: كن كالصبي مع أمه كلما ضربته يجزع بين يديها فلا يزال كذلك حتى تضمه إليها والتوبة على أقسام: فتوبة العوام من السيئات، وتوبة الخواص من الزلات والغفلات، وتوبة الأكابر من رؤية الحسنات والالتفات إلى الطاعات.

وشرائط البلوى ثلاثة: الندم بالقلب، والاعتذار باللسان بأن يستغفر الله، والإقلاع بالجوارح وهو الكف عن الذنب وفي الحديث «المستغفر باللسان المصر على الذنوب كالمستهزىء بربه»، وقال المولى قدس سره:

دارم جهان جهان كنه اى شرم روى من   چون روى ازين جهان بجهان دكرنهم
ياران دواسبه عازم ملك يقين شدند   تاكى عنان عقل بدست كمان دهم
باخلق لاف توبه ودل بركنه مصر   كس پى نمى بردكه بدين كونه كمرهم

﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾

﴿**وما أعجلك عن قومك يا موسى**﴾ مبتدأ وخبر أي: وقلنا لموسى عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة أي: شيء حملك على العجلة وأوجب سبقتك منفرداً عن قومك وهم النقباء السبعون المختارون للخروج معه إلى الطور وذلك أنه سبقهم شوقاً إلى ميعاد الله وأمرهم أن يتبعوه كما في «الجلالين». قال في «العرائس»: ضاق صدر موسى من معاشرة الخلق وتذكر أيام وصال الحق فعلة العجلة الشوق إلى لقاء الله تعالى. قال الكاشفي: [آورده اندكه بني إسرائيل بعد ازهلاك فرعون از موسى عليه السلام استدعا نمودندكه از براى ما قواعد شريعتي وأحكام آن مبين ساز موسى در آن باب باحضرت رب الأرباب مناجات كرد خطاب رسيدكه باجمعى از اشراف بني إسرائيل بكوه طور آى تا كتابى كه جامع احكام شرع باشد بتودهم موسى هارون رابجاى خود بكذاشت وباوجوه قوم كه هفتادتن بودند متوجه طور شدند

قوم را وعده كردكه چهل روز ديكرمى آيم وكتاب مى آورم وچون بنزديك طور رسيدند قوم را بكذاشت واز غايت اشتياق كه بكلام وبيام الهي داشت زود تربالاى كوه برآمد خطاب ربانى رسيدكه ﴿**وما أعجلك**﴾ الخ وجه چيز شتابان ساخت تراتا تعجيل كردى وپيش آمدى ازكروه خود اى موسى]. .

يقول الفقير: هذا سؤال انبساط كقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ [طه: ١٧] لا سؤال إنكار كما ظن أكثر المفسرين من الاجلاء وغيرهم.

﴿**قال هم أولاء على أثري**﴾ يجيئون بعدي، بالفارسية: [كفت موسى كه ايشان كروه مردان اينك مى آيند بربى من وساعت بساعت برسند] ﴿**وعجلت**﴾ بسبقي إياهم ﴿**إليك**﴾ [بسوى تو] ﴿**رب**﴾ [اي پروردكار من] ﴿**لترضى**﴾ عنى بمسارعتي إلى الامتثال بأمرك واعتنائي بالوفاء بعهدك.

وفي الآيتين إشارة إلى معاني مختلفة:

منها ليعلم أن السائر لا ينبغي أن يتوانى في السير إلى الله ويرى أن رضى الله في استعجاله في السير والعجلة ممدوحة في الدين قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣] والأصل الطلب، وفي «المثنوي»:

كركران وكر شتابنده بود آنكه جوينده است يابنده بود
در طلب زن دائماً توهر دودست كه طلب درراه نيكور هبراست

وقد ورد «إن الأمور مرهونة بأوقاتها» ولذا قال:

چو صبح وصل او خواهد دميدن عاقبت جامى
مخور غم كرشب هجران بپايان ديرمى آيد

ومنها: ينبغي أن السائر لا يتعوق بعائق في السير وإن كان في الله ولله كما كان حال موسى في السير إلى الله فما تعوق بقومه واستعجل في السير وبطلت العوائق وقد صح أن المجنون العامري ترك الناقة في طريق ليلى لكونها عائقة عن سرعة السير إلى جنابها فمشى على الوجه كما قال في «المثنوي»:

راه نزديك وبماندم سخت دير سير كشتم زين سوارى سير سير
سر نكون خود را زاشتر در فكند كفت سوزيدم زغم تاچند چند
تنك شد بروى پيابان فراخ خويشتن افكند اندر سنكلاخ
چون چنان افكند خودرا سوى پست از قضا آن لحظه پايش هم شكست
پاى را بربست وكفتا كوشوم درخم چو كان غلطان مى روم
عشق مولى كى كم ازليلى بود كوى كشتن بهر او اولى بود
كوى شو مى كرد برپهلوى صدق غلط غلطان درخم چوكان عشق

ومنها: أن قصد السائر إلى الله تعالى ونيته ينبغي أن يكون خالصاً لله وطلبه لا لغيره كما قال: ﴿**وعجلت إليك رب**﴾ كان قصده إلى الله، قال الكمال الخجندي:

سالك پاك رونخوا نندش آنكه از ما سوى منزه نيست

ومنها: أن يكون مطلوب السائر من الله رضاه لا رضى نفسه منه كما قال: ﴿**لترضى**﴾ كما في «التأويلات النجمية»:

﴿قال﴾ الله تعالى وهو استئناف بياني: ﴿فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ القيناهم في فتنة من بعد خروجك من بينهم وابتليناهم في إيمانهم بخلق العجل وهم الذين خلفهم مع هارون على ساحل البحر وكانوا ستمائة ألف ما نجا منهم من عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفاً قال الله تعالى لموسى: أتدري من أين أتيت: قال: لا يا رب قال: حين قلت لهارون اخلفني في قومي أين كنت أنا حين اعتمدت على هارون. وفيه إشارة إلى أن طريق الأنبياء ومتبعيهم محفوف بالفتنة والبلاء كما قال عليه السلام: «إن البلاء موكل بالأنبياء الأمثل فالأمثل» وقد قيل: إن البلاء للولاء كاللهب للذهب وإلى أن فتنة الأمة والمريد مقرونة بمفارقة الصحبة من النبي والشيخ كما قال تعالى: ﴿فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ أي: بعد مفارقتك إياهم فإن المسافر إذا انقطع عن صحبة الرفقة افتتن بقطاع الطريق والغيلان، قال الحافظ:

قطع اين مرحله بى همر هى خضر مكن ظلماتست بترس از خطر كمراهى

ـ روي ـ أنهم أقاموا على ما وصى به موسى عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع أيامها أربعين وقالوا: قد أكملنا العدة وليس من موسى عين ولا أثر ﴿وأضلهم السامري﴾ حيث كان هو المدبر في الفتنة والداعي إلى عبادة العجل. قال في «الأسئلة المقحمة»: أضاف الإضلال إلى السامري لأنه كان حصل بتقريره ودعوته وأضاف الفتنة إلى نفسه لحصولها بفعله وقدرته وإرادته وخلقه وعلى هذا ابدا إضافة الأشياء إلى أسبابها ومسبباتها انتهى. وإخباره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه السلام إما باعتبار تحققها في علمه ومشيئته تعالى وإما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع أو لأن السامري قد عزم على إيقاع الفتنة على ذهاب موسى وتصدي لترتيب مباديها فكانت الفتنة واقعة عند الإخبار. والسامري رجل من عظماء بني إسرائيل منسوب إلى قبيلة السامرة منهم أو علج من أهل كرمان من قوم يعبدون البقر وحين دخل ديار بني إسرائيل أسلم معهم وفي قلبه حب عبادة البقر فابتلى الله بني إسرائيل فكشف له عن بصره فرأى أثر فرس الحياة لجبريل ويقال له حيزوم وأخذ من ترابه وألقاه بوحي الشيطان في الحلى المذابة كما يجيء. قال الكاشفي: [أصح آنست كه او از اسرائيليانست ودر وقتى كه فرعون ابناى ايشانرا مى كشت او متولد شده ومادر بعد ازتولد اورا بكنارنيل در جزيره بيفكند وحق سبحانه جبرائيل را امر فرمود تا اورا پرورش دهد ومأكول ومشروب وى مهيا كرداند محافظت نموده ازين وقت كه موسى بطور رفت سامري نزد هارون آمده كفت قدرى بيرايه كه از قبطيان عاريت كرفته ايم باماست ومارا در آن تصرف كردن روانيست ومى بينم كه بني إسرائيل آنرا مى خرند ومى فروشند حكم فرماى تاهمه جمع كنند وبسوزند هارون امر فرمودكه تمام پيرايه ها آوردند ودر حفره ريختند ودرآن آتش زنند وسامرى زركرى چالاك بودهمين كه ان زر بكداخت وى قالبى ساخته بود وآن زر كداخته دران ريخته وشكل كوساله بيرون آورد وقدرى ازخاك زيرسم جبريل كه فرس الحياة مى كفتند در درون وى ريخت في الحال زنده كشت وكوشت وبوست بروپيداشت وبآواز در آمد وكويند زنده نشد ليك بآن وضع ريخته بود بانكى كردكه چهاردانك قوم بني إسرائيل ويراسجده كردند حق تعالى موسى را خبر دادكه قوم توبعد از خروج توكوساله پرست شدند]

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾

﴿فرجع موسى إلى قومه﴾ أي: بعدما استوفى الأربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وأخذ الألواح المكتوب فيها التوراة وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملاً ﴿غضبان﴾ [خشمناك بريشان] ﴿أسفاً﴾ [اندوهكين از عمل ايشان] أي: شديد الحزن على ما فعلوا أو شديد الغضب ومنه قوله عليه السلام في موت الفجأة «رحمة للمؤمنين وأخذة أسيف للكافرين». قال الإمام الراغب الأسف الحزن والغضب معاً وقد يقال لكل منهما على الانفراد. قال الكاشفي: [چون بميان قوم رسيد بانك وخروش ايشان شنيدكه كردا كرد كوساله دف ميزدند ورقص ميكردند بعتاب آغاز كرد ازروى ملامت] ﴿قال يا قوم﴾ [اى كروه من] ﴿ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾ بأن يعطيكم التوراة فيها ما فيها من النور والهدى أي: وعدكم وعداً صادقاً بحيث لا سبيل لكم إلى إنكاره. قال في «بحر العلوم» ﴿وعداً حسناً﴾ أي: متناهياً في الحسن فإنه تعالى وعدهم أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من ذلك وأجمل. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى إذا وعد قوماً لا بد له من الوفاء بالوعد فيحتمل أن يكون ذلك الوفاء فتنة للقوم وبلاء لهم كما كان لقوم موسى إذ وعدهم الله بإيتاء التوراة ومكالمته موسى وقومه السبعين المختارين فلما وفى به تولدت لهم الفتنة والبلاء من وفائه وهي الضلال وعبادة العجل ولكن الوعد لما كان موصوفاً بالحسن كان البلاء الحاصل من الوعد الحسن بلاء حسناً وكان عاقبة أمرهم التوبة والنجاة ورفعة الدرجات ﴿أفطال عليكم العهد﴾ الفاء للعطف على مقدر والهمزة لإنكار المعطوف ونفيه فقط أي: أوعدكم ذلك فطال زمان الإنجاز فأخطأتم بسببه. وفي «الجلالين» مدة مفارقتي إياكم يقال طال عهدي بك أي: طال زماني بسبب مفارقتك ﴿أم أردتم أن يحل﴾ يجب كما سبق ﴿عليكم غضب﴾ عذاب عظيم وانتقام شديد كائن ﴿من ربكم﴾ من مالك أمركم على الإطلاق بسبب عبادة ما هو مثل في الغباوة والبلادة ﴿فأخلفتم موعدي﴾ أي: وعدكم إياي بالثبات على ما أمرتكم به إلى أن أرجع من الميقات على إضافة المصدر إلى مفعوله والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كأنه قيل أنسيتم الوعد بطول العهد فأخلفتموه خطأ أم أردتم حلول الغضب عليكم فأخلفتموه عمداً.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾﴾

﴿قالوا ما أخلفنا موعدك﴾ أي: وعدنا إياك الثبات على ما أمرتنا به ﴿بملكنا﴾ أي: بقدرتنا واختيارنا لكن غلبنا من كيد السامري وتسويله وذلك أن المرء إذا وقع في البلية والفتنة لم يملك نفسه ويكون مغلوباً والملك القدرة ﴿ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم﴾ جمع وزر بالكسر بمعنى الحمل الثقيل أي: أحمالاً من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس ﴿فقذفناها﴾ أي: طرحنا الحلي في النار رجاء للخلاص من ذنبها ﴿فكذلك﴾ أي: مثل ذلك القذف ﴿ألقى السامري﴾ أي: ما معه من الحلي وقد كان أراهم أنه أيضاً يلقى ما كان معه من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم وإنما كان الذي ألقاه التربة التي أخذها من أثر فرس الحياة وكان لا يخالط شيئاً إلا غيره وهو من الكرامة التي خصها الله بروح القدس.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾

﴿فأخرج﴾ أي: السامري بسبب ذلك التراب ﴿لهم﴾ أي: للقائلين ﴿عجلا﴾ من تلك الحلي المذابة وهو ولد البقرة ﴿جسداً﴾ بدل منه أو جثة ذا دم ولحم أو جسداً من ذهب لا روح له ولا امتناع في ظهور الخارق على يد الضال ﴿له خوار﴾ نعت له يقال خار العجل خواراً إذا صاح أي: صوت عجله فسجدوا له ﴿فقالوا﴾ أي: السامري ومن افتتن به أول ما رأى ﴿هذا﴾ العجل ﴿إلٰهكم وإلٰه موسى فنسي﴾ أي: غفل عنه وذهب يطلبه في الطور وهذا حكاية نتيجة فتنة السامري فعلاً وقولاً من جهته تعالى قصداً إلى زيادة تقريرها ثم ترتيب الإنكار عليها لا من جهة القائلين وإلا لقيل فأخرج لنا ولا شك أن الله خلقه ابتلاء لعباده ليظهر الثابت من الزائغ وأعجب من خلق الله العجل خلقه إبليس محنة لهم ولغيرهم.

﴿أفلا يرون﴾ الفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: ألا يتفكرون فلا يعلمون ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة أي: أنه ﴿لا يرجع﴾ [بازنمى كرداند كوساله] ﴿إليهم﴾ [بسوى ايشان] ﴿قولاً﴾ كلاماً ولا يرد عليهم جواباً، يعني: [هر چند اورا مى خوانند جواب نمى دهد] فكيف يتوهمون أنه آله فقوله يرجع من الرجع المتعدي بمعنى الإعادة لا من الرجوع اللازم بمعنى العود ﴿ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾ أي: لا يقدر على أن يدفع عنهم ضرراً أو يجلب لهم نفعاً.

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن الله تعالى إذا أراد أن يقضي قضاء سلب ذوي العقول عقولهم وأعمى أبصارهم بعد أن رأوا الآيات وشاهدوا المعجزات كأنهم لم يروا شيئاً فيها فلهذا قال: ﴿أفلا يرون﴾ يعني العجل وعجزه ﴿أن لا يرجع إليهم قولاً﴾ أي: شيئاً من القول ﴿ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾ انتهى.

وفي الآيات إشارات:

منها: أن الغضب في الله من لوازم نشأة الإنسان الكامل لأنه مرآة الحضرة الإلهية وهي مشتملة على الغضب ورد عن النبي عليه السلام أنه كان لا يغضب لنفسه وإذا غضب لله لم يقم لغضبه شيء فمن العباد من يغضب الحق لغضبه ويرضى لرضاه بل من نفسي غضبه غضب الحق وعين رضاه هو رضى الحق فمطلق غضبهم في الحقيقة عبارة عن تعين غضب الحق فيهم من كونهم مجاليه ومجالي أسمائه وصفاته لا كغضب الجمهور. قال أبو عبد الله الرضي: إن الله لا يأسف كأسفنا ولكن له أولياء يأسفون ويرضون فجعل رضاهم رضاه وغضبهم غضبه قال: وعلى ذلك قال: «من أهان لي ولياً فقد بارزني في المحاربة». فعلى العاقل أن يتبع طريق الأنبياء والأولياء ويغضب للحق إذا رأى منكراً:

كرت نهى منكر بر آيد زدست نشايد چوبى دست وپايان نشست
چو دست وزبانرا نماند مجال بهمت نمايند مردى رجال

ومنها: أي من أسباب غضب الله تعالى الخلف بالوعد ونقض العهد فلا بد لطالب الرحمة من الاستقامة والثبات:

ازدم صبـح ازل تـا آخـر شـام آبـد دوستى ومهر بريك عهد ويك ميثاق بود

[وفي «وصايا الفتوحات» حق تعالى بموسى عليه السلام وحى كرد هركه باميد توآيد اورا بى بهره مكذار وهركه زينهار خواست اورا زينهارده. موسى درسياحت بودنا كاه كبوترى بر كتف او نشست وبازى در عقب او مى آمد وقصد آن كبوتر داشت بر كتف ديكر فرو آمد آن كبوتر درآستين موسى در آمد وزينهار مى خواست وباز بزبان فصيح بموسى آواز دادكه اى پسر عمران مرا بى بهره مكذار وميان من ورزق من جدايى ميفكن موسى كفت چه زود مبتلا شدم ودست كردتا ازران خود پاره قطع كند براى طعمه بازتا حفظ عهد كرده باشد وبكار هر دو وفانموده كفتند يا ابن عمران تعجيل مكن كه مارسولانيم وغرض آن بودكه صحت عهد تو آزمايش كنيم]:

أيـا سـامـعـاً لـيـس الـسـمـاع بـنـافـع إذا أنت لـم تـفـعـل فـمـا أنـت سـامـع

إذا كـنـت فـي الـدنـيـا مـن الـخـيـر عـاجـزاً فـمـا أنـت فـي يـوم الـقـيـامـة صـانـع

ومنها: أن متاع الدنيا سبب الغرور والفساد والهلاك ألا ترى أن فرعون اغتر بدنياه فهلك وأن السامري صاغ من الحلي عجلاً فأفسد ولو لم يستصحبوها حين خرجوا من مصر لنجوا من عبادته والابتلاء بتوبته نسأل الله تعالى أن يهدينا هداية كاملة إلى جنابه ولا يردنا عن بابه ولا يبتلينا بأسباب عذابه.

﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾ أي: وبالله لقد نصح لهم هارون ونبههم على كنه الأمر من قبل رجوع موسى إليهم وخطابه إياهم بما ذكر من المقالات **﴿يا قوم﴾** [اى كروه من] **﴿إنما فتنتم به﴾** أي: أوقعتم في الفتنة بالعجل وأضللتم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة إنما إلى نفس الفعل بالقياس إلى مقابله الذي يدعيه القوم لا إلى قيده المذكور بالقياس إلى قيد آخر على معنى إنما فعل بكم الفتنة لا «الإرشاد» إلى الحق لا على معنى إنما فتنتم بالعجل لا بغيره **﴿وإن ربكم﴾** المستحق للعبادة هو **﴿الرحمن﴾** المنعم بجميع النعم لا العجل وإنما ذكر الرحمٰن تنبيهاً على أنهم إن تابوا قبل توبتهم وإذا كان الأمر كذلك **﴿فاتبعوني﴾** في الثبات على الدين **﴿وأطيعوا أمري﴾** هذا واتركوا عبادة ما عرفتم شأنه وما أحسن هذا الوعظ فإنه زجرهم عن الباطل بقوله: **﴿إنما فتنتم به﴾** وأزال الشبهات أولاً وهو كإماطة الأذى عن الطريق ثم دعاهم إلى معرفة الله بقوله: **﴿وإن ربكم الرحمن﴾** فإنها الأصل ثم إلى معرفة النبوة بقوله: **﴿فاتبعوني﴾** ثم إلى الشرائع فقال: **﴿وأطيعوا أمري﴾** وفي هذا الوعظ شفقة على نفسه وعلى الخلق أما على نفسه فإنه كان مأموراً من عند الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن عند أخيه بقوله: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢] فلو لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر لخالف أمر الله وأمر موسى وأنه لا يجوز. أوحى الله إلى يوشع أني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا لغضبي وفي الحديث: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، قال الشيخ سعدي قدس سره:

بـنـي آدم أعـضـاى يـكـديـكـرنـد كـه در آفـر يـنـش ريـك كـوهـرنـد

چـو عـضـوى بـدرد آورد روزكـار دكـر عـضـوهـا را نـمـانـد قـرار

تو كز محنت ديكران بى غمى نشايد كه نامت نهند آدمى

ثم إن هارون رأى المتهافتين على النار فلم يبال بكثرتهم ولا نفرتهم بل صرح بالحق:

بكوى آنچه دانى سخن سودمند وكر هيچ كس را نيايد پسند
كه فردا پشيمان بر آرد خروش كه آوخ چرا حق نكردم بكوش

وهٰهنا دقيقة وهي أن الرافضة تمسكوا بقوله عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» ثم إن هارون ما منعه التقية في مثل هذا الجمع العظيم بل صعد المنبر وصرح بالحق ودعا الناس إلى متابعة نفسه والمنع من متابعة غيره فلو كانت أمة محمد على الخطأ لكان يجب أن يفعل مثل ما فعل هارون وأن يصعد المنبر من غير تقية وخوف ويقول فاتبعوني وأطيعوا أمري فلما لم يقل كذلك علمنا أن الأمة كانوا على الصواب وقد ثبت أن علياً أحرق الزنادقة الذين قالوا بإلٰهيته لما كانوا على الباطل.

﴿**قالوا**﴾ في جواب هارون ﴿**لن نبرح عليه**﴾ لن نزال على العجل وعبادته ﴿**عاكفين**﴾ مقيمين. قال الراغب: العكوف الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم. قال في «الكبير» رحمته تعالى خلصتهم من آفات فرعون ثم إنهم لجهلهم قابلوه بالتقليد فقالوا: ﴿**لن نبرح عليه عاكفين**﴾ ﴿**حتى يرجع إلينا موسى**﴾ أي: لا نقبل حجتك وإنما نقبل قول موسى. وقال في «الإرشاد»: وجعلوا رجوعه عليه السلام إليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه بل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك أنه عليه السلام لا يرجع بشيء مبين تعويلاً على مقابلة السامري.

ـ روي ـ أنهم لما قالوه اعتزلهم هارون في اثني عشر ألفاً وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا.

وفي «التأويلات النجمية»: لم يسمعوا قول هارون لأنهم عن السمع الحقيقي لمعزولون فلهذا ﴿**قالوا لن نبرح**﴾ الخ وفيه إشارة إلى أن المريد إذا استسعد بخدمة شيخ كامل واصل وصحبه بصدق الإرادة ممتثلاً لأوامره ونواهيه قابلاً لتصرفات الشيخ في إرشاده يصير بنور ولايته سميعاً بصيراً يسمع ويرى من الأسرار والمعاني بنور ولاية الشيخ ما لم يكن يسمع ويرى ثم إن ابتلي بمفارقة صحبة الشيخ قبل أوانه يزول عنه نور الولاية أو يحتجب بحجاب ما ويبقى أصم وأعمى كما كان حتى يرجع إلى صحبة الشيخ ويتنور بنور ولايته.

﴿قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾﴾

﴿**قال**﴾ استئناف بياني كأنه قيل فما قال لهارون حين سمع جوابهم له وهل رضي بسكوته بعدما شاهد منهم ما شاهد فقيل: قال له وهو مغتاظ وقد أخذ بلحيته ورأسه وكان هارون طويل الشعر ﴿**يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا**﴾ أخطأوا طريق عبودية الله بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة إلى أن شافهوك بالمقالة الشنعاء.

﴿**أن لا تتبعن**﴾ لا مزيدة وهو مفعول ثان لمنع وهو عامل في إذ أي: أي شيء منعك

حين رؤيتك لضلالهم من أن تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به وأن تأتي عقبي وتلحقني وتخبرني لأرجع إليهم لئلا يقعوا في هلاك هذه الفتنة أو غير مزيدة على أن منعك مجاز عن دعاك. والمعنى ما دعاك إلى ترك اتباعي وعدمه في شدة الغضب لله ولدينه ونظير لا هذه قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] في الوجهين.

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن موسى لما كان بالميقات مستغرقاً في بحر شواهد الحق ما كان يرى غير الحق ولم يكن محتجباً بحجب الوسائط حتى أن الله تعالى ابتلاه بالوسائط بقوله: ﴿إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري﴾ أضاف الفتنة إلى نفسه وأحال الإضلال إلى السامري اختباراً ليعلم منه أنه هل يرى غير الله مع الله في أفعاله الخير والشر فما التفت إلى الوسائط وما رأى الفعل في مقام الحقيقة على بساط القربة إلا منه وقال في جوابه: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أضاف الفتنة والإضلال إليه تعالى مراعياً حق الحقيقة على قدم الشريعة إلى نور الحقيقة قال: يا هارون ﴿أفعصيت أمري﴾ أي: بالصلابة في الدين والمحاماة عليه كما عصى هؤلاء القوم أمري وأمر الله فإن قوله عليه السلام: ﴿ٱخْلُفْنِى﴾ [الأعراف: ١٤٢] متضمن للأمر بهما حتماً فإن الخلافة لا تتحقق إلا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضراً والهمزة للإنكار التوبيخي والفاء عطف على مقدر يقتضيه المقام أي: أخالفتني فعصيت أمري.

﴿قال يا ابن أم﴾ الأم بإزاء الأب وهي الوالدة القريبة التي ولدته والبعيدة التي ولدت من ولدته ويقال لكل ما كان أصلاً لوجود شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه أم وأصله يا ابن أمي أبدل الياء ألفاً فقيل: يا ابن أما ثم حذف الألف واكتفى بالفتحة لكثرة الاستعمال وطول اللفظ وثقل التضعيف وقرىء يا ابن أم بالكسر بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وخص الأم بالإضافة استعظاماً لحقها وترقيقاً لقلبه واعتداداً لنسبها وإشارة إلى أنهما من بطن واحد وإلا فالجمهور على أنهما لأب وأم. قال بعض الكبار كانت نبوة هارون من حضرة الرحمة كما قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ۝٥٣﴾ [مريم: ٥٣] ولذا ناداه بأمه إذ كانت الرحمة للام أوفر ولذا صيرت على مباشرة التربية.

وفي «التأويلات النجمية»: لما رأى هارون موسى رجع من تلك الحضرة سكران الشوق ملآن الذوق وفيه نخوة القربة والاصطفاء والمكالمة ما وسعه إلا التواضع والخشوع فقال: يا ابن أم ﴿لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ أي: بشعر رأسي وخاطبه بيابن أم لمعنيين أحدهما ليأخذه رأفة صلة الرحم فيسكن غضبه والثاني ليذكره بذكر أمه الحالة التي وقعت له في الميقات حين سأل ربه الرؤية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً وجاء الملائكة في حال تلك الصعقة يجرون برأسه ويقولون يا ابن النساء الحيض ما للتراب ورب الأرباب، قال الحافظ:

برو اين دام برمرغ دكرنه كه عنقارا بلنداست آشيانه

وقال:

عنقا شكاركس نبود دام بازچين كآنجا هميشه بادبد ستشت دام را

- روي - أنه أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وغضبه لله وكان حديداً متصلباً في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ففعل ما فعل بمرأى من قومه أي: بمكان يراه قومه ويرون ما يفعل بأخيه ﴿إني خشيت﴾ لو قاتلت بعضهم ببعض وتفرقوا ﴿أن تقول فرقت بين بني إسرائيل﴾ برأيك وأراد بالتفريق ما يستتبعه القتال من تفريق لا يرجى بعده

الاجتماع. وفي «الجلالين»: خشيت إن فارقتهم واتبعتك أن يصيروا حزبين يقتل بعضهم بعضاً فتقول: أوقعت الفرق فيما بينهم ﴿ولم ترقب قولي﴾ لم تحفظ وصيتي في حسن الخلافة عليهم يريد به قوله: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾ [الأعراف: ١٤٢] فإن الإصلاح ضم النشر وحفظ جماعات الناس والمداراة بهم إلى أن ترجع إليهم وترى فيهم ما ترى فتكون أنت المتدارك للأمر بنفسك المتلافي برأيك لا سيما وقد كانوا في غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرف عنه قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي﴾ [الأعراف: ١٥٠]. وفي «العيون»: أي: لم تنظر في أمري أو لم تنتظر قدومي.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني منعني ترقب قولك وإطاعة أمرك عن اتباعك لا عصيان أمرك انتهى وهذا الكلام من هارون اعتذار والعذر تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه وذلك ثلاثة أضرب أن يقول لم أفعل أو يقول فعلت لأجل كذا فيذكر ما يخرجه عن كونه مذنباً أو يقول فعلت ولا أعود ونحو ذلك وهذا الثالث هو التوبة فكل توبة عذر دون العكس وكان هارون حليماً رفيقاً ولذا كان بنو إسرائيل أشد حباله. وعن علي رضي الله عنه أحسن الكنوز محبة القلوب. قال سقراط: من أحسن خلقه طابت عيشته ودامت سلامته وتأكدت في النفوس محبته ومن ساء خلقه تنكدت عيشته ودامت بغضته ونفرت النفوس منه. قال بزرجمهر ثمرة القناعة الراحة وثمرة التواضع المحبة:

أرى الحلم في بعض المواضع ذلة ... وفي بعضها عزاً يسود فاعله

قال أرسطو بإصابة المنطق يعظم القدر وبالتواضع تكثر المحبة وبالحلم تكثر الأنصار وبالرفق تستخدم القلوب وبالوفاء يدوم الإخاء وكان النبي عليه السلام لم يخرج عن حد اللين والرفق ولذا قال في وصفه بالمؤمنين ﴿رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١١٧] وفي «المثنوي»:

بندكان حق رحيم وبردبار ... خوى حق دارند در اصلاح كار
مهربان بى رشوتان يارى كران ... در مقام سخت ودر روز كران
هين بجو اين قوم را اى مبتلا ... هين غنيمت دارشان پيش از بلا

﴿قال﴾ كأنه قيل فماذا صنع موسى بعد اعتذار القوم واعتذار هارون واستقرار أصل الفتنة على السامري فقيل قال موبخاً له هذا شأنهم ﴿فما خطبك يا سامري﴾ الخطب لغة الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب وهو من تقاليب الخبط. ففيه إشارة إلى عظيم خبطه والمعنى ما شأنك وما مطلوبك فيما فعلت وما الذي حملك عليه، وبالفارسية: [چيست اين كار عظيم ترا اى سامرى يعني اين چيست كه كردى] خاطبه بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالاً للمفتونين به ولمن خلفهم من الأمم. قال بعض الكبار ﴿فما خطبك يا سامري﴾ يعني فيما صنعت من عدولك إلى صورة العجل على الاختصاص وصنعك هذا الشبح من حلي القوم حتى أخذت بقلوبهم من أجل أموالهم فإن عيسى عبد الله يقول لبني إسرائيل يا بني إسرائيل قلب كل إنسان حيث ماله فاجعلوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم هناك أي: تصدقوا وقدموا إلى الآخرة التي هي أبقى وأعلم وما سمي المال مالاً إلا لكونه بالذات تميل القلوب إليه في نيل المقاصد وتحصيل الحوائج، وفي «المثنوي»:

مال دنيا دام مرغان ضعيف ... ملك عقبى دام مرغان شريف
هين مشو كر عارفى مملوك ملك ... مالك الملك آنكه بجهيد اوز هلك

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾

﴿**قال**﴾ السامري مجيباً لموسى عليه السلام ﴿**بصرت بما لم يبصروا به**﴾. قال في «القاموس» بصر به ككرم وفرح بصراً وبصارة وبكسر صار مبصراً. وفي المفردات قلما يقال بصرت في الحاسة إذا لم تضامه رؤية القلب. والمعنى رأيت ما لم يره القوم وقد كان رأى أن جبريل جاء راكب فرس وكان كلما وضع الفرس يديه أو رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات في الحال فعرف أن له شأناً فأخذ من موطئه حفنة. وفي الكبير رآه يوم فلق البحر حين تقدم خيل فرعون راكباً على رمكة ودخل البحر. وفي غيره حين ذهب به إلى الطور. وفي «الجلالين» قال موسى وما ذلك قال رأيت جبرائيل على فرس الحياة فألقى في نفسي أن أقبض من أثرها فما ألقيته على شيء إلا صار له روح ولحم ودم فحين رأيت قومك سألوك أن تجعل لهم إلهاً زينت لي نفسي ذلك فذلك قوله تعالى: ﴿**فقبضت قبضة من أثر الرسول**﴾ أي: من تربة موطىء فرس الملك الذي أرسل إليك والمراد فرس الحياة لجبريل ولم يقل جبريل أو روح القدس لأنه لم يعرف أنه جبريل والقبضة المرة من القبض وهو الأخذ بجميع الكف أطلقت على المقبوض مرة ﴿**فنبذتها**﴾ النبذ القاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به أي: طرحتها في الحلي المذابة أو في فم العجل فكان ما كان. وفي «العرائس»: قبض السامري من أثر فرسه قبضة لأنه سمع من موسى تأثير القدسيين في أشباح الأكوان فنثرها على العجل الذهبي فجعل الحق لها إكسيراً من نور فعله ولذا حيي.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**بصرت**﴾ يعني خصص بكرامة فيما رأيت من أثر فرس جبريل والهمت بأن له شأناً ما خص به أحد منكم ﴿**فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها**﴾ يشير بهذا المعنى إلى أن الكرامة لأهل الكرامة كرامة ولأهل الغرامة فتنة واستدراج. والفرق بين الفريقين أن أهل الكرامة يصرفونها في الحق والحقيقة وأهل الغرامة يصرفونها في الباطل والطبيعة كما أن الله تعالى أنطق السامري بنيته الفاسدة الباطلة بقوله: ﴿**وكذلك سولت لي نفسي**﴾ أي: بشقاوتي ومحنتي والتسويل تزيين النفس لما تحرص عليه وتصوير القبيح منها بصورته الحسن وأصل التركيب سولت لي نفسي تسويلاً كائناً مثل ذلك التسويل على أن يكون مثلي صفة مصدر محذوف وذلك إشارة إلى مصدر الفعل المذكور بعد فقدّم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحة لإفادة تأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة فصار مصدراً مؤكداً لا صفة أي: ذلك التزيين البديع زينت لي نفسي ما فعلته من القبض والنبذ لا تزييناً أدنى ولذلك فعلته وحاصل جوابه أن ما فعله إنما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الأمارة بالسوء وغوائها لا بشيء آخر من البرهان العقلي والإلهام الإلهي. قال الكاشفي: [در لباب آورده كه موسى عليه السلام قصد قتل سامري كرد ازحق سبحانه وتعالى ندا آمد اورا مكش كه صفت سخاوت برو غالبست وچون ازسخاى او خلق را منفعت بود نفع حيات ازوباز نتوان داشت سرّ واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض اينجا ظاهر ميشود]:

هرنها لى كه برك دارد وبر ... باد زاب حيات تازه وتر
وانچه بى ميوه باشد وسايه ... به كه كردد تنوررا مايه

فعند ذلك.

﴿قال﴾ موسى مكافئاً له. قال الكاشفي: [كفت موسى مر سامري راكه چون مرا از قتل تومنع كردند] ﴿فاذهب﴾ أي: من بين الناس ﴿فإن لك في الحياة﴾ أي: ثابت لك مدة حياتك عقوبة ما فعلت ﴿أن تقول لا مساس﴾ قال في «المفردات» المس كاللمس لكن اللمس قد يقال لطلب الشيء وإن لم يوجد والمس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس. وفي «القاموس» قوله تعالى: ﴿لا مساس﴾ بالكسر أي: لا أمس ولا أمسي وكذلك التماس ومنه من قبل أن يتماسا انتهى أي: لا يمسني أحد ولا أمس أحداً خوفاً من أن تأخذكما الحمى.

ـ روي ـ أنه كان إذا ماس أحداً ذكراً أو أنثى حم الماس والممسوس جميعاً حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح بأقصى صوته لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات فصار وحيداً طريداً يهيم في البرية مع الوحش والسباع [ودر بعضى تفاسير هست كه جمعى از اولاد سامري درين زمان كوساله پرست اند همان حال دارند] يعني أن قومه باقية فيهم تلك الحالة إلى اليوم، يقول الفقير: التناسل موقوف على مخالطة الأزواج والأولاد فكيف تقوم هذه الدعوى. قال في «الإرشاد»: لعل السر في مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد فإنه لما أنشأ الفتنة بما كانت ملابسته سبباً لحياة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته للحمى التي هي من أسباب موت الاحياء.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن قصدك ونيتك فيما سولت نفسك أن تكون مطاعاً متبوعاً آلفاً مألوفاً فجزاؤك في الدنيا أن تكون طريداً وحيداً ممقتاً ممقوتاً متشرداً متنفراً تقول لمن رآك لا تمسني ولا أمسك فنهلك:

چون عاقبت زصحبت ياران بريدنست ... پيوند باكسى نكند آنكه عاقلست

وذلك لأن في الانقطاع بعد الاتصال الماً شديداً بخلاف الانقطاع الأصلي ولذا قال من قال:

الفت مكير همچو الف هيچ باكسى ... تابسته الم نشوى وقت انقطاع

﴿وإن لك موعداً﴾ أي: وعداً في الآخرة بالعقاب على الشرك والإفساد ﴿لن تخلفه﴾ أي: لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه البتة بعدما عاقبك في الدنيا والخلف والإخلاف المخالفة في الوعد يقال وعدني فأخلفني أي: خالف في الميعاد ﴿وانظر إلى إلٰهك﴾ معبود بزعمك ﴿الذي ظلت عليه عاكفاً﴾ أصله ظللت فحذفت اللام الأولى تخفيفاً. قال في «المفردات»: ظلت بحذف إحدى اللامين يعبر به عما يفعل بالنهار ويجري مجرى صرت. والمعنى صرت مقيماً على عبادته. وأما بالفارسية: [بودى پيوسته بر پرستش او] ﴿لنحرقنه﴾ جواب قسم محذوف أي: بالنار ويؤيده قراءة ﴿لنحرقنه﴾ من الإحراق وهو إيقاع نار ذات لهب في الشيء بخلاف الحرق فإنه إيقاع حرارة في الشيء من غير لهب كحرق الثوب بالدق. قال الكاشفي: [واين قول كسيست كه كويد آن كاورا كوشت وپوست بود] او بالمبرد، بالفارسية: [سوهان] على أنه مبالغة في حرق إذا برد بالمبرد ويعضده قراءة ﴿لنحرقنه﴾ أي: لنبردنه يقال

بردت الحديد بالمبرد والبرادة ما سقط منه. قال الكاشفي: [واين بران قوليست كه او جسدى بودزرين بى حيات] ﴿ثم لننسفنه في اليم نسفاً﴾ أي: لنذرينه في البحر رماداً أو مبروداً بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر من نسفت الريح التراب إذا أقلعته وأزالته وذرته. والنسف بالفارسية [بر كندن] للنبات من أصله [وبربودن] كما في «التهذيب». والذر [وبباد بر دادن وباد چيزى را بر داشتن]. قال الكاشفي: [پس پرا كنده سازيم خاكستر اورا در دريا تابدانند كه اورا كه توان سوخت صفت الوهيت بروعين جهل ومحض خلافست] ﴿إنما إلهكم﴾ أي: معبودكم المستحق للعبادة ﴿الله الذي لا إله﴾ في الوجود لشيء من الأشياء ﴿إلا هو﴾ وحده من غير أن يشاركه شيء من الأشياء بوجه من الوجوه التي من جملتها أحكام الألوهية. قال في «بحر العلوم» قوله: ﴿الذي لا إله إلا هو﴾ تقرير لاختصاص الإلهية ونحوه قولك القبلة الكعبة التي لا قبلة إلا هي ﴿وسع كل شيء علماً﴾ أي: وسع علمه بكل ما كان وما يكون أي: علم كل شيء وأحاط به بدل من الصلة كأنه قيل إنما الهكم الذي وسع كل شيء علماً لا غيره كائناً ما كان فيدخل فيه العجل دخولاً أولياً. قال الكاشفي: [نه قالب كوساله كه اكرچه زنده نيزباشد مثلست درغباوت ونادانى] روي أن موسى أخذ العجل فذبحه ثم حرقه بالنار ثم ذراه في البحر زيادة عقوبة حيث أبطل سعيه وأظهر غباوة المفتتنين به:

بادست موسوى چه زند سحر سامرى

قال الحافظ:

سحر با معجزه پهلو نزند ايمن باش سامرى كيست كه دست ازيد بيضا ببرد

قال في «التأويلات النجمية» في الآية إشارة إلى عبدة عجل النفس والهوى بأنهم وما يعبدون حصب جهنم منسوفون في بحر القهر نسفاً لا خلاص لهم منه إلى الأبد وفي قوله: ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو﴾ إشارة إلى أن من يعبد إلهاً دونه يحرقه بنار القطيعة وينسفه في بحر القهر إلى أبد الآباد ﴿وسع كل شيء علماً﴾ فعلم استحقاق كل عبد للطف أو للقهر. يقال لما وقع الازدواج بين آدم وحواء والازدواج بين إبليس والدنيا فتولد من الازدواج الأول نوع البشر ومن الثاني الهوى فجميع الأديان الباطلة والأخلاق المذمومة من تأثير ذلك الهوى يقال إن ضرر البدعة والهوى أكثر من ضرر المعصية فإن صاحب المعصية يعلم قبحها فيستغفر فيتوب بخلاف صاحب البدعة والهوى.

اعلم أنهم قالوا لكل فرعون موسى أي: لكل مبطل ومفسد محق ومصلح ألا ترى أن فرعون أفسد الأرض بالكفر والتكذيب والظلم والمعاصي فأصلحها موسى بالإيمان والتصديق والعدل والطاعات ثم إن السامري أراد أن يكدر وجه مرآة الدين بما صنعه بيده العادية فجاء موسى فأزاله وهكذا الحال إلى يوم القيامة والأصل إصلاح القلب وتطهيره عن لوث الأخلاق الرذيلة ومنعه عن العكوف على عبادة الهوى ثم تغيير المنكر عن وجه العالم إن قدر كما فعله الأنبياء وأولو الأمر ومن يليهم فإن الغيرة من الإيمان والله غيور وعبده في غيرته وفي الحديث «إن سعداً لغيور وأنا أغير من سعد والله أغير مني ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»، وفي «المثنوي»:

جمله عالم زان غيور آمدكه حق بردر غيرت برين عالم سبق
غيرت حق بر مثل كندم بودم كاه خر من غيرت مردم بود
أصل غيرتها بدانيد ازاله آن خلقان فرع حق بى اشتباه

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿**كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق**﴾ ذلك إشارة إلى اقتصاص حديث موسى والقص تتبع الأثر والقصص الأخبار المتتبعة. ومن مفعول نقص باعتبار مضمونه. والنبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة وحق الخبر الذي فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي عليه السلام والمعنى مثل ذلك القص البديع الذي سمعت نقص عليك يا محمد بعض الحوادث الماضية الجارية على الأمم السالفة لا قصاً ناقصاً عنه تبصرة لك وتوفيراً لعلمك وتكثيراً لمعجزاتك وتذكيراً للمستبصرين من أمتك. وفيه وعد بتنزيل أمثال ما مر من أخبار القرون الخالية، وبالفارسية: [همچنانچه اين قصه موسى برتو خوانديم مى خوانيم برتو اى محمد از خبرها آنچه بتحقيق كذشته است يعني ازامور ماضيه وقرون سابقة ترا خبر ميدهيم تا معجزه نبوت توبود وتنبيه مستبصران امت تو] ﴿**وقد آتيناك من لدنا**﴾ متعلق بآتينا أي: من عندنا ﴿**ذكراً**﴾ أي: كتاباً شريفاً مطوياً على هذه الأقاصيص والأخبار حقيقاً بالتفكر والاعتبار. وفي «الكبير» في تسميته به وجوه: الأول أنه كتاب فيه ذكر ما يحتاج إليه في أمر دينهم ودنياهم، والثاني: أن يذكر أنواع آلاء الله ونعمائه وفيه التذكير والموعظة، والثالث فيه الذكر والشرف لك ولقومك وقد سمى الله كل كتبه ذكراً فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]. قال بعض الكبار أي: موعظة تتعظ بها وتتأدب بملازمتها فلا يخفى عليك شيء من أسرارنا وما أودعناه أسرار الذين كانوا قبلك من الأنبياء فتكون الأنبياء مكشوفين لك وأنت في ستر الحق.

﴿**من أعرض عنه**﴾ عن ذلك الذكر العظيم الشأن الجامع لوجوه السعادة والنجاة فلم يعتبر ولم يعمل به لإنكاره إياه ومن شرطية أو موصولة وأياً ما كانت فالجملة صفة لذكر ﴿**فإنه**﴾ أي: المعرض عنه ﴿**يحمل يوم القيامة وزراً**﴾ عقوبة ثقيلة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزراً تشبيهاً في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره.

﴿**خالدين فيه**﴾ أي: ماكثين في الوزر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر إلى معنى من لما أن الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع أهلها ﴿**وساء لهم يوم القيامة حملاً**﴾ أي: بئس لهم حملاً وزرهم واللام للبيان كأنه لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فأجيب لهم وإعادة يوم القيامة لزيادة التقرير وتهويل الأمر.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من أعرض عن الذكر الحقيقي الذي به قامت حقيقة الإيمان والإيقان والعرفان فإنه يحمل يوم القيامة حملاً ثقيلاً من الكفر والنفاق والشرك والجهل والعمى وقساوة القلب والرين والختم والأخلاق الذميمة والبعد والحسرة والندامة وخسر حقيقة العبودية ودوام الذكر ومراقبة القلب وصدق التوجه لقبول الفيض الإلهي الذي هو حقيقة الذكر الذي أوله إيمان وأوسطه إيقان وآخره عرفان فالذكر الإيماني يورث الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة بترك المعاصي والاشتغال بالطاعات والذكر الإيقاني يورث ترك الدنيا وزخارفها حلالها وحرامها وطلب الآخرة ودرجاتها منقطعاً إليها والذكر العرفاني يوجب قطع تعلقات الكونين والتبكير إلى سعادة الدارين في بذل الوجود على شواهد المشهود انتهى

فأعلى المراتب في الذكر فناء الذاكر في المذكور فلا يبقى للنفس هناك أثر.

ـ روي ـ أنه كثر الزنى في بغداد وكثر الفسق فقيل للشبلي لولا ذكرك لأحرقنا البلدة فلما سمعه بعض أهل النفس قال: أليس لنا ذكر فقال الشبلي ذكركم بوجود النفس وذكري بالله.

واعلم أن التوحيد أفضل العبادات وذكر الله أقرب القربات وقد وقت الله العبادات كلها كالصلاة والصيام والحج ونحوها بالمواقيت إلا الذكر فإنه أمر به على كل حال قياماً وقعوداً واضطجاعاً وحركة وسكوناً وفي كل زمان ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاء ولما سئل النبي عليه السلام عن جلاء القلب قال: «ذكر الله وتلاوة القرآن والصلاة عليّ»، قال المغربي قدس سره:

اكرچه آينه داری از برای رخش ولی چه سود كه داری هميشه آينه تار

بيا بصيقل توحيد زآينه برداری غبار شرك كه تا پاك كردد از ژنكار

ـ حكي ـ أن موسى عليه السلام قال: إلهي علمني شيئاً أذكرك به فقال الله تعالى قل: لا إله إلا الله فقال موسى يا رب كل عبادك يقول ذلك فقال الله تعالى يا موسى لو أن السموات والأرضين وضعت في كفة ميزان ولا إله إلا الله في أخرى لمالت به تلك الكلمة.

قال الفقير:

كرتو خواهی شوی زحق آكاه دم علی لا اله إلا الله

افضل ذكر باشد اين كلمه يكثر الذكر كل من يهواه

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ بدل من يوم القيامة أو منصوب بإضمار اذكر أي: اذكر لقومك يا محمد يوم ينفخ إسرافيل في القرن الذي التقمه للنفخ **﴿ونحشر المجرمين يومئذٍ﴾** أي: نخرج المتوغلين في الإجرام والآثام المنهمكين فيها وهم الكفرة والمشركون من مقابرهم ونجمعهم يوم إذ ينفخ في الصور وذكره صريحاً مع تعين أن الحشر لا يكون إلا يومئذٍ للتهويل **﴿زرقاً﴾** جمع ازرق والزرقة اسوء ألوان العين وأبغضها إلى العرب فإن الروم الذين كانوا أعدى عدوهم زرق. قال الكاشفي: [در خبراست كه زرقه عين وسواد وجه علامت دوز خيانست]. وقال الإمام في المفرادت قوله تعالى: **﴿يومئذٍ زرقاً﴾** أي: عمياً عيونهم لا نور لها لأن حدقة الأعمى تزرق يعني أن العين إذا زال نورها ازرقت.

﴿يتخافتون بينهم﴾ استئناف لبيان ما يأتون وما يذرون حينئذٍ والتخافت إسرار المنطق وإخفاؤه أي: يقول بعضهم لبعض خفية من غير رفع صوت بسبب امتلاء صدورهم من الخوف والهوان أو استيلاء الضعف **﴿إن لبثتم﴾** لبث بالمكان أقام به ملازماً له أي: أقمتم ومكثتم في الدنيا أو في القبر **﴿إلا عشراً﴾** عشر ليال أو عشر ساعات استقصاراً لمدة لبثهم فيها لزوالها لأن أيام الراحة قليلة والساعات تمر مر السحاب. وفي «الجلالين» يتسارون فيما بينهم ما لبثتم في قبوركم إلا عشر ليال يريدون ما بين النفختين وهو أربعون سنة يرفع العذاب في تلك المدة عن الكفار ويستقصرون تلك المدة إذا عاينوا أهوال القيامة انتهى وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وفي «بحر العلوم» هو ضعيف جداً.

﴿نحن﴾ [ماكه خداونديم] **﴿أعلم بما يقولون﴾** [دانا تريم بآنچه ايشان ميكويند] وهو مدة

لبثهم ﴿**إذ يقول**﴾ [جون كويد] ﴿**أمثلهم طريقة**﴾ اوفرهم رأياً وأوفاهم عقلاً، وبالفارسية: [تمامترين ايشان ازروى عقل]. قال في «المفردات» الأمثل يعبر به عن الأشبه بالأفاضل والأقرب إلى الخير وأماثل القوم كناية عن خيارهم وعلى هذا قوله تعالى: ﴿**إذ يقول أمثلهم طريقة**﴾ انتهى ﴿**إن**﴾ بمعنى النفي أي: ما ﴿**لبثتم إلا يوماً**﴾ ونسبة هذا القول إلى أمثلهم استرجاع منه تعالى له لكن لا لكونه أقرب إلى الصدق بل لكونه أدل على شدة الهول.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه إذا نفخ في الصور وحشر أهل البلاء وأصحاب الجفاء يوم الفزع الأكبر في النفخة الثانية ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧] ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وقد غضب ربنا ذلك اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله يرون من شدة أهوال ذلك اليوم ما يقلل في أعينهم شدة ما أصابهم من العذاب طول مكثهم في القبور فهم يحسبون أنهم ما لبثوا في القبور إلا عشرة أيام ثم قال تعالى: ﴿**نحن أعلم بما يقولون**﴾ من عظم البلاء وبما يقولون: ﴿**إذ يقول أمثلهم طريقة**﴾ أي: أصوبهم رأياً في نيل شدة البلاء ﴿**إن لبثتم إلا يوماً**﴾ وذلك لأنه وجد شدة بلاء ذلك اليوم عشرة أمثال ما وجده انتهى قيل:

ألا إنما الدنيا كظل سحابة أظلتك يوماً ثم عنك اضمحلت
فلا تك فرحاناً بها حين أقبلت ولا تك جزعاناً إذا هي ولت

قال المنصور لما حضرته الوفاة بعنا الآخرة بنومة، قال الشيخ سعدى:

نكه دار فرصت كه عالم دميست دمى پيش دانا به از عالميست
مكن عمر ضايع فبافسوس وحيف كه فرصت عزيزست والوقت سيف

قال السلطان ولد:

بكذار جها نرا كه جهان آن تونيست وين دم كه همى زنى بفرمان تو نيست
كر مال جهان جمع كنى شاد مشو ور تكيه بجان كنى جان آن تونيست

فعلى العاقل أن لا يضيع وقته بالصرف إلى الدنيا وما فيها من الشهوات فإن الوقت نقد نفيس وجوهر لطيف وبازى اشهب لا ينبغي أن يبذل لشيء حقير وأن يصاد به طير لا يسمن ولا يغني من جوع ومن المعلوم أن عيش الدنيا قصير وخطرها يسير وقدرها عند الله صغير إذا كانت لا تعدل عنده جناح بعوضة فمن عظم هذا الجناح كان أصغر منه.

بر مرد هشيار دنيا خسست كه هرمدتى جاى ديكر كسست

قال عيسى عليه السلام من ذا الذي يبني على موج البحر داراً تلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً وقد ثبت أن الدنيا ساعة فاجعلها طاعة وأهل الطاعة تكافىء ساعة من ساعاتهم في الآخرة بألف سنة في الراحة بخلاف أهل المعصية فإن ساعاتهم أيضاً تنبسط ولكن في المحنة وأفضل الطاعات وأحسن الحسنات التوحيد وتقوية اليقين بالعبادات ومتابعة سيد المرسلين وفي الحديث «لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى» قيل يا رسول الله من الذي أبى قال: «من لم يقل لا إله إلا الله فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة» أي: جنة الصورة وجنة المعنى وهي جنة القلب والروح وفيها أزهار الأنوار وثمرات الأسرار وهي أعلى من جنة الصورة إذ كل كمال إنما هو من تأثير المعنى وتجلياته فمن أصلح باطنه صلح ظاهره البتة كالشجرة إذا كان لها عرق فإنها تورق نسأل الله

الاحتراق بنار العشق والمحبة والاستغراق في بحر التوحيد والفوز باللقاء الدائم كما قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾

﴿ويسألونك عن الجبال﴾ السؤال استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة وجوابه على اللسان واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة أو استدعاء مال وما يؤدي إلى مال وجوابه على اليد واللسان خليفة لها إما بوعد أو برد والسؤال للمعرفة قد يكون تارة للاستعلام وتارة للتبكيت وتارة لتعريف المسؤول وتنبيهه لا ليخبر ويعلم فإذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بالجار تقول سألته كذا وسألته عن كذا وبكذا وبعن أكثر كما في هذا المقام وإذا كان لاستدعاء مال فإنه يتعدى بنفسه أو بمن نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] والجبال جمع جبل وهو كل وتد للأرض عظم وطال فإن انفرد فاكمة أو قنة واعتبر معانيه فاستعير واشتق منه بحسبها فقيل فلان جبل لا يتزحزح تصوراً لمعنى الثبات فيه وجبله الله على كذا إشارة إلى ما ركب فيه من الطبع الذي يأبى على الناقل نقله وتصور منه العظم فقيل للجماعة العظيمة جبل كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [يس: ٦٢] أي: جماعة تشبيهاً بالجبل في العظم والجبال في الدنيا ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون جبلاً سوى التلول. والمعنى يسألونك عن ما آل أمرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف وقال يا رسول الله ما يصنع بالجبال يوم القيامة ﴿فقل﴾ الفاء للمسارعة إلى الزام السائلين. قال الكاشفي: [پس بكويى تأخير در جواب ايشان كه بقدرت] ﴿ينسفها ربي نسفاً﴾ يقال نسفت الريح الشيء اقلعته وإزالته ونسف البناء قلعه من أصله والجبال دكها وذراها كما في «القاموس» أي: يقلعها من أصلها ويجعلها كالهباء المنثور. وفي «الإرشاد» يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها وتذروها. وفي الكبير لعل قوماً قالوا إنك تدعي أن الدنيا تفنى فوجب أن تبتدىء بالنقصان حتى تنتهي إلى البطلان لكنا لا نرى فيها نقصاناً ونرى الجبال كما هي وهذه شبهة ذكرها جالينوس في أن السماوات لا تفنى وجواب هذه الشبهة أن بطلان الشيء قد يكون ذبولياً يتقدمه النقصان وقد يكون دفعة فتبين أنه تعالى يزيل تركيبات العالم الجسماني دفعة بقدرته ومشيئته انتهى ومثاله: أن الدنيا مع جبالها وشدادها كالشاب القوي البدن ومن الشبان من يموت فجأة من غير تقدم مرض وذبول:

ديدى آن قهقهه كبك خرامان حافظ كه زسر پنجه شاهين قضا غافل بود

قال في «الأسئلة المقحمة»: قال هنا ﴿ويسألونك عن الجبال فقل﴾ بالفاء وفي موضع آخر ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠] من غير الفاء والجواب لأنهم يسألونه هٰهنا بعد فتقريره إن سألوك عن الجبال فقل نظيره فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فإن كنت في شك فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به بخلاف قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ﴾ لأنه هناك كانوا قد سألوه فأمر بالجواب كقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وغيرها من المواضع انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: وإن سألوك عن أحوال الجبال في ذلك اليوم فقل ينسفها ربي نسفاً يقلعها بتجلي صفة القهارية كما جعل الطور دكاً.

﴿فيذرها﴾ يقال فلان يذر الشيء أي: يقذفه لقلة اعتداده به ولم يستعمل ماضيه أي: وذر والمعنى فيترك مقارها ومراكزها حال كونها ﴿قاعاً﴾ مكاناً خالياً وأصله قوع. قال في «القاموس» القاع أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام انتهى ﴿صفصفاً﴾ مستوياً كأن أجزاءها على صنف واحد من كل جهة.

﴿لا ترى فيها﴾ أي: في مقار الجبال لا بالبصر ولا بالبصيرة استئناف مبين لكيفية القاع الصفصف والخطاب لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية ﴿عوجاً﴾ بكسر العين أي: عوجاً ما كأنه لغاية خفائه من قبيل خافي المعاني وذلك لأن العوج بالكسر يخص المعاني. قال في «المفردات» العوج العطف عن حال الانتصاب والعوج يقال فيما يدرك بالبصر كالخشب المنتصب ونحوه والعوج يقال فيما يدرك بفكر وبصيرة كما يكون في أرض بسيطة وكالدين والمعاش ﴿ولا أمتاً﴾ ارتفاعاً يسيراً. قال الزمخشري الأمت النتوء اليسير. وفي «القاموس» الأمت المكان المرتفع والتلال الصغار والانخفاض والارتفاع. قال في «المناسبات» ﴿ولا أمتا﴾ أي: تفاوتاً بارتفاع وانخفاض. وفي «الجلالين» ﴿عوجاً ولا أمتا﴾ انخفاضاً وارتفاعاً ومثله ما في تفسير الفارسي حيث قال: [عوجا پستى دفرمناره ولا امتا ونه بلندى وپشته].

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾

﴿يومئذٍ﴾ أي: يوم اذ نسفت الجبال على إضافة اليوم إلى وقت النسف وهو ظرف لقوله: ﴿يتبعون﴾ أي: الناس ﴿الداعي﴾ الذي يدعوهم إلى الموقف والمحشر وهو إسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائماً على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام البالية والأوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قوموا إلى عرض الرحمٰن فيقبلون من كل أوب إلى صوبه أي: من كل جانب إلى جهته ﴿لا عوج له﴾ لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه بل يستوي إليه من غير انحراف متبعاً لصوته لأنه ليس في الأرض ما يحوجهم إلى التعويج ولا يمنع الصوت من النفوذ على السواء ﴿وخشعت الأصوات للرحمٰن﴾ خفضت من شدة الفزع وخفتت لهيبته والخشوع الخضوع وهو التواضع والسكون أو هو في الصوت والبصر والخضوع في البدن. وفي «المفردات» الخشوع ضراعة وأكثر ما يستعمل فيما يوجد على الجوارح والضراعة أكثر ما يستعمل فيما يوجد في القلب ولذلك قيل فيما روي إذا ضرع القلب خشعت الجوارح والصوت هواء متموج بتصادم جسمين وهو عام والحرف مخصوص بالإنسان وضعاً ﴿فلا تسمع إلا همساً﴾ صوتاً خفياً ومنه الحروف المهموسة وهمس الأقدام أخفى ما يكون من صوتها. وقال الكاشفي: [پس نشنوى تودران روزمكر آوازى نرم يعنى صوت اقدام ايشان در رفتن محشر]. قال الإمام الغزالي في «الدرة الفاخرة» ينفخ في الصور أي: نفخة أولى فتتطاير الجبال وتتفجر الأنهار بعضها في بعض فيمتلىء عالم الهواء ماء وتنثر الكواكب وتتغير الأرض والسماء ويموت العالمون فتخلو الأرض والسماء ثم يكشف سبحانه عن بيت في سقر فيخرج لهب من النار فيشتعل في البحور فتنشف أي: تسرب ويدع الأرض حمأة سوداء والسموات كأنها عكر الزيت والنحاس المذاب ثم يفتح تعالى خزانة من خزائن العرش فيها بحر الحياة فيمطر به الأرض وهو كمنيّ الرجال فتنبت الأجسام على هيئتها الصبي صبي والشيخ شيخ وما بينهما ثم

يهب من تحت العرش ريح لطيفة فتبرز الأرض ليس فيها جبل ولا عوج ولا أمت ثم يحيي الله تعالى إسرافيل فينفخ من صخرة بيت المقدس فتخرج الأرواح من ثقب في الصور بعددها ويحل كل روح في جسده حتى الوحش والطير فإذا هم بالساهرة أي: بوجه الأرض بعد أن كانوا في بطنها وقيل الساهرة صحراء على شفير جهنم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أرض من فضة بيضاء لم يعص الله عليها منذ خلقها.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿**لا ترى فيها عوجاً**﴾ من نقاياها ﴿**ولا أمتاً**﴾ من زواياها ﴿**يومئذٍ يتبعون الداعي**﴾ أي: الذي دعاهم في الدنيا فأجابوا داعيهم ﴿**لا عوج له**﴾ في دعائهم يعني كل داع من الدعاة يكون مجيباً في جبلته الإنسانية لأنه تعالى هو الداعي والمجيب كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥] فالله تعالى هو الداعي وهو المجيب بالهداية يجيب بلسان المشيئة فافهم جداً ولهذا السر يوجد في كل زمان من متبعي كل داع خلق عظيم ولا يوجد في كل قرن من متبعي داعي الله إلا الشواذ من أهل الله ومن أهل داعي الهوى والدنيا والشيطان والملك والنبي والجنة والقربة يوجد في كل زمان خلق على تفاوت طبقاتهم وقدر مراتبهم وبقوله: ﴿**وخشعت الأصوات للرحمٰن**﴾ يشير إلى أن داعي الله إذا دعا عبداً بالرحمانية خشعت وانقادت وذلت أصوات جميع الدعاة وانقطعت ﴿**فلا تسمع إلا همساً**﴾ أي: إلا وطأ أقدام المدعو ونقلها إلى داعيه انتهى. فعلى العاقل أن يتبع داعي الله الحق فإن ما سواه باطل، وفي «المثنوي»:

ديد روى جز تو شد غل كلو	كل شيء ما سوى الله باطل
باطلند ومينما يندم رشد	زانكه باطل باطلانرا مى كشد
اشتر كورى مهار تومتين	توكشش مى بين مهارت را مبين
كرشدى محسوس جذاب ومهار	پس نماندى اين جهان دار الفرار
كبر ديدى كوپى سپك مى رود	سخره ديو ستنبه مى شود
درپى اوكى شدى مانند حيز	پاى خودرا واكشيدى كبر تيز
كاو كر واقف زقصابان بدى	كى پى ايشان بدان دكان شدى
يابخوردى از كف ايشان سپوس	يابدادى شير شان از چاپلوس
وربخوردى كى علف هضمش شدى	كر ز مقصود علف واقف بدى
توبجد كارى كه بكرفتى بدست	عيش اين دم برتو پوشيده شدست
برتوكر پيدا شدى زان عيب وشين	زان رميدى جانت بعد المشرقين
حال كاخر زان پشيمان مى شوى	كربود اين حالت اول كى دوى

﴿**يومئذٍ**﴾ أي: يوم إذ يقع ما ذكر من الأمور الهائلة ﴿**لا تنفع الشفاعة**﴾ من الشفعاء أحداً. قال الإمام الراغب الشفاعة الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى ومنه الشفاعة في القيامة ﴿**إلا من أذن له الرحمن**﴾ في أن يشفع له والإذن في الشيء إعلام بإجازته والرخصة فيه ﴿**ورضي له قولاً**﴾ أي: ورضي لأجله قول الشافع في شأنه وأما من عداه فلا تكاد تنفعه وإن فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨] فالاستثناء من أعم المفاعيل.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾

﴿يعلم﴾ الله تعالى ﴿ما بين أيديهم﴾ أي: ما تقدمهم من الأحوال ﴿وما خلفهم﴾ وما بعدهم مما يستقبلون والضمير عائد إلى الذين يتبعون الداعي. وقال الكاشفي: [ميداند خداى تعالى آنچه پيش آدميانست ازامور آخرت وآنچه پس ايشانست ازكار دنيا].

وفي «التأويلات النجمية»: يعلم اختلاف أحوالهم من بدء خلقهم واختلاف أحوالهم إلى الأبد ﴿ولا يحيطون به﴾ تعالى ﴿علماً﴾ [يعني: أحاط نمى توانند كرد جميع عالميان بذات خداى تعالى ازجهت دانش] لأنه تعالى قديم وعلم المخلوقين لا يحيط بالقديم. وفيه إشارة إلى العجز عن كنه معرفته.

كجا دريابد اورا عقل چالاك   كه بيرونست از سرحد ادراك
تماشا ميكن اسما وصفاتش   كه آكه نيست كس از كنه ذاتش

قال بعض الكبار ما علمه غيره ولا ذكره سواه فهو عالم والذاكر على الحقيقة وذلك أن الحادث فاني الوجود والقديم باقي الوجود والفاني لا يدرك الباقي إلا بالباقي وإذا أدركه به فلا يبلغ إلى ذرة من كمال الأزلية لأن الإحاطة بوجوده مستحيلة من كل الوجوه صفاتاً وذاتاً وسراً وحقيقة. قال الواسطي: كيف يطلب أن يأخذ طريق الإحاطة وهو لا يحيط بنفسه علماً ولا بالسماء وهو يرى جوهرها. قال الراغب الإحاطة بالشيء هي أن تعلم وجوده وجنسه وكيفيته وغرضه المقصود به إيجاده وما يكون به ومنه وذلك ليس إلا لله تعالى. قال في «أنوار المشارق»: يجوز في طريقة الصوفية أن يطلب ما يقصر العقل عنه ولا يطيقه أي: ما لا يدرك بمجرد العقل ولا يجوز أن يطلب ما يحكم العقل باستحالته فلا يرد ما يقال أنى يحصل للعقول البشرية أن يسلكوا في الذات الإلهية سبيل الطلب والتفتيش وأنى تطيق نور الشمس أبصار الخفافيش.

قال الشيخ محمد پارسافى «فصل الخطاب»: لا يجوز أن يظهر في طور الولاية ما يحكم العقل باستحالته ويجوز أن يظهر فيه ما يقصر العقل عنه ومن لم يفرق بين ما يستحيله العقل وما لا يناله العقل فليس له عقل انتهى.

قال الشيخ عز الدين كنه ذات الحق تعالى وصفاته محجوب عن نظر العقول ونهاية معرفة العارفين هو أن ينكشف لهم استحالة معرفة حقيقة ذات الله لغير الله وإنما اتساع معرفتهم بالله إنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته تعالى فبقدر ما تنكشف لهم معلوماته تعالى وعجائب مقدوراته وبديع آياته في الدنيا والآخرة يكون تفاوتهم في معرفته سبحانه وبقدر التفاوت في المعرفة يكون تفاوتهم في الدرجات الأخروية العالية.

﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾

﴿وعنت الوجوه للحي القيوم﴾ يقال عنوت فيهم عنواً وعناه صرت أسيراً كعنيت وخضعت كما في «القاموس» وإنما قيل عنت دون تعنو إشعاراً بتحقق العنو وثبوته كما في «بحر العلوم». واللام في الوجوه للجنس إشارة إلى الوجوه كلها صالحة وعاصية أو للعهد والمراد بها وجوه العصاة كقوله تعالى: ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك: ٢٧] وعبر عن المكلفين

بالوجوه لأن الخضوع فيها يتبين كما في «الكبير». والمعنى ذلت الوجوه يوم الحشر وخضعت للحي القيوم خضوع العناة أي: الأسارى في يد ملك قهار.

وفي «التأويلات النجمية»: خضعت وتذللت وجوه المكونات لمكونها الحي الذي به حياة كل حي القيوم الذي به قيام كل شيء احتياجاً واضطراراً واستسلاماً. وفي «العرائس»: افهم يا صاحب العلم أنه سبحانه ذكر الوجوه وفي العرف صاحب الوجه من كان وجيهاً من كل ذي وجاهة فالأنبياء والمرسلون والأولياء والمقربون بالحقيقة هم أصحاب الوجوه وكيف أنت بوجوه الحور العين ووجه كل ذي حسن فوجوه الجمهور مع حسنها وجلالها المستفاد من حسن الله وإن كانوا جميعاً مثل يوسف تلاشت وخرت وخضعت عند كشف نقاب وجهه الكريم وظهور جماله وجلاله القديم، قال المولى جامي:

آهنك جمال جاودانى آرم حسنى كه نه جاودان ازان بيزارم

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ «اطلبوا اسم الله الأعظم في هذه السور الثلاث البقرة وآل عمران وطه» قال الراوي والمشترك بينها ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿**وقد خاب من حمل**﴾ منهم ﴿**ظلماً**﴾ خسر من أشرك بالله ولم يتب، يعني: [بى بهره ماند ونوميد كشت] قال الراغب الخيبة فوق المطلب.

﴿**ومن يعمل من الصالحات**﴾ أي: بعض الصالحات فمن مفعول يعمل باعتبار مضمونه ﴿**وهو مؤمن**﴾ فإن الإيمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات ﴿**فلا يخاف ظلماً**﴾ أي: منع ثواب مستحق بموجب الوعد ﴿**ولا هضماً**﴾ ولا كسراً منه ينقص ومنه هضم الطعام. قال الراغب الهضم شدخ ما فيه رخاوة يقال هضمته فانهضم وهضم الدواء الطعام نهكه والهاضوم كل دواء هضم طعاماً ونخل طلعها هضيم أي: داخل بعضها في بعض كأنما شدخ. وقال الكاشفي: [پس نترسد دران روز ازستم وبيدادكه زيادتى سيآتست ونه از كسر وشكست كه نقصان حسناتست يعني نه از حسنات مؤمن چيزى كم كنند ونه سيآت وى افزايند] فعليك بالحسنات والكف عن السيآت فإن كل أحد يجد ثمرة شجرة أعماله ويصل بأعماله إلى كل آماله وأفضل الأعمال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم. قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم: عظني وأوجز قال: نعم يا أمير المؤمنين نزه ربك وعَظِّمه من أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك. قال بعض الكبار من علامة اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بحقوق الواجبات وهذا حال غالب الخلق إلا من عصمه الله ترى الواحد منهم يقوم بالأوراد الكثيرة والنوافل العديدة الثقيلة ولا يقوم بفرض واحد على وجهه وإنما حرموا الوصول بتضييعهم الأصول.

ـ حكي ـ عن أبي محمد المرتعش رحمه الله أنه قال: حججت حجات على قدم التجريد فسألتني أمي ليلة أن أستقي لها جرة فثقل ذلك عليّ فعلمت أن مطاوعة نفسي في الحجات كانت بحظ مشوب للنفس إذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع. ثم إن المرء بمجرد العمل لا يكون إلا عابداً وأما المعارف الإلهية والوصول إلى الدرجات العاليات فيحتاج إلى مرشد كامل ولذا هاجر الكبار من دار إلى دار لتحصيل صحبة المقربين والأبرار، قال الحافظ:

من بسر منزل عنقا نه بخود بردم راه قطع اين مرحله بامرغ سليمان كردم

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾

﴿وكذلك﴾ إشارة إلى إنزال ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من أحوال القيامة وأهوالها أي: مثل ذلك الإنزال ﴿أنزلناه﴾ أي: القرآن كله وإضماره لكونه حاضراً في الأذهان قال في «بحر العلوم» ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر أنزلنا أي: مثل ذلك الإنزال البين أنزلناه حال كونه ﴿قرآناً عربياً﴾ يعني: بلغة العرب ليفهموه ويقفوا على إعجازه وخروجه عن حد كلام البشر.

وفي «التأويلات النجمية»: أي كما أنزلنا الصحائف والكتب إلى آدم وغيره من الأنبياء بألسنتهم ولغاتهم المختلفة كذلك أنزلنا إليك قرآناً عربياً بلغة العرب وحقيقة كلامه التي هي الصفة القائمة بذاته منزهة عن الحروف والأصوات المختلفة المخلوقة وإنما الأصوات والحروف تتعلق باللغات والألسنة المختلفة ﴿وصرفنا فيه من الوعيد﴾ الصرف رد الشيء من حالة إلى حالة أو إبداله بغيره ومثله التصريف إلا في التكثير وأكثر ما يقال في صرف الشيء من حالة إلى حالة ومن أمر إلى أمر وتصريف الرياح هو صرفها من حال إلى حال. والوعيد التهديد بالفارسية [بيم نمودن] والمعنى بينا وكررنا في القرآن بعض الوعيد. قال الكاشفي: [چون ذكر طوفان ورجفه وصيحه وخسف ومسخ] كما قال في «التأويلات النجمية» أي: أوعدنا فيه قومك بأصناف العقوبات التي عاقبنا بها الأمم الماضية وكررنا ذلك عليهم. قال في «الكبير» يدخل تحته بيان الفرائض والمحارم لأن الوعيد بهما يتعلق ﴿لعلهم يتقون﴾ أي: يتقون الكفر والمعاصي بالفعل ﴿أو يحدث لهم ذكراً﴾ أي: يجدد القرآن لهم إيقاظاً واعتباراً بهلاك من قبلهم مؤدياً بالآخرة إلى الاتقاء وإحداث الشيء إيجاده والحدوث كون الشيء بعد أن لم يكن عرضاً كان أو جوهراً ﴿فتعالى الله﴾ تفاعل من العلو وليست مرتبة شريفة إلا والحق تعالى في أعلى الدرجات منها وأرفعها وذلك لأنه مؤثر وواجب لذاته وكل ما سواه أثر وممكن ولا مناسبة بين الواجب والممكن. قال في «الإرشاد» وهو استعظام له تعالى ولشؤونه التي يصرف عليها عباده من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك أي: ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وأفعاله وأحواله ﴿الملك﴾ السلطان النافذ أمره ونهيه الحقيق بأن يرجى وعده ويخشى وعيده ﴿الحق﴾ في ملكوته وألوهيته الحقيقي بالملك لذاته ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك﴾ يؤدى ويتم ويفرغ قال تعالى: ﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١] أي: فرغ أجلهم ومدتهم المضروبة ﴿وحيه﴾ إلقاؤه وقراءته كان عليه السلام إذا ألقى إليه جبريل الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهى عن ذلك إذ ربما يشغله التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها. والمعنى لا تعجل بقراءة القرآن خوف النسيان والانفلات قبل أن يستتم جبريل قراءته ويفرغ من الإبلاغ والتلقين فإذا بلغ فاقرأه.

وفي «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى سكوته عند قراءة القرآن واستماعه والتدبر في معانيه وأسراره للتنور بأنواره وكشف حقائقه ولهذا قال: ﴿وقل﴾ أي: في نفسك ﴿رب﴾ [اى پروردكار من] ﴿زدني﴾ [بيفزاي مرا] ﴿علماً﴾ أي: فهماً لإدراك حقائقه فإنها غير متناهية وتنوراً

بأنواره وتخلقاً بخلقه. وقال بعضهم علماً بالقرآن فكان كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد به علماً. وقال محمد بن الفضل علماً بنفسي وما تضمره من الشرور والمكر والغدر لأقوم بمعونتك في مداواة كل شيء منها بدوائه. وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا قرأها قال: اللهم زدني إيماناً ويقيناً بك وهو أجل التفاسير وأدقها لأنه علق الإيمان واليقين به تعالى دون غيره وهو أصعب الأمور كذا سمعت من شيخي وسندي قدس الله سره. قيل: ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم. قال الكاشفي: [در لطائف قشيري رحمه الله مذكوراست كه حضرت موسى عليه السلام زيادة علم طلبيد اورا حواله بخضر كردند وبى طلب پيغمبر مارا ﷺ دعاى زيادتي علم بياموخت وحواله بغير خود نكرد تا معلوم شودكه آنكه درمكتب ادب. «أدبني ربي» سبق ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] خوانده باشد هر آيينه دردرسكاه «علمك ما لم تكن تعلم» نكته «فعلمت علم الأولين والآخرين» بكوش هوش مستفيدان حقائق اشيا تواند رسانيد.

علمهاى انبياء واولياء دردلش رخشنده چون شمس الضحى
عالمى كاموز كارش حق بود علم اوبس كامل مطلق بود]

قال إبراهيم الهروي كنت بمجلس أبي يزيد البسطامي قدس سره فقال بعضهم إن فلاناً أخذ العلم من فلان قال أبو يزيد المساكين أخذوا العلوم من الموتى ونحن أخذنا العلم من حي لا يموت. قال أبو بكر الكتاني قال لي الخضر عليه السلام كنت بمسجد صنعاء وكان الناس يستمعون الحديث من عبد الرزاق وفي زاوية المسجد شاب في المراقبة فقلت له لم لا تسمع كلام عبد الرزاق؟ قال: أنا أسمع كلام الرزاق وأنت تدعوني إلى عبد الرزاق فقلت له: إن كنت صادقاً فأخبرني من أنا فقال لي: أنت الخضر. وفي الآية بيان لشرف العلم. قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر العلم نور من أنوار الله تعالى يقذفه في قلب من أراده من عباده وهو معنى قائم بنفس العبد يطلعه على حقائق الأشياء وهو للبصيرة كنور الشمس للبصر مثلاً بل أتم وفي الخبر: قيل يا رسول الله أي: الأعمال أفضل؟ قال: «العلم بالله» قيل الأعمال نريد قال: «العلم بالله» فقيل: نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال عليه السلام: «إن قليل العمل ينفع مع العلم وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل» والمعتبر هو العلم النافع ولذلك قال عليه السلام: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع» والعلم بالله لا يتيسر إلا بتصفية الباطن فتصفية القلب عما سوى الله تعالى من أعظم القربات وأفضل الطاعات ولذلك كان مطمح نظر الأكابر في إصلاح القلوب والسرائر، قال الحافظ:

پاك وصافى شو وازچاه طبيعت بدر آى كه صفايى ندهد آب تراب آلوده

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾

﴿**ولقد عهدنا إلى آدم**﴾ يقال: عهد فلان إلى فلان بعهد أي: ألقى العهد إليه وأوصاه بحفظه والعهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال وسمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً وعهد الله تارة يكون بما ركزه في عقولنا وتارة يكون بما أمرنا به بكتابه وبألسنة رسله وتارة بما نلتزمه وليس بلازم في أصل الشرع كالنذور وما يجري مجراها وآدم أبو البشر عليه السلام قيل سمي بذلك لكون جسده من أديم الأرض وقيل لسمرة في لونه يقال رجل آدم نحو أسمر وقيل

سمي بذلك لكونه من عناصر مختلفة وقوى مفترقة يقال جعلت فلاناً أدمة أهلي أي: خلطته بهم وقيل سمي بذلك لما طيب به من الروح المنفوخ فيه وجعل له من العقل والفهم والرؤية التي فضل بها على غيره وذلك من قولهم الإدام وهو ما يطيب به الطعام وقيل أعجمي وهو الأظهر والمعنى وبالله لقد أمرناه ووصيناه بأن لا يأكل من الشجرة وهي المعهودة ويأتي بيانه بعد هذه الآية **﴿من قبل﴾** من قبل هذا الزمان **﴿فنسي﴾** العهد ولم يهتم به حتى غفل عنه والنسيان بمعنى عدم الذكر أو تركه ترك المنسي عنه. قال الراغب النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه وإما عن غفلة أو عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره وكل نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى به فهو ما كان أصله عن تعمد وما عذر فيه نحو ما روي «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» فهو ما لم يكن سببه منه **﴿ولم نجد له عزماً﴾** إن كان من الوجود العلمي فله وعزماً مفعولاه وقدم الثاني على الأول لكونه ظرفاً وإن كان من الوجود المقابل للعدم وهو الأنسب لأن مصب الفائدة هو المفعول وليس في الأخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به والعزم في اللغة توطين النفس على الفعل وعقد القلب على إمضاء الأمر. والمعنى لم نعلم أو لم نصادف له تصميم رأي وثبات قدم في الأمور ومحافظة على ما أمر به وعزيمة على القيام به إذ لو كان كذلك لما أزله الشيطان ولما استطاع تغريره وقد كان ذلك منه عليه السلام في بدء أمره من قبل أن يجرب الأمور ويتولى حارها وقارها ويذوق شريها وأريها لا من نقصان عقله فإنه أرجح الناس عقلاً كما قال عليه السلام: «لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه» وقد قال الله تعالى: **﴿ولم نجد له عزماً﴾** ومعنى هذا أن آدم مع ذلك أثر فيه وسوسته فكيف في غيره، قال الحافظ:

دام سختست مكر لطف خدا يا رشود ورنه آدم نبرد صرفه ز شيطان رجيم

قيل: لم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعاً عن الإنسان فكان مؤاخذاً به وإنما رفع عنا.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل﴾** أي: من قبل أن يكون أولاً وأن لا يتعلق بغيرنا ولا ينقاد لسوانا فلما دخل الجنة ونظر إلى نعيمها **﴿فنسي﴾** عهدنا وتعلق بالشجرة وانقاد للشيطان **﴿ولم نجد له عزماً﴾** يشير إلى أن الله تعالى لما خلق آدم وتجلى فيه بجميع صفاته صارت ظلمات صفات خليقته مغلوبة مستورة بسطوات تجلي أنوار صفات الربوبية ولم يبق فيه عزم التعلق بما سواه والانقياد لغيره فلما تحركت فيه دواعي البشرية الحيوانية وتداعت الشهوات النفسانية الإنسانية واشتغل باستيفاء الحظوظ نسي أداء الحقوق ولهذا سمي الناس ناساً لأنه ناس فنشأت له من تلك العاملات ظلمات بعضها فوق بعض وتراكمت حتى صارت غيوم شموس المعارف وأستار أقمار العوارف فنسي عهود الله ومواثيقه وتعلق بالشجرة المنهي عنها. قال العلامة: يا انيسان عادتك النسيان أذكر الناس ناسٍ وأرق القلوب قاسٍ. قال أبو الفتح البستي في الاعتذار من النسيان إلى بعض الرؤساء:

يا أكثر الناس إحساناً إلى الناس يا أحسن الخلق إعراضاً عن الباس

نسيت وعدك والنسيان مغتفر فاغفر فأول ناس أول الناس

قال علي رضي الله عنه: عشرة يورثن النسيان: كثرة الهم، والحجامة في النقرة، والبول في الماء الراكد، وأكل التفاح الحامض، وأكل الكزبرة، وأكل سؤر الفار، وقراءة ألواح القبور،

والنظر إلى المصلوب، والمشي بين الجملين المقطورين، وإلقاء القملة حية كما في «روضة الخطيب» لكن في قاضي خان لا بأس بطرح القملة حية والأدب أن يقتلها. وزاد في المقاصد الحسنة مضغ العلك أي: للرجال إذا لم يكن من علة كالبخر ولا يكره للمرأة إن لم تكن صائمة لقيامه مقام السواك في حقهن لأن سنها أضعف من سن الرجال كسائر أعضائها فيخاف من السواك سقوط سنها وهو ينقي الأسنان وتشد اللثة كالسواك.

واعلم أن من أشد أسباب النسيان العصيان فنسأل الله العصمة والحفظ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾

﴿وإذ قلنا﴾ أي: واذكر يا محمد وقت قولنا ﴿للملائكة﴾ أي: لمن في الأرض والسماء منهم عموماً كما سبق تحقيقه ﴿اسجدوا لآدم﴾ سجود تحية وتكريم. وقال البيضاوي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك أنه نسي ولم يكن من أولي العزيمة والثبات انتهى. وفيه إشارة إلى استحقاقه لسجودهم لمعان جمة: منها لأنه خلق لأمر عظيم هو الخلافة فاستحق لسجودهم، ومنها لأن الله تعالى جعله مجمع مجرى عالمي الخلق والأمر والملك والملكوت والدنيا والآخرة فما خلق شيئاً في عالم الخلق والدنيا إلا وقد جعل في قالبه أنموذجاً منه وما خلق شيئاً في عالم الأمر والآخرة إلا وقد أودع في روحه حقائقه وأما الملائكة فقد خلقت من عالم الأمر والملكوت دون عالم الخلق والملك فبهذه النسبة اختص آدم بالكمال وما دونه بالنقصان فاستحق السجود والكمال، ومنها لأنه خلق روحه في أحسن تقويم من بين سائر الأرواح من الأرواح الملكية وغيرها وخلقت صورته في أحسن صورة على صورة الرحمٰن والملائكة وإن خلقت في حسن ملكي روحاني لم يخلقوا في حسن صورته فله الأفضلية في كلا الحالين فاستحق لسجودهم بالأفضلية، ومنها لأنه شرف في تسوية قالبه بتشريف خمر طينة آدم بيده أربعين صباحاً وباختصاص لما خلقت بيدي وأكرم في تعلق روحه بالقالب بكرامة ونفخت فيه من روحي فألزمهم سجود الكرامة بقوله ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] وأثبت له استحقاق سجودهم بقوله: «يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي» ومنها لأنه اختص بعلم الأسماء كلها وأنهم قد احتاجوا في أنباء أسمائهم كما قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فوجب عليهم أداء حقوقه بالسجود، ومنها: لأنه لما خلقه الله تعالى تجلى فيه بجميع صفاته فأسجد الله تعالى ملائكته إياه تعظيماً وتكريماً وإعزازاً وإجلالاً فإنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فسجدوا إلا إبليس أبى أن يسجد وذلك لأن الله تعالى لما قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة إلي ونقدس لك كان هذا الكلام منهم نوع اعتراض على الله وجنس غيبة لآدم وإظهار فضيلة لأنفسهم عليه فأجابهم الله بقوله إني أعلم ما لا تعلمون أي: إني أودعت فيه من علم الأسماء واستعداد الخلافة ما لا تعرفون به فله الفضيلة عليكم فاسجدوا له كفارة لاعتراضكم واستغفاراً لغيبته وتواضعاً لأنفسكم فأقر الملائكة واعترفوا بما جرى عليهم من الخطأ وتابوا واستسلموا لأحكام الله تعالى فسجدوا لآدم وأما إبليس فقد أصر على ذنب الاعتراض والغيبة والعجب بنفسه ولم يستسلم لأحكام الله وزاد في الاعتراض والغيبة والعجب فقال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وأبى أن يسجد كذا في «التأويلات» ﴿فسجدوا﴾ تعظيماً لأمر ربهم

وامتثالاً له ﴿إلا إبليس﴾ فإنه لم يسجد ولم يطرح أردية الكبر ولم يخفض جناحه، وفي «المثنوي»:

آنكه آدم را بدن ديد اورميد وانكه نور مؤتمن ديد او حميد

يقال: أبلس يئس وتحير ومنه إبليس أو هو أعجمي كما في «القاموس» كأنه قيل ما باله لم يسجد فقيل: ﴿أبى﴾ السجود وامتنع منه. قال في «المفردات»: الإباء شدة الامتناع فكل إباء امتناع وليس كل امتناع إباء.

﴿فقلنا﴾ عقيب ذلك اعتناء بنصحه ﴿يا آدم إن هذا﴾ الحقير الذي رأيت ما فعل ﴿عدو لك ولزوجك﴾ حواء والزوج اسم للفرد بشرط أن يكون معه آخر من جنسه ذكراً كان أو أنثى. ولعداوته وجوه:

الأول: أنه كان حسوداً فلما رأى نعم الله على آدم حسده فصار عدواً له. وفيه إشارة إلى أن كل من حسد أحداً يكون عدواً له ويريد هلاكه ويسعى في إفساد حاله.

والثاني أنه كان شاباً عالماً وإبليس شيخاً جاهلاً لأنه أثبت فضيلته بفضيلة أصله وأنه جهل والشيخ الجاهل يكون أبداً عدو الشاب العالم:

زد شيخ شهر طعنه بر اسرار اهل دل المرء لا يزال عدواً لما جهل

والثالث أنه مخلوق من النار وآدم من الماء والتراب وبين أصليهما عداوة فبقيت العداوة فيهما ﴿فلا يخرجنكما من الجنة﴾ أي: لا يكونن سبباً لإخراجكما منها فهو من قبيل إسناد الفعل إلى السبب وإلا فالمخرج حقيقة هو الله تعالى وظاهره وإن كان نهي إبليس عن الإخراج إلا أن المراد نهيهما من أن يكونا بحيث يتسبب الشيطان في إخراجهما منها بالطريق البرهاني ﴿فتشقى﴾ جواب للنهي وإسناد الشقاء إليه لرعاية الفواصل ولأصالته. قال في المفردات الشقاوة خلاف السعادة وكما أن السعادة ضربان سعادة دنيوية وسعادة أخروية ثم السعادة الدنيوية ثلاثة أضرب: سعادة نفسية، وبدنية، وخارجية، كذلك الشقاوة على هذه الأضرب وفي الشقاوة الأخروية قال تعالى: ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ وفي الدنيوية ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ انتهى وقد يوضع الشقاء موضع التعب نحو شقيت في كذا كما قال في «القاموس» الشقا الشدة والعسر ويمد انتهى. فالمعنى لا تباشر أسباب الخروج فيحصل الشقاء وهو الكد والتعب الدنيوي مثل الحرث والزرع والحصد والطحن والعجن والخبز ونحو ذلك مما لا يخلو الناس عنه في أمر تعيشهم ويؤيده ما بعد الآية. قال الكاشفي: [فتشقى كه تودر رنج افتى يعنى چون از بهشت بيرون روى بكديمين وعرق جبين اسباب معاش مهيا بايدكرد]. عن سعيد بن جبير أهبط إلى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فذلك شقاوة.

يقول الفقير: الظاهر أن الشيطان بسبب عداوته لا يخلو عن تحريض فعل يكون سبباً للخروج فالشقاوة في الحقيقة متفرعة على مباشرة أمر منهي عنه فافهم.

وفي «التأويلات النجمية»: هي شقاوة البعد عن الحضرة إن لم يرجع إلى مقام قربه من جوار الحق بالتوبة والاستغفار. وفيه إشارة إلى أن العصيان وامتثال الشيطان موجب للإخراج من جنة القلب والهبوط إلى أرض البشرية بعد الصعود عنها والعبور عليها.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿**إن لك أن لا تجوع فيها**﴾ لك خبر إنّ وأن لا تجوع في محلّ النصب على الاسمية أي: قلنا إن حالك ما دمت في الجنة عدم الجوع إذ النعم كلها حاضرة فيها ﴿**ولا تعرى**﴾ من الثياب لأن الملبوسات كلها موجودة في الجنة والعرى الجلد عما يستره.

﴿**وأنك لا تظمأ فيها**﴾ أي: لا تعطش لأن العيون والأنهار جارية على الدوام. قال الراغب: الظمىء ما بين الشربتين والظمأ العطش الذي يعرض من ذلك ﴿**ولا تضحى**﴾ أي: لا يصيبك حر الشمس في الجنة إذ لا شمس فيها وأهلها في ظل ممدود يقال ضحى الرجل للشمس بكسر الحاء إذا برز وتعرض لها وأن بالفتح مع ما في حيزها عطف على أن لا تجوع وفصل الظمأ دفعاً لتوهم أن نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحو.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الجنة وإن كانت باقية وهي جوار الحق لكنها مرتعة من مراتع النفس البهيمية الحيوانية ولها فيها تمتع من المأكولات والمشروبات والملبوسات والمنكوحات كما كان لها في المراتع الدنيوية الفانية انتهى.

﴿**فوسوس إليه الشيطان**﴾ أي: أنهى إلى آدم وسوسته وأبلغ فتعديته بإلى باعتبار تضمينه معنى الإنهاء والإبلاغ وإذا قيل وسوس له فمعناه لأجله والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي لأصواتها وهو فعل لازم. قال الكاشفي: [پس وسوسه كرد بسوى آدم شيطان پس آزانكه ببهشت درآمد وحوارا ديد وازمرك بترسانيد وحوا با آدم بازكفت وآدم ازمرك ترسان شده بابليس كه بصورت بيرى برايشان ظاهر شده بودبدو رجوع كرده بود بطريق تضرع ازوى علاج مرك طلبيد] ﴿**قال**﴾ إما بدل من وسوس أو استئناف كأنه قيل فماذا قال في وسوسته فقيل قال: ﴿**يا آدم**﴾ [علاج اين مرض خوردن ميوه شجره خلداست] ﴿**هل أدلك**﴾ [آيادلالت كنم ترا] ﴿**على شجرة الخلد**﴾ أي: شجرة من أكل منها خلد ولم يمت أصلاً سواء كان على حاله أو بأن يكون ملكاً فأضافها إلى الخلد وهو الخلود لأنها سببه بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لأنها سببها. قال الراغب الخلود تبري الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها والخلود في الجنة بقاء الأشياء على الحالة التي هي عليها من غير اعتراض الكون والفساد عليها ﴿**وملك لا يبلى**﴾ أي: لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه، وبالفارسية: [كهنه نشود آدم كفت دلالت كن مرابا آن ابليس راهنمون شد آدم وحوارا بشجره منهيه].

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾

﴿**فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما**﴾ يقال بدا الشيء بدواً وبدوّا ظهر ظهوراً بيناً وكنى عن الفرج بالسوءة لأنه يسوء الإنسان انكشافه أي: يغمه ويحزنه. قال الكاشفي: [يعني لباس جنت ازايشان بريخت وبرهنه شدند]. قال ابن عباس: إنهما عريا عن النور الذي كان الله البسهما إياه حتى بدت فروجهما. وقيل: كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع. وقيل: كان لباسهما الخلة. وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «إن أباكم آدم كان رجلاً طويلاً كالنخلة السحوق كثير الشعر مواري العورة

فلما واقع الخطيئة بدت سوءته فانطلق في الجنة هارباً فمر بشجرة فأخذت بناصيته فأجلسته فناداه ربه أفراراً مني يا آدم؟ قال: لا يا رب ولكن حياء منك». قال الحصيري: بدت لهما ولم تبد لغيرهما لئلا يعلم الأغيار من مكافأة الجناية ما علما ولو بدت للأغيار لقال بدت منهما ﴿وطفقا﴾ شرعاً يقال طفق يفعل كذا أي: أخذ وشرع ويستعمل في الإيجاب دون النفي لا يقال ما طفق ﴿يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ في «القاموس» خصف النعل يخصفها خرزها والورق على بدنه ألزقها وأطبقها عليه ورقة ورقة أي: يلزقان الورق على سوءاتهما للتستر وهو ورق التين قيل كان مدوراً فصار على هذا الشكل من تحت أصابعهما ﴿وعصى آدم ربه﴾ بأكل الشجرة، يعني: [خلاف كرد آدم امر پروردكار خودرا درخوردن درخت] يقال عصى عصياناً إذا خرج عن الطاعة وأصله أن يتمنع بعصاه كما في المفردات ﴿فغوى﴾ ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود أو عن المأمور به وهو التباعد عن الشجرة في ضمن ولا تقربا هذه الشجرة أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو لأن الغي خلاف الرشد.

واعلم أن المعصية فعل محرم وقع عن قصد إليه والزلة ليست بمعصية ممن صدرت عنه لأنها اسم لفعل حرام غير مقصود في نفسه للفاعل ولكن وقع عن فعل مباح قصده فإطلاق اسم المعصية على الزلة في هذه الآية مجاز لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الكبائر والصغائر لا من الزلات عندنا وعند بعض الأشعرية لم يعصموا من الصغائر وذكر في «عصمة الأنبياء» ليس معنى الزلة أنهم زلوا عن الحق إلى الباطل ولكن معناها أنهم زلوا عن الأفضل إلى الفاضل وأنهم يعاتبون به لجلال قدرهم ومكانتهم من الله تعالى. قال ابن الشيخ في «حواشيه» العصيان ترك الأمر وارتكاب المنهي عنه وهو إن كان عمداً يسمى ذنباً وإن كان خطأ يسمى زلة والآية دالة على أنه عليه السلام صدرت عنه المعصية والمصنف سماها زلة حيث قال وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم الزلة وزجر بليغ لأولاده عنها انتهى بناء على أنه إنما ترك الانتهاء عن أكل الشجرة اجتهاداً لا بأن تعمد المعصية ووجه الاجتهاد أنه عليه السلام حمل النهي على التنزيه دون التحريم وحمل قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥، الأعراف: ١٩] على شجرة بعينها دون جنسها ومع ذلك الظاهر أن هذه الواقعة إنما كانت قبل نبوته. وفي «الأسئلة المقحمة»: فإن قيل فإذا كان هذا خطأ في الاجتهاد ومن اجتهد فأخطأ لا يؤخذ به فكيف آخذ آدم بذلك قلنا لم يكن هذا موضع الاجتهاد إذا كان الوحي يتواتر عليه نزوله فكان تفريطه لو اجتهد في غير الاجتهاد. فإن قيل فهل أوحي إليه ليعلم ذلك؟ قلنا: انقطع عنه الوحي ليقضي الله تعالى ما أراده كما انقطع عن الرسول عليه السلام ثمانية عشر يوماً وقت إفك عائشة رضي الله عنها ليقضي الله تعالى ما أراده. وفي «الكبير» فإن قيل دل هذا على الكبيرة لأن العاصي اسم ذم فلا يليق إلا بصاحب الكبيرة ولأن الغواية ترادف الضلالة وتضاد الرشد ومثله لا يتناول إلا المنهمك في الفسق وأجيب بأن المعصية خلاف الأمر والأمر قد يكون بالمندوب ويقال أمرته بشرب الدواء فعصاني فلم يبعد إطلاقه على آدم لا لأنه ترك الواجب بل لأنه ترك المندوب. وفيه أيضاً ليس لأحد أن يقول كان آدم عاصياً غاوياً لوجوه:

الأول قال العتبي: يقال للرجل قطع ثوباً وخاطه قد قطعه وخاطه ولا يقال خائط وخياط إلا إذا عاود الفعل فكان معروفاً به والزلة لم تصدر من آدم إلا مرة فلا تطلق عليه.

والثاني: أن الزلة إن وقعت قبل النبوة لم يجز بعد أن شرف الله تعالى بالرسالة إطلاقها

عليها وإن كانت بعد النبوة فكذلك بعد أن تاب كما لا يقال للمسلم التائب إنه كافر أو زان أو شارب خمر اعتباراً بما قبل إسلامه وتوبته.

والثالث: أن قولنا عاص وغاو يوهم عصيانه في الأكثر وغوايته عن معرفة الله والمراد في القصة ليس ذلك فلا يطلق دفعاً للوهم الفاسد.

والرابع: يجوز من الله ما لا يجوز من غيره كما يجوز للسيد في ولده وعبده عند المعصية قول ما لا يجوز لغيره. قال الحسن: والله ما عصى إلا بنسيان. قال جعفر طالع الجنان ونعيمها فنودي عليه إلى يوم القيامة وعصى آدم ولو طالعها بقلبه لنودي عليه بالهجران إلى أبد الآباد.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وعصى آدم ربه﴾ بصرف محبته في طلب شهوات نفسه ﴿فغوى﴾ بصرف الفناء في الله في طلب الخلود وملك البقاء في الجنة انتهى، وفي «المثنوي»:

جيست توحيد خدا آموختن   خويشتن را پيش واحد سوختن
كرهمي خواهي كه بفروزى چوروز   هستىء همچون شب خودرا بسوز
هستيت درهست آن هستى نواز   همچومس دركيميا اندر كداز

سئل ابن عطاء عن قصة آدم أن الله تعالى نادى عليه بمعصية واحدة وستر على كثير من ذريته فقال: إن معصية آدم كانت على بساط القربة في جواره ومعصية ذريته في دار المحنة فزلته أكبر وأعظم من زلتهم.

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿ثم اجتباه ربه﴾ اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه أي: جمعه ﴿فتاب عليه﴾ أي: قبل توبته حين تاب هو وزوجته قائلين ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] ﴿وهدى﴾ أي: إلى الثبات على التوبة والتمسك بأسباب العصمة. وفيه إشارة إلى أنه لو وكل إلى نفسه وغريزته التي جبل عليها ما كانت التوبة من شأنه ولا الرجوع إلى الله من برهانه ولكنّ الله بفضله وكرمه اجتباه وبجذبة العناية رفاه وإلى حضرة الربوبية هداه وفي الحديث «لو جمع بكاء أهل الدنيا إلى بكاء داود لكان بكاؤه أكثر ولو جمع ذلك إلى بكاء نوح لكان أكثر» وإنما سمي نوحاً لنوحه على نفسه «ولو جمع ذلك كله إلى بكاء آدم على خطيئته لكان أكثر»، وفي «المثنوي»:

خاك غم را سرمه سازم بهر چشم   تاز كوهر پرشود دوبحر چشم
اشك كان ازبهر او بارند خلق   كوهرست واشك پندارند خلق
توكه يوسف نيستى يعقوب باش   همچو اوبا كريه وآشوب باش
پيش يوسف نازش وخوبى مكن   جز نياز وآه يعقوبى مكن
آخر هركريه آخر خنده ايست   مرد آخر بين مبارك بنده ايست

قال وهب لما كثر بكاؤه أمره الله بأن يقول: «لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين» فقالها ثم قال: «قل سبحانك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني وأنت خير الراحمين» ثم قال: «قل سبحانك لا إله إلا

أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب» قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اعترف آدم بالخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد أن تغفر لي فقال الله: يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا اسم أحب الخلق إليك فقال الله تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ فغفرت لك ولولا محمد ما خلقتك» رواه البيهقي في «دلائله» قال بعض الكبار إنه من لطفه وكرمه عاقب آدم في الدنيا بالمجاهدات الكثيرة بما جرى عليه من المعصية ويعاقب الجمهور في الآخرة بما جرى عليهم من المعصية في الدنيا وفي هذا خاصية له لأن عقوبة الدنيا أهون وقال مثل الشيطان مثل حية تمشي على وجه الأرض إلى رأس كنز وخلفها إنسان ليقتلها فلما ضربها وجد تحت ضربه كنزاً فصار الكنز له وصارت الحية مقتولة وبلغ إلى الأمرين العظيمين البلوغ إلى المأمول والفلاح من العدو فكذا شأن آدم مع الملعون دله على كنز من كنوز الربوبية غرضه العداوة والضلالة فوصل آدم إلى الاجتبائية الأبدية بعد الاصطفائية الأزلية وبلغ الملعون إلى اللعنة الأزلية الأبدية. قال ابن عطاء: اسم العصيان مذموم إلا أن الاجتباء والاصطفاء منعا أن يلحق آدم اسم المذمة. قال الواسطي العصيان لا يؤثر في الاجتبائية وفي الحديث: «احتج آدم وموسى» احتجاجاً روحانياً أو جسمانياً بأن أحياهما واجتمعا كما ثبت في حديث الإسراء أنه عليه السلام اجتمع مع الأنبياء وصلى بهم «فقال موسى يا آدم أنت أبونا الذي خيبتنا» أي: كنت سبباً لخيبتنا عن سكون الجنة من أول الأمر «وأخرجتنا من الجنة بخطيئتك التي خرجت بها منها» قال الحافظ:

من ملك بودم وفردوس برين جايم بود آدم آورد درين دير خراب آبادم

«فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه» أي: جعلك كليمه «وخط لك التوراة بيده أتلومني» همزة الاستفهام فيه للإنكار «على أمر قدره الله عليّ» أي: كتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقني بأربعين سنة المراد منه التكثير لا التحديد. فإن قيل العاصي منا لو قال هذه معصية قدرها الله عليّ لم يسقط عنه اللوم فكيف أنكر آدم بهذا القول على كونه ملوماً. قلنا: أنكر اللوم من العبد بعد عفو الله عن ذنبه ولهذا قال أتلومني ولم يقل أألام على بناء المجهول أو تقول اللوم على المعاصي في دار التكليف كان للزجر وفي غيرها لا يفيد فيسقط «فحج آدم موسى فحج آدم موسى» كرره للتأكيد يعني غلب بالحجة على موسى لأنه أحال ذلك على علم الله ونبه عليه بأنه غفل عن القدر السابق الذي هو الأصل وقصر النظر على السبب اللاحق الذي هو الفرع وزاد في بعض الروايات «قال آدم بكم وجدت الله كتب لك التوراة قبل أن أخلق قال موسى أربعين عاماً قال آدم فهل وجدت فيها وعصى رسول الله عليه السلام فحج آدم موسى» قال الحافظ:

عيب رندان مكن اى زاهدپا كيزه سرشت كه كناه دكران بر تو نخواهند نوشت
من اكرنيكم وكر بدتو برو خودرا باش هركسى آن درود عاقبت كار كه كشت

وقال:

درين چمن نكنم سرزنش بخود رويى چنانكه پرورشم ميدهند ميرويم

وقال:

نقش مستوری ومستی نه بدست من وتست ... آنچه سلطان ازل كفت بكن آن كردم

وقال:

عيبم مكن زرندی وبدنامی ای حكيم ... كين بود سرنوشت زديوان قسمتم

وقال:

من ارچه عاشقم ورند ومست ونامه سياه ... هزار شكر كه ياران شهر بی كنهند

﴿قال﴾ الله تعالى لآدم وحواء بعد صدور الزلة **﴿اهبطا منها جميعاً﴾** أي: انزلا من الجنة إلى الأرض هذا خطاب العتاب واللوم في الصورة وخطاب التكميل والتشريف في المعنى يقال هبط هبوطاً إذا نزل. قال الراغب الهبوط الانحدار على سبيل القهر كهبوط الحجر قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] وإذا استعمل في الإنسان الهبوط فعلى سبيل الاستخفاف بخلاف الإنزال فإن الإنزال ذكره الله في الأشياء التي نبه على شرفها كإنزال القرآن والملائكة والمطر وغير ذلك والهبوط ذكره حيث نبه على البغض نحو ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦] وقال: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣] **﴿بعضكم لبعض عدو﴾** أي: بعض أولادكم عدو لبعض في أمر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب فيكون نظير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] أي: جعل أولادهما وجمع الخطاب باعتبار أنهما أصل الذرية ومآله بعضكم يا ذرية آدم عدو لبعض.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه جعل فيما بينهم العداوة لئلا يكون لهم حبيب إلا هو كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٧] ولما اختص آدم منهم بالاجتباء والاصطفاء وأهبطه إلى الأرض معهم للابتلاء وعده بالاهتداء فقال: **﴿فإما يأتينكم﴾** يا ذرية آدم وحواء **﴿مني هدى﴾** كتاب ورسول والأصل فإن يأتينكم وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط وما هذه مثل لام القسم في دخول النون المؤكدة معها وإنما جيء بكلمة الشك إيذاناً بأن إتيان الهدى بطريق الكتاب والرسول ليس بقطعي الوقوع وأنه تعالى إن شاء هدى وإن شاء ترك لا يجب عليه شيء ولك أن تقول إتيان الكتاب والرسول لما لم يكن لازم التحقق والوقوع أبرز في معرض الشك وأكد حرف الشرط والفعل بالنون دلالة على رجحان جهة الوقوع والتحقق **﴿فمن اتبع هداي﴾** أي: فمن آمن بالكتاب وصدق بالرسول **﴿فلا يضل﴾** في الدنيا عن طريق الدين القويم ما دام حياً **﴿ولا يشقى﴾** في الآخرة بالعقاب، يعني: [برنج نيفتد در آخرت وبعقوبت وعذاب مبتلا نشود].

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ أي: الكتاب الذاكر لي والرسول الداعي إليّ والذكر يقع على القرآن وغيره من كتب الله كما سبق **﴿فإن له﴾** في الدنيا **﴿معيشة ضنكا﴾** ضيقاً مصدر وصف به مبالغة ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث. والمعنى معيشة ذات ضنك وذلك لأن نظره مقصور على أغراض الدنيا وهو يتهالك على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب الآخرة مع أنه قد يضيق الله عليه بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان.

واعلم أن من عقوبة المعصية ضيق المعيشة والرد إلى النفس والأجناس والأكوان من ضيق المعيشة.

وفي «التأويلات النجمية» الهدى في الحقيقة نور يقذفه الله في قلوب أنبيائه وأوليائه ليهتدوا به إليه وفي الصورة العلماء السادة والمشايخ القادة بعد الأنبياء والمرسلين **﴿فمن اتبع هداي﴾** بالتسليم والرضى والأسوة الحسنة **﴿فلا يضل﴾** عن طريق الحق **﴿ولا يشقى﴾** بالحرمان وحقيقة الهجران **﴿ومن أعرض عن ذكري﴾** أي: عن ملازمة ذكري في اتباع هداي أي: إذا جاءه **﴿فإن له معيشة ضنكا﴾** أي: يعذب قلبه بذل الحجاب وسد الباب فإن الذكر مفتاح القلوب والإعراض عنه سد بابها:

ذكر حق مفتاح باشد أى سعيد | تا نبكشايى در جان بى كليد
چون ملك ذكر خدارا كن غذا | اين بود دائم معاش اوليا

﴿ونحشره﴾ أي: المعرض. قال في «بحر العلوم»: الحشر يجيء بمعنى البعث والجمع والأول هو المراد هنا **﴿يوم القيامة أعمى﴾** فاقد البصر كما في قوله تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]. وفي «عرائس البقلي»: يعني جاهلاً بوجود الحق كما كان جاهلاً في الدنيا كما قال علي رضي الله عنه: من لم يعرف الله في الدنيا لا يعرفه في الآخرة **﴿قال﴾** استئناف بياني **﴿رب﴾** [اى پروردكارمن] **﴿لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾** أي: في الدنيا.

﴿قال كذلك﴾ أي: مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر بقوله: **﴿أتتك آياتنا﴾** أي: آيات الكتاب أو دلائل القدرة وعلامات الوحدة واضحة نيرة بحيث لا تخفى على أحد **﴿فنسيتها﴾** أي: عميت عنها وتركتها ترك المنسي الذي لا يذكر أصلاً **﴿وكذلك﴾** أي: ومثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا **﴿اليوم تنسى﴾** تترك في العمى والعذاب جزاء وفاقاً لكن لا أبداً كما قيل بل إلى ما شاء الله ثم يزيله عنه ليرى أهوال القيامة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذاباً فوق العذاب وكذلك البكم والصمم يزيلهما الله عنهم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وكذلك﴾ أي: ومثل ذلك الجزاء الموافق للجناية **﴿نجزي من أسرف﴾** في عصيانه والإسراف مجاوزة الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر **﴿ولم يؤمن بآيات ربه﴾** أي: بالقرآن وسائر المعجزات بل كذبها وأعرض عنها **﴿ولعذاب الآخرة﴾** على الإطلاق أو عذاب النار **﴿أشد﴾** مما نعذبهم به في الدنيا من ضنك العيش ونحوه **﴿وأبقى﴾** وأدوم لعدم انقطاعه فمن أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه فعليه أن يصبر على شدائد الدنيا في طاعة الله ويجتنب المعاصي وشهوات الدنيا فإن الجنة قد حفت بالمكاره وحفت النار بالشهوات كما ورد دعا الله جبريل فأرسله إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فحفت بالمكاره فقال: ارجع إليها فانظر فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ثم أرسله إلى النار فقال: انظر إليها وما أعددت لأهلها فرجع إليه فقال: وعزتك لا يدخلها أحد يسمع بها فحفت بالشهوات فقال: عد إليها فانظر فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها.

ـ روي ـ أن أهل النار إذا انتهوا إلى أبوابها استقبلتهم الزبانية بالأغلال والسلاسل وتسلك السلسلة في فيه وتخرج من دبره وتغل يده اليسرى إلى عنقه وتدخل يده اليمنى في فؤاده وتنزع من بين كتفيه ويشد بالسلاسل ويقرن كل آدمي مع شيطان في سلسلة ويسحب على وجهه تضربه الملائكة بمقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وفي الحديث «إن أدنى أهل النار عذاباً الذي يجعل له نعلان يغلي منهما دماغه في رأسه». فعلى العاقل أن يجتنب أسباب العذاب والعمى ويجتهد أن لا يحشر أعمى وأشد العذاب عذاب القطيعة من الله الوهاب.

بعد حق باشد عذاب مستهين ... از نعيم قرب عشرت سازهين

هركه نا بينا شود ازآى هو ... ماند در تاريك مردمهاى او

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾

﴿**أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون**﴾ الهمزة للإنكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر. والهداية بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها وضمير لهم للمشركين المعاصرين لرسول الله ﷺ. والقرون جمع قرن وهو القوم المقترنون في زمن واحد. والمعنى اغفلوا فلم يبين لهم مآل أمرهم كثرة إهلاكنا للقرون الأولى أو الفاعل الضمير العائد إلى الله. والمعنى أفلم يفعل الله لهم الهداية فقوله: أهلكنا بيان لتلك الهداية بطريق الالتفات. ومن القرون في محل النصب على أنه وصف لمميزكم أي: كم قرناً كائناً من القرون ﴿**يمشون في مساكنهم**﴾ حال من القرون أي: وهم في أمن وتقلب في ديارهم أو من الضمير في لهم مؤكداً للإنكار أي: أفلم يهد إهلاكنا للقرون السالفة من أصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم مارين بها إذا سافروا إلى الشام مشاهدين لآثار هلاكهم مع أن ذلك مما يوجب أن يهتدوا إلى الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك. قال الراغب: المشي الانتقال من مكان إلى مكان بإرادة والسكون ثبوت الشيء بعد تحرك ويستعمل في الاستيطان نحو سكن فلان مكان كذا أي: استوطنه واسم المكان مسكن والجمع مساكن ﴿**إن في ذلك**﴾ أي: في الإهلاك بالعذاب ﴿**لآيات**﴾ كثيرة واضحة الهداية ظاهرة الدلالة على الحق فإذن هو هاد وأي هاد ﴿**لأولي النهى**﴾ جمع نهية بمعنى العقل أي: لذوي العقول الناهية عن القبائح وفيه دلالة على أن مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول، وفي «المثنوي»:

پس سپاس اوراكه مار ادر جهان ... كرد پيدا از پس پيشينيان

تاشنيديم آن سياستهاى حق ... برقرون ماضيه اندر سبق

استخوان وپشم آن كركان عيان ... بنكريد وپند كيريد اى مهان

عاقل از سربنهد اين هستى وباد ... چون شنيد آنجام فرعونان وعاد

ورنه بنهد ديكران از حال او ... عبرتي كيرند از اضلال او

﴿**ولولا كلمة سبقت من ربك**﴾ أي: ولولا الكلمة المتقدمة وهي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة أي: أمة الدعوة إلى الآخرة لحكمة تقتضيه يعني أن الكلمة إخبار الله ملائكته وكتبه في

اللوح المحفوظ أن أمة محمد وإن كذبوا فسيؤخرون ولا يفعل بهم ما يفعل بغيرهم من الاستئصال لعلمه أن فيهم من يؤمن ولو نزل بهم العذاب لعمهم الهلاك ﴿لكان﴾ عقاب جناياتهم ﴿لزاماً﴾ أي: لزاماً لهؤلاء الكفرة بحيث لا تتأخر جناياتهم ساعة لزوم ما نزل بأولئك الغابرين عند التكذيب مصدر لازم وصف به للمبالغة ﴿وأجل مسمى﴾ عطف على كلمة والفصل للإشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي أي: ولولا أجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة أو يوم بدر لما تأخر عذابهم أصلاً.

واعلم أن الله تعالى حرضهم على الإيمان من طريق العبرة والاستدلال رحمة منه تعالى ليعود نفعه إليهم لا له، كما قال «المثنوي»:

چون خلقت الخلق كي يربح على لطف توفر مود أي: قيوم وحى
لا لأن أربح عليهم جودتست كه شود زو جمله ناقصها درست

وقع في الكلمات القدسية «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً» فعلى العاقل التمسك بكلمة التوحيد حذراً من وقوع الوعيد وفي الحديث «لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى» قيل يا رسول الله من ذا الذي أبى؟ قال: «من لم يقل لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة». ثم إن تأخير العقوبة يتضمن لحكم منها رجوع التائب وانقطاع حجة المصر فينبغي للعاقل المكلف أن يتعظ بمواعظ القرآن الكريم ويتقي القادر الحكيم ويجتهد في الطاعة والانقياد ولا يكون أسوأ من الجماد مع أن الإنسان أشرف المخلوقات وأبدع المصنوعات. عن جعفر الطيار رضي الله عنه قال: كنت مع النبي عليه السلام في طريق فاشتد علي العطش فعلمه النبي عليه السلام وكان حذاءنا جبل فقال عليه السلام: «بلّغ مني السلام إلى هذا الجبل وقل له يسقيك إن كان فيه ماء» قال: فذهبت إليه وقلت: السلام عليك أيها الجبل فقال: بنطق فصيح لبيك يا رسول رسول الله فعرضت القصة فقال: بلغ سلامي إلى رسول الله وقل له منذ سمعت قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ﴾ [البقرة: ٢٤] بكيت لخوف أن أكون من الحجارة التي هي وقود النار بحيث لم يبق فيّ ماء يقال من لم ينزجر بزواجر القرآن ولم يرغب في الطاعات فهذا أشد قسوة من الحجارة وأسوء حالاً من الجمادات نسأل الله تليين القلوب.

﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿فاصبر على ما يقولون﴾ أي: إذا كان الأمر على ما ذكر من أن تأخير عذابهم ليس بإهمال بل إمهال وإنه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون فيك من كلمات الكفر والنسبة إلى السحر والجنون إلى أن يحكم فيهم فإن علمه عليه السلام بأنهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر.

وفي «التأويلات النجمية» على ما يقول أهل الاعتراض والإنكار لأنك محتاج في التربية إلى ذلك لتبلغ إلى مقام الصبر انتهى. قال بعضهم: هذا منسوخ بآية السيف. وفي «الكبير» هذا

غير لازم لجواز أن يقاتل ويصبر على ما يسمع منهم من الأذى. قال الراغب: الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه فإن كان حبس النفس لمعصية يسمى صبراً لا غير ويضاده الجزع وإن كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وإن كان في نائبة سمي رحب الصدر ويضاده الضجر وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً ويضاده البذل وقد سمى الله تعالى كل ذلك صبراً ونبه عليه بقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ [الحج: ٣٥] ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] ويسمى الصوم صبراً لكونه كالنوع له ﴿وسبح﴾ ملتبساً ﴿بحمد ربك﴾ أي: صل حامداً لربك على هدايته وتوفيقه بطريق إطلاق اسم الجزء على الكل لأن التسبيح وذكر الله تعالى يفيد السلوة والراحة وينسى جميع ما أصاب من الغموم والأحزان ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] ﴿قبل طلوع الشمس﴾ المراد صلاة الفجر وفي الخبر «إن الذكر والتسبيح إلى طلوع الشمس أفضل من إعتاق ثمانين رقبة من ولد إسماعيل» خص إسماعيل بالذكر لشرفه وكونه أبا العرب ﴿وقبل غروبها﴾ يعني صلاتي الظهر والعصر لأنهما قبل غروبها بعد زوالها ﴿ومن آناء الليل﴾ أي: بعض ساعاته جمع أنى بالكسر والقصر كمعى وأمعاء واناء بالفتح والمد ﴿فسبح﴾ فصل والمراد المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فإن القلب فيهما أجمع والنفس إلى الاستراحة أميل فتكون العبادة فيهما أشق ﴿وأطراف النهار﴾ أمر بالتطوع أجزاء النهار. وفي «العيون» هو بالنصب عطف على ما قبله من الظروف أي: سبح فيها وهي صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار لإرادة الاختصاص كما في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] صلاة العصر عند بعض المفسرين. وفي «الجلالين» قبل غروبها صلاة العصر وأطراف النهار صلاة الظهر في طرف النصف الثاني ويسمى الواحد باسم الجمع. وقال الطبري قبل غروبها وهي العصر ومن آناء الليل هي العشاء الآخرة وأطراف النهار الظهر والمغرب لأن الظهر في آخر الطرف الأول من النهار وفي أول الطرف الثاني فكأنها بين طرفين والمغرب في آخر الطرف الثاني فكانت أطرافاً انتهى. وبهذا احتج الشيخ أبو القاسم الفزاري في «الأسئلة المقحمة»: وقد مضى ما يناسب هذه الآية في أواخر سورة هود وسيأتي في سورة قٓ أيضاً ﴿لعلك ترضى﴾ متعلق بسبح أي: سبح في هذه الأوقات رجاء أن تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك ويسر به قلبك. وقال الكاشفي: [خوشنودى در اصح اقوال بكرامتى ماشدكه خداى تعالى اورا عطا دهد وآن شفاعت امتست ونكته ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥] تقويت اين قول ميكند]:

امت همه جسمند وتويى جان همه ... ايشان همه آن تو وتو آن همه

خوشنودى توجست خدادر محشر ... خوشنود نه مكر بغفران همه

واعلم أن الاشتغال بالتسبيح استنصار من المسبح للنصر على المكذبين وأن الصلاة أعظم ترياق لإزالة الألم ولذا كان النبي عليه السلام إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وكان آخر ما أوصى به الصلاة وما ملكت أيمانكم والآية جامعة لذكر الصلوات الخمس. عن جرير بن عبد الله كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فرأى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامّون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها

فافعلوا ثم قرأ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾» الآية قوله: «لا تضامون» بتشديد الميم من الضم أي: لا يضم بعضكم بعضاً ولا يقول أرنيه بل كل ينفرد برؤيته فالتاء مفتوحة والأصل تتضامون حذفت منه إحدى التاءين وروي بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم فالتاء مضمومة يعني لا ينالكم ضيم بأن يرى بعضكم دون بعض بل تستوون كلكم في رؤيته تعالى وفي الحديث: «إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً» يقال: من داوم على الصلوات الخمس في الجماعة يرفع الله عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطي كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق ويدخل الجنة بغير حساب ومن تهون في الصلاة في الجماعة يرفع الله البركة من رزقه وكسبه وينزع سيما الصالحين من وجهه ولا يقبل منه سائر عمله ويكون بغيضاً في قلوب الناس ويقبض روحه عطشان جائعاً يشق نزعه ويبتلى في القبر بشدة مسألة منكر ونكير وظلمة القبر وضيقه وبشدة الحساب وغضب الرب وعقوبة الله في النار وفي الحديث: «أمتي أمة مرحومة» وإنما يدفع الله عنهم البلايا بإخلاصهم وصلواتهم ودعائهم وضعفائهم» وعن قتادة أن دانيال النبي عليه السلام نعت أمة محمد فقال: يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما أغرقوا ولو صلاها قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح ولو صلاها ثمود ما أخذتهم الصيحة فعلى المؤمن أن لا ينفك عن الصلاة والدعاء والالتجاء إلى الله تعالى:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾

﴿**ولا تمدن عينيك**﴾ أصل المد الجر ومنه المدة للوقت الممتد وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب والمد في المكروه نحو وأمددناهم بفاكهة ونمد له من العذاب مداً والعين الجارحة بخلاف البصر ولذا قال تعالى في الحديث القدسي «كنت له سمعاً وبصراً» دون أذناً وعيناً والمعنى لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل. وقال بعضهم مد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحساناً للمنظور إليه وإعجاباً به وتمنياً أن له مثله. وفيه دليل على أن النظر الغير الممدود معفو عنه لأنه لا يمكن الاحتراز منه وذلك أن يباده الشيء بالنظر ثم يغض الطرف ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع وأن من أبصر منها شيئاً أحب أن يمد إليه نظره ويملأ عينيه قيل له عليه السلام: ﴿**لا تمدن عينيك**﴾ أي: لا تفعل ما عليه جبلة البشر. قال الكاشفي أبو رافع رضي الله عنه: [نقل ميكندكه مهماني نزد پيغمبر آمد ودرخانه چيزى نبودكه بدان إصلاح شان مهمان توانستي نمود مرا بنزديك يكى ازيهود فرستاد وكفت اورا بكوكه محمد رسول الله ميكويدكه مهمانى بمنزل ما نزول نموده ونمى يابيم نزديك خود چيزى كه بدان إصلاح شان مهمان توانستى نمود ونمى يابيم نزديك خود چيزى كه بدان شرائط ضيافت بتقديم رسد اين مقدار آرد بما بفروش ومعامله كن تاهلال رجب چون وقت برسدبها بفرستم من پيغام به يهودى رسانيدم واوكفت نمى فروشم ومعامله نميكنم مكر آنكه چيزى دركرو من نهيد من باحضرت مراجعت نمودم وصورت حال بازكفتم حضرت فرمود والله إني لأمين في السماء وأمين في الأرض اكربا من معاملـه كردى البته حـق اورا اداكردمى پس زره خـود بمن داد تانزديك او كرو كردم اين آيت جهت تسليت دل مبارك وى نازل شد ﴿**ولا تمدن عينيك**﴾ وباز مكش نظر چشمهاى خودرا

يعنى منكر] ﴿إلى ما متعنا به﴾ نفعنا به من زخارف الدنيا ومنه متاع البيت لما ينتفع به وأصل المتوع الامتداد والارتفاع يقال متع النهار ومتع النبات ارتفع والمتاع انتفاع ممتد الوقت، والمعنى بالفارسية: [بسوى آن چيزى كه برخوردار كردانيديم بدان چيزى]. وفي «الكبير»: ألذذنا به والامتاع الإلذاذ بما يدرك من المناظر الحسنة ويسمع من الأصوات المطربة ويشم من الريح الطيبة وغير ذلك من الملابس والمناكح ﴿أزواجاً منهم﴾ أي: أصنافاً من الكفرة كالوثنى والكتابي من اليهود والنصارى وهو مفعول متعنا ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ منصوب بفعل يدل عليه متعنا أي: أعطينا زينة الدنيا وبهجتها ونضارتها وحسنها. قال الواسطي: هذه تسلية للفقراء وتعزية لهم حيث منع خير الخلق عن النظر إلى الدنيا على وجه الاستحسان ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي: لنعاملهم فيما أعطينا معاملة من نبتليهم حتى يستوجبوا العذاب بأن نزيد لهم النعمة فيزيدوا كفراً وطغياناً فمن هذه عاقبته فلا بد من التنفر عنه فإنه عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان. وقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن الظلمة وعدد الفسقة في ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن لا تنظروا إلى دقدقة هماليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرفات وهذا لأنهم اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة فالناظر إليها محصل لغرضهم ومغر لهم على اتخاذها وفي الحديث «إن الدنيا» أي: صورتها ومتاعها «حلوة» شيرين «خضرة حسنة في المنظر تعجب الناظر» وإنما وصفها بالخضرة لأن العرب تسمي الشيء الناعم خضراً ولتشبيهها بالخضروات في سرعة زوالها وفيه بيان كونها غرارة تفتن الناس بحسنها وطعمها، قال الخجندي:

جهان وجمله لذاتش بزنبور عسل مانند

كه شيرينيش بسيارست وزان افزون شر وشورش

وفي «المثنوي»:

هركه از ديدار بر خوردار شد　　اين جهان درچشم او مردار شد

وقال الحافظ:

ازره مرو بعشوه ديني كه اين عجوز　　مكاره مى نشيند ومحتاله مى رود

وقال:

خوش عروسيست جهان ازره صورت ليكن

هركه پيوست بدو عمر خودش كابين داد

«وإن الله مستخلفكم فيها» أي: جاعلكم خلفاء في الدنيا يعني أن أموالكم ليست هي في الحقيقة لكم وإنما هي لله تعالى جعلكم في التصرف فيها بمنزلة الوكلاء «فناظر كيف تعلمون» أي: تتصرفون. وعن عيسى ابن مريم عليه السلام لا تتخذوا الدنيا رباً فتتخذكم لها عبيداً.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بقوله ﴿ولا تمدن عينيك﴾ أي عيني البصر والبصيرة وهما عين الرأس وعين القلب واختص النبي عليه السلام بهذا الخطاب واعتز بهذا العتاب لمعنيين أحدهما لأنه مخصوص من جميع الأنبياء بالرؤية ورؤية الحق لا تقبل الشرك كما أن اللسان بالتوحيد لا يقبل الشرك والقلب بالذكر لا يقبل الشرك أو قال اذكر ربك إذا نسيت أي: بعد نسيان ما سواه فكذلك الرؤية لا تقبل الشرك وهو مد العينين ﴿إلى ما متعنا به أزواجاً منهم

زهرة الحياة الدنيا﴾ وهو الدنيا والآخرة لكن اكتفى بذكر الواحد عن الثاني والأزواج أهل الدنيا والآخرة أي: اغسل عيني ظاهرك وباطنك بماء العزة عن وصمة رؤية الدنيا والآخرة لاستحقاق اكتحالهما بنور جلالنا لرؤية جمالنا وإنما متعنا أهل الدارين بهما عزة لحضرة جلالنا ﴿لنفتنهم فيه﴾ باشتغالهم بتمتعات الدارين عن الوصول إلى كمال رؤية جمالنا. قيل: قرىء عند الشبلي قدس سره ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥] فشهق شهقة وقال مساكين لا يدرون عمن شغلوا حين شغلوا ﴿ورزق ربك﴾ أي: ما ادخر لك في الآخرة من الثواب أو ما أوتيته من يسير الكفاية مع الطاعة والرزق يقال للعطاء دنيوياً كان أو أخروياً وللنصيب تارة ولما يوصل إلى الجوف ويتغذى به تارة ﴿خير﴾ لك مما منحهم في الدنيا لأنه مع كونه في نفسه أجل ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلة بخلاف ما منحوه ﴿وأبقى﴾ فإنه لا يكاد ينقطع أبداً. قال الكاشفي: [در كشف الاسرار آورده كه زهر درلغت شكوفه است حق سبحانه وتعالى دنيارا شكوفه خواند زيرا كه تروتا زكى اودوسه روزه بيش نباشد در اندك فرصتى پزمرده كردد ونيست شود]:

مال جهان بباغ تنعم شكوفه ايست ... كاول بجلوه دل بربايد زاهل حال
يكهفته نكذردكه فرو ريزد ازدرخت ... برخاك ره شود چوخس وخاك پايمال
اهل كمال در دل خود جا چرا دهند ... آنراكه دميدم زپى است آفت زوال

فعلى العاقل أن يختار الرزق الذي هو الباقي ولا يلتفت إلى النعيم الذي هو الفاني ويقنع بما في يده من القوت إلى أن يموت، قال الشيخ سعدي قدس سره:

كر آزاده برزمين خسب وبس ... مكن بهرفانى زمين بوس كس
نيرزد عسل جان من زخم نيش ... قناعت نكوتر بدوشاب خويش
خداوند زان بنده خرسند نيست ... كه راضى بقسم خداوند نيست
مپندار چون سركه خود خورم ... كه جور خداوند حلوا برم
قناعت كن اى نفس براندكى ... كه سلطان ودرويش بينى يكى
كند مردرا نفس اماره خوار ... اكر هو شمندى عزيزش مدار

ثم إن الرزق المعتبر غاية الاعتبار ما صار غذاء للروح القدسي من العلم والحكمة والفيض الأزلي والتجلي، وفي «المثنوي»:

فهم نان كردى نه حكمت اى رهى ... زانكه حق كفت كلوا من رزقه
رزق حق حكمت به بود در مرتبت ... كان كلو كيرت نباشت عاقبت
اين دهان بستى دهانى بازشد ... كه خورنده لقمهاى رازشد
كر زشير ديوتن را وابرى ... در فطام اوبسى نعمت خورى

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾

﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ يعني: كما أمرناك بالصلاة فأمر أنت أهل بيتك فإن الفقير ينبغي أن يستعين بها على فقره ولا يهتم بأمره المعيشة ولا يلتفت إلى جانب أهل الغنى ﴿واصطبر عليها﴾ وداوم أنت وهم عليها غير مشتغل بأمر المعاش فكان النبي ﷺ يذهب إلى فاطمة وعلي

كل صباح ويقول: «الصلاة» كان يفعل ذلك أشهراً. قال في «عرائس البقلى»: الاصطبار مقام المجاهدة والصبر مقام المشاهدة. قال ابن عطاء أشد أنواع الصبر الاصطبار وهو السكون تحت موارد البلاء بالسر والقلب والصبر بالنفس لا غير ﴿لا نسألك رزقاً﴾ أي: لا نكلفك أن ترزق نفسك ولا أهلك إنما نسألك العبادة ﴿نحن نرزقك﴾ وإياهم ففرغ بالك لأمر الآخرة فإن من كان في عمل الله كان الله في عمله ﴿والعاقبة﴾ الحميدة وهي الجنة فإن إطلاقها يختص بالثواب وبالفارسية [وسر انجام پسنديده] ﴿للتقوى﴾أي لأهل التقوى يعني لك ولمن صدقك لا لأهل الدنيا إذ هي مع الآخرة لا تجتمعان فهو على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تنبيهاً على أن ملاك الأمر هو التقوى وهو ذم النفس والجوارح عن جميع ما يقبحه العلم.

ـ روي ـ أنه عليه السلام كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية. قال وهب بن منبه: إن الحوائج لم تطلب من الله تعالى بمثل الصلاة وكانت الكرب العظام تكشف عن الأولين بالصلاة وقلما نزلت بأحد منهم كرب إلا وكان مفزعه إلى الصلاة وقال الله تعالى في قصة يونس: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الصافات: ١٤٣]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني من المصلين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون يعني لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة. وعن الشافعي رحمه الله أخذاً من هذه الآية لم أرَ أنفع للوباء من التسبيح. قال يحيى بن معاذ رحمه الله للعابدين أردية يكسونها من عند الله سداها الصلاة ولحمتها الصوم وصلاة الجسد الفرائض والنوافل وصلاة النفس عروجها من حضيض البشرية إلى ذروة الروحانية وخروجها عن أوصافها لدخولها الجنة المشرفة بالإضافة إلى الحضرة بقوله: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٩ـ٣٠] وصلاة القلب دوام المراقبة ولزوم المحاضرة كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ٢] وصلاة السر عدم الالتفات إلى ما سوى الله تعالى مستغرقاً في بحر المشاهدة كما قال عليه السلام: «اعبد الله كأنك تراه» وصلاة الروح فناؤه في الله وبقاؤه بالله كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] لأنه الفاني عن نفسه الباقي بربه فمن صلى هذه الصلاة أغناه الله عما عند الناس ورزقه مما عنده كما قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضحى: ٨] ومن هنا كان يقول ﷺ: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني».

نيست غير نور آدم را خورش   جانرا جزآن نباشد پرورش

چون خوری يكبار ازان ماكول نور   خاك ريزى بر سرنان تنور

﴿وقالوا﴾ يعني كفار قريش: ﴿لولا﴾ هلا ﴿يأتينا﴾ [چرا نمى آرد محمد براى ما] ﴿بآية﴾ مما اقترحنا نحن ومن نعتد به ﴿من ربه﴾ كموسى وعيسى ليكون علامة لنبوته بلغوا من العناد إلى حيث لم يعدوا ما شاهدوا من المعجزات من قبيل الآيات حتى اجترأوا على التفوه بهذه الكلمة العظيمة ﴿أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى﴾ الهمزة لإنكار الوقوع والواو للعطف على مقدر والبينة الدلالة الواضحة عقلية كانت أو حسية والمراد هنا القرآن الذي فيه بيان للناس وما عبارة عن العقائد الحقية وأصول الأحكام التي اجتمعت عليها كافة الرسل. والصحف جمع صحيفة وهي التي يكتب فيها وحروف التهجي صحيفة على حدة مما أنزل على آدم والمراد بها التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب السماوية. والمعنى ألم يأتهم سائر الآيات ولم تأتهم خاصة بينة ما في الصحف الأولى أي: قد أتاهم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب

الإعجاز وهو القرآن الذي فيه بيان ما في الكتب الإلهية وهو شاهد بحقية ما فيها وبصحة ما ينطق به من أنباء الأمم من حيث إنه غني بإعجازه عما يشهد بحقيته حقيق بإثبات حقية غيره فاشتماله على زبدة ما فيها مع أن الآتي به أمي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها إعجاز بين. ثم بين أنه لا عذر لهم في ترك الشرائع وسلوك طريق الضلالة بوجه ما فقال:

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿ولو أنا أهلكناهم﴾ في الدنيا ﴿بعذاب﴾ مستأصل ﴿من قبله﴾ متعلق بأهلكنا أي: من قبل إتيان البينة وأصله ولو أهلكناهم أهلكناهم لأن لو إنما تدخل على الفعل فحذف الفعل الأول احترازاً عن العبث لوجود المفسر ثم أبدل من الضمير المتصل وهو الفاعل ضمير منفصل وهو أنا لتعذر الاتصال لسقوط ما يتصل به فأنا فاعل الفعل المحذوف لا مبتدأ ولا تأكيد إذ لم يعهد حذف المؤكد والعامل مع بقاء التأكيد ﴿لقالوا﴾ يوم القيامة احتجاجاً ﴿ربنا لولا أرسلت﴾ [چرا نفر ستادى] ﴿إلينا﴾ في الدنيا ﴿رسولا﴾ مع كتاب ﴿فنتبع آياتك﴾ التي أنزلت معه ﴿من قبل أن نذل﴾ بذل الضلالة وعذاب القتل والسبي في الدنيا كما وقع يوم بدر والذل الهوان وضد الصعوبة. وقال الراغب الذل ما كان من قهر والذل ما كان بعد تصعب وشماس من غير قهر وقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤] أي: كن كالمقهور لهما ﴿ونخزى﴾ بعذاب الآخرة ودخول النار اليوم، وبالفارسية: [ورسوا كنيم در قيامت بدخول در آتش]. قال الراغب خزي الرجل لحقه انكسار إما من نفس وإما من غيره فالذي يلحقه من نفسه هو الحياء المفرط ومصدره الخزاية والذي يلحقه من غيره يقال هو ضرب من الاستخفاف ومصدره الخزي. والمعنى ولكنا لم نهلكهم قبل إتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك اعترفوا وقالوا: بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء. قال في «الأسئلة المقحمة»: هذا يدل على أنه يجب على الله أن يفعل ما هو الأصلح لعباده المكلفين إذ لو لم يفعل لقامت لهم عليه الحجة بأن قالوا هلا فعلت بنا ذلك حتى نؤمن والجواب لو كان يجب عليه ما هو الأصلح لهم لما خلقهم فليس في خلقه إياهم وإرسال الرسل إليهم رعاية الأصلح لهم مع علمه بأنهم لا يؤمنون به ولكنه أرسل الرسل وأكد الحجة وسلب التوفيق ولله تعالى ما يشاء بحق المالكية.

﴿قل﴾ لأولئك الكفرة المتمردين ﴿كل﴾ أي: كل واحد منا ومنكم ﴿متربص﴾ انتظار الأمر أو زواله منتظراً لما يؤول إليه أمرنا وأمركم. قال الكاشفي: [يعني شما نكبت ما راچشم ميداريد وما عقوبت شمارا]. قال في «الكبير»: كل منا ومنكم منتظر عاقبة أمره إما قبل الموت بسبب الجهاد وظهور الدولة والقوة أو بعد الموت بالثواب والعقاب وبما يظهر على المحق من أنواع كرامة الله وعلى المبطل من أنواع إهانته.

ـ وروي ـ أن المشركين قالوا: نتربص بمحمد حوادث الدهر فإذا مات تخلصنا فقال تعالى: ﴿فتربصوا﴾ أنتم ﴿فستعلمون﴾ عن قريب إذا جاء أمر الله ﴿من أصحاب الصراط السوي﴾ المستقيم. والأصحاب جمع صاحب بمعنى الملازم. والصراط من السبيل ما لا التواء فيه أي: لا اعوجاج بل يكون على سبيل القصد ﴿ومن اهتدى﴾ من الضلال أي: أنحن أم أنتم

كما قال بعضهم:

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار

وفيه تهديد شديد لهم. قال الكاشفي: [مراد حضرت پيغمبرست كه هم راه يافته وهم راه نماينده است]:

راه دان وراه بين وراه بر در حقيقت نيست جز خير البشر

وفي الآية إشارة إلى المهتدين بالوصول إليه بقطع المنازل والانفصال عما سواه والمنقطعين عنه باتصال غيره كما قال الخجندي:

وصل ميسر نشود جز بقطع قطع نخست از همه بريدنست

واعلم أن الله تعالى قطع المعذرة بالإمهال و«الإرشاد» فللّه الحجة البالغة. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «يحتج على الله ثلاثة: الهالك في الفترة يقول لم يأتني رسول وتلا ﴿لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾ والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لي عقلاً أنتفع به ويقول الصغير كنت صغيراً لا أعقل فترفع لهم نار ويقال ادخلوها فيدخلها من كان في علم الله أنه سعيد وينكل عنها من كان في علمه أنه شقي فيقول الله إياي عصيتم فكيف برسلي لو أتوكم» كما في «التفسير الكبير» وفي الحديث: «لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا سورة طه ويس» كما في «الكشاف».

تمت سورة طه في العشرين من شهر ربيع الأول
من سنة ست ومائة وألف من هجرة من له العز والشرف

٢١ ـ سورة الأنبياء

مائة واثنتا عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾

﴿اقترب للناس حسابهم﴾ يقال قرب الشيء واقترب إذا دنا وقربت منه ولذا قال في «العيون»: اللام بمعنى من وهي متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة إلى إدخال الروعة فإن نسبة الاقتراب إليهم من أول الأمر مما يسوؤهم ويورثهم رهبة وانزعاجاً من المقترب والمراد بالناس المشركون المنكرون للبعث من أهل مكة كما يفصح عنه ما بعده من الغفلة والإعراض ونحوهما. والحساب بمعنى المحاسبة وهو إظهار ما للعبد وما عليه ليجازى على ذلك والمراد باقتراب حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب الساعة وسمي يوم القيامة بيوم الحساب تسمية للزمان بأعظم ما وقع فيه وأشده وقعاً في القلوب فإن الحساب هو الكاشف عن حال المرء ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فإنه في كل ساعة من ساعات الزمان أقرب إليهم من الساعة السابقة مع أن ما مضى أكثر مما بقي وفي الحديث «أما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس» وإنما لم يعين الوقت لأن كتمانه أصلح كوقت الموت. والمعنى دنا من مشركي قريش وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم السيئة الموجبة للعقاب يعني القيامة. وقال الكاشفي نقلاً عن بعض [نزديك شد وقت مؤاخذت وياد داشت ايشان كه قتل وكر فتارىء روز بدرست]. يقول الفقير: هذا هو الأظهر عندي لأن زمان الموت متصل بزمان القيامة فاقتراب وقت مؤاخذتهم بالقتل ونحوه في حكم اقتراب وقت محاسبتهم بالقيامة ومثله من مات فقد قامت قيامته ﴿وهم في غفلة﴾ الغفلة سهو يعتري من قلة التحفظ والتيقظ أي: والحال أنهم في غفلة تامة من الحساب على النقير والقطمير والتأهب له ساهون عنه بالكلية لا أنهم غير مبالين مع اعترافهم بإتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم لأن الأعمال لا بد لها من الجزاء وإلا لزم التسوية بين المطيع والعاصي وهي بعيدة عن مقتضى الحكمة والعدالة ﴿معرضون﴾ عن الإيمان والآيات والنذر المنبهة لهم من سنة الغفلة يقال أعرض أي: ولى مبدياً عرضه أي: ناحيته وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة أمراً جبلياً لهم جعل الخبر الأول ظرفاً منبئاً عن الاستقرار بخلاف الإعراض والجملة حال من الناس.

وفي «التأويلات النجمية»: وإذا نصحهم ناصح واقف على أحوالهم فهم معرضون عن

استماع قوله ونصيحته كما قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩]، قال الشيخ سعدي:

كسى راكه پندار در سر بود مپندار هركز كه حق بشنود
زعلمش ملال آيداز وعظ ننك شقائق بباران زويد زسنك

وفي «العرائس للبقلي»: أن الله تعالى حذر الجمهور من مناقشته في الحساب وزجرهم حتى ينتهوا عن رقاد الغفلات وقرب الحساب أقرب من كل شيء منهم لو يعلمون فإنه تعالى يحاسب العباد في كل لمحة ونفس وحسابه أدق من الشعر وأخفى من دبيب النمل على الصفا ولا يعرف ذلك إلا المراقبون الذين يحاسبون في كل نفس وخطوة وهم في غفلة وفي حجاب عن مشاهدة الله معرضون عن طاعته إذ لا حظ لهم في الطاعات ولا شرب لهم في المشاهدات.

﴿ما يأتيهم من ذكر﴾ من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم الحساب أكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة أتم تنبيه كأنها نفس الذكر ﴿من ربهم﴾ من لابتداء الغاية مجازاً متعلقة بيأتيهم وفيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به ﴿محدث﴾ بالجر صفة لذكر أي: محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة لتكرره على أسماعهم للتنبيه كي يتعظوا فالمحدث تنزيله في كل وقت على حسب المصالح وقدر الحاجة لا الكلام الذي هو صفة قديمة أزلية وأيضاً الموصوف بالإتيان وبأنه ذكر هو المركب من الحروف والأصوات وحدوثه مما لا نزاع فيه قالوا: القرآن اسم مشترك يطلق على الكلام الأزلي الذي هو صفة الله وهو الكلام النفسي القديم من قال بحدوثه كفر ويطلق أيضاً على ما يدل عليه وهو النظم المتلو الحادث من قال بقدمه سجل على كمال جهله ﴿إلا استمعوه﴾ استثناء مفرغ محله النصب على أنه حال من مفعول يأتيهم بإضمار قد ﴿وهم يلعبون﴾ حال من فاعل استمعوه يقال لعب إذا كان فعل غير قاصد به مقصداً صحيحاً.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿لاهية قلوبهم﴾ حال أخرى يقال لها عنه إذا ذهل وغفل. قال الراغب اللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه يقال لهوت بكذا ولهيت بكذا اشتغلت عنه بلهو وألهاه عن كذا شغله عما هو أهم. والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الأحوال إلا حال استماعهم إياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه متشاغلين عن التأمل فيه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب قدم اللعب على اللهو تنبيهاً على أنهم إنما قدموا على اللعب لذهولهم عن الحق فاللعب الذي هو السخرية والاستهزاء نتيجة اللهو الذي هو الغفلة عن الحق والذهول عن التفكر. قال بعضهم: القلب اللاهي هو المشغول بأحوال الدنيا والغافل عن أحوال العقبى. قال الواسطي لاهية عن المصادر والموارد والمبدأ والمنتهى.

يا الهي بحود نامتناهي ازسوا دوركن دل لاهي

﴿وأسروا النجوى﴾ النجوى في الأصل مصدر، بالفارسية: [راز كفتن] ثم جعل اسماً من التناجي بمعنى القول الواقع بطريق المسارة أي: السر بين اثنين فصاعداً يقال تناجى القوم إذا تسارّوا وتكالموا سراً عن غيرهم. قال الراغب ناجيته ساررته وأصله ارتحلوا به في نجوه من

الأرض أي: المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله ومعنى إسرارها مع أنها لا تكون إلا سراً أنهم بالغوا في إخفائها ﴿الذين ظلموا﴾ على أنفسهم بالشرك والمعصية بدل من واو أسروا منبىء عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما أسروا به كأنه قيل فماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا: ﴿هل هذا﴾ هل بمعنى النفي أي: ما محمد ﴿إلا بشر مثلكم﴾ لحم ودم مساو لكم في المأكل والمشرب وكل ما يحتاج إليه البشر والموت مقصور على البشرية ليس له وصف الرسالة التي يدعيها والبشر ظاهر الجلد والأدمة باطنه عبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف والشعر والوبر واستوى في لفظ البشر الواحد والجمع وخص في القرآن كل موضع عبر عن الإنسان جثته وظاهره بلفظ البشر ﴿أفتأتون السحر﴾ الهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر ﴿وأنتم تبصرون﴾ حال من فاعل تأتون مقررة للإنكار ومؤكدة للاستبعاد أي: ما هذا إلا من جنسكم وما أتى به يعنون القرآن سحر أتعلمون ذلك فتأتونه وتحضرونه على وجه الإذعان والقبول وأنتم تعاينون أنه سحر قالوه لاعتقادهم أن الرسول لا يكون إلا ملكاً وأن كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر أي: الخداع والتخييلات التي لا حقيقة لها. قال الإمام طعنوا في نبوته بأنه بشر وما أتى به سحر وهو فاسد إذ صحة النبوة تعرف من المعجزة لا من الصورة ولو بعث الملك إليهم لم يعلموا نبوته بصورته بل بالمعجزة فإذا ظهر على يد بشر وجب قبوله:

لوح صورت بشوى ومعنى جو ... كه صور برك شد معاني بو

وإنما أسروا ذلك لما كان هذا الحديث منهم على طريق التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق إلى هدم أمر النبوة وإطفاء الدين وعادة المشاورين أن يجتهدوا في كتمان سرهم عن أعدائهم ما أمكن ومنه قول معاذ رفعه إلى رسول الله ﷺ «استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود».

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿قال﴾ الرسول عليه السلام بعدما أوحي إليه أقوالهم وأحوالهم بياناً لظهور أمرهم وانكشاف سرهم ﴿ربي يعلم القول﴾ سراً كان أو جهراً حال كون ذلك القول ﴿في السماء والأرض﴾ فضلاً عما أسروا به وإذا علم القول علم الفعل ﴿وهو السميع العليم﴾ أي: المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها ما أسروه من النجوى فيجازيهم بأقوالهم وأفعالهم.

﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ الضغث بالكسر قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس وأضغاث أحلام رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها كما في «القاموس». والحلم بضم الحاء وسكون اللام الرؤيا وضم اللام أيضاً لغة فيه فالأحلام بمعنى المنامات سواء كانت باطلة أو حقة وأضيفت الأضغاث بمعنى الأباطيل إليها على طريق إضافة الخاص إلى العام إضافة بمعنى من وقد تخص الرؤيا بالمنام الحق والحلم بالمنام الباطل كما في قوله عليه السلام: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان» ثم إن هذا إضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قول إلى آخر أي: لم يقتصروا على أن يقولوا في حقه عليه السلام ﴿هل هذا إلا بشر﴾ وفي حق ما ظهر

على يده من القرآن الكريم إنه سحر بل قالوا تخاليط أحلام أي: أخلاط أحلام كاذبة رآها في المنام ﴿بل افتراه﴾ من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل أو شبهة أصل ثم قالوا: ﴿بل هو شاعر﴾ وما أتى به شعر يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها وهذا شأن المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وأبطل فالإضراب الأول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم. قال الراغب شعرت أصبت الشعر ومنه استعير شعرت كذا أي: علمت علماً في الدقة كإصابة الشعر قيل وسمي الشاعر لفطنته ودقة معرفته فالشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم ليت شعري وصار في التعارف اسماً للموزون المقفى من الكلام والشاعر للمختص بصناعته وقوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿بل هو شاعر﴾ كثير من المفسرين حملوه على أنهم رموه بكونه آتياً بشعر منظوم مقفى حتى تأولوا عليه ما جاء في القرآن من كل لفظة تشبه الموزون من نحو قوله: «وجفان كالجواب وقدور راسيات» وقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]. وقال بعض المحققين لم يقصدوا هذا المقصد فيما رموه به وذلك أنه ظاهر من هذا الكلام أنه ليس على أساليب الشعر ولا يخفى ذلك على الاغتام من العجم فضلاً عن بلغاء العرب وإنما رموه بالكذب فإن الشعر يعبر به عن الكذب والشاعر الكاذب حتى سموا الأدلة الكاذبة بالشعر ولكون الشعر مقر الكذب. قيل: أحسن الشعر أكذبه. وقال بعض الحكماء لم ير متدين صادق اللهجة مفلقاً في شعره:

در قيامت نرسد شعر بفرياد كسى كر سراسر سخنش حكمت يونان كردد

وأما قول صاحب «المثنوي»:

از كرامات بلند اوليا اولا شعرست وآخر كيميا

فالمراد به القدرة على إنشاء الكلام الموزون وليس من مقتضاها التكلم ﴿فليأتنا بآية﴾ جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كأنه قيل وإن لم يكن كما قلنا بل كان رسولاً من الله فليأتنا بآية جليلة ﴿كما أرسل الأولون﴾ أي: مثل الآية التي أرسل بها الأولون كاليد والعصا وإحياء الموتى والناقة ونظائرها حتى نؤمن به فما موصولة وعائدها محذوف ومحل الكاف الجر على أنها صفة الآية.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿ما آمنت قبلهم﴾ قبل مشركي مكة ﴿من قرية﴾ اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس أي: من أهل قرية وهو في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتأكيد العموم ﴿أهلكناها﴾ أي: بإهلاك أهلها لعدم إيمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية ﴿أفهم يؤمنون﴾ الهمزة لإنكار الوقوع والفاء للعطف على مقدر. والمعنى أنه لم تؤمن أمة من الأمم المهلكة عند إعطاء ما اقترحوه من الآيات أهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو أجيبوا إلى ما سئلوا وأعطوا ما اقترحوا مع كونهم أعتى منهم وأطغى كما قال تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ [القمر: ٤٣] يعني أن كفاركم مثل أولئك الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون فهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه بظلفه، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

ولا تك كالشاة التي كان حتفها بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا

وأصله أن رجلاً وجد شاة وأراد ذبحها فلم يظفر بسكين وكانت مربوطة فلم تزل تبحث برجليها حتى أبرزت سكيناً كانت مدفونة فذبحها بها يضرب في مادة تؤدي صاحبها إلى التلف وما يورط الرجل فيه نفسه كهذا المستعمق وفيه تنبيه على أن عدم الإتيان بالمقترح للترحم بهم إذ لو أتى به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم وقد سبق وعده تعالى في حق هذه الأمة أن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة.

قال في «التأويلات النجمية»: والآية وإن نزلت في منكري البعث من الكفار فهي تعم أكثر مدعي الإسلام في زماننا هذا فإنه لا يحدث الله في عالم رباني من أهل الذكر وهم أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته سراً من أسرار القرآن وحقيقة من حقائق العلوم اللدنية إلا أسمعه أهل العزة بالله وهم يستهزئون به وينكرونه عليه لاهية قلوبهم بمتابعة الهوى متعلقة بشهوات الدنيا ساهية عن ذكر الله غافلة عن طلبه وتناجوا في السر الذين ظلموا أنفسهم بالإنكار على أن الأسرار يقولون فيه ما يأتيكم به من الكلام المموه وأنتم تبصرون أنه مموه كالسحر قل أمرهم إلى الله فإنه يعلم قول أهل السماء سماء القلوب وقول أهل الأرض النفوس وهو السميع لأقوال أهل القلوب وأقوال أهل النفوس وإنكارهم العليم بما في ضمائرهم وبأفعالهم وأوصافهم وأوصاف سرائرهم بل قالوا كلام المحققين خيالات فاسدة وقال بعض المنكرين بل اختلقه من نفسه وادعى أنه من مواهب الحق وقال بعضهم بل هو شاعر أي: يقول ما يقول بحذاقة النفس وقوة الطبع والذكاء ثم قال بعضهم لبعض فليأتنا هذا المحق بكرامة ظاهرة كما أتى بها المشايخ المتقدمون ثم قال: ما آمنت قبلهم من أهل قرية من المنكرين لما رأوا كرامات أولياء الله فأهلكناهم بالخذلان والإبعاد أفهم يصدقون أرباب الحقائق إن رأوا كرامة منهم وهم طبعوا على الإنكار مثل المنكرين الهالكين وفي «المثنوي»:

مغزراً خالى كن ازانكار يار ... تاكه ريحان يابد از كلزار يار
تا بيابى بوى خلد از يار من ... چون محمد بوى رحمان ازيمن
يك مناره درثناى منكران ... كو درين عالم كه تاباشد نشان
منبرى كوكه برآنجا مخبرى ... ياد آرد روزكار منكرى
روى دينار ودرم از نامشان ... تا قيامت ميدهد ازحق نشان
سكه شاهان همى كردد دكر ... سكه احمد ببين تا مستقر
برزخ نقره وياروى زرى ... وانما برسكه نام منكرى
هركه باشد همنشين دوستان ... هست دركلخن ميان بوستان
هركه بادشمن نشيند درزمن ... هست او در بوستان دركولخن

اللهم اجعلنا من المجالسين لأهل الودّ والولاء واحشرنا معهم بحق الملأ الأعلى.

﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً﴾ جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم أي: وما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك إلى أمتك إلا رجالاً مخصوصين من أفراد الجنس مستأهلين ومثله في الفارسية [كلمه مرد] ﴿نوحي إليهم﴾ بواسطة الملك ما نوحي من الشرائع والأحكام وغيرهما من القصص والأخبار كما نوحي إليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية فما لهم لا يفهمون أنك لست بدعا من الرسل وأن ما أوحي إليك ليس مخالفاً لما أوحي إليهم فيقولون ما يقولون.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه تعالى يظهر في كل قرن رجالاً بالغين من متابعي الأنبياء ويخصهم بوحي الإلهام كما أظهر في زمان عيسى عليه السلام الحواريين من متابعيه وأوحى إليهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى﴾ [المائدة: ١١١] ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ قد سبق أن الذكر يطلق على الكتب الإلهية أي: إن كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا أيها الكفرة الجهلة أهل الكتاب الواقفين على أحوال الرسل السالفة لتزول شبهتكم أمروا بذلك لأن إخبار الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته عليه السلام ويشاورونهم في أمره وكانوا لا ينكرون كون الرسل بشراً وإن أنكروا نبوته عليه السلام.

ـ روي ـ أنه قيل للإمام الغزالي رحمه الله بماذا حصل لكم الإحاطة بالأصول والفروع فتلا هذه الآية وأشار إلى أن السؤال من أسباب العلم وطرائقه.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿**وما جعلناهم**﴾ أي: الرسل ﴿**جسداً**﴾ الجسد جسم الإنسان والجن والملائكة. قال الراغب: الجسد كالجسم لكنه أخص فإن الجسد ما له لون والجسم يقال لما لا يبين له لون كالماء والهواء ونصبه على أنه مفعول ثان للجعل لا بمعنى جعله جسداً بعد أن لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل ﴿**لا يأكلون الطعام**﴾ صفة له والطعام البر وما يؤكل والطعم تناول الغذاء أي: وما جعلناهم جسداً مستغنياً عن الأكل والشرب بل محتاجاً إلى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه ﴿**وما كانوا خالدين**﴾ لأن مآل التحلل هو الفناء لا محالة والخلود تبرؤ الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها والمراد إما المكث المديد كما هو شأن الملائكة أو الأبدي وهم معتقدون أنهم لا يموتون. والمعنى جعلناهم أجساداً متغذية صائرة إلى الموت بالآخرة على حسب آجالهم لا ملائكة ولا أجساداً مستغنية عن الأغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الأنبياء والأولياء خلقوا محتاجين إلى الطعام بخلاف الملائكة وذلك لا يقدح في النبوة والولاية بل هو من لوازم أحوالهم وتوابع كمالهم فإن لهم فيه فوائد جمة منها:

أن الطعام للروح الحيواني الذي هو مركب الروح الإنساني كالدهن للسراج وهو منبع جميع الصفات النفسانية الشهوانية وهو مركب الشوق والمحبة التي بها يقطع السالك الصادق مسالك البعاد ويعبر العاشق مهالك الفراق للوصول إلى كعبة الوصال.

ومنها: أن أكل الطعام من نتائج الهوى وهو يميل النفس إلى مشتهياتها والسير إلى الله بحسب نهي النفس عن الهوى كقوله تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] ولذا قال المشايخ: لولا الهوى ما سلك أحد طريقاً إلى الله.

ومنها: أن كثيراً من علم الأسماء التي علم الله آدم منوط بأكل الطعام مثل علم ذوق المذوقات وعلم التلذذ بالمشتهيات وعلم لذة الشهوة وعلم الجوع وعلم العطش وعلم الشبع

والري وعلم هضم الطعام وثقله وعلم الصحة والمرض وعلم الداء والدواء وأمثاله والعلوم التي تتعلق به كعلوم الطب بأجمعها والعلوم التي هي توابعها كمعرفة الأدوية والحشائش وخواصها وطباعها وغيرها اقتصرنا على هذا القدر من الفوائد الجمة فافهم جداً.

ـ حكي ـ أن واحداً من الصوفية المتحققين بحقائق تجلي الصمدية لم يأكل طعاماً ستة أشهر فألح عليه شيخه بالأكل لما أن الكمال المحمدي في الإفطار والإمساك والسهر والمنام ونحو ذلك لا في الرهبانية المذمومة وفي «المثنوي»:

هين مكن خودرا خصى رهبان مشو زانكه عفت هست شهوت را كرو
بى هوا نهى ازهوا ممكن نبود هم غزا بر مردكان نتوان نمود
پس كلوا ازبهر دام شهوتست بعد ازان لا تسرفوا آن عفتست
چونكه رنج صبر نبود مرترا شرط نبود پس فرونايد جزا
حبذا آن شر وشادا آن جزا آن جزاى دلنواز جانفزا

قال الشافعي رحمه الله: أربعة لا يعبأ الله بهم يوم القيامة: زهد خصي، وتقوى جندي، وأمانة امرأة، وعبادة صبي وهو محمول على الغالب كما في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي.

﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ عطل على مقدر وصدق يتعدى إلى الثاني بحرف الجر وهو هنا محذوف كما في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥] كأنه قيل أوحينا إليهم ما أوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم في تضاعف الوحي بإهلاك أعدائهم ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ من المؤمنين وغيرهم ممن تستدعي الحكمة إبقاءه كمن سيؤمن هو أو بعض فروعه بالآخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستئصال.

يقول الفقير هكذا قال إذ الظاهر تخصيص من نشاء بالمؤمنين الآية في الرسل السالفة مع أممهم وعذابهم كان عذاب استئصال ولم ينج منهم غير المؤمنين فهي كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يونس: ١٠٣] ولما كانت العرب مصونة من عذاب الاستئصال لم يبعد أن يبقى منهم من سيؤمن هو أو بعض فروعه كما وقع يوم بدر فافهم ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ أي: مجاورين للحد في الكفر والمعاصي. قال الراغب السرف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر.

﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ١١﴾

﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ أي: والله لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش ﴿كتاباً﴾ عظيم الشأن نير البرهان ﴿فيه ذكركم﴾ موعظتكم بالوعد لترغبوا وتحذروا وليس بسحر ولا شعر ولا أضغاث أحلام ولا مفترى كما تدعون ﴿أفلا تعقلون﴾ الفاء للعطف على مقدر أي: ألا تتفكرون فلا تعقلون أن الأمر كذلك. وقال بعضهم فيه ذكركم أي: شرفكم لأنه بلغة العرب. قال الكاشفي: [اين آيت أهل قرآنرا تشريفي تمام وتكريمي مالا كلامست وخبر «أشراف أمتي حملة القرآن» مؤيد ومؤكد اين اجلال واكرام] والمراد بحملة القرآن ملازمو قراءته كما في «تفسير الفاتحة» للفناري:

آهـل قـرآنـنـد أهـل الله وبـس انـدر ايشـان كـى رسـى هـى بـوالـهـوس
اهـل بـاشـد جـنـس وجـنـس ايـن كـلام نـيـسـت جـز مـرغـى كـه بـروازد زدام

وفي الحديث: «إن لله أهلين من الناس أهل القرآن وهم أهل الله» أي: خاصته. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لما دنا فراق رسول الله ﷺ جمعنا في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها ثم نظر إلينا فدمعت عيناه وقال: «مرحباً بكم حياكم الله رحمكم الله تعالى أوصيكم بتقوى الله وطاعته قد دنا الفراق وحان المنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى يغسلني رجال أهل بيتي ويكفنونني في ثيابي هذه إن شاؤوا أو في حلة يمانية فإذا غسلوني وكفنوني ضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير لحدي ثم اخرجوا عني ساعة فأول من يصلي علي حبيبي جبرائيل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنودهم ثم ادخلوا عليّ فوجاً فوجاً وصلوا عليّ فلما سمعوا فراقه صاحوا وبكوا» وقالوا: يا رسول الله أنت نور ربنا وشمع جمعنا وسلطان أمرنا إذا ذهبت عنا إلى من نرجع في أمورنا قال: «تركتكم على المحجة البيضاء» أي: الطريق الواسع الواضح «ليلها كنهارها» في الوضوح «وتركت لكم واعظين ناطقاً وصامتاً» فالناطق القرآن والصامت الموت «فإذا أشكل عليكم أمر فارجعوا إلى القرآن والسنة وإذا قست قلوبكم فلينوها بالاعتبار في أحوال الأموات» وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «من تعلم القرآن في صغره اختلط القرآن بلحمه ودمه ومن تعلمه في كبره فهو يتفلت منه ولا يتزكه فله أجره مرتين» وجه الأول أنه في الصغر خال عن الشواغل وما صادف قلباً خالياً يتمكن فيه قال الشاعر:

اتـانـى هـواهـا قـبـل أن أعـرف الـهـوى فـصـادف قـلـبـا خـالـيـا فـتـمـكـنـا

ويدخل في الثاني من له حصر أو عيّ لأن من قرأ القرآن وهو عليه شاق فله أجران أجر لقراءته وأجر لمشقته كذا في «شرح المصابيح».

﴿وكم قصمنا من قرية﴾ كم خبرية للتكثير محلها النصب على أنها مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بإبانة إجراء المكسور وإزالة تأليفها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى ﴿كانت ظالمة﴾ صفة لقرية بتقدير المضاف أي: وكثيراً كسرنا وأهلكنا من أهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله كافرين بها كدأبكم يا معشر قريش ﴿وأنشأنا بعدها﴾ أي: بعد إهلاكها والإنشاء والاختراع والتكوين والتخليق والإيجاد أسماء مترادفة يراد بها معنى واحد وهو إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود كما في «بحر العلوم». قال الراغب: الإنشاء إيجاد الشيء وتربيته وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان كما في هذه الآية ﴿قوماً آخرين﴾ أي ليسوا منهم نسباً ولا ديناً.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ الضمير للأهل المحذوف والبأس الشدة والمكروه والنكاية أي: أدركوا عذابنا الشديد إدراكاً تاماً كأنه إدراك المشاهد المحسوس ﴿إذا هم منهم﴾ من القرية إذا للمفاجأة وهم مبتدأ خبره قوله: ﴿يركضون﴾ الركض ضرب الدابة بالرجل للعدو فمتى نسب

إلى الراكب فهو إعداء مركوبه نحو ركضت الفرس ومتى نسب إلى الماشي فوطىء الأرض والمعنى يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بهم في إفراط الإسراع.

﴿لا تركضوا﴾ أي: قيل لهم بلسان الحال أو بلسان المقال من الملك لا تركضوا ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾ يقال أترفته النعمة أطغته وأترف فلان أصر على البغي أي: إلى ما أعطيتموه من العيش الواسع والحال الطيبة حتى بطرتم به فكفرتم وأعرضتم عن المعطي وشكره ﴿ومساكنكم﴾ التي تفتخرون بها وفي «المثنوي»:

افتخاراز رنك وبو واز مكان هست شادى وفريب كودكان

﴿لعلكم تسألون﴾ تقصدون من جهة الناس للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل كما هو عادة الناس مع عظمائهم في كل قرية لا يزالون يقطعون أمراً دونهم.

﴿قالوا﴾ لما يئسوا من الخلاص بالهرب وأيقنوا بنزول العذاب ﴿يا ويلنا﴾ يا ويل ويا هلاك تعال فهذا وقتك. وقال الكاشفي: [اى واى برما] ﴿إنا كنا ظالمين﴾ أي: مستوجبين للعذاب وهو اعتراف منهم بالظلم وباستتباعه للعذاب وندمهم عليه حين لم ينفعهم ذلك.

﴿فما زالت تلك﴾ أي: كلمة الويل وهي يا ويلنا إنا كنا ظالمين وهي اسم ما زالت وخبره قوله: ﴿دعواهم﴾ أي: دعاءهم ونداءهم أي: رددوها مرة بعد أخرى ﴿حتى جعلناهم حصيداً﴾ أي: مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع أي: لأن الفعيل بمعنى المفعول يستوي فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿خامدين﴾ حال من المنصوب في جعلناهم أي: ميتين من خمدت النار إذا أطفىء لهبها ومنه استعير خمدت الحمى أي: سكنت حرارتها وزالت شهوة الموت لخمود النار وانطفائها فأطلق عليه الخمود ثم اشتق منه خامدين. دلت الآية على أن في الظلم خراب العمران، قال الشيخ سعدي قدس سره:

بقومى كه نيكى پسندد خداى دهد خسرو عادل نيك راى

چو خواهدكه ويران كند عالمى كند ملك در پنچه ظالمى

وفي الحديث «الظلم ظلمات يوم القيامة» وإذا أظلم القلب عن المعرفة والإخلاص خرب وعلامة خراب القلب عصيان الجوارح وتعديها وميلها إلى ما فيه الهلاك. وقال بعض أهل التفسير والأخبار: إن أهل حضور من قرى اليمن وقيل كانت بأرض الحجاز من ناحية الشام بعث إليهم نبي اسمه موسى بن ميشان كما في «الكشف». وقال الإمام السهيلي في «التعريف والأعلام» اسمه شعيب بن ذي مهرم وقبر شعيب هذا في اليمن بجبل يقال له ضين. قال في «القاموس» ضين بالكسر جبل عظيم بصنعاء اهـ وليس شعيب صاحب مدين لأن قصة حضور قبل مدّة معدّ جده عليه السلام وبعد مئين من السنين من مدة سليمان عليه السلام وأنهم قتلوا نبيهم وقتل أصحاب الرس أيضاً في ذلك التاريخ نبياً لهم اسمه حنظلة بن صفوان فأوحى الله إلى أرمياء أن ائت بخت نصر وأعلمه أني قد سلطته عليهم وعلى أرض العرب وأني منتقم به منهم وأوحى الله إلى أرمياء أن احمل معد بن عدنان على البراق إلى أرض العراق كيلا يصيبه النقمة والبلاء معهم فإني مستخرج من صلبه نبياً في آخر الزمان اسمه محمد ﷺ فحمل معداً وهو ابن اثني عشر وكان مع بني إسرائيل إلى أن كبر وتزوج امرأة اسمها معانه. ثم إن بخت نصر نهض بالجيوش وكمن للعرب في مكان وهو أول من اتخذ المكامن في الحرب فيما زعموا ثم شن الغارات على حضور أي: صبها على أهلها من كل وجه فقتل وسبى وخرب

العامر ولم يترك بحضور أثراً قال الله تعالى: ﴿حتى جعلناهم حصيداً خامدين﴾ ثم وطىء أرض العرب يمنها وحجازها فأكثر القتل والسبي وخرب وحرق ثم انصرف راجعاً إلى السواد وإياهم عنى الله بقوله: ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة﴾ وهذه الرواية منقولة عن ابن عباس رضي الله عنهما وظاهر الآية على الكثرة لأن كم للتكثير ولعله رضي الله عنه ذكر حضور بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية وفي الحديث «خمس في خمس ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا منع عنهم القطر».

هرچه بر توآيد از ظلمات وغم ... آن زبى شر مى وكستاخيست هم

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وما خلقنا السماء﴾ الخلق أصله التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء أي: وما أبدعنا السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة ﴿والأرض﴾ التي هي كالفراش والبساط ﴿وما بينهما﴾ من أنواع الخلائق وأصناف العجائب حال كوننا ﴿لاعبين﴾ يقول لعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً أي: عابثين بل لحكم ومصالح وهي أن تكون مبدأ لوجود الإنسان وسبباً لمعاشه ودليلاً يقوده إلى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى.

برك درختان سبز در نظر هوشيار ... هر ورقى دفتريست معرفت كردكان

وكل شيء فهو إما مظهر لطفه تعالى أو قهره وفي كل ذرة سر عجيب.

بنكر بچشم فكركه ازعرش تابفرش ... در هيچ ذره نيست كه سرى عجيب نيست

فإن قيل: دلت الآية على أن اللعب ليس من فعله وإنما هو من أفعال اللاعبين لأن اللاعب اسم لفاعل اللعب فنفي اسم الموضوع يقتضي نفي الفعل. أجيب بأن ذلك يبطل بمسألة خلق الداعي والقدرة.

﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ أي: ما يتلهى به ويلعب على أنه مصدر بمعنى المفعول يقال لهوت بالشيء لهواً إذا لعبت به. قال الكاشفي: [چيزى بآن بازى كنند وبرؤية آن مستأنس شوند چون زن وفرزند]. وقال الراغب اللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه ويعبر عن كل ما به استمتاع باللهو قال تعالى: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ وقول من قال أراد باللهو المرأة والولد فتخصيص ببعض ما هو من زينة الحياة الدنيا انتهى. يقول الفقير: فسره بالمرأة في تفسير «الجلالين» المقصور على رواية ابن عباس رضي الله عنهما وبهما في «التأويلات» الشيخ نجم الدين قدس سره وهو من أكابر من جمع بين الطرفين ويدل على هذا المعنى قوله تعالى فيما بعد: ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾. قال الإمام الواحدي يستروح بكل واحد منهما أي: من المرأة والولد ولهذا يقال لامرأة الرجل وولده ريحانتاه ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ أي: من جهة قدرتنا عليه لتعلقها بكل شيء من المقدورات أو مما نصطفيه ونختاره مما نشاء من خلقنا من الحور العين أو من غيرها. قال الواحدي معنى من لدنا من عندنا بحيث لا يظهر لكم ولا تطلعون عليه ولا يجري

لأحد فيه تصرف لأن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره ﴿إن كنا فاعلين﴾ ذلك لكن تستحيل إرادتنا له لمنافاته الحكمة لا لعدم القدرة على اتخاذه ولا لغيره فيستحيل اتخاذنا له قطعاً.

قال في «التأويلات النجمية»: جل جلال قدس حضرتنا عن أمثال هذه التدنسات وعز جناب كبريائنا عن أنواع هذه الوصمات وقد تنزه عن أمثالها الملائكة المقربون وهم عبادنا المكرمون المخلوقون فالحضر الخالقية أولى بالتنزه عن أمثالها انتهى. وإن للشرط على سبيل الفرض والتقدير وجواب إن محذوف لدلالة الجواب المتقدم عليه أي: إن كنا فاعلين لاتخذناه.

﴿بل نقذف بالحق على الباطل﴾ إضراب عن اتخاذ الولد وإرادته كأنه قيل لكنا لا نريده بل شأننا أن نغلب الحق الذي من جملته الجد والإيمان والقرآن ونحوها على الباطل الذي من جملته اللهو والكفر والأباطيل الأخر. قال الراغب القذف الرمي البعيد ولاعتبار البعد فيه قيل منزل قذف وقذيف وبلدة قذوف طروح بعيدة والباطل نقيض الحق وهو الذي لا ثبات له عند الفحص عنه ﴿فيدمغه﴾ فيهلكه ويعدمه. قال أهل التفسير إنما استعار لذلك أي: للتغليب والتسليط وإيراد الحق على الباطل القذف وهو الرمي الشديد المستلزم لصلابة المرمي ولمحوه وإعدامه الباطل وهو كسر الشيء الرخو الأجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي إلى زهوق الروح تصويراً لإبطاله به فشبه الحق بجرم صلب كالماس أو الياقوت مثلاً قذف به على جرم رخو أجوف من قزاز أو تراب فمحقه وأعدمه. قال «صاحب المفتاح»: أصل استعمال القذف والدمغ في الأجسام ثم استعير القذف لإيراد الحق على الباطل والدمغ لإذهاب الباطل ومحوه فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي أي: ففيه تشبيه المعقول بالمحسوس عبر عن الصورة المقولة بما يدل على الهيئة المحسوسة لتتمكن تلك الهيئة المعقولة في ذهن السامع فضل تمكن ﴿فإذا هو﴾ [پس آنجا او] ﴿زاهق﴾ أي: ذاهب بالكلية والزهوق ذهاب الروح ويقال زهقت نفسه خرجت من الأسف وفي إذا المفاجأة والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكأنه زاهق من الأصل وذكره لترشيح المجاز فإن ذهاب الروح إنما يلائم المستعار منه أي: المعنى الأصلي للدمغ فإن الدماغ مجمع الحواس وإذا بلغت الشجة إليه يموت الحيوان.

وفي «التأويلات النجمية» للحق ثلاث مراتب وكذا للباطل مرتبة أفعال الحق ومرتبة صفات الحق ومرتبة ذات الحق تعالى فأما أفعال الحق فهي ما أمره الله به العباد فبها يدمغ باطل ما نهى الله عنه وأما صفات الحق فبتجليها يدمغ باطل صفات العبد وأما ذات الحق فإذا تجلى الله بذاته يدمغ باطل جميع الذوات كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] ويدل عليه ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] ولعل من قال أنا الحق إنما قال عند تجلي ذات الحق أو صفة حقيته لذاته الباطل إذ زهق باطل ذاته عند مجيء الحق فأخبر الحق عن ذاته بلسان اتصف بصفة الحق فقال أنا الحق، قال المغربي قدس سره:

ناصر ومنصور ميكويد انا الحق المبين بشنواز ناصركه آن كفتاراز منصور نيست

وقال الخجندي قدس سره:

هركه بدار فنا جبه هستى بسوخت رمز سوى الله بخواند سرانا الحق شنود

وقال:

أسرار أنا الحق سخن نيك بلندست معنى چنين جز بسردار نيابى

﴿ولكم الويل﴾ قال الأصمعي ويل قبوح وقد يستعمل في التحسر وويس استصغار وويح ترحم ومن قال ويل واد في جهنم فإنه لم يرد أن ويلاً في اللغة هو موضوع لهذا وإنما أراد أن من قال الله تعالى فيه ذلك فقد استحق مقراً من النار وثبت ذلك له. والمعنى استقر لكم الهلاك أيها المشركون ﴿مما تصفون﴾ من تعليلية متعلقة بالاستقرار أي: من أجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشأنه الجليل من المرأة والولد ووصف كلامه بأنه سحر وأضغاث أحلام ونحو ذلك من الأباطيل.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وله﴾ خاصة ﴿من في السموات والأرض﴾ أي: جميع المخلوقات إيجاداً واستبعاداً ﴿ومن عنده﴾ من عطف الخاص على العام والمراد الملائكة المكرمون المنزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريقة التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على أكثر خلقه لا على الجميع كما زعم أبو بكر الباقلاني وجميع المعتزلة فالمراد بالعندية عندية الشرف لا عندية المكان والجهة وعند وإن كان من الظروف المكانية إلا أنه شبه قرب المكانة والمنزلة بقرب المكان والمسافة فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به. قال الكاشفي: [يعني فرشتكان كه مقربان دركاه الوهيت اند وشما ايشانرا مى پرستيد] ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ أي: لا يتعظمون عنها ولا يعدون أنفسهم كبيرة بل يتفاخرون بعبوديته فالبشر مع نهاية ضعفهم أولى أن يطيعوه والجملة حال من قوله من عنده. وجعل المولى أبو السعود رحمه الله من عنده مبتدأ ولا يستكبرون خبره ﴿ولا يستحسرون﴾ ولا يكلون ولا يعيون يقال حسر واستحسر إذا تعب وأعيى يعني أن استفعل بمعنى فعل نحو قر واستقر. قال في «المفردات»: الحسر كشف الملبس عما عليه يقال حسرت عن الذراع والحاسر من لا درع عليه ولا مغفر والناقة حسير حسر عنها اللحم والقوة والحاسر المعيي لانكشاف قواه ويقال للمعيي حاسر ومحسور أما الحاسر فتصور أنه قد حسر بنفسه قواه وأما المحسور فتصور أن التعب قد حسره والحسرة الغم على ما فاته والندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه أو انحسر قواه من فرط غم أدركه وأعياه عن تدارك ما فرط منه.

﴿يسبحون الليل والنهار﴾ كأنه قيل كيف يعبدون فقيل يسبحون الليل والنهار أي: ينزهونه في جميع الأوقات عن وصمة الحدوث وعن الأنداد ويعظمونه ويمجدونه دائماً ﴿لا يفترون﴾ لا يتخلل تسبيحهم فترة طرفة عين بفراغ منه أو بشغل آخر لأنهم يعيشون كما يعيش الإنسان بالنفس والحوت بالماء. يعني أن التسبيح بالنسبة إلى الملائكة كالتنفس بالنسبة إلينا فكما أن قيامنا وقعودنا وتكلمنا وغير ذلك من أفعالنا لا يشغلنا عن التنفس فكذلك الملائكة لا يشغلهم عن التسبيح شيء من أفعالهم كما قال عبد الله بن الحارث لكعب أليس إنهم يؤدون الرسالة ويلعنون من لعنه الله كما قال: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١] وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ١٦١] فقال: التسبيح لهم كالتنفس لنا فلا يمنعهم عن عمل. فإن قلت التسبيح واللعن من جنس الكلام فكيف لا يمنع أحدهما الآخر. قلنا لا يبعد أن يخلق الله لهم ألسنة كثيرة ببعضها يسبحون وببعضها يلعنون. أو المعنى لا يفترون عن العزم على أدائه في أوقاته

كما يقال فلان مواظب على الجماعة لا يفتر عنها فإنه لا يراد به دوام الاشتغال بها وإنما يراد العزم على أدائها في أوقاتها كما في «الكبير». وعن بعض أرباب الحقائق زالت مشقة التكاليف الشرعية عن أهل الله تعالى لفرط محبتهم إياه سبحانه ولتبدل مجاهدتهم بالحب الإلّهي لأنه ظهر شرف تلك التكاليف وبهر كونها تجليات الهية.

يقول الفقير: سمعت من حضرة شيخي وسندي قدس سره وهو يقول لا تتيسر حلاوة العبودية إلا بعد المعرفة التامة بالله تعالى والشهود الكامل له وذلك لأن لذة المناجاة مع السلطان لا يصل إليها السائس فعبادة أهل الحجاب لا تخلو عن فتور وكلفة بخلاف أهل الكشف الإلهي فإن العبادة صارت لهم كالعادة لغيرهم في سهولة المأخذ والقيام بها نسأل الله تعالى أن يخفف عنا الأوزار إنه الكريم الغفار. قال الراغب الفتور سكون بعد حدة ولين بعد شدة وضعف بعد قوة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩] أي: سكون خال عن مجيء رسول وقوله تعالى: ﴿لا يفترون﴾ أي: لا يسكنون عن نشاطهم في العبادة وفي الحديث: «لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن فتر إلى سنتي فقد نجا وإلا فقد هلك» فقوله: «لكل شرة فترة» إشارة إلى ما قيل للباطل صولة ثم تضمحل وللحق دولة لا تزل وقوله: «من فتر إلى سنتي أي: سكن إليها فالطرف الفاتر فيه ضعف مستحسن والفتر ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة يقال فترته بفتري وشبرته بشبري انتهى كلام الراغب الأصفهاني في «كتاب المفردات».

﴿أم اتخذوا آلهة﴾ أم منقطعة مقدرة ببل مع الهمزة ومعنى الهمزة إنكار الوقوع لا إنكار الواقع والضمير للمشركين والمراد بالآلهة الأصنام ﴿من الأرض﴾ متعلق باتخذوا بمعنى ابتدأوا اتخاذها من الأرض بأن صنعوها ونحتوها من بعض الحجارة أو من بعض جواهرها كالشبة والصفر ونحوهما والمراد به تحقير المتخذ لا التخصيص ﴿هم ينشرون﴾ يقال: أنشره الله أحياه أي: يبعثون الموتى والجملة صفة الآلهة وهو الذي يدور عليه الإنكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فإنه واقع لا محالة بل اتخذوا آلهة من الأرض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فإن ما اتخذوها آلهة بمعزل عن ذلك وهم وإن لم يقولوا بذلك صريحاً فإنهم لم يثبتوا الإنشار لله تعالى كما قالوا ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ [يس: ٨٧] فكيف يثبتونه للأصنام لكنهم حيث ادعوا لها الإلٰهية فكأنهم ادعوا لها الإنشار ضرورة أنه من الخصائص الإلّهية حتماً.

﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله﴾ تنزيه لنفسه عن الشريك بالنظر العقلي وإلا بمعنى غير على أنها صفة آلهة أي: لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل سواء كان الله معهم أو لم يكن. قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف قال لو كان فيهما فجعل السموات ظرفاً وهو تحديد والجواب لم يرد به معنى الظرف وإنما هو كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ [الزخرف: ٨٤] ﴿لفسدتا﴾ الفساد خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج عنه أم كثيراً ويضاده الصلاح ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة

أي: لخرجتا عن هذا النظام المشاهد لأن كل أمر بين الاثنين لا يجري على نظام واحد والرعية تفسد بتدبير الملكين وحيث انتفى التالي تعين انتفاء المقدم.

قال في «التأويلات النجمية»: إن هذه الآلهة لا تخلو إما أن يكون كلهم متساوياً في الألوهية وكمال القدرة أو بعضهم كامل وبعضهم ناقص وإما أن يكون كلهم ناقصاً يحتاج بعضهم إلى بعض في الإلٓهية وإما كمالية بعضهم وناقصية بعضهم فهو يقتضي استغناء الكامل عن الناقص فالناقص لا يصلح للإلٓهية. وأما الناقصون الذين يحتاجون إلى إعانة بعضهم لبعض فلا يصلحون للآلهية لأنهم محتاجون إلى مكمل واحد مستغن عما سواه وهو الله الواحد الأحد الصمد الغني عما سواه وما سواه محتاج إليه ولو كان فيهما آلهة غيره لفسدتا لعدم مدبر كامل في الإلٓهية ولعجز آلهة أخرى في المدبرية:

درد وجـهـان قـادر ويـكـتـا تـويـى جـمـلـه ضـعـيـفـنـد وتـوانـا تـويـى
چـون قـدمـت بـانـك بـرابـلـق زنـد جـزتـوكـه يـارو كـه انـا الـحـق زنـد

﴿فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ أي: نزهوه تنزيهاً عما يصفونه به من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لأن ذلك من صفات الأجسام ولو كان الله جسماً لم يقدر على خلق العالم وتدبير أمره ولم يكن مبدأ له على أن الجسم مركب ومتحيز وذلك من أمارات الحدوث وجواز الوجود وواجب الوجود متعال عن ذلك.

قال في «التأويلات النجمية»: نزه الله نفسه عن العجز والاحتياج لغيره في الإلٓهية وأثبت أنه خالق العرش الذي هو مصدر فيض الرحمانية إلى المكونات لنفي الإلٓهية عن غيره منزهاً عما يصفون باحتياجه إلى العرش أو بآلهة أخرى في الإلٓهية، وفي «المثنوي»:

واحـد انـدر مـلـك او را يـارنـى بـنـدكـانـش را جـزاو سـالارنـى
نـيـسـت خـلـقـش را دكـركـس مـالـكـى شـر كـتـش دعـوى كـنـد جـزهـا لـكـى

قال بعض الكبار افترى العادلون عن الله إلى غيره كالطبائعيين القائلين بأن جميع التأثيرات الواقعة إنما هي من مقتضيات الطبيعة كديمقراطيس وأتباعه والسوفسطائيين المنكرين لجميع الموجودات حتى أنفسهم وإنكارهم وأما الثنوية أعني القائلين بإلٓهين اثنين أحدهما مصدر للخيرات والآخر مصدر للشرور فإنهم قد لعنوا على لسان أهل الإشراف الكشفي والبرهاني ليس لجسد قلبان ولا لبدن نفسان ولا للسماء شمسان شهد الأخبار بواحد وهو منتهى الأعيان لو حصل شمسان لانطمست الأركان أبى النظام شمسا أخرى فكيف لا يأبى إلهاً آخر إن كان للقيوم شريك فأين شمسه لأنها أكمل النيرات فخالقها أكمل ممن لم يخلق مثلها ومن غيره أكمل منه لا يكون واجباً لذاته لأن الوجوب الذاتي من خصائص الكمال التام فحيث لم نجد شمساً أخرى عرفنا أنه ليس في الوجود إله آخر:

يـشـهـد الله أيـنـمـا يـبـدو أنـــه لا إلـــه إلا هـــو

قال بعض أرباب الحقائق: لو كان في سماء الروحانية وأرض البشرية مدبرات مثل العقل في سماء الروحانية وفي الهوى أرض البشرية غير هداية الله تعالى بواسطة الأنبياء والشرائع لفسدتا كما فسدت بتدبير العقل والهوى سماء الروحانية الفلاسفة والطبائعية والدهرية والإباحية والملاحدة وأرض بشريتهم فأما فساد سماء أرواحهم فبأن زلت قدمهم عن جادة التوحيد وصراط الوحدانية حتى أثبتوا لله الواحد القديم شريكاً قديماً وهو العالم فلم يقبلوا دعوة الأنبياء

ولم يهتدوا بهداية الحق، وفي «المثنوي»:

اى بـبـرده عـقـل هـديـه تـا الـه عـقـل آنجـا كـمـترسـت ازخـاك راه

وأما فساد أرض بشريتهم فبأن زلت قدمهم عن جادة العبودية وصراط الشريعة والمتابعة حتى عبدوا طاغوت الهوى والشيطان وآل أمر فساد حالهم إلى أن قال تعالى فيهم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]. قال الشيخ أبو عثمان المغربي قدس سره من أمر السنة على نفسه أخذاً وتركاً وحباً وبغضاً نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة فعلى السالك أن يأخذ بالطريق الوسط وهو طريق الكتاب والسنة الموصل إلى الجنة والقربة والوصلة ويجتهد في تحصيل كمال الصدق والإخلاص إذ هو الزاد لأهل الاختصاص نسأل الله الفياض الكريم أن يشرفنا بفيضه العميم ويثبتنا على صراطه المستقيم.

﴿لا يسأل﴾ الله تعالى ﴿عما يفعل﴾ ويحكم ﴿وهم﴾ أي: العباد ﴿يسألون﴾ عما يفعلون نقيراً وقطميراً والسؤال استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة وجوابه على اللسان واليد خليفة له بالكتابة والإشارة. فإن قيل ما معنى السؤال بالنسبة إلى الله تعالى؟ قلنا تعريف للقوم وتبكيتهم لا تعريف لله تعالى فإنه علام الغيوب فالسؤال كما يكون للاستعلام يكون للتبكيت وإنما لا يسأل سؤال إنكار ويجوز السؤال عنه على سبيل الاستكشاف والبيان كقوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ [مريم: ٨] وعلى سبيل التضرع والحاجة كقوله تعالى حكاية عن الكافر ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [طه: ١٢٥]. قال في «بحر العلوم»: إنما لا يسأل عما يفعل لأنه رب مالك علام لا نهاية لعلمه وكل من سواه مربوب مملوك جاهل لا يعلم شيئاً إلا بتعليم فليس للمملوك الجاهل أن يتعرض على سيده العليم بكل شيء فيما يفعل ويقول لم فعلت وهلا فعلت مثلاً وهم يسألون لأنهم مملوكون مستعبدون خطاؤون فيقال لهم في كل شيء فعلوه لم فعلتم.

واعلم أن الاعتراض شؤم يسخط الرب ويوجب عقابه وسخطه، قال الحافظ:

مـزن زچـون وچـرادم كـه بـنـده مـقـبـل قبول كردبجان هرسخن كه جانان كفت

وبشؤم الاعتراض على الله في فعله لعن إبليس وكان من مردة الكافرين فإنه تعالى لما أمره بالسجود قال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١] وبشؤم الاعتراض في شأن بني آدم أصاب الملكين هاروت وماروت ما أصابهما فهذا بالاعتراض في شأن المخلوق فكيف بالاعتراض في شأن الخالق وبالاعتراض على الله والتعمق في الخوض في صفاته هلك الهالكون من أهل الأهواء وأرباب الآراء تعمقوا فيما لم يتعمق فيه أصحاب رسول الله والتابعون ومن تبعهم من أهل الحق وتكلفوا الخوض فيه فوقعوا في الشبهات فضلوا وأضلوا ولو لم يتعمقوا لسلموا وقد اتفقت كلمة أهل الحق على أن الاعتراض على الله الملك الحق في فعله وما يحدثه في خلقه كفر فلا يجترىء عليه إلا كافر وجاهل ضال. وكذا الاعتراض على النبي عليه السلام فإنه إنما يقول عن الحق لا عن الهوى فالاعتراض عليه اعتراض على الحق وفيه الهلاك. قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله يقول: «يا أيها الناس كتب عليكم الحج» فقام عكاشة بن محصن فقال: أكل عام يا رسول الله فقال: «لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ثم تركتموها لضللتم اسكتوا عني كما سكت عنكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم» فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن

تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠١] الآية. ومن أشد التشنيع وأقبح الاعتراض على رسول الله ﷺ ما روي عن بعض الكبار أنه قال: كنت في مجلس بعض الغافلين فتكلم إلى أن قال لا مخلص لأحد من الهوى ولو كان فلاناً عنى به النبي عليه السلام من حيث قال: «حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة» فقلت أما تستحيي من الله تعالى فإنه ما قال أحببت بل قال حبب فكيف يلام العبد من عند الله ثم حصل لي هم وغم فرأيت النبي عليه السلام في المنام فقال: لا تغتم فقد كفيناك أمره ثم سمعت أنه قتل. قال الفقهاء من عيره عليه السلام بالميل إلى نسائه قاصداً به النقص يقتل قاتله الله تعالى. يقول الفقير:

شب پره ميطلبد بدر تمامت نقصان اونداندكه ابدنور تو ظاهر باشد
هركه ازروى جدل برتو سخن ميراند بمثل شد اكرش بو على كافر باشد

وأما الاعتراض على الأولياء والمشايخ من العلماء فإنه يحرم الخير ويقطع بركة الصحبة وزيادة العلم يدل على ذلك شأنه موسى والخضر عليهما السلام نهاه عن الاعتراض عليه فيما يفعل بقوله: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٠] فاعترض عليه فناداه الخضر بالفراق فحرم بركة صحبته وانقطعت بركة الزيادة من علمه والخير الذي جعله الله معه. ومن شؤم الاعتراض ما كان من أمر الخوارج اعترضوا على علي رضي الله عنه وخرجوا عليه فخرجوا من الدين وصاروا كلاب النار وشر قتلى تحت أديم السماء. قال أبو يزيد البسطامي قدس سره في حق تلميذه لما خالفه دعوا من سقط من عين الله فروئي بعد ذلك مع المخنثين وسرق فقطعت يده هذا حظ المعترض في الدنيا وأما حاله في الآخرة فلا يكلمه الله ولا ينظر إليه وله عذاب أليم في نار القطيعة والهجران، يقول الفقير:

هين مكن بامر شد كامل جدل تاناشد كمرهى اورا بدل

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أم اتخذوا من دونه آلهة﴾ الهمزة لإنكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا. والمعنى بل اتخذوا متجاوزين إياه تعالى آلهة مع ظهور خلوهم عن خواص الألوهية بالكلية ﴿قل﴾ لهم بطريق الإلزام وإلقام الحجر ﴿هاتوا﴾ [بياريد]. قال في «بحر العلوم» هات من أسماء الأفعال يقال هات الشي أي: أعطنيه. والمعنى أعطوني ﴿برهانكم﴾ حجتكم على ما تدعون من جهة العقل والنقل فإنه لا صحة لقول لا دليل عليه في الأمور الدينية لا سيما في مثل هذا الشأن الخطير. قال الراغب البرهان فعلان مثل الرجحان والبنيان. وقال بعضهم هو مصدر بره يبره إذا ابيض انتهى وقد أشار صاحب «القاموس» إلى كليهما حيث قال في باب النون البرهان بالضم الحجة وبرهن عليه أقام البرهان وفي باب الهاء أبره أتى بالبرهان. قال في «المفردات»: البرهان أوكد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبداً ﴿هذا ذكر من معي وذكر من قبلي﴾ هذا إشارة إلى الموجود بينهم من الكتب الثلاثة القرآن والتوراة والإنجيل فالقرآن ذكر وعظة لمن اتبعه عليه السلام إلى يوم القيامة والتوراة والإنجيل ذكر وعظة للأمم المتقدمة يعني راجعوا هذه الكتب الثلاثة هل تجدون في واحد منها غير الأمر بالتوحيد فهذا برهاني قد أقمته فأقيموا أيضاً برهانكم.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن إثبات الوحدانية بالتحقيق وكشف العيان من خصوصية العلماء المحققين من أمتي الذين هم معي في سير المقامات وقطع المنازل إلى الخضرة كما هو من خصائص الأنبياء من قبلي ومن هنا قال ﷺ: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» أي: في صدق طلب الحق بالإعراض عن الكونين والتوجه إلى الله تعالى ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق﴾ إضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن أي: لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل فلا تنجع فيهم المحاجة بإظهار حقية الحق وبطلان الباطل. وفي «بحر العلوم» كأنه قيل بل عندهم ما هو أصل الفساد كله وهو الجهل وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثمة جاء الإعراض ومن هناك ورد الإنكار ﴿فهم﴾ لأجل ذلك ﴿معرضون﴾ مستمرون على الإعراض عن التوحيد واتباع الرسول وأما أقلهم العالمون فلا يقبلونه عناداً.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه﴾ أي: الشأن ﴿لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ أي: وحدوني ولا تشركوا بي. وفيه إشارة إلى أن الحكمة في بعثة جميع الأنبياء والرسل مقصورة على هاتين المصلحتين وهما إثبات وحدانية الله تعالى وتعبده بالإخلاص لتكون فائدة تينك المصلحتين راجعة إلى العباد لا إلى الله تعالى كما قال: «خلقت الخلق ليربحوا عليّ لا لأربح عليهم»، وفي «المثنوي»:

چون خلقت الخلق كي يربح على ... لطف توفر مود أي: قيوم وحي
لا لأن أربح عليهم جودتست ... كه شود زو جمله ناقصها درست
عفو كن زين ناقصان تن پرست ... عفو ازدرياى عفو او ليترست

وأكبر فائدتهما معرفة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] أي: ليعرفون وهي مختصة بالإنسان دون سائر المخلوقات فإنها هي حقيقة الأمانة التي قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآية.

يقول الفقير: العبادة طريق المعرفة وهي طريق الرؤية فالرؤية أعلى من المعرفة لأن العارفين مشتاقون إلى منازل أهل الوصال والواصلون لا يشتاقون إلى منازل أهل المعرفة والمعرفة يتولد منها التعب والعناء والرؤية يتولد منها السرور والرضى. قال بعض العارفين المعرفة ألطف والرؤية أشرف والمعرفة أشد والرؤية آكد فعلى السالك أن يجتهد في تحقيق المعرفة والتوحيد ويصل إلى رؤية الحميد المجيد. والتوحيد على ثلاث مراتب: توحيد أهل البداية وهو لا إله إلا هو وسير أهل هذا التوحيد في عالم الأجسام، وتوحيد أهل التوسط وهو لا إله إلا أنت وسير أهل هذا التوحيد في عالم الأرواح. وتوحيد أهل النهاية وهو لا إله إلا أنا وسير أهل هذا التوحيد في عالم الحقيقة وإلى هذه المرتبة أشار الشيخ المغربي قدس سره بقوله:

نور هستى جمله ذرات عالم تا ابد ... ميكنناز مغربى چون ماه ازمهر اقتباس

ومن لطائف الكمال الخجندي قوله:

طاس بازى بديدم از بغداد چون جنيد ازسلوكش آكاهى
رفت درجبه وقت بازى كفت ليس في جبتي سوى اللهى

ثم إن في الآية إشارة إلى أن أكثر الخلق من يدعون الإسلام والتوحيد ولا يميزون الحق من الباطل فيتبعون أهل الشرك والرياء والبدع والهوى والدنيا ولذا قلت عبادتهم بالإخلاص بل انتفى رعاية الشريعة بينهم ولو كان لهم استعداد وجدان الحق لوجدوا أهله أولاً ووصلوا بتسليكهم على قدمي الشريعة والطريقة إلى المعرفة والحقيقة فإنما حرموا الوصول بتضييعهم الأصول ومن الله الهداية والتوفيق ومنه الوصول إلى مقام الصدق والتحقيق.

﴿وقالوا﴾ أي: حي من خزاعة ﴿اتخذ الرحمٰن ولداً﴾ من الملائكة وادعوا أنهم بنات الله وأنه تعالى صاهر سروات الجن فولدت له الملائكة. قال الراغب الأخذ وضع الشيء وتحصيله وذلك تارة بالتناول نحو ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف: ٧٩] وتارة بالقهر نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ويقال أخذته الحمى ويعبر عن الأسير بالمأخوذ والأخيذ والاتخاذ افتعال منه فيتعدى إلى مفعولين ويجري مجرى الجعل ﴿سبحانه﴾ أي: تنزه بالذات تنزهه اللائق به على أن السبحان مصدر من سبح أي: بعد أو أسبحه تسبيحه على أنه علم للتسبيح وهو مقول على ألسنة العباد أو سبحوه تسبيحه. قال في «بحر العلوم» ويجوز أن يكون تعجباً من كلمتهم الحمقاء أي: ما أبعد من ينعم بجلائل النعم ودقائقها وما أعلاه عما يضاف إليه من اتخاذ الولد والصاحبة والشريك انتهى. وقال في «الكشف» التنزيه لا ينافي التعجب ﴿بل﴾ ليست الملائكة كما قالوا بل هم ﴿عباد﴾ مخلوقون له تعالى ﴿مكرمون﴾ مقربون عنده مفضلون على كثير من العباد لا على كلهم والمخلوقية تنافي الولادة لأنها تقتضي المناسبة فليسوا بأولاد وإكرامهم لا يقتضي كونهم أولاداً كما زعموا.

﴿لا يسبقونه بالقول﴾ صفة أخرى لعباد وأصل السبق التقدم في السير ثم تجوز به في غيره من التقدم أي: لا يقولون شيئاً حتى يقوله تعالى ويأمرهم به لكمال انقيادهم وطاعتهم كالعبيد المؤدبين. قال الكاشفي: [يعني بى دستورىء وى سخن نكويند مراد ازين سخن قطع طمع كافرانست از شفاعت ملائكه يعني ايشان بى اذن خداشفاعت نتوانند كرد] ﴿وهم بأمره يعملون﴾ أي: كما أنهم يقولون بأمره كذلك يعملون بأمره لا بغير أمره أصلاً فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة إلى غير أمره لا إلى أمر غيره والأمر مصدر أمرته إذا كلفته أن يفعل شيئاً. وفي الآية إشارة إلى أن العباد المكرمين بالتقرب إلى الله تعالى والوصول إليه لا يقولون شيئاً من تلقاء نفوسهم ولا يفعلون شيئاً بإرادتهم بل إذا نطقوا نطقوا بالله وإذا سكتوا سكتوا بالله.

يقول الفقير:

چون وزد باد صبا وقت سحر ميشود دريا زجنبش موجكر
موج وتحريك از صبا باشد همين نى زدريا اين خروش آينده هين

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿يعلم﴾ الله تعالى أي: لا يخفى عليه ﴿ما بين أيديهم﴾ ما قدموا من الأقوال والأعمال ﴿وما خلفهم﴾ وما أخروا منهما وهو الذي ما قالوه وما عملوه بعد فيعلمهم بإحاطته تعالى

بذلك ولا يزالون يراقبون أحوالهم فلا يقدمون على قول أو عمل بغير أمره تعالى فهو تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده ﴿ولا يشفعون﴾ الشفع ضم الشيء إلى مثله. والشفاعة الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى ومنه الشفاعة في القيامة ﴿إلا لمن ارتضى﴾ أن يشفع له من أهل الإيمان مهابة منه تعالى وبالفارسية: [مكر كسى كه خداى بشفاعت به پسندد اورا] قال ابن عباس رضي الله عنهما إلا لمن قال لا إله إلا الله. فلا دليل فيه للمعتزلة في نفي الشفاعة عن أصحاب الكبائر. قال في الأسئلة المقحمة هذا دليل على أن لا شفاعة لأهل الكبائر لأنه لا يرضى لهم والجواب قد ارتضى العاصي لمعرفته وشهادته وإن كان لا يرتضيه لفعله لأنه أطاعه من وجوه وإن عصاه من وجوه أخر فهو مرتضاه من وجوه الطاعة له ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما الذي ارتضاهم هم أهل شهادة أن لا إله إلا الله، وفي «المثنوي»:

كفت پيغمبركه روز رستخيز كى كذارم مجرمانرا اشك ريز
من شفيع عاصيان باشم بجان تارهانم شان زاشكنجه كران
عاصيان واهل كبائررا بجهد وارهانم ازعتاب نقض عهد
صالحان امتم خود فارغند از شفاعتهاى من روز كزند
بلكه ايشانرا شفاعتها بود كفتشان چون حكم نافذمى رود

﴿وهم﴾ مع ذلك ﴿من خشيته﴾ أي: من خشيتهم منه تعالى فأضيف المصدر إلى مفعوله ﴿مشفقون﴾ مرتعدون [يا ازمهابت وعظمت اوترسان] والإشفاق عناية مختلطة بخوف لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه كما في «المفردات». قال ابن الشيخ الخشية والإشفاق متقاربان في المعنى والفرق بينهما أن المنظور في الخشية جانب المخشي منه وهو عظمته ومهابته وفي الإشفاق جانب المخشي عليه وهو الاعتناء بشأنه وعدم الأمن من أن يصيبه مكروه ثم إن الإشفاق يتعدى بكل واحد من كلمتي من وعلى يقال أشفق عليه فهو مشفق وأشفق منه أي: حذر فإن عدي بمن يكون معنى الخوف فيه أظهر من معنى الاعتناء وإن عدي بعلى يكون معنى الاعتناء أظهر من معنى الخوف. وعن رسول الله ﷺ أنه رأى جبريل ليلة المعراج ساقطاً كالحلس من خشية الله تعالى. وعنه أيضاً أن إسرافيل له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب والعرش على جناحه وإنه ليتضاءل الأحيان حتى يعود مثل الوصع وهو بالسكون ويحرك طائر أصغر من العصفور كما في «القاموس»:

خوف وخشيت حليه اهل دلست امن وبى پروايى شان غافلست

حينئذٍ.

﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿ومن يقل﴾ [وهركه كويد] ﴿منهم﴾ أي: من الملائكة ﴿إني إله من دونه﴾ أي: حال كونه متجاوزاً إياه تعالى ﴿فذلك﴾ الذي فرض قوله فرض محال فهذا لا يدل على أنهم قالوه. وقال بعضهم هو إبليس حيث ادعى الشركة في الألوهية ودعا إلى عبادة نفسه وفيه أنه يلزم أن

يكون من الملائكة ﴿نجزيه جهنم﴾ كسائر المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وأفعالهم المرضية وهو تهديد للمشركين بتهديد مدّعي الربوبية ليمتنعوا عن شركهم ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله أي: مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الأشياء في غير مواضعها ويتعدون أطوارهم بالإشراك وادعاء الإلهية. والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة إلى النقصان دون الزيادة أي: لا جزاء أنقص منه والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر يقال جزيته كذا وبكذا.

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله: ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ إلى أنهم خلقوا منزهين عن الاحتياج إلى مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح وما يدفع عنهم البرد والحر وما ابتلاهم الله بالأمراض والعلل والآفات ليسبقوا الله بالقول ويستدعوا منه رفعها وإزالتها والخلاص منها بالتضرع وكذلك ما ابتلاهم الله بطبيعة تخالف أوامر الله تعالى فيمكن منهم خلاف ما يؤمرون ﴿وهم بأمره يعملون﴾ نظيره ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] ولعمري إنهم وإن كانوا مكرمين بهذه الخصال فإن بني آدم في سر ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] آكد المكرمين منهم بكرامات أكبر منها درجة وأرفع منها منزلة وذلك لأنهم لما خلقوا محتاجين إلى ما لا تحتاج إليه الملائكة أكرموا بالكرامتين اللتين لم تكرم بهما الملائكة فإحداهما الرجوع إلى الله مضطرين فيما يحتاجون إليه فأكرموا بكرامة الدعاء ووعدهم عليه بالاستجابة بقوله: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فلهم الشركة مع الملائكة في قوله: ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ الآية لأنهم بأمره دعوه عند رفع الحاجات ولذلك أثنى عليهم بقوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦] وقد أعظم أمر الدعاء بقوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧] وهم ممتازون عن الملائكة بكرامة الدعاء والاستجابة وهذه مرتبة الخواص من بني آدم في الدعاء. فأما مرتبة أخص الخواص فهي أنهم يدعون ربهم لا خوفاً ولا طمعاً بل محبة منهم وشوقاً إلى وجهه الكريم كما قال: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢] وهذه هي الكرامة الثانية التي من نتائج الاحتياج حتى لا يبقى شيء من المخلوقات إلا محتاجاً بخلاف مخلوق آخر فإن لكل مخلوق استعداداً في الاحتياج يناسب حال جبلته التي جبل عليها فكل مخلوق يفتقر إلى خالقه بنوع ما وتفتقر إليه بنو آدم من جميع الوجوه وهذا هو سر قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨] كما أن ذاته وصفاته استوعبت الغنى كذلك ذواتهم وصفاتهم استوعبت الفقر فأكرمهم الله بعلم أسماء ما كانوا محتاجين إليه كله ووفقهم للسؤال عنه وأنعم عليهم بالإجابة فقال: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وعد ذلك من النعم التي لا نهاية لها وكرامة لا كرامة فوقها بقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وبقوله: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ يشير إلى أنه يعلم ما بين أيدي الملائكة من خجالة قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] الآية فإن فيه شائبة نوع من الاعتراض ونوع من الغيبة ونوع من العجب حتى عيرهم الله فيما قالوا وقال: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] يعني أعلم منه استحقاق المسجودية وأعلم منكم استحقاق الساجدية له وما خلفهم أي: وما يأمرهم بالسجود له والاستغفار لمن في الأرض يعني المغتابين من أولاده ليكون كفارة لما صدر منهم في حقهم ﴿ولا يشفعون﴾ في الاستغفار ﴿إلا لمن ارتضى﴾ يعني الله تبارك وتعالى من أهل المغفرة وهم

من خشيته مشفقون أي: من خشية الله وسطوة جلاله خائفون أن لا يعفو عنهم ما قالوا أو يأخذهم به ومن يقل منهم إني إله من دونه يعني من الملائكة فذلك نجزيه جهنم يشير إلى أنه ليس للملك استعداد الاتصاف بصفات الألوهية ولو ادعى هذه المرتبة فجزاؤه جهنم البعد والطرد والتعذيب كما كان حال إبليس وبه يشير إلى أن الاتصاف بصفات الألوهية مرتبة بني آدم كما قال عليه السلام: «تخلقوا بأخلاق الله» وقال: «عنوان كتاب الله إلى أوليائه يوم القيامة من الملك الحي الذي لا يموت إلى الملك الحي الذي لا يموت» فافهم جداً كذلك نجزي الظالمين يعني الذين يضعون الأشياء في غير موضعها كأهل الرياء والسمعة والشرك الخفي انتهى ما في «التأويلات النجمية».

﴿أولم ير الذين كفروا﴾ الهمزة لإنكار نفي الرؤية وإنكار النفي نفي له ونفي النفي إثبات والواو للعطف على مقدر والرؤية قلبية لا بصرية حتى لا يناقض قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١] والمعنى ألم يتفكروا أو ألم يستفسروا من العلماء أو ألم يطالعوا الكتب أو ألم يسمعوا الوحي ولم يعلموا ﴿أن السموات والأرض كانتا﴾ ثني الضمير الراجع إلى الجمع باعتبار أن المرجع إليه جماعتان ﴿رتقاً﴾ على حذف المضاف أي: ذواتي رتق بمعنى ملتزقتين ومنضمتين لا فضاء بينهما ولا فرج فإن الرتق هو الضم والالتحام خلقة كان أو صنعة ﴿ففتقناهما﴾ الفتق الفصل بين المتصلين وهو ضد الرتق أي: ففصلنا وفرقنا إحداهما عن الأخرى بالريح وفي الحديث المشهور «أول ما خلق الله جوهرة فنظر إليها بنظر الهيبة فذابت وارتعدت من خوف ربها فصارت ماء ثم نظر إليها نظر الرحمة فجمد نصفها فخلق منه العرش وارتعد العرش فكتب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن العرش فترى الماء يرتعد إلى يوم القيامة» وذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] أي: العذب «ثم حصل من تلاطم الماء أدخنة متراكمة بعضها على بعض وزبد فخلق منها السموات والأرض طباقاً وكانتا رتقاً وخلق الريح فيها ففتق بين طباق السموات وطباق الأرض» كما أخبر بقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] وإنما خلقها من دخان ولم يخلقها من بخار لأن الدخان خلق متماسك الأجزاء يستقر عند منتهاه والبخار يتراجع وذلك من كمال علمه وحكمته «ثم بعد ذلك مد الزبد على وجه الماء ودحاه فصار أرضاً بقدرته» وذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠﴾ [النازعات: ٣٠] [وكفته اند آسمان بسته بود ازوى باران نمى آمد وزمين بسته بود ازو كياه نمى رست ما آن را بباران واين را بكياه كشاديم] يعني فتق السماء وهي أشد الأشياء وأصلبها بألين الأشياء وهو الماء وكذلك فتق الأرض بألين الأشياء وهو النبات مع شدتها وصلابتها. فإن قيل المفتوقة بالمطر هي سماء الدنيا فما معنى الجمع؟ قلنا: جمع السموات لأن لها مدخلاً في الأمطار إذ التأثير إنما يحصل من جهة العلو.

واعلم أن الفتق صفة الله تعالى كالعلم والقدرة وغيرهما فهو أزلي والمفتوق حادث بحدوث التعلق كما في العلم وغيره من الصفات التي لا يلزم من قدمها قدم متعلقاتها فتكون تعلقاتها حادثة. فقول البيضاوي إن الفتق عارض خطأ كما في «بحر العلوم» ﴿وجعلنا﴾ خلقنا ﴿من الماء﴾ الماء جسم سيال قد أحاط حول الأرض ﴿كل شيء حي﴾ أي: كل حيوان عرف الماء باللام قصداً إلى الجنس أي: جعلنا مبدأ كل شيء حي من هذا الجنس أي: جنس الماء وهو النطفة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥] أي: كل فرد من أفراد

الدواب من نطفة معينة هي نطفة أبيه المختصة به أو كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع المياه وهو نوع النطفة التي تختص بذلك النوع من الدواب. يقول الفقير: قد فرقوا بين الحي والحيوان بأن كل حيوان حي وليس كل حي حيواناً كالملك فالظاهر ما جاء في بعض الروايات من «أن الله تعالى خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء وآدم من تراب خلقه منه والجن من نار خلقها منه». وقال بعضهم: يدخل في الآية النبات والشجر لنمائهما بالماء والحياة قد تطلق على القوة النامية الموجودة في النبات والحيوان كما في «المفردات» ويدل على حياتهما قوله تعالى: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم: ١٩] كما في «الكبير» ﴿أفلا يؤمنون﴾ [آيا نمى كردند مشركان باوجود اين آيات واضحة].

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله ﴿أو لم ير﴾ - إلى - ﴿ففتقناهما﴾ إلى أن أرواح المؤمنين والكافرين خلقت قبل السموات والأرض كما قال عليه السلام: «إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي ألف عام» وفي رواية «بأربعة آلاف سنة وكان خلق السموات والأرض بمشهد من الأرواح وكانتا شيئاً واحداً» كما جاء في الحديث المشهور «أول ما خلق الله جوهرة» ويشير بقوله: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ إلى أنه تعالى خلق حياة كل ذي حياة من الحيوانات من الماء الذي عليه عرشه وذلك أن الجوهرة التي هي مبدأ الموجودات وهي الروح الأعظم خلقت أرواح الإنسان والملك من أعلاها وخلقت أرواح الحيوانات والدواب من أسفلها وهي الماء كما قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥] وكان ذلك كله بمشهد الأرواح فلذلك قال: ﴿أفلا يؤمنون﴾ أي: أفلا يؤمنون بما خلقنا بمشهد من أرواحهم انتهى.

واعلم أن المراد من رؤية الآيات الانتقال منها إلى رؤية صانعها رؤية قلبية هي حقيقة الإيمان.

- روي - أن علياً رضي الله عنه صعد المنبر يوماً وقال: سلوني عما دون العرش فإن ما بين الجوانح علم جم هذا لعاب رسول الله في فمي هذا ما رزقني رسول الله رزقاً فوالذي نفسي بيده لو أذن للتوراة والإنجيل أن يتكلما فأخبرت بما فيهما لصدّقاني على ذلك وكان في المجلس رجل يماني فقال: ادعى هذا الرجل دعوى عريضة لأفضحنه فقام وقال: اسأل قال: سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً فقال: أنت حملتني على ذلك هل رأيت ربك يا عليّ قال: ما كنت أعبد رباً لم أره فقال: كيف رأيت؟ قال: لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقيقة الإيمان ربي أحد واحد لا شريك له أحد لا ثاني له فرد لا مثل له لا يحويه مكان ولا يداوله زمان ولا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس فسقط اليماني مغشياً عليه فلما أفاق قال: عاهدت الله أن لا أسأل تعنتاً، قال الشيخ المغربي قدس سره:

نخست ديده طلب كن پس آنكهى ديدار ازانكه يار كند جلوه بر اولو الابصار

وقال الخجندي قدس سره:

بيدارشو آنكه طلب آن روى كه هركز در خواب چنين دولت بيدار نيابى

أزال الله عنا الغين والغفلة والحجاب وفتح بصائرنا إلى جناب جمال المهيمن الوهاب إنه رب الأرباب ومسبب الأسباب.

﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا

ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾

﴿وجعلنا في الأرض﴾ الأرض جسم غليظ أغلظ ما يكون من الأجسام واقف على مركز العالم مبين لكيفية الجهات الست فالشرق حيث تطلع الشمس والقمر والغرب حيث تغيب والشمال حيث مدار الجدي والجنوب حيث مدار سهيل والفوق ما يلي المحيط والأسفل ما يلي مركز الأرض ﴿رواسي﴾ جبالاً ثوابت جمع راسي من رسا إذا ثبت ورسخ ﴿أن تميد بهم﴾ الميد اضطراب الشيء العظيم كاضطراب الأرض يقال ماد يميد ميداً إذا تحرك ومنه سميت المائدة وهي الطعام والخوان عليه الطعام كما قال الراغب: المائدة الطبق الذي عليه الطعام ويقال: لكل واحدة منهما مائدة. والمعنى كراهة أن تميل الأرض وتضطرب والظاهر أن الباء للتعدية كما يفهم من قول بعضهم بالفارسية [تا بجنباند زمين آدميانرا]. قال ابن عباس رضي الله عنهما إن الأرض بسطت على وجه الماء فكانت تميد بأهلها كما تميد السفينة على الماء فأرسلها الله بالجبال الثوابت كما ترسي السفينة بالمرساة وسئل عليّ رضي الله عنه: أي الخلق أشد؟ قال: أشد الخلق الجبال الرواسي والحديد أشد منها يبحث به الجبل والنار تغلب الحديد والماء يطفي النار والسحاب يحمل الماء والريح يحمل السحاب والإنسان يغلب الريح بالثبات والنوم يغلب الإنسان والهم يغلب النوم والموت يغلب كلها.

يقول الفقير:

نباشد درجهان چون مرك چيزى　　　كه غالب شد ترا هرجند عزيزى

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى الأبدال الذين هم أوتاد الأرض وأطوادها فأهل الأرض بهم يرزقون وبهم يمطرون والأبدال قوم بهم يقيم الله الأرض وهم سبعون: أربعون بالشام، وثلاثون بغيرها، لا يموت أحدهم إلا يقام مكانه آخر من سائر الناس وفي الحديث: «لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمٰن فبهم تسقون وبهم تنصرون ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر» ﴿وجعلنا فيها﴾ في الأرض أو في الرواسي وعليه اقتصر في «الجلالين» لأنها المحتاجة إلى الطرق ﴿فجاجاً سبلاً﴾ أي: طرقاً مسلوكة لأن السبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك والفج الشق بين الجبلين ﴿لعلهم يهتدون﴾ إرادة أن يهتدوا إلى مصالحهم ومهماتهم التي جعلت لهم في البلاد البعيدة.

﴿وجعلنا السماء سقفاً﴾ سميت سقفاً لأنها للأرض كالسقف ﴿محفوظاً﴾ من الوقوع مع كونها بغير عمد أو من الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم أو من استراق السمع بالشهب. وفيه إشارة إلى أن سماء قلب العارف محفوظة من وساوس شيطان الإنس والجن وكان من دعاء النبي عليه السلام: «اللهم اعمر قلبي من وساوس ذكرك واطرد عني وساوس الشيطان» كما في «آكام المرجان»، وفي «المثنوي»:

ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز　　　چشم نركسرا ازين كركس بدوز

﴿وهم عن آياتها﴾ أي: أدلتها الواضحة التي خلقها الله تعالى فيها وجعلها علامات نيرة على وجوده ووحدته وكمال صنعه وعظيم قدرته وباهر حكمته مثل الشمس والقمر والنجوم وغيرها ﴿معرضون﴾ لا يتدبرون فيها فيقفون على ما هم عليه من الكفر والضلال. يقال:

أخلاق الأبدال عشرة أشياء: سلامة في الصدر، وسخاوة في المال، وصدق اللسان، وتواضع النفس، والصبر في الشدة، والبكاء في الخلوة، والنصيحة في الخلق، والرحمة للمؤمنين والتفكر في الأشياء، والعبرة في الأشياء فانظروا إلى آثار رحمته وتفكروا في عجائب صنعه وبدائع قدرته حتى تستخرجوا الدر من بحار معرفته.

ـ روي ـ أن داود عليه السلام دخل في محرابه فرأى دودة صغيرة فتفكر في خلقها وقال: ما يعبأ الله بخلق هذه فأنطقها الله تعالى فقالت: يا داود أتعجبك نفسك وأنا على ما أنا والله أذكر الله وأشكره أكثر مما آتاك الله فالمقصود برؤية الآيات بالحق ذكر الله تعالى عند كل شيء وهي من أوصاف المؤمنين الكاملين وأما التعامي والإعراض فحال الكفرة الجاهلين، وفي «المثنوي»:

پيش خر خر مهره وكوهر يكيست   آن اشك را در درو دريا شكيست
منكر بحرست وكوهر هاى او   كى بود حيوان درو پيرايه جو
در سر حيوان خدا ننهاده است   كوبود دربند لعل ودر پرست
مر خرانرا هيچ ديدى كوشوار   كوش هوش خربود در سبزه زار

وفي الآية إشارة إلى آيات سماء قلب العارف وهي التجليات الحقية والكلمات الذوقية فأهل السلوك الحقيقي يؤمنون بالعلماء بالله وبأحوالهم ومقاماتهم وكلماتهم وأما غيرهم فينكرون ويعرضون لأنهم يمشون من طريق العقل وينظرون بنظر النقل. وقد صح أن العقل ليس له قدم إلا في طريق المعقولات وفوقها المكاشفات فالاهتداء إلى الله إنما هو بأهل الله إذ هم المرشدون إلى الفجاج الصحيحة والسبل المستقيمة وعلومهم محفوظة من النسخ والتبديل دنيا وآخرة وأما الرسوم فإنما تتمشى إلى الموت. فعلى العاقل أن يعقل نفسه عن هواها ويتفكر في هداها ويختار للإرشاد من هو أعرف بطريق العقل والنقل والكشف فإنه قال في «المثنوي»:

رهروراه طريقت اين بود   كو باحكام شريعت ميرود

ويعرض عمن لا يعرف قدر الشريعة والحكمة فيها فإنه عقيم والمرتبط بالعقيم لا يكون إلا عقيماً نسأل الله تعالى أن يوفقنا للثبات في اتباع طريقة أهل المكاشفات والمشاهدات في جميع الحالات.

﴿وهو﴾ وحده ﴿الذي خلق الليل﴾ الذي هو ظل الأرض ﴿والنهار﴾ الذي هو ضوء الشمس ﴿والشمس﴾ الذي هو كوكب مضيء نهاري ﴿والقمر﴾ الذي هو كوكب مضيء ليلي أي: الله تعالى أوجد هذه الأشياء وأخرجها من العدم إلى الوجود دون غيره فله القدرة الكاملة والحكمة الباهرة ﴿كل﴾ أي: كل واحد من الشمس والقمر وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿في فلك﴾ على حدة كما يشهده الوجود وقوله: ﴿يسبحون﴾ حال أي: يجرون في سطح الفلك كالسبح في الماء فإن السبح المرّ السريع في الماء أو في الهواء واستعير لمر النجوم في الفلك كما في «المفردات» ويفهم منه أن الكواكب مرتكزة في الأفلاك ارتكاز فص الخاتم في الخاتم قال في «شرح التقويم»: كل واحد من الكواكب مركوز في فلك مغرق فيه كالكرة المنغمسة في الماء لا كالسمك فيه والأفلاك متحركة بالإرادة والكواكب بالعرض. وقال بعضهم أخذاً بظاهر الآية: إن الفلك موج مكفوف من السيلان دون السماء تجري فيه الشمس والقمر كما تسبح السمكة في الماء والفلك جسم شفاف محيط بالعالم.

قال الراغب الفلك مجرى الكواكب وتسميته بذلك لكونه كالفلك. وقال محيي السنة: الفلك في كلام العرب كل شيء مستدير جمعه أفلاك ومنه فلكة المغزل. قال ابن الشيخ: اختلف الناس في حركات الكواكب والوجوه الممكنة فيها ثلاثة فإنه إما أن يكون الفلك ساكناً والكواكب تتحرك فيه كحركة السابح في الماء الراكد وإما أن يكون الفلك متحركاً والكواكب تتحرك فيه أيضاً مخالفة لجهة حركته أو موافقة لها مساوية لحركته في السرعة والبطء أولاً وإما أن يكون الفلك متحركاً والكواكب ساكنة. قال الفلاسفة: الرأي الأول باطل لأنه يوجب خرق الفلك وهو محال وكذا الرأي الثاني فإنه أيضاً باطل لعين ما ذكر فلم يبق إلا الاحتمال الثالث وهو أن تكون الكواكب مغروزة في الفلك واقفة فيه والفلك يتحرك فتتحرك الكواكب تبعاً لحركة الفلك.

قال الإمام: واعلم أن مدار هذا الكلام على امتناع الخرق على الأفلاك وهو باطل بل الحق أن الاحتمالات الثلاثة كلها ممكنة والله تعالى قادر على كل الممكنات والذي يدل عليه لفظ القرآن أن تكون الأفلاك واقفة والكواكب تكون جارية فيها كما تسبيح السمكة في الماء.

واعلم أنه لو خلق السماء ولم يخلق الشمس والقمر ليظهر بهما الليل والنهار وسائر المنافع بتعاقب الحر والبرد لم تتكامل نعمه على عباده وإنما تتكامل بحركاتها في أفلاكها ولهذا قال: ﴿**كل في فلك يسبحون**﴾. واحتج أبو علي بن سينا على كون الكواكب أحياء ناطقة بقوله: ﴿**يسبحون**﴾ وبقوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] قال: الجمع بالواو والنون لا يكون إلا للأحياء العاقلين والجواب أنه لما أسند إليهن ما هو من أفعال العقلاء وهو السباحة والسجود نزلن منزلة العقلاء فعبر عنهن بضمير العقلاء ومثله ﴿ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النحل: ١٨]. قال بعض أهل الحقيقة: الأجرام الفلكية هي الأجسام فوق العناصر من الأفلاك والكواكب ومحركاتها أي: مبادي حركاتها بالحركة الإرادية على الاستدارة جواهر مجردة عن مواد الأفلاك في ذواتها وأنفسها متعلقة بالأفلاك في حركاتها لتكون تلك الجواهر مبادي تحريكاتها ويقال لتلك الجواهر المجردة النفوس الناطقة الفلكية. فإن قلت فعلى هذا لا يكون الناطق فصلاً للإنسان، قلت: المراد بالنطق ما يجري على اللسان وفيه نظر لأنه يرد النقض بالملك والجن والببغاء والجواب الحق هو ما يجري على الجنان لا ما يجري على اللسان وليس لهم جنان حتى يجري عليه الشيء. قال الكاشفي: [در كشف الاسرار آورده كه نزد اهل اشارت شب وروز نشان قبض وبسط عارفانست كاه يكى را بقبضه قبض كيرد تا سلطان جلال دمار ازنهاد اوبر آرد وكاه يكى را بر بساط بسط فشاند تاميزبان جمال اورا ازخوان نوال نواله اقبال دهد وآفتاب نشانه صاحب توحيداست بنعمت تمكين در حضرت شهود آراسته نه فزايد ونه كاهد لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً وقمر نشانه اهل تلوين است كه دركاهش بود وكاه در افزايش زمانى بظهور نور برق وحدت درمحاق نيستى افتد وساعتى ببروز رموز جامعيت بمرتبه بدريت رفسد كوييا در كلام حقائق انجام حضرت قاسم الانوار قدس سره اشارتى بدين معنى هست:

زبيم سوز هجرانت زمو باريكتر كردم
چوروزوصل ياد آرم شوم در حال ازان فربه

وحضرت پيررومى قدس سره ميفرمايد:

چون روى برتابى زمن كردم هلالى ممتهن
ورروىء سوىء من كنى چون بدربى نقصان شوم
تو آفتابى من چومه كرد توكردم روز وشب
كه درمحاق افتم زتوكه شمع نور افشان شوم

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد**﴾ البشر والبشرة ظاهر الجلد وعبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر والخلد تبري الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي عليها نزلت حين قال المشركون نتربص به ريب المنون، يعني: [انتظار مى بريم كرد باد حوادث بر آمد وياران حضرت محمد عليه السلام متفرق ساخته اورا در ورطه هلاك اندازد] والريب ما يريبك من المكاره والمنون الموت أي ننتظر به أن تصيبه مكاره وحوادث تؤديه إلى الموت فريب المنون الحوادث المهلكة من حوادث الدهر. والمعنى وما جعلنا لفرد من أفراد الإنسان من قبلك يا محمد دوام البقاء في الدنيا أي: ليس من سنتنا أن نخلد آدمياً في الدنيا وإن كنا قادرين على تخليده فلا أحد إلا وهو عرضة للموت فإذا كان الأمر كذلك ﴿**أفإن مت فهم الخالدون**﴾ في الدنيا بقدرتنا لا بل أنت وهم ميتون كما هو من سنتنا دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠] وبالفارسية: [پس ايشان يعنى منتظران مرك تو بابندكان خواهند بودى] والهمزة في المعنى داخلة على الخلود كأنه قيل فاذا مت انت أيبقى هؤلاء المشركون حتى يشمتون بموتك كما قال الشاعر:

فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

وقال الشيخ سعدي قدس سره:

مكن شاد مانى بمرك كسى كه دوران پس ازوى نماند بسى

فالمراد بإنكار الخلود ونفيه إنكار الشماتة التي كان الخلود مداراً لها وجوداً وعدماً. قال في «بحر العلوم»: المراد بالخلود المكث الطويل سواء كان معه دوام أم لا وجيء بالشرطية التي لا تقتضي تحقق الطرفين فلم يوصف عليه السلام بالموت قبلهم بل فرض موته قبلهم كما يفرض المحال وذلك لما علم الله تعالى أنهم يموتون قبله وأنه يبقى بعدهم بمدة مديدة كما يشهده وقعة بدر. يقول الفقير: إن الوزير مصطفى الشهير بابن كوپريلى أقصى حضرة شيخي وسندي قدس سره إلى جزيرة قبرص لما عليه العوام من الأغراض الفاسدة فحين زيارتي له سمعته عند السحرة وهو يكرر هذه الآية فمات الوزير قبله. قال الإمام: ويحتمل أنه لما كان خاتم الأنبياء قدر أنه لا يموت إذ لو مات لتغير شرعه فنبه على أن حاله كحال غيره في الموت. واستدل بالآية من قال بأن الخضر مات وليس بحي في الدنيا مع أن المشايخ بأسرهم وكثيراً من العلماء قائلون بأنه حي حتى أخبر بعضهم برؤيته إياه ومكالمته معه والله أعلم وإن صح ذلك فيكون من العام المخصوص.

واعلم أن ما يدل على أن الخضر كان حياً في عهد النبي عليه السلام ما ذكر في صحيح المستدرك من أنه عليه السلام لما توفي عزتهم الملائكة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إن في الله عزاء في كل مصيبة وخلفا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإنما المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ودخل رجل أشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى ثم التفت إلى الصحابة فقال: إن في الله عزاء في كل مصيبة وعوضاً عن كل فائت وخلفاً من كل هالك فإلى الله فأنيبوا وإلى الله فارغبوا ونظره إليكم في البلاء فانظروا فإنما المصاب من لم يجبر وانصرف فقال أبو بكر وعلي رضي الله عنهما: هذا الخضر عليه السلام.

﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ برهان على ما أنكر من خلودهم والمراد النفس الناطقة التي هي الروح الإنساني وموتها عبارة عن مفارقتها جسدها أي: ذائقة مرارة المفارقة والذوق هذا لا يمكن إجراؤه على ظاهره لأن الموت ليس من المطعوم حتى يذاق بل الذوق إدراك خاص فيجوز جعله مجازاً عن أصل الإدراك والموت صفة وجودية خلقت ضداً للحياة وباصطلاح أهل الحق قمع هوى النفس فمن مات عن هواه فقد حيى. قال الراغب أنواع الموت بحسب أنواع الحياة الأول ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الإنسان والحيوانات والنبات نحو ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: ١٧] والثاني زوال القوة الحساسة نحو ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ [مريم: ٦٦] والثالث زوال القوة العاقلة وهي الجهالة نحو ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الروم: ٥٢] والرابع الحزن المكدر للحياة نحو ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] والخامس المنام فقيل النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل وعلى هذا النحو سماه الله تعالى توفياً فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] وقوله: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ عبارة عن زوال القوة الحيوانية وإبانة الروح عن الجسد انتهى بإجمال. وفي التعريفات النفس هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية وسماه الحكيم الروح الحيواني فهي جوهر مشرق للبدن فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه فالنوم والموت من جنس واحد لأن الموت هو الانقطاع الكلي والنوم هو الانقطاع الناقص. والحاصل أنه إن لم ينقطع ضوء جوهر النفس عن ظاهر البدن وباطنه فهو اليقظة وإن انقطع عن ظاهره دون باطنه فهو النوم أو بالكلية فهو الموت.

يقول الفقير: يفهم منه أن الموت انقطاع ضوء الروح الحيواني عن ظاهر البدن وباطنه وهذا الروح غير الروح الإنساني الذي يقال له النفس الناطقة إذ هو جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعلها ويؤيده ما في «إنسان العيون» من أن الروح عند أكثر أهل السنة جسم لطيف مغاير للأجسام ماهية وهيئة متصرف في البدن حال فيه حلول الدهن في الزيتون يعبر عنه بأنا وأنت وإذا فارق البدن مات. وقول بعض الروحانيين أيضاً: إن الله تعالى جمع في طينة الإنسان الروح الملكي النوراني العلوي الباقي ليصير مسبحاً ومقدساً كالملك باقياً بعد المفارقة والروح الحيواني الظلالي السفلي الفاني ليقبل الفناء الذي يعبر عنه بالموت. وقول بعضهم أيضاً ذكر النفوس لا القلوب والأرواح لأنها تتجلى حياة الحق لها فإذا انسلخت الأرواح من الأشباح انهدمت جنابذ الهياكل ورجعت الأرواح إلى معادن الغيب ومشاهدة الرب.

قال حضرة شيخي وسندي روح الله روحه في بعض تحريراته: اعلم أن الروح من حيث جوهريته وتجرده وكونه من عالم الأرواح المجردة مغاير للبدن متعلق به تعلق التدبير والتصرف

قائم بذاته غير محتاج إليه في بقائه ودوامه ومن حيث إن البدن صورته ومظهر كمالاته وقواه في عالم الشهادة محتاج إليه غير منفك عنه بل ساري فيه لا كسريان الحلول المشهور عند أهل النظر بل كسريان الوجود المطلق الحق في جميع الموجودات فليس بينهما مغايرة من كل الوجوه بهذا الاعتبار ومن علم كيفية ظهور الحق في الأشياء وأن الأشياء من أي: وجه عينه ومن أي: وجه غيره يعلم كيفية ظهور الروح في البدن وأنه من أي: وجه عينه ومن أي: وجه غيره لأن الروح رب بدنه ويتحقق له ما ذكرنا وهو الهادي إلى العلم والفهم. انتهى كلام الشيخ قدس سره وهو العمدة في الباب فظهر أن إطلاق النفس على الروح الإنساني إنما هو لتعينه بتعين الروح الحيواني فهو المفارق في الحقيقة فافهم جداً.

قال الجنيد قدس سره: من كان بين طرفي فناء فهو فان ومن كانت حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه ومن كانت حياته بربه فإنه ينقل من حياة الطبع إلى حياة الأصل وهي الحياة في الحقيقة. قال بعضهم: ظهور الكرامة من الأولياء إنما هو بعد الموت الاختياري أي: بوجوده لا بفقده فالموت لا ينافي الكرامة فالأولياء يظهرونها بعد وفاتهم الصورية أيضاً كذا في «كشف النور»، قال الصائب:

مشو بمرك زامداد اهل دل نوميد   كه خواب مردم آكاه عين بيداريست

وفي «عمدة الاعتقاد»: للنسفي كل مؤمن بعد موته مؤمن حقيقة كما في حال نومه وكذا الرسل والأنبياء عليهم السلام بعد وفاتهم رسل والأنبياء حقيقة لأن المتصف بالنبوة والإيمان الروح وهو لا يتغير بالموت انتهى. وإذ قد عرفت أن المراد بالنفس هي الروح لا معنى الذات فلا يرد أن الله نفساً كما قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] مع أن الموت لا يجوز عليه وكذا الجمادات لها نفس وهي لا تموت وفي الحديث: «آجال البهائم كلها والخشاش والدواب كلها في التسبيح فإذا انقضى تسبيحها أخذ الله أرواحها وليس إلى ملك الموت من ذلك شيء» وفي الحديث «لا تضربوا إماءكم على كسر إنائكم فإن لها آجالاً كآجالكم».

- روي - عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: استأذن أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله وقد مات وسجى عليه الثوب فكشف عن وجهه ووضع فمه بين عينيه ووضع يديه بين صدغيه وقال: وانبياه واخليلاه واصفياه صدق الله ورسوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٤-٣٥] ثم خرج إلى الناس فخطب وقال في خطبته: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد ربه فإن رب محمد حي لا يموت ثم قرأ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية. قال الكاشفي: [هركه قدم از دروازه عدم بفضاى صحراى وجودنهاده بضرورت شربت فنا خواهد نوشيد ولباس ممات ووفات خواهد پوشيد]:

هركه آمد بجهان اهل فنا خواهد بود   وانكه پاينده وباقيست خدا خواهد بود

﴿ونبلوكم﴾ أي: نعاملكم أيها الناس معاملة من يبلوكم ويختبركم كما قال الإمام إنما سمي ابتلاء وهو عالم بما سيكون لأنه في صورة الاختبار ﴿بالشر والخير﴾ بالبلايا والنعم كالفقر والألم والشدة والغنى واللذة والسرور هل تبصرون وتشكرون أو لا. وقال بعضهم بالقهر واللطف والفراق والوصال والإقبال والإدبار والمحنة والعافية والجهل والعلم والنكرة والمعرفة.

قال سهل: نبلوكم بالشر وهو متابعة النفس والهوى بغير هدى والخير العصمة من المعصية والمعونة على الطاعة ﴿فتنة﴾ أي: بلاءً واختباراً فهو مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه وأصل الفتن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال النبي عليه السلام: «إن الله يجرب أحدكم بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنه ما يخرج كالذهب فذاك الذي افتتن»، قال الحافظ:

خوش بود كرمحك تجربه آيد بميان تاسيه روى شود هركه دروغش باشد

وقال الخجندي:

نقد قلب وسره عالم را عشق ضراب ومحبت محكست

قال الراغب: يقال بلي الثوب بلى أي: خلق وبلوته اختبرته كأني أخلقته من كثرة اختباري له وسمي الغم بلاء من حيث أنه يبلي الجسم. ويسمى التكليف بلاء من أوجه:

الأول: أن التكاليف كلها مشاق على الأبدان فصارت من هذا الوجه بلاء.

والثاني: أنها اختبارات.

والثالث: أن اختبار الله تعالى تارة بالمسار ليشكروا وتارة بالمضار ليصبروا فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء فالمحنة مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر فصارت المنحة أعظم البلاءين وبهذا النظر قال عمر رضي الله عنه: «بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نشكر» ولهذا قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله» وإذا قيل: ابتلي فلاناً بكذا وبلاه فذلك يتضمن أمرين: أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره، والثاني: ظهور جودته ورداءته دون التعرف لحاله والوقوف على ما يجهل من أمره إذ كان الله علام الغيوب ﴿وإلينا ترجعون﴾ لا إلى غيرنا لا استقلالاً ولا اشتراكاً فنجازيكم على ما وجد منكم من الخير والشر فهو وعد ووعيد وفيه إيماء إلى أن المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعرض للثواب والعقاب.

واعلم أن المجازاة لا تسعها دار التكليف فلا بد من دار أخرى لا يصار إليها إلا بالموت والنشور فلا بد لكل نفس من أن تموت ثم تبعث. قال بعضهم فائدة حالة المفارقة رفع الخبائث التي حصلت للروح بصحبة الأجسام وفائدة حالة الإعادة حصول التنعمات الأخروية التي أعدت لعباد الله الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله: ﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ إلى أنا نبلوكم بالمكروهات التي تسمونها شراً وهي الخوف والجوع والنقص من الأموال والأنفس والثمرات وإن فيها موت النفس وحياة القلب ونبلوكم بالمحبوبات التي تسمونها الخير وهي الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث وفيها حياة النفس وموت القلب وكلتا الحالتين ابتلاء فمن صبر على موت النفس عن صفاتها بالمكروهات وعن الشهوات فله البشارة بحياة القلب واطمئنان النفس وله استحقاق الرجوع إلى ربه بجذبة ارجعي إلى ربك باللطف كما قال: ﴿وإلينا ترجعون﴾ فيصير ما يحسبه شراً خيراً كما قال له تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦] ومن لم يصبر على المكروهات وعن الشهوات المحبوبات ولم يشكر عليها بأداء حقوق الله فيها فله العذاب الشديد

من كفران النعمة ويصير ما يحسبه خيراً شراً له كما قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] فيرجع إلى الله بالقهر في السلاسل والأغلال انتهى فعلى العاقل الصبر على الفقر ونحوه مما يعد مكروهاً عند النفس، قال الحافظ:

درين بازار كرسوديست بادرويش خر سندست
الهى منعمم كردان بدرويشى وخر سندى

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وإذا رآك الذين كفروا﴾ أي: المشركون نزلت حين مر النبي عليه السلام بأبي جهل فضحك وقال لمن معه من صناديد العرب هذا نبي عبد مناف كالمستهزىء به ﴿إن يتخذونك إلا هزواً﴾ الهزء: مزح في خفية أي: لا يفعلون بك إلا اتخاذك مهزواً به، يعني: [كسى كه با او استهزاء كنند مراد آنست كه ايشان ترا با استهزاء پيغمبر خوانند] على معنى قصر معاملتهم معه على اتخاذهم إياه هزؤاً لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزؤاً كما هو المتبادر ﴿أهذا الذي﴾ على إرادة القول، يعني: [بايكديكر كفتند اين كس است كه پيوسته] ﴿يذكر آلهتكم﴾ أصنامكم بسوء أي: يبطل كونها معبودة ويقبح عبادتها يقال فلان يذكر الناس أي: يغتابهم ويذكرهم بالعيوب كما قال في «بحر العلوم» وإنما أطلق الذكر لدلالة الحال فإن ذكر العدو لا يكون إلا بذم وسوء ﴿وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾ حال والضمير الأول خبره كافرون والثاني تأكيد لفظي له وبذكر متعلق بالخبر وهو من إضافة المصدر إلى مفعوله أي: يعيبون أن يذكر عليه السلام آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال أنهم كافرون بأن يذكروا الرحمٰن المنعم عليهم بما يجب أن يذكر به من الوحدانية فهم أحقاء بالعيب والإنكار. وفي الآية إشارة إلى أن كل من كان محجوباً عن الله بالكفر لا ينظر إلى خواص الحق إلا بعين الإنكار والاستهزاء لأن خواص الحق من الأنبياء والأولياء يقبحون في أعينهم إذ ما اتخذوا لهم آلهة من شهوات الدنيا من جاهها ومالها وغير ذلك مما اتخذوه آلهة كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] وكل محب يغار على محبوبه ولذا يذكرونهم بعيب ونقصان والحال أن العيب والنقصان فيهم لا في أضدادهم، وفي «المثنوي»:

آن دهان كژكرد واز تسخر بخواند | مر محمدرا دهانش كژ بماند
باز آمد كاى محمد عفو كن | اى ترا الطاف علم من لدن
من ترا افسوس ميكردم ز جهل | من بدم افسوس را منسوب واهل
چون خدا خواهدكه پرده كس درد | ميلش اندر طعنه پاكان برد
ورخدا خواهدكه پوشد عيب كس | كم زند درعيب معيوبان نفس

فعلى العاقل أن يصون لسانه عن ذكر العيوب ويشتغل في جميع الأوقات بذكر علام الغيوب فإنه الذي أفاض سجال الرحمة والشكر لازم لولي النعمة وفي الحديث: «من ذكر الله مطيعاً ذكره الله بالرحمة ومن ذكر الله عاصياً ذكره الله باللعنة وأفضل الذكر لا إله إلا الله» لأنه إعراض عما سوى الله وإقبال بالكلية على الله. يقال النصف الأول إشارة إلى قوله: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠] والثاني: إلى قوله ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]. ويقال

إن سائر العبادات والأذكار تصل إلى الله تعالى بواسطة الملك أما هذه الكلمة فتصل إلى الله بلا واسطة الملك من قالها مرة خالصاً غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر وإنه تعالى أمر جميع الأنبياء أن يدعو أممهم إلى هذا الذكر فما نزلت كلمة أجل من لا إله إلا الله بها قامت السموات والأرضون وهي كلمة الإسلام وكلمة النجاة وكلمة النور إذ بها يستنير الباطن بأنوار الخلوص والصدق والصفاء واليقين.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿خلق الإنسان﴾ أي: جنسه ﴿من عجل﴾ العجلة طلب الشيء وتحريه قبل أوانه وهو من مقتضى الشهوة فلذلك صارت مذمومة حتى قيل العجلة من الشيطان جعل الإنسان لفرط استعجاله وقلة صبره كأنه مخلوق منه كما يقال خلق زيد من الكرم تنزيلاً لما طبع عليه من الأخلاق منزلة ما طبع منه من الأركان إيذاناً بغاية لزومه وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته إلى الكفر واستعجاله بالوعيد قال النضر بن الحارث: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالإنسان آدم وأنه حين بلغ الروح صدره أراد أن يقوم أي: استعجل في القيام قبل أن يبلغ الروح أسفله ﴿سأريكم﴾ أيها المستعجلون ﴿آياتي﴾ [نشانهاى قدرت خود دردنيا بواسطه واقعه بدر ودر آخرت عذاب دوزخ] ﴿فلا تستعجلون﴾ بالإتيان بها، وبالفارسية: [پس شتاب مكنيد مر بخواستن آن] والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقمعوها عن مرادها فإن لهم الإرادة والاختيار فطبعهم على العجل لا ينافي النهي كما قال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ [النساء: ١٢٨] فخلق في الإنسان الشح وأمر بالانفاق وخلق فيه الضعف وأمر بالجهاد وخلق فيه الشهوة وأمر بمخالفتها فهذا ليس من قبيل تكاليف ما لا يطاق.

وفي «التأويلات النجمية» فيه إشارة إلى معان:

منها: أنتم تستعجلون في طلب العذاب من جهلكم وضلالكم وذلك لأنكم تؤذون حبيبي ونبيي بطريق الاستهزاء والعداوة ومن عادى لي ولياً فقد بارزني في الحرب فقد استعجل في طلب العذاب لأني أغضب لأوليائي كما يغضب الليث ذو الجرو لجروه فكيف بمن يعادي حبيبي ونبيي عليه السلام ويدل على صحة هذا التأويل قوله: ﴿سأريكم آياتي﴾ أي: عذابي ﴿فلا تستعجلون﴾ في طلبه بطريق إيذاء نبيي والاستهزاء به.

ومنها: أن الروح الإنساني خلق من عجل لأنه أول شيء تعلقت به القدرة.

ومنها: أن الله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وخمر طينة آدم بيده أربعين صباحاً وقد روي أن كل يوم من أيام التخمير كان مقداره ألف سنة مما تعدون فتكون أربعين ألف سنة فالمعنى أن الإنسان مع هذا خلق من عجل بالنسبة إلى خلق السموات والأرض في ستة أيام لما خلق فيه عند تخمير طينته من أنموذجات ما في السموات والأرض وما بينهما واستعداده لقبول سر الخلافة المختصة به وقابليته تجلي ذواته وصفاته وللمرآتية التي تكون مظهرة للكنز الخفي الذي خلق الخلق لإظهاره ومعرفته لاستعداد حمل الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال وأهاليها فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها

الإنسان وتمام الآية يدل على هذا المعنى وهو قوله: ﴿سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ أي: سأريكم صفات كمالي في مظاهر الآفاق ومرآة أنفسكم بالتربية في كل قرن بواسطة نبي أو ولي فلا تستعجلون في طلب هذا المقام من أنفسكم فإنه قيل حد طلبه من المهد إلى اللحد بل أقول من الأزل إلى الأبد وهذا منطق الطير لا يعلمه إلا سليمان الوقت قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] انتهى، قيل:

لا تعجلن لأمر أنت طالبه   فقلما يدرك المطلوب ذو العجل
فذو التأني مصيب في مقاصده   وذو التعجل لا يخلو عن الزلل

قال أعرابي: إياكم والعجلة فإن العرب تكنيها أم الندامات قال آدم عليه السلام لأولاده: «كل عمل تريدون أن تعملوه فقفوا له ساعة فإني لو وقفت ساعة لم يكن أصابني ما أصابني» فلا بد من التأني في الأمور الدنيوية والمقاصد المعنوية:

چو صبح وصل او خواهد دميدن عاقبت جامى
مخور غم كر شب هجران بپايان دير مى آيد

﴿ويقولون﴾ بطريق الاستعجال والاستهزاء ﴿متى هذا الوعد﴾ أي: وعد العذاب والساعة فليأتنا بسرعة ﴿إن كنتم صادقين﴾ في وعدكم بأنه يأتينا والخطاب للنبي عليه السلام والمؤمنين الذين يتلون الآيات المنبئة عن مجيء الوعد فقال تعالى:

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون﴾ جواب لو محذوف وإيثار صيغة المضارع في الشرط وإن كان المعنى لإفادة استمرار عدم العلم وحين مفعول به ليعلم والكف الدفع يقال كففته أصبته بالكف ودفعته بها وتعورف الكف بالدفع على أي وجه كان بالكف أو غيرها والمعنى لو علموا الوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصراً يمنعها لما استعجلوا وتخصيص الوجوه والظهور يعني القدام والخلف لكونهما أشرف الجوانب واستلزام الإحاطة بهما للإحاطة بالكل.

﴿بل تأتيهم﴾ العدة ﴿بغتة﴾ البغتة مفاجأة الشيء من حيث لا يحتسب أي: فجأة، وبالفارسية: [ناكهان] وهو مصدر لأن البغتة نوع من الإتيان أو حال أي: باغتة ﴿فتبهتهم﴾ [پس مبهوت ومتحير كرداند ايشان] والبهت الحيرة. قال الإمام وإنما لم يعلم الله وقت الموت والساعة لأن المرء مع الكتمان أشد حذراً وأقرب إلى التدارك. قال بعض الكبار من بهته شيء من الكون فهو لمحله عنده وغفلته عن مكنونه ومن كان في قبضة الحق وحضرته لا يبهته شيء لأنه قد حصل في محل الهيبة من منازل القدس ﴿فلا يستطيعون ردها﴾ أي: العدة فإن المراد بها العذاب أو النار أو الساعة ﴿ولا هم ينظرون﴾ من الإنظار بمعنى الإمهال والتأخير أي: لا يمهلون ليستريحوا طرفة عين أو يتولوا أو يعتذروا أو من النظر أي: لا ينظر إليهم. ولا إلى تضرعهم وفيه إشارة إلى أنه لو علم أهل الإنكار قبل أن يكافئهم الله على إنكارهم نار القطيعة والحسرة والبعد والطرد لما أقاموا على إنكارهم ولتابوا ورجعوا إلى طلب الحق وعلم منه أن

أعظم المقاصد هو طلب الحق والوصول إليه فكما أن من أدب الظاهر أن يحفظ المرء بصره عن الالتفات إلى يمينه وشماله فكذا من أدب الباطن أن يصون بصيرته عن النظر إلى ما سوى الله تعالى ولا يحصل غالباً إلا بالسلوك والاسترشاد من أهل الله تعالى فلا بد من إفناء الوجود فإنه طريق المقصود.

ـ حكي ـ أن ليلى لما كسرت إناء قيس المجنون رقص ثلاثة أيام من الشوق فقيل: أيها المجنون كنت تظن أن ليلى تحبك وهي تعطي ما أعطته لغيرك فضلاً عن المحبة فقال: إنما المجنون من لم يتفطن لهذا السر أشار إلى أن كسر الوعاء عبارة عن الإفناء.

واعلم أن من المتفق عليه شرعاً وعقلاً وكشفاً أن كل كمال لم يحصل للإنسان في هذه النشأة وهذه الدار فإنه لا يحصل له بعد الموت في الدار الآخرة كما في «الفكوك» لحضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره فعلم منه أن زمان الفرصة غنيمة وأن وقت الموت إذا جاء بغتة لا يقدر المرء أن يستأخر ويتدارك حاله، قال الشيخ سعدي قدس سره:

خبر داری ای استخوانی قفس — كه جان تو مرغیست نامش نفس
چو مرغ از قفس رفت بكسست قید — دكرره نكردد بسعی توصید
نكه دار فرصت كه عالم دمیست — دمی پیش دانا به از عالمیست

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ تسلية لرسول الله ﷺ عن استهزائهم به أي: بالله لقد استهزىء برسل أولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك كما استهزأ بك قومك فصبروا ففيه حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ﴿فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ يقال حاق به يحيق حيقاً أحاط به وحاق بهم الأمر لزمهم ووجب عليهم وحاق نزل ولا يكاد يستعمل إلا في الشر والحيق ما يشمل الإنسان من مكروه فعل وبالذين متعلق بحاق وضمير منهم للرسل والموصول فاعل حاق. والمعنى فأحاط بهم عقيب ذلك العذاب الذي كانوا به يستعجلون ووضع يستهزئون موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان على جهة الاستهزاء وهو وعد له بأن ما يفعلون به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا يعني جزاءه.

﴿قل﴾ يا محمد للمستهزئين بطريق التقريع والتبكيت ﴿من﴾ استفهام ﴿يكلؤكم﴾ الكلأ حفظ الشيء وتبقيته والكالىء الذي يحفظ أي: يحفظكم ﴿بالليل والنهار﴾ أي: فيهما ﴿من الرحمن﴾ أي: من بأسه الذي يستحقون نزوله ليلاً أو نهاراً إن أراد بكم أي: لا يمنعكم من عذابه إلا هو وفي ذكر الرحمن تنبيه على أنه لا كالىء غير رحمته العامة وأن اندفاعه بمهلته وتقديم الليل لما أن الدواهي أكثر فيه وقوعاً وأشد وقعاً ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلاً عن أن يخافوا الله ويعدّوا ما كانوا عليه من الأمن والدعة حفظاً وكلاءة حتى يسألوا عن الكالىء أي: دعهم عن هذا السؤال لأنهم لا يصلحون له لإعراضهم عن ذكر الله تعالى.

وفي «التأويلات النجمية» المحجوبون بحجب البشرية أرجى صلاحاً من المحجوبين بحجب الروحانية لأنهم مقرون بجهالتهم وهؤلاء مغرورون بمقالتهم وأهل الحجب البشرية معرضون عن ذكر ربهم وطلبه لاشتغالهم بلوازم البشرية وأهل الحجب الروحانية معرضون عن ذكر ربهم ومعرفته بحسبانهم بمعارف المعقولات، قال الكمال الخجندي:

بشكن بت غروركه ردين عاشقان   يك بت كه بشكنندبه از صد عبادتست

وقال الصائب:

بفكر نيستى هركز نمى افتند مغروران   اكرچه صورت مقراض لا دارد كريبانها

﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ أم منقطعة أي: بل لهم آلهة تمنعهم من العذاب متجاوزة منعنا فهم معتمدون عليها أي: ليس لهم ﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون﴾ استئناف مقرر لما قبله من الإنكار وموضح لبطلان اعتقادهم أي: هم لا يقدرون أن ينصروا أنفسهم، يعني: [اكركسى باايشان مكروهى خواهد از كسر وقلع وتلويث وامثال آن ازخود دفع نتوانند كرد] ولا يصحبون بالنصر من جهتنا. قال الراغب: لا يكون لهم من جهتنا ما يصحبهم من سكينة وروح وترفق ونحو ذلك مما يصحب أولياءنا فكيف يتوهم أن ينصروا غيرهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يصحبون يمنعون.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم﴾ المتاع انتفاع ممتد الوقت يقال متعه الله بكذا وأمتعه وتمتع به، يعني: [بلكه ما برخوردارى داديم آن كروه را بجهت سعت معيشت وايمنى وسلامتى وپدر ايشانرا] ﴿حتى طال عليهم العمر﴾ بضم الميم وسكونها اسم لمدة عمارة البدن بالحياة أي: طال عليهم الأجل في التمتع فاغتروا وحسبوا أنهم ما زالوا على ذلك لا يغلبون [وندانستندكه دست اجل برهم زندااين بناكه افراشته] ﴿أفلا يرون﴾ أي: ألا ينظرون فلا يرون ﴿أنا نأتي الأرض﴾ أرض الكفرة التي هي دار الحرب ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بتسليط المؤمنين عليها فكيف يتوهمون أنهم ناجون من بأسنا والجملة خبر بعد خبر أو حال أو بدل والأطراف جمع طرف بالتحريك وهو ناحية من النواحي وطائفة من الشيء قالوا: هذا تمثيل وتصوير لما يخربه الله من ديارهم على أيدي المسلمين ويضيفه إلى دار الإسلام وذلك أن الله لا يأتي بل العساكر تغزو أرض الكفرة وتأتي غالبة عليها ناقصة من نواحيها. قال الكاشفي يعني: [ميكشاييم آنرا بر مسلمانان كه تاهر روز قلعه ميكيرند ومنزلى بحوزه تصرف درمى آرند] وقد سبق في آخر سورة الرعد ﴿أفهم الغالبون﴾ القاهرون على رسول الله والمؤمنين أي: أبعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم أي: الغالب هو الله وهم المغلوبون وفي الحديث: «فضلت على الناس بأربع بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش» قيل للاسكندر في عسكر دارا ألف ألف مقاتل فقال: إن القصاب الحاذق لا يهوله كثرة الأغنام، وفي «المثنوي»:

تيشه را زانبوهى شاخ درخت   كى هراس آيد ببرد لخت لخت

شعله را زانبوهى هيزم چه غم   كى رمد قصاب زانبوه غنم

خر نشايد كشت از بهر صلاح　　چون شودو حشى شود خونش مباح
لا جرم كفار را شد خون مباح　　همچو وحشى پيش نشاب ورماح
جفت وفرزندان شان جمله سبيل　　زانكه بى عقلند ومردود وذليل

واعلم أن الغلبة والنصرة منصب شريف فهو بجند الله تعالى وهم الأنبياء والأولياء وصالحو المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣] أي: وإن رؤي أنهم مغلوبون لأن الغالبية له ألا ترى أن الله تعالى أظهر المؤمنين على العرب كلهم وافتتحوا بلاد الشرق والغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا وما وقع في بعض الأوقات من صورة الانهزام فهو من باب تشديد المحنة والبلاء الحسن. فعلى المؤمن أن يثق بوعد الله تعالى ولا يضعف عن الجهاد فإن بالهمة تنقلع الجبال عن أماكنها. وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أني ما قلعت خيبر بقوة جسمانية ولا بحركة غذائية لكني أيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيئة عن جابر رضي الله عنه أن علياً رضي الله عنه لما انتهى إلى الحصن أخذ أحد أبوابه فألقاه في الأرض فاجتمع عليه بعد سبعون رجلاً فكان جهدهم أن أعادوا الباب قالوا: «كل طائر يطير بجناحيه والعاقل بهمته».

فللمزيد رجال وللحروب رجال

﴿**قل إنما أنذركم بالوحي**﴾ أي: إنما شأني أن أخوفكم مما تستعجلونه بما أوحي إلي من القرآن وأخبر بذلك لا الإتيان به فإنه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية إذ الإيمان برهاني لا عياني ﴿**ولا يسمع الصم الدعاء**﴾ إلى الإيمان جمع الأصم والصمم فقدان حاسة السمع ﴿**إذا ما ينذرون**﴾ شبهوا بالصم وهم صحاح الحواس لأنهم إذا سمعوا ما ينذرون به من آيات الله لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع فكانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الذين عدموا مصحح السماع وينعق بهم فلا يسمعون وتقييد نفي السماع به مع أن الصم لا يسمعون الكلام إنذاراً كان أو تبشيراً لبيان كمال شدة الصمم كما أن إيثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فإن الإنذار عادة يكون بأصوات عالية مكررة مقارنة لهيئة دالة عليه فإذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية وراءها وهذا من تتمة الكلام الملقن ويجوز أن يكون من جهته تعالى كأنه قيل قل لهم ذلك وأنت بمعزل من إسماعهم. وفيه إشارة إلى أنه ليس للأنبياء والأولياء إلا الإنذار والنصح وليس لهم إسماع الصم وهم الذين لعنهم الله في الأزل بالطرد عن جوار الحضرة إلى أسفل الدنيا وأصمهم وأعمى أبصارهم بحبها وطلب شهواتها فلا يسمعون ما ينذرون به وإنما الإسماع لله لا للخلق كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣].

﴿**ولئن مستهم**﴾ [واكر برسد بكفره] والمس اللمس ويقال في كل ما ينال الإنسان من أذى ﴿**نفحة من عذاب ربك**﴾ أي: وبالله لئن أصابهم أدنى شيء من عذابه تعالى الذي ينذر به والنفحة من الريح الدفعة من العذاب القطعة كما في «القاموس» وعلى الأولى حمل شارح الشهاب ما وقع في قوله عليه السلام: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها» قال في «بحر العلوم» من نفحته الدابة إذا ضربته أي: ضربة أو من نفحت الريح إذا هبت أي: هبة أو من نفح الطيب إذا فاح أي: فوحة كما يقال شمة. وقال ابن جريج: أي نصيب من نفحه فلان من ماله إذا أعطاه حظاً منه ﴿**ليقولن**﴾ من غاية الاضطراب والحيرة ﴿**يا ويلنا**﴾ [واى برما]

وقد سبق تحقيقه ﴿إنا كنا ظالمين﴾ أي: لدعوا على أنفسهم بالويل والهلاك واعترفوا عليها بالظلم حين تصاموا وأعرضوا وهو بيان لسرعة تأثرهم من مجيء نفس الوعد إثر بيان عدم تأثرهم من مجيء خبره. وفيه إشارة إلى أن أهل الغفلة والشقاوة لا تنتبهون بتنبيه الأنبياء ونصح الأولياء في الدنيا حتى يمسهم أثر من آثار عذاب الله بعد الموت فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فاعترفوا بذنوبهم ونادوا بالويل والثبور على أنفسهم بما كانوا ظالمين فالظلم يجلب النقم ويسلب النعم سواء كان ظلم الغير أو ظلم النفس فليجتنب المؤمن من أسباب العذاب والنقمة وليأت إلى باب النجاة والرحمة وذلك بالمجاهدة وقمع الهوى واختيار طريق الطاعة والتقوى.

ـ روي ـ أن بعض الصالحين قال لعجوز متعبدة أرفقي بنفسك فقالت: إن رفقي بنفسي يغيبني عن باب المولى ومن غاب عن باب المولى مشتغلاً بالدنيا فقد عرض للمحن والبلوى ثم بكت وقالت: واسوأتاه من حسرة السباق وفجيعة الفراق أما حسرة السباق فإذا قاموا من قبورهم وركب الأبرار نجائب الأبرار وقدمت بين يديهم نجائب المقربين بقي المسبوق في جملة المحرمين وأما فجيعة الفراق فإذا جمع الخلق في مقام واحد أمر الله تعالى ملكاً ينادي أيها الناس امتازوا فإن المتقين قد فازوا كما قال تعالى: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يس: ٥٩] فيمتاز الولد من والديه والزوج من زوجته والحبيب من حبيبه فهذا يحمل مبجلاً إلى رياض الجنة وهذا يساق مسلسلاً إلى عذاب الجحيم فأين من يمسه العذاب ممن يصل إليه الثواب.

واعلم أن الإنذار أبلغ فإنه من باب التخلية فلا بد للعاصي من التخوف على المعاصي والإصغاء إلى الموعظة والنصيحة الموقظة فإنه سوف يقول المعرضون ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠] وهم الصم في الحقيقة، قال الشيخ سعدي:

بكوى آنچه دانى سخن سودمند ... وكرهيچ كس را نيايد پسند

كه فردا پشيمان برآرد خروش ... كه آوخ چرا حق نكردم بكوش

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿ونضع الموازين القسط﴾ الموازين جمع ميزان، بالفارسية: [ترازو] والقسط العدل أي: نقيم الموازين العادلة التي نوزن بها صحائف الأعمال ونحضرها أو الأعمال باعتبار التجوهر والتجسم وجمع الموازين باعتبار تعدد الأعمال أو لأن لكل شخص ميزاناً. قال الراغب الوزن معرفة قدر الشيء وذكر الميزان في مواضع بلفظ الواحد اعتباراً بالمحاسبة وفي مواضع بلفظ الجمع اعتباراً بالمحاسبين انتهى. وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به مبالغة كرجل عدل. قال الإمام وصف الموازين بالقسط لأنها قد لا تكون مستقيمة ﴿ليوم القيامة﴾ أي: لأجل جزائه ﴿فلا تظلم نفس﴾ من النفوس ﴿شيئاً﴾ حقاً من حقوقها على أن يكون مفعولاً ثانياً لتظلم لأنه بمعنى تنقص وتنقص يتعدى إلى مفعولين يقال نقصه حقه من الظلم بل يوفى كل ذي حق حقه إن خيراً فخير وإن شراً فشر على أن يكون مفعولاً مطلقاً ﴿وإن كان﴾ أي: العمل المدلول عليه بوضع الموازين ﴿مثقال حبة من خردل﴾ المثقال ما يوزن به من الثقل أي: مقدار حبة كائنة من خردل، بالفارسية: [ازسپندان كه اصغر حباتست] أي: وإن كان في غاية القلة والحقارة فإن حبة الخردل مثل في الصغر ﴿أتينا بها﴾ بقصر الهمزة من الإتيان والباء للتعدية أي: أحضرنا

ذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتأنيث لإضافته إلى الحبة ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا الباء زائدة ونا فاعل كفى وحاسبين حال منه بمعنى عادّين من حسب المال إذا عده. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: عالمين حافظين لأن من حسب شيئاً علمه وحفظه وفيه تحذير فإن المحاسب العالم القادر الذي لا يفوته شيء يجب أن يخاف منه وروى الشبلي قدس سره في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال:

حاسبونا فدققوا ثم منوا فأعتقوا

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الميزان حق ووجهه أن الله تعالى يحدث في صحائف الأعمال وزناً بحسب درجات الأعمال عند الله فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب. يقول الفقير بهذا يندفع سؤال الإمام في تفسيره حيث قال أهل القيامة إن علموا كونه تعالى عادلاً فلا حاجة إلى وضع الميزان بل يكفي مجرد حكمه بترجيح جانب وإن لم يعلموا لم يفد وزن الصحائف لاحتمال أنه جعل إحدى الكفتين أثقل ظلماً انتهى وذلك لأنهم علموا ذلك ضرورياً لأن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا لكن الله تعالى أراد أن يحصل لهم العلم بمقادر أعمالهم ليظهر العدل والفضل ظهوراً لا غاية وراءه وفيه إلزام الحجة لهم. قيل للميزان لسان وكفتان وهو بيد جبريل يوزن فيه الحسنات والسيآت في أحسن صورة وأقبحها والحكم للغالب في الوزن وفي التساوي لفضل الله. يقول الفقير: لعل وجه كونه بيد جبريل أنه الواسطة في تنزيل الأمر والنهي فناسب أن يكون الميزان بيده ليزن صحائف الأوامر والنواهي.

ـ روي ـ أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه كل كفة كما بين المشرق والمغرب فغشي عليه ثم أفاق فقال: إلهي من ذا الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات؟ فقال: يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة وفي الحديث «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمٰن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» إنما صارتا أحب لأن فيهما المدح بالصفات السلبية التي يدل عليها التنزيه وبالصفات الثبوتية التي يدل عليها الحمد وفي الحديث «التسبيح نصف الميزان والحمد لله يملؤه». قال المولى الفناري: توضع الموازين لوزن الأعمال فيجعل فيها الكتب بما عملوا وآخر ما يوضع في الميزان قول الإنسان الحمد لله ولهذا قال عليه السلام: «الحمد لله تملأ الميزان» فإنه يلقى في الميزان جميع أعمال العباد من الخير إلا كلمة لا إله إلا الله فيبقى على ملئه تحميدة فتجعل فيه فيمتلىء بها فإن كفة ميزان كل أحد بقدر عمله من غير زيادة ولا نقصان وكل ذكر وعمل يدخل الميزان إلا لا إله إلا الله كما قلنا وسبب ذلك أن كل عمل خير له مقابل من ضده فيجعل هذا الخير في موازنته ولا يقابل لا إله إلا الله إلا الشرك ولا يجتمع توحيد وشرك في ميزان أحد لأنه إن قال لا إله إلا الله معتقداً لها فما أشرك وإن أشرك فما اعتقد فلم يكن لها ما يعادلها في الكفة الأخرى ولا يرجحها شيء فلهذا لا تدخل في الميزان وأما المشركون فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً أي: لا يقدر لهم ولا يوزن لهم عمل ولا من هو من أمثالهم من المعطل والمتكبر على الله فإن أعمال خير المشرك محبوطة فلا يكون لشرهم ما يوازيه فلا وزن لهم وأما صاحب السجلات فإنه شخص لم يعمل خيراً قط إلا أنه تلفظ يوماً بكلمة لا إله إلا الله مخلصاً فيوضع له في مقابلة التسعة والتسعين سجلاً من أعمال الشر كل سجل منها كما بين المشرق والمغرب وذلك لأنه ما له عمل خير

غيرها فترجح كفتها بالجميع وتطيش السجلات. والتحقيق أن لا إله إلا الله كلمة التوحيد والتوحيد لا يماثله ولا يعادله شيء وإلا لما كان واحداً بل كان اثنين فصاعداً فإذا أريد بهذه الكلمة التوحيد الحقيقي لم تدخل في الميزان لأنه ليس له معادل ومماثل فكيف يدخل فيه وإليه أشار الخبر الصحيح عن الله تعالى قال الله تعالى: «لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع وعامرهن غيري في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله» فعلم من هذه الأشارة أن المانع من دخولها في ميزان الحقيقة هو عدم المماثل والمعادل كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وإذا أريد بها التوحيد الرسمي تدخل في الميزان لأنه يوجد لها ضد بل أضداد كما أشير إليه بحديث صاحب السجلات فما مالت الكفة إلا بالبطاقة التي كتبها الملك فيها فهي الكلمة المكتوبة المنطوقة المخلوقة فعلم من هذه الإشارة أن السبب لدخولها في ميزان الشريعة هو وجود الضد والمخالف وهو السيآت المكتوبة في السجلات وإنما وضعها في الميزان ليرى أهل الموقف في صاحب السجلات فضلها لكن إنما يكون ذلك بعد دخول من شاء الله من الموحدين النار ولم يبق في الموقف إلا من يدخل الجنة لأنها لا توضع في الميزان لمن قضى الله أن يدخل النار ثم يخرج بالشفاعة أو بالعناية الإلهية فإنها لو وضعت لهم أيضاً لما دخلوا النار أيضاً ولزم الخلاف للقضاء وهو محال ووضعها فيه لصاحب السجلات اختصاص إلهي يختص برحمته من يشاء هكذا حقق شيخي وسندي قدس سره هذا المقام ولا يدخل الموازين إلا أعمال الجوارح شرها وخيرها وهي السمع والبصر واليد والبطن والفرج والرجل وأما الأعمال الباطنة فلا تدخل الميزان المحسوس لكن يقام فيها العدل وهو الميزان الحكيمي فمحسوس لمحسوس ومعنى لمعنى يقابل كل شيء بمثله فلهذا توزن الأعمال من حيث هي مكتوبة وقد أصاب من قال الذكر الخفي هو الذي لم يطلع عليه الحفظة وهو توحيد الحقيقي الباطني الذي لا يدخل في الميزان الصوري لأنه ما كان مكتوباً فكيف يدخل فيه. فإن قيل أين الميزان؟ قلنا: على الصراط ومترتب على الحساب ولهذا لا ميزان لمن يدخل الجنة بغير حساب وإنما الميزان للمخلصين من المؤمنين. قال بعض الكبار: ميزان العدل في الدنيا ثلاثة: ميزان النفس والروح، وميزان القلب والعقل، وميزان المعرفة والسر. فميزان النفس والروح الأمر والنهي وكفتاه الوعد والوعيد، وميزان القلب والعقل الإيمان والتوحيد وكفتاه الثواب والعقاب، وميزان المعرفة والسر الرضى والسخط وكفتاه الهرب والطلب. وقال بعضهم: من يزن هٰهنا نفسه بميزان الرياضة والمجاهدات ويزن قلبه بميزان المراقبات ويزن عقله بميزان الاعتبارات ويزن روحه بميزان المقامات ويزن سره بميزان المحاضرات ومطالعة الغيبيات ويزن صورته بميزان المعاملات الذي كفتاه الحقيقة والطريقة ولسانه الشريعة وعموده العدل والإنصاف توزن نفسه يوم القيامة بميزان الشرف ويوزن قلبه بميزان اللطف ويوزن عقله بميزان النور ويوزن روحه بميزان السرور ويوزن سره بميزان الوصول ويوزن صورته بميزان القبول فإذا ثقلت موازينه مما ذكرنا فجزاء نفسه الأمن من الفراق فجزاء قلبه مشاهدة الشرف في الأسرار وجزاء عقله مطالعة الصفات وجزاء روحه شف أنوار الذات وجزاء سره إدراك الأسرار القدسيات وجزاء صورته الجلوس في مجالس وصال الأبديات وأيضاً توزن الأعمال بميزان الإخلاص.

عبادت باخلاص نيت نكوست   وكرنه چه آيد زبى مغزپوست

والأحوال بميزان الصدق:

بصدق كوش كه خورشيد زآيد ازنفست   كه از دروغ سيه روى كشت صبح نخست

فمن كانت أعماله بالرياء مصحوبة لم تقبل أعماله:

منه آب زرجان من بر پشيز   كه صراف دانا نكيرد بچيز

ومن كانت أحواله بالعجب مشوبة لم ترفع أحواله:

حال خود از عجب دل تخليص كن   از عمل توفيق را تخصيص كن

كر بخواهى تا كران معنى شوى   وزن كن حالت بميزان شوى

چون ترازوى تو كج بود ودغا   راست چون جويى ترازوى جزا

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين﴾ أي: وبالله لقد آتيناهما كتاباً جامعاً بين كونه فرقاناً بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكراً يتعظ به الناس فالمراد بجميع هذه الصفات واحد هو التوراة وتخصيص المتقين بالذكر لأنهم المستضيئون بأنواره والمغتنمون بمغانم آثاره.

﴿الذين يخشون ربهم﴾ عذابه وهو مجرور المحل على أنه صفة مادحه للمتقين ﴿بالغيب﴾ حال من المفعول أي: يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالإنذار ما لم يشاهدوا ما أنذروه من العذاب ﴿وهم من الساعة﴾ اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمي بها لأنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم وسميت الساعة ساعة لسعيها إلى جانب الوقوع ومسافته الأنفاس. وقال الراغب الساعة جزء من أجزاء الزمان ويعبر بها عن القيامة سميت بذلك لسرعة حسابه كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢] ولما نبه عليه بقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥] فالأولى هي القيامة والثانية الوقت القليل من الزمان ﴿مشفقون﴾ أي: خائفون منها وقد سبق الإشفاق في هذه السورة وتخصيص إشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الإطلاق للإيذان بكونها معظم المخوفات.

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وهذا﴾ أي: القرآن الكريم أشير إليه بهذا إيذاناً بغاية وضوح أمره ﴿ذكر﴾ يتذكر به من يتذكر ﴿مبارك﴾ كثير الخير والنفع يتبرك به ﴿أنزلناه﴾ على محمد صفة ثانية لذكر أو خبر آخر ﴿أفأنتم له منكرون﴾ إنكار لإنكارهم بعد ظهور كون إنزاله كإيتاء التوراة كأنه قيل أبعد أن علمتم أن شأنه كشأن التوراة في الإيتاء والإيحاء أنتم منكرون لكونه منزلاً من عندنا فإن ذلك بعد ملاحظة حال التوراة مما لا مساغ له أصلاً. قال بعض الكبار كلام الله سبحانه في نفسه مبارك وإن لم يسمعه الجاهل ولكن مبارك على من يسمعه باستماع المحبة والشوق إلى لقاء المتكلم

ويعمل بمضمونه ويعرف إشارته ويجد حلاوته في قلبه فإذا كان كذلك تبلغه بركته إلى مشاهدة معدنه وهو رؤية الذات القديم وفي الحديث «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب» وفي الحديث «لا تجعلوا بيوتكم مقابر» يعني: لا تتركوا بيوتكم خالية من تلاوة القرآن فإن كل بيت لا يقرأ القرآن فيه يشبه المقابر في عدم القراءة والذكر والطاعة وإلى الله المشتكى من إهمال أهالي هذا الزمان فإن ميل أكثرهم إلى الإشعار وكلام أهل الهوى لا إلى القرآن والهدى، قال الخجندي:

دل ازشنيدن قرآن بكيردت همه وقت چو باطلان ز كلام حقت ملولى چيست

وفي «التأويلات النجمية» النور الذي هو يفرق بين الحق والباطل بل بين الخلق والخالق والحدوث والقدم نور يقذفه الله في قلوب عباده المخلصين من الأنبياء والمرسلين والأولياء الكاملين لا يحصل إلا بتكرار العلوم الشرعية لا بالأفكار العقلية وله ضياء وهو ذكر يتعظ به المتقون الذين يتقون عن الشرك بالتوحيد وعن الطمع بالشرع وعن الرياء بالإخلاص وعن الخلق بالخالق وعن الأنانية بالهوية ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ لمن يتعظ به ويعلم أن الاتعاظ به إنما هو من نور ﴿أنزلناه﴾ في قلبه لا من نتائج عقله وتفكره أتنكرون على أنه نور من هدايتنا.

ـ حكي ـ أن عثمان الغازي جد السلاطين العثمانية إنما وصل إلى ما وصل برعاية كلام الله تعالى وذلك أنه كان من أسخياء زمانه ببذل النعم للمترددين فثقل ذلك على أهل قريته وأنكروا عليه فذهب ليشتكي من أهل القرية إلى الحاجي بكتاش أو غيره من الرجال فنزل ببيت رجل قد علق فيه مصحف فسأل عنه فقالوا: هو كلام الله تعالى فقال: ليس من الأدب أن نقعد عند كلام الله فقام وعقد يديه مستقبلاً إليه فلم يزل إلى الصبح فلما أصبح ذهب إلى طريقه فاستقبله رجل فقال: أنا مطلبك ثم قال له: إن الله تعالى عظمك وأعطاك وذريتك السلطنة بسبب تعظيمك لكلامه ثم أمر بقطع شجرة وربط رأسها بمنديل وقال: ليكن ذلك لواء ثم اجتمع عنده جماعة فجعل أول غزوته إلى بلجك وفتح بعناية الله تعالى ثم أذن له السلطان علاء الدين في الظاهر أيضاً فصار سلطاناً. ففي هذه الحكاية فوائد منها أن السلطنة اختصاص إلهي كالنبوة ومنها أن السخاء مفتاح باب المراد. ومنها أن المراجعة عند الحيرة إلى الله لها تأثير عظيم. ومنها أن رعاية كلام الله سبب السلطنة مطلقاً صورية كانت أو معنوية إذ هو ذكر مبارك. ومنها أن ترك الرعاية سبب لزوال قوتها بل لزوال نفسها كما وقع في هذه الأعصار فإن الترقي الواقع في زمان السلاطين المتقدمين آل إلى التنزل وقد عزل السلطان محمد الرابع في زماننا بسبب الترك المذكور فهذا هو زوال السلطنة نسأل الله تعالى أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا وجلاء أحزاننا.

﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده﴾ الرشد خلاف الغي وهو الابتداء لمصالح الدين والدنيا وكماله يكون بالنبوة أي: بالله لقد آتينا بجلالنا وعظم شأننا إبراهيم الخليل عليه السلام الرشد اللائق به وبأمثاله من الرسل الكبار على ما أفادته الإضافة ﴿من قبل﴾ من قبل إيتاء موسى وهارون التوراة وتقديم ذكر إيتائها لما بينه وبين إنزال القرآن من الشبه التام ﴿وكنا به عالمين﴾ أي: وكنا عالمين بأنه أهل لما آتيناه من الرشد والنبوة وتقديم الظرف لمجرد الاهتمام مع رعاية الفاصلة ونظير الآية قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. واعلم أن الأهلية أيضاً من الله تعالى:

قابلي كر شرط فعل حق بدى همچو معدومى بهستى نامدى

وقد قالوا القابلية صفة حادثة من صفات المخلوق والعطاء صفة قديمة من صفات الخالق والقديم لا يتوقف على الحادث.

﴿إذ قال لأبيه وقومه﴾ ظرف لآتينا على أنه وقت متسع وقع فيه الإيتاء وما ترتب عليه من أفعاله وأقواله. يقول الفقير: والظاهر من عدم التعرض لأمه كونها مؤمنة كما يدل عليه تبريه وامتناعه من أبيه دونها والمراد من قومه أهل بابل بالعراق وهي بلاد معروفة من عبادان إلى الموصل طولاً ومن القادسية إلى حلوان عرضاً سميت بها لكونها على عراق دجلة والفرات أي: شاطئهما ﴿ما﴾ [چيست] ﴿هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾ التماثيل جمع تمثال وهو الشيء المصور المصنوع مشبهاً بخلق من خلائق الله والممثل المصور على مثال غيره من مثلت الشيء بالشيء إذا شبهته به والعكوف الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم لغرض من الأغراض ضمن معنى العبادة كما يدل عليه الجواب الآتي ولذا جيء باللام دون على أي: ما هذه الأصنام التي أنتم عابدون لها مقيمون عليها وهذا السؤال تجاهل منه وإلا فهو يعرف أن حقيقتها حجر أو شجر اتخذوها معبوداً. قال الكاشفي: [آن هفتاد دو صورت بود. ودر تيسير كويد نودبت بود وبزر كترهمه را اززر ساخته بودند ودوكوهر شاهوار درچشمهاى او تركيب كرده. ودرتبيان آورده كه صورتها بودند برهيأت سباع وطيور وبهائم وإنسان. وبقول بعضي تماثيل بر مصور هياكل كواكب بود].

ـ روي ـ أن علياً رضي الله عنه مر بقوم يلعبون بالشطرنج، فقال: ما هذه التماثيل كما في تفسير أبي الليث وفيه تقبيح للعب بالشطرنج حيث عبر عن شخوصه بما عبر به إبراهيم عن الأصنام فأشار إلى أن العكوف على هذا اللعب كالعكوف على عبادة الأصنام. قال صاحب الهداية يكره اللعب بالنرد والشطرنج والأربعة عشر والكل لهو لأنه إن قامر بها فالميسر حرام بالنص وهو اسم لكل قمار وإن لم يقامر فهو عبث ولهو وقال عليه السلام: «لهو المؤمن باطل إلا لثلاث تأديبه لفرسه ومناضلته عن قوسه وملاعبته مع أهله» وحكي عن الشافعي رحمه الله إباحة اللعب بالشطرنج لما فيه من تسخية الخاطر. قال زين العرب في «شرح المصابيح» رجع الشافعي عن هذا القول قبل موته بأربعين يوماً وذكر الغزالي أيضاً في «خلاصته» إنه مكروه عند الشافعي أي: في قوله الأخير وكيف لا يكون مكروهاً وهو إحياء سنة المجوس وقد قال عليه السلام: «من لعب بالشطرنج والنردشير فكأنما غمس يده في دم الخنزير»، وأما قول ابن خيام:

زمانى بحث ودرس قيل وقالى   كه انسانرا بود كسب كمالى
زمانى شعر وشطرنج وحكايات   كه خاطررا شود دفع ملالى

فمن قبيل القول الباطل الناشيء عن هوى النفس الأمارة بالسوء أعاذنا الله وإياكم من مكرها وتسويلها. وفي الآية إشارة إلى أحوال أهل الدين فإنهم يرون أهل الدنيا بنور الرشد عاكفين لأصنام الهوى والشهوات يقولون لهم ما هذه التماثيل الخ ولو لم يكن نور الرشد والهداية من الله لكانوا معهم عاكفين لها وما رأوها بنظر التماثيل.

﴿قالوا﴾ كأنه قال إبراهيم عليه السلام أي شيء حملكم على عبادتها فقالوا: ﴿وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ أي: عابدين لها فنحن نعبدها اقتداء بهم وهو جواب العاجز عن الإتيان بالدليل.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾ أي: وبالله لقد كنتم أنتم أيها المقلدون وآباؤكم الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة مستقرين في ضلال عظيم وخطأ ظاهر لكل أحد لعدم استناده إلى دليل ما والتقليد إنما يجوز فيما يحتمل الحقية في الجملة والباطل لا يصير حقاً بكثرة القائلين به وفيه إشارة إلى أن التقليد غالب على الخلق كافة في عبادة الهوى والدنيا إلا من آتاه الله رشده.

واعلم أن التقليد قبول قول الغير بلا دليل وهو جائز في الفروع والعمليات ولا يجوز في أصول الدين والاعتقاديات بل لا بد من النظر والاستدلال لكن إيمان المقلد صحيح عند الحنفية والظاهرية وهو الذي اعتقد جميع ما وجب عليه من حدوث العالم ووجود الصانع وصفاته وإرسال الرسل وما جاؤوا به حقاً من غير دليل لأن النبي عليه السلام قبل إيمان الأعراب والصبيان والنسوان والعبيد والإماء من غير تعليم الدليل ولكنه يأثم بترك النظر والاستدلال لوجوبه عليه. وفي «فصل الخطاب» من نشأ في بلاد المسلمين وسبح الله عند رؤية صنائعه فهو خارج عن حد التقليد أي: فإن تسبيحه عند رؤية المصنوعات عين الاستدلال فكأنه يقول الله خالق هذا على هذا النمط البديع ولا يقدر أحد غيره على خلق مثل هذا فهو استدلال بالأثر وإثبات للقدرة والإرادة إلى غير ذلك فالمقصود من الاستدلال هو الانتقال من الأثر إلى المؤثر ومن المصنوع إلى الصانع بأي وجه كان لا ملاحظة الصغرى والكبرى وترتيب المقدمات للإنتاج على قاعدة المعقول.

يقول الفقير: أدى جهل هذا الزمان إلى حيث إن من سبح عند كل أعجوبة لم يلزم أن يكون مستدلاً مطلقاً لأنه سمع الناس يقولون سبحان الله عند رؤية سيل عظيم أو شجر كبير أو حريق هائل أو نحوها مما خرج عن حد جنسه فيقلدهم في ذلك من غير أن يخطر بباله أنه صنع الله تعالى وقد رأيت ملاحاً ذمياً يحث خدام السفينة على بعض الأعمال ويقول لهم اجتهدوا وكونوا من أهل الغيرة فإن الغيرة من الإيمان وهو لا يعرف ما الغيرة وما الإيمان وكذا الخدام والألم يذكرهما فهو قول مجرد جار على طريق العرف فعلى المؤمن ترك التقليد والوصول إلى مقام التحقيق ومن الله التوفيق، قال المولى الجامي:

خواهى بصوب كعبة تحقيق ره برى   پى برپى مقلد كم كرده ره مرو

وقال:

مقلدان چه شناسند داغ هجرانرا   خبر ز شعله آتش ندارد افسرده

ففيه فرق بين المقلد والمحقق فمن رام التحقيق طلبه ولا يتشبث في هذا البحر بغريقه كما لا يخفى.

﴿قالوا أجئتنا بالحق﴾ أي: بالجد وبالفارسية [آيا آورى بما اين سخن براستى وجه] ﴿أم أنت من اللاعبين﴾ بنا فتقول ما تقول على وجه المزاح واللعب حسبوا أنهم إنما أنكر عليهم دينهم القديم مع كثرتهم وشوكتهم على وجه المزاح واللعب. وفيه إشارة لطيفة وهي كما أن

أهل الصدق والطلب يرون أهل الدنيا لاعبين والدنيا لعباً ولهواً كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] كذلك أهل الدنيا يرون أهل الدين لاعبين والدين لعباً ولهواً ﴿قال بل﴾ [نيستم بازى كننده] ﴿ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن﴾ أي: خلقن ابتداء من غير مثال سابق فهو الخالق كما أنه المربي فالضمير للسموات والأرض أو للتماثيل أي: فكيف تعبدون ما كان من جملة المخلوقات ﴿وأنا على ذلكم﴾ الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والأرض فقط دون ما عداه كائناً ما كان ﴿من الشاهدين﴾ أي: العالمين به على الحقيقة المبرهنين وليس المراد حقيقة الشهادة لأنه لا شهادة من المدعي بل استعيرت الشهادة لتحقيق الدعوى بالحجة والبرهان أي: لست من اللاعبين في الدعاوى بل من المحتجين عليها بالبراهين القاطعة بمنزلة الشاهد الذي تقطع به الدعاوى. قال الكاشفي: [آورده اندكه نمروديان روزى عيداشتند كه در آن روز بصحرا رفتندى وتا آخر روزتماشا كردندى ودرباز كشتن به بتخانه در آمده بتانرا بياراسته بزبانها بنو اختندى آنكه سربر زمين نهاده رسم پرستش بجاى آوردندى وبخانها بازكشتندى چون ابراهيم عليه السلام باجمعى درباب تماثيل مناظره فرمود كفتند فردا عيدست بيرون آى تابينى كه دين وآيين ماچه زيباست ابراهيم نعم جواب ايشان بكفت روز ديكركه مى رفتند ميخواستند كه اورا ببرند ببهانه بيمارى پيش آورد] ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٩] يعني: عن عبادة الأصنام كما في «القصص» [ايشان دست از وبازداشته برفتند ابراهيم پنهان از ايشان بفرمودكه].

﴿وتالله﴾ [بخدا سوكند كه من] ﴿لأكيدن أصنامكم﴾ [هر آيينه تدبيرى كنم وجهد نمايم تابشكنم بتان شمارا] كما قال في «الإرشاد» لأجتهدن في كسرها. وفيه ايذان بصعوبة الأمر وتوقفه على استعمال الحيل. وقال ابن الشيخ أخذاً من تفسير الإمام فإن قيل لم قال: ﴿لأكيدن أصنامكم﴾ والكيد هو الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به والأصنام جمادات لا تتضرر بالكسر ونحوه وأيضاً ليست هي مما يحتال في إيقاع الكسر عليها لأن الاحتيال إنما يكون في حق من له شعور أجيب بأن ذلك من قبيل التوسع في الكلام فإن القوم كانوا يزعمون أن الأصنام لهن شعور ويجوز عليهن الضرر فقال ذلك بناء على زعمهم. وقيل المراد لأكيدنكم في أصنامكم لأنه بذلك الفعل قد أنزل بهم الغم. والأصنام جمع صنم وهي جثة متخذة من فضة أو نحاس أو خشب كانوا يعبدونها متقربين بها إلى الله تعالى كما في المفردات ﴿بعد أن تولوا﴾ ترجعوا مضارع ولى مشدداً ﴿مدبرين﴾ ذاهبين من عبادتها إلى عيدكم وهو حال مؤكدة لأن التولية والادبار بمعنى والادبار نقيض الإقبال وهو الذهاب إلى خلف. قال الكاشفي: ﴿بعد أن تولوا﴾ [بعد ازانكه روى بكردانيد ازايشان يعنى برويد بعيد كاه وباشيد مدبرين پشت برايشان كنندكان وقتى كه بتانرا بكذا ريد وبتماشا كاه خودرويد].

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿فجعلهم﴾ الفاء فصيحة أي: فولوا فجعلهم ﴿جذاذاً﴾ قطاعاً فعال بمعنى المفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام من الحطم الذي هو الكسر. قال في «القاموس» الجذ القطع

المستأصل والكسر والاسم الجذاذ مثلثة انتهى ﴿إلا كبيراً لهم﴾ استثناء من مفعول قوله فجعلهم ولهم صفة لكبيراً والضمير للأصنام أي: لم يكسر «الكبير» وتركه على حاله وعلق الفأس في عنقه وكبره في التعظيم أو في الجثة أو فيهما ﴿لعلهم إليه﴾ إلى «الكبير» وتقديم الظرف للاختصاص أو لمجرد الاهتمام مع رعاية الفاصلة ﴿يرجعون﴾ فيسألون عن كاسرها لأن من شأن المعبود أن يرجع إليه في حل المشكل فيستجهلهم ويبكتهم بذلك كذا في «بحر العلوم» أو إلى إبراهيم يرجعون لاشتهاره بإنكار دينهم وسب آلهتهم وعداوتهم فيحاججهم بقوله ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ فيحجهم ويبكتهم كما في «الإرشاد» وغيره.

ـ روي ـ أن آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الأصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاماً وخبزاً جاؤوا به معهم وقالوا: الآن ترجع بركة الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي إبراهيم فنظر إلى الأصنام فقال مستهزئاً بهم ما لكم لا تنطقون ما لكم لا تأكلون ثم التفت فإذا بفأس معلق فتناوله فكسر الكل ولم يبق إلا «الكبير» وعلق الفأس في عنقه وأراق تلك الأطعمة ورجع إلى منزله. قال الإمام فإن قيل إن كان القوم عقلاء فقد علموا بالضرورة أنها لا تسمع ولا تضر ولا تنفع فما الحاجة إلى كسرها غايته أنهم كانوا يعظمونها كما نعظم نحن المصحف والمحراب والكسر لا يقدح فيه وإن لم يكونوا عقلاء لم تحسن المناظرة معهم ولا بعث الرسل إليهم والجواب أنهم كانوا عقلاء عالمين أنها لا تضر ولا تنفع لكنهم ربما اعتقدوا أنها تماثيل الكواكب وطلسمات من عبدها ينتفع بها ومن استخف بها ناله ضرر ثم إن إبراهيم كسرها ولم ينله ضرر فدل على فساد مذهبهم. وفي الآية إشارة إلى أن الإنسان إذا وكل إلى نفسه وطبعه ينحت من هوى نفسه أصناماً كما كان أبو إبراهيم آزر ينحت الأصنام وإذا أدركته العناية الأزلية وأيد بالتأييدات الإلّهية بكسر أصنام الهوى ويجعلها جذاذاً فضلاً عن نحتها كما كان حال إبراهيم كان يكسر من الأصنام ما ينحت أبوه وإذا كان المرء من أهل الخذلان يرى الحق باطلاً والباطل حقاً كما كان قوم نمرود، وقال الخجندي:

بشكن بت غروركه دردين عاشقان يك بت كه بشكنند به ازصد عبادتست

﴿قالوا﴾ حين رجعوا من عيدهم ورأوا ﴿من فعل هذا بآلهتنا﴾ [كه كرده است اين عمل باخدايان ما وايشانرا درهم شكسته] والاستفهام للإنكار والتوبيخ ولم يقولوا بهؤلاء مع أنها كانت بين أيديهم مبالغة في التشنيع ﴿إنه لمن الظالمين﴾ بالكسر حيث عرض نفسه للهلاك [يعنى از ظالمانست برنفس خودكه بدين عمل خودرا درورطه هلاك انداخته].

﴿قالوا﴾ أي: بعض منهم مجيبين للسائلين فالآية تدل على أن القائلين جماعة ﴿سمعنا﴾ من الناس ﴿فتى﴾ وهو الطري من الشبان ﴿يذكرهم﴾ بسوء أي: بعيب الأصنام فلعله فعل ذلك بها وأطلق الذكر ولم يقيد لدلالة الحال فإن ذكر من يكره إبراهيم ويبغضه إنما يكون بذم ونظيره قولك سمعت فلاناً يذكرك فإن كان الذاكر صديقاً فهو ثناء وإن كان عدواً فذم ﴿يقال له إبراهيم﴾ أي: يطلق عليه هذا الاسم.

﴿قالوا﴾ أي: السائلون. قال ابن الشيخ: بلغ ذلك النمرود الجبار وأشراف قومه فقالوا فيما بينهم ﴿فأتوا به﴾ [پس بياريد اورا] ﴿على أعين الناس﴾ حال من ضمير به أي: ظاهراً مكشوفاً بمرأى منهم ومنظر بحيث تتمكن صورته في أعينهم تمكن الراكب على المركوب ﴿لعلهم﴾ أي: بعضاً منهم ﴿يشهدون﴾ بفعله أو بقوله ذلك لئلا نأخذه بلا بينة. وفيه إشارة إلى أن بعض الكفار من

لا يحكم على أهل الجنايات إلا بمشهد من العدول فكل حاكم يحكم على متهم بالجناية من غير بينة فهو أسوأ حالاً منهم ومن قوم نمرود كما في «التأويلات النجمية».

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿قالوا﴾ في الكلام حذف أي: فأتوا به فلما شهدوه قالوا منكرين عليه فعله موبخين له ﴿أأنت فعلت هذا﴾ الكسر ﴿بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا﴾ مشيراً إلى الذي لم يكسره وهذا صفة لكبير أسند الفعل إليه باعتبار أنه الحامل عليه لأنه لما رأى الأصنام مصطفة مزينة يعظمها المشركون ورأى على «الكبير» ما يدل على زيادة تعظيمهم له وتخصيصهم إياه بمزيد التواضع والخضوع غاظه وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد. وقال بعضهم فعله كبيرهم هذا غضب من أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها، يعني: [كفت من آن نكرده ام بلكه كرده است اين را بزرك ايشان ازروى خشم برايشان كه باوجود من چرا ايشانرا پرستند] ﴿فاسألوهم﴾ عن حالهم ﴿إن كانوا ينطقون﴾ أي: إن كانوا ممن ينطقون حتى يخبروا من فعل ذلك بهم وفي الحديث: «لم يكذب إبراهيم النبي قط إلا ثلاث كذبات» سميت المعاريض كذباً لما شابهت صورتها صورته وإلا فالكذب الصريح كبيرة فالأنبياء معصومون منها. فإن قلت إذا كانت هذه معاريض لم جعلها سبباً في تقاعده عن الشفاعة حين يأتي الناس إليه يوم القيامة. قلت: الذي يليق بمرتبة النبوة والخلة أن يصدع بالحق ويصرح بالأمر ولكنه قد تنزل إلى الرخصة فإن حسنات الأبرار سيآت المقربين والتعريض تورية الكلام عن الشيء بالشيء وهو أن تشير بالكلام إلى شيء والغرض منه شيء آخر فالغرض من قوله بل فعله كبيرهم الإعلام بأن من لم يستطع دفع المضرة عن نفسه كيف يستطيع دفع المضرة عن غيره فكيف يصلح إلهاً؟ قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً فالكذب فيه حرام فإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المطلوب مباحاً وواجب إن كان المقصود واجباً فهذا ضابطه ثنتين في ذات الله أي: في طلب رضاه والثالثة كانت لدفع الفساد عن سارة وفيها رضى الله أيضاً لكن لما كان له نفع طبيعي فيها خصص الثنتين بذات الله دونها قوله إني سقيم أي: إحدى تلك الكذبتين قوله إني سقيم وذلك أنه لما قال له أبوه: لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: إني سقيم تأويله إن قلبي سقيم بكفركم أو مراده الاستقبال كما قال الكلبي كان إبراهيم من أهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا إذا خرجوا للعيد لم يتركوا إلا مريضاً فلما همّ إبراهيم بكسر الأصنام نظر قبل العيد إلى السماء وقال: أراني أشتكي غداً فأصبح معصوباً رأسه فخرج القوم ولم يتخلف غيره وقوله: بل فعله كبيرهم مر شرحه وواحدة في شأن سارة وذلك أنه قدم الأردنّ وبها ملك جبار يقال له صادوق ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فأخبريه أنك أختي أي: في الإسلام فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيرك وغيري فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي أن تكون إلا لك فأرسل إليها فأتي بها وقام إبراهيم إلى الصلاة والدعاء فلما دخلت عليه أعجبته فمد يد، إليها فأيبس الله

تعالى يده فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك فدعت فعاد ثم وثم حتى دعا الذي جاء بها وقال: اخرجها من أرضي وأعطاها هاجر وكانت جارية في غاية الحسن والجمال وهبتها سارة لإبراهيم فولدت له إسماعيل عليهما السلام.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿**فرجعوا إلى أنفسهم**﴾ أي: راجعوا عقولهم وتذكروا أن ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الإضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل أن يقدر على دفع مضرة غيره أو جلب منفعة له فكيف يستحق أن يكون معبوداً ﴿**فقالوا**﴾ أي: قال بعضهم لبعض فيما بينهم. ﴿**إنكم أنتم الظالمون**﴾ بعبادتها لا من كسرها.

﴿**ثم نكسوا على رؤوسهم**﴾ أي: انقلبوا إلى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء أعلاه من قولهم نكس المريض إذا عاد إلى مرضه الأول بعد العافية والنكس قلب الشيء ورد آخره على أوله. وقال الكاشفي: [پس نكونسار كرده شدند برسرهاى خود يعنى سردرپيش افكندنداز حجالت وغيرت].

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن لكل إنسان عقلاً لو رجع إلى عقله وتفكر في حاله لعلم صلاحه وفساد حاله، وفي «المثنوي»:

كشتىء بى لنكر آمدمردنر كه زبادكژ نداردا او حذر
لنكر عقلست عاقل را امان لنكرى دريوزه كن ازعاقلان

وفيه إشارة أخرى وهي أن العقل وإن كان يعرف الصلاح من الفساد ويميز بين الحق والباطل ما لم يكن له تأييد من نور الله وتوفيق منه لا يقدر على اختيار الصلاح واحتراز الفساد فيبقى مبهوتاً كما كان حال قوم نمرود حيث نكسوا على رؤوسهم إذ لم يكونوا موفقين فما نفعهم ما عرفوا من الحق، وفي «المثنوي»:

جز عنايت كه كشايد چشم را جزمحبت كه نشاند خشم را
جهدبى توفيق خود كس رامباد درجهان والله أعلم بالرشاد

﴿**لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**﴾ على إرادة القول أي: قائلين لقد علمت يا إبراهيم أن ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم فأقروا بهذا للحيرة التي لحقتهم.

﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿**قال**﴾ مبكتاً لهم ﴿**أفتعبدون**﴾ أي: أتعلمون ذلك فتعبدون ﴿**من دون الله**﴾ أي: حال كونكم متجاوزين عبادته تعالى ﴿**ما لا ينفعكم شيئاً**﴾ من النفع إن عبدتموهم ﴿**ولا يضركم**﴾ إن لم تعبدوهم فإن العلم بالحالة المنافية للألوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعاً.

﴿**أف لكم ولما تعبدون من دون الله**﴾ تضجر منه من إصرارهم على الباطل البين وأف صوت التضجر إذا صوت بها الإنسان علم أنه متضجر ومعناه قبحاً ونتناً، وبالفارسية: [زشتى وناخوشى شمارا ومران چيزرا كه مى پرستيد بجز خداى تعالى] واللام لبيان المتأفف له أي: لكم ولآلهتكم هذا التأفف لا لغيركم وفي كتب النحو من أسماء الأفعال أف بمعنى أتضجر

﴿أفلا تعقلون﴾ أي: أجننتم فلا تعقلون قبح صنيعكم. قال ابن عطاء دعا الله تعالى عباده إليه وقطعهم عما دونه بقوله: ﴿أفتعبدون﴾ الخ كيف تعتمده وهو عاجز مثلك ولا تعتمد من إليه المرجع وبيده الضر والنفع. قال حمدون القصار: استغاثة الخلق بالخلق كاستغاثة المسجون بالمسجون. وقال بعض الكبار طلبك من غيره لوجود بعدك عنه إذ لو كنت حاضراً بقلبك معه ما صح منك توجه لغيره وكل ما دون الله خوض ولعب فالتعلق به زور وكذب فدع الكل جانباً وتعلق بمولاك حتماً تجده في كل مهم وغيره مغنياً وعند كل شيء حقاً يقيناً جعلنا الله ممن تعلق به بلا علة وعافانا من الذلة والزلة والقلة.

ـ حكي ـ أن امرأة حبيب العجمي ألحّت عليه أن يعمل بالأجرة طلباً للسعة في الرزق فخرج من بيته وعبد الله إلى الليل فعاد إلى بيته وليس معه شيء فلما سألته امرأته قال: عملت لعظيم كريم واستحييت أن اطلب الأجرة فلما مضى عليه ثلاثة أيام قالت: أطلب الأجرة أو اعمل لغيره أو طلقني فخرج إلى الليل فلما عاد إلى منزله وجد رائحة الطعام وامرأته مستبشرة فقالت: إن الذي عملت له أرسل إلينا أشياء عظيمة وكيساً مملوءاً ذهباً فبكى حبيب وقال: إنه من عند الله الكريم فلما سمعت المرأة تابت وحلفت أن لا تعود إلى مثله أبداً. ففي هذه الحكاية فوائد: منها أن العمل بالأجرة وإن كان أمراً مشروعاً لكن الحبيب اختار طاعة الحبيب وعد ذلك العمل من قبيل الاستناد إلى الغير مع أنه تعالى قال: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين».

ومنها: أن الصبر مؤد إلى الفتح ولو كان بعد حين فلا بد من الصبر وترك الجزع، ومنها أن تلك المرأة عرفت الحال فتابت إلى الله المتعال واختارت القوت والقناعة ولازمت العبادة والطاعة فإن من أعرض عن الحق بعد ظهور البرهان فقد خان نفسه وأهان ألا ترى أن قوم إبراهيم بعدما استبان لهم الحق رجعوا إلى الكفر والإصرار وعبادة الأصنام من الخشب والأحجار فأهلكهم الله تعالى بالبعوض الصغار، وفي «المثنوي»:

هست دنيا قهر خانه كردكار قهر بين چون قهر كردى اختيار
استخوان وموى مقهوران نكر تيغ قهر افكنده اندر بحر وبر

﴿قالوا حرقوه﴾ أي: قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وهكذا ديدن المبطل المحجوج إذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع إلا المناصبة واتفقت كلمتهم على إحراقه لأنه أشد العقوبات. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إن الذي أشار بإحراقه رجل من أعراب العجم يعني من الأكراد ولعمري إنهم لفي فسادهم وجفائهم وغلوهم في تعذيب الناس بعد يقدمون ولا ينفكون عن ذلك ما ترى للإسلام الذي هو دين إبراهيم الخليل عليهم أثراً في خلق ولا عمل خلقهم نهب أموال المسلمين وعلمهم ظلم وسرقة وقتل وقطع الطريق والله ما هؤلاء بأهل الملة الغراء لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء إياك والمصاحبة بأصلحهم والمرور ببلادهم ﴿وانصروا آلهتكم﴾ بالانتقام لها ﴿إن كنتم فاعلين﴾ أمراً في إهلاكه يعني أن الإحراق هو المعتد به في هذا الباب. وقصته أنه لما اجتمع نمرود وقومه لإحراقه عليه السلام حبسوه في بيت بنوا له حائطاً كالحظيرة ارتفاعه ستون ذراعاً وذلك في جنب جبل كوثى وهي بالضم قرية بالعراق ثم جمعوا له الحطب الكثير حتى أن الرجل المريض كان يوصي بشراء الحطب وإلقائه فيها وكانت المرأة لو مرضت قالت: إن عافاني الله لأجمعن حطباً

لإبراهيم وكانت تنذر في بعض ما تطلب لئن أصابته لتحتطبن في نار إبراهيم وتغزل وتشتري الحطب بغزلها فتلقيه في ذلك البنيان احتساباً في دينها. وكانت امرأة عجوز نذرت أن تحمل الحطب إلى نار إبراهيم فحملت حزمة حطب وذهبت بها إلى موضع النار فاعترضها ملك في الطريق وقال: أين تذهبين يا عجوز فقالت: أريد نار إبراهيم فقال: طول الله طريقك وقصر خطاك فأقامت تسير والحطب فوق رأسها وهي جيعانة عطشانة حتى ماتت لعنها الله تعالى قيل: جمعوا له أصناف الحطب من أنواع الخشب على ظهر الدواب أربعين يوماً. قال الكاشفي: [وروغن فراوان برهيمه ريختند] يقال: إن جميع الدواب امتنعت من حمل الحطب إلا البغال فعاقبها الله أن أعقمها كما في «القصص». وذكر في فضائل القدس عن سعيد بن عبد العزيز أنه قال في زمن بني إسرائيل في بيت المقدس عند عين سلوان وعين سلوان في القدس الشريف كزمزم في مكة وكانت المرأة إذا قذفت أتوا بها فسقوها من ماء هذه العين فإن كانت بريئة لم يضرها وإن كانت سقيمة ماتت فلما حملت مريم أم عيسى عليه السلام أتوا بها وحملوها على بغلة فعثرت بها فدعت الله تعالى أن يعقم رحمها فعقمت من ذلك اليوم فلما أتتها شربت منها فلم تزد إلا خيراً فدعت الله تعالى أن لا يفضح امرأة مؤمنة فغارت انتهى. ثم أوقدوا الحطب سبعة أيام فلما اشتعلت النار صار الهواء بحيث لو مر الطير في أقصى الجو لاحترق من شدة وهجها أي: شدة حرها.

ـ روي ـ أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها لعدم تأتي القرب منها فجاء إبليس في صورة شيخ وعلمهم عمل المنجنيق. قال في «إنسان العيون» أول من وضع المنجنيق إبليس فإنه لما جعلوا في الحطب النار ووصلت النار إلى رأس الجدار المرتفع المبني جنب الجبل لم يدروا كيف يلقون إبراهيم فتمثل لهم إبليس في صورة نجار فصنع لهم المنجنيق ونصبوه على رأس الجبل ووضعوه فيه وألقوه في تلك النار وأول من رمى به في الجاهلية جذيمة الأبرش وهو أول من أوقد الشمع انتهى. وقيل: صنعه لهم رجل من الأكراد وكان أول من صنع المنجنيق فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ثم عمدوا إلى إبراهيم فوضعوه في كفة المنجنيق مقيداً مغلولاً فصاحت السماء والأرض ومن فيها من الملائكة إلا الثقلين صيحة واحدة أي: ربنا ما في أرضك أحد يعبدك غير إبراهيم وإنه يحرق فيك فائذن لنا في نصرته فقال تعالى: إن استغاث بأحد منكم لينصره فقد أذنت له في ذلك فإن لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فإنه خليلي ليس لي خليل غيره وأنا إلهه ليس له إله غيري فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن الرياح فقال: إن شئت طيرت النار في الهواء وأتاه خازن المياه فقال: إن أردت أخمدت النار فقال إبراهيم لا حاجة لي إليكم ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض من يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل وأقبلت الملائكة فلزموا كفة المنجنيق فرفعه أعوان النمرود فلم يرتفع فقال لهم إبليس: أتحبون أن يرتفع؟ قالوا: نعم قال: ائتوني بعشر نسوة فأتوه بهن فأمرهن بكشف رؤوسهن ونشر شعورهن ففعلوا ذلك فمدت الأعوان المنجنيق وذهبت الملائكة فارتفع إبراهيم في الهواء كما في «القصص» وذلك أن الملك لا يرى الرأس المكشوف من المرأة بخلاف الجني ولذا لما رأى نبينا عليه السلام الملك في بدء الوحي فزع منه فأجلسته خديجة رضي الله عنها في حجرها وألقت خماراً وهو ما يعطي به الرأس ثم قالت: هل تراه قال: لا قالت: يا

ابن عم اثبت وأبشر فوالله إنه لملك ما هذا بشيطان وحين ألقي في النار قال: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك.

قال في «التأويلات النجمية» إذا أراد الله تعالى أن يكمل عبداً من عباده المخلصين يفديه بخلق عظيم كما أنه تعالى إذا أراد استكمال حوت في البحر يفديه بكثير من الحيتان الصغار فلما أراد تخليص ابريز الخلة من غش البشرية جعل النمرود وقومه فداء لإبراهيم حتى أجمعوا على تحريقه بعد أن علموا أنهم ظالمون فوضعوه في المنجنيق ورموه إلى النار فانقطع رجاؤه عن الخلق بالكلية متوجهاً إلى الله تعالى مستسلماً نفسه إليه حتى أن جبريل عليه السلام أدركه في الهواء فامتحنه بقوله هل لك من حاجة؟ وما كان فيه من الوجود ما تتعلق به الحاجة فقال: أما إليك فلا قال له جبريل: سل ربك امتحاناً له فأخفى سره عن جبريل غيرة على حاله فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي وما أظهر عليه حاله فأدركته العناية الأزلية بقوله:

﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ البرد خلاف الحر والسلام التعري من الآفات أي: كوني ذات برد من حرك وسلامة من بردك فزال ما فيها من الحرارة والإحراق وبقي ما فيها من الإضاءة والإشراق واختاره المحققون لدلالة الظاهر عليه وهذا كما ترى من أبدع المعجزات فإن انقلاب النار هواء طيباً وإن لم يكن بدعاً من قدرة الله لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات وقيل: كانت النار بحالها إلا أنه تعالى خلق في جسم إبراهيم كيفية مانعة من وصول أذى النار إليه كخزنة جهنم في الآخرة وكما أنه ركب بنية النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة وبدن السمندل بحيث لا يضره المكث في النار كما يشعر به ظاهر قوله على إبراهيم قيل فبردت نار الدنيا يومئذٍ ولم ينتفع بها أحد من أهلها ولو لم يقل على إبراهيم لبقيت ذات برد أبداً على كافة الخلق بل على جميع الأنبياء ولو لم يقل سلاماً بعد قوله برداً لمات إبراهيم من بردها. قال في «الكبير» أما كونها سلاماً عليه فلأن البرد المفرط مهلك كالحر بل لا بد من الاعتدال وهو إما بأن يقدر الله بردها بمقدار لا يؤثر أو بأن يصير بعض النار برداً ويبقى بعضها على حرارته أو بأن يزيد في حرارة جسمه حتى لا يتأثر ببردها. قيل: جعل كل شيء يطفىء عنه النار إلا الوزغة فإنها كانت تنفخ النار ولذا أمر النبي عليه السلام بقتلها. قيل: لما ألقي في النار كان فيها أربعين يوماً أو خمسين وقال: ما كنت أطيب عيشاً زماناً من الأيام التي كنت فيها في النار كما قال بعض العارفين في جبل لبنان وكان يأكل أصول النبات وأوراق الشجر ظننت أن حالي أطيب من حال أهل الجنة، قال الحافظ:

عاشقاً نرا كردر آتش مينشا ندمهر دوست تنك چشمم كر نظر در چشمه كوثر كونم

قيل لما رموه في النار: أخذت الملائكة بضبعي إبراهيم وأقعدوه في الأرض فإذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس. قال الكاشفي: [چون ابراهيم بميدان آتش فرود آمد في الحال غل وبند او بسوخت] فبعث الله تعالى ملك الظل في صورة إبراهيم فجاء فقعد إلى جنب إبراهيم يؤنسه وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال: يا إبراهيم إن ربك يقول: أما علمت أن النار لا تضر أحبابي ثم نظر النمرود

من صرح له وأشرف على إبراهيم فرآه جالساً في روضة مؤنقة ومعه جليس على أحسن ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فناداه: يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم قال: قم فاخرج، فقام يمشي حتى خرج فاستقبله النمرود وعظمه وقال: من الرجل الذي رأيته معك في صورتك؟ قال: ذلك ملك الظل أرسله ربي ليؤنسني فيها فقال له النمرود: إني مقرب إلى إلٰهك قرباناً لما رأيته من قدرته وعزته فيما صنع بك وإني ذابح له أربعة آلاف بقرة فقال إبراهيم لا يقبل الله منك ما كنت على دينك هذا قال النمرود: لا أستطيع ترك ملكي وملتي لكن سوف أذبحها له ثم ذبحها وكف عن إبراهيم. وفي «القصص» قال له النمرود: أي: بعد الخروج: ما أعجب سحرك يا إبراهيم قال: ليس هذا سحر ولكن الله جعل النار عليّ برداً وسلاماً وألبسني ثوب العز والبهاء فقال له النمرود: فمن ذلك الرجل الذي كان جالساً عن يمينك والرجال الذين كانوا حولك فقال له إبراهيم: فمن ملائكة ربي بعثهم إلي يؤنسونني ويبشرونني بأن الله قد اتخذني خليلاً فتحير النمرود ولم يدر ما يصنع بإبراهيم فحدثته نفسه بالجنون وقال: لأصعدن إلى السماء وأقتل إلٰهك فأمر أن يصنع له تابوت وثيق كما سبق في أواخر سورة إبراهيم.

ـ وروي ـ أنهم لما رأوه سالماً لم يحترق منه سوى وثاقه قال هاران أبو لوط عليه السلام: إن النار لا تحرقه لأنه سحر النار لكن اجعلوه على شيء وأوقدوا تحته فإن الدخان يقتله ففعلوا فطارت شرارة إلى لحية أبي لوط فأحرقتها.

ـ روي ـ أن إبراهيم ألقي في النار وهو ابن ست عشرة سنة. فإن قلت: هل وجد القول من الله تعالى حيث قال: ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً﴾ أو هو تمثيل؟ قلت: جعل الله النار باردة من غير أن يكون هناك قول وخطاب لقوله تعالى: ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وذهب بعضهم إلى أن ذلك القول قد وجد والقائل هو الله أو جبريل قال بأوامر الله. قال ابن عطاء سلام إبراهيم من النار بسلامة صدره لما حكى الله عنه ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: ٨٤] أي: خالٍ من جميع الأسباب والعوارض وبردت عليه النار لصحة توكله ويقينه مع أن نار العشق غالبة على كل شيء، وفي «المثنوي»:

عشق آن شعله است كو چون بر فروخت هرچه جز معشوق باقى جمله سوخت
در پناه لطف حق بايد كريخت كو هزاران لطف بر ارواح ريخت
تا پناهى يابى آنكه چون پناه آب وآتش مر ترا كردد سپاه
نوح وموسى را نه دريا يار شد نى بر اعدا شان بكين قهارشد
آتش ابراهيم را نى قلعه بود تا برآورد از دل نمرود دود
كوه يحيى را نه سوى خويش خواند قاصدانش را بزخم سنك راند
كفت اى يحيى بيا در من كريز تا پناهت باشم از شمشيرتيز

فإن قلت لم ابتلاه الله بالنار في نفسه؟ قلت: كل رسول أتى بمعجزة تناسب أهل زمانه فكان أهل ذلك الزمان يعبدون النار والشمس والنجوم معتقدين أنها من حيث أرواحها تربي الهياكل والأجسام بخاصية طبائع هن عليها فأراهم الله تعالى الحق أن العنصر الأعظم عندهم هو حقيقة الشمس وروح كرة الأثير والنجوم ولا تضر تلك الآلهة إلا بإذن الله بسريان القدرة القاهرة في حقائق العناصر. وقيل: ابتلاه الله بالنار لأن كل إنسان يخاف بالطبع من صفة القهر كما قيل لموسى: ﴿وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٢١] فأراه تعالى أن النار لا تضر

شيئاً إلا بإذن الله تعالى وإن ظهرت بصفة القهر ولذلك أظهر الجمع بين التضاد بجعلها برداً وسلاماً ومعجزة قاهرة لأعدائه المعتقدين بوصف الربوبية للعنصر الأعظم فكان ابتلاؤه بالنار معجزة ساطعة لعبدة النيران والنجوم كذا في «أسئلة الحكم» **﴿وأرادوا به كيداً﴾** مكراً عظيماً في الاضرار به **﴿فجعلناهم الأخسرين﴾** أي: أخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في إطفاء نور الحق برهاناً قاطعاً على أنه على الحق وهم على الباطل وموجباً لارتفاع درجته واستحقاقهم لأشد العذاب، وفي «المثنوي»:

هركه بر شمع خدا آرد پفو ... شمع كى ميرد بسوزد پوز او
چون توخفاشان بسى بينند خواب ... كين جهان ماند يتيم از آفتاب
اى بريده آن لب وحلق ودهان ... كه كند تف سوى مه يا آسمان
تف برويش باز كردد بى شكى ... تف سوى كردون نيابد مسلكى
تا قيامت تف برو بارد زرب ... همچو تبت برروان بو لهب

وقيل: **﴿فجعلناهم الأخسرين﴾** أي: من الهالكين بتسليط البعوض عليهم وقتله إياهم وهو أضعف خلق الله تعالى وما برح النمرود حتى رأى أصحابه قد أكلت البعوض لحومهم وشربت دماءهم ووقعت واحدة في منخره فلم تزل تأكل إلى أن وصلت إلى دماغه وكان أكرم الناس عليه الذي يضرب رأسه بمرزبة من حديد فأقام بهذا نحواً من أربعمائة سنة وقد سبق في سورة النحل **﴿ونجيناه﴾** أي: إبراهيم من الإحراق ومن شر النمرود.

﴿ولوطاً﴾ هو ابن أخي إبراهيم اسمه هاران مهاجراً **﴿إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾** أي: من العراق إلى الشام. قيل: كانت واقعة إبراهيم مع النمرود بكوثى في حدود بابل من أرض العراق فنجاه الله من تلك البقعة إلى الأرض المباركة الشامية. وعن سفيان أنه خرج إلى الشام فقيل له: إلى أين؟ فقال: إلى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقد كان الله تعالى بارك في الأرض المقدسة ببعث أكثر الأنبياء فيها ونشر شرائعهم هي البركات الحقيقية الموصلة للعالمين إلى الكمالات والسعادة الدينية والدنيوية وبكثرة الماء والشجر والثمر والحطب وطيب عيش الغني والفقير. وقال أبي بن كعب: سماها مباركة لأن ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وقد كان لوط النبي آمن بإبراهيم بن تارخ وهو لوط بن هاران بن تارخ بن تاخور وآزر لقب تارخ وكان هاران وإبراهيم أخوين وآمنت به أيضاً سارة بنت عم إبراهيم وسارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم فخرج من كوثى مهاجراً إلى ربه ومعه لوط وسارة يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم ارتحل منها! ونزل بفلسطين ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر ثم خرج من مصر وعاد إلى أرض الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وبعثه الله نبياً إلى أهلها.

ـ روي ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض ألزمهم إلى مهاجر إبراهيم» أراد عليه السلام بالهجرة الثانية الهجرة إلى الشام والمقصود ترغيب الناس في المقام بها وفي الحديث «بيت المقدس أرض الحشر والنشر والشام صفوة الله من بلاده يجيء إليها صفوته من خلقه» وفي المرفوع «عليكم بالشام».

سعد يا حب وطن كرچه حديث است صحيح
نتوان مرد بسختى كه من اينجا زادم

وفي «المثنوي»:

مسكن يارست وشهر شاه من پيش عاشق اين بود حب الوطن

﴿ووهبنا له﴾ أي: لإبراهيم بعد نزوله في الأرض المباركة وطلب الولد منها ﴿إسحاق﴾ ولداً لصلبه من سارة معناه بالعبرانية الضحاك كما أن معنى إسماعيل بها مطيع الله ﴿ويعقوب﴾ أي: ووهبنا له يعقوب أيضاً حال كونه ﴿نافلة﴾ أي: ولد ولد فهو حال من المعطوف عليه فقط لعدم اللبس وسمي يعقوب يعقوب لأنه خرج عقيب أخيه عيص أو متمسكاً بعقبه. قال في «القاموس»: النافلة الغنيمة والعطية وما تفعله مما لم يجب كالنفل وولد الولد ﴿وكلا﴾ أي: كل واحد من هؤلاء الأربعة بعضهم دون بعض ﴿جعلنا صالحين﴾ بأن وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا فصاروا كاملين.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وجعلناهم أئمة﴾ يقتدى بهم في أمور الدين ﴿يهدون﴾ أي: الأمة إلى الحق ﴿بأمرنا﴾ لهم بذلك وإرسالنا إياهم حتى صاروا مكملين ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل إلى العلم.

يقول الفقير: جعلوا المصدر من المبني للمفعول بمعنى أن يفعل الخيرات بناء على أن التكاليف يشترك فيها الأنبياء والأمم ولكن قوله تعالى في أواخر هذه السورة ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات﴾ وقوله تعالى في سورة مريم حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١] ينادي على أنه من المبني للفاعل ولا يضر ذلك في الاشتراك إذ الأنبياء أصل في الذي أوحي إليهم من الأوامر ﴿وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ عطف الخاص على العام دلالة على فضله وحذفت تاء الإقامة المعوضة من إحدى الألفين لقيام المضاف إليه مقامه ﴿وكانوا لنا﴾ خاصة دون غيرنا ﴿عابدين﴾ لا يخطر ببالهم غير عبادتنا والعبادة غاية التذلل.

قال في «التأويلات النجمية» قوله: ﴿ووهبنا﴾ يشير إلى أن الأولاد من مواهب الحق لا من مكاسب العبد وقوله: ﴿وكلاً جعلنا صالحين﴾ يشير إلى أن الصلاحية من المواهب أيضاً وحقيقة الصلاحية حسن الاستعداد الفطري لقبول الفيض الإلهي وقوله: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ يشير إلى أن الإمامة أيضاً من المواهب وأنه ينبغي أن الإمام يكون هادياً بأمر الله لا بالطبع والهوى وإن كان له أصل البداية وقوله: ﴿وأوحينا﴾ الخ يشير إلى أن هذه المعاملات لا تصدر من الإنسان إلا بالوحي للأنبياء وبالإلهام للأولياء وأن طبيعة النفس الإنسانية أن تكون أمارة بالسوء انتهى.

واعلم أن آخر الآيات نبه على أهل الإخلاص بالعبارة وعلى غيره بالإشارة فالأول هو العبد المطلق والثاني هو عبد هواه ودنياه وفي الحديث «تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار» خصصهما بالذكر لأنهما معظم ما يعبد من دون الله تعالى. وعن يحيى بن معاذ أنه قال: الناس ثلاثة أصناف: رجل شغله معاده عن معاشه، ورجل شغله معاشه عن معاده، ورجل مشتغل بهما جميعاً فالأول درجة العابدين والثاني درجة الهالكين والثالث درجة المخاطرين، وفي «المثنوي»:

آدمـي راهـسـت دركـار دسـت ليك ازو مقصود اين خدمت بدست
تـاجلا بـاشـد مـريـن آيـيـنـه را كـه صـفـا آيد ز طـاعـت سينه را
جـهـد كـن تـانـور تـورخـشـان شـود تـاسـلـوك وخـدمـت آسـان شـود
بـنـد بـكـسـل بـاش آزاد اى پـسـر چـنـد بـاشـى بـنـد سـيـم وبـنـد زر
هـركـه از ديـدار بـر خـوردار شـد ايـن جـهـان درچـشـم اومـردار شـد
بـاز اكـر بـاشـد سـپـيـد وبـى نـظـيـر چونكه صيدش موش باشد شد حقير

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿ولوطاً﴾ منصوب بمضمر يفسره قوله: ﴿آتيناه﴾ أي: وآتينا لوطاً آتيناه ﴿حكماً﴾

قال في «التأويلات النجمية» حكمة حقيقة، وفي «بحر العلوم» هو ما يجب فعله، وفي «الجلالين» فصلاً بين الخصوم بالحق. يقول الفقير: الحكم وإن كان أعم من الحكمة لكنه في حق الأنبياء بمعناها غالباً كما يدل عليه قوله تعالى في حق يحيى عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] وهو الفهم عن الله تعالى وقوله تعالى في حق داود عليه السلام: ﴿وَءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١] فرق بين الملك والحكمة والعلم فيكون معنى قوله: ﴿وعلماً﴾ أي: علماً نافعاً يتعلق بأمور الدين وقواعد الشرع والملة ﴿ونجيناه من القرية﴾ قرية سدوم أعظم القرى المؤتفكة أي: المنقلبة المجعول عاليها سافلها وهي سبع كما سبق ﴿التي كانت تعمل الخبائث﴾ جمع خبيثة والخبيثة ما يكره رداءة وخساسة يتناول الباطل في الاعتقاد والكذب في المقال والقبيح في الفعال وأعوذ بك من الخبث والخبائث أي: من ذكور الشياطين وإناثها والمراد هٰهنا اللواطة وصفت القرية بصفة أهلها وأسندت إليها على حذف المضاف وإقامتها مقامه كما يوزن به قوله: ﴿إنهم كانوا قوم سوء﴾ [كروهى بد]. قال الراغب: السوء كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجية من فوات مال وفقد حميم ويعبر به عن كل ما يقبح وهو مقابل الحسن ﴿فاسقين﴾ أي: منهمكين في الكفر والمعاصي متوغلين في ذلك، وبالفارسية [بيرون رفتكان ازدائره فرمان]. وفي الآية إشارة إلى أن النجاة من الجليس السوء من المواهب والاقتران معه من الخذلان.

زيـنـهـار ازقـريـن بـد زنـهـار وقـنـا ربـنـا عـذاب الـنـار

وفي «المثنوي»:

هـر حـويـجـى بـاشـدش كـردى دكـر درمـيـان بـاغ ازسـيـر وكـبـر
هـريـكـى بـاجـنـس خـود دركـرد خـود از بـراى پـخـتـكـى نـم مـيـخـورد
تـوكـه كـرد زعـفـرانـى زعـفـران بـاش آمـيـزش مـكـن بـاضـمـيـران
آب مـيـخـور زعـفـرانـا تـارسـى زعـفـرانـى انـدران حـلـوا رسـى
تـومـكـن دركـرد شـلـغـم پـوز خـويـش تـانـكـردد بـاتـواو هـمـطـبـع وكـيـش
تـوبـكـردى او بـكـردى مـودعـه زانـكـه ارض الله آمـد واسـعـه

﴿وأدخلناه في رحمتنا﴾ في أهل رحمتنا الخاصة ﴿إنه من الصالحين﴾ الذين سبقت لهم منا الحسنى.

قال في «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الرحمة على نوعين: خاص وعام، فالعام منها يصل إلى كل بر وفاجر كقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] والخاص لا يكون إلا للخواص وهو الدخول في الرحمة وذلك متعلق بالمشيئة وحسن الاستعداد ولهذا قال: ﴿إنه من الصالحين﴾ المستعدين لقبول فيض رحمتنا والدخول فيها وهو إشارة إلى مقام الوصول فافهم جداً كقوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ [الشورى: ٨].

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿ونوحاً إذ نادى﴾ ظرف للمضاف المقدر أي: اذكر نبأه الواقع حين دعائه على قومه بالهلاك ﴿من قبل﴾ أي: من قبل هؤلاء المذكورين ﴿فاستجبنا له﴾ أي: دعاءه الذي هو قوله: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]. قال في «بحر العلوم»: الاستجابة الإجابة لكن الاستجابة تتعدى إلى الدعاء بنفسها وإلى الداعي باللام ويحذف الدعاء إذا عدي إلى الداعي في الغالب فيقال: استجاب الله دعاءه أو استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه وهو الدليل على أن النداء المذكور بمعنى الدعاء لأن الاستجابة تقتضي دعاء ﴿فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ من الغم العظيم الذي كانوا فيه من أذية قومه. قال الراغب الكرب الغم الشديد من كرب الأرض قلبها بالحفر فالغم يثير النفس إثارة ذلك.

﴿ونصرناه﴾ نصراً مستتبعاً للانتقام والانتصار ولذلك عدي بمن حيث قيل: ﴿من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أولاً وآخراً ﴿إنهم كانوا قوم سوء﴾ [كروهى بديعنى كافر بودند چه كفر سر جمله همه بديهاست] ﴿فأغرقناهم أجمعين﴾ فإنه لم يجتمع الإصرار على التكذيب والانهماك في الشر والفساد في قوم إلا أهلكهم الله تعالى.

اعلم أن الدعاء إذا كان بإذن الله تعالى وخلوص القلب كما للأنبياء وكمل الأولياء يكون مقروناً بالإجابة.

ـ روي ـ أن زيد بن ثابت رضي الله عنه خرج مع رجل من مكة إلى الطائف ولم يعلم أنه منافق فدخلا خربة وناما فأوثق المنافق يد زيد وأراد قتله فقال زيد: يا رحمٰن أعني فسمع المنافق قائلاً يقول: ويحك لا تقتله فخرج المنافق ولم ير أحداً ثم وثم ففي الثالثة قتله فارس ثم حل وثاقه وقال: أنا جبريل كنت في السماء السابعة حين دعوت الله فقال الله تعالى: أدرك عبدي. ففي الحكاية أمور: منها لا بد لأهل الطريق من الرفيق لكن يلزم تفتيش حاله ليكون على أمان من المخلوق وقد كثر العدو في صورة الصديق في هذا الزمان، وفي «المثنوي»:

آدمى رادشمن پنهان بسيست　　آدمىء باحذر عاقل كسيست

وقد قيل في كل شيء عبرة والعبرة في الغراب شدة حذره. ومنها أن الدعاء من أسباب النجاة فرعها الله عليه حيث قال: ﴿فنجيناه﴾ بعد قوله: ﴿فاستجبنا له﴾ قال الحافظ:

مرا درين ظلمات آنكه رهنمائى كرد　　دعاى نيم شبى بود وكريه سحرى

وفي «المثنوي»:

آن نياز مريمى بودست ودرد　　كه چنان طفلى سخن آغازكرد
هركجا دردى دوا آنجا رود　　هركجا پستيست آب آنجا رود

ومنها أن الله تعالى يعين عبده المضطر من حيث لا يحتسب إذ كل شيء جند من جنوده كما حكي أن سفينة مولى رسول الله عليه السلام أخطأ الجيش بأرض الروم فأسر فانطلق هارباً يلتمس فإذا هو بالأسد فقال: يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله وكان من أمري كيت وكيت فأقبل الأسد يبصبص حتى قام إلى جانبه كلما سمع صوتاً أهوى إليه فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش ثم رجع الأسد، قال الشيخ سعدي قدس سره:

يكى ديدم از عرصه رودبار | كه پيش آمدم برپلنكى سوار
چنان هول ازان حال بر من نشست | كه ترسيدنم پاى رفتن به بست
تبسم كنان دست برلب كرفت | كه سعدى مدار آنچه آيد شكفت
توهم كردن از حكم داور مپيچ | كه كردن نپيچد زحكم توهيچ
محالست چون دوست دارد ترا | كه دردوست دشمن كذارد ترا

ومنها: أن الملك يتمثل لخواص البشر. قال الغزالي رحمه الله في «المنقذ من الضلال» إن الصوفية يشاهدون الملائكة في يقظتهم أي: لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم العلائق وحسمهم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال وإقبالهم على الله تعالى بالكلية علماً دائماً وعملاً مستمراً:

شد فرشته ديدن ازشان فرشته خصلتى

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث﴾ أي: اذكر خبرهما وقت حكمهما في وقت الحرث وهو بالفارسية [كشت] ﴿إذ نفشت﴾ تفرقت وانتشرت ظرف للحكم ﴿فيه غنم القوم﴾ ليلاً بلا راع فرعته وأفسدته فإن النفش أن ينتشر الغنم ليلاً بلا راع والغنم محركة الشاة لا واحد لها من لفظها الواحدة شاة وهو اسم مؤنث للجنس يقع على الذكور والإناث وعليهما جميعاً كما في «القاموس» ﴿وكنا لحكمهم﴾ أي: لحكم الحاكمين والمتحاكمين إليهما. فإن قيل: كيف يجوز أن يجعل الضمير لمجموع الحاكمين والمتحاكمين وهو يستلزم إضافة المصدر إلى فاعله ومفعوله دفعة واحدة وهو إنما يضاف إلى أحدهما فقط لأن إضافته إلى الفاعل على سبيل القيام به وإضافته إلى المفعول على سبيل الوقوع عليه فهما معمولان مختلفان فلا يكون اللفظ الواحد مستعملاً فيهما معاً وأيضاً أنه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لأن إضافته إلى الفاعل حقيقة وإلى المفعول مجاز فالجواب أن هذه الإضافة لمجرد الاختصاص مع كون القطع عن كون المضاف إليه فاعلاً أو مفعولاً على طريق عموم المجاز كأنه قيل وكنا للحكم المتعلق بهم ﴿شاهدين﴾ حاضرين علماً وهو مقيد لمزيد الاعتناء بشأن الحكم.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أنا كنا حاضرين في حكمهما معهما وإنما حكما بإرشادنا لهما ولم يخطىء أحد منهما في حكمه إلا أنا أردنا تشييد بناء الاجتهاد بحكمهما عزة وكرامة للمجتهدين ليقتدوا بهما مستظهرين بمساعيهم المشكورة في الاجتهاد.

﴿ففهمناها﴾ أي: الحكومة ﴿سليمان﴾ وهو ابن إحدى عشرة سنة. وقال الكاشفي: [درسن سيزده سالكى].

قال في «التأويلات النجمية» يشير إلى رفعة درجة بعض المجتهدين على بعض وأن الاعتبار في الكبر والفضيلة بالعلم وفهم الأحكام والمعاني والأسرار لا بالسن فإنه فهم بالأحق والأصوب وهو ابن صغير وداود نبي مرسل كبير. وحكماً [كفته اند تو انكرى بهنرست نه بمال وبزركى بعقلست نه بسال]. وفي «القصص» إن بني إسرائيل حسدوا سليمان على ما أوتي من العلم في صغر سنه فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود إن الحكمة تسعون جزءاً سبعون منها في سليمان وعشرون في بقية الناس ﴿وكلا﴾ [هريك را زپدر وپسر] ﴿آتينا حكماً وعلماً﴾ كثيراً لا سليمان وحده فحكم كليهما حكم شرعي.

قال في «التأويلات النجمية» أي: حكمة وعلماً ليحكم كل واحد منهما موافقاً للعلم والحكمة بتأييدنا وإن كان مخالفاً في الحكم بحكمتنا ليتحقق صحة أمر الاجتهاد وأن كل مجتهد مصيب كما قال في «الإرشاد» وهذا يدل على أن خطأ المجتهد لا يقدح في كونه مجتهداً.

ـ روي ـ أنه دخل على داود عليه السلام رجلان فقال أحدهما إن غنم هذا دخلت في حرثي ليلاً فأفسدته فقضى له بالغنم إذ لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام فأخبراه بذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فسمعه داود فدعاه فقال له بحق النبوة والأبوة إلا أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين؟ فقال: أرى أن تدفع الغنم إلى صاحب الأرض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث إلى أرباب الغنم ليقوموا عليه أي: بالحرث والزرع حتى يعود إلى ما كان ويبلغ الحصاد ثم يترادّا فقال القضاء: ما قضيت وأمضى الحكم بذلك. قال في «الإرشاد» الذي عندي أن حكمهما كان بالاجتهاد فإن قول سليمان غير هذا أرفق بالفريقين ثم قوله أرى أن تدفع الخ صريح في أنه ليس بطريق الوحي وإلا لبت القول بذلك ولما ناشده داود لإظهار ما عنده بل وجب عليه أن يظهره ابتداء وحرم عليه كتمه ومن ضرورته أن يكون القضاء السابق أيضاً كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد انتهى والاجتهاد بذل الفقيه الوسع ليحصل له ظن بحكم شرعي وهو جائز للأنبياء عند أهل السنة ليدركوا ثواب المجتهدين وليقتدي بهم غيرهم ولذا قال عليه السلام: «العلماء ورثة الأنبياء» فإنه يستلزم أن تكون درجة الاجتهاد ثابتة للأنبياء ليرث العلماء عنهم ذلك إلا أن الأنبياء لا يقرون على خطأ وفي الحديث «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم واجتهد وأخطأ فله أجر» وفي كل حادثة حكم معين عند الله وعليه دليل قطعي أو ظني فمن وجده أصاب ومن فقده أخطأ ولم يأثم. فإن قيل لو تعين الحكم فالمخالف له لم يحكم بما أنزل الله فيفسق أو يكفر. قلنا إنه أمر بالحكم بما ظنه وإن أخطأ فقد حكم بما أنزل الله. قال في «بحر العلوم»: واعلم أن في هذه الآية دليلاً على أن المجتهد يخطىء أو يصيب وأن الحق واحد في المسائل الاجتهادية إذ لو كان كل من الاجتهادين صواباً وحقاً لكان كل منهما قد أصاب الحق وفهمه ولم يكن لتخصيص سليمان خلافه بالذكر جهة فإنه في هذا المقام يدل على نفي الحكم عما عداه وعلى أن للأنبياء اجتهاداً كما للعلماء على أنه لو كان كل مجتهد مصيباً لزم اتصاف الفعل الواحد بالنقيضين من الصحة والفساد والوجوب والحظر والإباحة وهو ممتنع، وفي «المثنوي»:

وهم افتد در خطا ودر غلط عقل باشد در اصابتها فقط
مجتهد هركه كه باشد نص شناس اندران صوت نينديشد قياس
چون نيايد نص اندر صورتى از قياس آنجا نمايد عبرتى

﴿وسخرنا﴾ [ورام ساختيم] ﴿مع داود الجبال﴾ مع متعلقة بالتسخير وهو تذليل الشيء وجعله طائعاً منقاداً. وسفن مواخر إذا أطاعت وطابت لها الريح ﴿يسبحن﴾ حال من الجبال أي: يقدسن الله تعالى بحيث يسمع الحاضرون تسبيحهن فإنه هو الذي يليق بمقام الامتنان لا انعكاس الصدى فإنه عام وكذا ما كان بلسان الحال فاعرف ﴿والطير﴾ عطف على الجبال وقدمت الجبال على الطير لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدر وأدخل في الإعجاز لأنها جماد والطير حيوان ﴿وكنا فاعلين﴾ قادرين على أن نفعل هذا وإن كان عجباً عندكم.

ـ روي ـ أن داود كان إذا مر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق إليه. قال الكاشفي: [مؤمن موقن بايدكه اعتقاد كند برين وجه كه كوهها ومرغان بموافقت داود بروجهى تسبيح مى كفته اندكه همه سامعانرا تركيب حروف وكلمات آن مفهوم ميشده واين معنى ازقدرت الهي غريب نيست]:

هر كجا قدرتش علم افراخت ازغرائب هر آنچه خواست بساخت
قدرتى را كه نيست نقصانش كارها جمله هست آسانش

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الذاكر لله إذا استولى عليه سلطان الذكر تتنور أجزاء وجوده بنور الذكر فيتجوهر قلبه وروحه بجوهر الذكر فربما ينعكس نور الذكر من مرآة القلب إلى ما يحاذيها من الجمادات والحيوانات فتنطقه بالذكر فتارة يذكر معه أجزاء وجوده وتارة يذكر معه بعض الجمادات والحيوانات كما كانت الحصاة تسبح في يد رسول الله ﷺ والضب يتكلم معه.

ـ وروي ـ عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال: كنا نأكل الطعام ونسمع تسبيحه انتهى. وفي «عرائس البقلى» رحمه الله كان يطلب كل وقت مكاناً خالياً لذكره وأنسه فيدخل الجبال لأنها ملتبسة بأنوار قدرته خالية عن صنع أهل الحدثان باقية على ما أخرجت من العدم بكسوة نور القدم فإذا كان مسبحاً سبحت الجبال معه والطير بلسان نور الفعل الحق كأنه تعالى ينزه نفسه بتنزيه داود حيث غلب على داود سطوات عظمته ونور كبريائه. قال محمد بن علي رحمه الله: جعل الله الجبال تسلية للمجذوبين وأنساً للمكروبين والانس الذي في الجبال هو أنها خالية عن صنع الخلائق فيها بحال باقية على صنع الخالق لا أثر فيها لمخلوق فتوحش والآثار التي فيها آثار الصنع الحقيقي عن غير تبديل ولا تحويل انتهى. قال ابن عباس رضي الله عنهما إن بني إسرائيل كانوا قد تفرقوا قبل مبعث داود وأقبلوا على ملاهي الشيطان وهي العيدان والطنابير والمزامير والصنوج وما أشبهها فبعث الله داود وأعطاه من حسن الصوت ونغمة الألحان حتى كان يتلو التوراة بترجيع وخفض ورفع فأذهل عقول بني إسرائيل وشغلهم عن تلك الملاهي وصاروا يجتمعون إلى داود يستمعون ألحانه وكان إذا سبح تسبح معه الجبال والطير والوحش كما في «قصص الأنبياء»، قال الشيخ سعدي قدس سره:

به از روى زيباست آواز خوش كه اين حظ نفس است وآن قوت روح

وقال:

اشتر بشعر عرب در حالتست وطرب كرذوق نيست تراكژ طبع جانورى

وقال:

وعند هبوب الناشرات على الحمى تميل غصون البان لا الحجر الصلد

وكما أن الأصوات الحسنة والنغمات الموزونة تؤثر في النفوس فتجذبها من الشر إلى الخير بالنسبة إلى المستعد الكامل فكذا الأصوات القبيحة والنغمات الغير الموزونة تؤثر في النفوس فتفعل خلاف ما يفعل خلافها، وفي «المثنوي»:

يك مؤذن داشت بس آواز بد درميان كافرستان بانك زد
چند كفتندش مكو بانك نماز كه شود چنك وعداوتها دراز
او ستيزه كرد وبس بى احتراز كفت دركافرستان بانك نماز
خلق خائف شد زفتنه عامه خود بيامد كافرى باجامه
شمع وحلوا باچنان جامه لطيف هديه آورد وبيامد چون اليف
پرس پرسان كين مؤذن كوكجاست كه صلاى بانك اوراحت فزاست
دخترى درام لطيف وبس سنى آرزو مى بود اورا مؤمنى
هيچ اين سودا نمى رفت از سرش پندها ميداد چندى كافرش
هيچ چاره مى ندانستم دران تافرو خواند اين مؤذن آن اذان
كفت دختر چيست اين مكروه بانك كه بكوشم آمد اين دوچار دانك
من همه عمر اين چنين آوازشت هيچ نشنيدم درين ديرو كنشت
خواهرش كفتاكه اين بانك اذان هست اعلام وشعار مؤمنان
باورش نامد بپرسيد از دكر آن دكرهم كفت آرى اى قمر
چون يقين كشتش رخ او زردشد از مسلمانى دل اوسرد شد
بازرستم من زتشويش وعذاب دوش خوش خفتم داران بى خوف خواب
راحتم اين بود از آوازاو هديه آوردم بشكرآن مردكو
چون بديدش كفت اين هديه پذير چون مراكشتى مجيرو دستكير
كربمال وملك وثروت فردمى من دهانت را پرازرز كردمى

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وعلمناه صنعة لبوس﴾ أي: عمل الدروع، وبالفارسية: [ساختن زره] والصنع إجادة الفعل فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعاً والصناعة ككتابة حرفة الصانع وعمل الصنعة واللبوس في الأصل اللباس درعاً كان أو غيرها ولبس الثوب استتر به وكانت الدروع قبل داود صفائح أي: قطع حديد عراضاً فحلقها وسردها **﴿لكم﴾** أي: لنفعكم متعلق بعلمنا أو بمحذوف هو صفة لبوس. والمعجزة فيه أن فعل ذلك من غير استعانة بأداة وآلة من نحو الكير والنار والسندان والمطرقة. وكان لقمان يجلس مع داود ويرى ما يصنع ويهمّ أن يسأل عنها لأنه لم يرها قبل ذلك فيسكت فلما فرغ داود من الدرع قام وأفرغه على نفسه وقال: نعم الرداء هذا للحرب فقال لقمان عندها إن من الصمت لحكمة. قالت الحكماء وإن كان الكلام فضة فالصمت من ذهب.

اكر بسيار دانى اندكى كوى يكى راصد مكو صدرا يكى كوى

﴿لتحصنكم﴾ لتحرزكم أي: اللبوس بتأويل الدرع ودرع حصينة لكونها حصناً للبدن فتجوّز به في كل تحرز وهو بدل اشتمال من لكم بإعادة الجار لأن لتحصنكم في تأويل

لإحصانكم وبين الإحصان وضمير لكم ملابسة الاشتمال مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لكم ﴿من بأسكم﴾ البأس هنا الحرب وإن وقع على السوء كله أي: من حرب عدوكم، وبالفارسية: [ازكارزار شما يعنى از قتل وجراحت دركار زار بمانندند تيغ وتيرو نيزه]. وفي الآية دلالة على أن جميع الصنائع بخلق الله وتعليمه وفي الحديث «إن الله خلق كل صانع وصنعه» وفي «المثنوي»:

قابل تعليم وفهمست اين خرد ليك صاحب وحى تعليمش دهد
جمله حرفتها يقين ازوحى بود اول اوليك عقل آنرا فزود

﴿فهل أنتم شاكرون﴾ ذلك يعني قد ثبت عليكم النعم الموجبة للشكر حيث سهل عليكم المخرج من الشدائد فاشكروا له. قال الكاشفي يعني: [شكر كوييد خدايرا برچنين لباس] فهو أمر وارد على صورة الاستفهام والخطاب لهذه الأمة من أهل مكة ومن بعدهم إلى يوم القيامة أخبر الله تعالى أن أول من عمل الدرع داود ثم تعلم الناس فعمت النعمة بها كل محارب من الخلق إلى آخر الدهر فلزمهم شكر الله على هذه النعمة. وقال بعضهم: الخطاب لداود وأهل بيته بتقدير القول أي: فقلنا لهم بعدما أنعمنا عليهم بهذه النعم بل أنتم شاكرون وما أعطى لكم من النعم التي ذكرت من تسخير الجبال له والطير وإلانة الحديد وعلم صنعة اللبوس. قيل: إن داود خرج يوماً متفكراً طالباً من يسأله عن سيرته في مملكته فاستقبل جبريل على صورة آدمي ولم يعرفه داود فقال له: كيف ترى سيرة داود في مملكته فقال له جبريل: نعم الرجل هو لولا أن فيه خصلة واحدة قال: وما هي قال: بلغني أنه يأكل من بيت المال وليس شيء أفضل من أن يأكل الرجل من كدّ يده فرجع داود وسأل الله أن يجعل رزقه من كدّ يده فألان له الحديد وكان يتخذ الدرع من الحديد ويبيعها ويأكل من ذلك. يقول الفقير: قد ثبت في الفقه أن في بيت المال حق العلماء وحق السادات ونحوهم فالأكل منه ليس بحرام عند أهل الشريعة والحقيقة لكن الترك أفضل لأهل التقوى كما دل عليه قصة داود وقس عليه الأوقاف ونحوها من الجهات المعينة وذلك لأنه لا يخلو عن شبهة في هذا الزمان مع أن الاستناد إلى الرزق المعلوم ينافي التوكل التام ولذا لم يأكل كثير من أهل الحق ربح المال الموقوف بل أكلوا مما فتح الله عليهم من الصدقات الطيبة من غير حركة ذهنية منهم فضلاً عن الحركة الحسية نعم أكل بعضهم من كسب يده قال الحافظ:

فقيه مدرسه دى مست بود وفتوى داد كه مى حرام ولى به زمال اوقافست

غلط الشراح في شرح هذا البيت وأقول تحقيقه أن قوله «ولى به» من كلام الحافظ لا من كلام المفتي. يعني أن الفقيه كان سكران من شراب الغفلة وحب الدنيا والاعتماد على مال المدرسة ولذا أنكر أهل حال العشق وجعل شرابهم الذي هو العشق حراماً ولكن ليس الأمر كما قال فإنه أولى من مال الوقف. يعني أن العشق والتوكل التام اللذين عليهما محققو الصوفية أفضل من الزهد والأكل من مال الوقف اللذين عليهما فقهاء العصر وعلماؤه فالإنكار يتعلق بالفقيه المعتمد لا بالعاشق المتوكل. قال العلماء: كان الأنبياء عليهم السلام يحترفون بالحرف ويتكسبون بالمكاسب. فقد كان إدريس خياطاً. وقد كان أكثر عمل نبينا عليه السلام في بيته الخياطة وفي الحديث «عمل الأبرار من الرجال الخياطة وعمل الأبرار من النساء الغزل» كما في «روضة الأخبار» وفي الحديث «علموا بنيكم السباحة والرمي ولنعم لهو المؤمنة مغزلها وإذا دعا

أبوك وأمك فأجب أمك» كما في «المقاصد الحسنة» للسخاوي وفي الحديث «صرير مغزل المرأة يعدل التكبير في سبيل الله والتكبير في سبيل الله أثقل في الميزان من سبع سموات وسبع أرضين» وفي الحديث «المغزل في يد المرأة الصالحة كالرمح في يد الغازي المريد به وجه الله تعالى»[٣] كما في «مجمع الفضائل». وكان نوح نجارا. وإبراهيم بزازاً وفي الحديث «لو اتجر أهل الجنة لاتجروا في البز ولو اتجر أهل النار لاتجروا في الصرف» كذا في «الأحياء». وداود زراداً. وآدم زراعاً وكان أول من حاك ونسج أبونا آدم. قال كعب: مرت مريم في طلب عيسى بحاكة فسألت عن الطريق فأرشدوها إلى غير الطريق فقالت: اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم فقراء وحقرهم في أعين الناس فاستجيب دعاؤها ولذا قيل لا تستشيروا الحاكة فإن الله سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم. وكان سليمان يعمل الزنبيل في سلطته ويأكل من ثمنه ولا يأكل من بيت المال. وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة فإنه عليه السلام آجر نفسه قبل النبوة في رعي الغنم وقال: «وما من نبي إلا وقد رعاها» ومن حكمة الله في ذلك أن الرجل إذا استرعى الغنم التي هي أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف تعطفاً فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد هرب أولاً من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون في أعدل الأحوال وحينئذٍ لا ينبغي لأحد عير برعاية الغنم أن يقول كان النبي عليه السلام يرعى الغنم فإن قال ذلك أدّب لأن ذلك كما علمت كمال في حق الأنبياء دون غيرهم فلا ينبغي الاحتجاج به ويجري ذلك في كل ما يكون كمالاً في حقه عليه السلام دون غيره كالأمية فمن قيل له أنت أمي فقال: كان عليه السلام أمياً يؤدب كما في «إنسان العيون».

يقول الفقير فقول السلطان سليم الأول من الخواقين العثمانية:

يك كدا بود سليمان بعصا وزنبيل   يافت از لطف توآن حشمت ملك آرايى
مصطفى بود يتيمى زعرب پست درت   دادش انعام توتاج شرف بالايى

ترك أدب لأنه يوهم التحقير في شأنهما العظيم. وكان صالح ينسج الأكسية جمع كساء بالفارسية [كليم]. وعيسى يخصف النعل ويرقعها. وأفضل الكسب الجهاد وهو حرفة رسول الله ﷺ بعد النبوة والهجرة. ثم التجارة بشرط الأمانة بحيث لا يخون على مقدار حبة أصلاً. ثم الحراثة. ثم الصناعة كما في «المختار والتحفة». ويجتنب المكاسب الخبيثة أي: الحرام والرديء أيضاً نحو أجرة الزانية والكاهن وهو الذي يخبر عن الكوائن المستقبلة أو عما مضى وعن نحوسة طالع أو سعد أو دولة أو محنة أو نحو ذلك. ويجتنب عن صنعة الملاهي ونحوها. وكره للرجل أن يكون بائع الأكفان لأنه يوجب انتظار موت الناس أو حناطاً يحتكر أو جزاراً وهو القصاب الذي يذبح الدواب لما فيه قساوة القلب. أو صائغاً بالفارسية [زركر] لما فيه من تزيين الدنيا وقد كرهوا كل ما هو بمعناه كصناعة النقش وتشييد البنيان بالجص ونحو ذلك. أو نخاساً وهو الذي يبيع الناس من الذكور والإناث. يقال: ثلاثة لا يفلحون: بائع البشر، وقاطع الشجر، وذابح البقر. وكره أن يكون حجاماً أو كناساً أو دباغاً وما في معناه لما فيه من مخالطة النجاسة. وكره ابن سيرين وقتادة أجرة الدلال لقلة اجتنابه عن الكذب وإفراطه في الثناء على السلعة لترويجها.

ـ روي ـ أن أول من دل إبليس حيث قال: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠] كما في «روضة الأخبار».

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿ولسليمان الريح﴾ أي: وسخرنا له الريح وتخصيص داود بلفظ مع وسليمان باللام للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت فإن تسخير ما سخر له عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بأمره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته فجيء بلام التمليك وأما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له والاقتداء في عبادة الله تعالى ﴿عاصفة﴾ حال من الريح أي: حال كونها شديدة الهبوب من حيث إنها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان وكانت لينة في نفسها طيبة كالنسيم فكان جمعها بين الرخاوة في نفسها وعصفها في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها حسبما يريد ويحتكم معجزة مع معجزة ﴿تجري﴾ [ميرفت] حال ثانية ﴿بأمره﴾ بمشيئته ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ وهي الشام التي تذهب به غدوة من الشام إلى ناحية من نواحي الأرض وبينها وبين الشام مسيرة شهر إلى وقت الزوال ثم ترجع به منها بعد الزوال إلى الشام عند الغروب كما قال تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢]. قال مقاتل: عملت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ من ذهب في إبريسم وكان يوضع له منبر من ذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله كراسي من ذهب وفضة يقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تطلع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن الرواح إلى المغرب وكان عليه السلام امرأ قلما يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الأرض ملكاً إلا أتاه ودعاه إلى الحق. قال الكاشفي: [در تلخيص آورده كه در شام شهرى بود تدمر نام كه ديوان براى سليمان بنياد ساخته بودند صباح از آنجا بيرون آمدى وياز نماز شام دير آيد آنجا آوردى. ودر مختار القصص آورده كه بامداد از تدمر بيرون آمدى وقيلوله در اصطخر فارس كردى وشبانكاه بكابل رفتى وروزى ديكر از كابل بيرون آمدى وچاشت در اصطخر بودى وشام بتدمر باز آمدى] وكانت تجري إلى حيث شاء سليمان ثم يعود إلى منزله بالشام.

ـ وروي ـ أن سليمان سار من العراق غادياً فقابل نمرود وصلى العصر ببلخ ثم سار من بلخ متخللاً بلاد الترك وأرض الصين ثم عطف منها على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى قندهار وخرج منها إلى مكران وكرمان حتى أتى فارس فنزلها أياماً وغدا منها بكسكر ثم راح إلى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر كما في «بحر العلوم»، قال الشيخ سعدي قدس سره:

نه برباد رفتى سحركاه وشام　　سرير سليمان عليه السلام
باخر نه ديدى كه برباد رفست　　خنك آنكه بادانش وداد رفست

﴿وكنا بكل شيء عالمين﴾ فنجريه على ما يقتضي علمنا وحكمتنا ﴿ومن الشياطين﴾ أي: وسخرنا له من الشياطين ﴿من يغوصون له﴾ أي: يدخلون تحت البحر ويستخرجون له من نفائسه. قال الراغب الغوص الدخول تحت الماء وإخراج شيء منه ويقال لكل من هجم على غامض فأخرجه غائص عيناً كان أو علماً والغواص الذي يكثر منه ذلك ﴿ويعملون عملاً دون ذلك﴾ أي: غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة وهؤلاء أما الفرقة

الأولى أو غيرها لعموم كلمة من كأنه قيل ومن يعملون.

ـ روي ـ أن المسخر له كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى: **﴿ومن الشياطين﴾** **﴿وكنا لهم حافظين﴾** أي: من أن يزيغوا عن أمره ويعصوا ويتمردوا عليه أو يفسدوا ما عملوا على ما هو مقتضى جبلتهم والشياطين وإن كانوا أجساماً لطيفة لكنهم يتشكلون بأشكال مختلفة ويقدرون على أعمال الشاقة ألا ترى أن لطافة الريح لا تمنع عصوفها لا سيما أنهم تكثفوا في زمن سليمان فكانوا بحيث يراهم الناس ويستعملونهم في الأعمال قال في «الأسئلة المقحمة»: فلماذا لم تخرج الشياطين عن طاعة سليمان مع استعمالهم في تلك الأمور الشديدة فالجواب أن الله تعالى أوقع لسليمان في قلوبهم من الخوف والهيبة حتى خافوا أن يخرجوا عن طاعته وهذا من معجزاته.

قال في «التأويلات النجمية»: من كمالية الإنسان أنه إذا بلغ مبلغ الرجال البالغين من الأنبياء والأولياء سخر الله له بحسب مقامه السفليات والعلويات من الملك والملكوت فسخر لسليمان عليه السلام من السفليات الريح والجن والشياطين والطير والحيوانات والمعادن والنبات ومن العلويات الشمس حين ردت لأجل صلاته كما سخر لداود عليه السلام الجبال والطير والحديد والأحجار التي قتل بها جالوت وهزم عسكره فسخر لكل نبي شيئاً آخر من أجناس العلويات والسفليات وسخر لنبينا عليه الصلاة والسلام من جميع أجناسها فمن السفليات ما قال عليه السلام: «زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها» وقال: «جعلت لي الأرض مسجداً وتربها طهوراً» وقال: «أتيت بمفاتيح خزائن الأرض» وكان الماء ينبع من بين أصابعه وقال: «نصرت بالصبا» وكانت الأشجار تسلم عليه وتسجد وتنقلع بإشارته عن مكانها وترجع والحيوانات كانت تتكلم معه وتشهد بنبوته وقال: «أسلم شيطاني على يدي» وغيره من السفليات وأما العلويات فقد انشق له القمر بإشارة أصبعه:

پس قمركه امر بشنيد وشتافت   پس دونيمه كشت برچرح وشكافت

وسخر له البراق وجبريل والرفرف وعبر السموات السبع والجنة والنار والعرش والكرسي إلى مقام قاب قوسين أو أدنى فما بقي شيء من الموجودات إلا وقد سخر له:

نه كسى دركرد توهركز رسيد   نه كسى رانيز چندين عز رسيد

وبقوله: **﴿ومن الشياطين من يغوصون﴾** الآية يشير إلى أنا كما سخرنا الشياطين له يعملون له الأعمال سخرنا للشياطين الأعمال والغوص والصنائع يصنعون بحفظ الله ما لا يقدرون عليه الآن.

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وأيوب﴾ أي: واذكر خبر أيوب. واختلفوا في أسماء نسبه بعد الاتفاق على الانتهاء إلى روم بن عيص بن ابراهيم عليه السلام.

ـ روي ـ أن الله تعالى استنبأ أيوب وأرسله إلى أهل حران وهي قرية بغوطة دمشق وكثر أهله وماله وكان له سبعة بنين وسبع بنات ومن أصناف البهائم ما لا يحصى فحسده ابليس وقال: [الهى بنده تودر عافيت وسعت عيش است مال بسيار وفرزندان بزركوار دارد اكر اورا

بانتزاع مال واولاد مبتلا سازى زود ازتو بكردد وطريق كفران نعمت پيش كيرد حق سبحانه وتعالى فرمودكه چنين نيست كه توميكويى اومارا بنده ايست پسنديده اكر هزار باردر بوته ابتلا بكداختم بى غش وخالص العيار آيد:

چنان در عشق يكرويم كه كر تيغم زنى برسر
برو ز امتحان باشم چو شمع استاده پابرجا

پس حق سبحانه وتعالى اقسام محن بروى كما شت شترانش بصاعقه هلاك شدند وكوسفندان بسبب سيل در كرداب فنا افتادند وزراعت بريح متلاشى شد واولاد در زير ديوار ماندند وقروح در جسد مباركش ظاهر شدوديدان پيدا كشتند وخلق ازوى كريخت بجززن او] فكان نظير إبراهيم عليه السلام في الابتلاء بالمال والولد والبدن. وقد قال بعض الكبار إن بلاء أيوب اختاره قبله سبعون نبياً فما اختاره الله إلا له وبقي في مرضه ثماني عشرة سنة أو سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات قالت له يوماً امرأته رحمة بنت افراييم بن يوسف: لو دعوت الله فقال لها: كم كانت مدة الرخاء؟ فقالت: ثمانين سنة فقال: أنا أستحيي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي [وهرسحر اين خطاب مستطاب بايوب مكروب رسيدى كه اى ايوب چكونه وايوب بذوق وشوق اين پرسش كوه بلا بجان مى كشيد وبآن بيمارى خوش بود]:

كربر سر بيمار خود آيى بعيادت   صد ساله باميد توبيمار توان بود

وقد سلط الله على جسده اثني عشر ألف دودة لأنها عدد الجند الكامل كما قال عليه السلام «اثنا عشر ألفاً لن يغلب عن قلة أبداً» ولله عساكر كالدود والبعوض للنمرود والأبابيل لأصحاب الفيل والهدهد لعوج والعنكبوت والحمامة لرسول الله عليه السلام وأكل الدود جميع جسده حتى بقي العظام والقلب واللسان والأذنان والعينان ولما قصد قلبه الذي هو منبع المعرفة ومعدن النبوة والولاية ولسانه الذي هو مصدر الذكر ومورد التوحيد غار عليه وخاف أن ينقطع عن طاعة الله وتسبيحه بالكلية فإنه كان من ضعف الحال بحيث لا يستطيع القيام للصلاة فلما انتهى وقت الابتلاء وحصل الفناء التام في مقام البلاء وألهمه الله الدعاء ليوصله إلى مرتبة البقاء ويتجلى له بالجمال واللقاء بعد الجلال والأذى كما أخبر عنه بقوله: ﴿**إذ نادى ربه**﴾ أي: دعاه ﴿**أني**﴾ أي: بأني ﴿**مسني**﴾ أصابني ﴿**الضر**﴾ [رنج وسختى] قالوا: الضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما ﴿**وأنت أرحم الراحمين**﴾ بين افتقاره إليه تعالى ولم يقل ارحمني لطفاً في السؤال وحفظاً للأدب في الخطاب فإن أكثر أسئلة الأنبياء في كشف البلاء عنهم إنما هي على سبيل التعريض.

وفي النفس حاجات وفيك فطانة   سكوتي بيان عندها وخطاب

وقال الحافظ:

أرباب حاجتيم وزبان سؤال نيست   در حضرت كريم تمناچه حاجتست

فإن قيل أليس صرح زكريا في الدعاء قال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]. قلنا: هذا سؤال العطاء لا يجمل به التعريض ودلك كشف البلاء فيجمل به التعريض لئلا يشتبه بالشكاية.

ـ ويحكى ـ أن عجوزاً تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت: يا أمير المؤمنين مشت

جرذان بيتي على العصى فقال لها: الطفت في السؤال لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حباً. فهذا القول من أيوب دعاء وتضرع وافتقار لا جزع وشكاية كما هو حال الاضطرار ولذا جاء جوابه بلفظ الاستجابة وقال تعالى في حقه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٤٤] وعلى تقدير تضمنه الشكاية فقد اشتكى من البلوى إليه تعالى لا إلى غيره وهو لا ينافي الصبر الجميل كما قال يعقوب إنما أشكو بثي وحزني إلى الله فصبر جميل والعارف الصادق إذا كان متحققاً في معرفته فشكواه حقيقة الانبساط ومناداته تحقيق المناجاة وأساه في بلاء حبيبه حقيقة المباهاة ولسان العشق لسان التضرع والحكاية لا لسان الجزع والشكاية كما أشار العاشق:

بشنوازنى چون حكايت ميكند از جداييها شكايت ميكند

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن كل ما كان لأيوب من الشكر والشكاية في تلك الحالة كان مع الله لا مع غيره وإلى أن بشرية أيوب كانت تتألم بالضر وهو يخبر عنها ولكن روحانيته المؤيدة بالتأييد الإلهي تنظر بنور الله وترى في البلاء كمال عناية المبتلي وعين مرحمته في تلك الصورة تربية لنفسه ليبلغها مقام الصبر ورتبة نعمة العبدية وهو يخبر عنها ويقول: ﴿**مسني الضر**﴾ من حيث البشرية بنور فضلك ﴿**وأنت أرحم الراحمين**﴾ عليّ بأنك تترحم عليّ بهذا البلاء ومس الضر وقوة الصبر عليه لتفني نفسي عن صفاتها وفي العجلة وتبقى بصفاتك: منها الصبر والصبر من صفات الله لا من صفات العبد كقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] والصبور هو الله تعالى.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿**فاستجبنا له**﴾ [پس اجابت كرديم دعاى ويرا] ﴿**فكشفنا**﴾ [بس ببرديم] ﴿**ما به من ضر**﴾ [آنچه ويرابود ازرنج يعنى اور اشفاداديم].

ـ روي ـ أنه قيل له يوم الجمعة عند السحر أو وقت زوال الشمس ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك أي: اضرب بها الأرض فركض فنبعت من تحتها عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دودة إلا سقطت ولا جراحة إلا برئت ثم ركض مرة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج وعاد صحيحاً ورجع إلى شبابه وجماله ثم كسي حلة. قال بعض الكبار: السر في ابتلائه تصفية وجوده بالرياضات الشاقة وأنواع المجاهدات البدنية لتكميل المقامات العلية فأمر بضرب أرض النفس ليظهر له ماء الحياة الحقيقية متجسداً في عالم المثال فيغتسل به فتزول من بدنه الأسقام الجسمانية ومن قلبه الأمراض الروحانية فلما جاهد وصفا استعداده وصار قابلاً للفيض الإلهي ظهر له من الحضرة الروحانية ماء الحياء فاغتسل به فزال من ظاهره وباطنه ما كان سبب الحجاب والبعد عن ذلك الجناب الإلهي انتهى. وأراد الله تعالى أن يجعل الدود عزيزاً بسبب صحبة أيوب فإن الدود أذل شيء وصحبة الشريف تعزه كما أعز حوت يونس فلما تناثرت منه صعدت إلى الشجرة وخرج من لعابها الإبريسم ليصير لباساً ببركة أيوب، قال الشيخ سعدي قدس سره:

كلي خوشبوى درحمام روزى رسيد ازدست محبوبى بدستم
بدو كفتم كه مشكى يا عبيرى كه ازبوى دلاويز تومستم

بكفتا من كل ناچيز بودم ولیكن مدتى باكل نشستم
كمال همنشين برمن اثر كرد وكرنه من همان خاكم كه هستم

قالوا: من كان مجاوراً للعزيز والشريف صار عزيزاً شريفاً ومن كان مجاوراً للذليل والوضيع كان ذليلاً ووضيعاً ألا ترى أن الصبا إذا مرت بالأزهار والأوراد تحمل الرائحة الطيبة وإذا عبرت على المستقذرات تحمل الرائحة الخبيثة وقس على هذا من كان مصاحباً لأوصاف النفس ومن كان مجاوراً لأخلاق الروح ﴿**وآتيناه أهله ومثلهم معهم**﴾ بأن ولد له ضعف ما كان.

ـ روي ـ أن الله تعالى رد إلى امرأته شبابها فولدت له ستة وعشرين ولداً كما هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ورد أمواله وكان رحيماً بالمساكين يكفل الأيتام والأرامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وفي الحديث «بينما أيوب يغتسل عرياناً خر عليه رجل جراد من ذهب فجعل أيوب يحثو في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال: بلى وعزتك ولكن لا غنى لي عن بركتك» وفيه دلالة على إباحة تكثير المال الحلال ﴿**رحمة من عندنا**﴾ أي: آتيناه ما ذكر لرحمتنا إياه بالرحمة الخاصة ﴿**وذكرى للعابدين**﴾ وتذكرة وعبرة لغيره من العابدين ليعلموا بذلك كمال قدرتنا ويصبروا كما صبر أيوب فيثابوا كما أثيب:

هركه اودرراه حق صابر بود بر مراد خويشتن قادر بود
صبر بايد تاشود يكسو حرج زانكه كفت الصبر مفتاح الفرج

واعلم أن بلاء أيوب من قبيل الامتحان ليبرز ما في ضميره فيظهر لخلقه درجته أين هو من ربه وبلاء يوسف من قبيل تعجيل العقوبة أي: على قوله: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]. وبلاء يحيى حيث ذبح من قبيل الكرامة إذ لم يهم بخطيئة قط.

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿**وإسماعيل**﴾ بمعنى مطيع الله ﴿**وإدريس**﴾ هو اخنوخ بن برد بن مهلاييل قال بعضهم سمي به لكثرة دراسته وقد سبق تحقيقه ﴿**وذا الكفل**﴾ بمعنى الكفالة والضمان لأن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أوحى الله إليه أني أريد قبض روحك فأعرض ملكك على بني إسرائيل فمن تكفل لك أنه يصلي بالليل لا يفتر ويصوم بالنهار لا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب فسلم ملكك إليه ففعل ذلك فقال شاب: أنا أتكفل لك بهذا فتكفل ووفى به فشكره الله ونبأه فسمي ذا الكفل والمعنى واذكرهم ﴿**كل**﴾ أي: كل واحد من هؤلاء ﴿**من الصابرين**﴾ أي: الكاملين في الصبر على مشاق الطاعات واحتمال البليات فإن إسماعيل قد صبر عند ذبحه وقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الصافات: ١٠٢] الآية وصبر على المقام ببلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا بناء فلا جرم أكرمه الله وأخرج من صلبه خاتم النبيين عليه وعليهم السلام وإدريس قد صبر على دراسته وذو الكفل قد صبر على صيام النهار وقيام الليل وأذى الناس في الحكومة بينهم ولا يغضب. وفيه إشارة إلى أن كل من صبر على طاعة الله وعن معصيته أو على ما أصابه من مصيبة في المال والأهل والنفس فإنه بقدر صبره يستوجب نعمة رتبة نعم العبدية ويصلح لإدخاله في رحمته المخصوصة به كما قال.

﴿**وأدخلناهم في رحمتنا**﴾ الخاصة من النبوة وغيرها ﴿**إنهم من الصالحين**﴾ أي: الكاملين في الصلاح وهم الأنبياء فإن صلاحهم معصوم من الفساد [وبعض كبار ميفرما يدكه مؤمنان كناه كنند وباز توبه كنند وچون توبه بشرط باشد خداوند قبول كند واوليا كناه نكنند اما امكان داردكه بكنند ازجهت آنكه جائز الخطاائد]. قيل لأبي يزيد قدس سره أيعصي العارف؟ فقال وكان أمر الله قدراً مقدوراً ثم يرد إلى مقامه بعد ذلك إن كان من أهل العناية والوصول فتكون توبته من ذلك على قدر مقامه فيرجى أن يكون في قوة تلك التوبة وعلو منصبها أن يجبر وقت الغفلة حتى يكون كأنه ما خسر شيئاً وما انتقل كتوبة ماعز الذي قال فيها رسول الله ﷺ: «لو قسمت على أهل السموات والأرض لوسعتهم» [وانبيا كناه نكردند وامكان نداشت كه بكنندازجهت آنكه معصوم بودند].

واعلم أن للصلاح بداية وهي الأخذ بالشرائع والأحكام ورفض المنهي والحرام ونهاية وهي التوجه إلى رب العباد وعدم الالتفات إلى عالم الكون والفساد وهي في الحقيقة مقام الصديقية وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحاً وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده فإن من العباد من اختار الله له في الأزل البلوغ بلا كسب ولا تعمل فوقع مفطوراً على النظر إليه بلا اجتهاد بدفع غيره عن مقتضى قصده ومنهم من شغلته الأغيار عن الله زماناً فلم يزل في علاج وجودها بتوفيق الله حتى أفناها ولم يبق له سواه سبحانه. ثم الصبر من مراتب الصلاح. وعن يزيد الرقاشي رحمه الله قال: إذا دخل الرجل القبر قامت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبر يظله والصبر يحاجه يقول: دونكم صاحبكم فإن حججتم وإلا فأنا من ورائه يعني إن استطعتم أن تدفعوا عنه العذاب وإلا فأنا أكفيكم ذلك وأدفع عنه العذاب فهذا الخبر دليل على أن الصبر أفضل الأعمال والرضى أجل الصفات ولا يكون الصبر إلا على بلاء ومشقة فالترقي إنما هو بالصبر لا بنفس البلاء ولو كان البلاء بما هو بلاء يرفع درجات من قام به عند الله وينال به السعادة الأبدية لنالها أهل البلاء من المشركين والكفار بل هو في حقهم تعجيل لعذابهم وفي حق المؤمنين الصابرين تكميل لدرجاتهم وحط من خطيآتهم وإكسير لنحاس وجودهم، وفي «المثنوي»:

صد هزاران كيميا حق آفريد كيميايى همچو صبر آدم نديد
چون بمانى بسته دربند حرج صبر كن الصبر مفتاح الفرج
شكر كويم دوست را درخير وشر زانكه هست اندر قضا ازبدبتر
چونكه قسام اوست كفر آمد كله صبر بايد صبر مفتاح الصله
غير حق جمله عدو انداوست دوست باعدو ازدوست شكوت كى نكوست
تادهد دوغم نخواهم انكبين زانكه هر نعمت غمى دارد قرين

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿**وذا النون**﴾ أي: واذكر صاحب النون أي: الحوت والمراد يونس بن متى بفتح الميم وتشديد التاء المثناة فوق مفتوحة. قيل: هو اسم أم يونس كذا في «جامع الأصول». قال عطاء: سألت كعباً عن متى أهو اسم أبيه أم اسم أمه فقال: اسم أبيه وأمه بدورة وهي من ولد

هارون وسمي يونس بذي النون لأنه ابتلعه الحوت. قال الإمام السهيلي أضافه هنا إلى النون وقد قال في سورة القلم: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] وذلك أنه حين ذكره في موضع الثناء عليه قال ذو النون فإن الإضافة بذو أشرف من الإضافة بصاحب لأن قولك ذو يضاف إلى التابع وصاحب إلى المتبوع تقول أبو هريرة رضي الله عنه صاحب النبي عليه السلام ولا تقول النبي صاحب أبي هريرة إلا على جهة وأما ذو فإنك تقول ذو المال وذو العرش فتجد الاسم للاسم متبوعاً غير تابع ولفظ النون أشرف من الحوت لوجوده في حروف التهجي وفي أوائل بعض السور نحو ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القلم: ١] ﴿إذ ذهب﴾ أي: اذكر خبره وقت ذهابه حال كونه ﴿مغاضباً﴾ مراغماً لقومه أهل نينوى وهي قرية بالموصل لما مر من طول دعوته إياهم وشدة شكيمتهم وتمادي إصرارهم مهاجراً عنهم قبل أن يؤمر وبناء المفاعلة للدلالة على كمال غضبه والمبالغة فيه وقيل وعدهم بنزول العذاب لأجل معلوم وفارقهم ثم بلغه بعد مضي الأجل أنه تعالى لم يعذبهم ولم يعلم سببه وهو أنهم حين رأوا أمارات العذاب تابوا وأخلصوا في الدعاء فظن أنه كذبهم وغضب من اندفاع العذاب عنهم وذهب غضبان وهذا القول أنسب بتقرير الشيخ نجم الدين في «تأويلاته» وهو من كبار المحققين فكلامه راجح عند أهل اليقين ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أي: لن نضيق عليه الأمر يقال قدر على عياله قدراً ضيق وقدرت عليه الشيء ضيقته كأنما جعلته بقدر خلاف ما وصف بغير حساب نزل حاله منزلة من يظن ذلك.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الإنسان إذا استولى عليه الغضب يلتبس عليه عقله ويحتجب عنه نور إيمانه حتى يظن بالله ما لا يليق بجلاله وعظمته ولو كان نبياً وإن من كمال قوة نبينا عليه السلام أنه كان يغضب ولا يقول في الرضى والغضب إلا الحق. وفيه إشارة أخرى وهي أن الله تعالى من كمال فضله وكرمه على عباده وإن كانوا عصاة مستوجبين للعذاب أن يعاتب أنبياءه لهم ولا يرضى عنهم اشتهاء نزول عذاب الله بقومهم وكراهية دفع العذاب عنهم بل يرضى لهم أن يستغفروا لهم ويستعفوه لدفع العذاب عنهم كما قال لنبينا عليه السلام: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال في حق الكفار وكان النبي عليه السلام يلعن بعضهم ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨] انتهى.

ـ روي ـ أنه حين خرج مغاضباً أتى بحر الروم فوجد قوماً هيأوا السفينة فركب معهم فلما توسطت السفينة البحر وقفت ولم تجر بحال فقال الملاحون هنا رجل عاص أو عبد آبق لأن السفينة لا تفعل هذا إلا وفيها عاص أو آبق ومن عادتنا إذا ابتلينا بهذا البلاء أن نقترع فمن وقعت عليه القرعة ألقيناه في البحر فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة فيها كلها على يونس فقال: أنا الرجل العاصي والعبد الآبق فألقى نفسه في البحر فجاء حوت فابتلعه فأوحى الله تعالى إلى الحوت أن لا تؤذي منه شعرة فإني جعلت بطنك سجناً له ولم أجعله طعاماً ﴿فنادى﴾ الفاء فصيحة أي: فكان ما كان من القرعة والتقام الحوت فنادى ﴿في الظلمات﴾ أي: في الظلمة الشديدة المتكاثفة أو في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل. وقال الشيخ السمرقندي في تفسيره وعندي والله أعلم أن تلك الظلمات كانت من الجهات الست كما قال عليه السلام: «ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير في الظلمات» ﴿أن﴾ أي: بأنه ﴿لا إله إلا أنت﴾.

قال في «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الروح الشريف إذا ألقي في بحر الدنيا والتقمه حوت النفس الأمارة بالسوء وابتلع حوت النفس حوت القالب يكون من النوادر سلامة الروح من آفات النفس بحيث لا تتصرف فيه ولا تغيره عن صفاته بوحي الحق إليها بأن لا تؤذيه فإني لم أجعله طعمه لك وإنما جعلتك حرزاً وسجناً له كما كان حال يونس وسلامته في بطن الحوت من النوادر ومن سلامة الروح أن يناديه في ظلمة النفس وظلمة القالب وظلمة الدنيا أن لا إله إلا أنت أي: لا إله يحفظني من هذه الظلمات ويسلمني من آفاتها وفتنتها ويلهمني أن أذكره في هذا الموطن على هذه الحالة إلا أنت ﴿**سبحانك**﴾ أنزهك تنزيهاً لائقاً بك من أن يعجزك شيء وأن يكون ابتلائي هذا بغير سبب من جهتي كما قال في «المثنوي»:

هرچه برتو آيد ازظلمات غم آن زبى باكى وكستاخيست هم

وفي «التأويلات النجمية»: نزهه عن الظلم عليه وإن كان فعله بخلق فيه كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦] ونسب الظلم إلى نفسه اعترافاً واستحقاقاً ورعاية للأدب فقال: ﴿**إني كنت من الظالمين**﴾ لأنفسهم بتعريضها للهلاك حيث بادرت إلى المهاجرة، وفي «المثنوي»:

چون بكويى جاهلم تعليم ده اينچنين انصاف از ناموس به
از پدر آموز اى روشن جبين ربنا كفت وظلمنا پيش ازين
نى بهانه كردونى تزوير ساخت نى لواى مكر وحيلت برفراخت

وفي «عرائس البقلي» قدس سره أن الله أراد ليونس معراجاً ومشاهدة في بطن الحوت فتعلل بالأمر والنهي والمقصود منه القربة والمشاهدة فأراه الحق في طباق الثرى في ظلمات بطن الحوت ما رأى محمد عليه السلام فوق العرش فلما رأى الحق تحير في حاله فقال: ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾ نزهتك عما ظننت فيك فأنت بخلاف الظنون وأوهام الحدثان ﴿**إني كنت من الظالمين**﴾ في وصف جلالك إذ وصفي لا يليق بعزة وحدانيتك فوقع هذا القول منه موقع قول سيد المرسلين حيث قال: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» ولذلك قال عليه السلام: «لا تفضلوني على أخي يونس» فلما رأى ما رأى استطاب الموضع فظن أن لا يدرك ما أدرك في الدنيا بعد فغاب الحق عنه فاهتم ودعا بالنجاة فنجاه الله من وحشة بطن الحوت بقوله:

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿**فاستجبنا له**﴾ أي: دعاءه الذي في ضمن الاعتراف بالذنب على ألطف وجه وآكده. وفيه إشارة إلى أنه تعالى كما أجاب يونس ونجاه من ظلمات عالم الأجسام كذلك ينجي روح المؤمن المؤيد منه من حجب ظلمات النفس والقالب والدنيا ليذكره بالوحدانية في ظلمات عالم الأجساد كما كان يذكره في أنوار عالم الأرواح ويكون متصرفاً في عالم الغيب والشهادة بإذنه خلافة عنه كما في «التأويلات النجمية» وفي الحديث «ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له». وعن الحسن ما نجاه والله إلا إقراره على نفسه بالظلم. وفي «صحيح المستدرك» قال عليه السلام: «اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى لا إله إلا أنت» الخ ﴿**ونجيناه من الغم**﴾ من غم الالتقام والبحر بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات

أو ثلاثة أيام أو سبعة أو أربعين والذهاب به إلى البحار القاصية وتخوم الأرض السابعة. وقال بعضهم: كان رأس الحوت فوق الماء وفمه مفتوحاً. وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحماً ولا تكسر له عظماً فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه في البحر فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حساً فقال في نفسه: ما هذا فأوحى الله إليه أن هذا تسبيح دواب البحر فسبح هو في بطنه فسمع الملائكة تسبيحه وقالوا: يا رب نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة. وفي رواية صوتاً معروفاً من مكان مجهول فقال: ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال: نعم فشفعوا عند ذلك فأمر الحوت فقذفه في الساحل ﴿**وكذلك**﴾ أي: مثل ذلك الإنجاء لا إنجاء أدنى منه ﴿**ننجي المؤمنين**﴾ من غموم دعوا الله فيها بالإخلاص. وعن جعفر بن محمد قال: عجبت ممن يبتلى بأربع كيف يغفل عن أربع عجبت لمن يبتلى بالهم كيف لا يقول: ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾ لأن الله تعالى يقول: ﴿**فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين**﴾ وعجبت لمن يخاف شيئاً من السوء كيف لا يقول: «حسبي الله ونعم الوكيل» لأن الله تعالى يقول: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ [آل عمران: ١٧٤] وعجبت لمن يخاف مكر الناس كيف لا يقول ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] لأن الله تعالى يقول: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ [غافر: ٤٥] وعجبت لمن يرغب في الجنة كيف لا يقول: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [الكهف: ٣٩] لأن الله تعالى يقول: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٤٠]. قال قتادة: ذكر لنا رجل على عهد رسول الله عليه السلام قال: اللهم ما كنت تعاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فمرض الرجل مرضاً شديداً فأضنى حتى صار كأنه هامة فأخبر به رسول الله فأتاه فرفع رأسه وليس به حراك فقيل: يا رسول الله إنه كان يدعو بكذا وكذا فقال عليه السلام: «يا ابن آدم إنك لن تستطيع أن تقوم بعقوبة الله تعالى ولكن قل: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» فدعا بها فبرىء. وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أروّع في منامي قال: قل «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين أن يحضروني»، وفي «المثنوي»:

تا فرود آيد بلابى دافعى — چون نباشد از تضرع شافعى
جز خضوع وبندكى واضطرار — اندرين حضرت ندارد اعتبار
رور را بكذار وزارى را بكير — رحم سوى زارى آيد اى فقير
زارىء مضطركه تشنه معنويست — زارىء سردى دروغ آن غويست
كريه اخوان يوسف حيلتست — كه درونشان برزرشك وعلتست

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾

﴿**وزكريا**﴾ واذكر خبر زكريا بن اذن بن مانان من أنبياء بني إسرائيل ﴿**إذ نادى ربه**﴾ وقال: ﴿**رب**﴾ [اى پرورد كار من] ﴿**لا تذرني فردا**﴾ مثل هذه العبارة من العبد للسيد تضرع

ودعاء لا نهى أي: هب لي ولداً ولا تدعني وحيداً بلا ولد يرثني لما بلغ عمر زكريا عليه السلام مائة سنة وبلغ عمر زوجته تسعاً وتسعين ولم يرزق لهما ولد أحب أن يرزقه الله من يؤنسه ويقويه على أمر دينه ودنياه ويكون قائماً مقامه بعد موته فدعا ثم رد الأمر إلى مولاه مستسلماً ومنقاداً لمشيئته فقال: ﴿**وأنت خير الوارثين**﴾ خير من يبقى بعد من يموت فحسبي أنت إن لم ترزقني وارثاً فهو ثناء على الله تعالى بأنه الباقي بعد فناء الخلق وله ميراث السموات والأرض.

﴿**فاستجبنا له**﴾ أي: دعاءه في حق الولد كما قال: ﴿**ووهبنا له يحيى**﴾ لا في حق الوراثة إذ المشهور أن يحيى قتل قبل موت أبيه وهذا لا يقدح في شأن زكريا كما لا يقدح عدم استجابة دعاء إبراهيم في حق أبيه في شأنه فإن الأنبياء عليهم السلام وإن كانوا مستجابي الدعوة لكن أثر بعض الدعوات لا يظهر في هذا الموطن للحكمة الإلَهية ﴿**وأصلحنا له زوجه**﴾ ايشاع بنت عمران او بنت فاقود أي: جعلناها ولوداً بعد أن كانت عقيماً فإنها لم تلد قط بعد أن بلغت تسعاً وتسعين سنة ﴿**إنهم كانوا يسارعون في الخيرات**﴾ الضمير عائد إلى زكريا وزوجه ويحيى أو الأنبياء المذكورين فيكون تعليلاً لما فصل من فنون إحسانه تعالى المتعلقة بهم مثل إيتاء موسى وهارون الفرقان وتبريد النار وإطفائها لإبراهيم وإنجاء لوط مما نزل بقومه وإنجاء نوح ومن كان معه في السفينة من أذى القوم وكرب الطوفان وغير ذلك مما تفضل به على الأنبياء السابقين أي: أنهم كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخيرات وهو السر في إيثار كلمة في على كلمة إلى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن أصل الخيرات متوجهين إليها كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣] الآية. قال الراغب الخير ما يرغب فيه الكل بكل حال وهو الخير المطلق والشر ضده ﴿**ويدعوننا**﴾ حال كونهم ﴿**رغباً**﴾ راغبين في اللطف والجمال ﴿**ورهباً**﴾ خائفين من القهر والجلال أو راغبين فينا وراهبين مما سوانا والرغبة السعة في الإرادة يقال رغب الشيء اتسع فإذا قيل رغب فيه وإليه يقتضي الحرص عليه فإذا قيل: رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه والرغبة العطاء الكثير لكونه مرغوباً فيه فيكون مشتقاً من الأصل فإن أصل الرغبة السعة في الشيء ومنه ليلة الرغائب أي: العطايا الجزيلة قال: يعطي الرغائب من يشاء ويمنع والرهبة مخافة مع تحرك واضطراب ﴿**وكانوا لنا خاشعين**﴾ عابدين في تواضع وضراعة وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح ولكن شأن الأنبياء أعلى من أن يكون حالهم منحصراً في الظاهر فلهم خشوع كامل في القلب والقالب جميعاً وأكل العبد خشناً واللبس خشناً وطأطأة الرأس ونحوها من غير أن يكون في قلبه الإخلاص والخوف من الله تعالى صفة المرائي والمتصنع.

ورآوازه خواهى در اقليم فاش ... برون حله كن كردرون حشو باش
بنزديك من شب روراه زن ... به از فاسق پارسا پيرهن
چه قدر آورد بنده خورديش ... كه زير قبا دارد اندام پيش

والمعنى أنهم نالوا من الله ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة فليفعل من أراد الإجابة إلى مطلوبه مثل ما فعلوا وليتخلق بتلك الأخلاق.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿والتي أحصنت فرجها﴾ المراد بها مريم بنت عمران. والحصن في الأصل كل موضع حصين أي: محكم لا يوصل إلى جوفه وأحصنه جعله في حصن وحرز ثم تجوز في كل تحرز وامرأة حصان كسحاب عفيفة أو متزوجة والفرج والفرجة الشق بين الشيئين كفرجة الحائط والفرج ما بين الرجلين وكنى به عن السوء وكثر حتى صار كالصريح فيه والفرج انكشاف الغم وفراريج الدجاج لانفراج البيض عنها. أي: اذكر خبر مريم التي حفظت سوأتها حفظاً كلياً من الحلال والحرام [يعني خودرا پاكيزه داشت ودست هيچكس بدا من عفت او نرسيد]. وقال الإمام السهيلي رحمه الله يريد فرج القميص أي: لم يعلق بثوبها ريبة أي: أنها طاهرة الأثواب وفروج القميص أربعة: الكمان، والأعلى، والأسفل، فلا يذهب وهمك إلى غير هذا فإنه من لطيف الكناية انتهى **﴿فنفخنا فيها﴾** أي: أحيينا عيسى كائناً في جوفها فقوله فيها حال من المفعول المحذوف **﴿من روحنا﴾** من الروح الذي هو من أمرنا ففيه تشبيه لايراد الروح في البدن بنفخة النافخ في الشيء فيكون نفخنا استعارة تبعية. وقال السهيلي: النفخ من روح القدس بأمر القدوس فأضف القدس إلى القدوس ونزه المقدسة عن الظن الكاذب والحدس انتهى وقد سبقت قصة النفخ في سورة مريم **﴿وجعلناها وابنها﴾** أي: حالهما **﴿آية﴾** عظيمة **﴿للعالمين﴾** وعلامة دالة على القدرة الكاملة لأهل زمانهما ولمن بعدهما فإن من تأمل في ظهور ولد من بتول عذراء من غير فحل تحقق كمال قدرته تعالى ولم يقل آيتين لأنها قصة واحدة وهي ولادتها له من غير ذكر ولكل واحد منهما آيات مستقلة متكاثرة كما أشير إلى بعض منها في القرآن وإلى بعض آخر في التفاسير وكتب القصص، وفي «المثنوي»:

صومعه عيسيست خوان اهل دل ... هان هان اى مبتلا اين درمهل
جمع كشتندى زهر اطراف خلق ... از ضرير وشل ولنك واهل دلق
بر درآن صومعه عيسى صباح ... تابدم اوشان رهاند ازجناح
او چو كشتى فارغ از اوراد خويش ... چاشتكه بيرون شدى آن خوب كيش
جوق جوقى مبتلا ديدى نزار ... شسته بردر براميد وانتظار
كفتى اى أصحاب آفت ازخدا ... حاجت ومقصود جمله شد روا
بى توقف جمله شادان درامان ... ازدعاى او شدندى پادوان
ازدر دل واهل دل آب حيات ... چند نوشيدى وواشد چشمهات
آزمودى توبسى آفات خويش ... يافتى صحت ازين شاهان كيش
باز اين دررا رها كردى زحرص ... كرد هردكان همى كردى زحرص
بردر آن منعمان چرب ديك ... ميدوى بهر ثريد مرده ريك
چربش اينجا دانكه جان فربه شود ... كار نا اميد اينجا به شود

ومن عجائب عيسى عليه السلام أن أمه ذهبت به إلى صباغ وقالت له: خذ هذا الغلام وعلمه شيئاً من صنعتك فأخذه منها وقال: ما اسمك يا غلام فقال: عيسى ابن مريم فقال له: يا عيسى خذ هذه الجرة واملأ هذه النقائر من هذا النهر ففعل فأعطاه الصباغ الثياب وقال له: ضع كل لون مع ثيابه في نقير ثم تركه وانصرف إلى منزله فأخذ عيسى الثياب جميعاً ووضعها

في نقير واحد ووضع عليها الأصباغ جملة واحدة وانصرف إلى أمه ثم عاد من الغد وجاء الصباغ فرأى الثياب والأصباغ كلها في نقير واحد فغضب وقال: أتلفتني وأتلفت ثياب الناس فقال له عيسى ما دينك؟ قال: يهودي فقال له: قل لا إله إلا الله وأني عيسى روح الله ثم أدخل يدك في هذا النقير وأخرج كل ثوب على اللون الذي يريده صاحبه فهداه الله تعالى ففعل فكان الأمر كما قال عيسى:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿إن هذه﴾ أي: ملة التوحيد والإسلام أشير إليها بهذه تنبيهاً على كمال ظهور أمرها في الصحة والسداد ﴿أمتكم﴾ أيها الناس أي: ملتكم التي يجب أن تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلو بشيء منها ﴿أمة واحدة﴾ نصب على الحالية من أمتكم أي: غير مختلفة فيما بين الأنبياء فإنهم متفقون في الأصول وإن كانوا مختلفين في الفروع بحسب الأمم والأعصار. قال في «القاموس»: الأمة جماعة أرسل إليهم رسول انتهى فأصلها القوم الذي يجتمعون على دين واحد ثم اتسع فيها فأطلقت على ما اجتمعوا عليه من الدين والملة واشتقاقها من أم بمعنى قصد فالقوم هم الجماعة القاصدة وما اجتمعوا عليه هو الملة المقصودة ﴿وأنا ربكم﴾ لا إله لكم غيري ﴿فاعبدون﴾. خاصة لا غير ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة. القطع فصل الشيء مدركاً بالبصر كالأجسام أو بالبصيرة كالأشياء المعقولة والتفعل هنا للتعدية نحو علمته الفقه فتعلم الفقه والمعنى جعل الناس أمر الدين قطعاً واختلفوا فيه فصاروا فرقاً كأنه قيل ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي أجمعت عليه كافة الأنبياء حيث جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً فأصاب كل جماعة قطعة من الدين فصاروا بتقطيع دينهم كأنهم قطع شتى يلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض كما قال الكاشفي: [وببريدند امم ماضيه كاردين خودرا درميان خود يعنى فرقه فرقه شدند چون يهود ونصارى وهريك تكفير ديكرى كرند] وقد ثبت أن أمة إبراهيم عليه السلام صاروا بعده سبعين فرقة وأمة موسى عليه السلام إحدى وسبعين وأمة عيسى عليه السلام ثنتين وسبعين وأمة محمد ﷺ ثلاثاً وسبعين كلهم في النار إلا واحدة وهي التي لا يشوبون ما عين الله ورسوله بشيء من الهوى ﴿كل﴾ أي: كل واحدة من الفرق المتقطعة ﴿إلينا﴾ لا إلى غيرنا ﴿راجعون﴾ بالبعث فنجازيهم حينئذٍ بحسب أعمالهم.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الخلق تفرقوا في أمرهم فمنهم من طلب الدنيا، ومنهم من طلب الآخرة، ومنهم من طلب الله تعالى ثم قال: ﴿كل إلينا راجعون﴾ فأما طالب الدنيا فراجع إلى صورة قهرنا وهي جهنم وأما طالب الآخرة فراجع إلى صورة لطفنا وهي الجنة وأما طالبنا فراجع إلى وحدانيتنا ثم فصل الجزاء بقوله:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿فمن﴾ [پس هركه] ﴿يعمل من الصالحات﴾ أي: بعض الصالحات ﴿وهو﴾ أي: والحال أنه ﴿مؤمن﴾ بالله ورسله ﴿فلا كفران لسعيه﴾ أي: لا حرمان لثواب عمله استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لإعطائه يعني شبه رد العمل ومنع الثواب بالكفران الذي هو ستر النعمة وإنكارها وشبه قبول العمل وإعطاء الثواب بمقابلته بشكر المنعم عليه للنعم فأطلق عليه الشكر كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤] والسعي في الأصل المشي السريع وهو دون العدو ويستعمل للجد في الأمر خيراً كان أو شراً وأكثر ما يستعمل في الأفعال المحمودة ﴿وإنا له﴾ أي: لسعيه ﴿كاتبون﴾ أي: مثبتون في صحائف أعمالهم لا نغادر من ذلك شيئاً [مزدكار نيكوان ضائع نباشد نزد حق] لا يضيع الله في الدارين أجر المحسنين.

﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ حرام خبر لقوله ﴿أنهم لا يرجعون﴾ والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله كل إلينا راجعون والحرمان مستعار لممتنع الوجود بجامع أن كل واحد منهما غير مرجو الحصول. والقرية اسم للمصر الجامع كما في «القاموس» واسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس كما في «المفردات» فعلى هذا تطلق على ما يعبر عنه بالفارسية [سبهر وكوى] ومعنى التحقيق في أنّ معتبر في النفي المستفاد من حرام على أن المعنى وممتنع البتة على أهل القرية المهلكة عدم رجوعهم إلينا للجزاء لا في المنفي على معنى أن عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله كل إلينا راجعون لأنهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى قلوب أهل الأهواء والبدع المهلكة باعتقاد السوء ومخالفات الشرع أنهم لا يتوبون إلى الله ولا يرجعون إلى الحق يدل على هذا التأويل قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣].

﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾ حتى هنا ليس بحرف جر ولا حرف عطف بل حرف يبتدأ بعدها الكلام غاية لما يدل عليه ما قبلها كأنه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى إذا قامت القيامة يرجعون إلينا ويقولون ﴿يا ويلنا﴾ الخ وإذا شرطية ويأجوج ومأجوج قبيلتان من الإنس يقال الناس عشرة أجزاء: تسعة منها يأجوج ومأجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وقد سبق قصة يأجوج ومأجوج وبناء السد عليهم وفتحه في آخر الزمان في سورة الكهف ﴿وهم﴾ أي: والحال أن يأجوج ومأجوج ﴿من كل حدب﴾ مرتفع من الأرض وتل. قال الراغب: يجوز أن يكون الأصل في الحدب حدب الظهر وهو خروجه ودخول الصدر والبطن ثم شبه به ما ارتفع من الأرض فسمى حدباً ومنه محدب الفلك ﴿ينسلون﴾ ينزلون مسرعين وأصله مقاربة الخطو مع الإسراع. وفي «بحر العلوم» من نسل الذئب إذا أسرع في مشيه.

ـ روي ـ أنهم يسيرون في الأرض ويقبلون على الناس من كل موضع مرتفع. قال الكاشفي: [همه عالم را فرا كيرند وآبهاى درياها تمامى بياشامند وازخشك وتر هرچه يابند بخورند] ﴿واقترب الوعد الحق﴾ عطف على فتحت والمراد ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء ﴿فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ جواب الشرط وإذا للمفاجأة والضمير للقصة وشاخصة خبر مقدم لأبصار والجملة خبر ضمير القصة مفسرة له يقال شخص بصره فهو شاخص إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف وبصره رفعه وشخص شخوصاً ارتفع والمعنى

بالفارسية [پس آنجا قصه آنست كه خيره وبازمانده است ازهول رستخيز ديدهاى كفار] وفي الآية دلالة على أن قيام الساعة لا يتأخر عن خروج يأجوج ومأجوج كما روي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: لو أن رجلاً اقتنى فلواً بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة والفلو المهر أي: ولد الفرس. فإن قيل فتح السد واقتراب الوعد الحق يحصل في آخر أيام الدنيا والجزاء وشخوص الأبصار إنما يحصل يوم القيامة والشرط والجزاء لا بد وأن يكونا متقاربين. فالجواب أن التفاوت القليل يجري مجرى العدم ﴿**يا ويلنا**﴾ [واى برما] وهو على تقدير قول وقع حالاً من الموصول أي: يقولون يا ويلنا تعال فهذا أوان حضورك ﴿**قد كنا في غفلة**﴾ تامة في الدنيا والغفلة سهو يعتري من قلة التحفظ والتيقظ ﴿**من هذا**﴾ أي: من البعث والرجوع إليه للجزاء ولم نعلم أنه حق ﴿**بل كنا ظالمين**﴾ إضراب عما قبله من وصف أنفسهم بالغفلة أي: لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الآيات والنذر مكذبين بها أو ظالمين لأنفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب فليتفكر العاقل في هذا البيان والتذكار فقد نبه الله وقطع الأعذار وفي الحديث: «يقول الله يا معشر الجن والإنس إني قد نصحت لكم فإنما هي أعمالكم في صحفكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». وعن بعض الحكماء أنه نظر إلى أناس يترحمون على ميت خلف جنازته فقال: لو تترحمون على أنفسكم لكان خيراً لكم أما إنه قد مات ونجا من ثلاثة أهوال: أولها رؤية ملك الموت، والثاني مرارة الموت، والثالث خوف الخاتمة، قال الشيخ سعدي:

خبر دارى أي: استخواني قفس ... كه جان تو مرغيست نامش نفس
چو مرغ از قفس رفت بكسست قيد ... دكرره نكردد بسعى توصيد
سر ازجيب غفلت بر آور كنون ... كه فردا نماند بخجلت نكون
اكر مرد مسكين زنان داشتى ... بفرياد وزارى فغان داشتى
كه اى زنده چون هست امكان كفت ... لب از ذكر چون مرده برهم مخفت
جو مارا بغفلت بشد روزكار ... توبارى دمى چند فرصت شمار

﴿**إنكم**﴾ يا أهل مكة ﴿**وما تعبدون من دون الله**﴾ أي: والأصنام التي تعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى وذلك بشهادة ما فإنها لما لا يعقل فخرج عزير وعيسى والملائكة ﴿**حصب جهنم**﴾ بفتح المهملتين اسم لما يحصب أي: يرمي في النار فتهيج به من حصبه إذا رماه بالحصباء ولا يقال له حصب إلا وهو في النار وأما قبل ذلك فيقال له حطب وشجر وخشب ونحو ذلك والمعنى تحصبون في جهنم وترمون فتكونون وقودها. وهو بالفارسية [آتش انكيز] ﴿**أنتم لها واردون**﴾ داخلون على طريق الخلود والخطاب لهم ولما يعبدون تغليباً [درتبيان كفته كه حكمت ايراد بتان بدوزخ زيادت تعذيب بت پرستانست چه بدانها آتش افروخته كردد واحتراق ايشان بيفزايد].

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿**لو كان هؤلاء**﴾ الأصنام ﴿**آلهة**﴾ على الحقيقة كما يزعمون ﴿**ما وردوها**﴾ ما دخلوها وحيث تبين ورودهم إياها تعين امتناع كونهم آلهة بالضرورة ﴿**وكل**﴾ من العابدين والمعبودين

﴿**فيها خالدون**﴾ لا خلاص لهم منها ﴿**لهم فيها زفير**﴾ الزفير ترديد النفس حتى تنتفخ الضلوع منه أي: أنين وتنفس شديد وهو مع كونه من أفعال العبدة أضيف إلى الكل للتغليب ﴿**وهم فيها لا يسمعون**﴾ أي: لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب. وعن ابن مسعود رضي الله عنه يجعلون في توابيت من نار ثم تجعل تلك التوابيت في توابيت أخرى ثم تلك في أخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره ثم بين أحوال أضداد هؤلاء فقال:

﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى**﴾ الخصلة الحسنى التي هي أحسن الخصال وهي السعادة وهو كافة المؤمنين الموصوفين بالإيمان والأعمال الصالحة أو سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة ﴿**أولئك**﴾ المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل ﴿**عنها**﴾ أي: عن جهنم ﴿**مبعدون**﴾ [دور كرده شد كانند] لأنهم في الجنة وشتان بينها وبين النار لأن الجنة في أعلى عليين والنار في أسفل السافلين [صاحب بحر فرموده كه سبق عنايت ازليه دربدايت موجب ظهور ولايت است درنهايت هرتخم كه درازل بكشتند نهان درمزرعه ابد برويد بعيان]. قال بعض الكبار ظاهر حسن العناية السابقة لأهل الاصطفاء أربعة أشياء: الانفراد من الكونين، والرضى بلقاء الله عن الدارين، وإمضاء العيش مع الله بالحرمة والأدب، وظهور أنوار قدرة الله منهم بالفراسات الصادقة والكرامات الظاهرة. وباطن حسن العناية السابقة من الله في الأزل لهم أربعة أيضاً: المواجيد الساطعة، وانفتاح العلوم الغيبية، والمكاشفات القائمة، والمعارف الكاملة وفي كل موضع ظهرت هذه الأشياء بالظاهر والباطن صار صاحبها مشهوراً في الآفاق بسمات الصديقين وعلامات المقربين وخلافة سيد المرسلين. وقال بعضهم الحسنى العناية والاختيار والهداية والعطاء والتوفيق فبالعناية وقعت الكفاية وبالاختيار وقعت الرعاية وبالهداية وقعت الولاية وبالعطاء وقعت الحكمة وبالتوفيق وقعت الاستقامة، قال الشيخ سعدي قدس سره:

نخست او ارادت بدل بر نهاد ... پسين بنده بر آستان سرنهاد
چه اندريشى ازخودكه فعلم نكوست ... ازان درنكه كن كه توفيق اوست
برد بوستان بان بايوان شاه ... بتحفه ثمر هم زبستان شاه

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿**لا يسمعون حسيسها**﴾ الحسيس صوت يحس به أي: لا يسمعون صوتها سمعاً ضعيفاً كما هو المعهود عند كون المصوت بعيداً وإن كان صوته في غاية الشدة لا أنهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط. قال الصادق: كيف يسمعون حسيسها والنار تخمد لمطالعتهم وتتلاشى برؤيتهم وفي الحديث «تقول النار للمؤمن يوم القيامة جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي»، وفي المثنوي:

ز آتش مؤمن ازين رو اى صفى ... ميشود دوزخ ضعيف ومنطفى
كويدش بكذر سبك اى محتشم ... ورنه ز آتشهاى تومرد آتشم

وفي «التأويلات النجمية» ومن آثار سبق العناية الأزلية أن لا يسمعون حسيس جهنم القهر

وحسيسها مقالات أهل الأهواء والبدع وأدلة الفلاسفة وبراهينهم بالعقول المشوبة بالوهم والخيال وظلمة الطبيعة ﴿**وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون**﴾ دائمون في غاية التنعم والاشتهاء والشهوة طلب النفس اللذة وتقديم الظرف للقصر والاهتمام وهو بيان لفوزهم بالمطالب إثر بيان خلاصهم من المهالك. قال ابن عطاء للقلوب شهوة وللأرواح شهوة وللنفوس شهوة وقد يجمع الله لهم في الجنة جميع ذلك فشهوة الأرواح القرب وشهوة القلوب المشاهدة والرؤية وشهوة النفوس الالتذاذ بالراحة والأكل والشرب والزينة.

﴿**لا يحزنهم الفزع الأكبر**﴾ بيان لنجاتهم من الافزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لأنهم إذا لم يحزنهم أكبر الافزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة والفزع انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف وهو من جنس الجزع ولا يقال فزعت من الله كما يقال خفت منه. قال الراغب الفزع الأكبر هو الفزع من دخول النار. وقال بعضهم ذبح الموت بمرأى من الفريقين وإطباق جهنم على أهلها أي: وضع الطبق عليها بعدما أخرج منها من أخرج فيفزع أهلها حينئذٍ فزعاً شديداً لم يفزعوا فزعاً أشد منه. وقال بعض أرباب الحقيقة هو قوله تعالى في الأزل «هؤلاء في الجنة ولا أبالي» وذلك لأن نفوسهم المطمئنة في الجنة المضافة إلى الحضرة كما قال تعالى: ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٣٠] فافهم جداً ﴿**وتتلقاهم الملائكة**﴾ أي: تستقبلهم ملائكة الرحمة مهنئين لهم ﴿**هذا يومكم**﴾ على إرادة القول أي: قائلين هذا اليوم يومكم ﴿**الذي كنتم توعدون**﴾ في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الإيمان والطاعة. قال الكاشفي: [عابدانرا كويند اين روز جزاى شماست عارفانرا خطاب رسدكه اين روز تماشاى شماست]:

نيك مردانرا نعيم اندر نعيم   عشق بازانرا لقا اندر لقاء
حصه آنها وصال حور عين   بهره اينها جمال كبريا

فليجتهد العاقل في الطاعات حتى يصل إلى القربات وليبعد نفسه عن المخالفات ليأمن من العقوبات.

واعلم أن الدار الآخرة وثوابها إنما ينال إليها بترك الدنيا وزخارفها كما أن وصلة المولى لا تحصل إلا بترك الكونين فمن كان مشتهاه الجنة ونعيمها فليترك اللذة في الدنيا ومن كان مشتهاه المشاهدات فليقطع نظره عن غير الله تعالى. قال في الفتوحات الملكية: اجمع أهل كل ملة على أن الزهد في الدنيا مطلوب وقالوا إن الفراغ من الدنيا أحب لكل عاقل خوفاً على نفسه من الفتنة التي حذرها الله منها بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن: ١٥] انتهى كلامه. قال الشيخ عبد الوهاب الشعراوي رحمه الله: ومن فوائد الرهبان أنهم لا يدخرون قوتاً لغد لا يكنزون فضة ولا ذهباً قال ورأيت شخصاً قال لراهب انظر لي هذا الدينار هو من ضرب أي الملوك فلم يرض وقال النظر إلى الدنيا منهي عنه عندنا قال ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصاً ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له أتلفت علينا الرهبان فسألت عن ذلك فقالوا: رأوا على عمامته نصفاً مربوطاً فقلت لهم: ربط الدرهم مذموم فقالوا: نعم عندنا وعند نبيكم ﷺ. قال بعض الحكماء إن في الجنة راحة لا يجدها إلا من لم يكن له في الدنيا راحة وفيها غنى لا يجده إلا من ترك الفضول في الدنيا واقتصر على اليسير منها وفيها أمن لا يجده إلا أهل الخوف والفزع في الدنيا:

لا تخافوا هست نزل خائفان   هست درخو رازبر اى خائف آن

وفيها ما تشتهي الأنفس لا يجده إلا أهل الزهد. وعن بعض الزهاد أنه كان يأكل بقلاً وملحاً من غير خبز فقال له رجل: اقتصرت على هذا قال: نعم لأني إنما جعلت الدنيا للجنة وأنت جعلت الدنيا للمزبلة يعني تأكل الطيبات فتصير إلى المزبلة وإني آكل لإقامة الطاعات لعلي أصير إلى الجنة نسأل الله الفيض والجود والتوفيق بطريق الشهود.

﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿يوم نطوي السماء﴾ منصوب باذكر والطي ضد النشر ﴿كطي السجل﴾ وهي الصحيفة أي: طياً كطي الطومار ﴿للكتب﴾ متعلقة بمحذوف هو حال من السجل أي: كائناً للكتب عبارة عن الصحائف وما كنت فيها فسجلها بعض أجزائها وبه يتعلق الطي حقيقة. وقال الإمام السهيلي ذكر محمد بن حسن المقري عن جماعة من المفسرين أن السجل ملك في السماء الثالثة ترفع إليه أعمال العباد ترفعها إليه الحفظة الموكلون بالخلق في كل خميس واثنين وكان من أعوانه فيما ذكروا هاروت وماروت. وفي السنن لأبي داود: السجل كاتب كان للنبي عليه السلام وهذا لا يعرف في كتاب النبي ولا في أصحابه من اسمه السجل ولا وجد إلا في هذا الخبر انتهى كلام السهيلي رحمه الله. قال في «إنسان العيون»: لم يذكر في القرآن من الصحابة رضي الله عنهم أحد باسمه إلا زيد بن حارثة رضي الله عنه الذي تبناه رسول الله ﷺ كما لم يذكر امرأة باسمها إلا مريم. قال ابن الجوزي إلا ما يروى في بعض التفاسير أن السجل الذي في قوله تعالى: ﴿يوم نطوي السماء﴾ إلى آخره اسم رجل كان يكتب لرسول الله عليه السلام انتهى. وفي «القاموس» السجل اسم كاتب للنبي عليه السلام واسم ملك ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ ما كافة تكف الكاف عن العمل وأول مفعول لبدأنا أي: نعبد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه في كونها إيجاداً بعد العدم وهو لا ينافي الإعادة من عجب الذنب. قال في «البحر» أي: نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيهاً للإعادة بالإبداء في تناول القدرة القديمة لهما على السواء ﴿وعداً﴾ أي: وعدنا الإعادة وعداً ﴿علينا﴾ أي: علينا إنجازه وبالفارسية [برماست وفاكردن بدان] ﴿إنا كنا فاعلين﴾ ذلك لا محالة.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى طي سماء الوجود الإنساني بتجلي صفة الجلال في إفناء مراتب الوجود من الانتهاء إلى الابتداء كما بدأنا أول خلق من ابتداء النطفة بالتدريج من خلق النطفة علقة ومن خلق العلقة مضغة ومن خلق المضغة عظاماً إلى انتهاء خلق الإنسان ومن وصف النباتية إلى وصف المركبية ومن وصف المركبية إلى وصف مفردات العنصرية ومن وصف المفردية إلى وصف الملكوتية ومن وصف الملكوتية إلى وصف الروحانية ومن وصف الروحانية إلى وصف الربوبية بجذوة ارجعي إلى ربك وعداً علينا في الأزل إنا كنا فاعلين إلى الأبد.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿ولقد كتبنا في الزبور﴾ وهو كتاب داود عليه السلام كما قال: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣] ﴿من بعد الذكر﴾ أي: بعدما كتبنا في التوراة لأن كل كتاب سماوي ذكر كما

سبق. قال الراغب زبرت الكتاب كتبته كتابة غليظة وكل كتاب غليظ الكتابة يقال له الزبور وخص بالكتاب المنزل على داود. قيل: بل الزبور كل كتاب يصعب الوقوف عليه من الكتب الإلهية. وقال بعضهم اسم للكتاب المقصور على الحكمة العقلية دون الأحكام الشرعية والكتاب لما يتضمن الأحكام والحكم ويدل على ذلك أن زبور داود لا يتضمن شيئاً من الأحكام. قال في «القاموس» الزبور الكتاب بمعنى المزبور والجمع زبر وكتاب داود عليه السلام انتهى ﴿**أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**﴾ أي: عامة المؤمنين بعد إجلاء الكفار كما قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥] وهذا وعد منه بإظهار الدين وإعزاز أهله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن المراد أرض الجنة كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤]. قال في «عرائس البقلي»: كان في علم الأزلية أن أرض الجنان ميراث عباده الصالحين من الزهاد والعباد والأبرار والأخيار لأنهم أهل الأعواض والثواب والدرجات وأن مشاهدة جلال أزليته ميراث أهل معرفته ومحبته وشوقه وعشقه لأنهم في مشاهدة الربوبية وأهل الجنة في مشاهدة العبودية. قال سهل أضافهم إلى نفسه وحلاهم بحلية الصلاح معناه لا يصلح لي إلا ما كان لي خالصاً لا يكون لغيري فيه أثر وهم الذين أصلحوا سريرتهم مع الله وانقطعوا بالكلية عن جميع ما دونه. وقال الشيخ المغربي قدس سره:

مجوى دردل ما غير دوست زآنكه نيابى ازانكه دردل محمود جزاياز نباشد

﴿**إن في هذا**﴾ أي: فيما ذكر في السورة الكريمة من الأخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة على التوحيد وصحة النبوة ﴿**لبلاغاً**﴾ أي: كفاية ﴿**لقوم عابدين**﴾ أي: لقوم همهم العبادة دون العادة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿**وما أرسلناك**﴾ يا محمد بما ذكر وأمثاله من الشرائع والأحكام وغير ذلك من الأمور التي هي مناط السعادة في الدارين في حال من الأحوال ﴿**إلا**﴾ حال كونك ﴿**رحمة للعالمين**﴾ فإن ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين ومن أعرض عنه واستكبر فإنما وقع في المحنة من قبل نفسه فلا يرحم وكيف كان رحمة للعالمين وقد جاء بالسيف واستباحة الأموال. قال بعضهم: جاء رحمة للكفار أيضاً من حيث إن عقوبتهم أخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال والخسف والمسخ ورد في الخبر أنه عليه السلام قال لجبريل: «إن الله يقول وما أرسلناك إلى آخره فهل أصابك من هذه الرحمة» قال: نعم إني كنت أخشى عاقبة الأمر فأمنت بك لثناء أثنى الله علي بقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ٢٠-٢١]. قال الكاشفي: [در كشف الأسرار آورده كه از رحمت وى بودكه امت را در هيچ مقام فراموش نكرد اكر درمكه معظمه بود واكر در مدينة زاهره اكر در مسجد مكرم بود واكر در حجره طاهره همچنين در ذروه عرش اعلى ومقام قاب قوسين او ادنى ياد فرمودكه «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» فردا در مقام محمود بساط شفاعت كسترده كويد امتى امتى]:

عاصيان پركنه در دامن آخر زمان دست درد امان تودارندو جان در آستين
نا اميد از حضرت بانصرتت نتوان شدن چون تويى درهر دو عالم رحمة للعالمين

قال بعض الكبار: وما أرسلناك إلا رحمة مطلقة تامة كاملة عامة شاملة جامعة محيطة بجميع المقيدات من الرحمة الغيبية والشهادة العلمية والعينية والوجودية والشهودية والسابقة واللاحقة وغير ذلك للعالمين جمع عوالم ذوي العقول وغيرهم من عالم الأرواح والأجسام ومن كان رحمة للعالمين لزم أن يكون أفضل من كل العالمين وعبارة ضمير الخطاب في قوله: ﴿**وما أرسلناك**﴾ خطاب للنبي عليه السلام فقط وإشارته خطاب لكل واحد من ورثته الذين هم على مشربه إلى يوم القيامة بحسب كونه مظهراً لارثه. وقال بعض الكبار: إنما كان رحمة للعالمين بسبب اتصافه بالخلق العظيم ورعايته المراتب كلها في محالها كالملك والملكوت والطبيعة والنفس والروح والسر.

وفي «التأويلات النجمية» في سورة مريم بين قوله: ﴿**ورحمة منا**﴾ في حق عيسى وبين قوله في حق نبينا عليه السلام ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ فرق عظيم وهو أنه في حق عيسى ذكر الرحمة مقيدة بحرف من ومن للتبعيض فلهذا كان رحمة لمن آمن به واتبع ما جاء به إلى أن بعث نبينا عليه السلام ثم انقطعت الرحمة من أمته بنسخ دينه وفي حق نبينا عليه السلام ذكر الرحمة للعالمين مطلقاً فلهذا لا تنقطع الرحمة عن العالمين أبداً أما في الدنيا فبأن لا ينسخ دينه وأما في الآخرة فبأن يكون الخلق محتاجين إلى شفاعته حتى إبراهيم عليه السلام فافهم جداً. قال في «عرائس البقلي»: أيها الفهيم إن الله أخبرنا أن نور محمد عليه السلام أول ما خلقه ثم خلق جميع الخلائق من العرش إلى الثرى من بعض نوره فإرساله إلى الوجود والشهود رحمة لكل موجود إذ الجميع صدر منه فكونه كون الخلق وكونه سبب وجود الخلق وسبب رحمة الله على جميع الخلائق فهو رحمة كافية وافهم أن جميع الخلائق صورة مخلوقة مطروحة في فضاء القدرة بلا روح حقيقة منتظرة لقدوم محمد عليه السلام فإذا قدم إلى العالم صار العالم حياً بوجوده لأنه روح جميع الخلائق. ويا عاقل إن من العرش إلى الثرى لم يخرج من العدم إلا ناقصاً من حيث الوقوف على أسرار قدمه بنعت كمال المعرفة والعلم فصاروا عاجزين عن البلوغ إلى شط بحار الألوهية وسواحل قاموس الكبريائية فجاء محمد عليه السلام اكسير أجساد العالم وروح أشباحه بحقائق علوم الأزلية وأوضح سبيل الحق للخلق بحيث جعل سفر الآزال والآباد للجميع خطوة واحدة فإذا قدم من الحضرة إلى سفر القربة بلغهم جميعاً بخطوة من خطوات صحاري ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] حتى وصل إلى مقام أو أدنى فغفر الحق لجميع الخلائق بمقدمه المبارك. قال بعض العلماء: إن كل نبي كان مقدمة للعقوبة لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] ونبينا عليه السلام كان مقدمة للرحمة لقوله: ﴿**وما أرسلناك**﴾ إلى آخره وأراد الله تعالى أن يكون خاتمة على الرحمة لا على العقوبة لقوله تعالى: «سبقت رحمتي على غضبي» ولهذا جعلنا آخر الأمم فابتداء الوجود رحمة وآخره وخاتمته رحمة.

واعلم أنه لما تعلقت إرادة الحق بإيجاد الخلق أبرز الحقيقة الأحمدية من كمون الحضرة الأحدية فميزه بميم الامكان وجعله رحمة للعالمين وشرف به نوع الإنسان ثم انبجست منه عيون الأرواح ثم بدا ما بدا في عالم الأجساد والأشباح كما قال عليه السلام: «أنا من الله

والمؤمنون من فيض نوري» فهو الغاية الجليلة من ترتيب مبادي الكائنات كما قال تعالى: «لولاك لما خلقت الأفلاك»:

علت غائيه هر عالم اوست سرور اولاد بني آدم اوست
واسطه فيض وجودي همه رابطه بود ونبودى همه

قال العرفي الشيرازي في قصيدته النعتية:

ازبس شرف كوهر تومنشىء تقدير آن روزكه بكذا شتى اقليم عدم را
تاحكم نزول تودرين دار نوشته است صدره بعبث باز تراشيده قلم را

المراد من العبث مقلوبه وهو البعث يعني يكفيك شرفاً وفضلاً أن الله سبحانه إنما خلق الخلق وبعث الأنبياء والرسل ليكونوا مقدمة لظهورك في عالم الملك والشهادة فأرواحهم وأجسادهم تابعة لروحك الشريف وجسمك اللطيف.

ثم اعلم أن حياته عليه السلام رحمة ومماته رحمة كما قال: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم» قالوا هذا خيرنا في حياتك فما خيرنا في مماتك؟ فقال: «تعرض عليّ أعمالكم كل عشية الاثنين والخميس فما كان من خير حمدت الله تعالى وما كان من شر أستغفر الله لكم»، قال المولى الجامي:

زمهجورى برآمد جان عالم ترحم يا نبي الله ترحم
نه آخر رحمة للعالميني زمحرومان چرا فارغ نشيني
زخاك اى لاله سيراب برخيز چونركس چند خواب از خواب برخيز
اكرچه غرق درياى كناهم فناده خشك لب برخاك راهم
تو ابر رحمتي آن به كه كاهى كنى درحال لب خشكان نكاهى

﴿قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد﴾ أي: ما يوحى إليّ إلا أنه لا إله لكم إلا إله واحد وحاصله ما يوحى إليّ شيء غير التوحيد ومعنى القصر مع أنه قد أوحي إليه التوحيد وغيره من الأحكام كون التوحيد مقصوداً أصلياً من البعثة فإن ما عداه متفرع عليه وإنما الأولى لقصر الحكم على الشيء كقولك إنما يقوم زيد أي: ما يقوم إلا زيد والثانية لقصر الشيء على الحكم نحو إنما زيد قائم أي: ليس له إلا صفة القيام. قال ابن الشيخ فإن قلت هذا الحصر يستلزم أن لا يكون الله تعالى موصوفاً بغير الوحدانية مع أن له تعالى من صفات الجلال والجمال ما لا يحصى فالجواب أن القصر ليس حقيقياً إذ المقصود نفي ما يصفه المشركون ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أي: مخلصون العبادة لله تعالى مخصصونها به سبحانه وتعالى. وبالفارسية [پس آيا هستيد شما كردن نهاد كان مقتضاى وحى را] والفاء للدلالة على أن ما قبلها موجب لما بعدها يعني أن العاقل إذا خلى ونفسه بعدما قرىء عليه ما قبله ينبغي بل يجب أن لا يتوقف في التوحيد وإذعانه وقبوله.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإسلام ولم يلتفتوا إلى ما يوجبه من الوحي ﴿فقل﴾ لهم ﴿آذنتكم﴾ أعلمتكم ما أمرت به من وجوب التوحيد والتنزيه وبالفارسية [آكاه كردم شمارا]

﴿على سواء﴾ كائنين على سواء في الإعلام به لم أطوه عن أحد منكم وما فرقت بينكم في النصح وتبليغ الرسالة فهو حال من مفعول آذنتكم ﴿وإن أدري﴾ أي: ما أعلم ﴿أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ من غلبة المسلمين وظهور الدين أو الحشر مع كونه آتياً لا محالة ولا جرم أن العذاب والذلة يلحفكم. وفي «الأسئلة المقحمة» كيف قال هذا وقد قال ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٧] فذلك يوم القيامة وهو قريب كما قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١].

﴿إنه﴾ تعالى ﴿يعلم الجهر من القول﴾ أي: ما تجاهرون به من الطعن في الإسلام وتكذيب الآيات ﴿ويعلم ما تكتمون﴾ من الحسد والعداوة للرسول وللمسلمين فيجازيكم عليه نقيراً وقطميراً وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد. قال بعض الكبار: كيف يخفى على الحق من الخلق خافية وهو الذي أودع الهياكل أوصافها من الخير والشر والنفع والضر فما يكتمونه أظهر مما يبدونه وما يبدونه مثل ما يكتمونه جل الحق أن يخفى عليه خافية وهو الذي قال:

يرو علم يك ذره پوشيده نيست   كه پيدا وپنهان بنزدش يكيست

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿يعلم ما تجهرون﴾ من دعاوي الإسلام والإيمان والزهد والصلاح والمعارف ﴿ويعلم ما تكتمون﴾ من الصدق والإخلاص أو الرياء والسمعة والنفاق.

﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿وإن﴾ ما ﴿أدري لعله﴾ لعل تأخير جزائكم ﴿فتنة لكم﴾ استدراج لكم وزيادة في افتتانكم لما كان الاستدراج سبباً للفتنة والعذاب أطلق عليه لفظ الفتنة مجازاً مرسلاً أو امتحان لكم كيف تعملون أي: معاملة تشبيهية بالامتحان على طريق الاستعارة التمثيلية ﴿ومتاع إلى حين﴾ وتمتيع لكم إلى أجل مقدر يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الجزاء في وقت هو فيه حكمة.

﴿قال﴾ الرسول فهو حكاية لدعائه عليه السلام ﴿رب﴾ [اى پروردكارمن] ﴿احكم بالحق﴾ أي: اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب والتشديد عليهم ﴿وربنا﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿الرحمن﴾ كثير الرحمة على عباده وهي إن كانت بمعنى الانعام فمن صفات الفعل وإن أريد بها إرادة إيصال الخير فمن صفات الذات ﴿المستعان﴾ خبر آخر أي: المطلوب منه المعونة، يعني: [ياری آور خواهنده] ﴿على ما تصفون﴾ من الحال فإنهم كانوا يقولون إن الشوكة تكون لهم [ورايت اسلام ودين دم بدم نكونسار خواهد شد] وإن المتوعد لو كان حقاً لنزل بهم إلى غير ذلك مما لا خير فيه، يعني: [شما سخن ناسزا ميكوييد وما ازخداى بران يارى خواهيم واميدوارى ازدركاه حضرت او داريم]:

مراد خويش زدركاه پادشاهى خواه   كه هيچكس نشود نا اميد ازان دركاه

فاستجاب الله تعالى دعاء رسوله فخيب آمالهم وغير أحوالهم ونصر أولياءه عليهم فأصابهم يوم بدر ما أصابهم. وفي الآية إشارة إلى أنه لا يطلب من الله تعالى ولا يطمع في حق المطيع والعاصي إلا ما هو مستحقه وقد جرى حكم الله فيها في الأزل وأن رحمته غير متناهية وإن كانت أنواعها مائة على ما قال عليه السلام: «إن لله مائة رحمة» فعلى العاقل أن لا يغتر

بطول العمر وكثرة الأموال والأولاد فإن الاغترار بذلك من صفات الكفرة. ومن كلمات أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد يمكر به فهو مخدوع عن عقله. قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله لرجل أدرهم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة؟ فقال: دينار في اليقظة فقال: كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة نسأل الله العصمة والتوفيق.

تمت سورة الأنبياء في الخامس من شهر الله رجب
من سنة ست ومائة وألف من الهجرة

تم المجلد الخامس من تفسير روح البيان
ويتلوه المجلد السادس بعناية الرب المنان

فهرس السور والآيات

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء